المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية
International Journal of Sharia and Islamic Studies

International Journal
of Sharia and Islamic Studies
المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

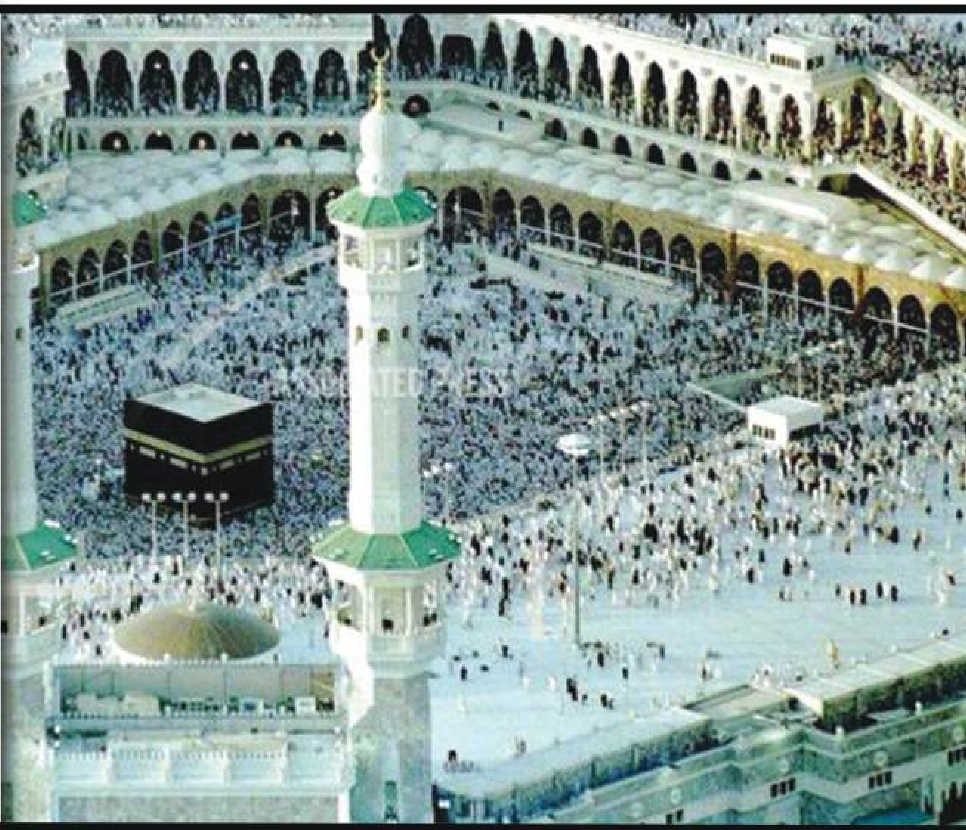

عدد خاص

بمؤتمر مكة الدولي الرابع للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية

مؤتمر مكة الدولي الرابع
للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية
٤

المملكة العربية السعودية
مكة المكرمة

27 ـ 29 شوال 1446هـ
25 ـ 27 أبريل 2025م

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة
مجلة دولية علمية محكمة وفق معايير النشر الدولي (ISI) للمجلات العلمية المحكمة تعنى بنشر البحوث والدراسات في مجال الشريعة والدراسات الإسلامية وكل ما له صلة في هذه العلوم.

ISSN Print: 1658-9564
ISSN Online: 2961-4031

بسم الله الرحمن الرحيم

تنويه : جميع الآراء المطروحة في البحوث والدراسات المنشورة بالمجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر عن رأي هيئة تحرير المجلة.

مجلة دورية – علمية – محكمة - ومصنفة دوليًا
تُصدر أربعة أعداد في العام (يناير- أبريل- يوليو- أكتوبر)
تَنشر المجلة البحوث والدراسات والأوراق العلمية التي لم يسبق نشرها، باللغة العربية أو الإنجليزية، التي تتميز بالأصالة والابتكار.

ترخيص نشـــر المجلات والدوريات العلمية رقم (76720)، ترخيص المجلة رقم (111487)

الرؤية:

تعمل المجلة على الرقي بمواصفات النشر العلمي المتميز محلياً ودولياً في مختلف مجالات الشريعة والدراسات الإسلامية.

الرسالة:

تسعى المجلة لتأصيل البحث العلمي والرفع من شأنه بحيث تصبح المجلة مرجعاً علمياً للباحثين في مختلف فروع الشريعة والدراسات الإسلامية.

الأهداف:

- المساهمة في تطوير الدراسات الإسلامية وتطبيقاتها من خلال نشر البحوث النظرية والتطبيقية.
- نشر الأبحاث المتميزة التي تتسم بالجودة العالية والأصالة والابتكار وترتبط بالواقع المحلي والعالمي.
- توفير وعاء نشر للباحثين المتميزين والتسويق لأبحاثهم محلياً ودولياً.
- عرض التجارب العالمية وذلك من خلال ما يصدر من كتب وأبحاث تتعلق بالشريعة والدراسات الإسلامية.

جميع الحقوق محفوظة:
لا يسمح بإعادة طبع أي جزء من المجلة أو نسخه دون الحصول على موافقة كتابية من المشرف العام أو رئيس التحرير، علماً بأن جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:
مركز إثراء المعرفة للمؤتمرات والأبحاث والنشر العلمي - المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية
ص.ب:26523 الطائف - المملكة العربية السعودية
هاتف وفاكس:00966127272778 جوال واتساب: 00966500205551
البريد الالكتروني: IJSIS@kefeac.com
kefeac.pub@gmail.com

هيئة تحرير المجلة

المشرف العام

د. عبد الرحمن محمد الزهراني

رئيس مركز إثراء المعرفة للمؤتمرات والأبحاث والنشر العلمي.

رئيس التحرير

أ.د.عبدالله بن محمد بن منصور آل الشيخ

أستاذ الحديث وعلومه - جامعة بيشة.

مدير التحرير

د. عدنان بخيت المالكي

دكتوراة فى المناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية - جامعة أم القرى.

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. صفية عبدالله بخيت

أستاذ اصول التربية الإسلامية بجامعة أم القرى.

أ.د. حياة عبد العزيز نياز

أستاذ أصول التربية الإسلامية بجامعة أم القرى.

د. ناجي حسين صالح

دكتوراة فى التفسير وعلوم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية.

د. محمد بن عبيد الله ناصر الثبيتي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المشارك بجامعة الباحة

د. بشري حسن هادي اليمني

أستاذ القراءات والدراسات الإسلامية المشارك بجامعة جدة.

د.خلود بنت محمد زين الدين

أستاذ الحديث وعلومه المشارك بجامعة أم القرى.

أ.د.عائشة مرشود حميد الحربي

أستاذ التاريخ الوسيط المشارك بجامعة طيبة.

د. سالم بن عبد الله بن تركي آل سعيدة

أستاذ أصول الفقه المساعد بجامعة بيشة

الهيئة الإستشارية

أ.د. أحمد بن محمد بن صالح عزب
أستاذ الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز

أ.د. معن سعود أبو بكر
أستاذ الفقه المقارن وأصوله بجامعة زايد -الإمارات العربية المتحدة

أ.د. الجوهرة بنت محمد العمراني
أستاذ البحث العلمي بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية

أ.د. وفاء بنت إبراهيم الفريح
أستاذ أصول التربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ. د. محمد حسن زاهر الشهري
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الباحة -كلية الآداب والعلوم الإنسانية -قسم الدراسات الإسلامية

أ. د. سعيد المغناوي
أستاذ السيرة النبوية وعلوم الحديث بجامعة سيدى محمد بن عبد الله بفاس

أ.د. نوال عمر عبد الله باسعد
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة جدة

أ.د. هدى دياب أحمد صالح
الأستاذ بجامعة أم درمان الإسلامية – السودان

أ.د. حنان صبحي عبيد
رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الامريكية مينيسوتا – أمريكا

د. عبد الحق غانم سيف سالم
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة صنعاء – اليمن

مجالات النشر في المجلة

- القرآن الكريم وعلومه.
- السنة النبوية وعلومها.
- العقيدة الإسلامية.
- المذاهب والتيارات المعاصرة.
- الفقه واصوله وقواعده.
- مقاصد الشريعة الإسلامية.
- الدعوة والثقافة الإسلامية.
- الوقف .
- الدراسات القضائية.
- القانون والأنظمة.
- المحاكم الشرعية وكتابة العدل.
- المحاماة والادعاء العام.
- المواريث.
- الحدود والتعزيرات.
- دراسات المقارنة بين الشريعة والقانون.
- الاقتصاد والمالية الإسلامية.
- التربية الإسلامية.
- النظم الاجتماعية.
- الهوية الإسلامية.
- تراجم وأعلام.
- الأمن الفكري.
- الوسيطة والغلو.
- الفكر الإسلامي.
- المناظرة وأدب الخلاف.
- نظم التربية والتعليم الإسلامية.
- طرق تدريس الشريعة والدارسات الإسلامية.
- التاريخ والحضارة الإسلامية.
- الفنون الإسلامية.
- المرأة المسلمة ودورها في المجتمع.
- مؤسسات تعزير الثقافة الإسلامية.
- الإعلام والاتصال في العالم الإسلامي.
- مؤسسات المجتمع المدني.
- تنمية الموارد البشرية وإدارتها.
- القضايا المعاصرة في الدراسات الإسلامية.
- العمل التطوعي والإنساني.
- الأديان السابقة.
- مقارنة الأديان.
- الاستشراق في الدراسات الإسلامية.

المجلة تقبل نشر جميع الأبحاث والدراسات ذات العلاقة بالشريعة والدارسات الإسلامية

أخلاقيات وشروط النشر

تمهيد:

تصدر المجلة إصداراتها المتعددة للبحوث العلمية الأصلية المحكمة وفق معايير النشر الدولي للمجلات العلمية المحكمة (ISI).

لذلك يجب أن يكون البحث المراد نشره أصيل، ومكتمل الأركان وفق أسس ومعايير البحث العلمي وضمن مجالات المجلة، ولم يسبق نشره من قبل، أو تم إرساله لمجلة أخرى للنشر حسب المعايير التالية:

أخلاقيات النشر العلمي:

يهدف النشر العلمي إلى تقديم إضافات جديدة للعلم والمجتمع، وذلك من خلال الدراسات التي يقوم بها الباحثين، ويجب على الباحث العلمي أن يتقيد بأخلاقيات البحث العلمي ومن أهمها:

1. المصداقية:يجب على الباحث أن يقوم بنقل البيانات والمعلومات إلى بحثه بصدق وتجنب السرقة العلمية والأدبية (Plagiarism) وهو أن يقوم الباحث بنقل للمعلومات أو البيانات أو الأفكار من الكتب والمواقع والأبحاث دون ذكر المصدر أو المرجع المأخوذة منه ونسبها لنفسه دون وجه حق، وفى حالة اكتشاف الانتحال في البحث المقدم للنشر فإن لإدارة المجلة حق في اتخاذ الإجراء ات المناسبة منها: رفض البحث واشعار مؤسسة الباحث او عمادة البحث العلمي التي يتبع لها واحتمال رفض أبحاثه المقدمة مستقبلا للمجلة.
2. الالتزام بقواعد الاقتباس والتوثيق وأخلاقيّات النّشر والدقة في التوثيق والاستدلال بالمراجع ونسب الأراء الى أصحابها ومؤلفيه.
3. عدم إعادة تدوير الأبحاث المنشورة مسبقًا دون الاستشهاد والإفصاح المناسب .
4. عدم تقديم البحث لأكثر من مجلة علمية للنشر ويجب رفعه بعد التأكد من الرغبة في النشر .
5. الالتزام بالقوانين والأنظمة التي وضعتها المؤسسات المنظمة للأبحاث العلمية خاصة في الأبحاث الممولة من عمادات البحث العلمي بالجامعات .
6. على الباحث اجراء التعديلات المطلوبة وفقًا نتيجة التحكيم ومقترحات المحكمين، وفي حال عدم موافقته على الأخذ بالتعديلات المطلوبة؛ يجب عليه تقديم مبررات علمية لذلك وفي حالة عدم تقديمها، للمجلة الحق في اتخاذ ما تراه مناسب .
7. ان يلتزم الباحث بتدقيق البحث لغويا بعد اجراء التعديلات المطلوبة من المحكمين إن وجدت .
8. في حالة ثبت الإخلال بأخلاقيات النشر بعد نشر البحث في المجلة فانه يتم سحبه من الموقع الإلكتروني للمجلة ويطبع عليه عبارة (تم السحب) .

معايير التحكيم الأولى لقبول النشر في المجلات:

1 - أن يتسم البحث بالأصالة والمنهجية العلمية والحداثة في الموضوع والعرض.

2 - ألا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر إلى مجلة أخرى.

3 - أن يكون البحث مكتمل العناصر.

4 - مراعاة صحة اللغة وسلامة الأسلوب في البحث ويجب مراجعة البحث جيدا قبل إرساله.

5 - مطابقة البحث لتنسيقات البحوث المعتمدة في المجلة.

6 - أن لا يتجاوز عدد صفحات البحث 20 صفحة.

7 - أن يكون البحث بإحدى اللغتين: (العربية، الإنجليزية).

عناصر البحث:

1 - العنوان الكامل للبحث باللغة العربية وترجمة له باللغة الإنجليزية.
2 -اسم الباحث ودرجته العلمية، والمؤسسة التابع لها، واسم الدولة باللغتين العربية والانجليزية والبريد الالكتروني.
3 -مستخلص للبحث (عربي، إنجليزي) في حدود (400) كلمة للمستخلصين (لكل مستخلص 200 كلمة) حيث لا يزيد عدد أسطر المستخلص الواحد عن " 10 " أسطر بخط " 12" Time New Roman للمستخلص العربي و" 12" Calibri للمستخلص باللغة الإنجليزية.
4 -الكلمات المفتاحية من 3 - 6 كلمات باللغتين العربية والانجليزية.
5 -المقدمة ويجب أن تتضمن: مشكلة البحث وأسئلته، وأهدافه، وأهميته وحدوده ومصطلحاته.
6 -الاطار النظري والدراسات السابقة.
7 -منهج البحث ويجب إيضاح المنهجية العلمية المتبعة في اعداد الدراسة مع ذكر المبررات لاختياره.
8 - نتائج البحث ومناقشتها ، التوصيات والمقترحات ، الخاتمة والمراجع.

تنسيقات البحث:

1 -ملف البحث يجب أن يكون ملف ميكروسوفت وورد(word.docs,.doc) غير محمي.
2 -يجب أن يكون البحث في صفحات مفردة وليست مدمجة بأعمدة في نفس الصفحة.
3 -لا تتجاوز عدد صفحات البحث 20 صفحة ولا تقل عن 12 صفحة وأن تكون هوامش الصفحة عادية (أعلى وأسفل 254سم وأيمن وأيسر 318سم).
4 -تكتب المادة العلمية العربية بخط Time New Roman بحجم (12) والتباعد بين السطور (1.15).
5 -تكتب المادة العلمية الإنجليزية بخط Calibri بحجم (12) والتباعد بين السطور (1.15).
6 -ترتيب العناوين الرئيسية والفرعية ترتيباً تسلسلياً على التوالي.
7 -ترتيب الجداول والأشكال والصور في البحث ترتيباً تسلسلياً على التوالي.
8 -يجب استخدام نموذج موحد للمعادلات الرياضية في محتويات البحث.
9 -أن يلتزم الباحث باستخدام الأرقام (1،2،3..) سواء في متن البحث، أو في الجداول والأشكال أو في المراجع.
10 -يكون الترقيم لصفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة، حتى آخر صفحة من صفحات البحث التي تتضمن المراجع.
11 -المراجع .

خطوات النشر:

1 -استلام البحث العلمي المراد نشره بالمجلة.
2 - الفحص الأولي لتنسيقات البحث ومطابقة شروط النشر في المجلة.
3 - إخطار الباحث بنتيجة الفحص الأولي خلال (10أيام عمل) من استلام البحث.
4 - إرسال البحث الى المحكمين للتحكيم النهائي.
5 - إخطار الباحث بنتيجة التحكيم النهائي.
6 - إجراء التعديلات او الملاحظات أن وجدت بناءً على قرار اللجنة العلمية قبل النشر النهائي للبحث.
7 - استيفاء رسوم النشر، في حال قبول البحث للنشر.
8 - إصدار شهادة قبول نشر البحث في المجلة.
9 - نشر البحث في الإصدار القادم للمجلة والأولية في النشر حسب تاريخ الاستلام.

رسوم النشر:

تبلغ رسوم التحكيم والنشر في المجلة 400 دولار وتساوى 1500 ريال سعودي و يتم سداد الرسوم بعد القبول الأولي للبحث.

كلمة رئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على بنينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وبعد:

يسرنا أن نضع بين يدي الباحثين والمهتمين بالدراسات الإسلامية، هذا العدد الخاص من المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية، الصادرة عن مركز إثراء المعرفة للمؤتمرات والأبحاث والنشر العلمي، ضمن سلسلة الإصدارات العلمية للمجلة.

أن الهدف الأسمى للمجلة هو إثراء المعرفة في مجال الشريعة والعلوم الإسلامية والمعارف المرتبطة بها ومعالجة القضايا الإسلامية المعاصرة في إطار علمي موضوعي، لتشكل إضافة حقيقة للمكتبة الإسلامية في مجال الشريعة والدراسات الإسلامية، ولذا حرصت المجلة على استقطاب الباحثين والمهتمين بمحاور ومجالات النشر في المجلة، لتقديم أبحاث ودراسات وفق الأسس العلمية المتعارف دوليا.

وتناول هذا العدد من المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية، الخاص بالأبحاث والدراسات المقبولة للمشاركة في مؤتمر مكة الدولي الرابع للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية، العديد من الموضوعات والدراسات والأبحاث في مجال الشريعة والدراسات الإسلامية المختلفة بعد تحكيمها ومراجعتها بدقة عالية تتماشى مع سياسة النشر في المجلة، حيث تشكل الثراء المعرفي والتنوع المطلوب في مجالات الشريعة والدراسات الإسلامية المختلفة، مما يؤكد على الجهود العلمية المبذولة فيها من قبل الباحثين من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الحكومية والأهلية بالعالم الإسلامي والباحثين والمختصين في هذا المجال من أساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا.

وفي هذا المقام يطيب لنا في هيئة تحرير المجلة الدولية للشريعة والدراسات الإسلامية أن نقدم لهم أسمى عبارات الشكر والتقدير، ويمتد الشكر والثناء لهيئة تحرير المجلة، والفريق الفني والإداري، ولجان التحكيم والمراجعة، التي لم تدخر جهداً لتصويب الأبحاث وتقويمها وتدقيقها لتخرج بالصورة المرجوة.

وننتهز فرصة صدور العدد الخاص بمؤتمر مكة الدولي الرابع للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية، لنكرر الدعوة لجميع الباحثين والمختصين في مجال اهتمام المجلة الى تقديم أبحاثهم ودراساتهم، لنشرها في الأعداد القادمة من المجلة، علماً بان المجلة تصدر بشكل ربع سنوي بواقع أربعة أعداد في السنة بشكل منتظم.

أ.د. عبد الله بن محمد منصور أل الشيخ

فهرس المحتويات

م	الاسم	عنوان البحث	رقم الصفحات
١.	أ.د. إبراهيم بن مبارك آل جوير	أثر التنشئة الاجتماعية في تدعيم الوحدة الوطنية.	١-٩
٢.	د. ناهد محمد عياش رمضان	المقاصد الشرعية في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.	١٠-٢١
٣.	د. مريم بنت موسى عقيلي	دور العقيدة الإسلامية في مواجهة التكفير والوقاية منه.	٢٢-٢٩
٤.	د. يعقوب بن يوسف العنقري	دور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال.	٣٠-٤٣
٥.	د. تهاني بنت مطلق بن عبد الله الشايعي	مكانة المرأة على مر التاريخ ": دراسة مقارنة	٤٤-٥٢
٦.	د. عبد الرحمن بن مستور بن سعيد المالكي	الفروق الأصوليَّة في كتاب حاشية العُدَّة للصنعاني	٥٣-٦٨
٧.	د. مريم بنت سعيد بن حمد العزرية	أثر التقنية الحديثة في إثبات الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين.	٦٩-٨٤
٨.	أ. نورة بنت صالح النفجان	التأصيل الشرعي لمفهوم جودة الحياة في المملكة العربية السعودية في رؤية ٢٠٣٠	٨٥-٩٧
٩.	آ. أسماء عبدالرحمن عمرالفقيه	الكلاسيكية في عصر النهضة الأوربي - عرض ونقد	٩٨-١٠٣
١٠.	د. هياء ناصر الحميضي	التأثير الديني على التصميم المعماري للبيوت التقليدية في نجد.	١٠٤-١١٣
١١.	د. أعياد منصور جميل دقنه	أدب التعامل مع القرآن الكريم في وسائل التواصل الاجتماعي.	١١٤-١٢٨
١٢.	د. أميمة بنت عبد الرحمن بن عبد القادر حلبي	مقصد الرحمة الإلهية في ضوء التنوع اللغوي في القراءات القرآنية وأثره في خدمة الإنسانية دراسة وصفية.	١٢٩-١٣٩
١٣.	د. لطيفة بنت سعود العصيمي	التأويل البلاغي في باب الأسماء والصفات دراسة في البلاغة العقدية.	١٤٠-١٥٢
١٤.	د. مضاوي نايف متروك المطيري	أثر السنة في اطمئنان المسلم عند المنع والعطاء	١٥٣-١٦٠
١٥.	لارا بنت خالد السبع	مَقصَد العِفَّة، وأثره في أحكام النكاح والخلع دراسة فقهية تطبيقية.	١٦١-١٧٦
١٦.	د. ملاك بنت محمد بن سعود آل فهيد	الإلزام بالوعد وتطبيقاته المعاصرة.	١٧٧-١٨٨
١٧.	أ. رهف بنت عبداللطيف بن فهد بن دخيل	أقوال الصحابة رضي الله عنهم العَقَدية التي حُكي أن ليس للرأي فيها مجال (اسم القيّام لله -عز وجل- انموذجاً).	١٨٩-٢٠٢
١٨.	د. لولوه بنت خالد الحميّد	الجهود العلمية المعاصرة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في مواجهة التنصير.	٢٠٣-٢١١
١٩.	د. جار الله بن عبد الله بن أحمد الجار الله	نازلة الاجتهاد الجماعي (تأصيل، وتطبيق).	٢١٢-٢٢٠
٢٠.	أ. بخيت رده العمري	العقيدة وأثرها على سلوك المسلم.	٢٢١-٢٢٦
٢١.	د. تهاني بنت عبد الله الظبي	التنمية البشرية الحديثة من منظور العقيدة الإسلامية.	٢٢٧-٢٣٦
٢٢.	د. مزنة بنت عبد العزيز بن علي اللحيدان	التقوى وبناء الشخصية القيادية: دراسة تأصيلية.	٢٣٧-٢٤٧
٢٣.	د. أسماء بنت محمد بن عبد الله الوهيبي	هدي النَّبيّ ﷺ في الدَّعوة إلى الله تعالى مِن خلال أحاديث الأعداد.	٢٤٨-٢٦٤
٢٤.	د. أفنان بنت عبد العزيز بن عثمان الركبان	الموهبة لدى المفسِّر (دراسة تأصيلية تطبيقية).	٢٦٥-٢٧٩

٢٥.	أ.د. إيمان بنت صالح بن سالم العلواني	الركود الثقافي وأثره على الفرد والمجتمع دراسة تحليلية نقدية.	٢٨٠-٢٩٠
٢٦.	د. علياء بنت علي بن بكر فلمبان	تحديات الإعلام الدعوي ودوره في تنمية الوعي الديني ومواجهة الشائعات دراسة ميدانية من وجهة نظر الإعلاميين والدعاة في المملكة العربية السعودية.	٢٩١-٣٠١
٢٧.	أ. ريم بن عبد الرحمن مسفر الغامدي	دور العلوم الشرعية في مواجهة التجهيل الفكري وتحقيق الوعي الفكري.	٣٠٢-٣١٣
٢٨.	أ. عبد الله بن عوض بن ظافر القرني	الأثر المترتب من التشريع الجنائي الإسلامي في حفظ مقاصد الشريعة.	٣١٤-٣٢٦
٢٩.	د. مريم بنت أحمد زنان الزهراني	التوجيهات النبوية في مواجهة التنمر.	٣٢٧-٣٣٧
٣٠.	د. منيرة بنت صياف فالح العمري	مسألة الحرف والصوت في كلام الله عند أهل السنة والمخالفين دراسة عقدية.	٣٣٨-٣٤٨
٣١.	أ. نجاة بنت عبد الله بن إبراهيم الحربي	الأحاديث الواردة في أحب الأشربة إلى النبي ﷺ (دراسة تحليلية موضوعية).	٣٤٩-٣٥٧
٣٢.	د. صلاح جبر يوسف	دور التربيةُ الإسْلاميَّةُ بالقُدوةِ في تربيةِ النَّاشِئَةِ لإصْلاحِ المُجْتَمَع.	٣٥٨-٣٦٤
٣٣.	د. أبرار بنت مهدي أحمد منشي	التسامح في الفكر التربوي الإسلامي (العصر العباسي الأول أنموذجاً).	٣٦٥-٣٧٥
٣٤.	د. إيمان أحمد محمد خليل الهاشمي	نفحات من مقاصد الشريعة العامة من الصيام.	٣٧٦-٣٩٦

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة
International Journal of Sharia and Islamic Studies
مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

أثر التنشئة الاجتماعية في تدعيم الوحدة الوطنية

أ.د. إبراهيم بن مبارك آل جوير
أستاذ علم الاجتماع قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية - كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية.

The role of socializations enhancing unity

Prof. Ibrahim M M Aljuwair
Sociology and Social Work Department - College of Social Sciences - Imam Muhammad ibn Saud Islamic University - Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: ialjuwair@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:
الوحدة الوطنية، الأسرة، التنشئة الاجتماعية، وسائل الإعلام، الصحبة.

KEY WORDS:
National unity, family, socialization, media, companionship.

مستخلص البحث:

الوحدة الوطنية ركيزة من ركائز مقومات الوطن، ومسلمة من مسلمات تطوره وتقدمه، ودليلا على تلاحم أفراد الشعب، ويرتبط بمفهوم الوحدة الوطنية مفاهيم مثل الانتماء والولاء، ويتعرض لأثر الأسرة في تعزيز مفهوم الوحدة الوطنية عند أفراد الأسرة وذلك بغرس الانتماء والولاء للوطن، والمشاركة في شؤونه وممارسة متواصلة لكل المبادرات، وعن أثر التنشئة الاجتماعية وهي عملية تعلم وتعليم وتربية، وتقوم على التفاعل الاجتماعي، وهناك أثر المؤسسات الاجتماعية الأخرى في تعزيز الوحدة الوطنية، وأثر المؤسسات الإعلامية في غرس القيم ثم طرح مجموعة من الاقتراحات لتفعيل الوحدة الوطنية، ومشروعات وبرامج تعزيز مفهوم المواطنة والاندماج الاجتماعي.

ABSTRACT:

National unity is a pillar of the nation's foundations, an axiom of its development and progress, and evidence of the cohesion of the people.

The concept of national unity is linked to concepts such as belonging and loyalty.

It addresses the impact of the family in strengthening the concept of national unity among family members by instilling belonging and loyalty to the nation, participating in its affairs and continuously practicing all initiatives, and the impact of social upbringing, which is a process of learning, teaching and education, based on social interaction.

There is also the impact of other social institutions in strengthening national unity, and the impact of media institutions in instilling values.

Then, a set of proposals were put forward to activate national unity, and projects and programs to strengthen the concept of citizenship and social integration.

مقدمـــــــــة:

لعل هاجس الوحدة الوطنية هي الهاجس الرئيس الذي يشغل السياسيين والاجتماعيين، وصناع القرار السياسي والسلطة التنفيذية والتشريعية في الوقت الراهن.

فالوحدة الوطنية كما يعتبرها الجميع هي الخط الأحمر الذي لا يسمح لأحد أن ينال منها، وهي الهدف الرئيس الذي تتجمع من خلاله كافة الفئات والشرائح الاجتماعية داخل المجتمع لتحقيقه. فهي الشعار الذي يرفعه الجميع دون استثناء، وهي المقولة التي لا يقبل أي طرف من الأطراف أو أي من الفئات أن تشعر بأنها تسعى بصورة مقصودة أو غير مقصودة في هدمها، أو شق جدرانها المبنية عليها، أو زعزعة بناءها.

كما تعد الوحدة الوطنية ركيزة من ركائز مقومات الوطن ومسلمة من مسلمات تطوره وتقدمه ودليلاً قاطعاً على تلاحم أفراد هذا الشعب. إذ تظهر لنا الوحدة الوطنية قصة التلاحم بين أبناء هذا المجتمع من تاريخ آبائنا وأجدادنا إلى يومنا هذا. كما تعتبر الأسرة اللبنة الأولى في كيان المجتمع، وهي الأساس المتين الذي يقوم عليه هذا الكيان. فالوحدة الوطنية هي مفهوم يشترك فيه الجميع لتحقيقه. ولكن يبقى السؤال عما هي المؤثرات والمخاطر التي من الممكن أن تزعزع من هذا المفهوم، وما هي وظيفة بعض المؤسسات الاجتماعية في تحقيق الوحدة الوطنية. وما هي المهمة الملقاة على مؤسسة الأسرة، والتنشئة الاجتماعية، وما وظيفة المؤسسات الإعلامية المختلفة، وما هو أثر مؤسسات المجتمع المدني لتحقيق الوحدة الوطنية. ولعل الهدف الرئيس من وراء هذه الورقة هو الإجابة على هذه التساؤلات الرئيسة. فالورقة سوف تتناول بعض المحاور للإجابة على هذه التساؤلات. فهي ستتناول مفهوم التنشئة الاجتماعية، وأثرها في تحقيق وغرس القيم المرتبطة بالوحدة الوطنية، وسوف يتم تناول مفهوم الوحدة الوطنية والوقوف على أبرز الملامح العامة للشرائح الاجتماعية داخل المجتمع المحلي، ومن ثم الوقوف على أثر المؤسسات الاجتماعية بشكل عام على تحقيق وغرس القيم المرتبطة بالوحدة الوطنية، ومن ثم التركيز على أثر الإعلام والمؤسسات الإعلامية، وكذلك المؤسسات الخاصة بالمجتمع المدني في تعزيز قيم المواطنة والوحدة الوطنية. وأخيراً يتم عرض مجموعة من التساؤلات المرتبطة بالوحدة الوطنية في إطار تقييمي خاص عن الوضع السائد في المجتمع المحلي. فمن خلال الإجابة على هذه التساؤلات يمكن عرض تقييمي للوضع الراهن داخل المجتمع المحلي فيما يتعلق بهذا المفهوم. فبصلاح الأساس يصلح البناء، وكلما كان الكيان الأسري سليماً ومتماسكاً كان لذلك انعكاساته الإيجابية على المجتمع. إن الأسرة التي تقوم على أسس من الفضيلة والأخلاق والتعاون تعتبر ركيزة من ركائز ذلك المجتمع الذي سيكون مجتمعاً قوياً متماسكاً متعاوناً، يسير في ركب الرقي والتطور. وتكتسب الأسرة أهميتها كونها أحد الأنظمة الاجتماعية المهمة التي يعتمد عليها المجتمع كثيراً في رعاية أفراده منذ قدومهم إلى هذا الوجود وتربيتهم وتلقينهم ثقافة المجتمع وتهيئتهم لتحمل مسؤولياتهم الاجتماعية على أكمل وجه والعلاقة بين الفرد والأسرة والمجتمع علاقة فيها الكثير من الاعتماد المتبادل ولا يمكن أن يستغني أحدهم عن الآخر. فالأسرة ترعى شئون الأفراد منذ الصغر والمجتمع يسعى جاهداً لتهيئة كل الفرص التي تمكن هؤلاء الأفراد من أداء أدوارهم الاجتماعية وتنمية قدراتهم بالشكل الذي يتوافق مع أهداف المجتمع كما تتضح هذه العلاقة في أوقات التغير الاجتماعي. فعندما يتغير المجتمع فإن الأسرة تتأثر بهذا التغير وتستجيب له وتحاول أن تتكيف مع الأوضاع الاجتماعية الجديدة بتغيير الوظائف أو البناء. ولعل الأسرة هي النظام الاجتماعي الوحيد الذي يرتبط بكل أنظمة المجتمع حيث أن الأفراد الذين يمثلون أنظمة المجتمع المختلفة ينتمون إلى أسر كان لها الأثر في تهيئتهم ووصولهم إلى ما وصلوا إليه .

الوحدة الوطنية:

لعل مفهوم الوحدة الوطنية يرتبط بشكل كبير ومباشر مع مفاهيم اجتماعية أخرى. فيرتبط مفهوم الوحدة الوطنية مثلاً مع مفاهيم مثل الانتماء، والولاء، وغيرها. ولعل مفهوم الانتماء والولاء قد يراها البعض بأنها قيم محددة تؤدي في النهاية إلى تحقيق الوحدة داخل الوطن وبالتالي الوحدة الوطنية. وقد يكون مفهوم الولاء والانتماء بالتالي هما مقومات من مقومات الوحدة الوطنية. ويظهر مفهوم آخر قد يكون ملاصقاً لمفهوم الوحدة الوطنية والمتمثل في مفهوم المواطنة والتي يمكن تعريفها كما جاء في دائرة المعارف البريطانية بأنها العلاقة بين الفرد والدولة التي يتحدد من خلال القانون، وما تتضمنه هذه العلاقة من واجبات وحقوق. فهذه مفاهيم متداخلة لا تخرج عن نطاق مفهوم الوحدة الوطنية.

ومن المعروف أن المجتمعات الإنسانية كافة تجمع العديد من الثقافات الإنسانية داخلها، والتي تخلق مزيجاً ثقافياً لكل منها إطاره الثقافي وطرحه وأساليبه الحياتية وعاداته وتقاليده المختلفة عن الآخرين. ولكنها إذا ما أرادت أن تنخرط تحت لواء واحد وشعار واحد، فإنها تكون قادرة ذاتياً على الاندماج في قالب موحد، ولصالح وطن واحد، وبالتالي يتم تحقيق ما يسمى بالوحدة الوطنية باختلاف العناصر الثقافية التي تميز كل مجتمع عن الآخر. وإذا ما طبقنا ذلك المزيج الثقافي على المجتمعات، فإن هناك العديد من المتغيرات الاجتماعية والديموغرافية التي تقوم بخلق مثل هذا التمايز الثقافي في المجتمع الواحد. فمتغيرات مثل التدين، والأصول العرقية، والجذور التاريخية، والطبقة الاجتماعية، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي، والمستوى التعليمي والانتماء السياسي والفكري وغيرها من المتغيرات توجد نوعاً من التمايز الثقافي في داخل المجتمع. إن هذه الاختلافات هي التي تولد الحاجة إلى وجود ما يجمعها في إطار تعايشي، وتحت شعار الوحدة دون الأخذ بالاعتبار للانتماءات الفرعية المبنية على المتغيرات المذكورة.

أثر الأسرة في تعزيز مفهوم الوحدة الوطنية عند الأبناء

إن مفهوم الانتماء الوطني وراثي يولد مع الفرد من خلال ارتباطه بوالديه وبالأرض التي ولد فيها، ومكتسب كذلك وينمو أكثر من خلال مؤسسات المجتمع المتمثلة في

المدرسة والأسرة والإعلام والمسجد والأقران؛ فإن حب الوطن واجب على كل فرد تجاه وطنه.

ويقع على عاتق الأسرة مهمة كبيرة في تنمية الوحدة الوطنية في قلوب الأبناء وذلك من خلال ذكر واقع الجزيرة العربية قبل توحيد الملك عبد العزيز وإقامة الدولة السعودية الثالثة وكيف كانت حالة الأمن مفقودة والجهل منتشراً والأوضاع الصحية متردية والأمراض منتشرة، ومن ثم مقارنة هذه الأوضاع مع ما تعيشه المملكة من تقدم صحي وتعليمي وأمني من عهد الملك عبد العزيز إلى يومنا هذا ولله الحمد، كما على الأسرة بيان حقوق الوطن على الأبناء وأثرهم في بيان مهمة الأبناء تجاه وطنهم للحفاظ على أمنه الفكري والأمني.

ويعد الانتماء حاجة من الحاجات المهمة التي تشعر الفرد بالروابط المشتركة بينه وبين أفراد مجتمعه، وتقوية شعوره بالانتماء إلى الوطن وتوجيهه توجيهاً يجعله يفتخر بالانتماء ويتفانى في حب وطنه ويضحي من أجله، كما أن مشاركة الإنسان في بناء وطنه تشعره بجمال الحياة وبقيمة الفرد في مجتمعه وينمي لدى الفرد مفهوم الحقوق والواجبات، وأنه لا حق بلا واجب، وتقديم الواجبات قبل الحصول على الحق .ومن مضامين الانتماء قيمة الاعتزاز والفخر بالانتساب إلى الوطن وإلى جميع مؤسساته المدنية والأمنية والعمل الجاد من أجل تحقيق المصلحة العامة لأبناء هذا الوطن.

ويتجلى أثر الأسرة في ما يلي:

- غرس الانتماء إلى الوطن لدى الأبناء لأنه أحد دعائم بناء الفرد والمجتمع، واعتبار الفرد جزءا منه ومعرفة الأحداث الجارية في الوطن والتفاعل معها إيجابيا.
- طاعة ولاة الأمر وهذه قيمة مهمة تعمل على تعريف الأبناء بواجباتهم تجاه ولاة أمرهم ووجوب طاعتهم والعمل على المساهمة في بناء تنمية الوطن.
- المشاركة في شؤون المجتمع.
- الاهتمام بالآخرين، ويظهر ذلك من خلال الاهتمام بالأبناء والتفاعل مع الجيران والمجتمع.
- الالتزام بالسلوك الجيد والأخلاق الحميدة، ويظهر ذلك في جميع الحياة اليومية للأبناء من خلال غرس القيم الإسلامية وتنميتها لديهم.
- القدرة على امتلاك المعارف والمعلومات عن أنظمة الوطن ولوائحه، وعن مؤسسات المجتمع المدني والأمني.
-القدرة على مناقشة الفكِر والآراء بشكل علمي سليم من أجل تزويد الفرد بالكثير من المفاهيم والاتجاهات الإيجابية.
- احترام عادات وتقاليد الوطن وتقدير مؤسساته واحترام أنظمته والمحافظة على ثرواته.

وأمام هذا التشرذم وتعدد الولاءات الجغرافية وأمام هذا التغيير غير الايجابي في سلوك المواطن تجاه الوحدة الوطنية - يجعلنا نتساءل وبمرارة المحب لوطنه وأمته لماذا هذا الانحدار المتسارع في هذا الزمن؟ وماذا كنا نعمل خلال السنين الفائتة؟

وماذا كانت تعمل منظمات المجتمع المدني؟ وأين أثر الأسر؟ – في مواجهة هذا التسونامي المدمر لوحدة الأوطان وتفكيك أواصر قوتها ومنعتها – وعلى من تقع مسؤولية هذا الواقع الأليم الذي أصبحنا نلتمسه مع اشراقة كل صباح هل هي الأسرة او المدرسة او المناهج او الدولة بكافة مكوناتها - فأساس البناء للوحدة الوطنية يبدأ من بناء الأسرة الصالحة - فالأسرة المفككة لا تصنع مجتمعا متماسكا وبهذا لا يمكن لها ان تصنع وطنا يقوى على درء العاديات لهذا فان حماية الاسرة من - العوز والفاقة والفقر والمرض والجهل وتعليم افرادها هي مربط الفرس لقيام وحدة وطنية متماسكة تكون لبنة اساسية في مداميك جدار الوطن - من هنا فان الاسرة تعد المدماك الاساسي في تكوين المجتمع لهذا فان قائد الوطن يواصل السعي - ليلَ نهار - من اجل توفير المأوى والمسكن الكريم لأفراد المجتمع ومد يد العون والمساعدة للأسر المحتاجة وخلق فرص عمل في كافة ارجاء الوطن من اجل خلق عدالة في توزيع مكتسبات التنمية لتشمل كافة المواطنين في المدن والارياف والبوادي ايمانا من هذه القيادة بان اساس العدل والمساواة بين افراد المجتمع تشكل حجر الزاوية في بناء مجتمع متماسك يصعب اختراقه – ان على الدولة بكافة مؤسساتها التعليمية والتدريبية والثقافية والاجتماعية واجبا في مراجعة كافة برامجها وخططها ومشاريعها المعتمدة من اجل ان تصب هذه المدخلات في صالح تعزيز الوحدة الوطنية وتنميتها وفي صالح غرس صفات الولاء وحب الوطن والقضاء على الصراع والانقسام بين الافراد في المجتمع ومن اجل انصهار ابناء المجتمع في بوتقة واحدة وكيان واحد يصلب عوامل القوة والمنعة للوحدة الوطنية ويجعلها عصية على الاختراق والتشرذم –ان تجسيد مفهوم الوحدة الوطنية يسهم في نشر الامن والاستقرار ويوفر لبرامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية كل أسباب النجاح ويخلق بيئة تتآلف فيها كافة مكونات الوطن لهذا فان الاسرة التي ينشأ فيها الطفل تلعب دورا هاما وحيويا في تنمية الوحدة الوطنية في قلوب الابناء منطلقين من ان الحوار هو اساس التنشئة والتربية الوطنية . يجب على أفراد المجتمع أن يتوحدوا ويكونوا كالجسد الواحد ككتلة واحدة يقفون صخرة صلداء أمام كل من يمس أمن هذا الوطن. هناك مقتضيات وضرورات عديدة تدفعنا إلى الاعتقاد بأن طبيعة الظروف والمرحلة التي يمر بها وطننا العزيز تقتضي من جميع الأفراد والأسر وكافة أفراد المجتمع صغيرهم وكبيرهم رجالاً ونساء التفكير الجاد في

الوحدة الوطنية من خلال الثوابت التي نعمل جميعاً من مواقعنا المتعددة على تعزيزها وحمايتها. إن الوحدة الوطنية ليست مقولة تقال أو خطاباً يلقى وإنما هي ممارسة متواصلة ومشروع مفتوح على كل المبادرات التي تزيد تمتين مستوى التلاحم الوطني. فترسيخ مبدأ الوحدة الوطنية عند الأبناء مطلب ملح، ولهذا حث الإسلام على مبدأ الوحدة وحذر من المساس به (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه).

وإذ تعتبر الفلسفة التربوية الإسلامية متميزة عن سائر الفلسفات التربوية الأخرى، وذلك لأنها تستمد أصولها الثقافية والفكرية والتربوية من مصادر متعددة ومتنوعة، ولكنها ترتكز على مصدرين أساسيين هما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذان المصدران يعتبران الركيزة الأساسية في حياة المسلمين ولا تصلح حياتهم إلا بهما. لذلك يجب على الأسرة تربية أبنائها تربية سليمة مبنية على القيم الإسلامية، لكن قد يحدث خلل عند بعض الأبناء نتيجة تغذية أفكار أخرى تساهم فيها جهات شتى مثل رفقاء في المدرسة أو وسائل الإعلام المتنوعة أو بعض الجلساء. فيؤدّي به ذلك إلى انحراف فكري أو تهور في التصرّف قد يختلّ به أمن المجتمع. والنصح لابد أن يكون بأسلوب حسن بعيد عن الجفاف اللفظي مبني على الحكمة (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة). فإن لم يؤد هذا التوجيه دوره وجب على الأسرة أن يبينوا له خطر توجهاته السلبية عليه، وأنه إذا استمر على هذا التصرف الغريب فإن مآله إلى التعاسة والشقاء وأنه بهذا قد ركب مركباً صعباً قد يزج به في مصائب عظيمة عليه وعلى أسرته لا يعلم مداها إلا الله تعالى. كما أنه يجب على الأسرة أن تفند الأسس التي بنى عليها المنحرف تفكيره وترده عليه، فإن بناه على اجتهادات دينية بين له خطأ هذا الاجتهاد إن كانت الأسرة أو أحد أفرادها يحسن ذلك، فإن لم تكن كذلك وضع أمامه موقف العلماء فيما ذهب إليه ليقرأه ويعرف خطأ توجهاته، وإن لم تكن الأسرة تحسن بيان ذلك استعانت بالعلماء والمفكرين للرد على هذا التفكير الغريب. فإن لم ينفع معه لا هذا ولا ذاك، وأصبح لا يجدي معه أي أسلوب ولا يزيده التوجيه والبيان إلا عناداً وانحرافاً توجهنا إلى أسلوب العقاب الفعلي، سواء من الأسرة إن كانت تستطيع ذلك، أو يرفع الأمر إلى الجهات المسؤولة لتقوم بمساعدتها لتقويم هذا الانحراف أو قطع دابره عن المجتمع. ولا بد من بث روح التوافق الاجتماعي بين أفراد الأسرة مما يؤدي إلى مزيد من القوة والتماسك الأسري وحماية هذه الوحدة الصغيرة من المجتمع الكبير من التراخي والتفكك المؤدي إلى سلبيات اجتماعية خطيرة على أفرادها وعلى مستقبلها كأسرة مستقرة وسعيدة. إن ضرورة الاهتمام بأمور أفراد الأسرة وهي من الواجب الشرعي لولي أمرها من قبل الوالدين لتلقين أفرادها أولاً تعاليم الدين الإسلامي وبشكل صحيح واعتماد التعاون والتكافل الاجتماعي لنشر روح المحبة والسلام بين أفرادها بتوثيق العلاقات الأسرية واحترام رابطة الأبوة والأخوة فيما بينهم، وإني لاستغرب من برود حال رب أسرة يغيب أحد أفرادها من ابن أو أخ أياماً بل شهوراً، دون إشعاره بمكانه وغرضه من هذا الغياب المفاجئ لأجل بذل الجهد من قبله بمشاركة المراكز الأمنية للبحث عنه، وفي هذه الحالة لا عذر لرب الأسرة هذا لو انحرف ابنه لعيشه في محيط عائلة مفككة التركيبة الأسرية وانعدام القدوة الأسرية ناهيك عن إن كانت هذه العائلة تعاني من عدم العدالة في حقوق الأبناء إن كانوا من زوجات متعددات فيصبح أبناء هؤلاء صيداً سهلاً لأوكار هذه المنظمات الإرهابية وعيونها التي ترقب مثل هذه الحالات الاجتماعية غير الطبيعية، فالعائلة المترابطة السليمة في علاقاتها الدرع القوي لحماية أفرادها من شرور الإرهاب والانحراف الاجتماعي.

التنشئة الاجتماعية:

ان عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم وتعليم وتربية، وتقوم على التفاعل الاجتماعي إلى إكساب الإنسان [طفلاً/مراهقاً/راشد] سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة حتى يتمكن من مسايره جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية العامة". ويفترض أن التنشئة تتأثر مباشرة بعوامل من داخل أحد الأبوين (شخصيته) ومن الطفل نفسه (الصفات الفردية للطفل) ومن البيئة الاجتماعية التي تتداخل فيها العلاقة بين الأبوين والطفل لاسيما العلاقة الزوجية ، وشبكات العمل الاجتماعي ، والتجارب الوظيفية للآباء. فعلى الرغم من أن عملية التنشئة الاجتماعية تشتد في مرحلة الطفولة، فمن الخطأ الاعتقاد في أنها عملية تتوقف عند هذه المرحلة، إنما تستمر هذه العملية في مرحلة المراهقة، وحتى في مرحلة البلوغ. وتلقى دراسة جين بياجيه الضوء على الدور الذي تلعبه البيئة الخارجية على الأسرة مثل جماعة اللعب وأثره على الطفل. إذ تمد جماعات اللعب الطفل بأول فرصة لدمج معايير السلوك الاجتماعي بفضل نموذج العلاقات الشخصية المتبادلة المميزة لمثل هذه المواقف، ذلك لأن علاقة الطفل بالآخرين في نطاق الأسرة عبارة عن علاقة تبعية ودونية، ولكن في نطاق جماعة اللعب تصطبغ هذه العلاقات بطابع التعاون والمساواة، ويعتبر امتثال الطفل في محيط الأسرة امتثالاً خارجياً وعادة ما ينظم من خلال سلطة البالغين. ولكن الامتثال في محيط جماعة اللعب، على خلاف ذلك، يتحقق داخلياً عن القرار الحر للطفل بأن يطيع قواعد اللعب. فجماعة الأقران هي المحطة الثانية التي يتعلم

منها الإنسان بعد الأسرة والمدرسة والتي تسمي بثقافة الأطفال.

فالتنشئة الاجتماعية وفق ذلك كله عبارة عن تداخل لمفاهيم اجتماعية نفسية وتربوية تصب جميعها في إطار ثقافة المجتمع. وبالتالي، فهي غرس ثقافي للأجيال من خلال آبائهم، وهي نقل للعناصر الثقافية بكل معانيها وبشقيها المادي واللامادي إلى الأبناء، وإذا ما كانت هذه التنشئة قويمة ـ إذا صحت التسمية ـ فإن الأبناء سيكونون متكيفين مع الوضع الاجتماعي السائد داخل المجتمع. ومن الممكن تجديد التعريف بأن التنشئة الاجتماعية هي تدريب الطفل على التعامل الاجتماعي الناجح. فتبدأ الأسرة منذ نعومة أظافر الطفل بإدماجه في المجتمع عن طرق تلقينه واجباته نحو الآخرين، كما تطالبه بأن يطابق سلوكه التقاليد والعرف والسلوك الاجتماعي السائد المقبول. وهي جميعها عناصر ثقافية تنتقل للأطفال وتستمر معهم طيلة فترة حياتهم لأنها قد ترسخت في بداية عمر الإنسان. فهي قواعد عامة من السلوك يستطيع الآباء تفعيلها بدور مميز حتى تكون تنشئة اجتماعية ناجحة وسوية من خلال عملية تفاعل ثقافي مع المحيط المجتمعي. وأن أي خلل في عملية التنشئة الاجتماعية سيصاحبها بشكل قطعي سلوكاً متأثراً بهذا الخلل باختلاف درجاته وتأثيراته مع العوامل الأخرى.

منظومة قيم المواطنة:

لا شك أن التنشئة الاجتماعية وفقاً لذلك كله هي التي تنقل وتعزز في الوقت نفسه القيم الاجتماعية عند الفرد داخل المجتمع. فهي التي تحدد الخطوط العامة لشخصية الفرد وما يملكه من قيم اجتماعية تتأصل فيه وتحدد سلوكه، وتحدد أيضاً مستوى علاقاته مع الآخرين نتيجة لما كسبه من قيم محددة. فأبعاد القيم ثلاثة كما يوضحها فتحي مبروك تتمثل في البعد المعرفي، وهي التي تضم المعلومات والمعرفة بما هو مرغوب به، والبعد الانفعالي، وهي الشحنة الانفعالية التي تنشط القيمة، وإبداء الانفعال مثلاً عند انتهاك القيمة ويقاوم المواقف السلبية إزاءها، وأخيراً البعد السلوكي والتي ترتبط بالأسلوب الذي يجب أن يسلكه الفرد تجاه موضوع معين.

فالقيمة هنا هي مجموعة من المعتقدات والمعاني التي يحملها الفرد وتحدد وتوجه رغباته واتجاهاته، وهي في النهاية تحدد ما هو مقبول، وما هو غير مقبول، فهي التي تحدد له السلوك القديم أو الصحيح أو السلوك الخاطئ. وللقيم من هذا المنطلق وظائف متعددة. فبالإضافة إلى أنها تحدد المقبول وغير المقبول داخل المجتمع.

أثر المؤسسات الاجتماعية الأخرى في تعزيز الوحدة الوطنية:

تقوم المؤسسات الاجتماعية المختلفة بمهمة رئيسية ومهمة في غرس المفاهيم الوطنية وتعزيز القيم المرتبطة بالوحدة الوطنية. فهناك مؤسسات متعددة تقوم بوظيفة أساسية ومهمة في عملية غرس القيم المرتبطة بالوحدة الوطنية، وتعزيز مفهوم المواطنة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. فمؤسسة الأسرة تمثل الصدارة في هذا الجانب فهي نواة المجتمع، والذي يتعلم منها الفرد أولى المبادئ العامة في حياته. فينصب دورها التربوي الرئيسي في غرس المفاهيم المشتركة مع الآخرين لتحقيق الوحدة الوطنية. فمن أبرز وظائف الأسرة هي عملية التنشئة الاجتماعية والتي تنشأ فيها غرس للمفاهيم الوطنية. فالأبوان مسئولان عن هذه العملية التربوية.

ولعل الأثر الأسري الذي كان في السابق يجعل من الأسرة هي أحد المصادر الرئيسية لهذا الغرس، أصبحت في الوقت الراهن في المجتمع الحديث ليست المسئولة الأخيرة عن غرس القيم. فتشاركها بذلك مؤسسات أخري متعددة داخل المجتمع الحديث والمعاصر. فالأسرة التقليدية كانت تقوم بوظائف متعددة. فكانت تؤدي الأسرة الوظيفة الاقتصادية من حيث كونها تستهلك ما تنتج، وتمنح المكانة الاجتماعية لأفرادها، وتمنح الحماية بكافة أشكالها للفرد داخل الأسرة، وأيضاً مسئولة عن الجانب الترفيهي له. فهي تقوم بهذه الأدوار في ظل انحسار لدور المؤسسات الأخرى داخل المجتمعات التقليدية. وكانت أيضاً هي المسئولة عن عملية التربية وغرس القيم الاجتماعية بشكل عام. فالأبوان هما المسئولان عن العملية التربوية بشكل كامل كما يشير اجبرون.

ولكن هذا قد دفع الآخرين إلى نقده، وعلى رأسهم عالم الاجتماع الشهير بارسنز الذي أشار إلى مفهوم التمايز الوظيفي، حيث أشار إلى أن هناك مؤسسات حديثة أصبحت تؤدي وظائفها بشكل متمايز أي أنها تشترك مع الأسرة بأدوار مختلفة ومتكاملة وأكثر تخصصاً للمؤسسات الحديثة فأصبحت وفق ذلك عملية التنشئة الاجتماعية غير محصورة على مؤسسة الأسرة أنما تشترك معها مؤسسات أخرى في المجتمع الحديث. فأصبحت مؤسسة المدرسة على سبيل المثال من أبرز المؤسسات الحديثة التي تسهم بشكل كبير في عملية التنشئة الاجتماعية. وأصبحت جماعة الصحبة، والنـادي وغيرها تشترك أيضاً في هذه العملية. هذا بالإضافة إلى أن الأعلام بأدواته المختلفة من تلفاز، ومذياع، وانترنت، والفضائيات، والصحف وغيرها من هذه الأدوات تسهم بشكل كبير في نقل القيم وتعزيزها وغرسها. فالأعلام كمؤسسة اجتماعية أصبحت تسهم بشكل كبير بعملية التنشئة الاجتماعية وبحكم كونها وسيلة من وسائل الاتصال الثقافي. هذا بالإضافة إلى أن مؤسسات المجتمع المدني الحديثة قامت بمهمة حيويةً في عملية التنشئة الاجتماعية كما سنرى لاحقاً.

فالمؤسسات الحديثة أسهمت في عملية التنشئة الاجتماعية التي تنقل القيم المتعددة إلى الفرد. فالقيم الاجتماعية يكتسبها الفرد في المجتمع الحديث من هذه المؤسسات كافة. فلم تعد هي مسئولية الأسرة لوحدها على الرغم من أنها البنية الأولى لها، أنما هي مسئولية المؤسسات المختلفة في نشر وغرس وتعزيز القيم المرتبطة بالتربية الوطنية مثل قيم التسامح، العدالة، احترام الرأي واحترام الآخر، السلام، الحقوق، الواجبات، الاستقلالية، وغيرها من هذه القيم. فلم يعد الفرد يتعلم من مؤسسة الأسرة فقط، أنما يمتد ذلك ليشمل المؤسسات الاجتماعية الأخرى داخل المجتمع الحديث.

أثر المؤسسات الإعلامية في غرس قيم الوحدة الوطنية:

يعرف الإعلام لغة على أنه " الاطلاع على الشيء، فيقال، اعلمه بالخبر، أي أطلعه عليه. والإعلام اصطلاحاً: هو عملية تفاهم تقوم على تنظيم التفاعل بين الناس وتجاربهم في الآراء فيما بينهم وهو في هذه الحالة ظاهرة الحضارة الحديثة وجعلتها خطيرة ودعمتها بإمكانات عظيمة حولها قوة لا يستغني عنها لدي الشعوب والحكومات على حد سواء. أما عناصر الإعلام فهي تتمثل في " المرسل، والمستقبل، والأداة، والرسالة. ومن خلال هذا التعريف فإن الإعلام هو أساساً مفهوم يعتبر بشكل مباشر على عملية التفاعل بين المرسل والمستقبل من خلال أداة محددة لنقل الرسالة. فالمرسل يقوم بإرسال رسالة إلى المستقبل عن طريق أداة محددة. وتختلف الأدوات الإعلامية باختلاف طبيعتها، وتختلف أيضاً باختلاف تأثيرها، وتختلف من جانب أخر من حيث حداثتها وقدمها. فهناك وسائل إعلامية متعددة حديثة وقديمة تنقل فيها رسالة ويتم استقبالها والتأثر بها وفقاً لاعتبارات متعددة منها درجة أو قوة جذب وتأثير هذه الأداة، والظروف المحيطة التي تعرض فيها المؤثرات، وكذلك ترتبط بشكل كبير جداً بالمستقبل والظروف المحيطة به، وطبيعة هذا المستقبل الشخصية والسلوكية. فالأدوات والوسائل الإعلامية باختلاف أشكالها لها تأثيرات متعددة ومتفاوتة باختلاف طبيعتها كأداة، وباختلاف مستقبلها. فهناك على سبيل المثال جهاز التلفاز، والمذياع، والصحف، والانترنت، والفضائيات، وغيرها من الوسائل تقوم بوظائف مختلفة ومتفاوتة في عملية التأثير.

فهذه الوسائل والأدوات الإعلامية تقوم بأثر رئيسي وجوهري في غرس القيم، والتأثير على السلوك الإنساني من خلال استقبال ما تعرضه هذه الوسائل. وعلى حد قول العالم النفسي هوفمان عند إشارته للأبناء وتأثير وسائل الإعلام عليهم الذي أشار إلى أن الأبناء عندما يقفون أمام أجهزة الإعلام، فأنهم كقطعة الإسفنج التي تمتص ما تتعرض له. ويضيف إلى أن المؤسسات الإعلامية تؤثر على الفرد بشكل كبير وبالتحديد الأطفال، ويعتلي هذا التأثير على تأثيرات أخرى. وقد لا يكون كل ما يعرض في هذه الوسائل الإعلامية مقبولا للمجتمع، وبالتحديد ما يتم عرضه في القنوات الفضائية أو وسائل التواصل والتي قد تخلق وتنشأ من خلالها بعض القيم والمعتقدات المتعارضة مع قيم المجتمع.

فوسائل الإعلام المتعددة تسهم بشكل كبير ومباشر على غرس القيم الاجتماعية المتعددة. وليس هناك أدنى شك من تأثيرها البالغ والجم على القيم ذات العلاقة والارتباط بمفهوم الوحدة الوطنية وتعزيز قيم المواطنة. فمن أبرز أهداف وسائل الإعلام بشكل عام هو " تثبيت القيم والمبادئ والاتجاهات العامة والمحافظة عليها، فهي، أي وسائل إعلام ـ تكون قادرة بشكل كبير على تثبيت تلك المبادئ والاتجاهات المرتبطة بقيم المواطنة والوحدة الوطنية من خلال استخدام أساليب متعددة ومتنوعة من الممكن الأخذ بها.

وقد يتم استخدام الأساليب المباشرة وغير المباشرة المتعددة في تعزيز قيم المواطنة والوحدة الوطنية. ولنأخذ على سبيل المثال تلك البرامج الإعلامية التعليمية الموجهة للأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية. فمن المعروف أن مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية هو من أكثر المجتمعات العالمية التي تشمل تعدداً ثقافياً، ووجود هذا المزيج الكبير من الثقافات المختلفة نتيجة لحداثة هذا المجتمع الذي اعتمد في تكوين بناءه الاجتماعي الهجرات السكانية المتعددة. فمن المعروف أن المجتمع الأمريكي يشمل على ثقافات مختلفة مثل الأمريكان السود، والأمريكان الأصليين، والأمريكان الآسيويين، والمنحدرين من أصول أوربية وغيرهم من هذا الهجين الثقافي. ولعل البرامج الإعلامية الموجهة بالتحديد للأطفال قد لامست هذا الهجين في سبيل تحقيق هدف خلق التجانس العام للمجتمع. فالبرامج الموجهة للأطفال مثل برنامج افتح يا سمسم، وبرنامج " بارني" على سبيل المثال هي من البرامج التعليمية والقيمية التي يحاول من خلالها المشرفون عليها بتعليم الأطفال بعض المهارات الحياتية، وكذلك ترسيخ مجموعة من القيم الحميدة مثل الاحترام، والتعاطف، ونشر الود والمحبة والتسامح وغيرها من هذه القيم. فتستخدم هذه البرامج الطرق المباشرة في عملية التعليم. ولكنها من جانب أخر، وفي موضع مختلف تعلم بطريقة غير مباشرة. فالامتزاج الثقافي للشخصيات التي تظهر في هذين البرنامجين واسعي الانتشار هي شخصيات تجسد واقع المجتمع وأصول أفراده باختلاف ثقافاتهم المتعددة، حيث نجد أن هذه الشخصيات يتحاور فيها من هو منحدر من أصول أمريكية خالصة، مع الأمريكي الأسود، والأمريكي الآسيوي، والأمريكي المنحدر من الجذور الأوربية. فشخصيات مزيجه ثقافياً تظهر بشكل واضح داخل هذين البرنامجين التعليمية. فقد حرص القائمون والمعدون لمثل هذه البرنامجين باستخدام الأساليب التربوية

في غرس قيم المواطنة والانتماء للمجتمع الأصلي وهو المجتمع الأمريكي. فيتم التحاور والتناقش وعرض للمفاهيم التربوية بصورة متناغمة بين هذه الشخصيات والتي تعزز في النهاية مفهوم الوحدة الوطنية للمجتمع الأمريكي. فوجود هذه البرامج والمخصصة للأطفال ولهذه الشريحة اتجاهاً محدداً نحو الهدف من أقامه مثل هذه الوسائل الإعلامية التي تحقق غاية محددة تغرس في نفوس الأطفال.

فالوسائل الإعلامية تؤدي وظيفة مهمة للمجتمع ولغرس القيم في سلوك الأفراد. وقد حدد عالما الاتصال لازرسيفلد، وميرتون بعض الوظائف الخاصة بوسائل الإعلام. فقد أشار إلى أن من أهم وظائف وسائل الإعلام هو تبادل الأفكار والآراء بين أفراد المجتمع، وتدعيم المعايير الاجتماعية من خلال معاقبة الخارجين عن هذه المعايير، وأخيراً التحذير الذي يقصد به تجنب الآثار غير المرغوب فيها للمجتمع. ولتطبيق ما أشار إليه العالمان من هذه الوظائف على غرس قيم المواطنة والوحدة الوطنية، فإن تبادل الآراء والأفكار على سبيل المثال بين أفراد المجتمع الواحد وبين الشرائح الاجتماعية المختلفة هو من أبرز الوظائف الإعلامية، في التي تقرب وجهات النظر المرتبطة بالوحدة الوطنية إذا تمت أدارتها بطريقة علمية. فالعملية تحتاج بشكل عام على تحديد هدف واضح، وسوف يخلق هذا التواصل والتبادل الفكري والإيديولوجي إلى تحقيق الهدف المنشود. فهناك حاجة ماسه لوجود قنوات وبرامج إعلامية متسعة تناقش هذا الموضوع ويتبادل حوله الرأي. وكذلك وظيفة الإعلام هو " تدعيم المعايير الاجتماعية من خلال معاقبة الخارجين عن هذه المعايير ". فالإعلام يجب أن يكون مسئولاً عن دعم المعايير الاجتماعية المرتبطة بالوحدة الوطنية، وأن يسهم الإعلام في محاربة ومعاقبة جادة لأي من تسول له نفسه المساس بالقيم المرتبطة بهذه الوحدة. وأن يكون مثالاً ونموذجاً جاداً للعقاب الاجتماعي في هذا الجانب، ولك في الوقت نفسه أن يكون هذا العقاب بعيداً عن المبالغة والغلو. هذا بالإضافة إلى وظيفة التحذير من الآثار غير المرغوب بها، والآثار التي تثير الفتنة الطائفية على سبيل المثال وتخلق مشكلات تهز من كيان هذا المجتمع. فهذه وظائف رئيسية للمؤسسات الإعلامية المختلفة، والتي تقوم بدور أساسي لتعزيز قيم المواطنة.

هذا بالإضافة إلى وسائل الإعلام المختلفة تراقب البيئة الاجتماعية وتزودها بالمعلومات والتنبيه بالمخاطر، وتخلق المثل الاجتماعي وذلك من خلال تقديم بعض النماذج الايجابية في مختلف الأمور، وكذلك تحقق التواصل الاجتماعي من خلال التعبير عن الثقافة السائدة والكشف عن الثقافات الفرعية ودعم القيم الشائعة، وأخيراً التعبئة والتي تتمثل في الإسهام في الحملات الاجتماعية، وبصفة خاصة في الأزمات السياسية والاقتصادية والحروب.

فعملية تزويد البيئة والمحيط الاجتماعي بالمعلومات والتنمية في المخاطر تعد قضية أساسية تقوم بها وسائل الإعلام المختلفة ولا سيما تلك التي تتعلق بالوطن والمخاطر الداخلية والخارجية المحدقة به، وهي التي تخلق بشكل عام شعور بالمسئولية المشتركة. وكذلك الحال يفترض على الإعلام أن يبرز ويقدم النماذج الايجابية في الأمور العامة، ووضع التصور الامثل لحالة المجتمع بوجود الفئات والشرائح المتجانسة. وتوجد وسائل الإعلام التواصل الاجتماعي ودعم القيم الشائعة بتمازج تام مع كافة شرائح المجتمع وفئاته المتعددة. فخلق التواصل الاجتماعي هو الذي يعكس الثقافة الواحدة هذا بالإضافة إلى دور الوسائل الإعلامية وقت الأزمات والمحن التي يمر بها المجتمع، والتي تنطلق منها التعبئة العامة وتقوية العزيمة، ورفع الروح المعنوية. وكذلك قيامه وإسهامه في الحملات الوطنية الداعمة للقيم الوطنية. فهي إسهامات واضحة ومميزة للإعلام داخل المجتمع، والذي يعكس من خلاله غرس لقيم المواطنة والانتماء والوحدة الوطنية.

والإعلام له أثر بارز مهم في حياة المجتمع، إضافة إلى كونه يعتبر من أبرز الأدوات الرئيسية للتنشئة الاجتماعية في المجتمع المعاصر. والسؤال ينبغي هنا في تحديد مدى نجاح الإعلام المحلي الرسمي وغير الرسمي في خلق بيئة مناسبة مهيأة لمواجهة الأخطار التي تحدق بالمجتمع فيما يتعلق بالوحدة الوطنية. أن الإجابة على هذا السؤال تتضمن أدراك أنه متى ما استطاع الإعلام المحلي من تحقيق هذه الوظائف بشكل مناسب لأي مجال من المجالات المختلفة وبالتحديد المجال المرتبط بالوحدة الوطنية، فانه في الوصول إلى الهدف المنشود دون شك.

أطروحات لتحقيق الوحدة الوطنية:

ولعل من المناسب عرض مجموعة من أطروحات العامة والتي على ضوء الإجابة عليها سيتحدد موقع المجتمع المحلي من موضوع الوحدة الوطنية أولاً، ومن ثم طرح أطر المعالجة إن كانت هناك حاجة لتفعيل وظيفة بعض الجهات والمؤسسات لتعزيز قيم المواطنة وتحقيق الوحدة الوطنية المطلوبة. وقد تكون هذه التساؤلات في واقعها عبارة عن تحديات تواجه المجتمع المحلي، وتحتاج إلى أعادة النظر في بعضها، والوقوف على بعضها الآخر وقفه ثاقبة من أجل وضع حلول ورسم خطط واستراتيجيات محددة، وتصميم برامج عمل تقوم على غرس المفاهيم والقيم المرتبطة بالوحدة والاتحاد والتجمع. فسيتم طرح مثل هذه التساؤلات من منطلق الحوار، ومن منطلق وضع اليد على الجرح ـ إن وجد ـ وأن نقوم بكل شجاعة بمعالجته إذا أردنا فعلاً تحقيق وحدة وطنية وتلاحم بين فئات المجتمع

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

وأن يستكمل مشروع الاندماج الاجتماعي من أجل تحقيق هدف وغاية واحدة. وهذه التساؤلات تنطلق من تساؤل عام أكبر وأشمل يتمثل في هل نعاني داخل مجتمعنا من انقسام مذهبي وفئوي وقبلي؟ إذا كانت الإجابة بنعم، فما تأثير ذلك على الوحدة الوطنية، أو هل سيؤثر هذا الانقسام المذهبي والفئوي والقبلي على الوحدة والاتحاد واللحمة والاندماج الاجتماعي؟ ولعل الإجابة على التساؤلات الآتية ستكون تقييما للوضع الراهن، وتكشف لنا ماذا يفترض علينا عمله، وندرك أن هناك إجابات واضحة سوف تكون لدينا.

فينطلق التساؤل الأول في القضية الرئيسية الأولى والأكثر أهمية، وهي تلك المرتبطة بموضوع التدين. فمن المعروف أن التدين يعتبر من أبرز المتغيرات التي تعزز من فكرة المواطنة والاندماج والتلاحم بين فئات المجتمع. ففي ضوء ذلك يمكن طرح التساؤل الخاص بموضوع التدين، داخل المجتمع المحلي والذي ينطلق من تساؤل رئيسي يتمثل في: هل أن الاختلاف في درجات التدين خلق الفواصل الاجتماعية وأضعف الاندماج بين الشرائح الاجتماعية المختلفة؟ وإذا كانت الإجابة بأنه قد خلق هذه الفواصل والحدود، ما وظيفة الجمعيات الدينية، وما أثر الفقهاء من الأطراف المختلفة، وهل تم طرح مشروع دولة خاص جمع الأقطاب الفقهية كافة في لقاءات حوارية تناقش مسألة الوطن والوحدة والتلاحم بين الفئات المختلفة؟ هل يحسب بعضهم أن هناك مشكلة أو أزمة ثقة للآخر في تحديد الولاء والانتماء؟ وهل تم عرض ذلك بطريقة مكشوفة وواضحة وبشكل مباشر. هل وجدت القنوات الحوارية مجالاً لمناقشة جادة لمثل هذا الموضوع؟ وهل تم طرح ومناقشة من قبل الفقهاء داخل المجتمع.

ولعل التساؤل الآخر ينطلق من المجال التربوي ويرتبط في المناهج الدراسية، وما يتم تعليمه لأبنائنا وبعض المناهج الأخرى التي تعرض لأهداف تربوية تتعلق بغرس مفهوم المواطنة. ولكن هل قامت هذه المناهج التربوية بوضع اليد على الجرح مباشرة؟ وهل قامت بعرض أو معالجة مفاهيم الوحدة الوطنية من الواقع الذي يميز ويقسم المجتمع إلى فئات وشرائح محددة؟ فهل عالجت هذه المناهج أو وقفت بوضوح في برامجها؟ هل لامست الواقع في طرحها لهذه القضايا أم أن هناك استحياء في عرضنا للمشكلة؟ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؟ فهل نجحت مناهجنا التربوية في المعالجة والرقابة، وخلق أطر تنموية في مواجهه المشكلة؟

والتساؤل الآخر ينطلق ويوجهه إلى الإعلام بمؤسساته المختلفة الرسمية وغير الرسمية. فهل وجد أو حاول الإعلام وخاصة المرئي منه أن يعرض البرامج الإعلامية التي تنمي مفهوم المواطنة والولاء والانتماء من البرامج الخاصة بالطفل في هذا المجال؟ هل بعض وسائل الإعلام توجه إلى تحقيق الوحدة أم الفرقة؟ هل بعض المصالح الشخصية الذاتية تشعل فتيل أزمات خامدة بين بعض الفئات داخل المجتمع؟ هل يعتبر مفهوم الوحدة الوطنية وما يعكر من صفوها يتم تداوله في الوسائل الإعلامية المختلفة بطريقة مناسبة؟ هل هناك برامج إعلامية واضحة ومحددة لإيجاد طرق وأساليب تنموية ووقائية وعلاجية لموضوع الوحدة الوطنية وتكريس مفهوم المواطنة؟

من المعروف أن سيادة النظام وتحقيق العدالة الاجتماعية هي من أبرز مقومات الاندماج الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات. وقد نجحت مجتمعات عديدة في تحقيق مبدأ العدالة وتطبيق النظام في ظل وجود ثقافات فرعية متعددة داخل المجتمع. والسؤال المطروح هنا، إلى أي مدى نجحنا في مجتمعنا في تحقيق العدالة والمساواة العامة؟ إلى أي مدى تلعب الواسطة والمحسوبية والاعتداء على النظام داخل المجتمع؟ هل الولاءات الطائفية والقبلية والعائلية أسهمت داخل المجتمع في الاعتداء النظام، وتعزيز مبدأ محاباة القريب، وتحقيق المصالح الخاصة على العامة. وفي مجال أوسع من ذلك، هل تعززت الولاءات العائلية والطائفية والقبلية داخل المجتمع؟ وإلى أي مدى نجحت هذه التجمعات أن تظهر وأن تطفو على السطح؟ وما الذي داعي مثل هذه التجمعات العائلية والقبلية أن تتعزز في ظل وجود الدولة الحديثة ومؤسساتها. هل أصبحت هذه التنظيمات والولاءات مؤثرة في ظل وجود المجتمع الحديث ومؤسساته؟ وإلى أي مدى نجحت في تحقيق أهدافها؟ وإلى أي مدى أثرت هذه الكيانات الاجتماعية داخل المجتمع؟

وقضية مهمة في هذا الجانب ترتبط بطرح تساؤل خاص عن بعض القيم المتعلقة بمفهوم الوحدة الوطنية أو هي تلك المرتبطة بقيم التطوع. فالتطوع سمة من سمات الفئات الاجتماعية والشرائح المختلفة داخل المجتمع. وعلاماته بارزة في مجالات مختلفة وبمشاريع متعددة. ولكن يبقي التساؤل المهم والذي يتمثل في إلى أي مدى نجحت الدولة في غرس مفاهيم التطوع من خلال مؤسساتها؟ هل حصل تغير في المفاهيم المرتبطة بهذه القيمة في المجتمع المعاصر؟ هل ظلت هذه المفاهيم مغروسة بشكل مشابه لما كان عليه المجتمع في السابق؟ ما البرامج الحكومية التي تسهم في تعزيز هذه القيم؟ وإلى أي مدى نجحت مؤسساتنا العامة في غرس مثل هذه القيمة؟ فهل على سبيل المثال الانضمام إلى الأندية الرياضية في الوقت الراهن حمل نفس المفاهيم السابقة؟ أم أن هناك بعض المستجدات التي ظهرت؟ هل انحسرت الأعمال التطوعية بشكل عام داخل المجتمع؟ وما الأسباب التي دفعت إلى ذلك.

طرح آخر مهم وجوهري فيما يتعلق بالمؤسسات المعنية والمتمثلة بمؤسسات المجتمع المدني التي تقع على مسئوليتها بناء المجتمع وفكره. فإلى أي مدى نجحت

مؤسسات المجتمع المدني داخل أوطاننا في أن تكون ركناً أخلاقياً وسلوكياً ينطوي على قبول الاختلاف والتنوع بين الذات والآخرين والامتثال للضوابط المعيارية المتمثلة في قيم الاحترام والتسامح والتعاون والتنافس والصراع السلمي كما جاء في تعريفها؟ إلى أي مدى سيطرت الولاءات القبلية والطائفية والفئوية على هذه المؤسسات وجعلتها تنطلق من انتماءات خاصة في مقابل تجاهل الآخر؟ إلى أي مدى تحولت بعض مؤسسات المجتمع المدني لساحات للصراع السياسي والقبلي والطائفي على حساب الصراع السلمي والتنافسي. هل فعلاً نجحت مؤسساتنا في المجتمع المدني بالقيام بالدور المطلوب منها ممارسة وتوجيهاً في تحقيق الهدف العام المرتبط بغرس قيم الولاء والانتماء للوطن على حساب الفئة. إلى أي مدى نجحت هذه المؤسسات في فتح قنوات اتصال وحوار مع الآخر؟ وإلى أي مدى تم تحقيق الحوار الوطني المفتوح الذي يناقش وبدون استحياء قضايا الوطن، والمواطنة، والوحدة، والاندماج. هل نجحنا في فتح قنوات ووسائل اتصال تقوم على مبدأ الشفافية وخلق مبادئ مشتركة بين الجميع في المسائل التي تتعلق بالوطن.

ولعل جانب أخر مهم في هذا الموضوع والذي يطرح التساؤل الآخر في هذه القضية والمتمثل في المشروعات الوطنية العامة في مجال تعزيز قيم المواطنة والوحدة الوطنية. والتساؤل المطروح ما المشروعات الوطنية التي تعالج موضوع الوطنية والوحدة وهل هناك برامج فعلية في هذا المجال.

إن كافة هذه الأطروحات تحتاج بلا شك إلى إجابة، وأن كان هناك من يقول بأنها معروفة عند الجميع. ولا شك أن كل نقطة وكل تساؤل يحتاج إلى تفصيل أكبر وإلى تحليل أعمق للكشف عن أبرز الملامح الخاصة في هذا الموضوع وتقديم بعض الأساليب التي لا يشترط أن تكون علاجية إنما قد تكون أساليب ومشروعات إنمائية وقائية. فالمطلوب هو سلسلة من المشروعات والبرامج التي تعزز من مفهوم المواطنة، وتعزز من مفاهيم الاندماج الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد. هذه المشروعات ليس بالضرورة وكما سبقت الإشارة أن تكون مشروعات وبرامج علاجية، أنما يجب أن تكون برامج إنمائية تنمي الفكر والرأي حول الدولة والانتماء لها، بالإضافة إلى مشروعات وقائية تدفع إلى منع حدوث أي مشكلة من الممكن أن تظهر هذه القضية التي تعتبر من الخطوط الحمراء التي لا يجب أن تنفتح.

ففي ظل وجود بعض التحديات الداخلية المتمثلة في وجود فئات وشرائح مختلفة داخل المجتمع المحلي تنحدر أصولهم وجذورهم ومعتقداتهم الدينية إلى جذور وأصول متقاربة، وفي ظل تحديات خارجية محيطه ومؤثرة وفعالة تثير النفس الطائفي البغيض، ففي ظل هذه الظروف، نحن بحاجه ماسة إلى وجود برامج وطنية داعمة ورئيسية تدعم من قيم الانتماء والمواطنة والولاء، وتعزز من خلالها مفاهيم الوحدة الوطنية داخل المجتمع. ولا شك بأن الوعي بالمخاطر، واحترام بعضنا بعضا، وتقبل الآخر مهما بلغت درجة الاختلاف والإيمان بالمبدأ الشورى وتحقيق العدالة التي يجب أن تنطلق من خلالها إذا ما أردنا تحقيق الوحدة الوطنية.

المراجع:

- أماني بديتي، تنشئة الأمهات العاملات وغبر العاملات وعلاقتها بالنضج الاجتماعي للأبناء لدى عينة من تلاميذ وتلميذات المرحلة الإعدادية. رسالة ماجستير. القاهرة: جامعة عين شمس- معهد الدراسات العليا للطفولة – قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، ١٩٩٥.
- حسن بن عايل أحمد يحيي. رؤى حول التربية والإعلام وادوار المناهج لتنمية التفكير في مضاميني الإعلام لتحقيق التربية الإعلامية ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية، المكانة العربية السعودية.
- حسين تكريتي. دور التخطيط التربوي في تغير القيم الاجتماعية. دراسة مقدمة إلى مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير. عمان: جامعة اليرموك، ١٩٩٩.
- سعد الدين إبراهيم. المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في مصر. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- سيد أحمد عثمان، علم النفس الاجتماعي التربوي. الجزء الأول، التطبيع الاجتماعي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥
- عائشة السيار، الطفولة والتنشئة، المؤتمر الإقليمي الرابع للمرأة في الخليج والجزيرة العربية. ١٥-١٨ ديسمبر، ١٩٨٦.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

المقاصد الشرعية في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف

د. ناهد محمد عياش رمضان

أستاذ مساعد في قسم الشريعة والدراسات الإسلامية (تخصص كتاب وسنة) كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الملك عبد العزيز- جدة- المملكة العربية السعودية.

Legal Religious Major Purposes of the Revelation of the Noble Qurān in Seven Methods of Pronunciation

Dr. Nahid Muhammad Ayash Ramadan

Assistant Professor in the Department of Shariah and Islamic Studies (Major in: Kitaab and Sunnah) Faculty of Arts and Humanities. King Abdulaziz University (KAU)-Jeddah-Kingdom of Saudi Arabia

E-mail: nramadan@kau.edu.sa

الكلمات المفتاحيّة:

المقاصد الشرعية- الأحرف السبعة- القراءات القرآنية.

KEY WORDS:

Legal religious major purposes – Seven Methods of Pronunciation – Modes of Quran recitation.

مستخلص البحث:

يهدف البحث إلى إظهار المقاصد الشرعية في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، وإظهارها كذلك في جمع الصحابة ﷺ للقرآن الكريم في المصحف الإمام، والأهداف التي تحققت من هذا الجمع، وربطها كذلك بمقاصد الشريعة من خلال الأحاديث النبوية، وأقوال العلماء في هذا الشأن.

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، ثم الخاتمة ثم قائمة المراجع ومصادر البحث.

وقد نتج عن هذا البحث إبراز المقاصد الشرعية التي ارتبطت بنزول القرآن على سبعة أحرف، مثل مقصد التيسير ورفع الحرج، والمشقة تجلب التيسير، وإبراز الفكر المقاصدي عند الصحابة ﷺ في جمعهم للقرآن الكريم في عهد عثمان ﷺ، وفي إثبات ما بقي من الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية، وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية، والمقاصد الشرعية التي تحققت في ذلك مثل: مقصد حفظ الدين، ومقصد جلب المصالح ودرء المفاسد، وغير ذلك كما سيظهر في ثنايا البحث.

ABSTRACT:

This research aims to highlight the legal religious purposes of the revelation of the Noble Qurān in Seven Methods of Pronunciation, and of the Companions' gathering of the Noble Qurān at the time of the Caliph Uthman, in addition to illustrating the goals achieved from this collation (gathering) through legal religious texts, and scholars' statements in this respect.

I divided the research into an introduction, preface, three topics, and the conclusion, which includes key results and recommendations. Then follows a list of the research references.

The result of this research has been highlighting the legal religious purposes that are associated with the revelation of the Qurān in seven methods of pronunciation, such as the purpose of making things easy and removing hardship, (or: unusual difficulty) and hardship brings ease, in addition to highlighting the Companions' purposeful thought in their gathering of the Qurān during Uthman's era. Among the results also are: proving the rest of the seven methods of pronunciation in the Ottoman's Qurān books and sending them to Islamic territories, in addition to the legal religious purposes realized in this context, such as the purpose of safeguarding religion, the purpose of bringing interests and averting evil, and other issues which will be revealed throughout the research.

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

إن الله تعالى أنزل القرآن الكريم على أمة أمية لم تسبق بكتاب سماوي من قبل، ولم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة -إلا نفر قليل منهم-؛ فاقتضت حكمته تعالى تعدد الأوجه لقراءة كتابه العظيم تسهيلاً على هذه الأمة.

لذلك فإن أجلّ حكمة وأعظمها هي: التيسير على الأمة في أمر قراءة القرآن الكريم والتخفيف عنها، حيث رُوعي اختلاف اللغات واللهجات بين الناس، كما روعي اختلاف فئات المجتمع: من شيخ كبير، وطفل صغير، وامرأة عجوز، ومن لم يقرأ كتابًا قط -كما سيأتي في الحديث النبوي-.

يقول ابن الجزري[١]: "وأما سبب وروده على سبعة أحرف: فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها؛ شرفا لها وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق، خصوصا وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين، والنبيﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم عربيهم وعجميهم، وكان العرب -الذين نزل القرآن بلغتهم- لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج، لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليهﷺ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع"[٢].

مشكلة البحث: ذكرت الأحاديث النبوية الحِكَم من نزول القرآن على سبعة أحرف، فجاء البحث لإبراز هذه الحكم وربطها بالمقاصد الشرعية التي تحققت بنزول القرآن على سبعة أحرف، وكذلك المقاصد الشرعية التي تحققت في جمع الصحابة للقرآن الكريم في المصحف الإمام.

أسئلة البحث:

١. ما هي علاقة نزول القرآن على سبعة أحرف بالمقاصد الشرعية؟

٢. ما هي المقاصد الشرعية التي تحققت على يد الصحابة الكرامﷺ عندما جمعوا القرآن الكريم في عهد عثمانﷺ؟

أهمية البحث:

١. احتوت أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف على عدد من الحكم التي راعاها الشارع الحكيم في مسألة نزول القرآن الكريم بهذه الأوجه، ولا شك أن أمر القرآن عظيم؛ لمكانته العظيمة فهو دستورنا وقائدنا ومعجزة نبينا الخالدة، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع، لذلك كان من الأهمية بمكان أن نلقي الضوء على هذه الحكم والمقاصد العظيمة الكامنة وراء ذلك، وأن أفعال الله تعالى وأحكامه معللة بحكم جليلة، وأن ما يترتب عليها من مصالح للعباد هي مقصود الشارع.

٢. علم مقاصد الشريعة علم عظيم له أهميته في فهم الحكمة والمصالح التي قصدها الشارع من بعض التشريعات، مما جاء ذكره في بعض النصوص، أوفي كلام العلماء.

أهداف البحث:

١. تسليط الضوء على المقاصد الشرعية في نزول القرآن على سبعة أحرف.

٢. بيان الفكر المقاصدي للصحابة الكرام في جمع القرآن في المصحف الإمام.

٣. بيان هذه المقاصد الشرعية وأدلتها.

الدراسات السابقة: لم أقف -فيما بحثت- على دراسة علمية تربط بين نزول القرآن على سبعة أحرف ومقاصد الشريعة.

منهج البحث: اتبعت المنهج الوصفي الاستقرائي، واعتمدت المنهجية الآتية:

١. عزو الآيات إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢. تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان في الصحيحين أكتفي به، وإن لم يكن في الصحيحين، خرجته من باقي كتب السنة، وذكرت حكم العلماء على الحديث.

٣. عزوت الأقوال إلى قائليها، وترجمت -ترجمة مختصرة- للأعلام من غير الصحابةﷺ ، وكذلك أصحاب الكتب الستة.

التمهيد:

أولا: معنى المقاصد الشرعية:

المقاصد في اللغة: جمع مقصد، والمقصد مصدر من قصد يقصد قصدا ومقصدا، ويأتي في اللغة على عدة معاني[٣]، أبرزها: قصدت الشيء أي: طلبته بعينه[٤].

معنى الشريعة في اللغة: "الشين والراء والعين أصلٌ واحدٌ، وهو شيءٌ يُفتَح في امتدادٍ يكون فيه. من ذلك الشّريعة، وهي مورد الشّارِبة الماء. واشتُقّ من ذلك الشِّرْعة في الدِّين، والشَّريعة"[٥].

اصطلاحا: "هِيَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَالْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ وَالسُّنَنُ وَالْأَحْكَامُ"[٦].

---

[١] هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي الشهير بابن الجزري المقرئ المعروف، برع في القراءات، توفي سنة: ٨٣٣هـ. انظر: ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي، ٢٤٩. شذرات الذهب لابن العماد، ٢٠٤/٧.

[٢] النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ٣٣/١.

[٣] انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٩٥/٥، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ٣١٠، مادة: قصد.

[٤] انظر: المصباح المنير للفيومي، ٢٦٠.

[٥] معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢٦٢/٣.

[٦] مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٣٦٢/٣.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

تعريف مقاصد الشريعة:

يلاحظ أنه لم يرد عن علمائنا السابقين من وضع تعريفا محددا لمقاصد الشريعة كمصطلح، ولكن الشاطبي[٧] أشار إلى معنى المقصد فقال: "الإرادة التشريعية، وهي أيضا إرادة التكليف"[٨].

ويقول الطاهر بن عاشور [٩]:"مقاصد الشريعة العامة: هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"[١٠].

وعرفت أيضا: "هي المراد من تشريع الأحكام"[١١]، وأيضا: "مقاصد الشريعة: هي المعاني والحكم التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد"[١٢].

إذن فقد بنيت أحكام الشريعة على حكم ومعانٍ عظيمة؛ لتحقيق مصالح العباد، في العاجل والآجل، وقد تظهر لنا هذه الحكم وقد لا تظهر.

ثانيا: معنى الأحرف السبعة:

اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة، وإذا تأملنا شروح الأحاديث نجد أنهم ذكروا معناها ضمن شروحهم، يقول ابن حجر[١٣]: (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف) أي: على سبعة أوجه، يجوز أن يقرأ بكل وجه منها، وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة، فإن قيل: فإنا نجد بعض الكلمات يقرأ على أكثر من سبعة أوجه فالجواب أن غالب ذلك إما لا يثبت الزيادة وإما أن يكون من قبيل الاختلاف في كيفية الأداء كما في المد والإمالة ونحوهما"[١٤].

لذلك رجّح العلماء أن المراد بالأحرف السبعة: "أوجه متعددة متغايرة من وجوه القراءة، تكون في الكلمة القرآنية الواحدة، بحيث تُقرأ على وجهٍ واحد، أو أكثر من وجهٍ، إلى سبعة أوجه"[١٥].

ثالثا: معنى القراءات القرآنية:

لابد من التنبيه على أن القراءات السبع التي اشتهرت في الأمصار باتفاق القراء، هي بعض الأحرف السبعة، وأول من جعلها سبع هو ابن مجاهد[١٦]، فحصل لَبس لبعض الناس، ظنوا أنها الأحرف السبعة، وقد نقل ابن الجزري أن العلماء كرهوا ما فعله ابن مجاهد، فقال: "ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء، وخطّأوه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصرَ على دون هذا العدد أو زاده أو بيَّن مراده لِيَخْلُصَ من لا يعلم من هذه الشبهة"[١٧]، ويقول ابن الجزري أيضا محددا عدد القراءات المتواترة: "لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر"[١٨].

تعريف القراءات:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرآنًا بمعنى: تلا تلاوة، وهي في الأصل بمعنى الجمع والضم، تقول: قرأتُ الماءَ في الحوض أي: جمعته فيه، وسمي "القرآن" قرآنًا؛ لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض [١٩].

وفي معناها اصطلاحًا يقول ابن الجزري: هو "علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها بعزو الناقلة"[٢٠].

رابعا: بعض روايات حديث نزول القرآن على سبعة أحرف:

١. روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري أن عمر بن الخطابﷺ يقول: سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول اللهﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول اللهﷺ فكدت أساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلّم ثم لببته[٢١] بردائه ... فانطلقت أقوده إلى رسول اللهﷺ فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله ﷺ : "أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها، قال رسول

---

[٧] إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، وكنيته التي عرف بها أبو إسحاق، أصولي حافظ من أهل غرناطة، على مذهب المالكية، توفي سنة ٧٩٠هـ. انظر: بغية الوعاة للسيوطي، ٢٤٣/٢، الأعلام للزركلي، ١٥٢/٣.

[٨] الموافقات للشاطبي، ٣٣٧٣/٣.

[٩] محمد الطاهر بن عاشور صاحب تفسير التحرير والتنوير، من العلماء المجددين، وهو ممن أفرد علم المقاصد بالتأليف، توفي سنة: ١٣٩٣هـ. انظر: الأعلام للزركلي، ٣٢٥/٦.

[١٠] مقاصد الشريعة لابن عاشور، ٢٥١/٢.

[١١] علم مقاصد الشارع للربيعة، ٢٠.

[١٢] مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية لمحمد سعد اليوبي، ٣٨.

[١٣] ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المصري الشافعي الإمام، الحافظ المحدِّث صاحب التصانيف الكثيرة، توفي سنة: ٨٥٢هـ. انظر: ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد لمكي الفاسي، ٣٥٢/١، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي، ٢٥١.

[١٤] فتح الباري لابن حجر، ٢٣/٩.

[١٥] انظر: حديث الأحرف السبعة لعبد العزيز القارئ، ٦٥. وصفحات من علوم القرآن للسندي، ١١٦/١.

[١٦] هو أبو بكر أحمد بن موسى بن عباس بن مجاهد التميمي البغدادي، أول من سبع السبعة، من كبار قراء عصره ت:٣٢٤هـ. انظر: غاية النهاية لابن الجزري، ١٣٩/١. الأعلام للزركلي، ٢٦١/١.

[١٧] النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ٤٩/١.

[١٨] منجد المقرئين، لابن الجزري، ١٨.

[١٩] انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة: قرأ.

[٢٠] منجد المقرئين لابن الجزري، ٩.

[٢١] لببته: لببَّ: جمع ثوبه عند نحره في الخصومة ثم جره به، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ١٣٣، مادة: لبّ.

اللهﷺ: "هكذا أنزلت"، ثم قال رسول اللهﷺ : (**إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه**)[٢٢] .

٢. وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعودﷺ أنه سمع رجلاً يقرأ آية سمع النبي ﷺ يقرأ خلافها، قال: فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبيﷺ فقال: (**كلاكما محسن فاقرآ**) ثم قال: (**فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكوا**)[٢٣].

٣. روى البخاري ومسلم في عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول اللهﷺ: (**أقرأني جبريل على حروف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**)[٢٤].

٤. روى مسلم بسنده عن أبي بن كعبﷺ قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول اللهﷺ فقال لي: (**يا أبيّ أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلى الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه: أن هون على أمتي فرد إلى الثالثة اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألينها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي. وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم**)[٢٥].

٥. وعند النسائي عن أبيّﷺ قال: ما حاك في صدري منذ أسلمت إلا أني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي فقلت أقرأنيها رسول الله ﷺ، وقال الآخر أقرأنيها رسول الله ﷺ فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله أقرأتني آية كذا وكذا قال: (**نعم**). وقال الآخر: ألم تقرئني آية كذا وكذا قال: (**نعم، إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريلﷺ: اقرأ القرآن على حرف. قال ميكائيلﷺ: استزده، استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، فكل حرف شاف كاف**)[٢٦].

٦. وروى مسلم بسنده عن أبي بن كعب ﷺ أن النبيﷺ كان عند أضاة بني غفار[٢٧]، قال: فأتاه جبريلﷺ فقال: "إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال: (**أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك**). ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: (**أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك**) ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: (**أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك**) ثم جاءه الرابعة فقال: **إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا**"[٢٨].

٧. وروى الترمذي عن أبي بن كعبﷺ أيضاً قال: لقي رسول اللهﷺ جبريلﷺ عند أحجار المراء[٢٩] قال: فقال رسول اللهﷺ لجبريل: (**إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط**). قال: **يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف**"[٣٠].

وعندما نتأمل هذه الأحاديث تتبين عدة أمور:

١. إن نزول القرآن على الأحرف السبعة كان تيسيراً على الأمة الإسلامية كلها فإنها كانت قبائل كثيرة بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات على الرغم أنهم جميعاً عرب، فلو أمروا كلهم بقراءة القرآن على حرف واحد لشقّ ذلك عليهم وهذا أمر واضح أشد الوضوح في الأحاديث السالفة في قولهﷺ في كل مرة من مرات الاستزادة: (**فرددت إليه أن هون على أمتي**) وقوله: (**أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك**)، وغيرها.

٢. بينت إحدى الروايات: أن نزول القرآن بالأحرف السبعة كان في المدينة بعد الهجرة، وأن أول مرة نزل جبريلﷺ كان في موضع يسمى "أضاة بني غفار"، والرواية الأخرى ذكرت موضع آخر وهو "عند أحجار المراء"، وكلاهما بالمدينة ولم يكن في مكة.

٣. أن الاختلاف حدث بين الصحابة الكرامﷺ في أول الأمر فقط، فلما علموا بذلك زال الخلاف واستمر الأخذ بالقراءة بالأحرف السبعة.

٤. حرص الصحابة ﷺ على حماية القرآن عن الخطأ والذب عن حياضه مستبسلين في ذلك، ولو كان الخطأ عن طريق اختلاف اللهجات والتفاوت في قراءته وهذا يدل على شدة عنايتهم.

---

[٢٢] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم (٤٩٩٢)، ص٨٣١، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف حديث رقم (٨١٨)، ص٢٤٢.

[٢٣] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم (٥٠٦٢)، ص٨٣٩.

[٢٤] أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢١٩)، ص٥٢٧، وكتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم (٤٩٩١)، ص٨٣١، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف حديث رقم (٨١٩)، ص٢٤٢.

[٢٥] أخرجه مسلم نفس الباب والكتاب حديث رقم (٨٢٠)، ص٢٤٣.

[٢٦] أخرجه النسائي في كتاب افتتاح الصلاة باب جامع ما جاء في القرآن حديث رقم (٩٤١)، وقال الألباني: صحيح. ١٥٤/٢.

[٢٧] أضاة: بفتح الهمزة، الغدير، وقيل المستنقع من سيل وغيره، بني غفار: بكسر الغين إحدى قبائل الأنصار، وأضاة بني غفار: مستنقع الماء كالغدير وكان بموضع من المدينة المنورة ينسب إلى بني غفار لأنهم نزلوا عنده. انظر: النهاية في غريب الأثر للمبارك الجزري، ١٢٥/١.

[٢٨] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم (٨٢١)، ص٢٤٣.

[٢٩] وهو موضع بقباء أو قباء نفسها. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، ٣٥٥/٢، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري، ٣١٣/٧.

[٣٠] أخرجه الترمذي في باب ما جاء إنزال القرآن على سبعة أحرف حديث رقم (٢٩٤٤)، وقال الترمذي: "هذا الحديث حسن صحيح، روي من غير وجه عن أبي بن كعبﷺ"، وقال الألباني: حسن صحيح، ١٩٤/٥.

٥. إن الأخذ بالأحرف السبعة رخصة فمن قرأ بحرف منها فقد أصاب؛ بدلالة قول جبريلﷺ :" فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا" وقوله ﷺ (فاقرءوا **ما تيسر منه**)، ولا يلزم كل واحد أن يقرأ بجميع الأحرف لأنه رخصة وغير واجب.

٦. لا يجوز أن نجعل من الاختلاف في القراءة سبب للجدال والنزاع بيننا في حين أن نزول القرآن على سبعة أحرف إنما كان لأجل التيسير والتخفيف والرحمة والتهوين على الأمة فما يكون لنا أن نجعل من هذا اليسر عسرا، يرشد إلى ذلك قوله ﷺ في إحدى الروايات (**فلا تتماروا فيه فإن المراء فيه كفر**)[٣١]، ورواية عبد الله بن مسعودﷺ وفيها: (**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَيْنِ يُخَالِفَانِي فِي الْقِرَاءَةِ؟ قَالَ: فَغَضِبَ، وَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: " إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**)[٣٢].

المبحث الأول: مقاصد نزول القرآن على سبعة أحرف

المطلب الأول: مقصد التيسير ورفع الحرج، وقاعدة المشقة تجلب التيسير:

من مقاصد الشريعة العظيمة في ديننا الحنيف: مقصد "التيسير ورفع الحرج"[٣٣]، وهو من المقاصد العامة، الذي راعته الشريعة في معظم تشريعاتها من عبادات ومعاملات وجنايات وعادات...الخ

معنى التيسير: التخفيف عن المكلف، ومعنى رفع الحرج: الحرج هو: المشقة، والمقصود به إزالة ما يؤدي إلى المشقة على المكلف، وعليه فإن التيسير ورفع الحرج هما شيء واحد[٣٤].

الأدلة على هذا المقصد العظيم كثيرة منها:

قوله تعالى: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج)[٣٥]، وقوله تعالى: (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج)[٣٦]، وقوله ﷺ: (عباد الله، وضع الله الحرج...)[٣٧].

ومن الأدلة على اليسر في الدين:

قوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[٣٨]، وقولهﷺ في التيسير: (إن هذا الدين يسر)[٣٩].

لقد علمنا أن القراءة بالأحرف السبعة لم تكن في أول نزول الوحي، وإنما كان في المدينة، حيث انتشر الإسلام وكثر الداخلون في دين الله من قبائل شتى ولهجات مختلفة؛ عندها ظهرت الحاجة ماسة للتخفيف والتيسير ورفع الحرج عن تلك الأمة الأمية التي عاصرت النزول، فإنه كان من العسير ومن الحرج عليهم أن يكلفوا بقراءة القرآن على حرف واحد فقط، فلو كلفوا بذلك لكان تكليفاً بما لا يطاق وكان فيه مشقة عليهم، فإنه ليس من اليسير تعليمهم ذلك في فترة وجيزة، كما أنه ليس باستطاعتهم إتقان قراءة القرآن وقد تزل ألسنتهم عن النطق الصحيح إلى ما اعتادوه في لهجاتهم[٤٠]، وخصوصاً: العجوز والشيخ الكبير والغلام والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، كما عددهم نبي الرحمة في الحديث[٤١].

وجاء التصريح في الأحاديث النبوية بهذا المقصد وهذه الحكمة التي لأجلها تعددت الأحرف، حين طلب نبي الرحمة التهوين على الأمة وتيسير قراءة كتاب الله المجيد، وأنهم لا يطيقون إلزامهم بحرف واحد، فاقتضت حكمة الله تعالى حين شق الأمر عليهم أن ينزل التيسير والتخفيف بإباحة قراءته على سبعة أحرف.

قال الزركشي: "وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعة من الله ورحمة على الأمة إذ لو كلف كل فريق منهم ترك لغته والعدول عن عادة نشئوا عليها من الإمالة والهمز والتليين والمد وغيره لشق عليهم"[٤٢].

المطلب الثاني: الأخذ بالأحرف أو بالقراءات رخصة:

من خلال ما سبق ذكره في أحاديث الأحرف السبعة، بأنه نزل في المدينة إباحة القراءة بعدة أوجه؛ تيسيراً على المكلفين ورفعاً للحرج وهذا هو معنى الرخصة.

فالرخصة لغة: من رخَّص له في الأمر: أَذِنَ له فيه بعد النهي عنه والاسم الرُّخصة، والرُّخصة: ترخيص الله للعبد في أشياء خَفَّفَها عنه، والرُّخصة في الأمر: هو خلاف التشديد، وقد ذكرت أن معنى التيسير هو: التخفيف[٤٣]، وهي عكس العزيمة.

فالرخصة شرعا: "عِبَارَةٌ عَمَّا وُسِّعَ لِلْمُكَلَّفِ فِي فِعْلِهِ لِعُذْرٍ وَعَجْزٍ عَنْهُ مَعَ قِيَامِ السَّبَبِ الْمُحَرِّمِ"[٤٤].

وعرّفت بأنها: اسم لما أباحه الشارع عند الضرورة تخفيفاً على المكلفين، ورفعاً للحرج عنهم[٤٥].

---

(٣١) أخرجه الإمام أحمد، ٣٥٣/٢٩، رقم الحديث (١٧٨١٩) من حديث عمرو بن العاصﷺ، ٣٥٤/٢٩. قال المحقق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح ورجاله ثقات، رجال الصحيح، وله شاهد من حديث أبي هريرةﷺ، إسناده على شرط الشيخين.

(٣٢) أخرجه الإمام أحمد، ٨٨/٧، رقم الحديث (٣٩٨١) من حديث ابن مسعودﷺ، ٨٨/٧، قال المحقق شعيب الأرناؤوط: "إسناده حسن".

(٣٣) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية محمد الطاهر بن عاشور، ٢٦٨/٢، حيث جعل ابن عاشور مقصد السماحة أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها واستدل بآيات التيسير.

(٣٤) انظر: علم مقاصد الشارع لعبد العزيز الربيعة، ١٩٣، مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي، ٣٨.

(٣٥) سورة المائدة آية:٦.

(٣٦) سورة الحج آية:٧٨.

(٣٧) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب، باب ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء، حديث (٣٤٣٦)، ١١٣٧/٢، وقال الألباني: صحيح.

(٣٨) البقرة: ١٨٥.

(٣٩) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث (٣٩)، ص١٧.

(٤٠) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ١٤٦، والأحرف القرآنية السبعة للمطرودي، ١٩.

(٤١) سبق تخريجه، حديث رقم (٧) من هذا البحث.

(٤٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٢٢٧/١. وقد سبق نقل قول ابن الجزري حول هذه الحكمة في المقدمة.

(٤٣) لسان العرب لابن منظور، ٤٠/٧.

(٤٤) المستصفى للغزالي، ٧٨.

(٤٥) انظر: الوجيز في أصول الفقه، لعبد الكريم زيدان، ٥٠، علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف، ١٢١.

أما العزيمة لغة: من العزم، والعَزْمُ: الجِدُّ، عَزَمَ على الأَمر يَعْزِمُ عَزْماً وعَزِيمةً أَراد فِعْلَه [٤٦].

وعرّفها العلماء شرعا بأنها: "هي ما لَزِمَ الْعِبَادَ بِإِلْزَامِ اللَّهِ تَعَالَى كَالْعِبَادَاتِ الْخَمْسِ وَنَحْوِهَا" [٤٧].

وعرّفت أيضا: اسم لما طلبه الشارع أو أباحه على وجه العموم [٤٨].

من الأدلة على الرخصة:

قوله تعالى: (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) [٤٩]، ومن الأدلة على الرخصة في القراءة بما تيسر قوله ﷺ: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه) [٥٠].

وقول جبريل عليه السلام في آخر الحديث: "إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا" [٥١].

فالتخيير بين الأحرف السبعة لقراءة الكتاب العزيز رخصة نزلت بعد عزيمة، فقد كلفوا بادئ الأمر بتلاوته على وجه واحد، ثم نزلت الإباحة، عندما ظهرت الحاجة لها، وذلك لرفع الحرج عن الأمة.

ووجه الرخصة في هذه الأحرف السبعة: هو أن الكلمة عندما تكون منزلة على عدة أوجه، يكون القارئ مخيراً في قراءة ما سهل منها وتيسر على لسانه، وما تيسر على فهمه أيضاً، فعندما يغلبه لسانه فيخطئ في النطق بكلمة، فإنه يجد في غيرها من اللهجات ما يأخذ به فيرفع عنه الحرج، وكذلك عندما يعجز عن فهم المراد من كلمة لكونه لم يعهدها في لهجته، فإنه قد يجد في الوجوه الأخرى المنزلة في تلك الكلمة ما يعينه على فهم المراد فوجه الرخصة مشتمل على التيسير في القراءة والفهم معاً [٥٢].

ثم إن هذه القراءات ليست على الإلزام بحيث يجب القراءة بجميع الأوجه وإلا لأصبحنا في حرج آخر.

المبحث الثاني: الفكر المقاصدي عند الصحابة رضي الله عنهم، والمقاصد التي تحققت في جمعهم للقرآن الكريم:

المطلب الأول: الفكر المقاصدي عند الصحابة رضي الله عنهم في جمع القرآن وكتابة المصاحف:

أخرج البخاري بسنده: "عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: "أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى". فأرسل عثمان إلى حفصة "أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك". فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين:" إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم." ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة؛ فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق" [٥٣].

من هذا الحديث يتضح أن عثمان رضي الله عنه أمر بنسخ عدة مصاحف [٥٤]؛ "فوجه بمصحف إلى البصرة ومصحف إلى الكوفة ومصحف إلى الشام، وترك مصحفاً بالمدينة وأمسك لنفسه مصحفاً الذي يقال له (المصحف الإمام) ووجه بمصحف إلى مكة وبمصحف إلى اليمن وبمصحف إلى البحرين، وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن، **وساعدهم خلو هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل في أن يحتملها ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ من الأحرف السبعة التي ثبتت في العرضة الأخيرة**، فكتبت المصاحف وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم وما تلقوه عن الصحابة الذين تلقوه من فيّ رسول الله ﷺ" [٥٥].

وعليه فإننا نجد أن الصحابة رضي الله عنهم فقهوا أن الأحكام الشرعية معللة بحكم عظيمة، وأن هذه الأحكام لا تقف في حدود صورها الموجودة في الشريعة؛ بل إن لها حكماً عظيمة، وتنطوي على مصالح جمة؛ فكان هذا أمراً مهماً في معالجتهم لما طرأ من أمور مستجدة، وما ظهر من نوازل ومشكلات جديدة بسبب تغير الأحوال وانتشار الإسلام، فأعملوا فكرهم واجتهدوا وأصدروا فتواهم، مراعين لروح الشريعة وحِكَم الأحكام الشرعية ومقاصدها، وقد بلغوا درجة عالية في استنباط الأحكام، مما يدل بوضوح على إدراكهم للعلاقة التي بين النصوص، وكيفية استنباط الأحكام حسب مناهج فكرية ثابتة، وكان اجتهادهم يقوم على أسس متنوعة تجمع بين العقل والنقل، بين الاستنباط المباشر وبين الأخذ بالقياس على النظائر والأشباه، عاملين على الجمع بين النصوص أو إزالة التعارض بينها، واعتبار الناسخ

---

[٤٦] انظر: لسان العرب لابن منظور، ١٢/٣٩٩، بتصرف يسير.

[٤٧] الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، ١/١٣١.

[٤٨] انظر: الوجيز في أصول الفقه، لعبد الكريم زيدان، ٥٠. علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف، ١٢١.

[٤٩] سورة الأنفال آية:٦٦.

[٥٠] سبق تخريجه، حديث رقم (١) من هذا البحث.

[٥١] سبق تخريجه، حديث رقم (٦) من هذا البحث.

[٥٢] انظر: حديث الأحرف السبعة لعبد الفتاح قارئ، ٨٢ بتصرف يسير.

[٥٣] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث رقم (٤٩٨٧)، ص٨٣٠.

[٥٤] اختلف العلماء في عدد المصاحف العثمانية وقد رجح بعضهم أنها ستة مع المصحف الإمام. انظر مناهل العرفان للزرقاني، ١/٤٠٣.

[٥٥] النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ١/١٦.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

والمنسوخ وغير ذلك، مراعين مقاصد الشريعة ومصالح الخلق مرجحين بين مراتب المصالح والمقاصد نفسها(٥٦).

المطلب الثاني: من المقاصد التي تحققت بجمع الصحابة ﷺ الثاني للقرآن الكريم: مقصد جلب المصالح ودرء المفاسد:

جلب المصالح ودرء المفاسد من القواعد المهمة والمقاصد العظيمة في الشريعة، وهو من المقاصد العامة، التي راعاها الشارع في جميع أحوال تشريعاته، بل إنه أعم مقصد من مقاصد الشريعة، وكل ما عداه داخل فيه، وذلك لعموم لفظ المصالح، ولأن المقصود به هو مصالح الدنيا والآخرة، حتى إنه يشمل المقصد الأعظم وهو "عبادة الله تعالى"، لما يترتب على العبادات من جلب مصالح ودفع مفاسد؛ فكل عبادة نجد أنه يترتب عليها مصالح دنيوية وأخروية، كالصلاة مثلاً يترتب عليها مصالح، وكذلك الصيام وغيرهما من الأحكام، فإذا تقرر شمول مقصد "جلب المصالح ودرء المفاسد" لهذا المقصد الأعظم، فإن ما عداه من المقاصد داخل تحته، فمثلاً "مقصد رفع الحرج" يدخل تحت جلب المصالح ودرء المفاسد؛ لأن المشقة اللاحقة بالمكلف مفسدة فرفعها مصلحة للمكلف(٥٧).

من الأدلة على المصلحة:

قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت)(٥٨)، وقوله تعالى: (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين)(٥٩).

مكانة المصلحة كمقصد شرعي:

بيّن العلماء مكانة المصلحة في مقاصد الشريعة: حيث يقول العز بن عبد السلام(٦٠): "والشريعة كلها مصالح: إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: (يأيها الذين آمنوا)(٦١) فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيرا يحثك عليه أو شرا يزجرك عنه، أو جمعا بين الحث والزجر"(٦٢).

ويقول الشاطبي: "إن الشريعة وضعت لمصلحة العباد في العاجل والآجل"(٦٣).

ويقول ابن عاشور:" إن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد"(٦٤).

"بل إن بعض العلماء قد اختصر جميع المقاصد في "جلب المصالح" لأن درء المفسد هو من قبيل جلب المصالح فإذا أبعد الإنسان مفسدة عن نفسه فإنه يكون قد جلب مصلحة"(٦٥).

تعريف المصلحة والمفسدة:

المصلحة لغة(٦٦): المصلحة مفرد مصالح، وهي مصدر بمعنى الصلاح، كالمنفعة بمعنى النفع، والمفسدة ضد المصلحة، والفساد نقيض الصلاح.

قال الغزالي(٦٧) في تعريفها:" المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة ولسنا نعني به ذلك فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم لكنا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة"(٦٨).

وقال ابن عاشور: "وصف للفعل يحصل به الصلاح، أي النفع منه، دائما أو غالباً، للجمهور أو للآحاد"(٦٩).

وعرفت أيضا: "هي المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده، من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم وأموالهم، طبق ترتيب معين"(٧٠).

وهذه المصالح لا بد أن تسير في إطار الشرع لا حسب الأهواء، فلا يجوز بناء الأحكام على المصلحة إذا كان في ذلك مخالفة للكتاب والسنة، وأن مصلحة الدين أساس للمصالح الأخرى ومقدمة عليها(٧١).

ثم إن هذه المصالح قد تتعارض مع مفاسد، فيجب التأني في تقدير المصلحة والمفسدة، والنظر في الآثار المترتبة على كل منهما.

وهذه المصالح نفسها تتفاوت في الأهمية، وإذا حصل التعارض بينها فإنه يقدم الأهم على المهم حسب مراتبها، ولأن مصلحة الدين أساس للمصالح الأخرى ومقدمة عليها؛

(٥٦) انظر: المقاصد الشرعية لنور الدين الخادمي، ٦٥/٤، وللاستزادة انظر: الفكر الأصولي دراسة تحليلية نقدية لعبد الوهاب أبو سليمان، ٣٠-٣٥.
(٥٧) انظر: علم مقاصد الشارع لعبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة، ١٩٤، مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي، ٣٧٤.
(٥٨) سورة هود ﷺ: ٨٨.
(٥٩) الأعراف: ١٤٢.
(٦٠) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم، فقيه أصولي، ولكنه متصوف، يلقب بسلطان العلماء، لأن له مواقف مشهورة مع السلاطين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ت: ٦٦٠هـ. انظر: ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، ١٢٥/٢، الأعلام للزركلي، ٢١/٤.
(٦١) البقرة: ١٥٣.
(٦٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام، ١/ ١٤.
(٦٣) الموافقات للشاطبي، ٩/٢.
(٦٤) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، ٢٧٦.
(٦٥) المقاصد الشرعية للخادمي، ٨٤/١.
(٦٦) لسان العرب لابن منظور، ٢/ ٥١٦، ٣٣٥/٣.
(٦٧) هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي، الإمام صاحب التصانيف، لازم إمام الحرمين الجويني وأخذ عنه، توفي سنة: ٥٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣٢٢/١٩.
(٦٨) المستصفى للغزالي، ١٧٤/١.
(٦٩) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، ٢٧٨. وللاستزادة من تعريفات العلماء للمصلحة والمآخذ على كل تعريف انظر: المصلحة المرسلة وتطبيقاتها المعاصرة في الحكم والنظم السياسية، رسالة ماجستير لعبد الحميد علي حمد محمود، ٢٥.
(٧٠) ضوابط المصلحة لمحمد رمضان البوطي، ٣٧.
(٧١) للاستزادة: المقاصد الشرعية وعلاقتها بالأدلة لليوبي، ٣٧٥.

فيجب التضحية بما سواها مما قد يعارضها من المصالح الأخرى إبقاء لها وحفاظاً عليها [٧٢].

وعليه فقد راعى الصحابةﷺ بجمعهم للقرآن مصلحة عظيمة هي من أهم المصالح، ودرؤوا مفسدة كبيرة أيضاً، فعندما نسخ الصحابة الصحف التي جمعها أبو بكرﷺ إلى عدة مصاحف، وأثبتوا في هذه المصاحف العثمانية ما ثبت من الأحرف السبعة في **العرضة الأخيرة**، وأحرقوا باقي المصاحف التي بين أيدي الناس، هذا كله درءا لمفسدة الفرقة والاختلاف في قراءة القرآن.

ثم أجمع الصحابة على أن ما في هذه المصاحف من الأحرف، وأنها هي القرآن المتواتر، وما عداها لا يجوز القراءة به وهذا غاية النفع، ويحقق مصلحة لعموم الأمة وجمهور الناس.

وفي إحراق[٧٣] ما عدا المصاحف العثمانية تأكيد على هذا الإجماع، وتأكيد أيضاً على بطلان ما سواه مما لم يجمعوا عليه، رغم ما قد يكون في بقاءها من مصلحة خاصة لبعضهم، لأنهم أحرقوا صحفاً كانت بأيدي باقي الصحابة مثل صحف ابن مسعود ﷺ وغيره، وما فيها من الأحرف التي لم تثبت أو ليست متواترة مما ذكرناه سابقاً، إلا أن مصلحة بقاء هذه المصاحف الأخرى مصلحة مرجوحة أمام المصلحة العظيمة التي تحققت، والمفسدة الكبيرة التي دفعت – وهي الإجماع على تواتر ما ثبت، وبطلان ما سواه، ونبذ الفرقة والاختلاف بين الناس في قراءة القرآن، حتى كاد يكفر بعضهم بعضاً- فأطاعت الأمة إمامها فعمد كل من عنده صحف إلى إحراق ما عنده وهذا من فقههمﷺ.

المطلب الثالث: مقصد حفظ الدين:

أولا: حفظ الدين من الضروريات الخمس التي أمر المكلف بحفظها، وهذه الضروريات على الترتيب هي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال[٧٤].

وقد عرف الشاطبي الضروريات بأنها:" هي التي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين"[٧٥]، ويقول أيضاً مبيناً أهمية هذه الضروريات الخمس:" فقد اتفقت الأمة -بل سائر الملل- على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري"[٧٦].

"مقصد حفظ الدين على رأس **المقاصد القطعية**، التي تعرف بأنها: المقاصد اليقينية التي اتفق العلماء والمجتهدون على اعتبارها ومراعاتها بلا خلاف أو اعتراض؛ لما فيها من المصالح القطعية اليقينية، ومنه حفظ القرآن الكريم وصونه والعمل على تعلمه وتعليمه، قراءة وحفظاً وفهماً واستنباطا"[٧٧].

فأهم هذه الضروريات وعلى رأسها هو حفظ الدين، بل هو أصل مقاصد الشريعة ولبها وروحها، وما عداه متفرع منه محتاج إليه، ولو تعرض الدين للضياع لضاعت المقاصد الأخرى، فلا يصح أن يكون هذا المقصد العظيم معرضاً للضياع والتحريف والتبديل، لأن في ذلك ضياعاً للمقاصد الأخرى وخراباً للدنيا بأسرها[٧٨].

الأدلة على ضرورة حفظ الدين:

مما يدل على أهمية الدين وأنه بضياعه يَفسد كل شيء يقول تعالى: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن)[٧٩].

وقوله تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)[٨٠].

وقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[٨١][٨٢].

وحفظ الدين: يكون بالمحافظة على الدين الإسلامي وصيانته، والعمل على كل ما فيه تثبيتاً لأركانه وتعاليمه وأحكامه، وذلك بالعمل على فهمه وتطبيقه ونشره وبثه في واقع الناس، ومن جانب آخر: العمل على مواجهة ومحاربة كل ما يمنع وجوده وانتشاره والاحتكام إليه.

فحفظ الدين له جانبان [٨٣]:

جانب الوجود: ويكون بالمحافظة على ما يقيم أركانه ويثبت قواعده، ويعمل على نشره وتطبيقه والاحتكام إليه.

جانب العدم: ويكون بدرء الفساد الواقع عليه أو المتوقع أن يقع عليه، بالقيام بواجب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وذلك للمحافظة على الدين والذب عنه.

جمع الصحابة للقرآن الكريم وإجماعهم على ما ثبت من أحرفه السبعة؛ فيه تحقيق مقصد حفظ الدين من **جانب الوجود**، فإنهم جمعوا الأمة على أن القرآن المتواتر هو ما

---

[٧٢] للاستزادة من خصائص المصلحة انظر: ضوابط المصلحة للبوطي، ٥٨، المصلحة المرسلة وتطبيقاتها المعاصرة لعبد الحميد محمود، ٤٢.

[٧٣] سواء أمر بها أن تحرق أو تخرق، فالمقصود هو إتلافها، وقد ذكر ابن حجر أن القاضي عياض قال: "غسلوها بالماء ثم أحرقوها مبالغة في إذهابها". انظر: فتح الباري، ٦٣٧/٨.

[٧٤] انظر: الموافقات للشاطبي ٢٠/٢.

[٧٥] الموافقات للشاطبي ١٧/٢، ١٨.

[٧٦] المرجع السابق، ٣١/١.

[٧٧] المقاصد الشرعية تعريفها وأمثلتها وحجيتها لنور الدين الخادمي، ١١٥/١.

[٧٨] انظر: علم مقاصد الشارع للربيعة ١٣٠.

[٧٩] سورة المؤمنون آية:٧١.

[٨٠] سورة الأنعام آية:١٥٣.

[٨١] سورة الحِجر آية: ٩.

[٨٢] انظر: علم مقاصد الشارع للربيعة ١٣٠، مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي، ١٨٥.

[٨٣] انظر: علم مقاصد الشارع للربيعة، ١٣٢، مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي، ١٨٨.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

بين دفتي المصاحف العثمانية التي كتبوها وتلقتها الأمة بالقبول، وهو عمل جليل وعظيم.

وإحراقهم ما عداها من المصاحف؛ فيه حفظ للدين من **جانب العدم**، حيث قطعوا الطريق إلى ما لم يثبت من الأحرف أو لم يتواتر، فلو لم يحرقوها لظل هناك من يقرأ بها رغم الإجماع على المصاحف العثمانية، وبذلك لم يحققوا ما قصدوا إليه من جمع الكلمة وتوحيد الأمة على قراءة ما ثبت وترك ما سواه.

ثانيا: ما قام به حذيفة ﷺ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في مقصد حفظ الدين:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعائر الإسلام العظيمة، وهو سبب خيرية الأمة، ويصب في مقصد حفظ الدين، حيث يهدف إلى الدفاع عنه وحمايته.

ورأينا كيف سارع حذيفة بن اليمان ﷺ بنقل الصورة التي رآها في إحدى غزواته في أرمينيا، إلى ولي الأمر، وقياماً منه بواجب النصح؛ لحماية الأمة من الاختلاف والفرقة، وهو من النصيحة، التي تكون لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وما تحقق بسبب نصحه بعد ذلك يرينا أهمية هذه الشعيرة وما تحققه من مقاصد شرعية عظيمة، تمثلت هنا فيما جلبته من مصالح ودرأته من مفاسد، من حفظ الدين وجمع الأمة ونبذ الفرقة، وغير ذلك، **والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** يصلح لأن يوضع في حفظ الدين من **جانب الوجود**، لأن فيه دعوة لحفظ الدين، فرأينا كيف حفظت الأحرف المتواترة، وأجمعت الأمة ما كتب في عهد عثمان ﷺ بأنه القرآن وما سواه لا يجوز القراءة به، ويصلح أيضاً أن يوضع في حفظ الدين من **جانب العدم**، لكونه دفاعاً عن الدين ودرءا للمفاسد المتوقعة عليه، كالتي حذر منها حذيفة ﷺ حين سمعهم يختلفون في قراءة القرآن حتى كاد يكفر بعضهم بعضاً(٨٤).

المطلب الرابع: مقصد جمع الكلمة ونبذ الفرقة:

مقصد جمع الكلمة ونبذ الفرقة من المقاصد العامة في الشريعة(٨٥)، قال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)(٨٦).

وقال تعالى في التحذير من الاختلاف وأنه يؤدي إلى الجبن وذهاب القوة وبالتالي يستبعد النصر: (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)(٨٧).

فالمحافظة على وحدة الصف والأخوة في الدين من المقاصد المهمة والعظيمة، وتقع مسؤوليتها الكبرى على الإمام.

مرّ بنا في حديث جمع القرآن وكتابة المصاحف: كيف أن حذيفة بن اليمان ﷺ لفت الأنظار إلى هذا الأمر عندما وجه نداءه لعثمان ﷺ بقوله: " يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"، فقام عثمان ﷺ بذلك خير قيام، وأرسل إلى حفصة ﷺ يطلب الصحف التي جمعها أبو بكر، وساعده باقي الصحابة في هذه المهمة العظيمة، فجمعوا القرآن وكتبوا المصاحف العثمانية(٨٨)؛ حيث أثبتوا فيها من الأحرف السبعة ما ثبت في العرضة الاخيرة، ثم حصل الإجماع على هذه المصاحف من جميع الصحابة، وبذلك تم للصحابة ﷺ جمع كلمة الأمة وجنبوها شر الفرقة ومفسدة الاختلاف.

المطلب الخامس: جمع الصحابة ﷺ للقرآن الكريم والمصلحة المرسلة:

تذكر كتب الأصول كثير من أفعال الصحابة واجتهاداتهم التي اعتبرها الأصوليون من باب المصلحة المرسلة، مثل جمع القرآن الكريم الأول والثاني، وتدوين الدواوين وبناء السجون وتسجيل العقود وإراقة اللبن المغشوش وغير ذلك من الأمثلة.

وقد مر بنا تعريف المصلحة وأهميتها ومكانتها والأدلة عليها، وهنا سأذكر بشكل مبسط أنواع المصلحة، ومعنى المصلحة المرسلة، ولماذا اعتبر بعض الأصوليين جمع الصحابة من هذا النوع.

أنواع المصلحة(٨٩):

تنقسم المصالح من ناحية اعتبار الشارع لها أو عدم اعتباره إلى:

المصالح المعتبرة: وهي ما شهد لها الشارع بالاعتبار وتسمى المصالح المعتبرة، مثل: اعتبار السفر والمرض في إباحة الفطر في رمضان، واعتبار الأذى في وجوب اعتزال الحائض وغير ذلك.

وهذه المصالح المعتبرة هي محط نظر العلماء في باب القياس يستنبطونها من خلال مباحث تسمى مسالك العلة ثم يجتهدون في تطبيقها على ما يستجد من الوقائع، لاستخراج أحكام لها، حيث يربطون الأحكام بهذه المصالح (العلل) وجودا وعدما.

المصالح الملغاة: هي مصالح لم يعتبرها الشارع وإنما ألغاها، لأن المصلحة فيها متوهمة وغير حقيقية مثل: مصلحة الأنثى في مساواتها بأخيها في الميراث، ومصلحة المرابي الظاهرة في زيادة ماله فهذه مصالح مهدرة ومنافع فاسدة لمخالفتها نص الشارع، وعليه فمثل هذه المصالح لا تبنى عليها الأحكام.

المصالح المرسلة: هي التي لم يشهد لها الشارع لا بالاعتبار ولا بالإلغاء وتسمى مصالح مرسلة أي مطلقة ليست معتبرة

---

(٨٤) للاستزادة انظر: المقاصد الشرعية تعريفها وأمثلتها وحجيتها لنور الدين الخادمي، ٦٧/١.
(٨٥) انظر: علم مقاصد الشارع للربيعة، ٢٨٦.
(٨٦) سورة آل عمران آية: ١٠٣.
(٨٧) سورة الأنفال آية: ٤٦.
(٨٨) سبق تخريجه في مطلب: عثمان ﷺ وكتابة المصاحف.
(٨٩) انظر: علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف، ٨٤، الوجيز في أصول الفقه لزيدان، ٢٣٦، مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي، ٥٠٢.

ولا ملغاة، وتكون في الوقائع المسكوت عنها التي ليس لها نظير منصوص عليه حتى نقيسها على حكمه، ويكون بناء الحكم عليها شأنه أن يحقق منفعة أو يدفع مفسدة، وقد ذكرت عليها أمثلة من اجتهادات الصحابةﷺ.

ولكن العلماء اختلفوا[٩٠] في اعتبار المصلحة المرسلة كدليل شرعي، بالتالي ترتب على ذلك اختلافهم في النظر إلى عمل الصحابة هذا، فمن اعتبر المصلحة المرسلة دليلاً شرعياً اعتبر الدليل على عمل الصحابة هو المصلحة المرسلة.

ومن عارض دليل المصلحة المرسلة اعتبر عمل الصحابة من قبيل رفع الضرر، وأن مستندهم هو السنة النبوية لحديث: (لا ضرر ولا ضرار)[٩١]؛ فالغرض والمقصد هو إزالة الضرر بدلالة الحديث وليس مستندهم المصلحة المرسلة[٩٢].

وعلى كلٍ فإن المقصد الشرعي وهو: "جلب المصالح ودفع المفاسد" قد تحقق في جمع الصحابة للقرآن بما يناسب مقصود الشارع، والله أعلم.

المبحث الثالث: الأحرف السبعة وكون الشريعة وضعت للإفهام:

نجد في كتب علوم القرآن أن العلماء اختلفوا في المراد من الأحرف السبعة، وكان من ضمن الأقوال قولهم: إن حديث الأحرف السبعة من المشكل المتشابه الذي لا يدري معناه، والسبب في نظرهم هو معنى كلمة "حرف"[٩٣]؛ التي تعتبر من المشترك اللفظي، حيث يطلق في اللغة على عدة معانٍ[٩٤].

ولكننا نجد أن الشاطبي قسم المقاصد إلى عدة أقسام، منها: **"في بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام"**[٩٥]، فكيف تكون وضعت للإفهام ونقول إن معنى الأحرف التي نزل بها الكتاب الكريم، والدستور الذي يخاطب جميع الناس هو من المتشابه الذي لا يدري معناه؟!

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فإن كل حرف منها معجز، وقائم به التحدي فكيف يثبت التحدي بأمر مشكل لا يدري معناه؟

يقول الشاطبي: "إن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فالله تعالى يقول: (بلسان عربي مبين)[٩٦]، فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة... ومعنى: إن القرآن نزل بلسان العرب: أي أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها..."[٩٧].

نزل القرآن بلغتهم وفهموه، ولما لم يؤمنوا به بعض من نزل عليهم؛ تحداهم أن يأتوا بمثله، فكيف يأتون بمثله لو كان على غير ما يعهدون؟

وفي هذا يقول الشاطبي: "ثم إنه لو لم يكن القرآن على ما يعهدون؛ لم يكن عندهم معجزا، ولم تثبت عليهم الحجة ويثبت عجزهم... ولكانوا يخرجون عن مقتضى التعجيز بقولهم: هذا على غير ما عهدنا، إذ ليس لنا عهد بمثل هذا الكلام، فلم تقم الحجة عليهم به، ولذلك قال سبحانه: (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته)[٩٨]، ... لكنهم أذعنوا لظهور الحجة، فدل على أن ذلك لعلمهم به وعهدهم بمثله، مع العجز عن مماثلته، وأدلة هذا المعنى كثيرة"[٩٩].

ثم لما نزلت الأحرف السبعة، قرأ بها المسلمون، ولم يصلنا انهم سألوا عن ماهيتها؛ إذ لو كانت غير واضحة لهم، فلا بد أنهم كانوا سيسألون ويستوضحون.

وفي هذا يقول الشاطبي موضحا كيف أن المسلمون يقرؤون بهذه الأحرف السبعة -وكذلك القراءات القرآنية- بدون شك أو إشكال: "إن -اللغة العربية- من شأنها الاستغناء ببعض الألفاظ عما يرادفها أو يقاربها، ولا يعد ذلك اختلافاً ولا اضطراباً إذا كان المعنى المقصود على استقامة، والكافي من ذلك نزول القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ، وفي هذا المعنى من الأحاديث وكلام السلف العارفين بالقرآن كثير، وقد استمر أهل القراءات على أن يعملوا بالروايات التي صحت عندهم مما وافق المصحف، وأنهم في ذلك قارئون للقرآن من غير شك ولا إشكال، وإن كان بين القراءتين ما يعده الناظر ببادئ الرأي اختلافا في المعنى؛ لأن معنى الكلام من أوله إلى آخره على استقامة لا تفاوت فيه بحسب مقصود الخطاب"[١٠٠].

ثم إذا نظرنا في الأخبار الواردة في الأحرف السبعة لم نجد فيها عبارة صريحة تبين المراد بالأحرف السبعة، والذي يظهر أن ذلك كان **لوضوح المراد منها عند السلف الأول،** بشكل لا يحتاج معه إلى تفسير، حتى تتحقق الحكمة من الرخصة، فليس من المعقول أن يرخص لهم في شيء مجهول.

---

[٩٠] للاستزادة انظر: المصالح المرسلة دراسة فقهية ومناقشة تحليلية أصولية مع أمثلة تطبيقية، محمود عبد الكريم حسن، ٧٠، المقاصد الشرعية وعلاقتها بالأدلة لليوبي، ٥٠٢(الحاشية).

[٩١] رواه ابن ماجه في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره رقم (٢٣٤٠)، وقال الألباني: صحيح، ٧٨٤/٢.

[٩٢] للاستزادة انظر: المصالح المرسلة دراسة فقهية ومناقشة تحليلية أصولية مع أمثلة تطبيقية، محمود عبد الكريم حسن، ٩٣، فقد ذكر عدد من أعمال الصحابة التي من قبيل المصلحة المرسلة واعتبر أن لها أدلة أخرى غير المصلحة المرسلة، ومن ضمنها جمع القرآن.

[٩٣] انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي١٠٣٢/١، لسان العرب لابن منظور ٤١/٩، مادة "ح ر ف".

[٤] انظر: البرهان للزركشي، ٢١٤/٢.

[٩٥] الموافقات للشاطبي، ١٠١/٢.

[٩٦] سورة الشعراء آية:١٩٥.

[٩٧] الموافقات للشاطبي، ١٠٢/٢-١٠٤، باختصار.

[٩٨] سورة فُصِّلَت آية:٤٤.

[٩٩] الموافقات للشاطبي، ١١٠/٢-١١٢، باختصار.

[١٠٠] الموافقات للشاطبي، ١٠١/٢-١٣٢.

الخاتمة:

الحمد لله على تيسيره والشكر له على توفيقه وامتنانه، أحمده تعالى على أن يسر لي هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يتقبل مني إنه سميع مجيب.

اختم هذا البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات، وقد جاءت نتائج البحث على النحو التالي:

١. عظمة هذه الأمة؛ حيث تلقت القرآن الكريم بالأحرف المختلفة، وأحكمت ضبطها، وتناقلتها بأسانيدها المتصلة جيلا بعد جيل، وهي مَنْقَبَةٌ عظيمة، تنفرد بها هذه الأمة.

٢. هناك حكم وفوائد عديدة من تعدد الأحرف والقراءات في الكتاب العزيز، وأهمها وأعظمها: حكمة التيسير ورفع الحرج.

٣. بقاء حكمة التيسير ورفع الحرج ببقاء ما ثبت من الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية، لاستمرار حاجة الناس لها.

٤. إن الأخذ بالأحرف السبعة رخصة فمن قرأ بحرف منها فقد أصاب.

٥. كون الشريعة وضعت للإفهام، وفيه رد على من قال: إن معنى الأحرف السبعة من المتشابه الذي لا يدري معناه.

٦. اختلاف العلماء في النظر إلى عمل الصحابة هذا، فمنهم من اعتبر الدليل على عمل الصحابة هو المصلحة المرسلة، ومنهم من اعتبر عمل الصحابة من قبيل رفع الضرر.

٧. تحقق بجمع القرآن الكريم كثير من المقاصد الشرعية وهي:

أ. مقصد جلب المصالح ودرء المفاسد المتحقق من إجماع الأمة على المصاحف العثمانية، وعلى ما تواتر من الأحرف السبعة مما ثبت في العرضة الاخيرة

ب. مقصد حفظ الدين، وهو من المقاصد الضرورية العامة، وتحققه من جانبي الوجود والعدم.

ج. مقصد جمع الكلمة ونبذ الفرقة.

د. ما قام به حذيفة بن اليمانﷺ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في حفظ الدين.

وأهم التوصيات:

١. دراسة المقاصد الشرعية، لأهميتها وضرورة معرفتها.

٢. التمسك بكل ما فيه لمّ شمل الأمة والبعد بها عن مزالق الفرقة والشتات.

٣. تعلّم القراءات القرآنية، وحفظها بأسانيدها يعدّ من المطالب العالية، فنحن أمه الإسناد.

قائمة المراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. المصلحة المرسلة وتطبيقاتها المعاصرة في الحكم والنظم السياسية، عبد الحميد علي حمد محمود، إشراف: د/حسن خضر، أطروحة لنيل درجة الماجستير في الفقه والتشريع، الجامعة الوطنية في نابلس-فلسطين، ٢٠٠٩م.

٣. الإتقان في علوم القرآن لأبي الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١هـ.

٤. الأحرف السبعة، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د. عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة: مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ.

٥. الأحرف القرآنية السبعة للدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر- الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

٦. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، (ت: بدون).

٧. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين زركلي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢.

٨. البرهان في أصول الفقه، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب. الوفاء - المنصورة- مصر، ط١، ١٤١٨هـ.

٩. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ.

١٠. حديث الأحرف السبعة دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه وصلت بالقراءات العشر، عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ عميد كلية علوم القرآن في الجامعة الإسلامية سابقاً، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.

١١. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٢. ذيل طبقات الحفاظ لأبي الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٣. السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.

١٤. سنن أبي داوود سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي - بيروت، وزارة الأوقاف المصرية وأشاروا إلى جمعية المكنز الإسلامي.

١٥. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مذيلة بأحكام الألباني، دار الفكر–بيروت.
١٧. سنن النسائي المجتبى من السنن لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، مكتب المطبوعات الإسلامية– حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦.
١٨. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.
١٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية.
٢٠. صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق رائد بن صبري بن أبي علفة، دار طويق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣١هـ.
٢١. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحسن النيسابوري، تحقيق رائد بن صبري بن أبي علفة، دار طويق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣١هـ
٢٢. صفحات في علوم القراءات، لأبي طاهر عبد القيوم السندي، المكتبة الأمدادية، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٣. ضوابط المصلحة، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة.
٢٤. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، دار القلم لطباعة والنشر، ط٢٠، ١٤٠٦هـ.
٢٥. غريب الحديث، جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: عبد المعطي القلعجي، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن باز، ترقيم الأبواب والكتب لفؤاد عبد الباقي بإشراف محب الدين الخطيب، دار المعرفة-بيروت-لبنان.
٢٧. الفكر الأصولي دراسة تحليلية نقدية، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، دار الشروق، ط١، ١٤٠٣هـ.
٢٨. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٢٩. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية، دار القلم- دمشق.
٣٠. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط١، (ت: بدون).
٣١. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز- عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٣٢. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام الرحماني المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء-الجامعة السلفية- بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣٣. المستصفى في علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
٣٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة،١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٣٥. المصالح المرسلة دراسة فقهية ومناقشة تحليلية أصولية مع أمثلة تطبيقية، محمود عبد الكريم حسن، دار النهضة الإسلامية، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٣٦. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي المقري، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.
٣٧. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٣٨. المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧هـ.
٣٩. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن، ط٢، ١٤٢١هـ.
٤٠. مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة، محمد سعد اليوبي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٩هـ.
٤١. مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ط٣، دار الفكر.
٤٢. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٤٣. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٤٤. النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٤٥. الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٥هـ.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

دورالعقيدة الإسلامية في مواجهة التكفير والوقاية منه

د. مريم بنت موسى عقيلي

أستاذ مساعد بقسم القرآن والدراسات الإسلامية - كلية الشريعة والقانون / جامعة جدة/ المملكة العربية السعودية.

The Role of Islamic Creed in Addressing and Preventing the Practice of Takfir. (declaring someone a disbeliever).

Dr. Maryam Mussa Aqili

Assistant Professor in the Department of the Holy Qur'an and Islamic Studies College of the Holy Quran and Islamic Studies, University of Jeddah - Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: Xmma2009@yahoo.com

الكلمات المفتاحيّة:

العقيدة – التكفير – مواجهه التكفير- عواقب التكفير.

KEY WORDS:

Creed- Takfir (declaring someone a disbeliever)- Facing Takfir- Takfir consequences.

مستخلص البحث:

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

يهدف هذا البحث إلى الكشف بوضوح عن مدى الانحراف العقدي والمتمثل في التكفير، والذي وقع فيه بعض فئات هذه الأمة، فجاء هذا البحث؛ ليرسم الطريق الصحيح لعودة الأمة إلى ما كانت عليه ومن ثم معالجة هذه الظاهرة والوقاية منها .

اشتمل البحث على مقدمة وخمسة مطالب وخاتمة، تناولت المقدمة مشكلة البحث واهدافه وأهميته، واعتمد البحث على المنهج العلمي المتبع في عرض مثل هذا الموضوع، ثم قُسِم البحث إلى خمسة مطالب، فعرض تعريف العقيدة الإسلامية وأهميتها ثم تعريف التكفير، وحكمه، وبين أن التكفير لم يكن متروكاً للأهواء والشهوات، بل وضع له ضوابط وقيوداً كما له موانع وشروط. وأشار البحث إلى أن للتكفير آثارا جسيمة تعود على المكفِر والفرد والمجتمع. ثم عرض البحث صورا معاصرة للتكفير، وبيان دور العقيدة الاسلامية في مواجهة التكفير والوقاية منه. ثم خُتِم البحث بنتائج منها حث المسلمين على التمسك بالكتاب والسنة، وأن التكفير حق لله ولا مجال للعقل فيه، ثم ذيل البحث بعدة توصيات منها استنهاض همم العلماء والدعاء والمفكرين والمربين للإسهام في حل هذه المشكلة، وأن تسهم الجامعات والمؤسسات التعليمية والتربوية، ومراكز البحث بطرح برامج وخطط علمية مدروسة لعلاج هذه الظاهرة.

ABSTRACT:

The paper aims to uncover the doctrinal deviations associated with declaring others as disbelievers, a trend observed in certain segments of society. This inquiry seeks to guide the nation back to its former state, addressing and preventing such occurrences. The research consists of an introduction, five sections, and a conclusion. It discusses the research problem, its objectives, and its importance. The study utilizes scientific methods to investigate this topic and is categorized into five primary criteria.

The research presented the definition of the Islamic Creed and its importance, followed by the definition of takfir (declaring someone a disbeliever). It explained that takfir is not left to desires but is subject to controls, restrictions, prohibitions, and conditions. The research found that takfir has significant consequences for the individual, society, and those deemed infidel. Additionally, the research displayed contemporary manifestations of takfir and demonstrated how adherence to the Islamic Creed might help combat and prevent it.

The research concluded by appealing to Muslims to follow the Qur'an and Sunnah, asserting that takfir is an act of God with no room for human reasoning. It recommends involving researchers, advocates, thinkers, and educators in addressing this issue through well-designed scientific programs and intervention strategies.

المقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله، أما بعد:

العقيدة الإسلامية هي الرباط الذي يوثق صلة الانسان بدينه، والذي يقوم على عبادة الله وحده، ومن المعلوم أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت من عقيدة صحيحة، أما إذا كانت غير ذلك فيبطل كل ما يفرع عنها من أقوال وأعمال.

ولا يخفى على كل مسلم ما تعاني منه الأمة الاسلامية اليوم من اختلاف وتفرق وضعف، وظهرت في المجتمع مظاهر الانحراف، وبرزت ألوان التحوُّل العقدي في شتى المستويات ومنها التكفير الذي أصبح مستشريا بين شباب الأمة المتحمس والذي يغلب عليه طابع الاندفاع والحماسة الزائدة؛ حيث صيروا دعوتهم معول هدم لصرح الأمة الخالدة، وتشويها لسمعة الإسلام وإظهاره أنه دين قتل وسفك دماء؛ مما يحول دون انتشار الاسلام بالشكل المرجو والمأمول.

لهذا جاء البحث الموسوم بـ " دور العقيدة الإسلامية في مواجهة التكفير والوقاية منه "لإعطاء فكرة واضحة عن هذا المرض الخطير ودور العقيدة الإسلامية في مواجهته والتحذير منه.

مشكلة البحث: Research problem

تكمن مشكلة البحث في الحاجة لدراسة دور العقيدة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة (التكفير) انموذجا.

أسئلة البحث: Research questions

١- ما هو تعريف العقيدة الإسلامية وما أهميتها؟
٢- ما تعريف التكفير وما خطورته وضوابطه وشروطه؟
٣- ماهي أسباب جنوح الشباب إلى التكفير؟
٤- ما دور العقيدة في العلاج والوقاية من الوقوع في التكفير؟

أهداف البحث: Research Aims

١-التعرف على التكفير كونه إحدى الانحرافات العقدية التي أصابت الأمة.
٢-الوقوف على أهمية العقيدة في حياة المسلم.
٣-إظهار دور العقيدة في علاج التكفير والوقاية من الوقوع فيه.

أهمية البحث: Research Importance

١. التعرف على العقيدة ومنزلتها العظيمة في علاج مثل هذه الآفات، وذلك من خلال تتبع الآيات الكريمة والأحاديث النبوية وهما أفضل طريق للتوصل إلى العلاج الناجح.
٢. المساهمة في إنقاذ الأمة من حالة الضعف والهوان التي وصلت إليها.
٣. ما يتسم به من الجِدة والابتكار خاصة في لفت أنظار المسلمين حول هذا الانحراف العقدي الخطير.
٤. عرض الموضوع بهذه الطريقة سوف يكشف الستار عن تلك الأيدي الخفية التي كان لها الأثر الأكبر في انسياق الشباب ورائهم.
٥. أنه موضوع عصري، وما نراه ونسمعه في هذا العصر شاهد على ظاهرة التكفير.
٦. إثراء المكتبة الإسلامية وخاصة في الجانب العقدي.

الدراسات السابقة:

على حد علمي لم أجد دراسة منفردة تناولت دور العقيدة الإسلامية في مواجهة التكفير والوقاية منه. وانما وجدت دراسات تناولت ظاهرة التكفير وهي كالتالي:

١. ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي وكيفية معالجتها في ضوء الكتاب والسنة. للدكتور: قدور أحمد الثامر. (مجلة الباحث الجامعي للعلوم الإنسانية ٢٠١٧م، جامعة اب)
٢. ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة. عبد الله القرني.

منهج البحث:

ستعتمد الباحثة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي لتحقيق الأهداف المرجوة إن شاء الله تعالى.

وقد اتبعت الباحثة منهج البحث العلمي باتباع الخطوات التالية:

١. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها في صلب البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية
٢. إذا ورد حديث نبوي شريف، فإن الباحثة تشير إلى مكان تخريجه من كتب الستة المعتمدة مع نقل أقوال أهل العلم في تصحيح الحديث وتضعيفه إن كان الحديث في غير الصحيحين.
٣. إذا نقل نص من أحد المراجع بدون تصرف فإنه يوضع بين قوسي تنصيص صغيرين، ثم يشار إلى مرجعه في الحاشية بدون كلمة (انظر)، أما إذا نقل النص بتصرف أو بالمعنى فلا يكتب بين قوسي تنصيص، ويشار إليه في الحاشية بكلمة (انظر).
٤. يذكر المرجع بشكل مفصل في الحاشية في أول ذكر له، أما في المواضع التالية فيكتفي بذكره ورقم الصفحة فقط.
٥. ترجمة الأعلام غير المشهورين.
٦. إعطاء رقم متسلسل للرسالة كلها، مبدوءاً برقم (١) ويستمر إلى نهاية الرسالة، يدون في أسفل كل صفحة هوامشها.
٧. تذييل البحث بفهارس علمية متنوعة.

المطلب الأول: التعريف بالعقيدة والتكفير في اللغة والاصطلاح

المسألة الأولى: تعريف العقيدة لغة واصطلاحا

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

أولا: تعريف العقيدة لغة:

من العقد وهو نقيض الحل، ويأتي العقد بمعنى الشد بقوة، والربط والابرام واللزوم، والاحكام والتوثيق والشد بقوة والتماسك والثبات، واليقين، والجزم. (الشاذلي، ٢٠٠٥)

ويقال: اعتقدت كذا، أي: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل العقيدة ما يدين الانسان به، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك. (المقرئ، ٢٠٠٥)

ثانيا: تعريف العقيدة في الاصطلاح:

العلم الذي يبحث فيما يجب على الانسان أن يعتقده ويؤمن به، ويقيم عليه البرهان الصحيح الذي يفيد اليقين ويطلق أيضا على المبادئ الدينية نفسها التي تثبت بالبرهان القاطع. (مستو، ٢٠٠٦)

وعرفت العقيدة أيضا بأنها: هي الايمان الجازم الذي لا يقبل التشكيك سواء كان مستندا إلى حجج منطقية، فيكون اعتقادا علميا سليما، أو غير ذلك. (زيد، ١٩٩٨)

وجاء تعريف العقيدة الإسلامية كمركب بأنها: وهي ماتدين به الانسان، وجزم به من تصور لما وراء عالم الشهادة كالإيمان بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من مسائل الألوهية، والعوالم الغيبية، وبدء الكون، ومصيره ونحوها. (زيد، ١٩٩٨)

المسألة الثانية: تعريف التكفير لغةً واصطلاحا:

أولا: التكفير في اللغة:

الكفر بالضم: ضد الإيمان، وأصلُ الكفر من الكَفْرِ بالفتح مصدر كَفَرَ بمعنى الستر. (الزَّبيدي، ٢٠٠١)

وقيل لليل "كافر لأنه يستر الأشياء بظلمته، وقيل للذي لبس درعاً ولبس فوقه ثوباً كافر؛ لأنه غطى درعه بالذي لبسه فوقها، وفلان كفر نعمة الله إذا سترها فلم يشكرها، ولهذا سمى الفلاح كافراً لأنه يغطي البذر بالتراب". (الألفي، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: لمحمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري، ١٩٧٩) قال تعالى: {كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} [الحديد:٢٠]

ثانيا: تعريف التكفير في الاصطلاح:

الكُفْرُ اصطلاحًا: ضِدُّ الإيمانِ، وكما أنَّ الإيمانَ قَولٌ وعَمَلٌ واعتقادٌ، فالكُفْرُ يكونُ قَولًا وعَمَلًا واعتِقادًا وشَكًّا وتركًا، وهذا ممَّا اتَّفق عليه أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ، خِلافًا لِمن حَصَر الكُفْرَ في التَّكذيبِ، أو الجحودَ بالقَلْبِ، أو بالقَلْبِ واللِّسانِ، ونفى أن يكونَ الكُفْرُ بالعَمَلِ الكُفْريِّ، أو بتَرْكِ جِنسِ العَمَلِ الصَّالحِ الذي لا يصِحُّ الإيمانُ إلَّا به، لاسِيَّما الصَّلاةِ فـ"الكُفْرُ عَدَمُ الإيمانِ باللهِ ورَسولِه، سواءٌ كان معه تكذيبٌ أو لم يكُنْ معه تكذيبٌ، بل شَكٌّ ورَيبٌ أو إعراضٌ عن هذا حَسَدًا أو كِبرًا أو اتِّباعًا لبَعضِ الأهواءِ الصَّارِفةِ عن اتِّباعِ الرِّسالةِ" (الشويعر، ١٩٩٠)

ونخلص مما تقدم: أن الكفر: ضد الإيمان وهو إنكار وجود الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ، بقول، أو فعل، أو اعتقاد. (ياسين، ١٩٩١) قال تعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام:٣٣]

المطلب الثاني: أهمية العقيدة الإسلامية، وبيان خطورة التكفير

المسألة الأولى: أهمية العقيدة الإسلامية

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين وهو العليم سبحانه وتعالى بما يصلح حال عباده في الدنيا ويكفل لهم السعادة في الآخرة، وهو الدين المهيمن على جميع الأديان فلا يقبل الله من أحد سواه بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين) ال عمران: ٨٥.

فدين الإسلام هو دين عقيدة وشريعة وهو منهج وسطية واعتدال بعيدا عن الإفراط والتفريط اللذين هما مكمن الخطر والانحراف الفكري للفرد والمجتمع، لأن كلا منهما جنوح على الصراط السوي في الاعتقاد والتفكير والتعامل، وخروج عن تعاليم الإسلام ومقاصده العظمى. (السديس، ٢٠٠٦) (علي، ١٩٩٨)

فالعقيدة الإسلامية الصحيحة، تولد لدى المسلم راحة نفسية وفكرية وتسد الخواء الروحي، وتذهب القلق النفسي، وتجلب لصاحبها الأمن الفكري، والطمأنينة النفسية، فيظل ثابتا في كل فتنة، بعيدا عن الأهواء المتشعبة، والأفكار المنحرفة، والدعوات الهدامة، التي تفسد الدين وتحطم الأخلاق والسلوك، وما ذلك إلا نتيجة لرسوخ العقيدة الإسلامية في قلبه وثبوتها فلا تستطيع أعاصير الفتن التأثير على تلك العقيدة الثابتة الراسخة بل تتحطم أمامها معاول الهدم والفساد. (ضميرية، ٢٠٠١)

المسألة الثانية: خطورة التكفير

تكفير المسلم أمر خطير جللٌ؛ ذلك أن حقيقته إخراجه من دائرة الإسلام -التي تصون دمه وماله وعرضه، وتَعِده بالنجاة من النار ودخول الجنة- إلى دائرة الكفر التي يحلُّ فيها دمه وماله، ويخلّد على إثرها في نار جهنم؛ فهو قدحٌ عظيم يترتب عليه أحكام دنيوية وأخروية ؛ يقول ابن تيمية [1] -رحمه الله-: "الكفر حكم شرعي متلقي عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفر في الشرع، كما أنه ليس

[1] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام الحراني ، لقب بابن تيمية ، ولد ربيع الأول عام ٦٦١ هـ وهو فقيه ومحدث ومفسر ، نشأ على المذهب الحنبلي ، تعلم لدى أبو عبدالله الجذامي ، من أشهر تلامذته المشهورين ابن قيم الجوزية ، له العديد من المؤلفات منها: مجموع الفتاوى ، منهاج السنة النبوية ، والعقيدة الواسطية وغيرها ، توفي سنة ٧٢٨هـ. (الذهبي، ١٩٨٥)

كل ما كان صواباً في العقل تجب في الشرع معرفته". (سالم، ١٩٧١)

المطلب الثالث: ضوابط التكفير وشروطــه

المسألة الأولى: ضوابط التكفير:

أولا: التكفير حق شرعي لا مجال للعقل ولا للهوى فيه: التكفير مرده لله عز وجل ولرسوله ﷺ، فلا يحق للمسلم تكفير الآخرين إلا بدليل تقوم عليه الحجة، يقول ابن تيمية -رحمه الله: - " فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله ﷺ". (عجال، ١٩٩٧)

ثانيا: يكفر المسلم إذا أنكر ما أدخله في الإسلام: يدخل الإنسان في الإسلام بالإقرار بالشهادتين، فقد كان الرسول ﷺ وكذلك الصحابة ﷺ يقبلون دخول الشخص في الإسلام إذا نطق بالشهادتين والدليل على ذلك: قول رسول الله ﷺ: "من مات وهو يعلمُ أنه لا إله إلا الله دخل الجنة". (النيسابوري، ١٩٥٥)

ثالثا: عدم التكفير بكل ذنب: "لا يكفر المسلم بكل ذنب ارتكبه _مالم يستحله_ حتى لو وصل الذنب إلى الكبيرة إلا ضمن ضوابط وشروط". (العلماء، ١٩٨٤)

رابعا: فعل الكفر لا يستلزم تكفير الفاعل: فعل الكفر لا يستلزم تكفير الفاعل كما يعتقد كثير من المسلمين، فيخلط الناس بين تكفير الفعل، وتكفير الفاعل وهذا خطأ، فقد يكون الفعل كفراً ولكن لا يكفر فاعله، فقد يكون جاهلاً أو متأولاً.

خامسا: إن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين: فأهل السنة والجماعة لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله. يقول ابن تيمية _رحمه الله-: " تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، فإن بعض العلماء قد يتكلم في مسألة باجتهاده فيخطئ فيما فلا يكفر، وإن كان قد يكفر من قال ذلك القول إذا قامت عليه الحجة المكفرة". (تيمية، ٢٠٠٤) ومن موانع تكفير المعين الجهل والخطأ والإكراه والتأويل وأن يتكلم بكلام لا يعرف معناه وقول الكفر على سبيل الحكاية عن الغير.

المسألة الثانية: شروط التكفير:

أولا: أن يكون الشخص الذي يراد تكفيره عاقلاً: فالمجنون تسقط عنه التكاليف، فلا يؤاخذ على أقواله وأفعاله، فإن صدر منه الكفر لم يكفر، "فالمجنون ما يصدر عنه من أقوال وأفعال تخالف الشرع فكلها من باب اللغو، فلا يصح منه إيمان، ولا كفر، ولا شيء عليه باتفاق المسلمين". (الحنفيى، ٢٠١١)

ثانيا: أن يكون بالغاً: فالطفل لا يكفر حتى ولو صدر منه الكفر البواح، أو فعل فعلاً يوجب خروجه من الملة. " وأما الصغير في أول أحواله فمثل المجنون أيضاً؛ لأنه عديم العقل والتمييز". (السجستاني، ٢٠٠٩)

ثالثا: أن يكون عالماً بدليل: كالذي يبيح الخمر والربا والزنا وهو يعلم الدليل بحرمة ذلك ولو أباح شرب الخمر، ولم يشربها يحكم بكفره ؛ لأنه أباح ما حرمه الله ، قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[المائدة:٩٠] "وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين". (الشويعر، ١٩٩٠)

رابعا: إنكار شيء معلوم من الدين بالضرورة: "فمن أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة فهو كافر، كمن أنكر الصلاة، أو الصوم، أو أي ركن من أركان الدين. ويكفر من جحد شيئا معلوما من الدين بالضرورة، فمن جحد وجوب صلاة من الخمس، وكل من جحد ما علم من الدين بالضرورة فهو كافر في الصلاة أو غيرها". (القرافي، ١٩٩٤)

خامسا: اقتراف شيء من الكفر الظاهر الصريح: "فيكفر من استهزئ بالله وآياته، أو من استهزئ برسله عليهم السلام، أو استخف برسالته ﷺ أو رسالة أحد الأنبياء عليهم السلام". (تيمية ش، ٢٠٠٥)

المطلب الرابع: أسباب جنوح الشباب إلى التكفير والآثار المترتبة على ذلك

المسألة الأولى: أسباب جنوح الشباب إلى التكفير

أولا : الجهل بقواعد الشرع ومقاصده وأحكامه: يلجأ بعض الأفراد إلى تكفير الآخرين بسبب جهله بقواعد الشرع ومقاصده وأحكامه، فبمجرد النظر إلى النصوص الشرعية يبادر إلى تكفير الآخرين دون النظر إلى المقاصد والحكم من تلك القواعد والنصوص، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[الحجرات:٦] قال ابن تيمية :"وهذه الفتنة التي صدتْ أكثر بني آدم عن تحقيق الدين، أصلها الجهل بحقيقة الدين". (تيمية ل، ٢٠٠١)

ثانيا: الغلو والتشدد والتنطع في الأحكام الشرعية: كلما زاد الغلو والتنطع والتشدد في الأحكام الشرعية كلما ازداد تكفير أفراد المجتمع بعضه للآخر، يقول ابن تيمية: " وليس لأحد أن يُكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة وتبين إسلامه بيقين، ولم يزُلْ ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة". (تيمية ت، ٢٠٠٥)

ثالثا: التمسك بالمسائل الخلافية الفرعية وإقامة الولاء والبراء [٢] عليها: وقد تجدها من المسالك المرجوحة أصلاً، كمسألة العذر بالجهل فهم يكفرون كل من وقع في شرك

---

[٢] الوَلاءُ: هو المحبَّةُ والنُّصرةُ والقُربُ، يقال: والى فُلانٌ فُلانًا: إذا أحَبَّه. وكلُّ مَن انضَمَّ إليك، فَعَزَّ بِعِزِّك وامتنع بمَنَعَتِك، فهو مَوْلاك؛ ولهذا تُسَمَّى العَصَبَةُ وبنو العَمِّ مَوَاليَ، وأصلُ (ولي): يدُلُّ على قُربٍ. (الحسين، ١٩٧٨) ، (الزَّبِيدي، ٢٠٠١) .الوَلاء اصطِلاحًا: هو مُوافَقةُ العَبدِ لرَبِّه فيما يُحِبُّه ويَرْضاه مِنَ الأقوالِ والأفعالِ والاعتِقاداتِ والذَّواتِ، ويَلزَمُ

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

أصغر أو غيره دون حاجة إلى إقامة الحجة عليه، كذلك يكفرون الولاة مطلقاً بدعوى أنهم لا يقيمون شرع الله ويستدلون بقول الله عز وجل:" {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة:٤٤] مع أن الآية تفسيرها عند الصحابة لا يتماشى مع مذهبهم المنحرف.

المسألة الثانية: الآثار المترتبة على التكفير

أولا: الآثار المترتبة على المكفر

١. حبوط العمل: قال تعالى: {فَأُولَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة:٢١٧].

٢. والقتل إذا لم يتب:عن ابن عباس ﷺ قال رسول الله ﷺ "من بدل دينهُ فاقتلوه"· (البخاري، ١٩٨٧)

٣. الكفر والردة: عن أبي ذر _ ﷺ _أنه سمع النبي ﷺ يقول: "لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك"· (البخاري ع.، ١٩٨٧) "فمن قال لآخر أنت فاسق أو قال له أنت كافر، فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور، وأنه إذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء؛ لكونه صدق فيما قال ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقاً ولا كافراً". (العسقلاني، ١٩٥٩)

٤. فقدان الحقوق التي أقرها الإسلام: ومنها عدم قبول شهادته ويمنع من التوريث ولا يزوج ولا يترحم عليه

ثانيا: الآثار المترتبة على الفرد والمجتمع:

الآثار المترتبة على الفرد تتمثل في قطع الموالاة وإحلال مبدأ الأخوة، وإسقاط العبادات، وحبوط العمل، والقنوط من رحمة الله والانعزال والابتعاد عن فعل الخير، والاستدراج في فعل المعاصي والجرائم، والحقد على المجتمع. الآثار المترتبة على المجتمع منها: استباحة الدماء، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتكفير المجتمعات، ونشر الحقد البغضاء والكراهية، والفرقة والاختلاف، ففي حديث الرسول _ﷺ_ الذي يرويه علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعتُ رسول الله_ ﷺ _قال: "سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرُقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية". (البخاري م.، ١٩٨٧)

المسألة الثالثة: صور معاصرة للتكفير

الحديث عن ظاهرة التكفير في العصر الحديث يُراد به التكفير المذموم: تكفير أهل القبلة، دون مراعاة لشروط التكفير وموانعه ودون الرجوع إلى الراسخين في العلم.

ومن أظهر الفرق التي قامت على التكفير: جماعة المسلمين، أو كما يُطلق عليها اسم:

١. جماعة التكفير والهجرة: وقد أطلق عليها هذا الاسم بسبب تكفيرهم للمجتمعات الإسلامية، ووجوب الهجرة منها، إلى بلد يطبق فيه شرع الله، وقد ظهرت هذه الجماعة الغالية في مصر عام ١٩٧١م، وانتشرت بين طلبة الجامعات خاصة، ولها امتداد في بعض الدول العربية مثل اليمن والأردن والجزائر وغيرها. ومن أشهر اعتقادات تلك الجماعة تكفير الحكام بإطلاق ودون تفصيل لأنهم لا يحكمون بشرع الله، وبناء عليه كفروا المحكومين لرضاهم بهم بدون تفصيل، وكفروا العلماء لعدم تكفيرهم أولئك الحكام. (الجهني، ١٩٩٩)

٢. فرقة الأحباش: وهي: طائفة ضالة، ظهرت في العصر الحاضر في لبنان، بغرض إفساد العقيدة وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية. وقد أخذت قضية التكفير حيزًا كبيرًا من اهتمام الأحباش، وبأسلوب عدواني متطرف، لدرجة أنهم اتخذوا المساجد حلبة لصراعهم مع مخالفيهم وتكفيرهم لهم، فهذه الفرقة صبت جام غضبها التكفيري على علماء المسلمين الأجلاء، والدعاة الصادقين، من هؤلاء العلماء: ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، ومحمد ناصر الدين الألباني. (الشهراني، ٢٠٠٠)

المطلب الخامس: دور العقيدة الإسلامية في مواجهة التكفير.

المسألة الأولى: دور العقيدة الإسلامية في مواجهة التكفير للعقيدة الإسلامية دور كبير في مواجهة التكفير، ويتمحور دورها في أمور كثيرة منها:

أولاً: غرس العقيدة الصحيحة: في نفوس الناس من أهم الواجبات اليوم؛ فقد مكث الرسول ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو الناس إلى التوحيد، وغرس العقيدة في نفوس الناس، وإزالة كل ما يعارضها أو يناقشها من ألوان الانحرافات، والمخالفات، فلقد انتشر بين أفراد الأمة تكفير بعضهم البعض لجهلهم خطورة التكفير وآثاره على الأفراد والمجتمع، فكان لابد من نشر الفهم والتوعية السليمة في أوساط المجتمع.

مِن ذلك المَحَبَّةُ والنُّصرةُ للهِ ولِرَسولِه ودينِه وعامَّةِ المُؤمِنينَ، ويُطلَقُ الوَلاءُ على الميراثِ الذي يَستَحِقُّه المرءُ بسَبَبِ عِتْقِ شَخصٍ في مِلْكِه، أو بسَبَبِ عَقدِ المُوالاةِ، والمرادُ هنا المعنى الأوَّلُ، فمَحَلُّ الوَلايةِ الأُمورُ المحبوبةُ للهِ . (الدمشقي، ١٩٨٥)، (الجوزية، ٢٠١٩)، (الجرجاني، ١٩٨٣). اما البَراءُ: التَّباعُدُ مِنَ الشَّيءِ ومُزايلتُه وانقِطاعُ العِصمةِ، يُقالُ: بَرِئتُ مِن فلانٍ، أي: انقَطَعَت بيننا العِصمةُ، ولم يَبْقَ بيننا عُلقةٌ، وأصلُ (برأ): يدُلُّ على التَّفصِّي والتَّباعُدُ مِمَّا يُكرَهُ مُجاوَرتُه. (منصور، ٢٠٠١)، (الحسين، ١٩٧٨)، البَراءُ اصطِلاحًا: هو مُوافَقةُ العَبدِ رَبَّه فيما يَسخَطُه ويَكرَهُه مِنَ الأقوالِ والأفعالِ والاعتِقاداتِ والذَّواتِ، ويَلزَمُ مِن ذلك البُعدُ والبُغضُ والعَداوةُ لأعداءِ اللهِ ورُسُلِه والمؤمِنينَ، فمَحَلُّ البَراءِ الأُمورُ المكروهةُ للهِ (تيمية ت.، ٢٠٠٥)

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

ولهذا فإن غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة لا تظهر ثمارها على المستوى الذاتي للمسلم فحسب، بل على مستوى البيئة الخارجية وعلاقته بالآخرين، فسلامة العقيدة أو سقمها يمس ويمثل بشكل كبير العلاقة بين أفراد المجتمع أو الأمة، وهي دائما ما تجعل المسلم على بصيرة من أمره فلا يتبع الهوى. (الشيخ، ١٩٩٨)

ثانياً: التوسط في التطبيق ومحاربة الغلو[٣] الديني: الواجب على المسلم التوسط في فهم التطبيق، دون غلو ولا تفريط. قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة:١٤٣]. فقد حارب الإسلام الغلو بجميع أنواعه سواء الغلو الواقع في الاعتقادي، أو الغلو العملي، حيث نهى الإسلام في غلو الأنبياء والصالحين. قال تعالى {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ} [المائدة:٧٧]

ثالثا: غرس عقيدة الولاء والبراء: إن غرس مفهوم عقيدة الولاء والبراء في نفوس أبناء الأمة الإسلامية لهي من أكثر الأمور فعالية في علاج الانحراف في تكفير المسلمين والقضاء عليها، والوعيد الشديد لمن وقع في التكفير لردع من يقع في ذلك ومن باب التخويف. قال رسول الله _ ﷺ_ : "من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما". (ياسين، ١٩٩١)

المسألة الثانية: دور العقيدة الإسلامية في الوقاية من التكفير

يظهر دور العقيدة الإسلامية في الوقاية من التكفير متمثلا في عدة جهات ساهمت في الوقاية من هذه الظاهرة الخطيرة وهي كالتالي:

أولاً: جهود هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وقد قامت هذه الجهة العلمية إلى التنديد بمثل تلكم الأعمال التخريبية , ونبذها , والتحذير منها من خلال البيانات والقرارات الصادرة عن هيئة كبار العلماء في دوراتها الاعتيادية والطارئة , وكذلك ما صدر عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء , وعن سماحة مفتي عام المملكة وعن أعضاء هيئة كبار العلماء مجتمعين أو منفردين من الفتاوى والبيانات والأحكام العلمية والشرعية التي تدين تلكم الجرائم من تكفير وتفجير ، فتجرّم فاعلها وتبرئ الإسلام من تلكم التصرفات , منيطة ذلك بقواعد الشريعة في حفظ الضروريات الخمس: الدين والعقل والنفس والعرض والمال , وتعظيم الدماء والعهود , وتحريم الغدر والظلم , وكشف الشبه الزائفة في التكفير والتبديع والتفسيق.

ثانياً: جهود الجامعات والعلماء وأساتذة الجامعات.

وهم الصفوة بعد كبار العلماء ممن تناولوا هذه القضايا النازلة بالبحث والدراسة والغوص في الجذور والأسباب والنتائج وسبل العلاج من خلال:

١- البحوث العلمية المعمقة والمركزة في هذه الفتنة، وأسبابها وتأريخها وعواقبها.

٢- الأطاريح العليا في رسائل الماجستير والدكتورة.

٣- إقامة المؤتمرات العالمية العلمية، وعقد الندوات، وحلقات البحث والنقاش، العلمي المنهجي، لتعزيز مواجهة هذه الأغاليط، وكشف الفتنة، ومعالجة أسبابها وأثارها.

٤- عقد البرامج الإعلامية الحوارية والإرشادية في وسائل الإعلام المتنوعة تحذيرًا وإرشادًا.

٥- صياغة المناهج الدراسية الدينية والتربوية والاجتماعية على أساس سماحة الإسلام واعتداله.

٦- اهتمام الجامعات بإنشاء كراسي علمية منها كرسي الأمير نايف للقيم الأخلاقية في جامعة الملك عبد العزيز وكرسي الأمير خالد الفيصل لتأصيل منهج الاعتدال السعودي بجامعة الملك عبد العزيز وجامعة جدة وغيرها.

ثالثًا: جهود وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ورئاسة الهيئات وأجهزة التوجيه.

وهي الجهات المسئولة عن التوجيه الديني والإرشادي، في معالجة هذه الظاهرة من خلال وسائل كثيرة وذلك بقيام المسجد بدوره من خلال الإمام وخطب الجمعة والمحاضرات والندوات العلمية والوعظية، ومن خلال محاصرة هذا الفكر الدخيل وتحجيمه ومحاربته وعزله عن التأثير بإيجاد البرامج العلمية والدعوية والتربوية الموجهة إلى شغل الشباب عن هذه الفتن من خلال مناح عدة، كمسابقات حفظ القرآن والسنة والنبوية، والمراكز الموسمية، والدورات العلمية والتوعية، والمعارض وغيرها.

رابعاً: جهود وزارة الإعلام والثقافة

وذلك من خلال إذاعة القرآن الكريم بالخصوص، حيث تتولى التوجيه الديني تركيزاً ومعالجة لهذه الظواهر من خلال مشاركة أصحاب الفضيلة من العلماء والقضاة وأساتذة الجامعات وطلبة العلم، وذوي الخبرة.

ومن خلال أيضًا بقية الإذاعات والصحف والمجلات والبرامج التلفازية في القنوات الفضائية، كذلك استخدام لغة العصر الحديثة من وسائل التواصل الاجتماعي في تحذير الشباب من هذه الظاهرة وارجاعهم إلى الحق.

وأخيرا: فهذه بعضا من الجهود المبذولة في العناية بالشباب - وهم عماد الأمة ومعقد الأمل - بالتوجيه والتحذير وراء المناهج الضالة سواء كانت مناهج غلو وتشدد يفضي إلى

---

[٣] الغلو في اللغة: يطلق على مجاوزة الحد، فغلا في الأمر يغلو غلواء، أي جاوز فيه الحد (الفارابي، ١٩٨٧).وأما تعريف الغلو في الشرع فيقوم على معناه اللغوي، فالغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء...وضابطه تعدي ما أمر الله به .فالغلو في الشرع يطلق على (الإفراط في مجاوزة المقدار المعتبر شرعا في أمر من أمور الدين) (عبدالله، ١٩٨٥) ، (تيمية ش، ١٩٩٩)، (اللويحق، ١٩٩٢).

العنف والتكفير، أو مناهج انحراف وتحلل بنبذ الدين والاستقامة عليه، فهذان ضدان لا يجتمعان، ويجب من ناحية العدل والإنصاف ذمهما جميعًا.

الخاتمة:

وبعد هذا التطواف السريع في رحاب هذا الموضوع أستطيع التوصل للآتي:

أولا: لا تكون النجاة في الدنيا والآخرة إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، ومتابعة مذهب السلف الصالح وما جاءوا به.

ثانيا: أن للعقيدة الإسلامية دور فعال في علاج الانحرافات التي أصابت الأمة الإسلامية.

ثالثا: التكفير حق لله -عز وجل -لا مجال للعقل ولا للهوى فيه نصيب، فتكفير الآخرين لا يكون إلا ضمن قواعد وضوابط.

رابعا: ضعف الوازع الديني لدى شباب الأمة الإسلامية اليوم ناتج عن الانحراف عن القيم والأخلاق فمحاسبة النفس ومجاهدتها أولاً بأول يحمي المجتمعات من الانحرافات.

التوصيات:

أولا: عرض برامج وخطط علمية مدروسة ومبرمجة بعناية لعلاج ظاهرة التكفير عن طريق الحوار والمناقشة والحجة، واستخدام البرامج العلمية والإعلامية والتربوية والاجتماعية قريبة المدى وبعيدة المدى.

ثانيا: استنهاض همم العلماء والدعاء والمفكرين والمربين؛ للإسهام في علاج هذه المشكلة وتخفيف آثارها والحد من انتشارها.

ثالثا: أن تسهم الجامعات والمؤسسات التعليمية والتربوية، والمراكز البحثية في علاج هذه الظاهرة.

فهرس المراجع:

القران الكريم:

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (١٩٥٥). صحيح مسلم. (محمد فؤاد عبد الباقي، المحرر) القاهرة، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني. (٢٠٠٩). سنن أبي داود. (شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، المحرر) القاهرة، جمهورية مصر العربية: دار الرسالة العالمية.

أبي العباس أحمد بن علي المقرئ. (٢٠٠٥). المصباح المنير في غريب شرح الكبير (المجلد ١). (عادل مرشد، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة.

أحمد بن تيمية. (٢٠٠٤). ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه. (عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المحرر) المدينة المنورة، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني. (١٩٥٩). فتح الباري شرح صحيح البخاري. (محب الدين الخطيب، المحرر) بيروت: دار المعرفة.

الزنيدي عبد الرحمن بن زيد. (١٩٩٨). مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، دراسة لمناهج الفكر الإسلامي المعاصر وللعناصر المنهجية في دراسة أصول الدين (المجلد ١). مركز الدراسات والإعلام، دار اشبيليا.

تقي الدين أبو العباس احمد بن عبد الحليم ابن تيمية. (٢٠٠٥). مجموع الفتاوى (المجلد ٣). (أنور الباز، عامر الجزار، المحرر) دار الوفاء.

سعد بن علي الشهراني. (٢٠٠٠). فرقة الأحباش "نشأتها – عقائدها – آثارها" (المجلد ١). مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. (٢٠٠٥). الاستغاثة في الرد على البكري. (د. عبد الله بن دجين السهلي، المحرر) الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع.

عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي. (٢٠٠٥). لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المجلد ٨). القاهرة، مصر: دار المعارف، القاهرة، ٤/ ٣٠٣٠-٣٠٣٣، مادة (عقد)، والقاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. (١٩٨٧). صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن (١٥/٨) رقم ٦٠٤٥. (المجلد ٣). (مصطفى ذيب، المحرر) مصطفى ذيب: دار ابن كثير.

عبد الرحمن السديس. (٢٠٠٦). العقيدة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن. الرياض، المملكة العربية السعودية: جامعة نايف للعلوم الأمنية، الأمن الفكري مركز الدراسات والبحوث.

عبد الله بن وكيل الشيخ. (١٩٩٨). تأملات دعوية في السنة النبوية (المجلد ١). الرياض: دار اشبيليا للنشر والتوزيع.

عثمان ضميرية. (٢٠٠١). أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة (المجلد ١). دار الاندلس.

علي بن محمد البزدوي الحنفيى. (٢٠١١). أصول البزدوي - كنز الوصول الى معرفة الأصول. مطبعة جاويد بريس - كراتشي.

لابن تيمية. (٢٠٠١). جامع الرسائل (المجلد ١). (محمد رشاد سالم، المحرر) الرياض: دار العطاء.

لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. (١٩٨٧). صحيح البخاري- كتاب استتابة المرتدين المعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة (١٥/٩) رقم

٩٦٢٢. (المجلد ٣). (مصطفى ذيب، المحرر) بيروت: دار ابن كثير.

لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي. (١٩٩٤). الذخيرة. (محمد حجي، المحرر) بيروت، لبنان: دار الغرب.

مانع بن حماد الجهني. (١٩٩٩). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (المجلد ٤). دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

مجموعة من العلماء. (١٩٨٤). شرح العقيدة الطحاوية: لمحمد ناصر الألباني (المجلد ٨). بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي.

محمد آل علي. (١٩٩٨). أصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري (المجلد ١). دار المؤيد.

محمد بن اسماعيل البخاري. (١٩٨٧). صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (١٦/٩) رقم ٩٦٣٠. (المجلد ٣). (مصطفى ذيب، المحرر) دار ابن كثير.

محمد بن سعد الشويعر. (١٩٩٠). مجموع الفتاوى: مجموع فتاوى ابن باز: لابن باز. موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

محمد جبر الألفي. (١٩٧٩). الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: لمحمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري. الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

محمد رشاد سالم. (١٩٧١). درء تعارض العقل والنقل: لشيخ الاسلام ابن تيمية. الرياض: دار الكنوز الأدبية.

محمد علي عجال. (١٩٩٧). الرد على البكري – تلخيص كتاب الاستغاثة: لابن تيمية (المجلد ١). المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: مكتبة الغرباء الأثرية.

محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي. (٢٠٠١). تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية.

مصطفى سعيد، ومحي الدين مستو. (٢٠٠٦). العقيدة الإسلامية، أركانها، حقائقها، مفسداتها (المجلد ٦). سوريا، دمشق: دار الكلم الطيب.

ياسين، م. ن. (1991). الإيمان. (Vol. 1). القاهرة، مصر: مكتبة السنة.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

دور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال

The role of religious institutions in promoting a culture of tolerance and moderation

د. يعقوب بن يوسف العنقري

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المشارك بكلية الشريعة بجامعة القصيم.

Dr. Yaqob Yousef Alanqeri

Associate Professor of Dawah and Islamic culture, Faculty of Sharia, Qassim University.

E-mail: ankry@qu.edu.sa

الكلمات المفتاحيّة:

المؤسسات الدينية، التسامح، الاعتدال، الثقافة.

KEY WORDS:

religious institutions, tolerance, moderation, culture.

مستخلص البحث:

هذا البحث المعنون بدور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال، يهدف إلى بيان قيم التسامح والاعتدال في الدين الإسلامي، ودور المؤسسات الدينية في تعزيز هذه الثقافة. ولتحقيق هذا الهدف استخدم الباحث المنهج الوصفي، وتوصل إلى النتائج التالية:

١- ثمة قيم لها دورها وفعاليتها في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال، والإخلال بها يتنافى مع التسامح والاعتدال، وهذه القيم تتمثل في قيمة الحرية الدينية، والاحترام، والعدل، والرحمة، والعفو.

٢-تقع على المؤسسات الدينية مسؤولية كبرى في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال في الأفراد والمجتمع، ولها دورها المؤثر الإيجابي في تحقيق ذلك.

٣-هناك وسائل وأدوات متنوعة للمؤسسات الدينية يمكن من خلالها تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال، منها ما هو مرتبط بجانب العبادات كخطبة الجمعة والعيدين، ومنها ما هو مرتبط بالجانب الإعلامي كالقنوات الإعلامية والإذاعة ووسائل التواصل الاجتماعي بأنواعها، ومنها ما هو مرتبط بالجانب العلمي والدعوي كالدروس العلمية والمحاضرات والندوات والمؤتمرات .

٤-تعد وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الرقمي المعاصر أحد أهم الوسائل للمؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال وأكثر تأثيراً، بحث يصلها مداها لكل أطياف وأفراد المجتمع.

ABSTRACT:

This research aims to demonstrate the values of tolerance and moderation in the Islamic religion, and the role of religious institutions in promoting this culture. To achieve this goal, the researcher used the descriptive approach, and came to the following conclusions:

1-There are values that have their role and effectiveness in promoting a culture of tolerance and moderation, and violating them is incompatible with tolerance and moderation, and these values are represented by the value of religious freedom, respect, justice, mercy and forgiveness.

2- Religious institutions have a great responsibility to promote a culture of tolerance and moderation in individuals and society, and they have a positive influential role in achieving this culture.

3- There are various means and tools for religious institutions through which a culture of tolerance and moderation can be promoted, some of which are related to the aspect of worship such as Friday sermons and Eids, and some of which are related to the media aspect such as media channels, radio and social media.

4- Social media and contemporary digital media are one of the most important means for religious institutions to promote a culture of tolerance and moderation.

المقدمة:

امتاز الدين الإسلامي بتعزيزه لثقافة التسامح والاعتدال في حياة المسلم الخاصة والعامة، وبتشريعه لجملة من القيم الإسلامية المرتبطة بتعزيز هذه الثقافة وترسيخها في المجتمع المسلم، فأصبحت ثقافة التسامح والاعتدال حاضرة منذ بداية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ففي المدينة المنورة مهجر النبي صلى الله عليه وسلم ومكان دولته كانت ثقافة التسامح في ذلك المجتمع المسلم والتعايش بين مكوناته وأطيافه ظاهرة وحاضرة، وقد أكدها النبي صلى الله عليه وسلم بمؤكدات كوثيقة المدينة وبتوجيهاته النبوية التي كان يوجه بها المسلمين؛ بما يصب في تعزيز هذه الثقافة في الشخصية المسلمة.

ويعد التسامح أحد السمات البارزة للدين الإسلامي والتي ذكرها المؤرخين من المسلمين وغيرهم وبينوا أن سماحة الدين الإسلامي وأتباعه المسلمين مع أصحاب الديانات الأخرى في أوج قوة الحضارة الإسلامية جعل أتباع هذه الديانات باقين إلى وقتنا المعاصر، بل إن حماية المسلمين لهم حمتهم من تسلط الآخرين عليهم وإبادتهم، وهذا كله عائد إلى ترسخ قيم التسامح والاعتدال في المسلمين، وتوجيه أقوالهم وأعمالهم وفق هذه القيم النبيلة في دين الإسلام.

وفي قتنا المعاصر الذي تتعدت فيه وسائل التأثير، ووسائل التواصل، وأنماط الحياة، وتقاربت المجتمعات وأصبح العالم في شرقه وغربه كالقرية الواحدة، فإن الحاجة ماسة إلى تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال في المجتمع؛ لتؤدي دورها الريادي والحضاري، وتعكس صورة الإسلام الحقيقة.

ولما كان أهل العلم مناط بهم توعية الناس وتبصيرهم بدين الله وما فيه صلاحهم لهم في أمور معاشهم ومعادهم، وما يحقق السلام والرقي للمجتمعات، كان على المؤسسات الدينية في وقتنا الحاضر دور مهم في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال في المجتمع، وتوعية المسلمين بالمسلك القويم والمنهج السليم في المعاملة مع الآخرين، ووقاية الأجيال من مزالق الغلو وبراثن التطرف والتي وجد أصحاب تلك الأيدلوجيات المتطرفة وسائل التواصل الاجتماعية موطناً ينفثون من خلالها سمومهم الفكرية على فئام من المسلمين، رغبة في ضلالهم عن الطريق المستقيم بشبهة واهية وشائعات زائغة.

لذا جاء هذا البحث ليبين الدورالمنوط بالمؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال في المجتمع، ومساهمتها الدينية والحضارية.

أسئلة البحث:

يثير هذا البحث العديد من التساؤلات التي تتطلب الإجابة عنها، وتتمثل في السؤال الرئيس (**ما دور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال**)، ويتفرع عنه التساؤلات الفرعية الآتية:

١-ما قيم التسامح والاعتدال في الدين الإسلامي.

٢-ما دور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال.

أهمية البحث:

١-إبراز صورة الدين الإسلام المشرقة في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال في الفرد والمجتمع المسلم.

٢-الحاجة المعاصرة في ظل التقاربات الحضارية والإنسانية بين الثقافات والمجتمعات لتعزيز ثقافة التسامح والاعتدال.

٣-إظهار دور المؤسسات الدينية وفاعليتها في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال في الفرد والمجتمع المسلم.

٤-تقديم مادة علمية تساهم في تنمية التواصل الإيجابي الحضاري والإنساني، وبيان الوسائل المتنوعة الفاعلة في تحقيق ذلك.

أهداف البحث:

يرمي هذا البحث إلى تحقيق ما يأتي:

١-إبراز قيم التسامح والاعتدال في الدين الإسلامي.

٢-التعرف على دور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تُعنى بدراسة ثقافة التسامح والاعتدال، وما وجدته من دراسات متَّصِلة بموضوع البحث، فهو على النحو الآتي:

١-التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات:

هذه دراسة للمؤلفين: وليم سليمان قلادة وحسين أحمد أمين ومحمد المسماري وآخرين، الطبعة الأولى ١٩٨٦م. وهذه الدراسة تتركز على إبراز آراء المفكرين ذوي الانتماءات الدينية والفكرية المتباينة في ندوة التسامح الديني بالأمم المتحدة المنعقدة في جنيف في المدة من ٣-١٤ ديسمبر ١٩٨٤م، وقد ضُمنت الدراسة آراء ومناقشات المفكرين حول التسامح الديني وحقوق الإنسان، وتفارق الدراسة السابقة دراستي الحالية في أنها لم تتناول دور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال، كذلك لم تتعرض لقيم التسامح والاعتدال.

٢-التسامح بين القرآن والعهد الجديد:

هذه رسالة ماجستير للطالب: عبدالله محد رباعة، جامعة آل البيت، بتاريخ ٢/٤/٢٠٠٦م. وتهدف هذه الرسالة إلى دراسة مفهوم التسامح، والألفاظ المتقاربة والمتغايرة للتسامح في القرآن والعهد الجديد. وهي دارسة جيدة في المقارنة بين التسامح في القرآن والعهد الجديد وأصوله، والبواعث على ذلك التسامح. وتفارق الدراسة السابقة دراستي الحالية أنها لم تتناول دور المؤسسات الدينية في

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال، كذلك لم تتعرض لقيم التسامح والاعتدال.

٣-السلام في السنة النبوية:

هذه الدراسة للباحث: د. فضل عبد الهادي سالم، منشورة في مجلة جامعة غرب كردفان للعلوم والإنسانيات، جامعة غرب كردفان، ٢٠٠٨م، العدد رقم (٢)، الصفحات: ١٢٤-١٣٦. تهدف هذه الدراسة إلى بيان أهداف السلام ومسمياته وعوامله، ومناقشة شبهة انتشار الإسلام بالسيف، وأن السلام شعار المسلم. وهذه الدراسة جيدة، فقد أفادت أن السلام مرتكز ومبني على تحلي الإنسان بالقيم الإنسانية، وتفارق الدراسة السابقة دراستي الحالية في كونها لم تتطرق إلى قيم التسامح والاعتدال ولم تتناول أيضا دور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال.

٤-منظومة القيم الإسلامية وأثرها في تأكيد التعايش في المجتمع المعاصر:

هذه الدراسة للمؤلف: أ. د. محمد عبد السلام كامل أبي خزيم، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، الناشر دار الكلمة بمصر. وهي دراسة فقهية تهدف إلى بيان بعض القيم الداعمة لتأكيد التعايش تحت مسمى القيم الحضارية وهي: قيمة الحياة والأمن، وقيمة المساواة، وقيمة الحرية، وقيمة العدالة، وقيمة الشورى، وبيان انعكاسات منظومة القيم الإسلامية على السلوكيات الإنسانية كاحترام الخصوصية، وثقافة المواطنة، وكذلك بيان التعايش البيئي والقيم السلوكية المتعلقة بالبيئة وأخلاقيات الحرب. وهذه الدراسة جيدة لكنها لم تتطرق إلى قيم التسامح والاعتدال ولم تتناول أيضا دور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال.

منهج البحث:

اقتضت طبيعةُ هذا البحثِ استخدامَ المنهج الوصفي، وذلك من خلال تتبعي لقيم التسامح والاعتدال في الدين الإسلامي، ودور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال.

تمهيد

التعريف بمصطلحات الدراسة:

١-المؤسسات الدينية:

عرفت المؤسسة بعدة تعريفات، ولعل من أحسنها أن المؤسسة هي: منشأة أُوجدت لهدف محدد، أو لمنفعة عامة، ولديها موارد تعطيها القدرة على ممارسة هذه المنفعة[١].

والمؤسسات الدينية هي: الإدارات أو المنظمات التي أوجدت لتحقيق هدف معين، أو منفعة عامة، ولها صبغتها الدينية، وتتبناها الدولة بشكل رسمي، ولديها موارد تمكنها من تحقيق ذلك.

٢-التسامح:

لغة: قال ابن فارس: " سَمَحَ: السِّينُ وَالْمِيمُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى سَلَاسَةٍ وَسُهُولَةٍ. يُقَالُ سَمَحَ لَهُ بِالشَّيْءِ. وَرَجُلٌ سَمْحٌ، أَيْ جَوَادٌ، وَقَوْمٌ سُمَحَاءُ وَمَسَامِيحُ"[٢].

وقال ابن منظور: " سمح :السَّماحُ والسَّماحةُ: الجُودُ. سَمُحَ سَماحَةً، وسُمُوحة وسَماحاً: جَادَ؛ ورجلٌ سَمْحٌ وَامْرَأَةٌ سَمْحة مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ سِماح وسُمَحاء فِيهِمَا... والمُسامَحة :المُساهَلة .وتَسامحوا :تَساهَلوا"[٣].

فالتسامح في اللغة يدور معناه على السهولة والليونة في المعاملة والمعاشرة مع الناس.

وأما في الاصطلاح: فقد تعددت تعريفات مفهوم التسامح بحسب أنواعه والمنظور الذي يُدْرَس من خلاله، ومن التعريفات:

١-قال الجرجاني: "السماحة :هي بذل ما لا يجب تفضلاً"[٤].

٢-قال ابن عاشور: " إبداء السماحة للمخالفين للمسلمين في الدين"[٥].

٣-قال محمد الجابري: " موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير، سواء كانت موافقة أو مخالفة لمواقفنا"[٦].

والتعريفات السابقة ليس بينها تضاد، ومن خلالها يمكن أن يقال التسامح هو قيمة إنسانية قائمة على مجموعة من المبادئ والأخلاق وتعنى بالمقام الأول اتخاذ الموقف الإيجابي تجاه الآخرين.

٣-الاعتدال:

لغة: قال ابن منظور: " الاعتدال: تَوَسُّطُ بين حالٍ بين حالين في كمٍّ أو كيفٍ، كقولهم: جسمٌ معتدلٌ بين الطول والقصر، وماء معتدلٌ بين البارد والحار...وكلّ ما تناسب فقد اعتدل"[٧].

وأما في الاصطلاح: فالاعتدال هو توسط الإنسان في تحقيق شريعة الله من دون إفراط ولا تفريط[٨].

المبحث الأول

قيم التسامح والاعتدال في الدين الإسلامي

أولاً: قيمة الحرية الدينية:

اعتنى الإسلام بقيمة الحرية الدينية وأولها عناية هامة، فشرع عدم الإكراه والإجبار للإنسان على الإسلام، وشرط لصحة الدخول في الدين أن يكون ذلك بطوعه وإرادته وأن

(١) صوفي، أ.د. عبد القادر بن محمد، دور المؤسسات الدينية في تحقيق الأمن الفكري، مجلة أبحاث، ع: ٢، ص: ٩٣٤.

(٢) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، م: ٣، ص: ٩٩.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، م: ٢، ٤٨٩.

(٤) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص: ١٢١.

(٥) ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: ص: ٢٢٦.

(٦) الجابري، د. محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، ص: ٢٠.

(٧) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، م: ١١، ٤٣٣.

(٨) السديس، د. عبد الرحمن بن عبد العزيز، بلوغ الآمال في الوسطية والاعتدال، ص: ٢٣.

لا يكون مقهوراً أو مقسوراً على اعتقاد ذلك؛ لأن الإكراه والإجبار له يسلب الإنسان الإرادة [(٩)].

والتسامح في الإسلام ليس مقتصرا على عدم الإكراه على الدين وإنما يمتد إلى أيضا إلى حرية ممارسة الشعائر الدينية المتفقة مع ديانته دون الإضرار بالمصالح والمقاصد الدينية الكبرى وأهمها حفظ الدين، وبالنظام الاجتماعي الإسلامي، فالإسلام يتسامح مع المخالف فيما هو كامن في نفسه أو الشعائر التي يمارسها في خاصته دون مجاهرة بها أو دعوة إليها ونحو ذلك [(١٠)].

والنصوص الشرعية الدالة على التسامح والاعتدال في هذا الجانب والإثبات لهذه القيمة كثيرة ومتعددة، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة:٢٥٦]. وقوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ [الكافرون:٦]. وغير ذلك من الآيات القرآنية الداعية إلى الاعتدال والتسامح في عدم الإكراه والإجبار للمخالفين على الدخول في الإسلام.

يقول ابن كثير-رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾" أي: لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسوراً"[(١١)].

ومما يبين هذه القيمة من السيرة النبوية ما جاء في عهده صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران: " ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم، وأرضهم وملتهم، وغائبهم وشاهدهم، وعيريهم وبعثهم. وأمثلتهم لا يغير ما كانوا عَلَيْهِ ولا يغير حق من حقوقهم. وأمثلتهم لا يفتن أسقف من أسقفيته. ولا راهب من رهبانيته. ولا واقه من وقاهيته عَلَى ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس عليهم رهق ولا دم جاهلية، ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش. من سأل منهم حقا فبينهم النصف. غير ظالمين ولا مظلومين بنجران. ومن أكل منهم ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة. ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر ولهم عَلَى ما في هَذِهِ الصحيفة جوار اللَّه. وذمة مُحَمَّد النَّبِيّ أبدا حَتَّى يأتي أمر اللَّه ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مكلفين شيئا بظلم"[(١٢)].

ويتبين من هذا الشاهد السابق كيفية احترام النبي صلى الله عليه وسلم وضمانه للحرية الدينية للآخرين، وممارستهم لشعائرهم في أماكنهم، بل إبقاءهم في مراكزهم الدينية التي كانوا عليها [(١٣)]، وهذا نموذج للتسامح والاعتدال في الدين الإسلامي مع الآخرين.

ثانياً: قيمة الاحترام:

تُعَدُّ قيمة الاحترام من القيم النبيلة، ومظهرًا للرُّقِيّ الإنساني، وقد أولَها الإسلام اهتمامًا كبيراً وحث على التحلي بها، وتوجيه الإنسان سلوكه ليكون وفق هذه القيمة، فلا يأتي الإنسان شيئًا من الأقوال أو الأفعال التي يكون فيه مجانبة لاحترام النفس الإنسانية، أو مُشعِرًا بالإهانة لها.

وتتجلَّى هذه القيمة في النصوص النبوية المتعدِّدة، ففي سياق حَثِّ الإنسان على احترام ذاته، وذلك بالموازنة بين المتطلَّبات الروحية والجسدية، وعدم إهماله لأحد المُتَطَلَّبَيْن اللذَيْن هما من مكوِّنات النفس الإنسانية، والمُشعِرين له بالاحترام الذاتي، ونجد الحديث النبوي يصير احترام الإنسان لذاته بإعطائها حقها الفطري من الحقوق الواجبة عليه تجاهها. فمما ورد في السنة النبوية: (آخَى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزارَ سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أُمَّ الدرداء مُتَبَذِّلَةً[(١٤)]، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعامًا، فقال له: كُلْ، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكِلٍ حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، ثم ذهب ليقوم، قال: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلَّيَا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حَقًّا، ولنفسك عليك حَقًّا، ولأهلك عليك حَقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حق حَقَّه. فأتى النبيَّ ﷺ فذكر له ذلك، فقال له النبي ﷺ: صدق سلمان) [(١٥)]، وفي الحديث الآخر قال رسول الله ﷺ: (يا عبد الله ألم أُخْبَرْ أنَّك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: بلى يا رسول اللهِ، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإنَّ لِجَسَدِكَ عليك حَقًّا، وإنَّ لِعَيْنِكَ عليك حَقًّا، وإنَّ لِزَوْجِكَ عليك حَقًّا) [(١٦)].

فاحترام الإنسان لذاته يقتضي أن لا يُوغِل في جانب على حساب جانب آخر ويميل في الاشباع إلى أحد

(٩) الزحيلي، د. وهبة بن محمد، حق الحرية في العالم، ع: ٩٣، م: ٢٥، ص: ٧١.

(١٠) الغامدي، د. عبد اللطيف بن سعيد، حقوق الإنسان في الإسلام، ص: ١٥٢.

(١١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، م: ١، ص: ٥٢١.

(١٢) البلاذري، أحمد بن يحيي، فتوح البلدان، ص: ٧٢. وابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، م: ١، ص: ٢٦٨.

(١٣) الطيار، علي بن عبد الرحمن، حقوق الإنسان في الحرب والسلام بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، ص: ٦٥.

(١٤) قال ابن حجر" متبذِّلةً أي لابسة ثياب البِذْلة وهي الـمِهنة، وزناً ومعنًى، والمراد: أنها تاركةٌ للُبسِ ثياب الزّينة"، انظر: ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م: ٦، ص: ٤٦٤.

(١٥) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم يرَ عليه قضاء إذا كان أوفق له، حديث (١٩٦٨).

(١٦) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب لزوجكَ عليك حقٌ، حديث رقم (٥١٩٩). ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، حديث رقم (١١٥٩)، مع اختلاف يسير في لفظ مسلم.

الأطراف؛ بما يجانب الوسطية والاعتدال مع النفس، وبما يؤدِّي إلى اعتراء السآمة والكآبة لها على طول المدى، وبالتالي يؤدي ذلك إلى ضعف الشعور الداخلي بقيمته وتحقق سعادته؛ وهذا نتيجة قَمْعِه لمتطلَّبات النفس الأساسية.

ومن النصوص النبوية المؤكِّدة لهذه القيمة قول النبي ﷺ: (مَن لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا)(١٧)، فالاحترام للصغير والكبير كل منهما بحسب ما يناسب مقامه، وهذا الاحترام لهما يُشعِر الصغير بإنسانيته وكرامته؛ بما ينعكس أثره الإيجابي على سُلوكه وأفعاله، كذلك الكبير في السن فاحترامه يكون بتوقيره وإجلاله، وحِفْظ منزلته، مما يكون له أثر في الشعور الإنساني في نفس الصغير قبل الكبير في السن. وهذا الاحترام الإنساني لهما هو نموذج للتسامح والاعتدال الذاتي ولا يتأتى إلا من شخص راسخ في ذاته ثقافة التسامح والاعتدال، فالمتعالي والمتكبر مجانب للاعتدال في تعامله مع الصغير والكبير ممن يراهم دونه.

إن قيمة الاحترام الإنساني لا تقتصر على النفس المسلمة وإنما يشمل التسامح والاعتدال في المعاملة مع غير المسلم، فلا يأتي المسلم شيئا فيه مجانبة للاحترام، وفيه كسر للمشاعر الإنسانية؛ كسَبِّ كُتبهم أو دينهم، أو أماكن عبادتهم؛ فالإنسان يرى أن ما يعتقده جزء من مُكوِّنات كرامته الإنسانية، وأن سب الغير لشيء من معتقداته أو التعرض لها بالكلام السيء هو جرح لكرامته ومجانب للاحترام الإنساني، وبالتالي يقوده إلى مفسدة جليلة وهي التعدي على مقام الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو شيء من المقدسات. ومما يوضح هذا الأمر ويجليه ما رواه عبد الله بن عمر ﵁ قال: إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلًا منهم وامرأة زنَيَا، فقال لهم رسول الله ﷺ: (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟)، فقالوا: نَفْضَحُهم ويُجْلَدُون، فقال عبد الله بن سَلَام: كذبتم، إن فيها الرجم، فأَتَوْا بالتوراة فنشروها...) الحديث(١٨). فالنبي صلى الله عليه وسلم حاكمهم بما في كتبهم وإن كانت محرفة من أحكام، وهذا بحد ذاته جعلهم يشعرون بالتسامح معهم في التقاضي، وإلزامهم بالأحكام التي في شرائعهم دون غيرها من الشرائع.

قال القرطبي-رحمه الله- معلقا على هذا الحديث: "فمتى كان الكافر في مَنَعة وخِيف أن يَسُبَّ الإسلام، أو النبي عليه الصلاة والسلام، أو الله عز وجل، فلا يَحِلُّ لمسلمٍ أن يَسُبَّ صُلْبانهم، ولا دينهم، ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية"(١٩).

كذلك أيضا ما رواه علي بن أبي طالب ﵁ قال: قلت للنبي ﷺ: إن عمك الضال قد مات، قال: (اذهب فوار أباك، ثم لا تحدثنَّ شيئًا، حتى تأتيني) فذهبت فواريته وجئته فأمرني: فاغتسلت ودعا لي(٢٠).

ويتبين في سياق هذا الحديث السابق مراعاة النبي ﷺ لقيمة الاحترام للنفس الإنسانية والتسامح والاعتدال في التعامل مع الآخرين، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ﵁ بإكرام أبيه أبو طالب بدفنه مع أنه قد مات على الشرك. قال القرطبي-رحمه الله-: " وأما الكفار فقد روى أبو داود عن علي قال :قلت للنبي ﷺ إن عمك الشيخ الضال قد مات...ويستحب في القبر سعته وإحسانه"(٢١).

ثالثاً: قيمة العدل:

تعد قيمة العدل من أصول القيم والأخلاق في الإسلام، وركيزةٌ من ركائز الوجود الإنساني في هذا الكون وديمومة عمارته، وهي جوهر الشريعة الإسلامية في جميع مجالاتها وأحكامها فلا تنفك عنها في أي حالة من الأحوال، والله سبحانه وتعالى ما بعثه رسله وأنزل كتبه إلا ليقوم الناس بالقسط وينهجوا العدل في حياتهم بما يقيم لهم أمر دنياهم واستقرارهم(٢٢).

وقد جاءت النصوص الشرعية الكثيرة الحاثة على الاتصاف بهذه القيمة المطلقة وأن يجعل الإنسان حياته مؤطرة بهذه القيمة في جميع الجوانب مع النفس والغير، الموافق والمخالف، والبعد عن ما يضاهها وهو الظلم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل:٩٠] قال الحسن البصري-رحمه الله-: " إن اللهَ عزوجل قد جمع لكم الخيرَ كلَّه والشرَّ كلَّه في آيةٍ واحدة، فوالله ما ترك العدلُ والإحسان من طاعة الله شيئًا إلا جمعَه، ولا ترك الفحشاءُ والمنكر والبغيُ من معصية الله شيئًا إلا جمعَه "(٢٣). ومن فقه البخاري-رحمه الله- في صحيحه أن

---

(١٧) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم (٤٩٤١). والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، حديث رقم (١٩٢٠). وأحمد، حديث رقم (٦٩٣٥)، مع اختلاف يسير في لفظيّ الترمذي وأحمد. صححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، م: ٣، ص: ٢١٣.

(١٨) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام، حديث رقم (٦٨٤١). ومسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنى، حديث رقم (١٦٩٩)، مع اختلاف يسير في لفظ مسلم.

(١٩) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، م: ٨، ص: ٤٩١.

(٢٠) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب الرجل يموت له قرابة مشرك، حديث رقم (٣٢١٤). والنسائي، كتاب الجنائز، باب مواراة المشرك، حديث رقم: (٢٠٠٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، م: ١، ص: ٣٠٣.

(٢١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، م: ٨، ص: ١٤٣.

(٢٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، م: ١، ص: ٣١.

(٢٣) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور، م: ٥، ص: ١١٥.

جعل باب من أبواب صحيحه فيها بيان لمقتضى العدل في الآية، قال: " باب قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠] وترك إثارة الشَّر على مسلمٍ أو كافرٍ"(٢٤).

فقيمة العدل واجب أساسي على المسلم الالتزام بها في كل حالة من أحواله، في المنشط والمكره، والصداقة والعداوة، وفي القول والعمل، والفعل والترك، وفي الحرب والسلم (٢٥). قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [المائدة:٨]. قال الطبري-رحمه الله- في تفسيره: " ولا يحملنكم عداوةُ قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة"(٢٦).

والعدل هو أهو أقل درجات معاملة المسلم لغيره، وثمة درجات كمال أعلى منها من الإحسان والعفو والبر والإحسان وغير ذلك، فلا مندوحة للإنسان في ترك درجة العدل في حال من الأحوال، وهذا يبين أهمية العناية بهذه القيمة والتحلي بها؛ بما يعود أثره على الفرد والمجتمع وغرس التسامح والاعتدال في النفس بغض النظر عن المؤثرات الداخلية أو الخارجية التي تمنعه أو تثبطه عن الالتزام بها.

رابعاً: قيمة الرحمة:

قيمة الرحمة من القيم المطلقة في الدين الإسلامي، وهي سمة ملازمة للإسلام وجزء لا ينفك عنه بحال من الأحوال، فهو دين الرحمة، ومشتمل على الرحمة، ويدعو ويحث على الرحمة بكل من يشترك في عمارة هذا الكون من الإنسان والمخلوقات. والرحمة في المنظور الإسلامي لا تنحصر في المشارك في الدين والعقيدة؛ وإنما تشمل أيضا المشارك في هذا الحياة، فهي رحمة عامة بجميع الخلق (٢٧).

والرحمة لا يلزم أن يكون باعثها المحبة والمودة القلبية للمرحوم، وإنما باعثها الفضيلة الخُلُقية في الذات الإنسانية، فالإنسان في تعاملاته الحياتية مع المشاركين له في الكون لا يستلزم اقتران تلك التعاملات الحياتية بالمحبة والكراهية القلبية. وقد بين هذا الأمر الذي أشرنا له القرافي-رحمه الله- قال:" وإذا كان عقد الذمة بهذه المثابة تعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع وصار من قبل ما نهى الله عنه في الآية وغيرها...وأما ما أمر به من برهم من غير مودة باطنية فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفا منا بهم لا خوفاً وتعظيماً..."(٢٨).

وعندما نتأمل سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته نجد نصوص وشواهد عديدة تبين عنايه بهذه القيمة مع المسلم وغيره، فمن ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)(٢٩). قال ابن بطال-رحمه الله- موضحا عمومية قيمة الرحمة وشموليتها: " قال المؤلف: في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها، وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفي كل حيوان، فلم يخلقه الله عبثاً، وكل أحد مسؤول عما استرعاه وملكه من إنسان أو بهيمة..."(٣٠).

أيضا ما روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي-صلى الله عليه وسلم-: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت) إلى أن قال (فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) (٣١).

وتتجلى قيمة الرحمة في هذا النص فعلى الرغم من أن كل أعمال المشركين موجبة لحول العقوبة عليهم من الله، إلا

---

(٢٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، م: ٤، ص: ١٠١.

(٢٥) الحصين، صالح بن عبد الرحمن، العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة، ص: ٣٢.

(٢٦) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م: ٨، ص: ٢٢٤.

(٢٧) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، م: ١٧، ص: ١٦٨. والطريقي، أ.د. عبد الله بن إبراهيم، الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، ص: ١٢-١٣.

(٢٨) القرافي، أحمد بن إدريس أنوار البروق في أنواء الفروق، (السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، م:٣، ص:١٥.

(٢٩) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تبارك وتعالى ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾، حديث رقم (٧٣٧٦)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم (٢٣١٨).

(٣٠) ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، م: ٩، ص: ٢١٩.

(٣١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم (٣٢٣١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم (١٧٩٥)، واللفظ للبخاري.

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينظر إليهم بمنظور الرحمة والأمل؛ " فوجود الكفر أو الفسوق أو العصيان في شخص ما أمر يدعو للرحمة والتأسف، لأنه مبتلى، والمبتلى لا ينبغي تعنيفه أو إظهار التعالي عليه؛ بل إن على المسلم المعافى، أن يحمد ربه على العافية، ويرحم هذا المبتلى، بتوجيه النصح إليه، ودعوته إلى طريق الحق بالأسلوب المناسب"(٣٢).

وبهذا يتبين أهمية قيمة الرحمة في الإسلام وأثرها في ترسيخ ثقافة التسامح والاعتدال في الأفراد والمجتمعات المسلمة.

خامساً: قيمة العفو:

العفو من المحاسن التي حث عليها الإسلام، وهو اسم من أسماء الله وصفة من صفاته الحسنى، وقد جاءت النصوص الشرعية بالحث والترغيب بالتحلي بها، وترتيب الثواب المهيج للمسلم على الالتزام به، وهو نهج الرسول عليه الصلاة والسلام ومن صفات أولياء المؤمنين، ومن أفضل أخلاق الدنيا والآخرة(٣٣).

ومن النصوص الدالة على قيمة العفو والألفاظ المتعلقة والمرتبطة بها كالصفح وكظم الغيظ ونحوها، قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر:٨٥]. قال السعدي-رحمه الله-: " وهو الصفح الذي لا أذية فيه بل يقابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتنال من ربك جزيل الأجر والثواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب، وقد ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا. وهو: أن المأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى"(٣٤).

ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾[البقرة:٢٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى:٤٠]. وأمر الله رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بالعفو والصفح عن ما يصدر من اليهود الذين هم ضمن مكونات المجتمع المدني فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣﴾ [المائدة:١٣].

ومن السنة النبوية ما رواه ابن مسعود-رضي الله عنه- قال: كأني انظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم- يحكي نبيا من الأنبياء-صلوات الله وسلامه عليهم- ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) (٣٥). وأيضا حديث ابن عباس-رضي الله عنه- قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه، بملحفة قد عصب بعصابة دسماء، حتى جلس على المنبر، فحمد الله ثم أثنى عليه، ثم قال: (أما بعد، فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار، حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام، فمن ولي منكم شيئًا يضر فيه قومًا وينفع به آخرين، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم) (٣٦).

ومما جاء عن الحسن البصري-رحمه الله- في الترغيب بالتحلي بقيمة العفو، قال: " أفضل أخلاق المؤمن العفو"(٣٧).

وهذه النصوص والآثار وغيرها يتضح من خلالها فعالية قيمة العفو في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال، وعناية الدين الإسلامي بهذه القيمة والدور الذي تؤديه في تنمية التواصل الإنساني وتعزيز العلاقات الإنسانية الإيجابية.

المبحث الثاني:

دور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال

للمؤسسات الدينية دور فاعل وهام في تعزيز الثقافات والقيم والأخلاق في المجتمع، ذلك أن عنصر الدين هو أهم العناصر في بناء المجتمعات والحضارات ونهضتها، ولا يمكن لأي مؤسسة أن تقوم بهذا الدور وتمتلك التأثير كما هو الحال للمؤسسات الدينية، ذلك أن المؤسسات الدينية كما يصفها عالم الاجتماع الفرنسي (دوركهايم) "بأنها هي وحدها القادرة على أن توحد البشر في مستوى تصوراتهم ومشاعرهم"(٣٨). وإذا كانت المؤسسات الدينية بهذه الحيوية والفعالية فإن عليها أن تقوم بالدور الإيجابي المطلوب منها في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال وقيمهما في المجتمعات، كل واحدة من هذه المؤسسة بحسب قدرتها واختصاصها.

والمؤسسات الدينية متعددة ومتنوعة، فالمساجد من أهم المؤسسات الدينية(٣٩) وأهمها هذه المساجد الحرمين

(٣٢) أ.د.عبدالله بن إبراهيم الطريقي، التعامل مع غير المسلمين أصول معاملتهم واستعمالهم، ص: ١٣-١٤.

(٣٣) الذماري، يحيى بن حمزة، تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، ص: ١٣١.

(٣٤) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: ٤٣٤.

(٣٥) أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حدثنا عمر بن حفص، حديث رقم (٦٩٢٩)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، حديث رقم (١٧٩٥).

(٣٦) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٦٢٨).

(٣٧) ابن مفلح، شمس الدين محمد، الآداب الشرعية والمنح المرعية، م: ١، ص: ٧١.

(٣٨) مولاي، ناجم، المؤسسات الدينية ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية: من واقع التحديات إلى أفق العلاج، ع: ٢، ص: ٢٦١.

(٣٩) صوفي، أ.د. عبد القادر بن محمد، دور المؤسسات الدينية في تحقيق الأمن الفكري، مجلة أبحاث، ع: ٢، ص: ٩٣٨.

الشريفين، وهيئات كبار العلماء، ورئاسات ومؤسسات الافتاء، ووزارات الشؤون الإسلامية، ووزارات الدعوة والإرشاد، ورئاسات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورئاسة شؤون الحرمين الشريفين، والمنظمات والمؤسسات الإسلامية الخيرية ونحوها.

ويكون دور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال وتعميقها في الأفراد، وتعزيز آليات العمل بها وذلك من خلال جملة من الوسائل والأدوات، منها:

أولاً: الخطبة:

الخطبة لها مكانتها عند الأمم السابقة والحاضرة، ولها في الإسلام أيضا مزية خاصة فقد جعلت هناك فضائل وأحكاماً لخطبة الجمعة وصلاتها، ذلك لها قوتها وفعاليتها في إرشاد الناس إلى الفضائل والمحاسن وما فيه نفع لهم وفيه استقامة للحياة الإنسانية، والخطيب يرسخ في المتلقين تلك الثقافة الحسنة وقيمها الفاضلة، ويقنعهم ويستميلهم إلى تلك الثقافة والقيم، ويحملهم على تأريض نفوسهم عليها وتوجيه سلوكهم مستخدماً أدوات شتى من فنون الإقناع وأساليب التأثير(٤٠).

لذلك فخطبة الجمعة والعيدين ينبغي العناية بمضمونهما وتضمينهما تلك الموضوع الدينية والمجتمعية المهمة التسامح والاعتدال، وعرض الأدلة القرآنية والنبوية والشواهد من التراث الإسلامي التي تبين تميز السلف الصالح في هذه الثقافة، وأن التسامح والاعتدال منهج إسلامي راسخ في الإسلام، ولم يتأتى ذلك إلا بقيام العلماء والدعاة في تلك الأوقات والأزمان بدورهم، وتوظيف الوسائل والأدوات التي في مجالهم في إقناع الناس وتوجيهم لما فيه خير في أمورهم الدينية والدنيوية. ومما يؤكد على ما أشرنا له سابقاً من أصالة ثقافة التسامح والاعتدال عند السلف الصالح، ما قاله المستشرق (غوستاف لوبون): " فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا ديناً مثل دينهم. وما جَهله المؤرخون من حِلْم العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السريعة في اتساع فتوحهم، وفي سهولة اعتناق كثير من الأمم لدينهم ونُظُمهم، ولغتهم..."(٤١).

إن خطبة الجمعة له دور رئيس في تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى بعض المسلمين حول بعض القضايا والموضوعات، وإحيائها للقيم الحسنة والفضائل العظيمة وتذكير الناس بها، وحثهم على الالتزام بها(٤٢)، والتأثير على المستمعين ودعوتهم للخير وما فيه صلاح لمعاشهم ومعادهم.

وأهم منابر الجمعة وأعظمها تأثيراً والتي يصل مداها إلى العالم الإسلامي بأسره هو منبر الحرمين الشريفين، فخطبتهما متضمنتين لمقومات الخطبة الناجحة، وهناك مراعاة في مضمونها للموضوعات الدعوية المتعددة، والتأكيد على القيم والأخلاق التي يكون بها قوام الحياة الإنسانية وجودتها، والتحذير من الغلو والتطرف والأهواء التي يشذ بها صاحبه عن جماعة المسلمين، يقول د. السديس: " لا شك أن لمنبري الحرمين الشريفين أثرهما الكبير لدى عموم المسلمين الذين يصل سماعهما ومشاهدتهما إلى شتى أنحاء العالم، ويتجدد صوت أئمة الحرمين الشريفين من فوق منبريهما للحديث عن منهج العلماء الربانيين الراسخين في العلم في النوازل والأزمات والمحن مع التأصيل العلمي للحدث، والاستدلال عليه من الكتاب والسنة، وإبراز الفكر الوسطي المعتدل من مصادره الأصلية..."(٤٣).

وقد عقدت ندوات عديدة في بيان دور خطبة الحرمين الشريفين في هذا الموضوع والمجال، فقد أقامت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ندوة " دور المسجد النبوي في تعزيز الأمن الفكري: في ٢٥ رجب ١٤٣٨هـ(٤٤)، كما أقيمت أيضا ندوة في رحاب جامعة طيبة حول "دور المسجد النبوي في تعزيز الوسطية والاعتدال" في ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٩هـ، وقد تخللها جلسة علمية حول (دور الخطب والدروس في المسجد النبوي في تعزيز الوسطية والاعتدال)(٤٥)، مما يبين أهمية خطبة الجمعة وأثرها في تعزيز التسامح والاعتدال في العالم الإسلامي.

كذلك فقد أطلقت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد والرئاسة العامة للعناية بشؤون الحرمين الشريفين برنامج لزيارة أئمة الحرمين الشريفين إلى دول العالم في هذا العالم الحالي ١٤٤٦هـ؛ لتحقيق هذا المقصد الحسن، كما قال إمام وخطيب المسجد النبوي (د. خالد المهنا) خلال زيارته الخارجية ضمن هذا البرنامج قائلا: "هذا البرنامج يجسد حرص القيادة الرشيدة على تعزيز التواصل مع المسلمين في شتى أنحاء العالم، ونشر قيم التعايش والتسامح ومبادئ الإسلام الوسطي المعتدل"(٤٦).

(٤٠) الفارابي، محمد بن محمد، كتاب في المنطق: الخطابة، ص: ٧.
(٤١) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص: ٦٣٠.
(٤٢) مجلس الدعوة والإرشاد، خطبة الجمعة ومسؤولية الخطباء، ص: ٥، ٢٣.
(٤٣) السديس، د. عبد الرحمن بن عبد العزيز، بلوغ الآمال في الوسطية والاعتدال، ص: ٣٠٩.
(٤٤) وكالة الأنباء السعودية (واس)، الرابط: https://www.spa.gov.sa/w382809
(٤٥) وكالة الأنباء السعودية (واس)، الرابط: https://www.spa.gov.sa/w562163
(٤٦) موقع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، استرجعت بتاريخ ١٤٤٦/٤/٢٤هـ، الرابط: https://www.moia.gov.sa/MediaCenter/News/Pages/23041446_2.aspx

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

وبهذا يتبين دور الخطبة في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال في المجتمع وفعاليتها مع ضرورة أن تقوم الجهة المسؤولة عن الخطب في المساجد والممثلة بوزارة الشؤون الإسلامية أن تضع ضوابط ومعايير لاختيار من يتولى الخطابة[٤٧]، ووضع مؤشرات في متابعة الخطباء في تناولهم لمثل هذه الموضوعات الحيوية.

ثانياً: الفتاوى والبيانات:

لما كان العلماء هم ورثة الأنبياء في تبليغ الدين للناس وتبصيرهم بالحكم الشرعي الصحيح فيما يحتاجونه ويستجد لهم من الأمور التي قد تلبس على كثير من الناس حقيقتها وحكمها الشرعي. وقد أرشد القرآن المسلمين إلى الرجوع إلى أولوا العلم في حال التباس أمر ما عليهم وعدم تثبتهم وتحققهم من حقيقته وعدم معرفتهم بصحتهم من عدمه؛ لأن العلماء لديهم من أدوات العلم ما يستنبطون به حكمه ويعرفون الفعل النافع والضار للناس كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[النساء:٨٣].

والبيانات التي تصدرها مؤسسات الافتاء وهيئات كبار العلماء تكون بشكل موجز وليس مطول؛ وذلك لبيان الحكم الشرعي فيما يقع في أمر المسلمين من أحداث، وأمور مستجدة، ونوازل ونحوها[٤٨]. وهذه الفتاوى والبيانات التي تصدر من هذه المؤسسات والهيئات له تأثير كبير في توعية الناس وتكريس القيم والفكر المعتدل المبنية على الأدلة الشرعية ومقاصد الدين الإسلامي السامية.

والشيء بالشيء يذكر فقد أصدرت هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بيانات وفتاوى كثيرة في بيان المنهج الإسلامي الصحيح، والدعوة إلى الوسطية والاعتدال، ونبذ التطرف وكل ما يتنافى مع التسامح[٤٩]، وقد كان لها جهود كبيرة ومستمرة في تكريس الوسطية والاعتدال والتسامح، وتعرية الأعمال المتطرفة التي تقوم باسم الدين والمنحرفة عن الطريق الإسلامي الصحيح. كما أنها هذه الفتاوى والبيانات التي تصدرها الهيئة قد عززت الأمن الفكري والقيمي الوقائي والعلاجي في الأفراد؛ والذي أثمر في وقاية المجتمعات الإسلامية من تيارات الغلو والتطرف التي اجتالتها في فترة سابقة.

ولأهمية هذه الفتاوى والبيانات ومزيدا من التفعيل الإيجابي في المسلمين وما تتضمنه من الفكر الوسطي المعتدل المرتبط بالنص الشرعي بعيداً عن الأيدولوجيات، فينبغي أن يتم نشر هذه الفتاوى في وسائل الإعلام وقنوات التواصل الاجتماعي المختلفة، وقراءاتها على الناس في المساجد في يوم الجمعة وغيره[٥٠]؛ بما يكون له النفع والخير للمسلمين.

ثالثاً: المحاضرات:

تعد المحاضرات والكلمات العلمية التي يلقيها العلماء والدعاة المؤهلون من الوسائل النافعة في توعية الناس وتكريس القيم السامية فيهم، سواء أكانت في المساجد أو المراكز الاجتماعية أو الجامعات أو المؤسسات الحكومية أو من خلال وسائل الإعلام المرئي، ففيه تذكير وموعظة للفرد المؤمن وتوضيح له ما فيه سلامة لأمور دينيه ودنياه والله عزوجل قد قال في كتابه: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾ [الذاريات:٥٥].

قال السعدي-رحمه الله-: " والتذكير نوعان: تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك، فكل أمر ونهي من الشرع، فإنه من التذكير، وتمام التذكير، أن يذكر ما في المأمور به ، من الخير والحسن والمصالح، وما في المنهي عنه، من المضار. والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيذكرون بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه، من ذلك، وليحدث لهم نشاطًا وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع"[٥١].

وقد كانت هناك جهود من المؤسسات الدينية هيئة كبار العلماء ووزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ورئاسة الحرمين الشريفين في تنظيم محاضرات مكثفة في الوسطية والاعتدال وبيان المنهج الصحيح ونحوها في كافة أنحاء المملكة العربية السعودية؛ مما كان له الأثر في وقاية منظومة المجتمع الفكرية والقيمية. وفي كل عام تنشر وزارة الشؤون الإسلامية تقارير وإحصائيات عن أنشطتها ومن ضمنها ما يتعلق بالوسطية والتسامح والاعتدال، فعلى سبيل المثال في التقرير الإحصائي لعمل الوزارة للعام ١٤٤١هـ/ ١٤٤٢هـ، جاء في الجزء المتعلق بالتوعية العلمية والفكرية أن عدد المحاضرات التي أقيمت في تعزيز الوسطية وتحقيق

---

(٤٧) صوفي، أ.د. عبد القادر بن محمد، دور المؤسسات الدينية في تحقيق الأمن الفكري، مجلة أبحاث، ع: ٢، ص: ٩٥٤.

(٤٨) الشوكي، د. محمد بن علي، جهود هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب والغلو والتطرف، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمنهور، ع: ٥، ص: ٢١٩.

(٤٩) الشوكي، د. محمد بن علي، جهود هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب والغلو والتطرف، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمنهور، ع: ٥، ص: ٢١٩. والذيب، عبد الرحمن بن صالح، التأصيل الشرعي للوسطية والتحذير من الغلو من خلال تقريرات هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية بجامعة المجمعة، ع: ٢٥، ص: ٣٧.

(٥٠) العريفي، د. سعد بن فلاح، دور هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في تعزيز الأمن الفكري، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (المفاهيم والتحديات، ص: ١٠.

(٥١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: ٨١٢.

الأمن الفكري ومكافحة الغلو والتطرف والإرهاب (الأمن الفكري) بلغت (٦٧٣٢) محاضرة، والكلمات العلمية بلغت (١١٠١٧) كلمة، وكما بلغت المحاضرات والكلمات أيضا للعام ١٤٤١هـ/ ١٤٤٢ه، التي أقيمت في تعزيز الوسطية وتحقيق الأمن الفكري ومكافحة الغلو والتطرف والإرهاب (حصانة)، بلغت (٩٥١) محاضرة، والكلمات العلمية بلغت (٢٦٨٤) كلمة[٥٢].

كذلك فقد أطلقت هيئة كبار العلماء برنامج على عدة مراحل يتكون من محاضرات يقدمها أعضاء الهيئة من العلماء تحت مسمى (القيم العليا للإسلام ونبذه التطرف والإرهاب) ويهدف إلى تعزيز الوسطية والاعتدال في أفراد المجتمع وتعزيز الألفة والمحبة بين أطياف المجتمع، وقدمت المحاضرات في المؤسسات الحكومية والمساجد والمؤسسات التعليمية[٥٣].

رابعاً: وسائل التواصل الاجتماعي:

لا يوجد في الوقت المعاصر أوسع انتشاراً وأكثر تأثيراً من وسائل التواصل الاجتماعي، فهي الوسيلة العالمية التي يصل محتواها إلى القريب والبعيد الذي في أنحاء العالم. والتواصل الاجتماعي عبارة " شبكات تفاعلية تتيح التواصل لمستخدميها في أي وقت يشاءون وفي أي مكان من العالم، وتمكنهم من التواصل المرئي والصوتي وتبادل الصور"[٥٤]، فكل فرد صغيراً كان أم كبيرا يستخدم وسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة، ويطلع على المحتوى الإعلامي فيها.

وتطبيقات التواصل الاجتماعي متعددة وأبرزها وأكثرها شيوعاً في البلاد العربية بشكل عام والمملكة العربية السعودية بشكل خاص هي: موقع توتير (أكس)، فيس بوك، برنامج سناب شات، انستغرام، يوتيوب، تيك توك، الواتس أب، التليغرام.

ونظراً لشيوع هذه الوسائل بين أفراد المجتمع وسهولة وصول أي محتوى إليهم من خلال هذه الوسائل، فقد أضحى أصحاب الأيدولوجيات المتطرفة يوظفون وسائل التواصل الاجتماعي في تمرير أفكارهم المتشددة، ويسعون إلى الوصول إلى قدر ممكن من الناس بعيدا عن الرقابة الأمنية[٥٥]، ومن ثم يقومون بأدلجة مجموعة الناس وفق أجندتهم وأفكارهم المتطرفة.

لذلك فإن الضرورة على المؤسسات الدينية أن يكون لها فعالية وحضور ظاهر في وسائل التواصل الاجتماعي المتعددة، ونشر المحتوى الذي يدعم التسامح والاعتدال بشكل مستمر، ومواكبة المستجدات والأحداث والسرعة في بث الرأي والموقف الشرعي، والتوجيه والإرشاد أو التحذير والتنبيه. وليتحقق فعالية هذه الوسائل فإن من الأهمية بمكان أن تستعين المؤسسات الدينية بمستشارين ومتخصصين إعلاميين ونحوهم يعينونها في صناعة المحتوى المؤثر ووضع مواصفات للمحتوى الذي يبث في تلك الوسائل الاجتماعية، والتقييم المستمر لهذه الرسائل من جميع النواحي العلمية والفنية والإعلامية.

واستشعاراً لهذا الأمر فقد قامت الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية على تفعيل برامج التواصل الاجتماعي فأنشئت حساباً لها في موقع توتير (إكس) وأعدت خطة للمحتوى العلمي والإعلامي، كما أنشئت قناة يوتيوب لأمانة هيئة كبار العلماء ينشر فيها الأنشطة العلمية لأعضاء هيئة كبار العلماء، كما أنشأت قناة بث مباشر مرتبطة بقناتها باليوتيوب يبث من خلالها اللقاءات العلمية للأعضاء[٥٦]. كذلك أطلقت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، والهيئة العامة للشؤون الحرمين الشريفين، ورابطة العالم الإسلامي، وغيرهم حسابا لتلك المؤسسات في موقع توتير (إكس)، وبقي أن يكون هناك محتوى مؤثر متجدد في وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى التي لها حضور لدى شرائح المجتمع، يصل مداها إلى شرائح المجتمع كافة.

ومما يضاف إلى ذلك من الاستفادة من برامج الاتصال والتواصل الاجتماعي في ربط الناس بالعلماء الوسطين والمعتدلين وسهولة التواصل معهم، فقد أنشأت الرئاسة العلمية للبحوث العلمية والافتاء تطبيق على الهواتف الذكية باسم (فتوى-اسألني) حيث يستطيع أي شخص من سؤال العلماء المؤهلين للفتوى عن أي مسألة شرعية ويأتيه الرد على سؤاله.

ومن الجدير أن نقول بأن وسائل التواصل الاجتماعي من أهم وسائل الدعوة والتثقيف للناس في الوقت المعاصر، لذلك ينبغي أن يكون هناك عناية من المؤسسات الدينية بهذه الوسائل وأن يكون هناك تفعيل لها ومواكبة للمستجدات التقنية بما يحقق التدافع القيمي والحضاري.

---

(٥٢) وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، التقرير الإحصائي للعام المالي ١٤٤١/١٤٤٢هـ، ص: ٦٣-٦٤.

(٥٣) الموقع الإلكتروني لوزارة الداخلية السعودي، الرابط: https://2u.pw/ESvmPHAI

(٥٤) الدهمش، د. خالد بن محمد، جهود المملكة العربية السعودية في التصدي للإرهاب الفكري من خلال مؤسساتها التربوية في ضوء الإعلام الجديد (شبكات التواصل الاجتماعي)، مجلة كلية التربية بالمنصورة، عدد: ١٠٧، ص: ٢٥٧.

(٥٥) الدهمش، د. خالد بن محمد، جهود المملكة العربية السعودية في التصدي للإرهاب الفكري من خلال مؤسساتها التربوية في ضوء الإعلام الجديد (شبكات التواصل الاجتماعي)، مجلة كلية التربية بالمنصورة، عدد: ١٠٧، ص: ٢٥٩.

(٥٦) وكالة الأنباء السعودية (واس)، الرابط: https://www.spa.gov.sa/1667523

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

خامساً: المواقع الإلكترونية:

تعد المواقع الإلكترونية في الوقت المعاصر أسرع الوسائل في إيصال المعلومات والأفكار والإقناع بها. وقد أصبح الوصول إليها ميسراً وممكناً لكافة شرائح المجتمع من خلال أجهزة الاتصال وغيرها. ويجد الإنسان في قراءته لمقال في هذه المواقع الإلكترونية أنها تحيله إلى مكتبة من الكتب من كثافة المعلومات والمصادر فيها. فالمواقع الإلكترونية في هذا الزمن له دور في التواصل العالمي ونشر المعارف بين الثقافات والمجتمعات.

ولهذا كان لزاما على المؤسسات الدينية مواكبة العصر وإنشاء المواقع الإلكترونية الخاصة بها، وتدعيمها بالمعلومات والفوائد المهمة، والنشر المستمر للقيم الإسلامية وتنويع المحتوى، بما يكون له تأثير إيجابي على الزائر والقارئ، ويسد الطريق على أصحاب الأفكار والإيدولوجيات المتشددة التي تسوق أفكارها في هذه الوسائل، وتنصب شباكها وفخاخها لأبناء المسلمين ممن ليس له ضلاعة في العلم الشرعي أو من أنصاف المتعلمين والمتعالمين.

وقد أنشأت الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء ووزارة الشؤون الدينية والدعوة والإرشاد والهيئة العامة للعناية بشؤون الحرمين ورابطة العالم الإسلامي وغيرها مواقع لها إلكترونية على شبكة الإنترنت، تحتوي على أنشطتها العلمية والدعوية، والبحوث، ومواثيق المؤتمرات، وخطب الجمعة للحرمين، والدروس العلمية في الحرمين، وغير ذلك.

سادساً: الندوات والمؤتمرات:

لا شك أن الندوات والمؤتمرات العلمية له أهمية كبيرة حيث يجتمع فيها نخبة من العلماء والباحثين الذين يكرسون أنفسهم للإثراء العلمي للموضوع، فيقدمون أبحاثهم وأوراقهم التي فيها خلاصة علمية وتوصيات تساهم في التطوير المثمر. والحاجة قائمة في كل مجتمع إلى إقامة الندوات والمؤتمرات فالقضايا والتحديات التي تعتري المجتمعات في مجال القيم تحتاج إلى دراسات ونقاشات ولقاءات علمية تبرز فيها القيم النبيلة، والحلول والطرق التي تعزز بها تلك القيم في المجتمع.

وفي ظل الصراعات والحروب التي تجري في بعض المجتمعات المعاصرة والتي تؤثر بدورها على قيم التسامح والاعتدال لدى الأفراد، وتعلو لغة الصدام والعنف والقتال بدلا منها، فإن وجود مثل هذه الندوات والمؤتمرات المواكبة التي تؤصل وتوجه وترشد في غاية الأهمية، وكلما كان المشاركين من العلماء والباحثين المتخصصين فإن ذلك يكون له أثر إيجابي في تكريس قيم التسامح والاعتدال في المجتمع.

ولهذا لما ظهرت موجات العنف والتطرف كان وجود مثل هذه الوسائل العلمية والدعوية وكثافتها وعمق الطرح فيها عاملاً في انكماش دائرة العنف واضمحلاله، وتحصين أفراد المجتمع من الانحراف لهذه الدائرة، فالاعتدال في الفكر والمنهج والوسطية في العمل والسلوك كان له دور في استمرار التطور الحضاري في المجتمعات المسلمة، وحمايتها من التراجع والتخلف الحضاري.

وقد استشعرت المؤسسات الدينية وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ورابطة العالم الإسلامي دور الندوات والمؤتمرات في تعزيز قيم التسامح والاعتدال، فنظمت عدة ندوات ومؤتمرات في هذا الشأن، ومن أشهر هذه المؤتمرات الدولية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي حول (قيم الوسطية والاعتدال في نصوص الكتاب والسنة) في عام ١٤٤٠هـ بمكة المكرمة، وقد كان من نتائج هذا المؤتمر وثيقة مكة المكرمة والتي اتفق العلماء الحاضرين على بنود تصب في التسامح والاعتدال، وتجنيب المجتمعات الإسلامية النزاعات والحروب الأهلية.

سابعاً: القنوات الإعلامية:

للقنوات الإعلامية في الوقت المعاصر تأثيرها على المجتمع وله دور بارز في تشكيل المفاهيم والقيم والمحافظة عليهما، وإبراز القدوات والشخصيات التي يكون لها تأثير على أفراد المجتمع. لذلك فالبرامج الإعلامية المتنوعة في القنوات الإعلامية خاصة الدينية تشغل حيزاً في يوم أفراد المجتمع، وتوعية وتثقيفه في الموضوعات الدينية التي يحتاجه الفرد المسلم. ووفقا لإحدى الدراسات العلمية فإن متابعة الشباب السعودي للبرامج الحوارية في القنوات التلفزيونية المتعلقة بالقضايا الدينية تحتل المرتبة الثانية ضمن القضايا الأخرى[٥٧]، وهذا كله يبين أهمية تلك القنوات الإعلامية وتأثيرها على شرائح المجتمع.

والمؤسسات الدينية لها حضورها في البرامج الإعلامية التي تبث من القنوات التلفزيونية سواء الفتاوى أو البرامج الدينية وغيرها والتي تربط الناس بالعلماء المؤهلين الذين يقومون بمراعاة قضايا ترسيخ ثقافة التسامح والاعتدال في المسلمين، والتذكير بسماحة الدين الإسلامي ووسطيته، ومراعاة المسلم لحسن المعاملة مع غيره من المشاركين له في المجتمع بغض النظر عن معتقده وطائفته، ومثل هذا الطرح المتكرر لا شك أنه يسهم في تكريس ثقافة التسامح، وتكوين الشخصية الوسطية المعتدلة، وإيجاد مناعة

(٥٧) المريخي، محمد بن هزاع، تأثير البرامج التلفزيونية على ترتيب أولويات الشباب نحو القضايا الاجتماعية في المجتمع السعودية، مجلة البحوث الإعلامية، ع: ٥٣، ص: ٤٣١.

ذاتية لدى أفراد المجتمع ونفور من الأفكار المتنافية مع ثقافة التسامح والاعتدال.

لذلك فإن العلماء المؤهلين والمتخصصين بمشاركتهم في البرامج الإعلامية المتنوعة في القنوات الإعلامية وطرحهم الوسطي المعتدل يساهمون في تعزيز قيم التسامح والاعتدال في المشاهدين، وهذه بلا شك وسيلة مهمة في ترسيخ القيم الإسلامية في المسلمين، وتوجيهم لما يحقق المصالح والمقاصد التي جاء بها الدين الإسلامي.

ثامناً: الإذاعة:

للإذاعة دور فعال في التوعية والتثقيف للمستمعين، ولا يزال تأثير برامجها يصل إلى مجموعة من شرائح المجتمع. والبرامج الإذاعية المتنوعة يؤثر الطرح الديني والقيمي فيها على الناس، فيمكن فيها التركيز على مبادئ الوسطية والتسامح والاعتدال التي جاء بها الإسلام، وجوانب السماحة في الدين، وضرورة الالتزام القيمي، والمسؤولية القيمية.

والمؤسسات الدينية عليها دور كبير في الاستفادة من هذه الوسيلة النافعة، وترتيب المشاركات اليومية للعلماء والدعاة المتخصصين؛ ليبصروا الناس ويفقهونهم بدينهم فيعبدوا الله على وفق ما شرع، ويلتزموا صراطه المستقيم فلا يحيدون ولا يميلون عنه، ويكونوا هداة للناس إلى المنهج الوسطي بعيدا عن غلو الغالين وجفاء الجافين وضلال المضلين.

كذلك فإن وسيلة الإذاعة يمكن الاستفادة منها في نقل خطب الحرمين الشريفين وما فيها من مضامين قيمة سامية، يستفيد منها غير الحاضرين لخطب الحرمين الشريفين في الحواضر والبوادي. ومما يؤكد على هذا أن كثيراً من الناس في بعض الأوقات والظروف يحرصون على الاستماع لخطب الحرمين الشريفين، وينقلون في مجالسهم ما فيها من توجيهات وإرشادات دينية، فينالهم الفائدة من هذه الخطب، ويعم النفع للقريب والبعيد.

تاسعاً: البحوث والكتب:

تعد البحوث العلمية والكتب الرصينة من الموارد الهامة في التأصيل والتعزيز لثقافة الوسطية والتسامح، حيث تتضمن في طياتها ومضامينها الموضوعات المحققة لهذه الثقافة، وما يخلل ويتعارض معها أو يؤدي إلى ما يضاد التسامح والاعتدال من نوازع التشدد والتطرف. فالبحوث والكتب يستفرغ فيها العلماء المؤهلين والمتخصصين وقتهم ويستفيضون في دراسة المسائل وكلام العلماء ثم عرض خلاصته وفحواه على القارئ واستصحابهم لتعزيز ثقافة التسامح والاعتدال في القارئ من خلال ما يكتبونه وينقلونه فيها.

وقد كانت هناك جهود من المؤسسات الدينية في هذا المجال وكان لها ثمار طيبة في التحصين والمعالجة الفكرية والمنهجية لقضايا الغلو والتطرف، حيث نشرت مجلة البحوث الإسلامية التابعة للرئاسة العامة للبحوث العلمة والافتاء مجموعة من الأبحاث الرصينة التي فيها تبصير لعامة المسلمين ومتعلميهم بمنهج الإسلام الصحيح في الفتن وأحداث العنف التي قامت باسم الدين، والدعوة إلى الاعتدال والوسطية ونبذ التشدد في الدين، وإحسان المعاملة لأهل الملة وغيرهم.

والمأمول أن تقوم المؤسسات الدينية وفي مقدمتها الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء ووزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في تصنيف كتب في منظومة القيم الإسلامية والتي يكرس من خلالها ثقافة التسامح والاعتدال في وقتنا المعاصر، وتكون هذه الكتب من المراجع الرئيسة لطلاب الجامعات، وتقام عليها أنشطة طلابية ومسابقات دورية، وتدرج ضمن اختبارات الوظائف الشرعية والتعليمية كالقضاء وغيرها.

الخاتمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام الأتَمَّانِ الأكملان على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن خلال هذا البحث، حاولتُ التعرُّض لموضوع (دور المؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال) وكان من أبرز النتائج المتوصَّل إليها:

١-ثمة قيم لها دورها وفعاليتها في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال، والإخلال بها يتنافى مع التسامح والاعتدال، وهذه القيم تتمثل في قيمة الحرية الدينية، والاحترام، والعدل، والرحمة، والعفو.

٢-تقع على المؤسسات الدينية مسؤولية كبرى في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال في الأفراد والمجتمع، ولها دورها المؤثر الإيجابي في تحقيق ذلك.

٣-هناك وسائل وأدوات متنوعة للمؤسسات الدينية يمكن من خلالها تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال، منها ما هو مرتبط بجانب العبادات كخطبة الجمعة والعيدين، ومنها ما هو مرتبط بالجانب الإعلامي كالقنوات الإعلامية والإذاعة ووسائل التواصل الاجتماعي بأنواعها، ومنها ما هو مرتبط بالجانب العلمي والدعوي كالدروس العلمية والمحاضرات والندوات والمؤتمرات.

٤-تعد وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الرقمي المعاصر أحد أهم الوسائل للمؤسسات الدينية في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال وأكثر تأثيراً، يحث يصلها مداها لكل أطياف وأفراد المجتمع بغض النظر عن العمر والجنس والمكان ونحو ذلك.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

أبرز التوصيات:

-قيام المؤسسات الدينية بعمل دراسات وخطط لاستثمار الوسائل والأدوات الممكنة لها في تعزيز ثقافة التسامح والاعتدال، ودراسة المعوقات وسبل المعالجة لها.

-عقد المؤتمرات والندوات التي تعنى بجانب التسامح والاعتدال، وسماحة الدين الإسلامي في التعامل مع الآخرين.

-إنشاء جائزة للتسامح والاعتدال من قبل أحد المؤسسات الدينية في مستويات متعددة تستهدف أطياف المجتمع بمختلف الأعمار.

المراجع:

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، ط. ٤، الرياض-بيروت: دار عطاءات العلم-دار ابن حزم.

ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، ضبط وتعليق ياسر بن إبراهيم وإبراهيم الصبيحي، ١٤٢٣هـ، الرياض: مكتبة الرشد.

ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عطا، ط.١، ١٤١٠هـ، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط. ٢، تونس: الشركة التونسية.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ١٨٨٤م، تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ط. ١، ١٤١٩هـ، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن مفلح، شمس الدين محمد، الآداب الشرعية والمنح المرعية، بيروت: عالم الكتب.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط. ٣، ١٤١٤هـ، بيروت: دار صادر.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.

الألباني، محمد بن ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط. ١، الرياض: مكتبة المعارف.

الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، ط. ١، ١٤١٩ه، الرياض: مكتبة المعارف.

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط.١، ١٤٢٣هـ، دمشق: دار ابن كثير.

البلاذري، أحمد بن يحيي، فتح البلدان، ١٩٨٨م، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى الحلبي، ط. ٢، ١٣٩٧ه.

الجابري، د. محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، ط. ١، ١٩٩٧م، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ط. ١، ١٤٠٣هـ، بيروت: دار الكتب العلمية.

الحصين، صالح بن عبد الرحمن، العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة، ط.١، ١٤٢٩هـ، مؤسسة الوقف.

الدهمش، د. خالد بن محمد، جهود المملكة العربية السعودية في التصدي للإرهاب الفكري من خلال مؤسساتها التربوية في ضوء الإعلام الجديد (شبكات التواصل الاجتماعي)، مجلة كلية التربية بالمنصورة، يوليو ٢٠٢٠م، ٢٥١-٢٩٩.

الذماري، يحيى بن حمزة، تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، بيروت: دار الكتب العلمية.

الذيب، عبد الرحمن بن صالح، التأصيل الشرعي للوسطية والتحذير من الغلو من خلال تقريرات هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية بجامعة المجمعة، ديسمبر ٢٠٢١م، ٣٤-٥٦.

الزحيلي، د. وهبة بن محمد، حق الحرية في العالم، مجلة نهج الإسلام، وزارة الأوقاف المصرية، كانون الأول ٢٠٠٣م، ٦٦-٧٣.

السديس، د. عبد الرحمن بن عبد العزيز، بلوغ الآمال في الوسطية والاعتدال، ط.٣، ١٤٣٨هـ، الرياض: مدار الوطن.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط. ١، ١٤٢٠هـ، بيروت: مؤسسة الرسالة.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط.١، ١٤٢٠هـ، بيروت: مؤسسة الرسالة.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور، ١٤٣٦هـ، بيروت: دار الفكر.

الشوكي، د. محمد بن علي، جهود هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب والغلو والتطرف، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمنهور، ٣١ ديسمبر ٢٠٢٠م، ٢٠٥-٢٥٨.

الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وجمال عبد اللطيف وآخرون، ط. ١، ١٤٢٠ه، بيروت: مؤسسة الرسالة.

صوفي، أ.د. عبد القادر بن محمد، دور المؤسسات الدينية في تحقيق الأمن الفكري، مجلة أبحاث، كلية التربية بالحديدة، يونيو ٢٠٢٤م، ٩٢١-٩٦٢.

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله التركي، ط. ١، ١٤٢٢هـ، مصر: دار هجر.

الطريقي، أ.د. عبد الله بن إبراهيم، الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، ط٢، ١٤١٤هـ، بيروت: مؤسسة الرسالة.
الطيار، علي بن عبد الرحمن، حقوق الإنسان في الحرب والسلام بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، ط.١، ١٤٢٢هـ، مكتبة التوبة.
العريفي، د. سعد بن فلاح، دور هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في تعزيز الأمن الفكري، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (المفاهيم والتحديات)، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدارسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود، ٢٢-٢٥ جمادي الأولى ١٤٣٠هـ.
الغامدي، د. عبد اللطيف بن سعيد، حقوق الإنسان في الإسلام، ١٤٢١هـ الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
الفارابي، محمد بن محمد، كتاب في المنطق: الخطابة، تحقيق: محمد سليم سالم، ١٩٧٦م، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
القرافي، أحمد بن إدريس، أنوار البروق في أنواء الفروق، ١٤٣١هـ، السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية.
القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القران، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط. ٢، ١٣٨٤هـ، القاهرة: دار الكتب المصرية.
لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ٢٠١٢م، مصر: مؤسسة هنداوي.
مجلس الدعوة والإرشاد، خطب الجمعة ومسؤولية الخطباء، ١٤٢٥هـ، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
المريخي، محمد بن هزاع، تأثير البرامج التلفزيونية على ترتيب أولويات الشباب نحو القضايا الاجتماعية في المجتمع السعودية، مجلة البحوث الإعلامية، جامعة الأزهر، جمادى الأولى ١٤٤١هـ، ٤٠٩-٤٤٢.
مولاي، ناجم، المؤسسات الدينية ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية: من واقع التحديات إلى أفق العلاج، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، يوينو ٢٠١٢م، ٢٦١-٢٨٦.
النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، ط. ١، ١٤٣٨هـ، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.
وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، التقرير الإحصائي للعام المالي ١٤٤١/١٤٤٢هـ.

المواقع الإلكترونية:

موقع وزارة الداخلية.
موقع وزرارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.
وكالة الأنباء السعودية.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

مكانة المرأة على مر التاريخ ": دراسة مقارنة

د. تهاني بنت مطلق بن عبد الله الشايعي
جامعة شقراء- المملكة العربية السعودية.

The Status of Women Throughout History: A Comparative Study"

Dr. Tahani Mutlaq Abdullah Alshaei
Shaqra university - Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: talshaiay@su.edu.sa

الكلمات المفتاحيّة:
المرأة - اليونان – الرومان – حقوق – الهنود – الصينيين.

KEY WORDS:
Women -Greeks- Romans - Rights - Indians – Chinese.

مستخلص البحث:

كرَّم الإسلام المرأة وأعلى مكانتها، وحين نعرج على الحضارات الأخرى كاليونان أو الرومان أو الديانات الوضعية كالهندوسية وغيرها، أو اليهودية والنصرانية نجد أن المرأة تُعامل في هذه المجتمعات على أنها مواطن ناقص، ولذلك جاء البحث في مبحثين: الأول: عن مكانة المرأة في الشعوب القديمة وفي الديانات السماوية قبل الإسلام"، والثاني: عن مكانة المرأة بين الجاهلية والإسلام.

وتكمن أهمية البحث في أنه مقارنة واضحة لحقوق المرأة والنظرة إليها في الحضارات والأديان على مر العصور، لنصل في النهاية لنظرة الإسلام للمرأة وكيف أعلى من شأنها.

والسؤال الأساسي للبحث هو: ما وضع المرأة في الحضارات والديانات القديمة وفي الإسلام؟ وتفرعت عنه أسئلة عن وضع المرأة في الحضارات القديمة واليهودية والنصرانية ثم عند العرب وفي الإسلام.

و**منهج البحث:** المنهج الاستقرائي المقارن، وكان من نتائج البحث: أن المرأة عُوملت معاملة سيئة في كل الحضارات القديمة بما فيها اليهودية والنصرانية ونُظر نظرة احتقار حتى إن بعضها كان يحرقها عند وفاة زوجها، ولما جاء الإسلام أصبحت المرأة إنسانة لها حقوق كثيرة، تجعل كل امرأة مسلمة تفخر بدينها.

ABSTRACT:

Islam honored women and elevated their status. In contrast, in other civilizations like the Greeks, Romans, and man-made religions such as Hinduism, as well as in Judaism and Christianity, women were often treated as second-class citizens. This study explores the status of women in ancient societies and religions before Islam and examines their status in pre-Islamic Arabia and Islam.

The main research question is: What was the position of women in ancient civilizations, religions, and Islam? The study uses a comparative inductive approach. It found that women were generally treated poorly in all ancient civilizations, including Judaism and Christianity, where they were often looked down upon, with some practices even involving burning widows.

Islam, however, gave women many rights, allowing Muslim women to take pride in their faith.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،

فلقد كرَّم الإسلام المرأة وأعلى مكانتها، ورفع عن كاهلها الظلم والقهر الذي كان مفروضًا عليها في المجتمع الجاهلي، واعتبرها مساويةً للرجل في أصل الخلقة البشرية، وفي كثير من الحقوق والواجبات. وحين نعرج على الحضارات الأخرى كاليونان أو الرومان أو الديانات الوضعية كالهندوسية وغيرها، وأيضًا اليهودية والنصرانية نجد أن المرأة تُعامل في هذه المجتمعات على أنها مواطن من الدرجة الثالثة وربما أكثر حين تعامل كأقل من الحيوان، وإن بعض هذه الحضارات التي يفتخر بها بعضهم لم تقدم للمرأة كثيرًا مما قدمه لها الإسلام إلا في العصور المتأخرة جدًّا.

وبعد فهذا البحث تكون من مبحثين:

المبحث الأول: بعنوان "مكانة المرأة في الشعوب القديمة وفي الديانات السماوية قبل الإسلام"، وفيه أتحدث عن المرأة ونظرة الأمم لها، كاليونان، والرومان والهنود والفرس، والصينيين، ثم المرأة في اليهودية والنصرانية.

والمبحث الثاني: مكانة المرأة بين الجاهلية والإسلام، وأوضح فيه نظرة العرب قبل الإسلام للمرأة ثم لما ظهر الإسلام ماذا قدم لها.

موضوع البحث:

بيان مكانة المرأة على مر العصور وحتى ظهور الإسلام وما قدمه لها من حقوق.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في أنه مقارنة واضحة لحقوق المرأة والنظرة إليها في الحضارات والأديان على مر العصور، لنصل في النهاية لنظرة الإسلام للمرأة وكيف أعلى من شأنها.

أسباب اختيار الموضوع:

من أهم الأسباب التي دعتني للكتابة في هذا الموضوع هو أن المرأة قد عانت من الظلم والجور وإهدار الحقوق في الأمم والشرائع السابقة للإسلام، وبلغت مكانة المرأة في العصر الجاهلي أقصى درجات المهانة، فقد حرمت من جميع حقوقها. وهذا ما لا ترضاه الشريعة الإسلامية ولا تقره، بل قد جاءت الشريعة الإسلامية لتؤكد حق المرأة كإنسان مثلها مثل الرجل.

تساؤلات البحث:

السؤال الأساسي هو: ما وضع المرأة في الحضارات والديانات القديمة وفي الإسلام؟

ويتفرع عنه هذه الأسئلة:

١. ما وضع المرأة عند اليونان؟
٢. ما وضع المرأة عند الرومان؟
٣. ما وضع المرأة عند الهنود؟
٤. ما وضع المرأة عند الفرس؟
٥. ما وضع المرأة عند الصينيين؟
٦. ما وضع المرأة في اليهودية؟
٧. ما وضع المرأة النصرانية
٨. ما وضع المرأة عند العرب في الجاهلية؟
٩. ما وضع المرأة في الإسلام؟

منهج البحث:

سرت في هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي المقارن الذي حاولت فيه توضيح كل مسألة تخص المرأة بتفصيل في كل حضارة أو ديانة وضعية أو سماوية، وقد اعتمدت في ذلك بالرجوع للكتب والمراجع الأصلية في كلٍّ.

الدراسات السابقة للموضوع:

هناك مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت بعض الجوانب المتعلقة بالمرأة، من هذه الدراسات:

١. المرأة في المصادر اليهودية التلمود البابلي أنموذجا دراسة عقدية مقارنة، رغد البادي، جامعة القصيم.
٢. مكانة المرأة بين المسيحية والإسلام، سعدية محمد أبو رزيزة، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، ١٤٠٨هـ.
٣. حقوق المرأة في الإسلام، محمد عبد الله عرفة، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

والاختلاف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة هي بيان **النتيجة النهائية وهي التشابه بين الأديان الكتابية المحرفة كاليهودية والنصرانية والملل المنحرفة** عند الشعوب على اختلاف ثقافاتهم وأماكنهم في نظرتهم للمرأة نظرة احتقار وتشاؤم وسلب لحقوقها وإهانتها مما يدلنا على أن أديان الكفر واحدة بخلاف **الإسلام الذي** رفع الظلم عن المرأة، واعترف بكاملية إنسانيتها، وكفل لها من الحقوق ما لم يكفله لها أي تشريع آخر، وقرر لها أهليتها للعبادة والتكاليف الشرعية، وقرر لها أهليتها الاقتصادية والاجتماعية.

المبحث الأول

مكانة المرأة في الشعوب القديمة وفي الديانات السماوية قبل الإسلام

أولًا: المرأة عند اليونان:

كانت المرأة في المجتمع اليوناني أول عهده بالحضارة لا تغادر البيت، وتقوم فيه بكل ما يحتاج إليه من رعاية، وكانت محرومة من الثقافة، لا تسهم في الحياة العامة بقليل ولا كثير، وكانت محتقرة حتى سموها رجسًا من عمل الشيطان، فقد كانت المرأة عندهم كسقط المتاع، تباع وتشترى في الأسواق وهي مسلوبة الحرية والمكان في كل ما يرجع إلى حقوقها المدنية، ولم يعطوها حقًّا في الميراث، وأبقوها طيلة حياتها خاضعة لسلطة رجل وكلوا إليه أمر زواجها؛ فهو يستطيع أن يفرض عليها من يشاء زوجًا، وعهدوا إليه بالإشراف عليها في إدارة أموالها، فهي لا

تستطيع أن تبرم تصرفًا دون موافقته، أما في (إسبرطة)(١) فقد توسعوا في إعطائها شيئًا من الحقوق المدنية؛ فأعطوها شيئًا من الحق في الإرث، وأهليَّة التعامل، وما كان ذلك عن سماحة منهم واعتراف بأهلية المرأة، وإنما كان لوضع المدينة الحربي؛ حيث كان أهلها في حرب وقتال، فكان الرجال يشتغلون بالحرب دائمًا، ويتركون التصرف في حال غيبتهم للنساء، ومع هذا فقد كان أرسطو يعيب على أهل إسبرطة هذه الحرية والحقوق التي أعطوها للمرأة، ويعزو سقوط إسبرطة وانحلالها إلى هذه الحرية والحقوق(٢).

إذن فالمرأة عند اليونان قد عانت من فقدان الأهلية بشكل أو بآخر.

ثانيًا: المرأة عند الرومان:

كان لرب الأسرة أن يُدخل في أسرته من الأجانب من يشاء، ويخرج منها من أبنائه من يشاء عن طريق البيع، وكانت سلطة رب الأسرة على أبنائه تمتد حتى وفاته مهما بلغ سن الأبناء والبنات، كما كانت له سلطة على زوجته وزوجات أبنائه وأبناء أبنائه، وكانت هذه السلطة تشمل البيع والنفي، والتعذيب والقتل، وكانت سلطته ملكًا لا حماية، ولم يُلغَ ذلك إلا في قانون جستنيان (المتوفى ٥٦٥م) (٣)؛ فإن سلطة الأب فيه لم تعد تتجاوز التأديب، وكان رب الأسرة هو ملك كل أموالها؛ فليس لفرد فيها حق التملك، وإنما هم أدوات يستخدمها رب الأسرة في زيادة أموالها، وكان رب الأسرة هو الذي يزوج الأبناء والبنات دون إرادتهم، ولم يكن للأنثى لدى الرومان حق التملك المستقل، ابنة أو زوجة أو أمًّا، حتى عهد قسطنطين الذي قرر أن الأموال التي ترثها البنت من أمها لا تدخل في مال أبيها، غير أن الأب له الحق في استعمالها، وإذا ما تزوجت البنت احتفظ الأب بثلث أموالها، وكذلك الأموال التي تكتسبها البنت بسبب عملها، أو عن طريق بعض أقاربها فإن للأب حق الإشراف على هذه الأموال، وليس للبنت حرية التصرف في مالها دون موافقة الأب، ثم كانت البنت تحت وصاية الزوج بعد وفاة الأب، وبشكل عام فقد تحولت السلطة في عهد الازدهار العلمي للقانون الروماني من سلطة ملك إلى سلطة حماية، ولكنها مع ذلك بقيت قاصرة الأهلية؛ فبينما كانت الألواح الاثني عشر تعتبر الأسباب الثلاثة الآتية أسبابًا لعدم ممارسة الأهلية: وهي السن، والحالة العقلية، والجنس: أي الأنوثة- كان فقهاء الرومان القدامى يعلّلون فرض الحجر على النساء بقولهم "الطيش عقولهن"(٤).

إذن فالمرأة عند الرومان قد عانت من فقدان الأهلية بشكل أو بآخر.

ثالثًا: المرأة عند الهنود:

كانت المرأة في الحضارة الهندية عائقًا للخلاص من دولاب الحياة الجسدي، وخلاص المرء مرهون بالانفصال عنها، ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها، بل يجب أن تموت مع زوجها، وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر؛ حيث أبطلت على كره من رجال الدين الهنود، ولم يكن للمرأة في شريعة منّو(٥) حق في الاستقلال عن أبيها أو

---

(١)إسبرطة: مدينة يونانية تأسست حوالي عام ٩٠٠ قبل الميلاد، عبر تجمع أربع قرى هي: لمناي، ميسوا، كينوسورا، بيتاني، واشتهرت إسبرطة بشعبها العسكري الذي ينشأ فتيانه على القتال ولا شيء غير القتال، توجهت إسبرطة نحو النظام العسكري بعد أن اضطرت إلى خوض حروب طويلة مع جيرانها، ارتأت إسبرطة أن تتحول إلى دولة عسكرية، في عام ٧٠٠ قبل الميلاد ظهر إلى الوجود دستور إسبرطة ويسمى (ريترا الكبرى) ، كان المجتمع الإسبرطي يتكون من ثلاث قبائل، وهو مجتمع ذكوري، يهمّش المرأة. راجع أطلس تاريخ العالم، تأليف: هيرمن كندر- فيرتر هيلجيمن.

(٢) انظر: محمود بابللي، مقام المرأة في الإسلام، دار الشرق العربي، بيروت- لبنان، سنة ١٩٩٣م، (ص٢٨، ٢٩). وأيضًا: مبشر الطرازي الحسيني "المرأة وحقوقها في الإسلام" دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان. (ص٨، ٩).

(٣) الإمبراطور جستنيان الأول: كان امبراطورًا رومانيًّا شرقيًّا (بيزنطيًّا) حكم منذ أغسطس عام ٥٢٧ حتى وفاته في نوفمبر ٥٦٥. يشتهر بإصلاحه الرمز القانوني خلال لجنة تريبونيان، والتوسع العسكري لأرض الإمبراطورية أثناء عهده، يعرف أيضًا باسم الإمبراطور الروماني الأخير، ولعل من عيوبه الناشئة من دمائه خلقه ورقة طبعه، أن كان من السهل على أصدقائه أن يؤثروا فيه ومن أجل هذا كان كثيرًا ما يتقلب في سياسته. ويخضع في أحكامه لزوجته جرى قانون جستنيان على ما جرى به قانون [ثيودوسيان] فجعل الشريعة المسيحية الأصلية قانون الدولة، بدل القانون الميزات القديمة التي كانت تتمتع بها بعض الطبقات، رفع قانون جستنيان من منزلة المرأة إلى حد ما. وكان إخضاعها للوصاية عليها طول حياتها قد انتهى في القرن الرابع، وبطل المبدأ القديم القاضي بأن الأبناء الذكور هم وحدهم الذين يحق لهم أن يرثوا آباءهم، وبذلت الكنيسة جهودًا كبيرة لتأييد المبدأ الجديد لأن كثيرات من النساء كن يوصين لها بأملاكهن. وحاول جستنيان أن ينفذ آراء الكنيسة الخاصة بالطلاق، وحرموه إلا إذا أراد أحد الزوجين أن يدخل ديرا للنساء أو الرجال، لم يبق بعدئذ أمام جستنيان إلا أن يوحد العقيدة الدينية، وأن يجعل الكنيسة أداة متجانسة يتخذها وسيلة للحكم.

(٤) انظر: السباعي، مصطفى، المرأة بين الفقه والقانون، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة السادسة، سنة ١٩٨٤م: (ص١٥-١٧).

(٥) من سمرتي أي شريعة منو: هو الكتاب المعتمد عند الديانة الهندوسية، ويتضمن مجموعة من الأفكار المشوشة والأحكام المتناقضة مما يعني أنه تم تدوينه في مراحل زمنية متباعدة، والهندوسية ديانة ترتبط بتراث الهند، ومنها استمدت اسمها، وتشمل كل ما يتعلق بالهند من دين وحضارة وعادات وتقاليد، ولم تعد دينًا وضعيًّا وإنما حالة ثقافية، ويؤمن الهندوس بتعدد الآلهة ولا مكان عندهم لعقيدة التوحيد، وتعدد الآلهة عندهم يبدأ بالتثليث، ووجهة نظرهم أن الفوضى عمت الكون في فترة ما فاقتضى الأمر توزيع المهام بين الآلهة. وهم لا يعتقدون بأن مصير الإنسان بعد الموت الجنة أو النار وإنما يتصورون أن الأنفس عددها

زوجها أو ولدها؛ فإذا مات هؤلاء جميعًا وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها، وهي قاصرة طيلة حياتها، كما كانت تقدم قربانًا للآلهة لكسب رضاها؛ فتأمر بالمطر أو الرزق، ويقال في أمثالهم: "ليس الصبر المقدّر والريح والموت والجحيم والسم والنار أسوأ من المرأة"، وقد نزلت المرأة في المجتمع الهندي القديم منزلة الأم، وكان الرجل قد يخسر امرأته في القمار، وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج؛ فإذا مات زوجها صارت كالموءودة لا تتزوج، وتكون هدف الإهانات والتجريح، وكانت أمة بيت زوجها المتوفى، وخادمة الأحماء، وقد تحرق نفسها إثر وفاة زوجها تفاديًا من عذاب الحياة.

ومن الغرائب عندهم أن المرأة في حال وفاة زوجها فإنها تضحي بنفسها، وتحرق معه، وذلك برغبة منها، ويسمى ذلك الساتي، وتقول النصوص الهندية إن الساتي هو أداء لأجل التطهير ويحرّر من الخطيئة المتراكمة على الزوجين (٦).

ومن الغريب عند الهندوس أنهم يعدون من باب تكريم البقرة دفنها إذا ماتت ضمن مراسيم معينة بينما الإنسان يحرقونه، والأكثر غرابة ما كان سائدًا عندهم بشأن النساء حيث كان من طقوسهم إحراق المرأة حية من جثمان زوجها المتوفى، وبقيت هذه العادة سائدة عند بعضهم حتى أواسط القرن التاسع عشر للميلاد حيث سنّت الحكومة البريطانية التي كانت تستعمر الهند يومها قانونًا يمنع ذلك (٧).

والبنت عندهم تكون ملكًا لأبيها، وله فيها حرية التصرف، وهي لزوجها مملوكة كالأمة مدة حياته، وكل شيء في ملكها يكون تحت تصرف زوجها، وبعد موته تكون تحت وصاية أبنائها؛ فإن لم يكن لها أبناء فهي تحت وصاية أقارب الزوج، وهي عندهم غير طاهرة بالفطرة (٨).

إذن فالمرأة في الحقيقة عانت ألوانًا من الاضطهاد والاحتقار والحرمان من التصرف في حقوقها، وبخاصة المالية منها.

رابعًا: المرأة عند الفرس:

لقد خضعت المرأة الفارسية للتيارات الدينية الثلاثة: فمن الزرداشتية إلى المانوية إلى المزدكية، وقد تركت كل ديانة من هذه الديانات بصماتها الواضحة على كيان الأسرة والمجتمع، ويكفي أن تعرف ما عند المزدكية؛ فقد ظهر مزدك حوالي سنة ٤٨٧م، ودعا إلى المنهج ذاته الذي سلكه زرادشت من القول بالثنائية في العالم، وأنه نشأ من أصلين: النور والظلمة، ولكنه خلع على النور والظلمة مفهومًا آخر غير مفهوم (ماني وزرادشت) فكان يرى في النور والظلام أنهما إخوة، ومن ثم يرى أن الناس جميعا سواسية، وما داموا كذلك فليعيشوا في حالة مساواة، وأهم ما تجب المساواة فيه هو المال والنساء، وفي ذلك يقول الشهرستاني: وكان مزدك ينهي الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولما كان أكثر ذلك بسبب النساء والأموال فقد أحلّ النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيهما، كاشتراكهم في الماء والنار والهواء".

ويربط أحد القولين بين فلسفة أفلاطون وبين مبدأ مزدك بقوله:

(قال أفلاطون (٩) بشيوعية المال، وبشيوعية النساء والأولاد، لتتحرر البشرية من كل ميل للملكية، وأسهب في طريقة تربية النساء، ومساواة المرأة بالرجل، وقيام الدولة على تربية الأبناء غير الشرعيين. وأورد كثيرًا من الآراء الفلسفية في شيوعية المال والمرأة والأولاد، وقد ظلت آراؤه مجرد خيال إلى أن قام مزدك بثورته في فارس، وفرض شيوعية المال والمرأة والولد) (١٠).

ومما سبق يتبين لنا أن المرأة عند الفرس كانت

محدود، وأنها تنتقل بالتناسخ من بدن إلى بدن؛ فالنفس في البدن بمثابة السائق للعربة؛ لذلك كان في طقوسهم إحراق الجسد بعد الوفاة ليتحد مع النفس، ويقدس الهندوس نهر الجانج ويحجون إليه سنويا بقصد التطهر ويلقون فيه رماد الموتى بعد الحرق، كما أنهم يقدسون الأبقار، ولا يأكلون لحومها، ولا يعتقدون إطلاقا بالنبوة، ولكن لديهم كتب مقدسة مثل الفيدا، ومنوسمرتي، والكهنة لديهم يدعون البراهمة، وهم شديدو العداء للإسلام والمسلمين.

(٦) انظر: المدني، محمد نمر، الهندوسية ديانة تتجدد: [دار دمشق، ط: ١، ٢٠١٠م] ص (٧٩).

(٧) انظر: السحمراني، أسعد، قاموس الأديان- (الهندوسية- البوذية- السيخية): ط: ٢، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م، ص (٤٤-٤٥).

(٨) انظر: محمود بابللي- مرجع سابق: (ص٣٢، ٣٣) وأيضًا: مصطفى السباعي- مرجع سابق: (ص١٨، ١٩) ، وأيضًا: د. نوال بنت عبدالعزيز العيد، حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية، المدينة المنورة- السعودية، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦م. (ص٢٢).

(٩) أفلاطون: فيلسوف إغريقي، كانت أعماله هي الشرارة الأولى التي أشعلت جميع المسائل والأفكار الفلسفية في العالم الغربي حتى اليوم، ولد أفلاطون في آثينا عام ٤٢٨ قبل الميلاد"، وكانت عائلته من صفوة أهالي أثينا في ذلك الوقت، كما كان زوج أمه، بعد وفاة أبيه، من مساعدي حاكم آثينا (بركليس) المشاركين في السياسة والزراعة، ولكن أفلاطون بدأ منذ صغره مبتعدًا عن الحياة السياسية، ومنعدم الطموح في الحصول على المراكز الإدارية المرموقة، وقد كان لإعدام أستاذه سقراط من قبل السلطة أثر كبير في نفسه، خصوصًا وأن سقراط كان من أصدقاء عائلته، وقد انعكس ذلك الأمر بوضوح في كتاباته. بعد موت سقراط اعتزل أفلاطون الحياة العامة في أثينا، وخرج منها مرتحلًا لعدة سنوات، وفي عام ٣٨٨ قبل الميلاد سافر إلى إيطاليا وصقلية وتصادق مع حاكمها، ثم عاد بعد عام إلى أثينا، وأسس فيها مدرسته التي سماها (الأكاديمية)، وهي معهد كرس لأعمال البحث العلمي، وتدريس الفلسفة والعلوم، وقد قضى أفلاطون معظم حياته في هذا المعهد مدرسًا، ومشرفًا على نشاطاته حتى توفي عام ٣٤٨ قبل الميلاد وهو في الثمانين من عمره.

(١٠) انظر: محمود بابللي- مرجع سابق: (ص٣٣، ٣٤) وأيضًا: نوال العيد "حقوق المرأة" (ص٢٣، ٢٥).

تعيش في انحطاط وذلة؛ فإن التقاليد القديمة في فارس كانت تهين المرأة، وتنظر إليها نظرة التعصب المذهبي الباطل، والتشاؤم بها، والاحتقار لها، ويعتقدون أنها سبب هيجان الشرور التي توجب العذاب والسخط لدى الإله، ولهذا يبيحون على المرأة أن تعيش تحت أنواع من الظلم، وكانت المرأة تحت سلطة الزوج المطلقة الذي كان له أن يحكم عليها بالموت، أو ينعم عليها بالحياة طبقا ما يراه وتطيب له نفسه؛ فكانت كالسلعة بين يديه (١١).

إذن فالمرأة مهانة عند الفرس، ومن باب أولى فأموالها لا يحق لها التصرف فيها إن كانت ذات مال.

خامسًا: المرأة عند الصينيين:

أجبر القانون الصيني المرأة على إطاعة زوجها طاعة عمياء، وقد ذهب "كونفوشيوس" إلى اعتبار المرأة متاعًا تباع وتشرى، وقد كانت فيما مضى مهانة ومستضعفة محرومة الإرث، لم تكن تملك شيئًا عند أبيها أو عند زوجها، ولم تكن مستقلة ماليًّا وذاتيًّا، ولم يكن معترفًا لها بأي حق من الحقوق، ولا حتى بحق الحياة إذ كان مرتبطًا بعشرتها، والصينيون يعتبرون المرأة قاصرة، وهي تشكل عبئًا ثقيلًا على كواهلهم؛ فقد يتخلصون منها بإغراقها في الماء، أو تقديمها طعامًا للخنازير، وإذا عاشت فإنها تعيش على الكفاف، أو أنها تباع بثمن بخس، فكان من جراء ذلك أن انتشر الرق في الصين، حتى كان في الصين حوالي ثلاثة ملايين أمة، إذن فالمرأة عند الصينيين خاضعة طوال حياتها لطاعات ثلاث: طاعة أبيها وزوجها وأخيها البكر في خلال غياب أبيها أو ابنها في حال غياب زوجها(١٢).

سادسًا: المرأة عند اليهود:

كانت المرأة عند اليهود تعيش في ذلة وهوان، حيث كانوا ينظرون إليها نظرة الإذلال والتحقير، وكانوا يعتبرون البنات في منزلة الخادمات، وكانت تقاليدهم تعطي لهم الحق في ألا يزوجوا بناتهم؛ فتعيش طول الحياة في الخدمة، كما كان لهم الحق في أن يبيعوهن بيع الإماء، كما أنه لم يكن للبنات حق في الميراث (١٣).

فالمرأة عند الديانة اليهودية مجردة من معظم حقوقها المدنية في مختلف مراحل حياتها، وتجعلها تحت وصاية أبيها وأهليها قبل الزواج، وتحت زوجها بعد الزواج، وتنزلها في كلا الحالتين منزلة الرقيق، والعقد في شريعتهم عقد سيادة لا عقد زواج، وبمجرد موت الزوج تصبح أرملته زوجة تلقائيًّا لشقيق زوجها، أو لأخيه لأبيه سواء رضيت بذلك أم كرهت (١٤).

ويعد اليهود المرأة لعنة، وأنها أغرت آدم وأوقعته في شراك المعصية، وقد جاء ذلك عندهم في التوراة أن الرب سأل آدم: "هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؟ قال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت"، ويعتبر هذا تحريفًا للكلم عن مواضعه؛ فالموقف من المرأة عند اليهود موقف يتهمها منذ البداية؛ فقد ورد في العهد القديم عن المرأة ما يلي: "درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلًا، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون؛ فوجدت أمر من الموت: المرأة التي هي شباك، وقلبها شِراك، ويداها قيود"(١٥).

فالمرأة عندهم هي أصل الخطيئة الأولى، وهي باعتقادهم معصية آدم وحواء عليهما السلام بإغراء الحيّة لهما بالأكل من الشجرة(١٦)، والتي ترتب عليها الخروج من الجنة، ومن ثم لُعنت الأرض بسبب ذلك، والقصة كما جاءت في سفر التكوين:)) وكانت الحيّة أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الاله فقالت للمرأة: أحقًا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة، فقالت المرأة للحيّة: «من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة: لن تموتا! بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها، وأكلت، وأعطت رجلها ... فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت، فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحيّة غرتني فأكلت، فقال الرب الإله للحيّة: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، وترابًا تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك، وبين المرأة، وبين نسلك، ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه، وقال للمرأة: تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادًا، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك، وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امراتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلًا: لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك)) (١٧).

إذن المرأة عند اليهود مهانة ومحتقرة ومحرومة من كثير من حقوقها، لاسيما المالية منها.

سابعًا: المرأة عند النصارى:

كانت نظرة الكنيسة إلى المرأة أنها ينبوع المعاصي، وأصل السيئة والفجور، وهي للرجل باب من أبواب جهنم؛ لأنها سبب اندفاعه نحو الفجور والآثام، ومنها انبجست ينابيع المصائب التي حلت بالإنسانية، ويكفيها خجلًا وندامة أنها امرأة، وعليها أن تستحي من حسنها وجمالها، لا أن تباهي به، لأنه سلاح إبليس الذي لا يوازيه

(١١) انظر: سالم البهناوي "مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية"، دار القلم، الكويت (ص١٣).
(١٢) انظر: محمود بابللي- مرجع سابق: (ص٢٦، ٢٧).
(١٣) انظر: مبشر الطرازي الحسيني- مرجع سابق: (ص١٢).
(١٤) انظر: محمود بابللي- مرجع سابق: (ص٣٦، ٣٧).
(١٥) سفر الجامعة: (إصحاح ٧/٢٥، ٢٦).
(١٦) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٥٧٩).
(١٧) سفر التكوين (إصحاح ٣: ١-١٧)، وانظر: قاموس الكتاب المقدس ص (٣٢٨)، والله عز وجل والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم دراسة مقارنة: محمد علي البار، ص (٤٤-٤٦).

سلاح آخر، وأنها السبب في الشقاء الذي حل بأهل الأرض، لأنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ولأنها هي التي دفعت بآدم إلى الأكل من الشجرة الممنوعة، كما أن نظرة الكنيسة إلى المرأة من الناحية الزوجية أنها غير مرغوب فيها، فالعلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة نجس في ذاتها يجب أن تُجتنب، ولو كان عن طريق نكاح مشروع، ومن هذه النظرة انتشرت الرهبانية لدى كثير من الرجال، وامتنعوا عن الزواج، وهذا ما جعل الحياة الزوجية مبعث حرج وضيق للرجال والنساء معا، كما أن منزلة المرأة قد انحطت في أعين الرجال، ولم يعد لها ذلك التقدير المتوارث، بعد أن جاءت الكنيسة لتعلن عن انحطاط شأن الأنثى بشكل عام؛ فوضعتها تحت سلطة الرجل من الناحية الحقوقية، وقيدت ملكيتها وإرثها وتصرفاتها، وجعلت كل ما تمتلكه ملكًا لزوجها(١٨).

ولما دخلت أمم الغرب في المسيحية كانت آراء رجال الدين قد أثرت في نظراتهم إلى المرأة، فعقد الفرنسيون في عام ٥٨٦م مؤتمرًا للبحث: هل تعد المرأة إنسانًا أو غير إنسان، وأخيرًا قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل، واستمر احتقار الغربيين للمرأة، وحرمانهم لحقوقها طيلة القرون الوسطى، فقد ظلت تعتبر قاصرة لا حق لها في التصرف بأموالها دون إذن زوجها. ومن الطريف أن نذكر أن القانون الإنجليزي حتى عام ١٨٠٥م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات، وهو نصف شلن قديم، ولما قامت الثورة الفرنسية نهاية القرن الثامن عشر وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية والمهانة، لم تشمل بحنوها المرأة، فنص القانون المدني الفرنسي على أنها ليست أهلًا للتعاقد دون رضا وليها إن كانت غير متزوجة، وقد جاء النص على أن القاصرين هم: الصبي والمجنون والمرأة، واستمر ذلك حتى عام ١٩٨٣ حيث عدلت هذه النصوص لمصلحة المرأة(١٩).

وفي فرنسا حتى تاريخ ٢٠فبراير سنة ١٩٣٨ تمنع المرأة المتزوجة من التصرف في شئونها المالية الخاصة بها، ويمتد سلطان الرجل وقوامته عليها إلى ناحيتها الاقتصادية المادية، وفي سنة ١٩٣٨ نشرت الجريدة الرسمية الفرنسية للقوانين بإلغاء القانون الخاص بمنع المرأة المتزوجة:

أ-من توقيع أذونات الصرف المالية.

ب- من فتحها حسابًا جاريًا في أي بنك من البنوك.

ج- من توقيع أي عقد مالي.

د- من استيلائها على الإرث مباشرة دون إذن القاضي(٢٠).

إذن فمما سبق يتبين ما عانته المرأة عند النصارى من الازدراء والاحتقار، ومن باب أولى حرمانها من التصرف فيما تملك.

ومن هنا نعلم ما عانته المرأة في ظل حكم البشر، وما طالها من الذل والاحتقار وأنواع الصغار حتى انجلى الليل بظلمته، ونالت المرأة في الشريعة الإسلامية ما حرمها البشر إياه، فأصبحت بحق شقيقة الرجل؛ فلله الحمد من قبل ومن بعد.

المبحث الثاني:

مكانة المرأة بين الجاهلية والإسلام

أولًا: مكانة المرأة عند العرب في الجاهلية:

كانت المرأة العربية في الجاهلية أهلًا لتملك الأموال، ومن ذلك تملكها للإبل؛ حيث كانت الإبل أهم عناصر الثروة آنذاك، وغيرها من الأشياء، وقد كانت المرأة تمارس مهنًا وحرفًا تدر عليها المال، ومن النساء من اشتغلن بالتجارة وغير ذلك، فكانت المرأة تتصرف في هذه الأموال كيفما تريد: مستقلة عن أموال زوجها، أو وليها، فالمرأة العربية كانت إذن تتمتع بأهلية مالية كاملة، غير أن المرأة تعرضت للحرمان من بعض الحقوق: كالحرمان من الميراث والمهر، وغيره(٢١).

وقد كان العرب في الجاهليَّة ينظرون إلى البنات نظرة الاستكراه والتشاؤم، وهذه النظرة الخاطئة كانت تسود حياة معظم القبائل العربية عدا بعض القبائل القليلة التي كانت تفتخر بالمرأة، وتعطيها حقها؛ فمنهم من كان ينتسب إلى امرأة، كباهلة نسبة إلى أمهم باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة، ومن الآباء من كُنُوا بأسماء بناتهم: كأبي أمامة النابغة الذبياني(٢٢)(٢٣) لكن النظرة الغالبة هي نظرة الكره والتشاؤم، فإذا ولدت زوجة الرجل الجاهلي ابنة، يفكر الرجل من أول الأمر بشأن المولودة؛ فيعاملها بإحدى المعاملتين: إما أن يتركها تعيش بين أفراد العائلة حتى إذا كبرت وصلحت للاستخدام ألبسها جبة من الصوف أو الشعر، وجعلها ترعى الإبل والغنم في البادية والصحراء شاءت أو أبت، وهذا إذا أراد الرجل أن تكون البنت على قيد الحياة، وإما أن يقتلها بصورة قاسية أليمة إذا بلغت من العمر

(١٨) انظر: محمود بابللي- مرجع سابق: (ص٣٧، ٣٨). وأيضًا: نوال العيد- مرجع سابق: (ص٣١، ٣٢).

(١٩) انظر: د. عبد الودود شلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، بحث منشور على الإنترنت، (ص١٧٣-١٧٥) وأيضًا: د. مصطفى السباعي- مرجع سابق: (١٦، ١٧).

(٢٠) انظر: بحث لمحمد البهي منشور على الإنترنت.

(٢١) انظر: عبد الله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها- دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، سنة ٢٠٠٢م (ج١- ص٣٩) وأيضًا د. محمد نور عبد الهادي شحاتة "تاريخ النظم القانونية والاجتماعية" بحث مقدم بكلية شرطة دبي، الإمارات العربية المتحدة (ص٢٨٣، ٢٨٤).

(٢٢) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، الغطفاني، المضري. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، ينتهي نسبه كما قال التبريزي إلى قيس بن عيلان، ويكنى بأبي أمامة، وقبل أبي تمامة، اتصل بالغساسنة والمناذرة ومدحهم، واشتهر بشعر الاعتذار.

(٢٣) انظر: د. سعاد إبراهيم صالح "أحكام عبادات المرأة في الشريعة الإسلامية دراسة فقهية مقارنة" مكتبة مصباح- جدة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م. (ص٢٠).

ست سنوات، وذلك بأن يحفر لها حفرة في الصحراء ثم يلقيها فيها وهي حية، ثم يدفنها بالتراب، وفي هذا الموضوع يقول الله تعالى استنكارًا لهذا الصنيع السيئ، وحماية للبنت المسكينة من هذا الفعل القاسي:{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى}[النحل:٥٨]: أي بولادة زوجته لأنثى {ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا}[النحل:٥٨]: متغيرًا من الغم والحزن والكراهية لنبأ أن امرأته ولدت {وَهُوَ كَظِيمٌ}[النحل:٥٨]: أي ممتلئ في نفسه حنقًا على المرأة، حتى إنه {يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ}[النحل:٥٩]، ويفكر في شأنها: {أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ }[النحل:٥٩]: أيمسك ما بُشِّرَ به على ذَمِّهِ بأن يستخدمه بعد البلوغ في رعي الإبل والغنم في البادية والصحراء، { أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ }[النحل:٥٩]: أي يخفيه في التراب بدفنه حيًّا، ثم ذم الله أهل الجاهلية على هذا الصنيع فقال: {أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}[النحل:٥٩]، وقد كان الوأد يتم بإلقاء الوليدة في حفرة بعد تطييبها وتزيينها، ثم يهال عليها التراب حتى تستوي الحفرة بالأرض(٢٤).

وقد حارب كثير من سادات العرب هذه العادة البشعة، والتخفيف من آثارها كما فعل ذلك صعصعة بن ناجية- جد الفرزدق- عندما مر برجل يحفر حفرة ليئد ابنته، وامرأته تبكي؛ فسأل الرجل عن ذلك، فأجابه: خشية الفقر، فعرض عليه أن يستبقي ابنته مقابل ناقتين عشراوين يمنحهما إياه، فقبل الرجل، فأعطاه صعصعة الناقتين مقابل الفداء(٢٥).

وكان السبب في كراهية الرجل الجاهلي للبنات أنه كان يخشى من الفقر والعار والسبي(٢٦).

ومما ورد في ذلك قوله تعالى أيضًا: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا} [الإسراء:٣١].

فالآية هنا- وإن كانت عامة في الذكور والإناث- إلا أن الإناث يدخلن دخولًا أوليًّا لما عُرف من عادات العرب الجاهلية في وأد البنات(٢٧).

وبالتالي لم يعد مستغربًا أن ترى المرأة مسلوبة الحقوق المالية، كيف لا وهي التي أهدرت آدميتها، وأُلغيت إنسانيتها من قبل جاهليين لا يُحَكِّمونَ شرعًا ولا عقلًا؟! ولم يكن يقسم لها حق معنوي ولا مادي، ومن سلبت حقوقه المعنوية فحقوقه المالية من باب أولى.

وقد كانت المرأة عند الجاهليين لا تأخذ من المهر شيئًا، بل كان ولي أمرها هو الذي يأخذ المهر لنفسه لاعتقاده أن ذلك حق يعود إليه، وكانوا يسمون ذلك المهر الذي يأخذه الرجل إذا زوج ابنته (النافجة) أي المعظمة لماله؛ حيث يضم الإبل من المهر إلى إبله فيكثرها (٢٨).

ومن ذلك حرمانها من الميراث، بل لقد كانت تُورث كما يورث المتاع، وقد كانوا يقولون في ذلك: لا يرثنا إلا من يحمل السيف، ويحمي البيضة.

ولقد كان الرجل في الجاهلية إذا مات وكانت له زوجه جاء ابنه من غيرها، أو بعض أقاربه فألقى ثوبه على المرأة، وقال: ورثت امرأته كما ورثت ماله، فصار أحق بها من سائر الناس، ومن نفسها: فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها من إنسان آخر وأخذ صداقها، ولم يعطها شيئًا (٢٩).

فأنزل الله قوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء:١٩].

وبيَّن أن ذلك حرام، وأن الرجل لا يرث امرأة الميت منه، أي عين النساء (٣٠). بل قد اختص الإسلام النساء بنصيب مما ترك الرجال؛ فذلك قوله جل ذكره: {لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا} [النساء:٧].

ومما سبق يتبين لنا ما كانت عليه المرأة في المجتمع الجاهلي من إهانة واحتقار، وسلب لجميع الحقوق الإنسانية، وخصوصًا الحقوق المالية منها.

ثانيًا: مكانة المرأة في الإسلام:

لقد اعتبر الإسلام المرأة عنصرًا أساسيًّا من عناصر تكوين البشرية، وهي عنصر متمم للرجل، كما أن الرجل عنصر متمم للمرأة، لا يستغني أحدهما عن الآخر، وأنهما انحدر من أصل واحد؛ فهما سواء من حيث الخلق، ومن حيث الإنسانية والتكريم، وأن الخطاب الوارد من الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز موجه إليهما معًا، أي إن التكاليف الشرعية تشملهما معًا.

وقد أصبحت المرأة شريكة الرجل في المسئولية: أي إنها مسئولة ضمن حدود اختصاصها، كما أن الرجل مسئول ضمن حدود اختصاصه، مع ملاحظة فطرة كل منهما التي جعلت منهما عنصرين متكاملين، لا يستغني

---

(٢٤) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي، والدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي.

(٢٥) انظر د. محمود عرفة "العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم" طبع بمطابع دار روتا برينت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥ك (ص٣١٦).

(٢٦) انظر: مبشر الطرازي- مرجع سابق: (ص١٣، ١٤) ، وأيضًا: سعاد صالح- مرجع سابق: (ص٢٦).

(٢٧) انظر: الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ "تفسير القرآن العظيم" مكتبة دار التراث القاهرة، (ج٣- ص٣٩).

(٢٨) انظر: جواد علي "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" الناشر جامعة بغداد- العراق (ج٥-ص٥٣١).

(٢٩) انظر: عبد الله عفيفي- مرجع سابق: (ج١- ص٣٩) ، وأيضًا: جواد علي- مرجع سابق: (ج٥- ص٥٣٣).

(٣٠) انظر ابن كثير، "تفسير ابن كثير" (ج١- ص٤٦٦).

أحدهما عن الآخر.

والشريعة الإسلامية أعفت المرأة من بعض ما ألزمت به الرجل تمشيًا مع طبيعتها التي فطرها الله عليها، لا انتقاصًا من قيمتها، وإنما تمكينًا لها من أن تتفرغ للوظيفة الأساسية التي خُلقت من أجلها، وجعلت الرجل مسئولًا مسئولية إلزامية لا خيار له فيها في توفير ما تحتاج إليه المرأة وأولادها.

لذا فالشريعة الإسلامية تقوم على إعطاء كل من الجنسين ما أمرت به الشريعة؛ فلا انتقاص ولا تظالم، وإنما هو التعاون والتكامل، وهو التوافق والتلاؤم، وإن الانحراف عن هذا المنهج يعود على المجتمع بالخسران، وإن الالتزام بتطبيق ما أمر المشرع به كفيل بأن يبقى المجتمع بسلام وأمان (٣١).

وهذا كله بشكل عام، أما بالنسبة للحقوق المالية للمرأة بشكل خاص فقد جاء الإسلام مؤكدًا استقلالية المرأة عن الرجل في حقوقها المدنية المختلفة، معلنًا عن حريتها التامة في التصرف بأموالها دون وصاية من أحد عليها ما دامت رشيدة متحررة عن عوامل الحجر والوصاية، بل معلنًا عن تمتعها بكامل ما يتمتع به الرجل من حقوق معنوية: كحق الإجارة والضمان، ونحوهما.

يقول الله تعالى معلنًا عن استقلالية كل من الرجل والمرأة في نطاق هذه الحقوق والاستمتاع بها: {وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [النساء:٣٢]. ويقول عز وجل معلنًا عن رسوخ حق المرأة في الميراث كالرجل تماما: {لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا} [النساء:٧]

وشرع الله المهر عطيّة المرأة عندما تتزوج، تحقيقًا لما لديها من الرغبة الفطرية في التملك، وتعويضًا عما يكون قد فاتها من فرص العمل التي تكون في العادة ميسرة للرجل أكثر منها، والتي هي المصدر الرئيسي للتملك فقال: {وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا} [النساء:٤]، ومنع الرجل أبًا كان لها أو عمًّا أو جدًّا أو أخًا أو غيرهم من اقتناص أيّ قدر من صداقها لنفسه اللهم إلا بطيب نفس منها فقال بعد الجملة الأولى مباشرة: {فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا}[النساء:٤]، ثم إن الشارع جل جلاله بالغ في رعاية هذا الحق وتأكيده، فحذر مما كان كثير من الرجال يفعلونه في الجاهلية؛ إذ كانوا يستغلون ولايتهم على الفتاة أو المرأة يموت والدها أو زوجها فيتحكمون في مصيرها دون أية استشارة لها، وربما منعوها من الزواج إلى الموت ليفوزوا بما قد متعها الله به من حقوق مالية؛ فقال عز وجل: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ }[النساء:١٩]، ثم حذر بعد ذلك مباشرة من حالة مشابهة: وهي أن يكون للرجل زوجه يكره صحبتها ويكون لها عليه مهر فيسيء معاملتها ليلجئها إلى التنازل عن مهرها في سبيل التخلص من مضارته وإساءته فقال: {وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً}[النساء:٢٠]، ثم عاد البيان الإلهي فأكد هذا الحق للمرأة، وحذر من أي تحايل أو عدوان عليه فقال: {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}[النساء:٢١]، ومن المعلوم أن من أخص وأهم مستلزمات التملك ثبوت حق التصرف في المملوك ما لم يتحقق سبب من أسباب الحجر التي يستوي فيها الرجال والنساء معًا، وأبواب المعاملات في الفقه تفيض ببيان حقوق التصرف المتنوعة في المملوك لكل من الرجال والنساء معًا، وإذا ثبت أن التملك حق للمرأة كما هو حق للرجل دون أي تفريق فذلك يستلزم أن مصادر الملكية بالنسبة إليهما واحدة، ومن المعلوم أن مصادر الملكية هي: إحراز المباحات والعقود المالية والميراث والهبات وما في حكمها من الصدقات؛ فهذه هي مصادر التملك لكل من الرجل والمرأة على السواء، وقد كان من آثار ذلك تساوي الرجل والمرأة في الأجر على العمل؛ إذ إن استحقاق الأجر نتيجة عقد على عمل مشروط بأجر، ومن الأحكام المعروفة في الشريعة الإسلامية أن الأجر إنما يستقر في مقابل العمل وجودته، لا في مقابل العامل ونوعه أذكرًا هو أم أنثى، وكذا من الحقوق المالية المشتركة بين الرجل والمرأة حق الإجارة والكفالة، وغيرها من الحقوق(٣٢).

إذن مما سبق يتبين كيف رفع الإسلام الظلم عن المرأة، واعترف بكاملية إنسانيتها، وكفل لها من الحقوق ما لم يكفله لها أي تشريع آخر، وقرر لها أهليتها للعبادة والتكاليف الشرعية، وقرر لها أهليتها الاقتصادية والاجتماعية، فلله الحمد من قبل ومن بعد.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد... فقد تم بحمد الله وعونه هذا البحث، الذي تناولت فيه موضوع " **مكانة المرأة على مر التاريخ**" وأذكر هنا أهم النتائج التي توصلت إليها أثناء البحث:

(٣١) انظر: محمود بابللي، مرجع سابق، ص٥٧-٥٨، وأيضًا: صلاح عبد الغني محمد "الحقوق العامة للمرأة" مكتبة الدار العربية مدينة نصر القاهرة، سنة ١٩٩٦م (ص١٦٧، ١٦٨).

(٣٢) انظر: د. محمد سعيد رمضان البوطي "المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني" دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان، سنة ١٩٩٦م، (ص٥٠-٥٣).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

أهم نتائج البحث

١. **تبين لنا من خلال هذا البحث أن الإسلام** رفع الظلم عن المرأة، واعترف بكاملية إنسانيتها، وكفل لها من الحقوق ما لم يكفله لها أي تشريع آخر، وقرر لها أهليتها للعبادة والتكاليف الشرعية، وقرر لها أهليتها الاقتصادية والاجتماعية.

٢. **تبين من خلال هذا البحث ما لاقته المرأة من الاحتقار والذل والهوان وسلب حقوقها الإنسانية والمالية عند كثير من الشعوب:** كما مر ذلك معنا من خلال هذا البحث كما عند اليونان، والرومان، والمرأة في الحضارة الهندية، والمرأة عند الفرس، والمرأة عند الصينيين.

٣. **تبين من خلال هذا البحث ما لاقته المرأة عند اليهود والنصارى:** حيث تعد المرأة لعنة عندهم، وأنها أغرت آدم وأوقعته في شراك المعصية، وهي أصل الخطيئة الأولى والتي ترتب عليها الخروج من الجنة.

٤. **تبين من خلال هذا البحث ما لاقته المرأة عند العرب في الجاهلية:** من نظرة الكره والتشاؤم بمجرد ولادتها، وقد وأد العرب الكثير من البنات ودفنوهن وهن أحياء، وتعرضت المرأة لكثير من السلب لحقوقها المالية كالحرمان من الميراث، بل كانت تورث مع الأثاث بمجرد موت زوجها.

٥. **والنتيجة النهائية هي أنه تبين من خلال هذا البحث التشابه بين الأديان الكتابية المحرفة كاليهودية والنصرانية والملل المنحرفة** عند الشعوب على اختلاف ثقافاتهم وأماكنهم في نظرتهم للمرأة نظرة احتقار وتشاؤم وسلب لحقوقها وإهانتها مما يدلنا على أن أديان الكفر واحدة بخلاف **الإسلام الذي** رفع الظلم عن المرأة، واعترف بكاملية إنسانيتها، وكفل لها من الحقوق ما لم يكفله لها أي تشريع آخر، وقرر لها أهليتها للعبادة والتكاليف الشرعية، وقرر لها أهليتها الاقتصادية والاجتماعية.

توصيات الدراسة:

١. أن من الواجب على العلماء والباحثين بيان ما وهب الإسلام للمرأة من حفظ الحقوق المالية والإنسانية والاجتماعية وذلك من خلال الخطب والدروس العلمية والمقالات في وسائل الإعلام كافة.

٢. كتابة الكتب والبحوث والمقالات في بيان مكانة المرأة في الإسلام.

٣. إقامة المؤتمرات في بيان مكانة المرأة في الإسلام.

المصادر:

١. ابن كثير، الإمام أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، "تفسير القرآن العظيم" مكتبة دار التراث القاهرة.

٢. جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية.

٣. زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم.

٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.

المراجع:

١. بابللي، محمود، مقام المرأة في الإسلام، دار الشرق العربي، بيروت- لبنان، سنة ١٩٩٣م.

٢. البهناوي، سالم، "مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية"، دار القلم، الكويت.

٣. البوطي، محمد سعيد رمضان، "المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني" دار الفكر المعاصر بيروت- لبنان، سنة ١٩٩٦م.

٤. السباعي، مصطفى، المرأة بين الفقه والقانون، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة السادسة، سنة ١٩٨٤م

٥. السحمراني، أسعد، قاموس الأديان- (الهندوسية- البوذية- السبخية): ط: ٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

٦. شحاتة، محمد نور عبد الهادي، "تاريخ النظم القانونية والاجتماعية" بحث مقدم بكلية شرطة دبي، الإمارات العربية المتحدة.

٧. شلبي، عبد الودود، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، بحث منشور على الإنترنت.

٨. صالح، سعاد إبراهيم، "أحكام عبادات المرأة في الشريعة الإسلامية دراسة فقهية مقارنة" مكتبة مصباح- جدة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م.

٩. عرفة، محمود، "العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم" طبع بمطابع دار روتا برينت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥ك.

١٠. عفيفي، عبد الله، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها- دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، سنة ٢٠٠٢م

١١. علي، جواد، "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" الناشر جامعة بغداد- العراق.

١٢. العيد، نوال بنت عبد العزيز، حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية، المدينة المنورة- السعودية، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦م.

١٣. قاموس الكتاب المقدس: تأليف مجموعة من الأساتذة بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية، [دار مكتبة العائلة، ط: ١٤، بيروت-لبنان ٢٠٠١م].

١٤. الكتاب المقدس بالشواهد الكتابية [دار الكتاب المقدس – القاهرة، ط: ٢، ٢٠١٦م]

١٥. مبشر الطرازي الحسيني "المرأة وحقوقها في الإسلام" دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان.

١٦. محمد علي البار، الله عز وجل والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم دراسة مقارنة:

١٧. محمد، صلاح عبد الغني، "الحقوق العامة للمرأة" مكتبة الدار العربية، مدينة نصر، القاهرة، سنة ١٩٩٦م.

١٨. المدني، محمد نمر، الهندوسية ديانة تتجدد: [دار دمشق، ط: ١، ٢٠١٠م].

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

الفروق الأصوليَّة في كتاب حاشية العُدَّة للصنعاني

د. عبد الرحمن بن مستور بن سعيد المالكي

أستاذ أصول الفقه المشارك بقسم القانون - كليَّة العلوم والدِّراسات النَّظريَّة بالجامعة السُّعوديَّة الإلكترونيَّة - المملكة العربية السعودية.

Fundamental Differences According to the Scholar Ibn Al-Amīr Al-Ṣancāni's Book Hashiyat Al-Uddah

Dr. Abdulrahman mastour almalki

Associate Professor in Law Department- College of Science and Theoretical Studies, Saudi Electronic University - Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: abdulr4444@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

الفروق الأصوليَّة، الأمير الصَّنْعَانيّ، حاشية العُدَّة، دراسة أصولية .

KEY WORDS:

Fundamental differences, Al-Amīr Al-Ṣancāni, Hashiyat Al-Uddah, Fundamental Study.

مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث إلى جمع أمثلة صالحة للدراسة من كلام العلّامة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ في الفروق الأصوليَّة، وقد اشتمل على: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وتوصل إلى نتائج منها: ما أظهر البحث من الحاجة العلمية إلى بحث الفروق الأصوليَّة، وحرر أركانها وشروطها وأقسامها، وكشف فروقاً أصولية عديدة في المستحب والترك واللزوم والسهو والنسيان وجنس المغيّا والحال المقيدة لأفعال العمل بالأصول، والعمل بالقياس على الأصول.

كما توصل إلى عدد من التوصيات.

ABSTRACT:

The aim of the study is to collect valid examples from the written words of the scholar Ibn Al-Amīr Al-Ṣancāni regarding the fundamental differences. The study is divided into an Introduction, a Preface, Two Sections, and a Conclusion. It concludes with the following findings: the scientific need to investigate the fundamental differences and to formulate its pillars, conditions, and divisions .

The study also unveils many fundamental differences according to what is desirable or preferable, the abandoned, and the action of obligation, inattentiveness, and forgetfulness, the type that is related to or constituting an objective, the restricted status of actions as per the principles, and acting by analogy in accordance with the principles. The study also comes up with a number of recommendations.

المقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، (1)صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فإن من أهم العلوم علم أصول الفقه، إذ يتفرع عنه علم الفروق الذي يترتب عليه معرفة الأحكام الشرعية، والمآخذ التي تبدو جامعةً بين أحكام الفروع الفقهية، فهو يكشفها ويبين الاعتراضات على العلل التي تتشابه صورها، وتختلف أحكامها، فإنما الفقه معرفة الفرق والجمع(1)، فهو من ضروريات العلوم المكملة لها، وقد صُنف في الفروق كتب كثيرة ومتنوعة، فالفروق أحد أنواع الفقه العشرة: معرفة الجمع والفرق، وأحكام الحوادث نصًّا واستنباطًا، ومعرفة الضوابط والقواعد، وبناء المسائل بعضها على بعض، والمطارحات، والمغالطات، والممتحنات، ومعرفة الأفراد، والحيل، والألغاز.

ولما كان للفروق الأصوليَّة هذه المنزلة العظيمة أحببت أن أكتب ما يسره الله لي منها، وسميت بحثي بـ: "الفروق الأصوليَّة في كتاب حاشية العُدَّة للصنعاني

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الفروق الأصوليَّة عند العلاّمة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ في عدة جوانب لعل من أهمها:

١ – ما للفروق من فائدة علمية وعملية في تزويد عالم الأصول بدقائق هذا الفن؛ وتكوين مَلَكَة الاستنباط عنده.

٢ - أن تعليقات العلاّمة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ على كلام الإمام ابن دقيق العيد الذي يعد مجتهدًا في المذهبين (المالكي والشافعي) قد جاءت محرَّرة مدققة، واشتملت على جملة من الفروق الأصوليَّة الدقيقة التي تستحق البحث والدراسة.

أسباب اختيار البحث:

١ - رغبتي في الاستقراء والتحليل الأصوليّ لما وجدته من تعليقات نفيسة العلاّمة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ على شرح الإمام ابن دقيق العيد لعمدة الأحكام، والذي يُسميه دائمًا: "الشارح المحقق"، وذلك لما يكون من ملكة النقد المعرفي، والتحرير العلمي.

٢ – حرصي على الإسهام في الدراسات الأصوليَّة الدقيقة، التي تعين المشتغلين بها على استنباط الفروق الأصوليَّة من كلام شراح الحديث؛ وذلك لما له من أثر في إثراء المسائل الأصوليَّة بأمثلة ليست متداولة في كتب أصول الفقه، وذلك يسهم في توفير خزينة أمثلة أصولية، تُخرج علم الأصول من الإطار النظري إلى الإطار التطبيقي.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث في:

١ – بيان الفروق الأصوليَّة، وأهميتها، وأقسامها، وأركانها وشروطها.

٢ – التعريف بابن الأمير الصَّنْعَانيّ مولدًا ونشأة ووفاة، وبمؤلفاته، وكتابه حاشية العُدَّة.

٣ - جمع أمثلة صالحة للدراسة من كلام العلاّمة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ في الفروق الأصوليَّة في حاشية «العُدَّة» على كتاب: «إحكام الإحكام»، للإمام ابن دقيق العيد.

٤ - الحكم على الفروق الأصوليَّة المستقرأة من حاشية العلاّمة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ «العُدَّة».

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في سؤال رئيس هو: ما الفروق الأصوليَّة عند العلاّمة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ في كتابه حاشية العُدَّة على شرح إحكام الأحكام لابن دقيق العيد.

ويتفرع عن هذا السؤال عدد من الأسئلة هي:

١ – ما الفروق الأصوليَّة، وما أهميتها، وأقسامها، وأركانها، وشروطها، والمؤلفات فيها؟

٢ – من العلاّمة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ، ومولده، ونشأته العلمية، ووفاته، ومكانة كتابه حاشية العُدَّة على إحكام الأحكام لابن دقيق العيد؟

٣- ما مدى وجود وصحة الفروق الأصوليَّة في كلام العلاّمة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ في حاشيته: «العُدَّة»؟.

٤- ما الفرق بين كون الشيء مستحبًّا وبين كون تركه مكروهًا، وهل يلزم من استحباب الفعل كراهة الترك؟

٥- هل يوجد فرق بين السهو والنسيان، وهل يوجد تداخل بينهما، وما أثر هذه المسألة على غيرها من الفروع؟

٦- هل يوجد فرق بين الفرض والواجب، وهل بينهما ترادف من جهة وتباين من جهة أخرى؟

٧- ما الفرق بين الغاية التي من جنس المغيّا[1] والتي ليست من جنسه، وبين أوصاف الحال المقيدة للأفعال، وما هو حكم ما بعد الغاية نفسها، وهل يدخل في المغيا أم لا، وهل يوجد فرق بين مسائل الغاية والمغيا وبين الأوصاف المقيدة لحال الأفعال؟

٨- ما الفرق بين مخالفة الأصول ومخالفة قياس الأصول؟

الدراسات السابقة:

لم أجد من بحث موضوع الفروق الأصوليَّة عند العلاّمة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ في رسالة علمية، أو كتاب مطبوع، سوى بحث علمي محكم بعنوان: (الفروق الأصوليَّة عند الإمام ابن العلاّمة الصَّنْعَانيّ من خلال كتابه حاشية العُدَّة من أول الكتاب حتى نهاية باب الأذان، دراسة أصولية تحليلية) للدكتورة، أريج الجابري، وقد نشر في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة الكويت، مج ٣٧، ع ١٣١، في ديسمبر ٢٠٢٢م، وهو يتفق مع دراستي في تناول العلاّمة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ، وكتابه حاشية العُدَّة، ويختلف في الأبواب المدروسة، حيث درست الباحثة: الفروق الأصوليَّة من أول الكتاب إلى باب الأذان، ودراستي في باقي الكتاب، التي رأيت أنها بحاجة إلى تسليط الضوء عليها ، إلا أنه توجد دراسات علمية في الفروق الأصوليَّة بعامَّة، أو عند إمام معين.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على منهج عام، ومنهج خاص، يتحصل بها تحقيق المراد:

أولًا: المنهج العام:

استخدمت في هذا البحث عددًا من المناهج العامة أهمها:

١ ـ المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء حاشية العدة وما له علاقة بها.

٢ ـ والمنهج الوصفي التحليلي، وذلك بالتعريف بالمسائل، وذكر الاقوال فيها، ورأي الباحث.

---

[1] أي في الموضوع له الغاية، أو ما وضعت الغاية له، نحو غسل اليدين إلى المرفقين، فالمرفقان غاية، الغسل. يُنْظَر: المغرب في ترتيب المعرب (ص٣٤٩)؛ التعريفات الفقهية (ص ٢١٢)؛ معجم لغة الفقهاء (ص ٤٤٤).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

٣ ـ والمنهج التاريخي، وذلك بذكر تاريخ العلامة ابن الأمير، وبعض المسائل التي تتطلب ترتيب أحداثها.

ثانيًا: المنهج الخاص:

تمثل المنهج الخاص في هذا البحث فيما يلي:

١. استخرجت الفروق الأصوليَّة من خلال حاشية العلّامة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ «العُدَّة»، على شرح الإمام ابن دقيق العيد على كتاب عمدة الأحكام، المسمى: «إحكام الأحكام».

٢. درست الفروق الأصوليَّة في ضوء منهج موحد وفق ما يلي:

أ ـ بدأته بذكر نص كلام العلّامة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ.

ب ـ ثم عرفت بالمسألة.

ج ـ ثم ذكرت أقوال العلماء في المسألة.

د ـ ثم علّقت عليها.

٣. درست الفرق الأصوليّ من خلال عدد من الكتب الأصوليَّة، وعزوت إليها باختصار.

٤. قدمت لدراسة البحث بتمهيد، تضمَّن تعريفًا بالفروق الأصوليَّة، وبالعلّامة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ.

٥. عزوت الآيات القرآنية إلى سورها.

٦. خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصيلة، وحكمت عليها باختصار قدر الإمكان إن كانت في غير الصحيحين، وأن كان الحديث في البخاري أو مسلم أكتفيت به استجابة لشروط المجلة بالاختصار.

٧. عزوت الأبيات الشعرية إلى مصادرها أو إلى أقرب مصدر وردت إليه عند تعذر المصدر الرئيس.

٨. وثقت الأقوال الفقهية من مصادرها المعتمدة.

٩. عرفت بما ورد في البحث من كلمات غريبة، ومصطلحات علمية.

التمهيد: التعريف بالفروق الأصوليَّة

وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف الفروق الأصوليَّة:

الفروق لغةً: من الفرق، وهو خلاف الجمع، ويدلُّ على تمييز بين شيئين، وفصل بينهما [٢].

والأصول: جمع أصل وهو عبارة عما يُفتقر إليه، وما يُبنى عليه الشيء [٣].

والمعني هنا هو علم أصول الفقه.

وأما الفروق الأصوليَّة فقد عُرِّفت بعدة تعريفات اصطلاحية كلها متقاربة، وقد اخترت منها ما يلي: فن يبحث وجوه الاختلاف بين قاعدتين أو مصطلحين أصوليين متشابهين في تصويرهما، أو ظاهرهما، لكنهما مختلفان في عدد من أحكامها [٤].

المطلب الثاني: نشأة علم الفروق الأصوليَّة:

لم أتمكن من تحديد نشأة علم الفروق على وجه الدقة، ولكن تلازم القواعد والضوابط الفقهية مع هذا العلم يقود العالم إلى الخوض في الفروق بينها، وقد ذكر بعض أهل العلم أن من العلماء المتقدمين من أشار إلى بعض الفروق في المسائل الفقهية[٥]، وأقدم ما ذُكر أنه ألّف في الفروق كان الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني وفي القرن الرابع الهجري كتاب المسكت للزبير المتوفى سنة ٣١٧هـ، وكتاب الفروق لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي المتوفى سنة ٣٢٠هـ، وغيرهما، ولكن قيل[٦] إنه لا يمكن الجزم بتناولها لهذا العلم بالتحديد، وربما يقود العلماء المتقدمين إلى الاستغناء عن إفراد هذا العلم في مصنفات خاصة هو أن تلك الفروق كانت واضحة لديهم بما لا تحتاج معه إلى تصانيف مستقلة[٧]، ومن الاستقراء يتضح أن تكون التدوين المنهجي لعلم الفروق كان بعد استقرار علم أصول الفقه، وانتشار التمذهب بالمذاهب الفقهية المعروفة الآن، لذلك فإن القرن الخامس هو عصر التوسع في التأليف في الفروق[٨].

المطلب الثالث: أهمية علم الفروق الأصوليَّة:

اعتنى العلماء بهذا العلم، وأفردوه بالبحث والتأليف، لدوره في إيضاح الفروق الدقيقة بين الكثير من المسائل التي تتشابه صورها، وتختلف أحكامها وأسبابها وعللها، فهو يزيل كثيرًا من الشُّبه، وعلم الفروق يقوي فهم العالم الأصوليّ للكشف عن الاختلاف بين القواعد الأصوليَّة، وكشف الأسباب المؤدية لهذا الاختلاف، والترجيح بين الأقوال والموازنة بينها، مما له الأثر الكبير على الاختلاف في المسائل الفقهية، وهذا يبين أن الشريعة لا تناقض فيها، وأن العقل يدرك مقاصدها ويفهم الكثير من حِكَمها، مما يجعلها خالدة صالحة لكل زمان ومكان وحال.

المطلب الرابع: أقسام الفروق الأصوليَّة:

توجد أقسام كثيرة للفروق الأصوليَّة باعتبارات متعددة نجملها في الآتي:

١ ـ الفروق الصحيحة المستوفية الشروط.

٢ ـ الفروق الفاسدة، وهي التي لا تُبْنَى عليها أحكام.

٣ ـ الفرق بين الأصل والفرع، أو بين المقيس والمقيس عليه.

٤ـ الفرق بين الوصف والحكم.

٥ ـ الفارق المستقل الذي يصلح أن يكون علة وحده.

٦ ـ الفارق غير المستقل، وهو ما كان من قبيل صفة الصفة، كالفارق بمزيد الضرر ومزيد المشقة، ونحوها

٧ ـ ما تعين أصل القياس علة لحكمه.

٨ ـ ما تعين فرع القياس مانعًا من ثبوت حكم الأصل فيه.

---

[٢] يُنْظَر: لسان العرب (١١/١٦٩)، مقاييس اللغة (٤/٤٩٣).

[٣] يُنْظَر: التعريفات (ص٢٨).

[٤] يُنْظَر: الفروق الفقهية والأصوليَّة ليعقوب الباحسين (ص: ١٣١).

[٥] يُنْظَر: الفروق للكرابيسي (٨/١).

[٦] يُنْظَر: كشف الظنون (١٢٥٨/٢).

[٧] يُنْظَر: الفروق الأصوليَّة عند الإمام الطوفي في شرحه لمختصر الروضة لماجد بن صلاح بن صالح (١/٤١).

[٨] يُنْظَر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١٨٦/١).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

٩ ـ ما جمع بين الأمرين السابقين.
١٠ ـ الفرق بقياس العلة.
١١ ـ الفرق بقياس الدلالة إما بحكم وإما بنظير.
١٢ ـ الفرق بقياس الشبه.[٩]

المطلب الخامس: أركان الفروق الأصوليَّة.

مصطلح **الفروق الأصوليَّة** كغيره من المصطلحات التي تحتاج إلى تحرير أركانها وشروطها، وغير ذلك مما يسهم في ضبط استعمالها.

ولم أقف في كتب الفقهاء والأصوليّين على تفصيل أركانها وبيان شروطها، ولعلي أجتهد في ذلك بحسب استقرائي للكتب التي تناولت مسائل الفروق الأصوليَّة، فعند النظر في الفروق نجد أن ماهيتها تتكون من أمور تمثّل أركانها، وهي:

- وجود مسألة الفروق الأصوليَّة.
- وجود المجتهد في مسألة الفروق الأصوليَّة.
- إصدار الحكم بالفروق الأصوليَّة.

ولا يقال إصدار الحكم ثمرة، فلا يكون ركنًا، لأنا نقول: إن ماهية الفروق الأصوليَّة لا تتحقق إلا بإصدار الحكم بالفرق الأصوليّ، فهو جزء الماهية، لذا فهو ركن. والله أعلم.

المطلب السادس: شروط الفروق الأصوليَّة.

لا شك في أنَّ الفروق الأصوليَّة كغيرها من الأبواب التي تحتاج إلى ضبط ماهيتها وحدودها وشروطها، ولم أجد في كلام العلماء المتقدمين من أفرد مسألة شروط الفروق الأصوليَّة ببحث مستقل، سوى ما كان من بعض المعاصرين من كُتَّاب الرسائل العلمية والشيخ يعقوب الباحسين[١٠]، فالشرط هو: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، مثاله: تمام الحول بالنسبة إلى وجوب الزكاة في العين والماشية[١١]، ومما ذكره العلماء في شروط الفروق الأصوليَّة: أن يكون الفرق صالحًا للإخلال بثبوت الحكم، إما بإبداء خصوصية في الأصل هي شرط فيه، أو خصوصية في الفرع هي مانع من ثبوت حكم الأصل فيه[١٢]، وأن يشار إلى أصلٍ يشهد للفرق بالاعتبار، حتى لو كان صالحًا للإخلال بثبوت الحكم، لأنه لا يُعْلَم التفات الشارع إليه[١٣].

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن العلّامة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده:

هو العلّامة البدر المنير محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين بن شرف الدين بن صلاح بن الحسن بن الهادي بن الحسن بن المهدي.... وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقد لقب بالكحلاني نسبة إلى كحلان أحد بلدان اليمن[١٤]، ثم الصَّنْعَانيّ نسبة إلى صنعاء؛ لأنه نشأ وتوفي بها، وعرف بابن الأمير لأن نسبه ينتهي إلى أجداده الأمراء من آل البيت[١٥].

المطلب الثاني: نشأته العلمية، وحياته العملية:

أولا: نشأته العلمية:

ولد -رحمه الله – في جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩هـ، وفي سنة (١١١٠هـ) نقله والده إلى صنعاء، وكانت موطنًا للعلماء آن ذاك، فنشأ بها، وأتم فيها حفظ القرآن وهو لم يتجاوز العاشرة، ثم بدأ في الطلب، فأخذ عن والده في الفقه والنحو والبيان، وأخذ من باقي العلماء، حتَّى تخرج على يديهم. فحصَّل علمًا غزيرًا في مدَّة وجيزة، حتى صار عالماً في عصره"[١٦].

ثانيًا: حياته العملية:

كان العلّامة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ - رحمه الله- بارعًا في جميع العلوم، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وفاق الأقران، وحث اتباعه على ترك التقليد؛ وقد جرت له مع أهل عصره محن، منها ما حدث في أيام المتوكل على الله القاسم بن الحسين، وولده الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم، وولده الإمام المهدى العباس بن الحسين، وتعرض للهجوم من العوام عدة مرات، وقد ولاه الإمام المنصور بالله الخطابة بجامع صنعاء، وقد كثر أتباع الصَّنْعَانيّ في اجتهاداته، وقُرِئت عليه كتب الحديث[١٧].

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه:

- من مشايخه:

١.العلّامة زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد، المحقق الكبير شيخ مشايخ صنعاء في عصره (ت١١٢٣).
٢.الشيخ الحسين بن محمد المغربي (ت: ١١١٩هـ).
٣.القاضي علي بن محمد بن أحمد العنسي الصَّنْعَانيّ الشاعر البليغ، (ت: ١١٣٩هـ) وغيرهم[١٨].

---

[٩] يُنْظَر: المصدر السابق ص (٣٩ ـ ٥٥).
[١٠] يُنْظَر: الفروق الفقهية والأصوليَّة (ص ٥٥).
[١١] يُنْظَر: الكليات (ص٥٠٤).
[١٢] يُنْظَر: الفروق للقرافي (٢٦/٢، ٣٤)، ترتيب الفروق واختصارها (٤١٤/١).
[١٣] يُنْظَر: الإيضاح لقوانين الاصطلاح (ص ١٩٦)، الجدل على طريقة الفقهاء (ص ٧٣).
[١٤] يُنْظَر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/٤٣٩).
[١٥] يُنْظَر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص٤٠٦)، الأعلام للزركلي (١٣١/٤)، فهرس الفهارس (٥١٣/١).
[١٦] يُنْظَر: البدر الطالع (٢/١٣٣).
[١٧] يُنْظَر: البدر الطالع (١٣٣/٢، ١٣٧
[١٨] يُنْظَر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص٤٠٦)، الأعلام للزركلي (١٣١/٤)، فهرس الفهارس (٥١٣/١). البدر الطالع (٣٦٠/١-٣٦٨).

- من تلاميذه:

للعلامة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ تلاميذ كثر، ومن أشهر هؤلاء الأعلام:

١.القاضي أحمد بن صالح بن محمد بن أحمد بن صالح (ت: ١١٩١هـ).

٢.القاضي

أحمد بن محمد بن عبد الهادي بن صالح بن عبد الله بن أحمد قاطن. (ت: ١١٩٩ هـ).

٣.السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر الكوكباني، (ت: ١٢٠٧ هـ) وغيرهم[١٩].

المطلب الرابع: آثاره العلمية:

رأينا في سيرته العلمية كيف كان حرصه - رحمه الله - وشغفه الشديد بالبحث والمعرفة، مما جعله يخلف ثروة كبيرة، كان لها فضل في خدمة العلم، على الرغم من كثرة مشاغله وما تعرض له من فتن، إلا أنه خلّف آثارًا علمية عظيمة، وقد تجلى ذلك في تصانيفه، ومؤلفاته التي دوّنها وتناقلها العلماء، فكان من أشهر كتبه المطبوعة ما يلي[٢٠]:

١-سبل السلام شرح بلوغ المرام.

٢- التنوير شرح الجامع الصغير.

٣- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد.

٤- قصب السكر نظم نخبة الفكر.

٥- الروضة الندية شرح التحفة العلوية.

٦ - إجابة السائل شرح بغية الآمل.

٧ - إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد.

المطلب الخامس: مذهبه الفقهي ومنهجه العَقَدي:

كان – رحمه الله – من فقهاء الزيدية المتأخرين ، وكان يتبع الكتاب والسنة؛ ويدعو إلى الاجتهاد وترك التقليد، ويأخذ ما يؤيده الدليل ويترك ما سواه، ويناقش ويرجّح، فكان نهجه نهج العلماء المتمكنين ممن عُنُوا بالدليل مع حسن التعليل والتنزيل، كما هو بيّن في كتابه سبل السلام، وأما عقيدته: فكانت الزيدية ، وكان مؤيدًا لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد مدحه، وعبر عن سروره وفرحه بظهور هذه الدّعوة المباركة، وقد ذمَّ علم الكلام، وبين فساد منهج المتكلمين في أكثر من موطن، وقال عنهم: "فإذا نظرت مبادئ كلامهم في علم الكلام، وكتب الحكمة في الزمان والمكان رأيت محارات يظلم منها القلب الحى... "، فكان رحمه الله يسلك منهجًا سليمًا مستقيمًا[٢١].

المطلب السادس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

كان -رحمه الله- ملاذًا للناس ولطلاب العلم، ولسانًا للمظلومين، وبعد وفاته رثاه أناس كثر، قال عنه الإمام الشوكاني: " صاحب التصانيف، برع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد، وعمل بالأدلة، ونفر عن التقليد، وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية"، كان من الأئمة المجددين[٢٢].

المطلب السابع: وفاته:

توفي - رحمه الله - بصنعاء في يوم الثلاثاء، الثالث من شهر شعبان، سنة (١١٨٢هـ - ١٧٦٩م). ودفن بالحوطة غربي منارة جامع المدرسة بأعلى صنعاء، عن ثلاث وثمانين سنة [٢٣].

المطلب الثامن: التعريف بكتابه حاشية العُدَّة:

مما لا شك فيه أنه من أهم الكتب التي تناولت الصنعة الحديثية، والأصوليَّة، والفقهية، وغيرها، فقد بدأت نواة هذا الكتاب من متن عمدة الأحكام للإمام الحافظ عبد الغنى المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠هـ، الذي حوى ٤١٩ حديثًا، هي من أعلى أنواع الصحيح، مما اتفق عليه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ثم تشرف هذا المتن بأن قام بشرحه الإمام ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢هـ، في كتابه المسمى: "إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام"، ثم تكوّن كتاب العُدَّة الذي هو حاشية كتبها ابن الأمير الصَّنْعَانيّ على كتاب "إحكام الأحكام" المذكور، وقد بدأ العناية بهذه الحاشية سنة (١١٣٤هـ) عندما حج للمرة الثالثة، وذلك بأن قرأ شرح ابن دقيق العيد على العلّامة محمد بن أحمد الأسدي بمكة المكرمة، ثم وضع تعليقاته على هذا الشرح إلى أن أتم هذه الحاشية، ثم أعاد صياغة هذه الحاشية بطلب من تلاميذه، حتى ظهر الكتاب الذين بين أيدينا الآن، وكانت من أحب الكتب إليه، فتناقله أهل العلم بالتدريس والبيان[٢٤].

وبعد هذه الدراسة الموجزة، ننتقل بعون الله تعالى إلى المطالب المتعلقة بالفروق الأصوليَّة، وهي على خمسة مطالب:

المبحث الثاني: الفروق الأصوليَّة عند العلّامة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ من خلال كتابه: حاشية «العُدَّة»، من باب الأذان إلى باب بيع العرايا، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين كون الشيء مستحبًّا وبين كون تركه مكروهًا، وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: نص ابن الأمير الصَّنْعَانيّ:

---

(١٩) يُنْظَر: البدر الطالع (١٢٧/٢)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص٤٠٦)، الأعلام للزركلي (١٣١/٤)، فهرس الفهارس (٥١٣/١).

(٢٠) يُنْظَر: المصادر السابقة الصفحات نفسها وما بعدها.

(٢١) يُنْظَر: البدر الطالع (١٣٣/٢)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص٤٠٦)، الأعلام للزركلي (١٣١/٤)، فهرس الفهارس (٥١٣/١).

(٢٢) يُنْظَر: البدر الطالع (١٣٨/٢).

(٢٣) يُنْظَر: المصدر السابق (١٣٩/٢).

(٢٤) يُنْظَر: البدر الطالع (١٣٣/٢)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص٤٠٦)، الأعلام للزركلي (١٣١/٤)، فهرس الفهارس (٥١٣/١).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

أوضح ابن الأمير الصَّنْعَانيّ الفرق بين كون الشيء مستحبًّا وبين كون تركه مكروهًا – في تعليقه على عبارة: (لا تلازم بينهما. فقد يكون الشيء مستحب الفعل، ولا يكون مكروه الترك) [٢٥]. وعبارة: (فرق بين أن يكون الفعل مستحبًا، وبين أن يكون تركه مكروهًا) [٢٦]. وعبارة: (وقد تقدم الفرق بين كون الشيء مستحبًّا وبين كون تركه مكروهًا) [٢٧]. وعبارة: (وترك المستحب أولى من ارتكاب المكروه) [٢٨]- ونص ما قال: " ليعلم الفرق بين قولنا: يستحب فعل كذا وبين قولنا: يكره تركه، فلا تلازم بينهما، فقد يكون الشيء مستحب الفعل، ولا يكون مكروه الترك، كصلاة الضحى... وهذه التفرقة هي الأظهر"[٢٩]. وعلّق على الباقي بقوله تقدم ذلك [٣٠].

الفرع الثاني: التعريف بالمسألة:

يطلق الاستحباب على عدة معانٍ متقاربة، منها:

القبول: يقال: استحب الشيء: قبله.

التفضيل: يقال: استحب الشيء: فضّله.

الاستحسان: يقال: استحب الشيء: استحسنه.

الإيثار: يقال: استحب الشيء: آثره [٣١].

والمعاني المذكورة متقاربة، وقد تختلف من حيث العموم والخصوص، والمناسبة بينها في المعنى الاصطلاحي ظاهرة، مع ضبط الاصطلاح للمعنى المراد بدقة تتناسب مع الاصطلاح.

والمستحب اصطلاحًا: هو الفعل المطلوب طلبًا غير جازم [٣٢]، أو هو ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه [٣٣].

والمكروه لغة: المبغض، والكريهة: الشدة في الحرب [٣٤].

والكُرْهُ: الْمَشَقَّة تحتملها من غير أن تكلَّفها، يُقَال: فعل ذَلِك كَرْها وعَلى كُرْهٍ، أقامني على كَرْهٍ وكُرْهٍ [٣٥].

وهو اسم مفعول للفعل كرهه إذا أبغضه، فكل بغيض مكروه [٣٦] قال تعالى: [**كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا**] {الإسراء:٣٨}.

وقد عُرف المكروه اصطلاحًا: بأنه ما استحق تاركه الثواب ولم يستحق الفاعل عليه العقاب [٣٧].

وقيل: ما ورد فيه نهي مقصود [٣٨]، وما كان تركه خيرًا من فعله [٣٩].

وقيل: (ما يثاب تاركه امتثالًا، ولا يعاقب فاعله) [٤٠].

ومن صيغ المكروه: ما يشتق من لفظة: (كره) [٤١]، وألفاظ النهي ك (لا تفعل) بقرينة تدل على الكراهة [٤٢]، والثواب على الترك [٤٣]، وترك النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمر ما تنزهًا [٤٤].

والمكروه عند العلماء يفسر على اعتبارات عدة منها: حده بحد الحرام، وهو اصطلاح بعض المتقدمين [٤٥]، أو حده بترك الأولى، أو حده بالمنهي الذي لا ذم على فعله، أو حده بأنه الذي فيه شبهة وتردد [٤٦].

فأكثر العلماء المتقدمين يعنون بلفظ المكروه: الحرام [٤٧]، والحنفية يقسمون المكروه إلى قسمين: المكروه كراهة تحريم، والمكروه كراهة تنزيه [٤٨].

الفرع الثالث: أقوال العلماء في مسألة الفرق بين كون الشيء مستحبًّا وبين كون تركه مكروهًا.

---

(٢٥) حاشية ابن الأمير الصَّنْعَانيّ على العُدَّة ١١٥/١.

(٢٦) المرجع السابق ١٨١/٢.

(٢٧) المرجع السابق ٤٠٢/٢.

(٢٨) المرجع السابق ٥٨/٣.

(٢٩) المرجع السابق ١١٥/١.

(٣٠) المرجع السابق ١١٥/١، ١٨١/٢، ٤٠٢/٢، ٥٨/٣.

(٣١) يُنْظَر: لسان العرب (٣٣١/٨)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٤٣٢/١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١٢٣/١).

(٣٢) يُنْظَر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (١٢٦/١).

(٣٣) يُنْظَر: قواطع الأدلة ٢١/١، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١٢٣/١).

(٣٤) يُنْظَر: الصحاح (٢٢٤٧/٦)، أصول الفقه لابن مفلح (٢٣٦/١).

(٣٥) يُنْظَر: المحكم والمحيط الأعظم (١٣٦/٤)، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء (ص: ٩٩)، أصول الفقه لابن مفلح (٢٣٧/١).

(٣٦) يُنْظَر: مختار الصحاح ص ٢٦١.

(٣٧) يُنْظَر: حاشية ابن الأمير الصَّنْعَانيّ (٥٩/٢ – ٦٠). المنخول (ص: ٢٠٧). الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١٢٢/١).

(٣٨) يُنْظَر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢٣١/١.)، أصول الفقه لابن مفلح (٢٣٧/١).

(٣٩) يُنْظَر: أصول الفقه لابن مفلح (٢٣٧/١)، شرح مختصر الروضة (٣٨٢/١).

(٤٠) يُنْظَر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١٢٢/١)، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات (ص: ٩٣)، الأصول من علم الأصول (ص: ١٢).

(٤١) كقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا) أخرجه البخاري من حديث المغيرة برقم ١٤٧٧ كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: [لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا] [البقرة: ٢٧٣]، ١٢٤/٢.

(٤٢) كقوله تعالى: [لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ] [المائدة: ١٠١].

(٤٣) كقوله صلى الله عليه وسلم: (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ) أخرجه أبو داوود من حديث أبي أمامة برقم ٤٨٠٠ كتاب الأدب، باب في حسن الخلق ١٧٨/٧، وقد حسَّن الهيثمي إسناده من طريق آخر. يُنْظَر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٥٧/١).

(٤٤) كقوله صلى الله عليه وسلم: (لَا آكُلُ مُتَّكِئًا) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي جحيفة برقم ٥٣٩٨، كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئًا ٧٢/٧.

(٤٥) يُنْظَر: المبسوط للسرخسي (٢٨٣/٣٠)، مختصر الخرقى (ص: ١٢).

(٤٦) يُنْظَر: الإحكام للآمدي ١٠٦/١، (١٢٢/١) المستصفى ٦٦/١.

(٤٧) ومن أمثلة ذلك قول الخرقي: ويكره أن يتوضأ في آنية الذهب والفضة أي: يحرم.

يُنْظَر: مختصر الخرقى (ص: ١٢)، شرح مختصر الروضة (٣٨٤/١)، موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري (١٩٨/٢)، (٣٠٥/٢)، مسند الشافعي (١٦٠/١)، فتاوى السبكي (١٢٣/١)، الحاوي للفتاوي (٨/١)، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١٢٢/١).

(٤٨) يُنْظَر: الحجة على أهل المدينة (٨/١) الأصل المعروف بالمبسوط للشيباني (١٨٦/٢)، المبسوط للسرخسي (١٤/١)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٨٩/١)، الهداية في شرح بداية المبتدي (٤٤/١).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

قبل الحديث عن أقوال العلماء ينبغي الانتباه إلى عدة أمور، منها: أنه لا يلزم من كون الشيء مشروعًا أن يكون تركه مكروهًا؛ لأنه إذا كان فرضًا فإن تركَه يكون حرامًا، وإذا كان سنة فإن تركَه يكون مكروهًا، وإذا كان مندوبًا فإنه يجوز تركه ولا يكره (٤٩)، وهذا يأتي على التفريق بين السنة والمندوب.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن كل فعل مسنون صح الأمر به مقصودًا فتركه مكروه. وما لا تحديد له ولا ضابط من المندوبات لا يسمى تركه مكروهًا، وإلا لكان الإنسان كل وقت ملابسًا للمكروهات (٥٠).

أما الحنفية فإنهم ينصُّون على أنّ الشيء إذا كان مستحبًّا أو مندوبًا عندهم وليس سنة فلا يكون تركه مكروهًا أصلًا، ولا يوجب تركه إساءة أيضًا (٥١).

الفرع الرابع: رأي الباحث:

هذه المسألة ستجدها عند الفقهاء مبسوطة بعناية أكثر من الأصوليّين، إذ هو واسطة بين الكراهة والإباحة، وقد اختلفوا في أشياء كثيرة هل هي مكروهة، أو أنها خلاف الأولى؟ (٥٢)

وقد أراد ابن الأمير الصَّنْعَانيّ بيان الفرق بين ما يستحب فعله وما يكره تركه، وأن من الأعمال ما يكون فعلها مستحبًّا ولا يكون تركها مكروهًا، فلا يلزم من استحباب الفعل كراهة الترك.

فقد استقر عند العلماء أن الأمر بالشيء نهي عن ضده، وعليه فإن الشيء إذا كان مكروه الترك فإنه مستحب الفعل وكذلك العكس، ولكن ابن الأمير هنا أراد أن يبين أن مستحب الفعل ليس كمكروه الترك، أي أن مستحب الفعل يكون مكروه الترك فهو ينعكس، وأما مكروه الترك فلا ينعكس أي لا يكون مستحب الفعل فما أشار إليه هنا فرق.

والكلام عن الفصل بينهما مما أحدثه المتأخرون، وفرقوا بينهما: بأن ما ورد فيه نهي مقصود يقال فيه: مكروه، وما لا فهو خلاف الأولى، ولا يقال: مكروه، وأن المراد بالنهي المقصود أن يكون مصرحًا به كقوله: لا تفعلوا كذا، أو نهيتكم عن كذا، بخلاف ما إذا أمر بمستحب فإن تركه لا يكون مكروهًا، وإن كان الأمر بالشيء نهيًا عن ضده (٥٣).

فَترك الأولى مشارك للمكروه فِي حَده، إِلَّا أَنه مَنْهِيّ غير مَقْصُود، أي لم يرد بشأنه شيء مخصوص، وَالْمَنْع من الْمَكْرُوه أقوى من الْمَنْع من خلاف الأولى، وَإِنَّمَا يُقَال: ترك الأولى مَكْرُوه، إذا كَانَ منضبطًا، كالضحى، وَقيام اللَّيْل.

ويُطلق الْمَكْرُوه - أَيْضًا - على مَا وَقعت الشُّبْهَة فِي تَحْرِيمه، كلحم السَّبُع: ويسير النَّبِيذ، وَنَحْو ذَلِك من الْمسَائِل الْمُخْتَلف فِي تَحْرِيمهَا (٥٤).

ولا يلزم من كون الشيء مشروعًا أو مستحبًّا أن يكره تركه؛ لأن هذا ليس بكلي، فإن المشروع إذا كان فرضًا يكون تركه حرامًا، وإن كان سنّة يكون تركه مكروهًا، وإن كان ندبًا يجوز تركه ولا يكره (٥٥).

وأن السنة إذا كانت مؤكدة قوية لا يبعد أن يكون تركها مكروهًا كراهة تحريم، كترك الواجب، فإنه كذلك، وإن كانت غير مؤكدة فتركها مكروه تنزيهًا، وإن كان ذلك الشيء مستحبًّا أو مندوبا وليس بسنة كما هو على اصطلاح الحنفية، فينبغي أن لا يكون تركه مكروهًا أصلًا، فلم يلزم من ترك المستحب ثبوت كراهته، إلا أنه يشكل عليه ما قالوه من أن المكروه تنزيهًا مرجعه إلى خلاف الأولى (٥٦).

وما دل عليه دليل مما تقدم بدون ما يقتضي الحتم ولا كراهة الترك فليس تركه مكروهًا، وغايته أنه خلاف الأولى، وأما ما لم يدل عليه دليل فتركه أولى من فعله لأن فعله ابتداع (٥٧).

ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

١ ــ تثليث الوضوء سنةٌ، فإن فعله مستحب، وتركَه مكروهٌ (٥٨).

٢ ــ ترك التخليل لإيصال الماء لما بين أصابعه في الوضوء، فإن فعله مستحب، وتركَه مكروهٌ (٥٩).

٣ ــ ترك التستر حال الاغتسال على رأي جمع من أهل العلم، وذلك حال الخلوة، فإن بعض العلماء يرى استحباب التستر، وأن ترك التستر مكروه (٦٠).

(٤٩) يُنْظَر: البناية شرح الهداية (٣٣٩/٢).
(٥٠) يُنْظَر: البرهان في أصول الفقه (١٠٧/١)، نهاية السول شرح منهاج الوصول (ص: ٢٤)، البحر المحيط في أصول الفقه (٤٠٠/١).
(٥١) يُنْظَر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري (٢٩/١)، الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (١٢٣/١)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٢١٥/٣)، كشاف اصطلاحات الفنون (سنن) ٧٠٥/٣.
(٥٢) وهو الوارد في القرآن الكريم في قوله تعالى: [كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا]، وهو في السنة كذلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال". وكل تلك الأمور الواردة في القرآن والسنة محرمة.
الحديث في صحيح البخاري برقم ٢٢٧٧ كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: ما ينهى عن إضاعة المال (٨٤٨/٢).
(٥٣) يُنْظَر: البحر المحيط في أصول الفقه (٤٠٠/١).
(٥٤) يُنْظَر: التحبير شرح التحرير (١٠١٠/٣)، شرح مختصر التحرير للفتوحي ٤٢٠/١.
(٥٥) يُنْظَر: البناية شرح الهداية (٣٣٩/٢)، نهاية المطلب في دراية المذهب (٥٢٨/٢)، الهداية إلى أوهام الكفاية (١٠٤/٢٠).
(٥٦) يُنْظَر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري (٣٤/٢)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٩٨٣/١).
(٥٧) يُنْظَر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (ص: ٢٢٣). وهو من الكتب الزيدية.
(٥٨) يُنْظَر: فيض الباري على صحيح البخاري (٤١٩/١)، العرف الشذي شرح سنن الترمذي (٥٧/١).
(٥٩) يُنْظَر: فيض القدير (٢٢٣/٦).
(٦٠) يُنْظَر: نيل الأوطار (٣١٦/١).

٤ ـ ترك غسل اليدين بعد الاستيقاظ من النوم، والتوجه للوضوء لاحتمال النجاسة، فإنه عند بعض العلماء مستحب وتركه مكروه [٦١].

٥ ـ ترك الإشهاد عند التبايع على قول بعض أهل العلم، فإنه مستحب عندهم، وتركه مكروه [٦٢].

٦ ـ ترك الأذان مكروه، وهذا عند أبي حنيفة والشافعي لأنها دعاء إلى الصلاة أشبه (الصلاة جامعة) [٦٣].

٧ ـ ترك الغسل لدخول مكة، والوقوف بعرفة، فإنّ الغسل مستحب عند بعض أهل العلم وتركه مكروه [٦٤].

٨ ـ ترك الوضوء للأذان، فإن فعله مستحب، وتركه ليس بمكروهٍ [٦٥].

٩ ـ ترك الترسل في الأذان، فإنه مستحب عند بعض العلماء وتركه غير مكروه، وكرهه بعضهم [٦٦].

١٠ ـ ترك الترتيب بالبداءة بالمروة قبل الصفا في السعي، قاله الكرماني [٦٧]، فإن بعض أهل العلم أجاز البداءة بالمروة [٦٨] فيكون على رأيهم استحباب البداءة بالصفا.

المطلب الثاني: الفرق بين السهو والنسيان، وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: نص ابن الأمير الصَّنْعَانيّ:

قال ابن الأمير الصَّنْعَانيّ- في تعليقه على عبارة: (الْفَرْقُ بَيْنَ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَسْهُو وَلَا يَنْسَى).

(أما السهو والغفلة، فلا فرق بينهما كما ذكره الشارح، وقد فرّق بينهما بأن الناسي إذا ذُكّر تذكر، والساهي بخلافه) [٦٩].

الفرع الثاني: التعريف بالمسألة:

النسيان والسهو من الوجدانيات التي ليست بحاجة إلى تعريف بحسب المعنى، فإن العاقل يعلم النسيان كما يعلم العطش والجوع [٧٠].

الفرع الثالث: أقوال العلماء في الفرق بين السهو والنسيان:

اختلف العلماء في الفرق بين السهو والنسيان على قولين:

أولًا: عدم التفريق بينهما.

فقد نُسِب إلى الفقهاء والأصوليّين وأهل اللغة القول بعدم الفرق [٧١]، وأن النِّسْيَانَ وَالسَّهْوَ ومثلهما الْغَفْلَةَ وَالذُّهُولَ بينهم تقارب فِي الْمَعْنَى، بل قد نَقَل بعضهم الاتفاق على ذلك [٧٢]. وعلى ذلك فهُمَا مُتَرَادِفَانِ [٧٣] وقال الآمدي: إنّ الغفلة والذهول والنّسيان عبارات مختلفة لكن يقرب أن يكون معانيها متّحدة [٧٤]، وأنّ السهو زوال الصورة عن المدركة مع بقائها في الحافظة، والنسيان زوالها عنهما معًا، فيحتاج حينئذ إلى سبب جديد. [٧٥]

ثانيًا: التفريق بينهما.

وقد ذكروا في ذلك عدة اعتبارات، منها:

١ ـ أن السهو زوال الصورة عن المدركة مع بقائها في الحافظة، والنّسيان زوالها عنهما معًا، فيحتاج في حصولها إلى سبب جديد.

٢ ـ النسيان عدم ذكر ما كان مذكورًا، فالإنسان إنما ينسى ما كان ذاكرًا له، والسهو غفلة عما كان مذكورًا، وما لم يكن مذكورًا، فهو خفاء المعنى بما يمتنع به إدراكه، فالنسيان أخص من السهو مطلقا. [٧٦]

٣ ـ أن النسيان إنما يكون عمّا كان، والسهو يكون عمّا لم يكن، تقول: نسيت ما عرفته، ولا تقول سهوت عما عرفته، وإنما تقول سهوت عن السجود في الصلاة، فتجعل السهو بدلًا عن السجود الذي لم يكن، والسهو والمسهو عنه يتعاقبان [٧٧].

٤ ـ فرق آخر وهو أن الشيء الواحد محال أن يُسهى عنه في وقت ولا يُسهى عنه في وقت آخر، وإنما يسهى في وقت آخر عن مثله، ويجوز أن يَنسى الشيء الواحد في وقت ويذكره في وقت آخر [٧٨].

٦ ـ وقيل: إن الساهي متى ذُكِّر تذكر، والناسي لا يتذكر مع التذكير، أي: إن كان يمكنه الملاحظة أي وقت شاء فهو الذهول والسهو، وإن كان لا يمكنه الملاحظة إلا بعد كسب جديد فهو النسيان [٧٩] .

---

[٦١] يُنْظَر: البناية شرح الهداية (١٨٦/١)، نيل الأماني (٧٠/١).

[٦٢] يُنْظَر: شرح التلقين (١١٢٨/٢).

[٦٣] يُنْظَر: المغني لابن قدامة (٣٠٢/١).

[٦٤] يُنْظَر: الأم للإمام الشافعي (٢٤٢/٢)، كفاية النبيه في شرح التنبيه (٧/٢)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣٠٧/٥).

[٦٥] يُنْظَر: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (٧٨/١).

[٦٦] يُنْظَر: الحاوي الكبير (٥٧/٢)، الفقه على المذاهب الأربعة (٢٨٩/١).

[٦٧] يُنْظَر: فتح الباري لابن حجر (٥٠٣/٣).

[٦٨] يُنْظَر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٩٠/٩)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٣٥٨/٢).

[٦٩] العُدَّة حاشية ابن الأمير الصَّنْعَانيّ (٤٢٧/١).

[٧٠] يُنْظَر: الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٧٠٩/٣)، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٣٧٥/١٤).

[٧١] يُنْظَر: غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر (٢٨٩/٣)، الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٦١٤/١).

[٧٢] فقد نقل ابن عابدين عن شرح التحرير اتفاقهم على عدم الفرق بين السهو والنسيان. وقال ابن نجيم: المعتمد أنهما مترادفان. يُنْظَر: الأشباه والنظائر لابن نجيم ص، ٢٥٩، ٣٠٢، حاشية ابن عابدين ٦١٤/١، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٣٧٥/١٤).

[٧٣] يُنْظَر: شرح فتح القدير ٣٩٥/١، تيسير التحرير ٢٦٣/٢، وحاشية ابن عابدين ٦١٤/١، والأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٣٠٢، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٣٠/١٩).

[٧٤] يُنْظَر: الإحكام في أصول الأحكام الآمدي (٣٣١/٢).

[٧٥] يُنْظَر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١٦٩٥/٢).

[٧٦] يُنْظَر: التقرير والتحبير للكمال بن الهمام (١٧٧/٢)، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر (٢٨٩/٣)، الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٦١٤/١).

[٧٧] يُنْظَر: الفروق اللُّغَويّة للعسكري (ص: ٩٧).

[٧٨] يُنْظَر: معجم الفروق اللُّغَويّة (ص٥٣٩).

[٧٩] يُنْظَر: التوضيح عن توحيد الخلاق (ص: ١٠٨)، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (ص: ٣٢١).

٧ ــ السهو ترك الشيء عن غير علم، يقال: سها فيه وسها عنه، والثاني يستعمل في الترك مع العلم، والنسيان خلاف الذكر والحفظ.

الفرع الرابع: رأي الباحث:

ذكر ابن الأمير الصَّنْعَانيّ -رحمه الله- في تعليقه على كلام ابن دقيق العيد في السهو والنسيان: (فلا فرق بينهما كما ذكره الشارح، وقد فُرِقَ بينهما) فالذي يظهر من صنيعه وقد ذكر كلام صاحب الشرح في عدم التفريق بينهما ثم أتبعه بذكر التفريق الذي أغفله الشارح – أنه يميل إلى التفريق، وإن لم يصرح بذلك، ، فقد عُرف عنه أنه إذا مر على مسألة لم ترق له لا يتجاوزها حتى يرد عليها أو يرفضها أو يعلق عليها، فذِكره لهذه المسألة بدون عزوها، وسكوته عنها يعتبر إقرار منه، وهذه من مسائل الفروق المهمة التي ناسب تسليط الضوء عليها.

والذي يترجح -والله أعلم- أن بينهما تداخلًا وعمومًا، فيمكن القول: إن بينهما ترادفًا من جهة، وأن بينهما فرقًا من جهة، فإذا نظر إليهما بشكل إجمالي فهما مترادفان، وإذا تم تعميق النظر فيهما من جهة القوة المدركة والقوة الحافظة فإن النسيان أخص (٨٠)، فهو زوال الشيء عن الحفظ، وهو على قسمين: الأول: معفو عنه، والثاني مذموم.

فالمعفو عنه: الانفعال بغير فعل من صاحبه. والمذموم: الانفعال بفعل صاحبه، وهو أن يترك مراعاة المحفوظ حتى يذهب عنه (٨١). قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ {البقرة:٢٨٦} فهذه الآية فيها دلالة على عدم المؤاخذة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقل أحدكم نَسِيتُ آيةَ كيت وكيت، بل هو نُسِّيَ» (٨٢) ففي هذا الحديث دلالة مفهوم وهو ذم تعمد نسيان القرآن (٨٣).

فالحاصل أن الخلاف في هذه المسألة له أثر على كثير من الفروع، أذكر منها الآتي:

١ـ جواز السهو على الأنبياء في الأفعال البلاغية أي المتعلقة بالبلاغ، كما وقع القيام من اثنتين وترك الجلوس، وقام أيضًا لخامسة وسلم من اثنتين (٨٤) بخلاف السهو في الأخبار مطلقًا (٨٥)، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يسهو ولا ينسى (٨٦) باعتبار أن النسْيَان غَفلَة الْقلب عَن الشَّيْء، والسهو غَفلَة الشَّيْء عَن الْقلب (٨٧). وإنما أنكر - صلى الله عليه وسلم- النسيان إليه لأنه ليس من فعله (٨٨) وكان شغله عن حركات الصلاة وما في الصلاة: شغلًا بها لا غفلة عنها (٨٩).

٢ ـ الكلام أثناء الصلاة (٩٠) لا يفسد إذا تكلم فيها ناسيًا إلا إذا طال وهو قول الشافعية (٩١)، والمسألة مختلف فيها، فالحنفية يرون أن من تكلم ناسياً أو مخطأً في الصلاة بطلت صلاته (٩٢)، فالنسيان عدم الذكر لأمر لا يتعلق بالصلاة، والسهو عدم الذكر لأمر يتعلق بها، فالنسيان الإعراض عن تفقد أمور الصلاة حتى يحصل عدمُ الذكر، والسهو عدم الذكر لا لأجل الإعراض (٩٣).

المطلب الثالث: الفرق بين الفرض والواجب، وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: نص ابن الأمير الصَّنْعَانيّ:

قال ابن الأمير الصَّنْعَانيّ- في تعليقه على عبارة: "أَنَّ الْفَرْضَ لَا يُقَامُ عَلَى الرَّاحِلَةِ. وَأَنَّ الْفَرْضَ مُرَادِفٌ لِلْوَاجِبِ"- والنزاع حاصل بين الطرفين، أما الأول فيأتي قريبًا، وأما الثاني فلأن الحنفية تفرق بينهما (٩٤).

الفرع الثاني: التعريف بالمسألة:

عندما تنظر إلى المعنى اللُّغَوِيّ للفرض والواجب تجد أن هناك فرقًا بينهما، ويتضح ذلك من خلال عرض معانيها.

أولًا: المعاني اللُّغَوِيّة للفرض:

يرد الفرض في اللغة لمعانٍ عديدة، منها:

ــ التقدير
ــ القطع والتأثير
ــ البيان
ــ الحل والإباحة
ــ الإلزام والإيجاب
ــ الإنزال
ــ العطية
ــ التوقيت

وهو حقيقة في القطع كما نسب إلى جمع من أهل اللغة (٩٥) منهم: الزمخشري (٩٦).

---

(٨٠) يُنظَر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٦٤/١).
(٨١) يُنظَر: حاشية الجمل على شرح المنهج = فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب (٤٤٦/١).
(٨٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نَسِيت آية كذا، وجواز قول أُنسيتها (٥٤٤/١).
(٨٣) يُنظَر: فيض القدير (٢١٤/٣).
(٨٤) صحيح مسلم برقم (٥٧٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له (٣٩٩/١).
(٨٥) يُنظَر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٦٤/١).
(٨٦) يُنظَر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٣٧٥/١٤).
(٨٧) يُنظَر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣٩/٤).
(٨٨) يُنظَر: حاشية السيوطي على سنن النسائي (٢٣/٣).
(٨٩) يُنظَر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢٧٣/١).
(٩٠) ومن أقرب الشواهد على ذلك حديث ذو اليدين. صحيح البخاري برقم ٤٨٢ كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره (١٠٣/١).
(٩١) يُنظَر:الأم للشافعي ٢/ ١٠٩؛ الحاوي للماوردي ١٧٧/٢.
(٩٢) يُنظَر: المبسوط للسرخسي ١٧٠/١؛ بدائع الصنائع ٤١٢/٢؛ حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (ص: ٣٢١).
(٩٣) يُنظَر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٣٧٥/١٤).
(٩٤) يُنظَر: حاشية ابن الأمير الصَّنْعَانيّ (١٩٨/٢).
(٩٥) يُنظَر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٤٧٦/١).
(٩٦) هو محمود بن عمر بن يعرف بـ: جار الله الزمخشري، ويكنى أبا القاسم من علماء التفسير، واللغة، والآداب، ولد في زمخشر من قرى خوارزم، وسافر إلى مكة مجاورًا بها زمن فلقب جار الله، وتنقل في

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

وقيل: الإيجاب والتقدير [٩٧].

ثانيًا: المعاني اللُّغَوِيّة للواجب:

يرد الواجب في اللغة لمعانٍ عديدة منها:

ـ الساقط.

ـ الثابت واللازم والمستقر.

ـ الخفقان والاضطراب

ـ الغائر

ـ الغائب [٩٨].

فالاختلاف واضح هنا فيما يتعلق بالمباحث اللُّغَوِيّة لهذين المصطلحين، أما في المعنى الاصطلاحي فقد اختلف فيهما العلماء.

الفرع الثالث: أقوال العلماء في الفرق بين الفرض والواجب من حيث الاصطلاح.

اختلف العلماء في الفرض والواجب على قولين:

القول الأول: وإليه ذهب جمهور العلماء [٩٩] أن الفرض الواجب مترادفان.

ومن أجل ذلك الاعتبار فقد عرفوا الواجب بأنه: الذي يذم شرعًا تاركه مطلقًا عن قصد [١٠٠]. وما طلب فعله طلبًا جازمًا [١٠١]. والفرض هو: الفعل الذي طلب الشارع الإتيان به طلبًا جازمًا، سواء أكان واردًا بطريق قطعي، أم كان واردًا بطريق ظني [١٠٢].

ومن أدلتهم على ذلك قوله تعالى: [**فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ**] {البقرة: ١٩٧} أي أوجب على نفسه، فالفرض كالواجب، يقال: فرضت عليك كذا: أي أوجبته، ومنه سهام الميراث تسمى فرائض [١٠٣].

القول الثاني: الفرض والواجب متباينان، وإليه ذهب الحنفية [١٠٤]ورواية عن الحنابلة [١٠٥].

وعلى هذا فقد عرفوا الفرض بأنه: ما ثبت بدليل قطعي، واستحق الذم على تركه مطلقًا من غير عذر [١٠٦]، فإذا كان مصدره قطعيًّا في السند والدلالة كان فرضًا، وإذا كان مصدره ظنيًّا في السند والدلالة كان واجبًا، فالواجب: ما ثبت بدليل ظني، واستحق الذم على تركه مطلقًا من غير عذر [١٠٧].

ومن أدلتهم على ذلك ما دلت عليه اللغة في قوله تعالى: [**فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا**] {الحج:٣٦}، أي: سقطت جنوبها من الذبح، إذ يقتضي أن يكون الواجب ساقطًا عن الفرض فهو أقل منه رتبةً [١٠٨].

الفرع الرابع: رأي الباحث:

أشار ابن دقيق العيد إلى هذه المسألة، وعلّق عليها ابن الأمير الصَّنْعَانيّ بقوله: "والنزاع حاصل بين الطرفين، أما الأول فيأتي قريبًا، وأما الثاني فلأن الحنفية تفرق بينهما"، فذكر الفرض والواجب، وذهب إلى رأي الجمهور بالترادف بينهما، كما ذكره في (إجابة السائل شرح بغية الآمل) [١٠٩].

والحق أن هذه المسألة مما اختلف فيه العلماء:

فمنهم من جعل الفرض: ما كان قطعي الدلالة أو ما ثبت بالقرآن، أو بالمتواتر أو بالإجماع، أو اللفظ الذي لا يحتمل الزيادة والنقصان [١١٠].

والواجب: ما كان ظني الدلالة، أو ما ثبت بالسنة أو بدليل القياس [١١١].

ولفظ الوجوب لا يحتمل غيره، لكن الفرض يحتمل غيره [١١٢].

البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية من قرى خوارزم، فتوفي بها سنة (٥٣٨هـ ١١٤٤م)، من مؤلفاته: الكشاف في تفسير القرآن. انظر: وفيات الأعيان (٥/١٦٨ ـ ١٧٤)، والأعلام للزركلي (٧/١٧٨)، ومعجم المؤلفين (١٢/١٨٦ – ١٨٧).

[٩٧] يُنْظَر: القاموس المحيط (مادة، فرق، ص٨٣٨)، ومختار الصحاح (مادة: فرض، ص ٢٣٣)، والكليات (ص١٨٧ – ٦٨٩)، والتلخيص في أصول الفقه (١/١٦٥)، وشرح الكوكب المنير (١/٣٥٠ - ٣٥١)، والإحكام للآمدي (١/٨٧).

[٩٨] يُنْظَر: المخصص (٢/٧٤).

[٩٩] يُنْظَر: العُدَّة في أصول الفقه (١/١٦٢)، ١/٣٧٦، التقريب والإرشاد (الصغير) (١/٢٩٤)، الجامع لعلوم الإمام أحمد - أصول الفقه (٥/٥٩)، وشرح اللمع (١/٢٨٥). والتلخيص في أصول الفقه (١/١٦٤)، والمستصفى من علم أصول الفقه (١/٦٦)، والمحصول للرازي (١/٩٧)، والإحكام للآمدي (١/٨٧)، ومنهاج الوصول للبيضاوي (ص٤٢)، ومختصر ابن الحاجب الأصوليّ وشرح العضد عليه (١/٢٢٨)، ونهاية السول (١/٤٩)، والتمهيد في تخريج الفروع على الأصول (ص٥٨)، وتقريب الوصول إلى علم الأصول (ص٢١٤).

[١٠٠] يُنْظَر: نهاية السول شرح منهاج الوصول (ص: ٢٢).

[١٠١] يُنْظَر: العُدَّة في أصول الفقه (١/١٦٢)، ١/٣٧٦، تقريب الوصول إلي علم الأصول (ص١٦٩).

[١٠٢] يُنْظَر: العُدَّة في أصول الفقه (١/١٦٢)، ١/٣٧٦، تقريب الوصول إلي علم الأصول (ص١٦٩)، القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليّين، ص٢٣١.

[١٠٣] يُنْظَر: قواطع الأدلة (١/٢٠).

[١٠٤] يُنْظَر: أصول السرخسي ١/١١٠، كشف الاسرار ٢/٣٣٠، الأصل لمحمد بن الحسن مقدمة/٢٤٤، البحر المحيط ١/١٨٣.

[١٠٥] يُنْظَر: الروايتين والوجهين المسائل الأصوليَّة منه (ص٤٢)، العُدَّة في أصول الفقه (١/١٦٢).

[١٠٦] يُنْظَر: كشف الأسرار (٢/٣٠٢)، تيسير التحرير (٢/١٣٥)، وغاية الوصول (ص١٧٣)

[١٠٧] يُنْظَر: كشف الأسرار (٢/٣٠٣)، وتيسير التحرير (٢/١٣٥)، وغاية الوصول (ص ١٧٥).

[١٠٨] يُنْظَر: الفصول في لأصول (٣/٢٣٦).

[١٠٩] يُنْظَر: العُدَّة في أصول الفقه (١/١٦٢)، ١/٣٧٦، التقريب والإرشاد (الصغير) (١/٢٩٤)، الجامع لعلوم الإمام أحمد - أصول الفقه (٥/٥٩)، وشرح اللمع (١/٢٨٥). والتلخيص في أصول الفقه (١/١٦٤)، والمستصفى من علم أصول الفقه (١/٦٦)، والمحصول للرازي (١/٩٧)، والإحكام للآمدي (١/٨٧)، ومنهاج الوصول للبيضاوي (ص٤٢)، ومختصر ابن الحاجب الأصوليّ وشرح العضد عليه (١/٢٢٨)، ونهاية السول (١/٤٩)، والتمهيد في تخريج الفروع على الأصول (ص٥٨)، وتقريب الوصول إلى علم الأصول (ص٢١٤)، إجابة السائل شرح بغية الآمل (ص٣٦).

[١١٠] يُنْظَر: العُدَّة في أصول الفقه (١/١٦٢)، ١/٣٧٦.

[١١١] يُنْظَر: العُدَّة في أصول الفقه (١/١٦٢)، ١/٣٧٦.

[١١٢] يُنْظَر: البحر المحيط في أصول الفقه (١/٢٤١).

ومنهم من أقر الفرق في اللغة ولم يقره في الاصطلاح، فإن من يقول بالترادف [١١٣] نجده يفرق بينهما في تفصيل الأحكام.

وفيما يتعلق بالظني والقطعي فإنه غير مطرد، فما كان ظنيًّا بالنسبة للأمة فهو قطعي بالنسبة للصحابي، لأنه تلقاه من النبي -صلى الله عليه وسلم- مباشرة أو من مجموعة من الصحابة، لكن بقية الأمة بسبب تسلسل السند أصبح ظنيًّا في حقهم.

ولهذا يمكننا القول بأن الفرض والواجب يكونان من جهة مترادفين، ويكونان من جهة أخرى متباينين، وقد يكونان مترادفين تارة، ومتباينين تارة، فمن يقول بالترادف جعلوهما اسمًا لمعنى واحد تتفاوت أفراده، ومن يقول بالتفريق اصطلحوا على التقسيم وخصصوا لكل قسم اسمًا، فالواجبات تتفاوت، وتوجد درجات للإلزام بالعمل، فصلاة الظهر ليست كالصلاة المنذورة، ووجوب الإيمان بالله ليس كوجوب النذر بالصدقة، واصطلاحات العلماء في كل مذهب تختلف، فالعلماء لا يقولون إنّ حقوق الآدميين كالديون ونحوها: فروض، بل واجبات، وهكذا.

المطلب الرابع: الفرق بين الغاية التي من جنس المغيا والتي ليست من جنسه وبين أوصاف الحال المقيدة للأفعال، وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: نص ابن الأمير الصَّنْعَانيّ:

قال ابن الأمير الصَّنْعَانيّ: في تعليقه على عبارة –: (قوله -صلى الله عليه وسلم - «ثم اركع حتى تطمئن راكعًا» [١١٤] يدل على وجوب الركوع. واستدلوا به على وجوب الطمأنينة. وهو كذلك دال عليها. ولا يتخيل ههنا ما تكلم الناس فيه، من أن الغاية: هل تدخل في المغيا أم لا؟ أو ما قيل من الفرق بين أن تكون من جنس المغيا أو لا. فإن الغاية ههنا - وهي الطمأنينة - وصف للركوع، لتقييده بقوله " راكعًا " ووصف الشيء معه حتى لو فرضنا أنه ركع ولم يطمئن، بل رفع عقيب مسمى الركوع. لم يصدق عليه أنه جعل مطلق الركوع مغيا بالطمأنينة) - "قوله: وصف للركوع [١١٥]. أقول: يريد فليس الحكم مأخوذًا من غاية الفعل، بل هي من مسمى الركوع المقيد بالاطمئنان، إذ الحال قيد في عاملها" [١١٦]

الفرع الثاني: التعريف بالمسألة:

لعل من المناسب هنا قبل الكلام عن المسألة معرفة الغاية وماهيتها.

فالغاية في اللغة: مدى الشيء، أو أقصى الشيء، أو طرف الشيء ومنتهاه. [١١٧]

وفي الاصطلاح: حد لثبوت الحكم قبلها وانتفائه بعدها. [١١٨]

ويوجد لفظان للغاية وهما: (حتى)، و(إلى).

فمن أمثلة (حتى) ما يلي:

قوله تعالى: [**فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**] {البقرة:٢٢٢}.

قوله تعالى: [**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**] {البقرة:١٨٧}.

ومن أمثلة (إلى) ما يأتي:

قوله تعالى: [**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**] {المائدة:٦}.

قوله تعالى: [**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**] {البقرة:١٨٧}.

الفرع الثالث: أقوال العلماء:

وقد اختلف العلماء في حكم ما بعد الغاية نفسها، هل يدخل في المغيا أم لا؟ على عدة مذاهب:

المذهب الأول: أن حكمه حكم ما قبل الغاية، سواء كان من جنسها أم لا أن، أي: أنّ ما بعد الغاية داخل فيما قبله [١١٩].

المذهب الثاني: أن ما بعد الغاية لا يدخل فيما قبلها. وهو قول الشافعي، [١٢٠] والقاضي البيضاوي. [١٢١] وجمهور العلماء" [١٢٢].

[١١٣] وقال الزركشي: لَا فَرْقَ عِنْدَنَا بَيْنَ الْفَرْضِ وَالْوَاجِبِ شَرْعًا، وَإِنْ كَانَا مُخْتَلِفَيْنِ فِي اللُّغَةِ. إذْ الْفَرْضُ فِي اللُّغَةِ التَّقْدِيرُ.
البحر المحيط في أصول الفقه (٢٤٠/١)

[١١٤] أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٧٦٠ كتاب: صفة الصلاة باب: باب حد إتمام الركوع والاعتدال فيه والطمأنينة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[١١٥] يشير إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا قمت إلى الصلاة فكبر واقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها).
أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٦٠)، كتاب صفة الصلاة، باب حد إتمام الركوع والاعتدال فيه والطمأنينة (٢٧٤/١) من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

[١١٦] يُنْظَر: العُدَّة حاشية ابن الأمير الصَّنْعَانيّ ٣٧٧/٢.

[١١٧] انظر: مختار الصحاح (باب الغين) ص ٢٢٨، القاموس المحيط (باب الياء والواو) ص ١٧٠١، لسان العرب (مادة: غيي) ٣٣٣١/٥.

[١١٨] يُنْظَر: العقد المنظوم في الخصوص والعموم (٣٦٩/٢)، البحر المحيط في أصول الفقه (٣٤٤/٣).

[١١٩] يُنْظَر: البحر المحيط في أصول الفقه (٣٤٧/٣ - ٣٤٨)، والإبهاج في شرح المنهاج (١٤٣٨/٤ - ١٤٤١)، ونهاية السول (٥١٧)، وشرح الكوكب المنير (١٣٥١/٣ ٣٥٢)، والتحبير شرح التحرير (٢٦٢٩/٦ - ٢٦٣١)، وفواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (١/٢/٣)، وشفاء عليل السائل (٣١٦/٢)، وهداية العقول لابن الإمام (٣٠٤/٢)، وإجابة السائل (ص٣٢٠)، وأصول الفقه للدكتور أبي النور زهير (٢٩٨/٢ – ٢٩٩)، والفواصل شرح بغية الأمل (ص ٣٥٣)، وإرشاد الفصول (١٤٤١٠/١ ٤٤١)، وإتحاف الأنام بتخصيص العام (ص٤٩١ - ٤٩٢).

[١٢٠] يُنْظَر: البحر المحيط أصول الفقه (٣٤٧/٣)، نهاية السول (٥١٧/١).

[١٢١] انظر: منهاج الوصول (ص٨٩)، نهاية السول (٥١٧/١)، والإبهاج في شرح المنهاج (١٤٣٩/٤).

[١٢٢] انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٣٤٧/٣)، الفواصل شرح بغية الأمل (ص٣٥٣)، إرشاد الفحول (١/٤٤٠)، هداية العقول شرح غاية السول (٣٠٤/٢)، التحبير شرح التحرير (٢٦٢٩/٦)، شرح الكوكب المنير (٣/٣٥١).

واختلفوا في الحكم على ما دخلت عليه الصيغة، هل هو مسكوت عنه، أو هو بنقيض ما قبلها؟

وهذا ينبني على العمل بالمفهوم: فمن لم يقل به قال: هو مسكوت عنه، ومن قال به: قال إنه محكوم على ما دخلت عليه بنقيض حكم ما قبلها[١٢٣].

المذهب الثالث: التوقُّف أي: أنه لا يدل على شيء، وهو قول الآمدي[١٢٤]، والزركشي[١٢٥]، وابن السبكي[١٢٦]، والشوكاني[١٢٧]والإسنوي[١٢٨]، وابن الحاجب[١٢٩].

المذهب الرابع: إن كان من جنسه دخل، وإلا فلا، نحو: بعتك التمر إلا هذه النخلة، فينظر في تلك النخلة إن كانت من نفس نوع ذلك التمر دخلت، وإن لم تكن منها لم تدخل. وهو قول الزركشي[١٣٠] عن الروياني في البحر[١٣١]، ونقل حكاية أبي إسحاق المروزي له عن ابن المبرد[١٣٢].

المذهب الخامس: إن تميز ما بعد الغاية عما قبله بالحس كقوله تعالى: [**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**] {البقرة:١٨٧}، فإنّ حكم ما بعدها بخلاف ما قبلها، وإن لم يتميز حسًّا كقوله تعالى: [**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**] {المائدة:٦}، فلا يجب أن يكون حكم ما بعده بخلاف ما قبله؛ لأنه لما لم يكن المرفق منفصلًا عن اليد بمفصل معلوم معين لم يكن تعيين بعض المفاصل لذلك أولى من بعض، فوجب ههنا دخول ما بعده فيما قبله. وهذا المذهب اختاره الإمام الرازي[١٣٣].

المذهب السادس: إن كان ما قبل الغاية قد دخلت عليه (مِنْ) لم يدخل ما بعدها في حكم ما قبلها، نحو: بعتك من هذه الشجرة إلى هذه الشجرة، فلا تدخل الشجرة الأخيرة في البيع، فإن لم يقترن بـ (مِنْ) جاز أن يكون تحديدًا فلا يدخل، وأن يكون بمعنى (مع) فيدخل، وهذا المذهب عزاه إمام الحرمين إلى سيبويه[١٣٤].

وقد اختار ابن الأمير الصَّنْعَانيّ التفريق بين (إلى) و(حتى)، وقول الجمهور في عدم دخول ما بعد الغاية فيما قبلها قول مجمل، والذي يظهر أن (إلى) تختلف بحسب قرائن الأحوال والمقامات، وأما (حتى) فإنه يدخل ما بعدها فيما قبلها، وأنَّ (حتى) العاطفة ليس فيها خلاف، وإنما الخلاف في (حتى) الجارّة.

الفرع الرابع: رأي الباحث:

أوضح ابن دقيق العيد وتابعه ابن الأمير: أن الغاية في الحديث هي الطمأنينة، وأنها وصف للركوع، بحيث لا يصدق اسم الركوع إلا بالطمأنينة، فهي من تمام الماهية، وهي وجوب الركوع الموصوف بكونه مطمئنًا فيه[١٣٥]، وعلق ابن الأمير الصَّنْعَانيّ عليه: بأن الحكم ليس مأخوذًا من غاية الفعل، بل من مسمى الركوع المقيَّد بالاطمئنان، بحيث لا يحصل تمام الماهية إلا بالاطمئنان، فالقيد هنا جزء من ماهية إطلاق الاسم، وقد تم إبراز هذه المسألة هنا كونها من الدقائق التي تحتاج إلى بيان الفروق فيها، إذ يوجد فرق بين مسائل الغاية والمغيا وبين الأوصاف المقيدة لحال الأفعال.

وكما سبق أن ذكرنا: أن هنالك اختلافًا بين (حتى) و(إلى)، فالغاية في (حتى) مندرجة، فقد ذكر النحاة من شروط المعطوف بـ (حتى) أن يكون من جنسه، وأن يكون داخلًا في حكمه، متصلا به، أي: مندرجًا في حكم ما قبل الغاية، في حين أنهم في المعطوف بـ(إلى) لم يذكروا هذا الشرط، والأصوليّون لم يذكروا التفريق، بل كان الكلام حولهما مطلقًا[١٣٦]، وقد اختار العلّامة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ التفريق بين (إلى) و(حتى)[١٣٧]، وذكر علماء اللغة أن (حتى) يدخل ما بعدها فيما قبلها، وخالف بعضهم بأنه يحتمل الدخول، ويحتمل عدمه[١٣٨].

وقد ترجح لدى الباحث التفريق بين (إلى) و (حتى) لما سبق وأن ذكر في شأنهما.

المطلب الخامس: الفرق بين مخالفة الأصول ومخالفة قياس الأصول، وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: نص ابن الأمير الصَّنْعَانيّ:

قال ابن الأمير الصَّنْعَانيّ: وهذا الخبر <u>إنما يخالف قياس الأصول</u>، أقول: تقريره أن الأصول هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، والكتاب والسنة في الحقيقة هما الأصل، والآخران مردودان إليهما. فالسنة أصل والقياس فرع، فكيف يُرد الأصل بالفرع، بل الحديث الصحيح أصل بنفسه، فكيف يقال إن الأصل خالف نفسه؟ وعلى تقدير التسليم فيكون قياس الأصول يفيد القطع، وخبر الواحد لا

---

[١٢٣] انظر: الفواصل شرح بغية الأمل (ص ٣٥٣).

[١٢٤] انظر: الإحكام للآمدي (٢/٥١٦).

[١٢٥] انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٣/٣٤٧).

[١٢٦] انظر: الإبهاج في شرح المنهاج (٤/١٤٣٩).

[١٢٧] انظر: إرشاد الفحول (١/٤٤١).

[١٢٨] انظر: نهاية السول (١/٥١٧).

[١٢٩] انظر: مختصر ابن الحاجب الأصوليّ مع شرح العضد عليه (٢/١٤٦ - ١٤٧)، نهاية السول (١/٧٠).

[١٣٠] يُنْظَر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢/٢٤٧).

[١٣١] بحر المذهب للروياني (٥/٣٣٨).

[١٣٢] المبرد هو: الإمام أبو العباس محمد يزيد بن عبد الأكبر بن عمير الثمالي. الأزدي، البصري، المعروف بالمبرد النحوي، إمام اللغة العربية في عصره، سكن بغداد، فروى بها عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم، وغيرهما من الأدباء، حدث عنه نفطويه النحوي، وابن أبي الأزهر، وإسماعيل بن محمد الصفار، وجماعة، له عدة مصنفات، منها: إعراب القرآن، وطبقات النحاة البصريين، رب، وغيرها. توفي عام ٢٨٥هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٣/٣٨٠ – ٣٨٧) برقم (١٤٩٨)، ووفيات الأعيان (٤/٣١٣ - ٣٢١) برقم (٦٣٦)، والأعلام للزركلي (٧/١٤٤).

[١٣٣] يُنْظَر: المحصول في أصول الفقه (٣/٦٦٠).

[١٣٤] يُنْظَر: الكتاب لسيبويه (٤/٢٢٤)، البرهان (١/١٤٤).

[١٣٥] يُنْظَر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/٢٦٢).

[١٣٦] انظر: العقد المنظوم في الخصوص والعموم (٢/٣٧١ - ٣٧٢).

[١٣٧] انظر: شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب (٤/٢٧١ - ٢٧٥).

[١٣٨] انظر: إجابة السائل (ص٣٢٠ - ٣٢١)، والفواصل شرح بغية الأمل ص ٣٥٣.

يفيد إلا الظن فتناول الأصل هذا الخبر الواحد غير مقطوع به لجواز استثناء محله غير ذلك الأصل [١٣٩].

الفرع الثاني: التعريف بالمسألة:

تعريف الأصل لغة هو: ما يبتني عليه غيرُه [١٤٠]، أو ما ثبت حكمه بنفسه [١٤١]، أو ما ثبت به حكم غيره [١٤٢].

في الاصطلاح له عدة معانٍ، أشهرها:

الأول: القاعدة المستمرة، كقولهم: إباحة الميتة للمضطر على خلاف الأصل.

الثاني: المقيس عليه [١٤٣].

الثالث: الدليل، كقولهم: أصل هذه المسألة الكتاب والسنة، أي: دليلها [١٤٤].

الرابع: الرجحان، كقولهم: الأصل في الكلام الحقيقة، أي: الراجح عند السامع الحقيقة لا المجاز [١٤٥].

وأدلة الشرع على ثلاثة أضرب: أصل، ومعقول أصل، واستصحاب حال [١٤٦].

والقياس لغة: التقدير [١٤٧]، وفي اصطلاح الأصوليين عُرّف بعدة تعريفات منها:

١ـ رد فرع إلى أصل بعلة مؤثرة في الحكم [١٤٨] أو بجامع [١٤٩].

٢ـ حمل أحد المعلومين على الآخر في إثبات حكم أو إسقاطه بأمر يجمع بينهما [١٥٠].

ومن قياس الأصول: أن تكون الحادثة لها أصل في الإباحة، وأصول في الحظر، فكان ردها إلى أصول كثيرة، أولى من ردها إلى أصل واحد [١٥١].

وقياس الأصولِ هو القياسُ على ما ثبتَ بالأصولِ [١٥٢].

الفرع الثالث: أقوال العلماء تقديم القياس على خبر الواحد:

أولًا ينبغي معرفة أن خبر الواحد عند أهل العلم أصل مستقل بذاته، واختلف العلماء في إفادته، فعند بعض المحدثين وأهل الظاهر أنه يفيد العلم، ثم اختلفوا: فقيل العلم بمعنى الظن، وهو ما يعرف بالعلم الظاهر دون الباطن، وقيل يفيد العلم اليقيني [١٥٣]، وقيل: يحصل به العلم إذا احتفت به القرائن [١٥٤]، وعلى ذلك فلا يكون مخالفًا للقياس أو لشيء من الأصول، وحينها لا يتصور تقديم القياس على خبر الواحد [١٥٥].

قال الشافعية [١٥٦] والحنابلة: خبر الواحد مقدم على القياس [١٥٧].

وقال الحنفية [١٥٨] يرد خبر الواحد إذا خالف الأصول التي هي نص الكتاب، ونص السنة المتواترة، والإجماع إن خالف الأصول أو معنى الأصول لم يُحتجّ به، ويقبل إذا خالف قياس الأصول، وقالوا بتقديم خبر الآحاد على القياس مطلقًا، وتقديم القياس إذا كان الراوي لخبر الواحد غير فقيه، ولا مجال للاجتهاد في الحديث، ويقدم القياس على رواية الصحابي الذي لم يُعرف إلا بحديث أو حديثين، وتقديم خبر الواحد إذا كان الراوي ضابطًا غير متساهل فيما يرويه، وتقديم القياس إذا كان الراوي من غير الخلفاء الأربعة والعبادلة [١٥٩].

وقال المالكية: إن القياس أولى من خبر الواحد [١٦٠]، فإن كان الراوي مشهورًا بالضبط قُدّم الخبر، وإلا فقياس الأصول [١٦١].

---

[١٣٩] حاشية ابن الأمير الصَّنْعَانيّ ٥٣/٤.

[١٤٠] يُنْظَر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (٢٦٨/٣)، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب (١٤/٣)، التعريفات الفقهية (ص٣٠).

[١٤١] يُنْظَر: العُدَّة في أصول الفقه (١٧٥/١).

[١٤٢] يُنْظَر: المرجع السابق، الموضع نفسه.

[١٤٣] يُنْظَر: فواتح الرحموت (٨٨/١)، التقرير والتحبير على تحرير الكمال بن الهمام (١١٨/٣).

[١٤٤] يُنْظَر: شرح الكوكب المنير (٣٩/١).

[١٤٥] يُنْظَر: نفائس الأصول في شرح المحصول (١٥٧/١)، (٧٧١/٢).

[١٤٦] يُنْظَر: الإشارة في أصول الفقه (ص٨٨).

[١٤٧] يُنْظَر: التعريفات (ص١٨١).

[١٤٨] يُنْظَر: التمهيد في أصول الفقه (٢٥/١).

[١٤٩] يُنْظَر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب (١٩١/٣).

[١٥٠] يُنْظَر: الحدود في الأصول (ص١٢١).

[١٥١] يُنْظَر: العُدَّة في أصول الفقه (١٣٢٩/٤).

[١٥٢] يُنْظَر: الواضح في أصول الفقه (١٤٣/٢).

[١٥٣] يُنْظَر: الفصول في الأصول (١٦٣/١، ٢١٥)، (٨٩/٣)، التقريب والإرشاد (الصغير) (١٨٦/٣)، العُدَّة في أصول الفقه (٨٨٨/٣)، المستصفى (ص١١٦).

[١٥٤] يُنْظَر: المستصفى (ص١٢١)، بذل النظر في الأصول (ص٣٩٣)، الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي (٣٢/٢)، المعتمد في أصول الفقه (٩٣/٢).

[١٥٥] يُنْظَر: الرسالة للشافعي (ص٣٦٩)، الجامع لعلوم الإمام أحمد (٩١/٥)، أصول الشاشي (ص٢٨٧)، المقدمة في الأصول لابن القصار (ص٢٦)، المعتمد في أصول الفقه (١٥٣/٢)، الإحكام في أصول الأحكام - ابن حزم (١١٩/١)، اللمع في أصول الفقه للشيرازي (ص٨٢)، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص١٥٣).

[١٥٦] يُنْظَر: المستصفى (ص١٢١)، شرح المعالم في أصول الفقه (١٩٦/٢).

[١٥٧] يُنْظَر: المسودة في أصول الفقه (ص٢٣٩)، التمهيد في أصول الفقه (١٠١/٣)، الواضح في أصول الفقه (٤٠٠/٤)، أعلام الموقعين عن رب العالمين (٤٠/٢).

[١٥٨] يُنْظَر: أصول السرخسي ٣٤٣/١، كشف الأسرار (٣٧٩/٢)، (٦٠/٣)، بذل النظر في الأصول (ص٥٨٩)، العُدَّة في أصول الفقه (٨٨٩/٣ ـ ٨٩٤) روضة الناظر (٣٧٢/١).

[١٥٩] ذكر العلماء أنهم: عبدالله بن عباس، عبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، إذا تم تعقيب ذكرهم بعد الخلفاء الأربعة، وأما عبدالله بن مسعود فلم يذكره بعض العلماء من العبادلة، ولعل السبب في ذلك هو تقدم وفاته، وهذه المسألة يطول الكلام فيها، وليس هذا موضعها.

يُنْظَر: المستصفى (ص٢٨٩): تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (٦٧٥/٢)، نظم علوم الحديث (ص٢٤٥)، النجم الوهاج في شرح المنهاج (٤٦٩/٨)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٥٠٦/٢).

[١٦٠] يُنْظَر: نفائس الأصول في شرح المحصول (٣٠٥١/٧)، العُدَّة في أصول الفقه (٨٨٩/٣).

[١٦١] يُنْظَر: نفائس الأصول في شرح المحصول (٣٠٥١/٧).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الفرع الرابع: رأي الباحث:

لدينا في هذه المسألة بابان:

الأول: القياس على الأصول العامة.

الثاني: قياس فرع على أصل بعلة جامعة بينهما.

فأما الأصول العامة فلها عدة اعتبارات، فقد يقصد بها: الكتاب، والسنة، وقد يقصد بها: الكتاب، والسنة، والاجماع، والقياس، وقد يقصد إضافة إلى ما ذكر الأدلة المختلف فيها بحسب كل مذهب، كالاستصحاب، وقول الصحابي، والاستحسان، ونحوها.

وقد اختلف العلماء في الاعتبار بهذه الأصول إلى عدة مذاهب:

فمذهب الحنفية أن الأصول التي يبنى عليها الأحكام هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، والاستحسان [١٦٢].

ومذهب المالكية أن الأصول هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس وعمل أهل المدينة وقول الصحابي والمصالح المرسلة وسد الذرائع [١٦٣].

ومذهب الشافعية أن الأصول هي: الكتاب، والسنة، والاجماع، والقياس، وقول الصحابي في القديم [١٦٤].

ومذهب الحنابلة أن الأصول هي الكتاب، والسنة، والاجماع، والقياس، وفتوى الصحابي، والمرسل، والضعيف من الأحاديث إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه [١٦٥].

من خلال هذا العرض يتبين الفرق بين العمل بالأصول، والعمل بالقياس على الأصول، فكل واحد منهما باب مستقل بذاته، فمخالفة الأصول تعني مخالفة ما يستند إلى التشريع ابتداء، وبشكل مباشر، أما القياس على الأصول فإنه تشريع بواسطة، فالوصول إلى الحكم هنا يمر بعدة مراحل.

وأما الفرق بين مخالفة الأصول ومخالفة القياس، أو معنى الأصول فهو: أن مخالفة القياس أخص من مخالفة الأصول؛ لأن القياس أصل من الأصول، فكل قياس أصل، وليس كل أصل قياسًا، فما خالف القياس خالف أصلًا خاصًا، وما خالف الأصول يصدق بما خالف قياسًا أو نصًا أو إجماعًا، أو استصحابًا أو غير ذلك.

فوجوب الوضوء بالنوم موافق للقياس؛ من حيث إنه تعليق حكم بمظنته، كسائر الأحكام المعلقة بمظانها، مع أنه مخالف لبعض الأصول، وهو: استصحاب العدم الأصلي في خروج الحدث حتى يُعلَم أمرٌ ناقلٌ عن الاستصحاب.

فالأَصْلَ يُتْرَكُ لدليلٍ شَرْعيٍّ بنُطْقٍ أو استنباط، كما في الأَصلُ أن لا وضوءَ من ملامَسَةِ امرأةٍ ولا مسِّ ذكَرٍ، فأَوْجَبْناه بدليلِ الكتابِ والسُّنَّةِ. والأَصْلُ أن لا وُضوءَ على مَنْ مَسَّ الدبُرَ ولا على المرأةِ إذا مَست زَوْجَها، فأَوجبناه بالقياس [١٦٦].

وقيل: خبر الواحد لا يفيد إلا الظن، وهو مخالف لقياس الأصول المقطوع به، فلا يلزم العمل به.

ورُدَّ على ذلك بأن التوقف في خبر الواحد إنما هو في مخالفة الأصول، لا في مخالفة قياس الأصول، وهذا الخبر إنما خَالَف قياس الأصول، بدليل أن الأصول: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، والكتاب والسنة في الحقيقة هما الأصل. والآخران مردودان إليهما، فالسنة أصل، والقياس فرع، فكيف يرد الأصل بالفرع؟! بل الحديث الصحيح أصل بنفسه، فكيف يقال إن الأصل يخالف نفسه؟ [١٦٧]

ومن شروط الأصل إذا كان حكمه على وفق قياس الأصول: ثبوت حكم الأصل، وأن يكون الطريق إلى معرفة ذلك الحكم سمعيًّا، وألا يكون طريق ثبوت الحكم في الأصل هو القياس، وألا يكون الدليل الدال على حكم الأصل دالًّا بعينه على حكم الفرع، ولا بد أن يظهر كون ذلك الأصل معللًا بوصف معتبر، ويجب ألا يكون حكم الأصل متأخرًا عن حكم الفرع، كوجوب النية في قياس الوضوء على التيمم؛ فإن التعبد بالتيمم، إنما ورد بعد الهجرة [١٦٨].

وقد يتعارض خبر الواحد مع أدلة أخرى، فيُنظر: إن كانت أقوى منه قُدّمت عليه، وإلا فإنّه يوجد خلاف بين العلماء فيما عدا ذلك: كتعارض خبر الواحد والقياس، فإنه يجمع بينهما قدر الإمكان، فإن لم يمكن الجمع بينهما فقد اختلفوا أيهما يقدّم.

الخاتمة:

في نهاية هذا التَّطواف، أحمد الله تعالى على أن أعانني على إتمامه، وأختم بذكر أهمِّ نتائجه التي توصَّلتُ إليها، مع عدد من التوصيات التي أرجو أن تتحقق في عالم البحث أو العمل.

أَوَّلًا: أهمُّ النَّتائج:

١ـ أظهر البحث أن العلّامة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ له مكانة علمية كبيرة، ونظر اجتهادي منضبط في مسائل أصول الفقه، وما يتعلق بها من علوم الآلة الأخرى.

---

(١٦٢) التنبيه على مشكلات الهداية (١١٨٧/٣)، التلويح على التوضيح لمتن التنقيح (٤٦/١)، المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية (ص٩١).

(١٦٣) يُنْظَر: تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السول (٢٥٥/٣)، المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية (ص١٤١).

(١٦٤) يُنْظَر: مختصر المزني، المقدمات الممهدات (٢٧/١)، بغية المقتصد شرح بداية المجتهد (٩٩٣٥/١٦)، المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية (ص٢٤).

(١٦٥) يُنْظَر: روضة الناظر وجنة المناظر (٣٤/١)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران (ص١١٣-١٢٣)، المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب (١٤٩/١-١٥٨)، المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية (ص١٩٣).

(١٦٦) يُنْظَر: الواضح في أصول الفقه (٣١٤/٢).

(١٦٧) يُنْظَر: الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس (٣٧٩/١).

(١٦٨) يُنْظَر: نفائس الأصول في شرح المحصول (٣٦١٩/٨).

٢ـ أبرز البحث أن كتاب (حاشية العُدَّة) له قيمة علمية كبيرة، جعلته محط أنظار العلماء، دراسة وتدريسًا، وتحقيقًا، وذلك لقوة نظره، ودقة تعليقاته، وقيمة تقييداته، وأصالة مصادره، وسلامة منهجه.

٣ـ أظهر البحث الحاجة العلمية **إلى بحث الفروق الأصوليَّة في المدونات الأصوليَّة، ودراستها**، والمقارنة بينها، ومعرفة أوجه الشبه والاختلاف فيها.

٤ـ كشف البحث الأهمية العلمية **لضبط مصطلح الفروق الأصوليَّة**، وذلك ببيان ماهيته، وأركانه، وشروطه.

٥ ـ بيّن البحث نشأة علم الفروق الأصوليّة وأهميته، وأركانه وشروطه، وبعض الدراسات السابقة لهذا العلم بشكل عام، ولهذه المسائل بشكل خاص.

٦ ـ عرّفت الدراسة بالعلّامة ابن الأمير الصَّنْعَانيّ وذلك من خلال نسبه ونشأته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وحياته العلمية، ومكانته ووفاته.

٧. كشف البحث: عدم لزوم كون الشيء مشروعًا أن يكون تركه مكروهًا، وذهاب الجمهور إلى أن كل فعل مسنون صح الأمر به مقصودًا فتركه مكروه، وما لا تحديد له ولا ضابط من المندوبات لا يكون تركه مكروهًا، خلافًا للحنفية الذين ينكرون الكراهة جملة وتفصيلًا. وما دل عليه دليل مما تقدم بدون ما يقتضي الحتم ولا كراهة الترك فليس تركه مكروهًا، وغايته أنه خلاف الأولى، وأما ما لم يدل عليه دليل، فتركه أولى من فعله؛ لأن فعله ابتداع.

٨. بيّنت الدراسة أن السهو والنسيان بينهما تداخل وعموم، فإذا نظر إليهما بشكل إجمالي فهما مترادفان، وإذا تم تعميق النظر فيهما من جهة القوة المدركة، والقوة الحافظة فإن النسيان أخص.

٩. بيّنت الدراسة أن الفرض والواجب قد يكونان من جهة مترادفين، وقد يكونان من جهة أخرى متباينين، وقد يكونان مترادفين تارة، ومتباينين تارة، فمن يقول بالترادف جعلوهما اسمًا لمعنى واحد تتفاوت أفراده، ومن يقول بالتفريق اصطلحوا على التقسيم وخصصوا لكل قسم اسمًا، فالواجبات تتفاوت، وتوجد درجات للإلزام بالعمل.

١٠ـ بيّنت الدراسة الفرق بين الغاية التي من جنس المغيا، والتي ليست من جنسه، وبين أوصاف الحال المقيدة للأفعال.

١١ـ كشف البحث عن الفرق بين العمل بالأصول، والعمل بالقياس على الأصول، فكل واحد منهما باب مستقل بذاته، فمخالفة الأصول تعني مخالفة ما يستند إلى التشريع ابتداء، أما القياس على الأصول فإنه تشريع بواسطة، فالوصول إلى الحكم هنا يمر بعدة مراحل.

ثانيًا: أهمُّ التَّوصيات:

يوصي الباحث بعددٍ من التَّوصيات؛ لعلَّ أهمَّها:

١ـ الاهتمام بالكتب الأصوليَّة التي حررها العلماء، واستخراج المصطلحات العلمية الواردة فيها، ودراستها، وبيان ما فيها من فروق علمية دقيقة على جُلّها- إن لم يكن كلها- آثار فقهية لا تنضبط إلا بمعرفة تلك الفروق.

٢ـ العناية بدراسة مقاصد العلماء من المصطلحات العلمية الواردة في كتبهم، والبحث عن صنيعهم فيها، وتفسيرهم لها، أو تفسير الشراح، ومعرفة ما بينها من فروق دقيقة يترتب عليها آثار علمية أو عملية.

٣ ـ ضرورة العناية بتعزيزِ قِيمة المصطلحات الأصوليَّة، ودراسة المسائل التي اعتنت بالفروق الأصوليَّة في بقيَّة كتب أصول الفقه.

٤ـ دراسة مصطلح الفروق دراسةً أصوليَّةً تأصيليَّة، تضبط مفهومها، وتبين صورها، وتكشف جوانبها، واستعمالات العلماء لها.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن. (٢٠٠٩م). الهداية إلى أوهام الكفاية. المحقق: مجدي محمد سرور باسلوم. دار الكتب العلمية، مطبوع بخاتمة (كفاية النبيه) لابن الرفعة.

٣. الآمدي، علي بن محمد. (١٤٠٢هـ). الإحكام في أصول الأحكام. علق عليه: عبد الرزاق عفيفي. الطبعة: الثانية. دمشق – بيروت: المكتب الإسلامي.

٤. ابن أمير حاج، محمد بن محمد. (١٩٨٣م). التقرير والتحبير. دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية.

٥. الباجي، سليمان بن خلف. الإشارة في أصول الفقه. المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. الطبعة: الأولى. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦. الباقلاني، محمد بن الطيب. (١٩٩٨م). التقريب والإرشاد (الصغير). قدم له وحققه وعلق عليه: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد. الطبعة: الثانية. بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة.

٧. البخاري علاء الدين، عبد العزيز بن أحمد. (د.ت). كشف الأسرار شرح أصول البزدوي. دار الكتاب الإسلامي.

٨. بدر الدين العيني، محمود بن أحمد. (٢٠٠٠م). البناية شرح الهداية. الطبعة: الأولى. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

٩. التفتازاني، مسعود بن عمر. (١٩٥٧م). التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه. ومعه: التوضيح في حل غوامض التنقيح، لصدر الشريعة المحبوبي. مصر: مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر.

١٠. آل تيمية. المسودة في أصول الفقه. (د.ت). جمعها وبيضها: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الحراني الدمشقي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة المدني (وصورته دار الكتاب العربي).

١١. ابن التلمساني عبد الله بن محمد. (١٩٩٩م). شرح المعالم في أصول الفقه. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض. الطبعة: الأولى. بيروت – لبنان: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
١٢. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي. (١٩٩٤م). الفصول في الأصول. الطبعة: الثانية. وزارة الأوقاف الكويتية.
١٣. الجويني، عبد الملك بن عبد الله. (د.ت). التلخيص في أصول الفقه. المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري. بيروت: دار البشائر الإسلامية.
١٤. الجويني، عبد الملك بن عبد الله. (٢٠٠٧م). نهاية المطلب في دراية المذهب. حققه وصنع فهارسه: أ. د/عبد العظيم محمود الدّيب. الطبعة: الأولى. دار المنهاج.
١٥. ابن الحاجب. (د.ت). شرح الرضي على الكافية. محمد بن الحسن الإستراباذي. تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر.
١٦. الحدادي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين. (١٣٥٦هـ). فيض القدير شرح الجامع الصغير. الطبعة: الأولى. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
١٧. ابن رشد الحفيد. (٢٠١٩م). بغية المقتصد شرح بداية المجتهد.محمد بن أحمد بن محمد شرح: محمد بن حمود الوائلي، أصل الكتاب: دروس صوتية في المسجد النبوي، اعتنت به وعلقت عليه: كاملة الكواري [تفريغ التسجيلات الصوتية وتخريج الأحاديث وتوثيق النقول]، قدم له: عبد الله بن إبراهيم الزاحم. الطبعة: الأولى. بيروت – لبنان: دار ابن حزم.
١٨. الزركشي، محمد بن عبد الله. (١٩٩٤م). البحر المحيط في أصول الفقه. دار الكتبي، الطبعة: الأولى.
١٩. السرخسي، محمد بن أحمد. (د.ت). أصول السرخسي. حقق أصوله: أبو الوفا الأفغاني (رئيس اللجنة العلمية لإحياء المعارف النعمانية)، لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد بالهند. (وصورته دار المعرفة - بيروت، وغيرها).

٢٠. الطوفي، سليمان بن عبد القوي. (١٩٨٧م). شرح مختصر الروضة. المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الطبعة: الأولى. مؤسسة الرسالة.
٢١. العطار، حسن بن محمد. (د.ت). حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع. دار الكتب العلمية.
٢٢. الغزالي، محمد بن محمد. (١٩٩٨م). المنخول من تعليقات الأصول. حققه وخرج نصه وعلق عليه: الدكتور محمد حسن هيتو. الطبعة: الثالثة. بيروت- لبنان: دار الفكر المعاصر، دمشق – سورية: دار الفكر.
٢٣. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. (٢٠٠٢م). روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. قدم له ووضح غوامضه وخرج شواهده: الدكتور شعبان محمد إسماعيل. الطبعة: الثانية. مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٤. القرافي، أحمد بن إدريس. (١٩٩٥م). نفائس الأصول في شرح المحصول. المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. الطبعة: الأولى. مكتبة نزار مصطفى الباز.
٢٥. القِنَّوجي، محمد صديق خان بن حسن. (٢٠٠٧م). التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول. الطبعة: الأولى. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
٢٦. القونوي، قاسم بن عبد الله بن أمير. (١٤٢٤هـ). أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء. المحقق: يحيى حسن مراد. دار الكتب العلمية.
٢٧. الكشميري، محمد أنور شاه بن معظم شاه الهندي. (٢٠٠٤م). العرف الشذي شرح سنن الترمذي. تصحيح: الشيخ محمود شاكر. الطبعة: الأولى. بيروت، لبنان: دار التراث العربي.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

أثر التقنية الحديثة في إثبات الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين.

د. مريم بنت سعيد بن حمد العزرية

باحثة شؤون إسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان.

The impact of modern technology in proving the harm that justifies judicial separation between spouses.

dr. Mariam Said Hamed ALazri

Islamic Affairs Researcher at Ministry of Endowments and Religious Affairs.

E-mail: mariamazri111@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

التفريق بين الزوجين، تفريق القاضي، الضرر، وسائل الإثبات، التقنية الحديثة.

KEY WORDS:

separation between spouses, separation of the judge, harm, means of proof, modern

مستخلص البحث:

في عالم يضج بالتغير والتطور في مختلف نواحي الحياة في ظل الطفرة التقنية وغيرها من منجزات الثورة الصناعية، تأتي هذه الدراسة في بيان ضرورة اعتبار التقنية واستثمارها في علاج القضايا الفقهية، وبصورة خاصة في قضية مهمة من قضايا فقه الأسرة المتجددة؛ وهي إثبات الضرر في التفريق القضائي بين الزوجين؛ نظراً لارتباط التقنية بحياة الناس واستقرارهم الأسري والاجتماعي. ولما كان الضرر المسوغ للطلاق هو الضرر والأذى الذي يلحقه أحد الزوجين أو كلاهما بالآخر، مما لا يجوز في الشرع، وتتعذر معه العشرة الزوجية بينهما. وقد يكون الضرر ماديا أو معنويا، وهنا تقوم إشكالية حول معايير تقدير هذا الضرر وتحديده وطرق إثباته؟ ومدى أمكانية اثباته عن طريق التقنيات المعاصرة؟ مع مراعاة أن لإثبات الضرر الواقع بين الزوجين خصوصية وطبيعة خاصة تقتضي وجود استثناءات ونظرات أعمق للعلماء في إثباته ومدى تحقق الإضرار فيها في ظل الأمور المستجدة في الحياة الزوجية فرضتها طبيعة الحياة المعاصرة. وقد اقتضت خطة الدراسة أن تكون في محورين: أولهما حول مفهوم الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين، وأما المحور الثاني فيناقش طرق إثبات الضرر في التفريق القضائي في ضوء التقنية الحديثة. وقد خلصت الدراسة إلى نتائج أهمها: أن إثبات الضرر بين الزوجين له خصوصية وطبيعة خاصة، تقتضي نظرا عميقا في تقديره وآلية إثباته في ظل الأمور المستجدة في الحياة الزوجية التي فرضتها طبيعة الحياة المعاصرة، وأن وسائل إثبات الضرر هي ذاتها وسائل الإثبات العامة، ولا تخرج عن القواعد العامة في الإثبات القضائي، وأن وسائل التقنية الحديثة من القرائن الظنية التي لا ترتقي للبينة القطعية المعتبرة شرعاً، فهي قرائن تخضع لتقدير المحكمة ويؤخذ بها عندما ترجح قوة التهمة وتبني قوة اعتقاد القاضي بالأخذ بها في الواقعة.

ABSTRACT:

In a world rife with change and development in various aspects of life, driven by technological advancements and other achievements of the Industrial Revolution, this study highlights the need to consider and utilize technology in addressing legal issues, particularly in an important and ever-evolving issue of family law: proving harm in judicial separation between spouses, given the connection technology has with people's lives and their family and social stability. The harm justifying divorce is the harm or injury inflicted by one or both spouses on the other, which is not permissible under Islamic law and renders marital life impossible. The harm may be material or moral, and here a dilemma arises regarding the criteria for assessing and defining this harm and the methods for proving it. And how feasible is it to prove it using contemporary technologies? Keep in mind that proving harm occurring between spouses has a unique and specific nature, requiring exceptions and deeper scholarly insights into proving it and the extent to which harm is actually present in light of the new developments in marital life imposed by the nature of contemporary life. The study plan required that it be divided into two axes: the first is about the concept of harm justifying judicial separation between spouses, while the second axis discusses the methods of proving harm in judicial separation in light of modern technology. The study reached the most important results: Proving harm between spouses has a special nature and specificity, which requires in-depth consideration of its assessment and the mechanism of proving it in light of the new issues in marital life imposed by the nature of contemporary life. The means of proving harm are the same as the general means of proof and do not deviate from the general rules of judicial proof. Modern technological means are conjectural evidence that does not rise to the level of conclusive evidence considered legally. They are evidence subject to the discretion of the court and are taken into account when the strength of the accusation is likely and the judge's belief in taking them into account in the incident is strong.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن عقد الزوجية ميثاق غليظ مقدس الأصل فيه الاستمرار ودوام المودة والرحمة والتعاون والإمساك بالمعروف، وقد أحاطه الإسلام بالعناية حرصا على بقائه ودوامه قدر المستطاع، وعليه كان التفريق بين الزوجين مكروها في الإسلام، لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة ولسبب أو حاجة ملحّة؛ لما يترتب عليه من أضرار كثيرة من فصم عرى الزوجية ونقض الميثاق الغليظ وهدم الأسرة وتشريد الأولاد؛ ومع ذلك لم يغفل الإسلام طبائع النفوس وما يعتريها من ملابسات واضطرابات وأحوال تؤدي إلى العنت والحرج أو الضرر والإضرار بالزوجين أو أحدهما، وقد تفرضه الحياة الواقعية لأسباب كثيرة، كتنافر طباع الزوجين وقلبيهما، واستفحال أسباب الشقاق، وقد تعرض أسباب قهرية فيصاب أحدهما بمرض يتعذر معه دوام العشرة، وقد يتضرر أحد الزوجين بغياب صاحبه مدة طويلة أو قد يعجز الزوج عن الإنفاق والعشرة بالمعروف إلى غير ذلك من الأسباب التي تعرض للحياة الزوجية وتلحق بأحدهما ضررا لم يمكنه الصبر عليه؛ حيث تتعذر العشرة بينهما فتتحول الحياة بينهما شقاء وعذابا، وحينما لا يرتض الزوج أن يمسك زوجه بإحسان أو يفرق بإحسان كما أمره الله تعالى به لزم أن يتدخل القاضي لرفع الأذى والظلم الذي لحق زوجه منه بسبب سوء عشرته وتعنته في تطليق زوجه، وهذا يزداد تأكيدا في هذا العصر، حيث خربت الذمم وقلّ الدين والأخلاق، وانتشر الظلم والفساد، وانتفت معاني الزواج ومقاصده التي ترتضيها الفطرة السليمة ورغب فيها الإسلام.

ولما كان الضرر الواقع بين الزوجين له خصوصية وطبيعة خاصة، تقتضي اجتهادات عميقة في إثباته في ظل الأمور المستجدة في الحياة الزوجية التي فرضتها طبيعة الحياة المعاصرة وأنماط العيش الراهنة التي تضج بالتغير والتطور في مختلف نواحي الحياة في ظل الطفرة التقنية وغيرها من منجزات الثورة الصناعية، ولا تنفك عنها الحياة الزوجية وتفاصيلها المستمرة.

إشكالية الدراسة: تتمثل إشكالية الدراسة في سؤال رئيس هو: أثر التقنية الحديثة في إثبات الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين، وتنبثق منه أسئلة فرعية هي: ما مفهوم الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين، وما هي شروطه المعتبرة لينتج أثره في التفريق بين الزوجين، وما هي وسائل إثبات الضرر في التفريق القضائي في ضوء التقنية، وما مدى حجية التقنيات المعاصرة في اثبات الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة التعرف على أثر التقنية الحديثة في إثبات الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين وانعكاساتها عليه ومدى إمكانية الأخذ بها والتعامل معها وفق مقتضيات العدالة ووفق قواعد الشريعة الإسلامية دون إفراط أو تفريط.

منهجية الدراسة: يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي مع توظيف المنهج الاستنباطي التحليلي في دراسة محتوى المادة العلمية في إطار التأصيل للموضوع والتنظير له.

خطة الدراسة: اقتضت طبيعة الموضوع تناولها تحت المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: مفهوم الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين، ويتضمن ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: تعريف الضرر

المطلب الثاني: تعريف الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين

المطلب الثالث: شروط الضرر المسوغ للتفريق

المبحث الثاني: وسائل إثبات الضرر في التفريق القضائي في ضوء التقنية الحديثة، ويشتمل على ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: مفهوم وسائل إثبات الضرر

المطلب الثاني: أقسام وسائل الإثبات

المطلب الثالث: مدى حجية التقنيات المعاصرة في اثبات الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين

وأسأل الله التيسير والسداد والقبول لهذه الدراسة والنفع بها لطلاب العلم وأهله.

المبحث الأول: مفهوم الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين

في مستهل هذه الدراسة يجدر التعريج حول حقيقة الضرر المسوغ للتفريق بين الزوجين من جانب تعريفه وشروطه، ثم البحث حول طريقة إثباته ووسائله. وسيتم تناوله تحت المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الضرر

الضرر في اللغة: هو ما كان ضد النفع، وهو كل ما كان من سوء حال وفقر وشدة في بدن، ويعني أيضا الضيق والنقصان في الشيء، أو كل نقص يدخل الأعيان [١].

وأما في اصطلاح الفقهاء: فقد أخذوا معناه من التعريف اللغوي فقالوا هو كل نقص يدخل على الأعيان [٢]، وعرَّفوه بأنه إلحاق مفسدة بالغير مطلقا [٣]، أي إلحاق مفسدة بالغير في ماله أو نفسه أو شرفه واعتباره أو مشاعره؛ وعرِّف

---

١) محمد بن أكرم بن منظور: لسان العرب، ط١، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٤، ص٤٨٢؛ ينظر: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، ج٢، ص٣٦٠.

٢) وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ط٩، (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ج٦، ص٤٨٢٥.

٣) عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير، ط١، (د.م، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ)، ج٦، ص٤٣١؛ محمد بن عبد الباقي بن يوسف

كذلك بأنه: ما يؤلم الظاهر من الجسم وما يتصل بمحسوسة، وقيل هو إيلام النفس وما يتصل بأحوالها (٤). وقد عبّر عنه الفقهاء بمعنى الإتلاف والإفساد والاستهلاك وغيرها من الأفعال الموجبة للضمان (٥). وعرَّفه من المعاصرين على الخفيف بأنه: كل أذى يصيب الإنسان، فيسبب له خسارة مالية في أمواله- سواء أكانت ناتجة عن نقصها أم عن نقص منافعها أم عن زوال بعض أوصافها ونحو ذلك- عن كل ما يترتب عليه نقص في قيمتها عما كانت عليه قبل حدوث ذلك الضرر (6).

المطلب الثاني: تعريف الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين

من خلال مفهوم الضرر عموما عند الفقهاء والقانون يمكن وضع تعريف أولي للضرر الذي يكون في إطار العلاقة الزوجية خصوصا بأنه: الأذى الذي يلحق شخص أحد الزوجين من قبل الآخر، ويؤلمه في جسمه أو ماله أو شرفه أو اعتباره أو شعوره أو عواطفه، أو في أي حق من الحقوق الأدبية التي يحرص الناس عليها.

ويجدر الإشارة إلى أنه عند استقراء كتب الفقهاء القدامى والكتب الحديثة والقانون يتبين وجود منهجين في تعريف الضرر المسوغ للتفريق بين الزوجين، وهما:

المنهج الأول: تخصيص التفريق للضرر بمعنى سوء العشرة والشقاق، وذكره في فصل مستقل تحت باب خاص معنون بـ (تفريق القاضي أو الطلاق بحكم القاضي)، بجانب فصول أخرى في التفريق للعلل وعدم الإنفاق والغيبة والفقدان والإيلاء، وغيرها، وهذا ما عمد إليه أكثر الفقهاء المعاصرين (٧)، وغالب القوانين العربية (٨).

المنهج الثاني: منهج الفقهاء القدامى، وهو عدم إفراد باب مستقل لتفريق القاضي للضرر، ولكنهم لما لاحظوا أن الضرر الذي قد يتعرض له أحد الزوجين من الآخر أنواع كثيرة، وله أسباب مختلفة، منها: العلل والعيوب، وسوء العشرة والشقاق بينهما، وعدم الإنفاق، والغيبة والفقدان، ... ونحوها، وأن كل واحد منها يتميز بأحوال و أحكام تخصه، فقد نهجوا - إجمالا - إلى ذكر كل واحد منها في محله المناسب من أبواب النكاح والطلاق، في مباحث مختلفة فيها

كالنفقات وعشرة النساء والنشوز، أو موجبات الخيار في النكاح، أو أحكام المفقود، وغير ذلك، باختلاف مناهجهم وتقسيماتهم ومصطلحاتهم(٩). ولكنهم لم يتطرقوا لتعريف الضرر الموجب للتفريق القضائي بين الزوجين، عدا ما ذكره المالكية من تعريف للضرر في سياق الحديث حول الشقاق وسوء العشرة الزوجية، فعرفوه بأنه: "سوء العشرة، وهو كل ما يصدر من الزوج من قول أو فعل أو ترك، و يُلحق بالزوجة الأذى والألم البدني أو النفسي، بدون موجب شرعي، وبشروط مخصوصة (١٠)؛ وذلك لأن العشرة بين الزوجين قد تسوء لأسباب كثيرة، يجمعها معنى المضارة، وإلحاق الأذى بالآخر: كإقدام أحدهما على ضرب صاحبه ضربا مبرحا، أو شتمه شتما مقذعا...، ونحوه من أحوال التعدي والظلم؛ أو حرمانه حقوقه الزوجية كعدم النفقة أو العلل أو الغيبة أو الهجر والإعراض وغيره مما لا تصلح معها معاشرة زوجية.

ومن هنا يبدو أن البحث حول الضرر المسوغ للتفريق بين الزوجين لا بد وأن يتناول الضرر بمعناه العام والشامل لما ذكره الفقهاء من أنواع للضرر، وعدم تخصيصه بمعنى سوء العشرة من ضرب وسب ونحوه كما اصطلح عليه الفقهاء المعاصرون والقانون؛ وذلك للأسباب الآتية:

١. أن الضرر هو مناط تفريق القاضي بين الزوجين، وهو الدافع الأساس للطرف الآخر لطلب التفريق، وأنه ينتج غالبا عن تعدٍ أو إخلال بالحقوق الزوجية ومقاصدها، من سوء عشرة وشقاق بينهما أو علة أو عدم إنفاق أو هجر أو غيبه ونحوها؛ وأن وجودها يؤول إلى الإضرار بالآخر.

٢. أن وجود الضرر هو المعنى ذاته الذي لاحظه الفقهاء وجعلوه علة للحكم للزوجين بحق الخيار في النكاح لأجل العيوب، أو عدم الإنفاق أو الإعسار، أو الفقد، ونحوها من الخيارات، التي يؤول وجودها إلى الضرر. وعليه فإن هذه الأسباب ليست مقصودة بذاتها لجواز التفريق بين الزوجين، بدليل أن القاضي لا يحكم بالتفريق ما لم يكن هناك طلب من أحد الأطراف، ولا يدل طلبه غالبا إلا على تضرره، فلجوؤه إلى القاضي يكون لأجل رفع الضرر عنه، وأن القاضي لا يرفع الضرر إلا لو كان فيه منع حق واجب يؤول إلى

الزرقاني: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ)، ج٤، ص٤٠.

٤) المناوي: فيض القدير، ج٦، ص٤٣١.

٥) محمد أحمد الزرقا: المدخل الفقهي العام، ط١٠، (دمشق: دار الفكر، ١٣٨٧هـ ـ١٩٦٨م)، ج٢، ص١٠٣٢؛ وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ج٦، ص٤٨٢٥.

6) على الخفيف: الضمان في الفقه الإسلامي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م)، ص٤٦ وما بعدها.

٧) ينظر مثلا: محمد أبو زهرة: الأحوال الشخصية، (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٥م)، ص٣٤٨-٣٦٨؛ علي حسب الله: الفرقة بين الزوجين وما يتعلق بها من عدة ونسب، (د.م: دار الفكر العربي، د.ت)، ص١١٨-١٧٣؛ وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ط٩، (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ج٩، ص٧٠٤٠ وما بعدها.

٨) على اختلاف القوانين في صياغة موادها وتقسيماتها.

٩) ينظر مثلا: علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٢)، ج٢، ص٣٢٢ وما بعدها؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي: مواهب الجليل شرح مختصر خليل، ط٢، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨م)، ج٤، ص٩ وما بعدها؛ ؛ محمد الخطيب الشربيني: مغني المحتاج، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج٣، ص٤٤٢؛ أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي: المغني، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ)، ج٧، ص١٤٠ وما بعدها.

١٠) ينظر: أبو البركات سيدي أحمد الدردير: الشرح الكبير، تحقيق: محمد عليش، (بيروت: دار الفكر. د.ت)، ج٢، ص٣٤٥؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي (الحطاب): مواهب الجليل شرح مختصر خليل، ط٢، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨م)، ج٤، ص١٧.

الضرر؛ فقد جاء في حاشية الدسوقي: "الضرر إنما يجب رفعه إذا كان فيه منع حق واجب"(١).

٣. أن هذا المعنى هو ما يفهم من مجمل كلام الفقهاء القدامى بجانب ما دلت عليه صريح عباراتهم؛ إذ إنهم قد صرحوا بالعلة التي تجيز للقاضي أن يفرق بين الزوجين، وفصلوا جليا لأحوال بعض أسباب الضرر وأحكامها: كتقديرهم للحد الموجب منها للتفريق، وما وضعوه من شروط وضوابط له، وكذلك ضربهم للآجال التي يمهل أو يعذر فيها المقصر في النفقة أو الغائب والمفقود والمعيب؛ للتأكد من مدى وجود الضرر المسوغ للتفريق ودوامه وتأثيره على المتضرر والحياة الزوجية، وكذلك تعذر وجود طريق غيره لدفع الضرر عنه ونفيه، أو التقليل منه إلى حد يكون غير مؤثر أو مسبب للحرج والمشقة، فيمكن الصبر عليه(١). وهناك نصوص كثيرة تعلل سبب جواز التفريق بين الزوجين بالضرر الذي يلحق الطرف الآخر، ولا يقدح في ذلك ما استعمله فقهاء المالكية لمصطلح الضرر في باب النشوز وقصرهم له على الشقاق وسوء العشرة، فهم بجانب ذلك نجدهم كباقي فقهاء المذاهب الأخرى يجيزون التفريق للأسباب الأخرى المذكورة بالعلة نفسها، وهي الضرر.

٤. لقد ذكر الفقهاء المعاصرون تعريفات للضرر تدل على هذا المعنى الجامع لدلالات الضرر، فقد عرف بأنه: معاملة الزوج لزوجته معاملة شاذة عرفا(١١). وعرَّفه آخرون بأنه: كل إيذاء يقع من الزوج على زوجته بالقول أو الفعل، بحيث تعد معاملة الرجل في العرف معاملة شاذة ضارة، تشكو منها المرأة ولا تطيق الصبر عليها(١٢). وعرَّفوه – أيضا - بأنه: إيذاء الزوج لزوجته بالقول أو الفعل، كالضرب المبرح والشتم المقذع والهجر بغير سبب، وحملها على ارتكاب محرم، والعمل على ابتزاز مالها(١٣). وعرِّف بأنه: كل ما يجاوز حق التأديب المباح شرعا، ولا ترى الزوجة الصبر عليه، ويستحيل معه دوام العشرة بين أمثالها(١٤)، فالضرر كما يكون ماديا قد يكون معنويا؛ إذ رب ضرر معنوي أشد إيلاما من الضرر المادي فكان لا بد من اعتباره، وقد أكد مراده من هذا المعنى إذ أردف التعريف بقوله: "ويشمل أي نوع من أنواع الإيذاء الذي تتضرر منه المرأة" (١٥).

ومن هنا يمكن استخلاص تعريف جامع للضرر المسوغ للطلاق بأنه الأذى الذي يلحقه أحد الزوجين أو كلاهما بالآخر، مما لا يجوز في الشرع، وتتعذر معه العشرة الزوجية بينهما. وهو شامل لمختلف أسباب جوازا لتفريق القضائي كـ (العيوب وسوء العشرة، وعدم الإنفاق، والغيبة والفقدان، والإيلاء). ولكن تبقى ملاحظة أخيرة على هذه التعريفات المذكورة، وهي: أنها تسند الضرر للمرأة، وتقصره على ذلك الضرر الذي يكون من جهة الزوج، مع أن الضرر قد يكون من الجانبين، فيتجلى أن الأولى أن يسند لكليهما، ولكن يتعلل لها أنه في الواقع أن غالب الضرر يقع من الزوج على زوجته؛ لأنه صاحب القوامة وله حق التأديب، وأما الزوج فإن أصابه ضرر من زوجته فأمامه مخرج آخر وهو الطلاق.

المطلب الثالث: شروط الضرر المسوغ للتفريق

لا يكون الضرر منتجا لآثاره بالتفريق بين الزوجين إلا إذا توافرت فيه شروط تقيده وتحده، ويمكن بيان تلك الشروط على النحو الآتي:

الفرع الأول: أن يكون مما لا يجوز شرعاً

إن الأذى المسوغ للتفريق بين الزوجين لا يعد ضررا ما لم يكن مما لا يجيزه المشرع، وكما هو معلوم شرعاً فإن هناك أحوالا يكون الأذى فيها جائزا شرعا ويقصد بها تحقيق مصالح معينة، فلا تعتبر مسوغا للتفريق، كجواز الهجر والضرب على سبيل التأديب وعلاج نشوز المرأة؛ فإن المقصد منها هو الإيلام النفسي لأجل الرجوع والارتداع عما هي فيه، كما أن في عرف الناس أمورا يُتألم منها لكنّها مطلوبة، بل الواجب الشرعي أحيانا على القيام بها، كأخذ الدواء للعلاج، بالرغم مع ما يصاحبه من التألم عند أخذه غالبا، ومع ذلك فهو مطلوب، وكما جاء في عرف الشرع أمور أقرها وأجازها مع ما يوجد فيها من أذى وإيلام للنفس، كالقصاص وإقامة الحدود ونحوه، فهو نوع من الأذى المشروع بحق (١٦)، ويتأكد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ١١٨﴾ [التوبة: ١١٨]، حيث أمر الرسول بهجر هؤلاء النفر، لما فيه من العقوبة بما يحدثه من الأذى والإيلام النفسي، مع أن الهجر منهي عنه شرعا في مواطن أخرى، ومما يؤكد ذلك استخدام القرآن لهذا اللفظ - الأذى - في مواطن يأمر فيها

---

١١) محمود محمد علي: الطلاق بين الإطلاق والتقييد في الشريعة الإسلامية –دراسة مقارنة-، (د.م: دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، ص٢٥١.

١٢) فتحي حسن مصطفى: دعاوى الطلاق والطاعة للمسلمين وغير المسلمين معلقا عليها بأحكام النقض الحديثة، (الاسكندرية: منشأة المعارف، د.ت)، ص٣٧.

١٣) محمد حسين الذهبي: الشريعة الإسلامية - دراسة مقارنة بين مذاهب أهل السنة والشيعة -، ط٣، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ص٣٣٧.

١٤) واصل علاء الدين وأحمد ابراهيم: أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية والقانون معلقا عليها بأحكام المحكمة الدستورية العليا ومحكمة النقض، ط٥، (د.م: د.ن، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ص ٤٣٢.

١٥) المرجع نفسه والصفحة.

١٦) ينظر: محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الإسلام (العقوبة)، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ص٥.

بإيقاعه، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا١٦﴾ [النساء: ١٦]، إشارةً إلى الضرب ونحو ذلك [١٧].

ويجدر التنبيه على أنه لا يشترط في الأذى المسوغ للتفريق نوع معين من أنواع الأذى عموما؛ لأن إطلاق لفظ الأذى يدل على عمومه لجميع أنواعه ما دام ممنوع شرعا بنص الأدلة الشرعية أو بمبادئ وقواعد التشريع الكلية.

الفرع الثاني: أن يبلغ الضرر حدا يتعذر معه استمرار العشرة الزوجية

أي إن الضرر المسوغ للطلاق هو الضرر غير العادي الذي يتعذر بسببه دوام العشرة بين الزوجين ولا يمكن الصبر عليه؛ لأن الأذى تختلف أنواعه ودرجاته بين اليسير الذي يمكن تحمله والصبر عليه، والجسيم الذي يصعب الصبر عليه وتتعذر العشرة الزوجية معه [١٨]. فتخرج بذلك الزلات والهفوات التي لا تخلو منها الحياة الزوجية، فلا تعد سببا مسوغا للتفريق؛ لأن الحياة الزوجية لا تخلو منها.

وهناك عدة عناصر يستأنس بها القاضي لاستخلاص تعذر استمرار العلاقة الزوجية مع الضرر المدعى به، وهذه العناصر هي: [١٩]

أ. النصوص المنظمة للعلاقة بين الزوجين بما فيها من حقوق والتزامات عامة، وهي كثيرة جدا في الكتاب والسنة، ومنها - على سبيل التمثيل - النصوص التي تبين حقوق الزوجين سواء الخاصة لكل منهما أم المشتركة بينهما، يقول تعالى: ﴿وَمِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨]؛ إذ إن السلوك المخالف لمقتضى هذه النصوص يكون مظنة الإضرار بالآخر، فإذا تبين تعدي أحد الزوجين أو تجاوزه لمقتضاها، فإن ذلك يعد مؤشرا لقصد الإضرار بالآخر.

ب. العرف، أي الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الزوجان بكل ما هو متعارف عليه من عادات وتقاليد، بشرط ألا تكون متعارضة مع الأحكام الشرعية، وذلك لأن (العادة محكمة) [٢٠].

ج. الوضعية الاجتماعية للزوجين وسائر ظروفهما الخاصة التي لها تأثير على تكييف علاقاتهما، وتحديد أساليب تعاملهما، مثل المستوى العلمي والتربوي والثقافي، والحالة الصحية والاقتصادية، ومما يسهم به كل منهما في الأعباء العائلية والمهنية التي يزاولها، إلى غير ذلك من الظروف الخاصة التي تؤثر على تكييف سلوك الزوجين وتعاملهما بينهما.

د. تجدد الضرر وانتهاؤه، وهذا له مدلول خاص على مدى استعداد الزوجين للاستمرار في الحياة الزوجية والتغلب على أسباب الشقاق ودوافعه أو العكس. فإذا استخلص القاضي من وقائع القضية رجحان تجدد الضرر بسبب إصرار المعتدي منهما على سلوكه في المستقبل، فهذا مما يدل على تعذر استمرار العشرة بينهما، وعلى العكس من ذلك إذا ترجح عدم تجدد الضرر في المستقبل فإن الطلاق حينها لا يكون له محل؛ لإمكانية استمرار العشرة بينهما [٢١].

هـ. طول الخصومات بينهما وكثرة تكرار الشكوى قرينة على فحش الضرر وتعذر العشرة بينهما [٢٢].

الفرع الثالث: أن يكون الضرر متحققا، لا متوهما

يشترط في الضرر الذي تبنى عليه الأحكام أن يكون متيقنا من وقوعه أو مظنونا ظنا قويا بوقوعه في الحال أو المستقبل [٢٣]، فلا عبرة بالضرر الموهوم أو نادر الحصول؛ عملا بقاعدة (لا عبرة للتوهم) [٢٤]. ويدل على هذا الشرط ما تقرر من كون الأحكام الشرعية إنما تناط باليقين والظنون الغالبة، وأنه لا التفات فيها إلى الأوهام والظنون المرجوحة والاحتمالات البعيدة [٢٥]؛ و ذلك لأن الأحكام الشرعية - في الأصل - إنما تبنى على المتيقن منه، وهو العلم الذي يجزم

---

[١٧] أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج١، ص١٥.

[١٨] ينظر: ابراهيم مصطفى، وآخرون: المعجم الوسيط، ج١، ص١٢؛ محمود عبد الرحمن عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، د.ت)، ج١، ص١٢٤.

[١٩] أحمد الخمليشي: التعليق على قانون الأحوال الشخصية، ط١، (الرباط: دار نشر المعرفة، د.ت)، ج١، ص٣٨٦ - ٣٨٧.

[٢٠] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الأشباه والنظائر، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، ج٧، ص٨٩؛ أحمد بن الشيخ محمد الزرقا: شرح القواعد الفقهية، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا أحمد الزرقا، ط٢، (دمشق: دار القلم، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ج١، ص٢١٩.

[٢١] أنور العمروسي: أصول المرافعات الشرعية في مسائل الأحوال الشخصية، ط٧، (د.م: دار الطباعة الراقية، د.ت)، ص٦٨٥

[٢٢] أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي: البهجة في شرح التحفة على الأرجوزة المسماة بتحفة الأحكام، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ج١، ص٤٨٧؛ محمد الشربيني: مغني المحتاج، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج٣، ص٢٦١؛ أنور العمروسي: أصول المرافعات الشرعية في مسائل الأحوال الشخصية، ص٦٥٨.

[٢٣] ينظر: وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ج٤، ص٣٥؛ محمد بكر اسماعيل: القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه، (د.م: دار المنار، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ص٧٥؛ يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين: قاعدة المشقة تجلب التيسير - دراسة نظرية تأصيلية تطبيقية -، ط١، (الرياض: مملكة الرشد، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ص٤٨٧-٤٨٩؛ محمد بن حسين الجيزاني: حقيقة الضرورة الشرعية، بحث في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد (٧٠)، السنة (١٨)، (١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م)، ص١٠٣-١٠٤.

[٢٤] أي لا اكتراث بالتوهم، ولا يبنى عليه حكم شرعي، بل يعمل بالثابت قطعاً أو ظاهراً دونه، ولا يجوز تأخير الشيء الثابت بصورة قطعية بوهم طارئ. ينظر: علي حيدر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تعريب: المحامي فهمي الحسيني، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج١، ص٧٣؛ أحمد الزرقا: شرح القواعد الفقهية، ص٣٦٣.

[٢٥] ينظر: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣م)، ج٣، ص٢٧٩.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

ويقطع به ويطمئن القلب إلى حقيقته"[٢٦]، ولكن لما كان اليقين عزيز المنال، فقد جُوّز الحكم بناء على غالب الظن المستند إلى دليل معتبر[٢٧]، وهو "ترجح أحد الأمرين على الآخر بدليل، ووصل ترجيحه إلى درجة الظهور الذي يبني عليه العاقل أموره مع طرح الاحتمال الآخر لشدة ضعفه"[٢٨]، فكان حجة يعمل بها إذا تعذر الوصول إلى اليقين، فنزل بذلك بمنزلة اليقين في بناء الأحكام عليه في أكثر المسائل[٢٩].

وقد جاءت أقوال الفقهاء القدامى مقررة مبدأ اعتبار غلبة الظن في بناء الأحكام، منها قول الكاساني: " أن غالب الرأي حجة موجبة للعمل به وأنه في الأحكام بمنزلة اليقين" [٣٠]، وعليه قرروا العديد من القواعد مثل: (غلبة الظن بمنزلة اليقين)[٣١]، و(الظن الغالب حجة يعمل بها) [٣٢]. وبناءً على ذلك يتقرر عندهم أن الضرر المعتبر في تفريق القاضي بين الزوجين، ينبغي أن يكون قائما بالفعل ومتيقنا منه أو مظنونا ظنا قويا بوقوعه في الحال أو المستقبل، ويستخلص القاضي ذلك من وقائع القضية وأدلة الإثبات.

ويمكن بيان تطبيق هذا الشرط في الأمثلة التالية: في حال تعدي الزوج على زوجته بالضرب ضربا مبرحا لغير تأديب، فإن هذا الفعل غالبا ينتج ضررا محققا بالمرأة حالا، من الإيلام النفسي والأذى الجسدي، ويمكن الجزم بوقوع هذا الضرر من أدلة ثبوت الفعل، لأنه مقترن به غالبا. وأما الغيبة وعدم الإنفاق والعلل، فإن لم يظهر الضرر الناتج عليها حالا، إلا أنه متيقن حدوثه في المستقبل بهلاك النفس لعدم وجود ما تقوم عليه من الطعام، أو الخشية عليها من ضرر حرمانها حقها الشرعي في الاستمتاع ونحوه من الأضرار. ولهذا فقد ضرب الفقهاء آجالا في حالات منها قبل التفريق؛ للتأكد من مدى لحوق الضرر بالمرأة وعدم وجود سبل أخرى لتلافيه، حتى يصل ظنهم أنه ضرر مظنون ظنا قويا بتوقعه لاستمرار وجود السبب.

المبحث الثاني: وسائل إثبات الضرر في التفريق القضائي في ضوء التقنية الحديثة

لقد تبين أن تقدير الضرر في النظر الفقهي والنظم المعاصرة هو أمر متروك لنظر القاضي، فينظر في الضرر ومدى تحققه في الواقعة بتوافر ماهيته وشروطه، بصورة تتضرر منه الزوجة ويتعذر معه العيش بين أمثالها، ويقدره كذلك من ظروف الأحوال وملابسات الدعوى وحال الزوجين، فينظر فيما يسببه الزوج لزوجته بأفعاله وأقواله أو بامتناعه، فيفرق بينهما ما ثبت الضرر بوسائل الإثبات المقررة فقها وقانونا. ولكن واقع الحال يدل على أن إثبات الضرر الواقع بين الزوجين خصوصية وطبيعة خاصة، تقتضي نظرا عميقاً في تقديره وآلية إثباته في ظل الأمور المستجدة في الحياة الزوجية التي فرضتها طبيعة الحياة المعاصرة، ومدى تحقق الإضرار فيها، وعليه سيتم دراسة وسائل إثبات الضرر المسوغ للتفريق بين الزوجين من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم وسائل إثبات الضرر

الإثبات يعني إقامة المدعي الدليل على إثبات ما يدعيه قبل المدعي عليه أما القضاء، بالطرق التي حددتها الشريعة الإسلامية أو القانون [٣٣]. وعليه فإن وسائل الإثبات هي: الحجج الشرعية التي يقدمها الخصوم أمام القضاء عند نظر الخصومة لإثبات دعوى المدعي، أو دفع المدعى عليه هذه الدعوى، أو إثبات واقعة معينة يتصل إثباتها بالفصل في الدعوى [٣٤]. وقد أقرت الشريعة الإسلامية بأنه يسمح للقاضي بأن يصل إلى الحقيقة بكافة الطرق التي يمكن أن تؤدي إليها في نظره وأن يستنتجها من كل ما يمكن أن يدل عليها في اعتقاده [٣٥].

---

[٢٦]) زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر (ابن نجيم): غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ج١، ص١٩٣.

[٢٧]) أحمد الزرقا: شرح القواعد الفقهية، ص ٧٩، ص٣٦٣.

[٢٨]) المرجع نفسه، ص٨٠.

[٢٩]) علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٢)، ج٢، ص١٠٦؛ الحطاب: مواهب الجليل، ج١، ص٤٠٥؛ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي: كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ)، ج١، ص٦٢٢؛ أحمد الزرقا: شرح القواعد الفقهية، ٧٩، ص٣٦٣.

[٣٠]) الكاساني: بدائع الصنائع، ج٢، ص١٠٦؛ ابن عابدين. حاشية رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين). (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٩٤.

[٣١]) فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي: تبيين الحقائق، (القاهرة، دار الكتب الإسلامي، ١٣١٣هـ)، ج١، ص٣٤٢؛ حيدر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام، ج١، ص٢٠؛ ابن عابدين: حاشية ابن عابدين، ج٢، ص٩٤؛ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي: شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، ط٢، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٦م)، ج١، ص٦٢٢.

[٣٢]) الكاساني: بدائع الصنائع، ج٢، ص١٠٦؛ حيدر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام، ج٢، ص٧٣١؛ محيي الدين بن شرف النووي: المجموع شرح المهذب، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧م)، ج١، ص٢٣٩.

[٣٣]) أحمد فراج حسين: أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي، (الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٤ م)، ص٧.

[٣٤]) حسين: أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي، ص١٣؛ محمد نعيم ياسين: نظرية الدعوى بين الشريعة الإسلامية وقانون المرافعات المدنية والتجارية، ط٣، (بيروت: دار النفائس، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م)، ص٨٣.

[٣٥]) أحمد فتحي بهنسي: نظرية الإثبات في الفقه الجنائي الإسلامي، دراسة فقهية مقارنة، (الشركة العالمية للطباعة والنشر، ١٩٦٢م)، ص٩.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

وكما هو مقرر فقهاً أن وسائل الإثبات في التفريق للضرر لا تخرج عن القواعد العامة في الإثبات القضائي، ما لم يقرر الفقهاء أحكاما مخالفة لها، وقد فصَّلوا قديما وحديثا في وسائل الإثبات تفصيلا واسعا، فأفردوا لها فصولاً وكتبا وأخرجوا في شأنها مؤلفات جمّة[٣٦]، يضيق المقام عن التفصيل فيها، وعليه سيتم عرضها بإيجاز بقدر ما يخدم مناقشة ما ينبني عليها من مسائل في باب إثبات الضرر بين الزوجين، وتعرج الدراسة بعدها على الأحكام التي قررها الفقهاء في دعاوى الطلاق على خلاف قواعد الإثبات العامة، مع مناقشة مدى إمكانية اعتبار التقنية الحديثة في إثبات الضرر المسوغ للتفريق بين الزوجين وتأصيلها الشرعي.

المطلب الثاني: أقسام وسائل الإثبات

تنقسم وسائل الإثبات العامة -التي تصلح لإثبات الحقوق، ومنها إثبات الضرر الذي يشكو منه أحد الزوجين من الآخر، ليتمكن من الحصول على حق التفريق القضائي- من حيث اعتمادها دليلاً وحجة في الدعوى من عدمه إلى قسمين رئيسين، يمثلان الوسائل المتفق عليها في الإثبات بين الفقهاء والوسائل المختلف فيها بينهم، ولكن لما كان لإثبات الضرر الواقع بين الزوجين من خصوصية وطبيعة خاصة، فمن خلال استقراء جزئيات هذا الباب يلحظ هناك استثناءات للعلماء في إثباته، وسيتم بيان جميع ذلك تحت أقسام ثلاثة لوسائل إثبات الضرر، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: قسم اتفق الفقهاء على حجيته

هي التي تقبل دليلا في الدعوى، يعول عليها القضاة، ويتمسك بها الخصوم في إثبات دعواهم، وهي: الإقرار والشهادة واليمين[٣٧]. وبيانها في الآتي:

١- **الإقرار:** وهو الإخبار بثبوت حق للغير على نفس المقر، ولو في المستقبل[٣٨]. ولا خلاف في حجيته بين الفقهاء، وهو عندهم أول الحجج الشرعية وأقواها إذا توفرت الشروط الواجب توفرها لقبوله؛ لأنه ليس هناك أبلغ من أن يقضي الإنسان على نفسه بالاعتراف بثبوت الحق عليه[٣٩].

٢- **الشهادة:** وهي إخبار الإنسان بحق لغيره على غيره، أو هي إخبار صادق لإثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء[٤٠]. وهي حجة تثبت بها جميع الحقوق ما دام قد توفر النصاب المشترط للحق المدعى به، وتوفرت الشروط والضوابط التي قررها الفقه الإسلامي لهذه الشهادة، سواء تعلقت بالشاهد وما يتعلق به من تزكية وتحمل وأداء ومعاينة للمشهود به أو سماع فيما يقبل السماع فيه، أم تعلقت بالمشهود له، أم بالمشهود به[٤١].

٣- **اليمين:** وهي الحلف بالله تعالى، وتأكيد ثبوت الحق أو نفيه بإشهاد الله تعالى أمام القاضي[٤٢]. وقد اتفق الفقهاء على أنها وسيلة من وسائل الإثبات أمام القضاء ما توفرت شروطها، وأنها مشروعة لتأكيد جانب الصدق على جانب الكذب في إثبات الحقوق أو نفيها[٤٣].

الفرع الثاني: قسم اختلف الفقهاء في حجيته

لقد تعددت آراء الفقهاء في مدى قبولها للإثبات وتعدادها وبيانها بين موسع ومضيق؛ لعدم قوة الأدلة الدالة على اعتبارها أو للاحتياط الشديد الذي تميزت به بعض المذاهب الإسلامية، حتى لا يكون تعويل القضاة على أدلة ظنية لا تطمئن إليها النفوس، فتضطرب الأحكام وتختلط الحقوق. وهي: النكول عن اليمين، وعلم القاضي، والقرائن، والإثبات بالكتابة، والإثبات بالمعاينة، والإثبات بالخبرة. وتوضيحها بصورة موجزة في الآتي:

١. **النكول عن اليمين:** هو أن يمتنع المدعى عليه عن اليمين، فقد اختلف الفقهاء في أثر هذا النكول، فذهب أبو حنيفة وأصحابه والحنابلة والاباضية إلى أنه حجة[٤٤]. وذهب

---

[٣٦] ينظر: تبصرة الحكام لابن فرحون؛ الأحكام السلطانية للماوري؛ أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي لأحمد فراج حسين؛ طرق الإثبات الشرعية لأحمد إبراهيم بك و واصل علاء الدين أحمد إبراهيم.

[٣٧] ينظر: زين الدين ابن نجيم الحنفي: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ط٢، (بيروت: دار المعرفة، د.ت) ، ج٧، ص٢٠٥؛ أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (بيروت: دار الفكر، د.ت) ، ج٢، ص٣٧٩؛ حاشية ابن عابدين، ج٥، ص٣٥٤؛ أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي: المغني، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ) ، ج١٠، ص٢٤١.

[٣٨] ابن عابدين: حاشية ابن عابدين، ج٥، ص٥٨٨؛ ابن قدامة: المغني، ج٥، ص٨٧.

[٣٩] ينظر: الزيلعي: تبيين الحقائق، ج٥، ص٢٢؛ ابن رشد: بداية المجتهد، ج٢، ص ٤٦١؛ الشربيني: الإقناع، ج٢، ص٣٢٤؛ ابن قدامة: المغني، ج٥، ص٨٧؛ عبد العزيز بن الحاج ابراهيم الثميني: الورد البسام في رياض الأحكام، تحقيق: محمد بن صالح الثميني، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، ص٩٨ وما بعدها.

[٤٠] ابن نجيم: البحر الرائق، ج٧، ص٥٥؛ محمد عرفه الدسوقي: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق: محمد عليش، (بيروت: دار الفكر، د.ت) ، ج٤، ص١٦٤.

[٤١] ينظر: ابن نجيم: البحر الرائق، ج٧، ص٥٥؛ الدسوقي: حاشية الدسوقي، ج٤، ص١٦٥؛ ابن قدامة: المغني، ج١٠، ص١٥٤؛ الثميني: الورد البسام في رياض الأحكام، ص٩٨ وما بعدها.

[٤٢] ابراهيم بن علي بن أبي القاسم ابن فرحون: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ط١، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ج١، ص٣٦٥؛ الشربيني: مغني المحتاج، ج٤، ص٤٧٠.

[٤٣] شمس الدين السرخسي: المبسوط شرح الكافي، ط٣، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م) ، ج١٦، ص٢٢٧؛ ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج١، ص٣٦٥؛ الشربيني: مغني المحتاج، ج٤، ص٤٦٧؛ ابن قدامة: المغني: ج٩، ص٢٢٦؛ الثميني: الورد البسام في رياض الأحكام، ص١٧٤ وما بعدها.

[٤٤] الكاساني: بدائع الصنائع، ج٦، ص٢٢٥؛ ابن قدامة: المغني، ج١٠، ص٢١٧؛ الثميني: الورد البسام في رياض الأحكام، ص١٨٧ وما بعدها؛ أبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة: الجامع، حققه وعلق عليه: عيسى يحي الباروني، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، د.ت) ، ج٢، ص٤٥١.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

مالك والشافعي، والصحيح عند أحمد، وابن حزم إلى أنه ليس بحجة [٤٥].

٢. علم القاضي: يراد به علم القاضي بحقيقة الدعوى ووقائعها، ولا خلاف بين الفقهاء في جواز حكم القاضي بعلمه المتحصل عنده في مجلس القضاء [٤٦]. ولكن اختلفوا في جواز الحكم بعلمه فيما علمه خارج مجلس القضاء بين مجوز ومانع [٤٧].

٣. القرائن: هي ما يلزم من العلم بها الظن بوجود المدلول [٤٨]. أو هي كل أمارة تقارن شيئا خفيا فتدل عليه [٤٩]، وتسمى الأمارة والعلامة. ويشار إلى أنه لم يذكر جميع الفقهاء القرائن بشكل مستقل مع وسائل الإثبات، ولم يخصصوا لها بابا مستقلا، ولكنهم ذكروها في كثير من الأبواب والأحكام، واستندوا إليها في القضاء والحكم إذا لم يتوفر الإقرار والشهادة واليمين والكتابة. فالفقهاء متفقون على الأخذ بالقرائن في الحكم والقضاء في الجملة، ومختلفون في التفصيل والتصريح بالأخذ بمختلف صورها وأنواعها من عدمه [٥٠].

٤. الإثبات بالكتابة: هي تصوير اللفظ بحروف هجائه، بشرط أن تكون واضحة ومفهومة وظاهرة، ولها أثر ثابت، فلا تقبل الكتابة على الهواء أو على الماء، أو على الأرض الملساء. ورغم أن الفقهاء لم يفردوا الإثبات بالكتابة في فصل مستقل؛ بل جاءت عندهم موزعة في عدة أبواب كالدعاوى والبينات والأحكام القضائية؛ ولكنهم قد اتفقوا على جوازها واعتمادها وسيلة من وسائل الإثبات بشكل عام [٥١]؛ وذلك لأن القواعد العامة والمقاصد الرئيسة في الشريعة تقبلها، وتقتضيها لدفع الحرج وحفظ الحقوق، وخاصة في هذا العصر الحاضر، حيث انتشر استعمال الكتابة، وأصبحت أهم وسيلة في الإثبات، وقد جعلتها القوانين أهم وسيلة إثبات، بل والأصل فيها، وجرى العرف على ذلك. واحتاط المقنن القانوني لدفع كل ريبة أو شك أو تزوير فيها بفضل الوسائل الحديثة في التوثيق والدواوين وكتاب العدل، وضوابط المحاكم وفتح السجلات، وتقدمت وسائل كشف التزوير حتى أصبحت فنا قائما بذاته وتعد الخبرة وسيلة من وسائل الوصول إلى الحق وثبوته؛ إذ إن العمل بمقتضى ما يراه الخبير والمختص مشروع باتفاق الفقهاء، وإن فروعهم الفقهية المختلفة تدل صراحة على مشروعيتها واعتمادها في الإثبات والحكم بموجبها وإن لم يعقدوا لها بابا مستقلا [٥٢]. ويتأكد ضرورة الأخذ بها دليلاً للإثبات في هذا العصر؛ حيث تقدم العلوم وزيادة التخصصات في جميع فروعها ودقتها؛ لأن أحوال الكون ومجالات الحياة لا يمكن لإنسان أن يلمّ بها، والقاضي مهما بلغت ثقافته واطلاعه لا يمكنه أن يحيط بها ويطلع على خباياها ويعرف وتفصيلاتها.

٥. الإثبات بالمعاينة [٥٣]: هي أن يشاهد القاضي بنفسه أو بواسطة نائبه محل النزاع بين المتخاصمين لمعرفة حقيقة الأمر فيه. وهي حجة في الإثبات، بل قد قال بعض العلماء أنها أقوى من إقرار المقر به والشهود [٥٤]؛ إذ إن الفقهاء قد اتفقوا على مشروعيتها، وإن لم يعقدوا لها بابا مع وسائل الإثبات، لكنهم ذكروا بعض الحالات التي تحتاج إلى معاينة في أبواب الفقه المتفرقة [٥٥].

٦. الإثبات بالخبرة [٥٦]: هي الإخبار عن حقيقة الشيء المتنازع فيه بطلب من القاضي [٥٧]. وتعد الخبرة وسيلة من وسائل الوصول إلى الحق وثبوته؛ إذ إن العمل بمقتضى ما يراه الخبير والمختص مشروع باتفاق الفقهاء، وإن فروعهم الفقهية المختلفة تدل صراحة على مشروعيتها واعتمادها في الإثبات، وللحكم

---

[٤٥] ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج١، ص٣٦٥؛ الشربيني: مغني المحتاج، ج٤، ص٤٧٠؛ ابن قدامة: المغني، ج١٠، ص٢١٧.

[٤٦] السرخسي: المبسوط، ج١٦، ص١١٦؛ ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج٢، ص٣٧؛ الشربيني: مغني المحتاج، ج٤، ص ٣٩٨؛ البهوتي: كشاف القناع، ج٦، ص٣٢٩.

[٤٧] ينظر: ابن عابدين: حاشية ابن عابدين، ج٥، ص٤٢٣؛ ابن رشد: بداية المجتهد، ج٢، ص٥١٠؛ الشربيني: مغني المحتاج، ج٤، ص ٣٩٨؛ ابن قدامة: المغني، ج١٠، ص١٠٢-١٠٣.

[٤٨] علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، ص٥٢.

[٤٩] وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ج٨، ص٦١٢٧.

[٥٠] ومن تلك القرائن: القيافة في إثبات النسب، واللوث في القسامة، والحيازة، والتصرف في إثبات الملك، ونحوها، والحكم بموت المفقود أو الغائب الذي غاب غيبة منقطعة بقرينة موت أقرانه. ينظر: ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج٢، ص١١٧وما بعدها؛ ابن رشد: بداية المجتهد، ج٢، ص٥٢٢؛ البهوتي: كشاف القناع، ج٤، ض١٢٩؛ ابن قدامة: المغني، ج٨، ص٣٨٦؛ الثميني: الورد البسام في رياض الأحكام، ص٢٧٤ وما بعدها.

[٥١] ابن عابدين: حاشية ابن عابدين، ج٥، ص٤٣٥؛ ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج١، ص٤٤٠؛ الشربيني: مغني المحتاج، ج٤، ص ٣٩٩؛ البهوتي: كشاف القناع، ج٦، ص٣٥٥.

[٥٢] ينظر: ابن نجيم: البحر الرائق، ص٢٤٤.

[٥٣] ينظر: محمد الزحيلي: التنظيم القضائي في الفقه الإسلامي -دراسة مقارنة بين المذاهب الفقهية والأنظمة والقوانين في سوريا والسعودية والإمارات-، ط٢، (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ص٤٣٩-٤٤٤؛ أحمد إبراهيم بك و واصل علاء الدين أحمد إبراهيم: طرق الإثبات الشرعية مع بيان اختلاف المذاهب الفقهية وسوق الأدلة والموازنة بينها ثم مقارنة بالقانون ومعلقاً عليها بأحكام المحكمة الدستورية العليا ومحكمة النقض ومواد قانون الإثبات الحالي ومواد مشروع قانون الإثبات في المواد المدنية والتجارية طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، ط٤، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٣ م)، ص٢٢٠؛ محمود محمد هاشم: القضاء ونظام الإثبات في الفقه الإسلامي والأنظمة الوضعية، ط١، (السعودية: جامعة الملك سعود، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص٣٢١-٣٢٥.

[٥٤] السرخسي: المبسوط، ج١٦، ص١٠٥.

[٥٥] السرخسي: المبسوط، ج١٦، ص١٠٥؛ ابن نجيم: البحر الرائق: ج٧، ص١٩٦؛ ابن جزي: القوانين الفقهية، ص٣٠٥؛ محمد الزحيلي: الفقه الإسلامي في أسلوبه الجديد، ج٢، ص٥١٠.

[٥٦] ينظر: محمد الزحيلي: التنظيم القضائي في الفقه الإسلامي، ص٤٤٤-٤٥٥؛ هاشم: القضاء ونظام الإثبات في الفقه الإسلامي والأنظمة الوضعية، ص٣٢٥-٣٣٩؛ محمد واصل، حسين بن علي الهلالي: الخبرة الفنية أمام القضاء-دراسة مقارنة-، (إصدار المكتب الفني بالمحكمة العليا، بوزارة العدل بسلطنة عمان، ٢٠٠٤م).

[٥٧] محمد الزحيلي: التنظيم القضائي في الفقه الإسلامي، ص٤٤٤.

بموجبها، وإن لم يعقدوا لها بابا مستقلا (٥٨). وفي هذا العصر تتأكد ضرورة الأخذ بها في وسائل الإثبات؛ حيث تقدم العلوم وزيادة التخصصات في جميع فروعها ودقتها، ولأن أحوال الكون ومجالات الحياة لا يمكن لإنسان أن يلمّ بها، والقاضي مهما بلغت ثقافته واطلاعه لا يمكنه أن يحيط بها ويطلع على خباياها ويعرف وتفصيلاتها. ويستعان بالخبرة الطبية في إثبات العيوب الزوجية التي يستحيل معها دوام العشرة الزوجية وتحقيق مقاصد الزواج وأهدافه، وكذلك لإثبات وقائع ضرب الزوجة وإيذائها بدنياً.

الفرع الثالث: الأحكام المخالفة لقواعد الإثبات العامة في دعاوى التفريق القضائي للضرر

من خلال استقراء مناقشة الفقهاء لوسائل الإثبات العامة يلاحظ إيرادهم استثناءات في إثبات الضرر في إطار الحياة الزوجية، وهي:

١ـ جواز الشهادة بالسماع أو الاستفاضة:

وهي: أن يشتهر المشهود به بين الناس، فيتسامعون به بإخبار بعضهم لبعض، ويكون المنقول عنه غير معين ولا محصور (٥٩).

إن من القواعد العامة المقررة في الإثبات: أن الأصل في الشهادة أن تكون إخبارا عن حضور ومعاينة بما وقع تحت سمع الشاهد وبصره؛ وذلك لأن الشهادة مشتقة من المشاهدة، وهي المعاينة، وتتم بالعلم، فلا تجوز الشهادة إلا بما علمه الإنسان(٦٠)؛ بدليل قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ٨٦﴾ [الزخرف: ٨٦] ، ولكن للضرورة استثني من هذا الأصل العام، فأجاز العلماء أن يشهد الشاهد معتمدا في شهادته على ما سمعه من خبر منتشر بين الناس، وذلك في أمور من العسير أن يراها كل إنسان أو يشاهدها ويعاينها؛ فإنه لو لم تقبل الشهادة بها بالسماع الفاشي واعتمادا على هذه الشهرة لأدى ذلك إلى الضيق والحرج وإبطال وتضييع كثير من الحقوق (٦١).

وقد اختلفت آراء الفقهاء في مجال قبولها بين موسع ومضيق، فاتفقوا على اعتبارها في النكاح والولادة والنسب والموت وولاية القاضي والوقف، واختلفوا فيما عداها من أمور كالملك المطلق والدخول بالزوجة والمهر وضرر الزوجة والعزل والإسلام والكفر والسفه والبيع والصدقات والرضاعة والخلع والقسمة والحمل والهبة والإيصاء والإرث والجرح والتعديل والرشد والعتق والولاء (٦٢).

والذي يظهر من كلام الفقهاء أن إثبات الضرر بين الزوجين من الأمور التي تكون مجالا للشهادة بالسماع؛ وقد نص بعض الفقهاء صراحة على جواز إثبات الضرر بالزوجة عن طريقها(٦٣)، والعلة في ذلك يمكن ملاحظتها من خلال مقاصد الشريعة الإسلامية في التيسير ورفع الحرج عن الناس؛ فإن الضرر المسوغ للتفريق قد يكثر وقوعه في حالات خاصة بين الزوجين، فيكون غير مشاهد ممن تقبل شهادتهم، أو يكون من العسير أن يطلع عليه كل إنسان أو يشاهدها ويعاينها؛ لذا قد يصعب إثباته مع أنه قد يكون ملموسا مشهورا في محيط الزوجين؛ وبهذا يكون الاستناد إلى شهادة التسامع والشهرة بوجود الضرر في محيط الزوجين رفعا الحرج عن الزوجين وتيسيرا لإظهار الحقيقة وتحقيق العدالة وتخفيف العبء الثقيل عن الزوجة في إثبات وقائع الإضرار.

وعلى كل حال فإن تحديد هذا المحيط وتقدير الشهادة عموماً يخضع لتقدير القاضي الذي له اعتمادها وقبولها إذا اطمأن إليها، أو تركها جانباً إذا ساوره شك في صحته، فلو لم تجز الشهادة بالتسامع هنا لأدى إلى الحرج وتعطيل الأحكام وضياع كثير من الحقوق، والحرج مدفوع شرعاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] (٦٤).

٢ـ جواز شهادة الأقارب

الأصل في الإثبات أنه لا تقبل شهادة من هو متهم بتهمة ترد شهادته؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والريبة حاصلة في المتهم. ولما روي عن النبي ﷺ: "لاتجوز شهادة خصم ولا ظنين (٦٥) "(٦٦) وذلك لأن الشهادة

---

٥٨) ينظر: ابن نجيم: ابن البحر الرائق، ص٢٤٤.

٥٩) ميارة: شرح ميارة، ج١، ص١٣٨؛ البهوتي: شرح منتهى الإرادات، ج٣، ص٥٧٩؛ البهوتي: كشاف القناع، ج٦، ص٤٠٩.

٦٠) ينظر: ابن عابدين: حاشية ابن عابدين، ج٧، ص٩٩؛ الدسوقي: حاشية الدسوقي، ج٤، ص١٧٢؛ الرملي: نهاية المحتاج، ج٨، ص٣١٩؛ ابن قدامة: المغني، ج١٠، ص١٦٥؛ هاشم: القضاء ونظام الإثبات في الفقه الإسلامي والأنظمة الوضعية، ص٢٨١.

٦١) ابن عابدين: حاشية ابن عابدين، ج٧، ص٩٩؛ ابن قدامة: المغني، ج١٠، ص١٦٥.

٦٢) ينظر: الكاساني: بدائع الصنائع، ج٦، ص٢٦٦-٢٦٧؛ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي: الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، (بيروت: دار الغرب، ١٩٩٤م)، ج١٠، ص ١٦٣الرملي: نهاية المحتاج، ج٨، ص٣١٩؛ ابن قدامة: المغني، ج١٠، ص١٦٤-١٦٥؛ أبو زكريا يحي بن سعيد: الإيضاح في الأحكام، ج١، ص١١١.

٦٣) ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج١، ص٤٣٤؛ الدردير: الشرح الكبير، ج٤، ص١٩٨؛ الحطاب: مواهب الجليل، ج٤، ص٣٤؛ محمد يوسف اطفيّش: شرح النيل وشفاء العليل، ط٣، (جدة: مكتبة الإرشاد، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ج٧، ص٢٨٦.

٦٤) قيطة حياة: إشكالية إثبات الضرر اللحق بأحد الزوجين، دراسة مقارنة بين قانون الأسرة والفقه الإسلامي، مجلة المعيار، تصدر عن كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، مجلد ٢٥، عدد ٥٩، سنة ٢٠٢١م، ص٤٣٢.

٦٥) معنى الظِنَّة هو: التهمة، ومعنى الحِنَة هو: الحقد والعداوة. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٢٧٣، مادة (ظنن)؛ ج١٦، ص٨،

٦٦) أخرجه مالك في الموطأ موقوفا على عمر، في كتاب (الأقضية)، باب (ما جاء في الشهادات)، برقم (١٤٠٣)، ج٢، ص٧٢٠. [ينظر: **مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي: موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: دار إحياء التراث العربي، د. ت)].**

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

خبر يحتمل الصدق والكذب، وإنما تحصل الحجة بهذا الخبر بترجيح جانب الصدق فيه على جانب الكذب. وبوجود التهمة- أي الشك والريبة- لا يترجح جانب الصدق. ومعنى التهمة في الشاهد في أن يجر بشهادته نفعا إلى نفسه أو إلى من لا تقبل شهادته له، أو يدفع عنها أو عمن ذكر ضررا، وهذا متحقق في وجود قرابة بين الشاهد والمشهود له، فيتهم فيها بإيثار المشهود له على المشهود عليه بما يجر له نفعا أو يدفع عنه ضررا [٦٧].

وقد ناقش الفقهاء مسائل شهادة القريب لقريبه وفصلوا فيها حسب درجات القرابة، ومنها شهادة الأصل لفرعه أو المطلب لأصله، وشهادة الأخ لأخيه، وشهادة سائر الأقارب لبعضهم، ويمكن بيانها إجمالاً:

- **فأما شهادة الأصل لفرعه، أو المطلب لأصله:** فقد اختلف الفقهاء فيها خلافاً واسعا أوصلوا إلى ستة أقوال، على ستة أقوال هي: فقيل لا تقبل مطلقاً، وذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية [٦٨]، والمالكية [٦٩]، والشافعية [٧٠]، والحنابلة في ظاهر المذهب [٧١]. وقيل تقبل ما لم يظهر ميلا، وقال به المالكية في رواية عندهم [٧٢]، وبعض الإباضية [٧٣]. وبعضهم فرق بينهما فقال تقبل شهادة المطلب لأصله ولا تقبل شهادة الأصل لفرعه، وذهب إلى ذلك الحنابلة في رواية [٧٤]. وذهب البعض إلى أنها تقبل ما عدا شهادة الوالد لولده فيما يجر إليه منفعة، ويدفع عنه مضرة، وذهب إليه جمهور الإباضية [٧٥]. وقصر بعضهم قبولها في ما لا تهمة فيه كالنكاح والطلاق، وذهب إلى ذلك الحنابلة في رواية اختارها ابن القيم [٧٦]. واشترط بعضهم العدالة في قبول تقبل شهادة الأب لابنه، وذهب إليه شريح وأبو ثور، والحنابلة في رواية عن أحمد [٧٧].

- **وأما شهادة الأخ لأخيه:** فيرى جمهور الفقهاء قبولها، وقيدها الإمام مالك بما إذا لم يدفع بذلك عارا عن نفسه، وما لم يكن منقطعا إلى أخيه يناله بره وصلته، وقال الأوزاعي لا تجوز [٧٨]، وفيه مزيد احتياط؛ إذ إن الميل الغريزي من الأخ لأخيه يمكن أن يكون تهمة ترد شهادة الأخ لأخيه، فلعل رأيه أصوب [٧٩].

- **وأما شهادة سائر الأقارب لبعضهم:** فلا خلاف بين جمهور الفقهاء على جواز شهادة ما عدا الأصل والمطلب من القرابات وحواشي النسب بعضهم لبعض [٨٠].

وجملة الكلام في هذا المقام: رغم ما ورد في الخلاف الواسع في شهادة الأقارب بعضهم لبعض، إلا أنه يلاحظ أن الحاجة غالباً في مجال التفريق للضرر تدعو إلى العمل بخلاف ما عليه الجمهور من منع قبول شهادة الأصل لفرعه والعكس؛ فعليه ينبغي أن يؤخذ فيه بالقول الذي اختاره ابن القيم، والذي يذهب إلى جواز شهادة الأصل لفرعه وشهادة المطلب لأصله فيما لا تهمة فيه، فتقبل شهادتهم في إثبات الضرر بين الزوجين، أو بمعنى آخر قبول شهادة القريب لقريبه من أي درجة كان للضرورة الملحة في ذلك؛ إذ إن هناك الكثير من الأمور بين الزوجين التي لا يمكن معاينتها وحصول العلم بها إلا بالخلطة والمعاشرة، فيكون من العسير أن يراها كل أحد أو يشاهدها ويعاينها إلا الأقارب من الأصول أو الفروع؛ فلو لم تقبل الشهادة بها لأدى ذلك إلى الضيق والحرج وتضييع كثير من الحقوق. وقد علل ابن القيم رأيه بقوله: "أن الشارع علق عدم قبول الشهادة على التهمة، وليس بوصف الأبوة أو البنوة أو الأخوة، فهي الوصف المؤثر في الحكم، فيجب تعليق الحكم به وجودا وعدما، ولا تأثير لخصوص القرابة ولا عمومها، بل قد توجد القرابة حيث لا تهمة، وتوجد التهمة حيث لا قرابة. والشارع إنما علق قبول الشهادة بالعدالة، وكون الشاهد مرضيا، وعلق عدم قبولها بالفسق، ولم يعلق القبول والرد بأجنبية ولا قرابة؛ فالتهمة وحدها مستقلة بالمنع، سواء كان قريبا أم أجنبيا. ولا ريب أن تهمة الإنسان في صديقه وعشيره ومن يعنيه مودته ومحبته، أعظم من تهمته في أبيه وابنه، والواقع شاهد بذلك. وكثير من الناس يحابي صديقه وعشيره وذا وده أعظم مما يحابي أباه وابنه" [٨١].

---

[٦٧]) ينظر: السرخسي: المبسوط، ج١٦، ص١٢١؛ ابن رشد: بداية المجتهد، ج٢، ص٣٤٧-٣٤٨؛ الرملي: نهاية المحتاج، ج٨، ص٣٠٠؛ ابن قدامة: المغني، ج١٠، ص١٨٨؛ بك وإبراهيم: طرق الإثبات الشرعية، ص٢٢٠.

[٦٨]) ابن عابدين: حاشية ابن عابدين، ج٧، ص٦٤.

[٦٩]) ابن رشد: بداية المجتهد، ج٢، ص٣٥٢.

[٧٠]) شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي (الشافعي الصغير): نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (بيروت: دار الفكر للطباعة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ج٨، ص٢٨٧.

[٧١]) ابن قدامة: المقنع، ج٤، ص٣٣٧.

[٧٢]) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري (المواق): التاج والإكليل لمختصر خليل، ط٢، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ)، ج٦، ص١٥٩.

[٧٣]) اطفيَّش: شرح النيل، ج١٣، ص١٤٠.

[٧٤]) ابن قدامة: المغني، ج١٠، ص١٨٦.

[٧٥]) اطفيَّش: شرح النيل، ج١٣، ص١٤٣.

[٧٦]) ابن القيم: إعلام الموقعين، ج١، ص١١١، ص١١٨.

[٧٧]) ابن رشد: بداية المجتهد، ج٢، ص٣٥٢؛ ابن قدامة: المغني، ج١٠، ص ١٨.

[٧٨]) ينظر: السرخسي: المبسوط، ج١٦، ص١٢١؛ ابن رشد: بداية المجتهد، ج٢، ص٣٤٧؛ ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج١، ص٢٦٧؛ الشربيني: مغني المحتاج، ج٤، ص٤٣٥؛ ابن قدامة: المغني، ج١٠، ص١٨٨.

[٧٩]) محمد رأفت عثمان: النظام القضائي في الفقه الإسلامي، ط٢، (القاهرة: دار البيان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ص٣٦٧.

[٨٠]) كمال الدين محمد بن عبد الواحد ابن الهمام: شرح فتح القدير، ط٢، (بيروت: دار الفكر، د.ت) ، ج٧، ص٤٠٧؛ الشربيني: الإقناع، ج٢، ص٦٢٢ ؛ البكري: إعانة الطالبين، ج٤، ص٢٨٨؛ أبو إسحاق ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن مفلح الحنبلي، المبدع في شرح المقنع، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ) ، ج١٠، ص٢٤٥؛ أبو جابر محمد بن جعفر الأزكوي: الجامع، تجقيق: جبر محمود الفضيلات، ط١، (د.م: د.ن، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ، ج٤، ص٣٤.

[٨١]) ابن القيم: إعلام الموقعين، ج١، ص١١٥.

٣. الاكتفاء للشهادة بغالب الظن

الأصل في الشهادة أنه لا يصح الشهادة بشيء حتى يحصل له به علم؛ فلا تصح الشهادة إلا بما علم وقطع بمعرفته، لا بما شك فيه ولا بما يغلب على الظن معرفته؛ لأنها – كما يتضح من تعاريفها - أنها مأخوذة من المشاهدة والمعاينة [٨٢]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ٨١﴾ [يوسف: ٨١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ٨٦﴾ [الزخرف: ٨٦] ، وما رواه ابن عباس: أنه ذكر عند رسول الله ﷺ الرجل يشهد بشهادة، فقال لي: "يا بن عباس لا تشهد إلا على ما يضيء لك كضياء هذا الشمس". وأومأ رسول الله ﷺ بيده إلى الشمس [٨٣].

واستثناء من هذا الأصل ورد عن المالكية جواز اعتماد الشاهد على الظن القوي في الشهادة بإعسار الزوج وما شابهه أو بإضراره للزوجة، وهو الظن الناشئ من طول الصحبة والمخالطة وقرائن الأحوال؛ لأنه المقدور على تحصيله غالبا فيما يعسر العلم به، ولو لم يحكم بمقتضاه لزم تعطيل الحكم، فيعتمد في الإعسار على غلبة الظن الحاصلة من طول صحبته، وقرينة مشاهدة صبر المشهود له على الضرر، كالجوع والعري ونحوه، مما لا يكون إلا مع الفقر. وهكذا الحال في إضرار الزوجة يمكن أن يعتمد الشاهد في شهادته على طول صحبتهما، ومخالطته لهما، وقرينة صبر أحدهما على سوء عشرة الآخر [84].

وخلاصة القول فيما تقدم من بيان وسائل الإثبات المتفق عليها والمختلف فيها، يلاحظ أنها متعددة، وللخصوم أن يقدموها عند نظر الدعوى إثبات دعوى المدعي أو دفع المدعى عليه لهذه الدعوى، أو إثبات واقعة معينة يتصل إثباتها بالفصل في الدعوى[85]، وهذه الطرق غير محصورة في الإقرار والشهادة واليمين؛ بل للخصوم أن يقدموا في إثبات الدعاوى والدفوع والحقوق عامة ما يثبت حقهم وتؤيد دعاواهم ما لم تكن منهياً عنها شرعاً[86]، وليس القاضي أن يمتنع عن قبول أي دليل أو حجة تقدم إليه؛ تحقيقا للعدل الذي أمر به الشرع الحكيم، وقد خول إليه سلطة قبول الأدلة التي تعرض إليه والبحث فيها في حرية تامة دون تحكم، وله سلطة تقدير كل دليل وتقدير قيمة الأدلة مجتمعة واستخلاص نتيجة ذلك وفقاً لما يمليه عليه اقتناعه الشخصي[87].

وقد تطورت طرق الإثبات حيث ظهرت الأدلة العلمية التي تقوم على الاستعانة بالأساليب الفنية والتي كشف عنها العلم الحديث بالذات في المجال الجنائي، حيث يستفاد منها في إثبات الجريمة ونسبتها إلى المتهم، ويعطي نظام الأدلة العلمية الدور الرئيس في الإثبات للخبير، ويجعل أهم الأدلة هي القرائن التي تخضع للفحص العلمي الدقيق، ويستخرج منها في صورة قاطعة ما يثبت الإدانة أو البراءة[88].

المطلب الثالث: مدى حجية التقنيات المعاصرة في اثبات الضرر المسوغ للتفريق القضائي بين الزوجين

في خضم التطور التقني والرقمي الذي ساهم بتفعيل دور المستخدمين بتوثيق وتبادل المعلومات والبيانات بسهولة، مثل التسجيل الصوتي والمرئي أو المراسلات عبر وسائل التواصل الاجتماعي ونحوها من العلامات والأمارات التي تساعد في إثبات الحقوق والمسؤولية المترتبة عليه، تظل الحاجة قائمة إلى النظر في مدى حجيتها في مجال إثبات الضرر اللاحق بأحد الزوجين، وهو أمر فيه إشكال واسع من حيث تداخلها مع تفاصيل الحياة اليومية للناس واستعمالهم الواسع لها، مما يؤكد أهميتها وضرورة عدم إقصائها من طرق الإثبات للحقوق والدفوع في دعاويهم، مع مراعاة ما يعتريها من إمكانية التزوير والتلاعب فيها بفعل التطور التقني ذاته فتقلل من قيمتها وقوتها ويحد من اعتبارها في إثبات الضرر الذي يقضي التفريق بينهما، وقد حصل خلاف فقهي واسع بين أهل العلم في مدى الأخذ بها كأدلة إثبات في الدعاوى، وهذا ما سيتم بيانه ومناقشته في المحاور الآتية:

---

[٨٢] ينظر: حسين: أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي، ص٣٤-٣٥؛ بك وإبراهيم: طرق الإثبات الشرعية، ص٢٢٠.

[٨٣] أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب (الأحكام)، برقم (٧٠٤٥)، ج٤، ص١١٠؛ وأخرجه البيهقي في سننه، في كتاب (الهبات)، باب (شرط القبض في الهبة)، برقم (٢٠٣٦٦)، ج١٠، ص١٥٦. ينظر: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م)].

[84] المواق: التاج والإكليل، ج٦، ص١٦١؛ ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج١، ص٤٦٩؛ الدسوقي: حاشية الدسوقي، ج٤، ص١٧٢.

[85] حسين: أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي، ص١٣.

[86] ناقش الفقهاء مسألة حصر أدلة الإثبات في الإقرار واليمين والشهادة، فذهب الجمهور إلى هذا الرأي، وذهب فريق من الفقهاء إلى عدم حصرها فيها، كابن القيم وابن فرحون وبعض الحنفية كالزيلعي والطرابلسي. ينظر تفصيل ذلك مع عرض أدلة كل فريق ومناقشتها في: حسين: أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي، ص١٨ وما بعدها؛ حسن تيسير شموط: الإثبات القضائي: وسائله وطرقه في الفقه الإسلامي، ط١، (الأردن: دار النفائس، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م)، ص١٣ وما بعدها.

[87] ينظر: أحمد هندي: طرق الإثبات المعاصرة (فقه العدالة في الإسلام)، بحث مقدم في ندوة تطور العلوم الفقهية (فقه العصر: مناهج التجديد الديني والفقهي)، المنعقدة خلال عام ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، (مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م)، ص٥٤١.

[88] ينظر: شحاتة عبد اللطيف حسن: حجية الدليل المادي في الإثبات في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، (دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٥م)، ص٢.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الفرع الأول: تعريف التقنية الحديثة

التقنية في اللغة مأخوذة من الحذق والإتقان في الشيء أي إحكامه [89]، والتقنية هي ترجمة لكلمة (Technical)، في اللغة الإنجليزية، وهي مصطلح يشير إلى كل الطرق التي يستخدمها الناس في اختراعاتهم واكتشافاتهم لتلبية حاجاتهم وإشباع رغباتهم [90]، وهي الأشياء الملموسة المستخدمة للتطبيق مثل الأدوات والمعدات والآلات وغيرها مما هو مستحدث جديد على العالم [91].

وأما وسائل التقنية الحديثة في مجال إثبات الضرر في العلاقة الزوجية فيدخل فيها كل ما يستخدمه الزوجان أو هو متاح معهما لتوثيق الضرر من أدوات التسجيل الصوتي والمرئي أو المراسلات عبر وسائل التواصل الاجتماعي من خلال الهاتف والانترنت ونحوها، وكذلك المحررات الرسمية القاضية بالإدانة والتي تفيدها الخبرة والشواهد الطبية، ومن الوسائل المعتمدة كذلك في إثبات الضرر بين الزوجين الاعتماد على الأدلة الجنائية الحديثة كالبصمات والبقع الحيوية ونحوها المعتمدة في إثبات بعض الأضرار المتعلقة بالجرائم. وكل واحدة من تلك الوسائل ناقشها الفقهاء وفصلوا في توضيحها وبيان الحكم الشرعي فيها، ويضيق المقام عن التفصيل في جميعها، وعليه كان المقصد هنا هو تحرير أصل المسألة وبيان تكييفها الفقهي المناسب الذي تندرج تحته مختلف صور وسائل إثبات الضرر ويحكم عليها بناءً على قوتها ومدى نفي التهمة عنها.

الفرع الثاني: حجية استخدام وسائل التقنية الحديثة في إثبات الضرر اللاحق بأحد الزوجين

اتفق الفقهاء على حجية أدلة الإثبات الشرعية المتمثلة في الإقرار والشهادة واليمين، واختلفوا فيما عداها من طرق الإثبات المتنوعة كالقرائن والخبرة ونحوها، وقد تقدم أن الفقهاء متفقون على الأخذ بالقرائن في الحكم والقضاء في الجملة، ومختلفون في التفصيل والتصريح بالأخذ بمختلف صورها وأنواعها [٩٢]؛ نظرا للخلاف في مدى قطعيتها وقوتها. وقد اعتبروا في الإثبات القرائن القوية التي تفيد ظنا قويا واحتمالاً راجحا، بحيث يثبت في علمنا أن دليل الشيء في الأمور الباطنة يقوم مقامه؛ لأن الأمور الخفية والحقائق الباطنة لم يكلف الشرع بالبحث عن حقيقتها، باعتبارها تكليف بما لا يستطاع بل يكتفي بدلائلها، وتعتبر هذه الدلائل قائمة مقام هذه الأمور؛ فالأمور علل الأحكام والأحكام تدور معها وجوداً وعدماً، كرؤية آلة القتل بيد إنسان وهو يترصد في غلسٍ دليل على قصده القتل [٩٣]. والقرائن تعتمد على ذكاء القاضي وفطنته وفراسته واجتهاده بملاحظة الظروف المقارنة للواقعة [٩٤].

وهذا الموقف من الاستدلال بالقرائن في القدم يجري على القرائن المستحدثة، خاصة أن الإسلام هو دين العقل والعلم لا يمنع الاستعانة بالعلوم والنظم الإثباتية المعاصرة، ما دام ذلك لا يعارض نصاً ولا يحل حراما ولا يحرم حلالاً، ولا يخرج عن المبادئ العامة للشريعة الإسلامية [95]. ومن هنا ذهب كثير من الفقهاء إلى اعتبار وسائل التقنية الحديثة من القرائن الظنية التي لا ترتقي للبينة القطعية المعتبرة شرعاً، فهي قرائن تخضع لتقدير المحكمة ويؤخذ بها عندما ترجح قوة التهمة وتبني قوة اعتقاد القاضي بالأخذ بها في الواقعة؛ لأن تلك الوسائل التقنية الحديثة مهما تطورت هي عرضة للخطأ ويدخل فيها احتمال التلاعب والتزوير والتلبيس وتركيب الصور وهو أمر أصبح هذا متوافرًا، إذ بالإمكان تركيب صورة على صورة ومحاكاة الأصوات كذلك، والقاعدة الفقهية تنص على أن (الحدود تُدْرأ بالشبهات) [٩٦]، ولكن يستفاد منها في أن للقاضي أن يعزز قناعته بما تفيده تلك الوسائل من بيانات ومعلومات منفردة أو مجتمعة.

وقد كان العمل بالقرائن عند الفقهاء القدامى معهوداً في مجال إثبات التفريق بين الزوجين بسبب الضرر اللاحق بالزوجة، فقد استدلوا على الحكم بوفاة المفقود بعد سنة في بعض الحالات بالقرائن التي تفيد غلبة الظن، فإن فقد الشخص في المعركة ثم لا يظهر له خبر بعد مرور سنة من وضع الحرب أوزارها مع البحث والسؤال عنه ومكاتبة الجهة التي غاب فيها بأمره، فهي قرينة تفيد غلبة الظن بموته، والعمل بالقرائن معتبر شرعا [٩٧]، وعللوا بأنها مناسبة للمرأة ما دام سيرفع عنها الضرر بعدها، فتنتظر الزوج خلالها لعله يعود فيها ويرتفع الضرر عنها، وإذا ما انتهت السنة كان لها حق

---

89) مجموعة من الباحثين: الموسوعة العربية العالمية، ط١، (ألسعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع)، ج٧، ص٦٧.

90) ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٧٣، المعجم الوسيط، ج١، ص٨٦.

91) هشام بن عبد الملك بن عبدالله آل الشيخ: أثر التقنية الحديثة في الخلاف الفقهي، ط٤، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٣١هـت ١٤٢٧م)، ص١٢.

٩٢) ينظر: ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج٢، ص١١٧وما بعدها؛ ابن رشد: بداية المجتهد، ج٢، ص٥٢٢؛ البهوتي: كشاف القناع، ج٤، ض١٢٩؛ ابن قدامة: المغني، ج٨، ص٣٨٦؛ الثميني: الورد البسام في رياض الأحكام، ص٢٧٤ وما بعدها.

٩٣) إبراهيم بن محمد الفايز: الإثبات بالقرائن في الفقه الإسلامي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م)، ص٦٨.

٩٤) وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته: ج١، ص٧٨٣.

95) ينظر: هندي: طرق الإثبات المعاصرة (فقه العدالة في الإسلام)، ص٥٤١.

٩٦) ينظر: الزركشي: المنثور في القواعد، ج١، ص٤٠٠؛ ابن نجيم: الأشباه والنظائر، ص٢٢٧.

٩٧) ينظر: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي: المنتقى شرح الموطأ، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٣٢هـ)، ج٤، ص٩١؛ علي الصعيدي العدوي المالكي: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي العدوي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ)، ج٢، ص ٨٦- ٨٧.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

طلب التفريق، فيعد بذلك غيابه عنها سنة قرينة للحوق الضرر بها وثبوت حقها في التفريق بسببه(٩٨).

ويدل على اعتبار القرائن في وجوب رفع الضرر عن المرأة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، حيث قال: قال لي رسول اللهﷺ: "يا عبد الله ألم أُخْبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم؛ فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً..."(٩٩)، فالحق المشار إليه في قول النبيﷺ: (لزوجك عليك حقاً) هو الوطء؛ إذ هو المتبادر من السياق وقرائن الحال، فإن صومه النهار وقيامه الليل دليل على عدم وطئها، فجاء النهي عنه، وثبوت هذا الحق لها على زوجها دليل وجوبه عليه، وإذا كان الوطء حقا واجبا للمرأة على زوجها كان ظالما بمنعها منه لغيبته عنها، وكان لها حينئذ رفع الأمر إلى القضاء للتفريق بينهما دفعا لضرره عنها(١٠٠).

ويؤكد ضرورة اعتبار القرائن (ومنها التقنية الحديثة) في الحكم بالضرر ما تقدم آنفاً أن غالب الأحكام الفقهية وسّعت في جانب إثبات الضرر اللاحق بأحد الزوجين، فمالت إلى فتح مجاله بكل السبل المتاحة ووسائل الإثبات الممكنة، ومنحت القاضي سلطة واسعة في تقدير الضرر؛ وذلك لما تتميز به المسائل الأسرية من خصوصية ومرونة، باعتبار أن المرأة هي الطرف الأضعف في العلاقة الزوجية، ولا يتصور في كثير من الحالات إثبات الضرر عن طريق بالمعاينة أو الشهود لما تتسم به العلاقة الزوجية من السرية والكتمان، وفيه جانب مراعاة للظروف النفسية التي قد يمر بها الطرف المتضرر، فالضرر الزوجي يكون من الصعوبة إثباته بالرغم من وجوده الملموس.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي بحثت حول وسائل إثبات الضرر المسوغ للتفريق بين الزوجين ومدى إمكانية الأخذ بالوسائل التقنية الحديثة، يمكن استخلاص أهم النتائج وهي:

١. الضرر المسوغ للتفريق بين الزوجين هو الأذى الذي يلحقه أحد الزوجين أو كلاهما بالآخر، مما لا يجوز في الشرع، وتتعذر معه العشرة الزوجية بينهما. وهو شامل لمختلف أسباب جوازا لتفريق القضائي كـ(العيوب وسوء العشرة، وعدم الإنفاق، والغيبة والفقدان، والإيلاء).

٢. لا يكون الضرر منتجا لآثاره بالتفريق بين الزوجين إلا إذا توافرت فيه شروط تقيده وتحده وتتمثل في كون الضرر غير جائز شرعا، وتتعذر معه العشرة الزوجية، ويكون متحققاً لا متوهما.

٣. إثبات الضرر بين الزوجين له خصوصية وطبيعة خاصة، تقتضي نظرا عميقا في تقديره وآلية إثباته في ظل الأمور المستجدة في الحياة الزوجية التي فرضتها طبيعة الحياة المعاصرة.

٤. وسائل إثبات الضرر هي ذاتها وسائل الإثبات العامة، وهي قسمين: قسم متفق عليها في الإثبات بين الفقهاء: هي الإقرار والشهادة واليمين، وقسم مختلف فيه هي: النكول عن اليمين، وعلم القاضي، والقرائن، والإثبات بالكتابة، والإثبات بالمعاينة، والإثبات بالخبرة.

٥. وسائل الإثبات في للضرر بين الزوجين لا تخرج عن القواعد العامة في الإثبات القضائي، وقد استثنى منها الفقهاء حالات هي: جواز الشهادة بالسماع أو الاستفاضة، وجواز شهادة الأقارب الاكتفاء للشهادة بغالب الظن.

٦. إثبات الضرر بين الزوجين من الأمور التي تكون مجالا للشهادة بالسماع؛ وقد نص بعض الفقهاء صراحة على جواز إثبات الضرر بالزوجة عن طريقها

٧. جواز شهادة الأصل لفرعه وشهادة المطلب لأصله فيما لا تهمة فيه، فتقبل شهادتهم في إثبات الضرر بين الزوجين، أو بمعنى آخر قبول شهادة القريب لقريبه من أي درجة كان

٨. جواز اعتماد الشاهد على الظن القوي في الشهادة في حالات الضرر، مثل الشهادة بإعسار الزوج وما شابهه أو بإضراره للزوجة، وهو الظن الناشئ من طول الصحبة والمخالطة وقرائن الأحوال.

٩. للخصوم أن يقدموا في إثبات الدعاوى والدفوع والحقوق عامة ما يثبت حقهم وتؤيد دعاواهم ما لم تكن منهياً عنها شرعاً، وليس القاضي أن يمتنع عن قبول أي دليل أو حجة؛ تحقيقا للعدل الذي أمر به الشرع، وقد خول إليه سلطة قبول الأدلة التي تعرض إليه والبحث فيها في حرية تامة دون تحكم.

١٠. وسائل التقنية الحديثة من القرائن الظنية التي لا ترتقي للبينة القطعية المعتبرة شرعاً، فهي قرائن تخضع لتقدير المحكمة ويؤخذ بها عندما ترجح قوة التهمة وتبني قوة اعتقاد القاضي بالأخذ بها في الواقعة.

---

(٩٨) ينظر: محمد الفقي المغاوري: التفريق بين الزوجين للغيبة والفقدان ـدراسة مقارنة في الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية العماني وبعض القوانين العربية الأخرى ـ، بحث مقدم لندوة "الفرقة بين الزوجين وآثارها"، التي أقيمت في كلية الشريعة والقانون بمسقط، بتاريخ ٢٢- ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ١- ٣ مايو ٢٠٠٥م، ص٤٢.

(٩٩) أخرجه البخاري في مواضع متعددة منها: في كتاب (الصوم)، باب (حق الجسم في الصوم)، برقم (١٨٧٦)، ج٢، ص٦٩٧؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب (الصيام)، باب (النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فت به حقاً)، برقم (١١٥٩)، ج١، ص ٨١٢-٨١٤. [أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، (بيروت: دار ابن كثير؛ اليمامة، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م)؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)].

(١٠٠) ينظر: البهوتي: شرح منتهى الإرادات، ج٣، ص٤٥؛ أحمد الحجي الكردي: فسخ الزواج ـبحث مقارن بين الشريعة الإسلامية والشريعتين المسيحية واليهودية والقوانين العربية.ـ، (دمشق: دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، ص٤٩١.

فهرس المصادر والمراجع:

١. ابراهيم بن علي بن أبي القاسم ابن فرحون: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ط١، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٢. ابراهيم مصطفى، وآخرون: المعجم الوسيط، ج١، ص١٢؛ محمود عبد الرحمن عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، د.ت).

٣. ابن عابدين. حاشية رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين). (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

٤. أبو إسحاق ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن مفلح الحنبلي، المبدع في شرح المقنع، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠ه).

٥. أبو البركات سيدي أحمد الدردير: الشرح الكبير، تحقيق: محمد عليش، (بيروت: دار الفكر. د.ت). أبو البركات سيدي أحمد الدردير: الشرح الكبير، تحقيق: محمد عليش، (بيروت: دار الفكر. د.ت)

٦. أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي: البهجة في شرح التحفة على الأرجوزة المسماة بتحفة الأحكام، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٧. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

٨. أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).

٩. أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي: المنتقى شرح الموطأ، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٣٢هـ).

١٠. أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (بيروت: دار الفكر، د.ت).

١١. أبو جابر محمد بن جعفر الأزكوي: الجامع، تجقيق: جبر محمود الفضيلات، ط١، (د.م: د.ن، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

١٢. أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣م).

١٣. أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي (الحطاب): مواهب الجليل شرح مختصر خليل، ط٢، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨م).

١٤. أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي: مواهب الجليل شرح مختصر خليل، ط٢، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨م).

١٥. أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري (المواق): التاج والإكليل لمختصر خليل، ط٢، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ).

١٦. أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، (بيروت: دار ابن كثير؛ اليمامة، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م).

١٧. أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).

١٨. أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي: المغني، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ).

١٩. أبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة: الجامع، حققه: عيسى يحي الباروني، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، د.ت).

٢٠. أحمد إبراهيم بك وواصل علاء الدين أحمد إبراهيم: طرق الإثبات الشرعية مع بيان اختلاف المذاهب الفقهية وسوق الأدلة والموازنة بينها ثم مقارنة بالقانون ومعلقاً عليها بأحكام المحكمة الدستورية العليا ومحكمة النقض ومواد قانون الإثبات الحالي ومواد مشروع قانون الإثبات في المواد المدنية والتجارية طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، ط٤، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٣ م).

٢١. أحمد ابراهيم بك، واصل علاء الدين أحمد ابراهيم: أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية والقانون معلقا عليها بأحكام المحكمة الدستورية العليا ومحكمة النقض، ط٥، (د.م: د.ن، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

٢٢. أحمد الحجي الكردي: فسخ الزواج –بحث مقارن بين الشريعة الإسلامية والشريعتين المسيحية واليهودية والقوانين العربية، (دمشق: دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).

٢٣. أحمد الخمليشي: التعليق على قانون الأحوال الشخصية، ط١، (الرباط: دار نشر المعرفة، د.ت).

٢٤. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م).

٢٥. أحمد بن الشيخ محمد الزرقا: شرح القواعد الفقهية، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا أحمد الزرقا، ط٢، (دمشق: دار القلم، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

٢٦. أحمد فتحي بهنسي: نظرية الإثبات في الفقه الجنائي الإسلامي، دراسة فقهية مقارنة، (الشركة العالمية للطباعة والنشر، ١٩٦٢م).

٢٧. أحمد فراج حسين: أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي، (الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٤ م).

٢٨. أحمد هندي: طرق الإثبات المعاصرة (فقه العدالة في الإسلام)، بحث مقدم في ندوة تطور العلوم الفقهية (فقه العصر: مناهج التجديد الديني والفقهي)، المنعقدة خلال عام

١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، (مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م).
٢٩. أنور العمروسي: أصول المرافعات الشرعية في مسائل الأحوال الشخصية، ط٧، (د.م: دار الطباعة الراقية، د.ت).
٣٠ حسن تيسير شموط: الإثبات القضائي: وسائله وطرقه في الفقه الإسلامي، ط١، (الأردن: دار النفائس، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م).
٣١. زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن بكر (ابن نجيم): البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ط٢، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
٣٢. زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن بكر (ابن نجيم): غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
٣٣. شحاتة عبد اللطيف حسن: حجية الدليل المادي في الإثبات في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، (دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٥م).
٣٤. شمس الدين السرخسي: المبسوط شرح الكافي، ط٣، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م).
٣٥. شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي (الشافعي الصغير): نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (بيروت: دار الفكر للطباعة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
٣٦. شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي: الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، (بيروت: دار الغرب، ١٩٩٤م).
٣٧. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الأشباه والنظائر، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).
٣٨. عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير، ط١، (د.م، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ).
٣٩. عبد العزيز بن الحاج ابراهيم الثميني: الورد البسام في رياض الأحكام، تحقيق: محمد بن صالح الثميني، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
٤٠. علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٢).
٤١. على الخفيف: الضمان في الفقه الإسلامي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م).
٤٢. علي الصعيدي العدوي المالكي: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي العدوي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ).
٤٣. علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ).
٤٤. علي حسب الله: الفرقة بين الزوجين وما يتعلق بها من عدة ونسب، (د.م: دار الفكر العربي، د.ت).
٤٥. علي حيدر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تعريب: المحامي فهمي الحسيني، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
٤٦. فتحي حسن مصطفى: دعاوى الطلاق والطاعة للمسلمين وغير المسلمين معلقا عليها بأحكام النقض الحديثة، (الاسكندرية: منشأة المعارف، د.ت).
٤٧. فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي: تبيين الحقائق، (القاهرة، دار الكتب الإسلامي، ١٣١٣هـ).
٤٨. قيطة حياة: إشكالية إثبات الضرر اللحق بأحد الزوجين، دراسة مقارنة بين قانون الأسرة والفقه الإسلامي، مجلة المعيار، تصدر عن كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، مجلد ٢٥، عدد ٥٩، سنة ٢٠٢١م.
٤٩. كمال الدين محمد بن عبد الواحد ابن الهمام: شرح فتح القدير، ط٢، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
٥٠. مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي: موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: دار إحياء التراث العربي، د. ت).
٥١. مجموعة من الباحثين: الموسوعة العربية العالمية، ط١، (ألسعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع).
٥٢. محمد أبو زهرة: الأحوال الشخصية، (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٥م).
٥٣. محمد أبو زهرة: الجريمة والعقوبة في الإسلام (العقوبة)، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت).
٥٤. محمد أحمد الزرقا: المدخل الفقهي العام، ط١٠، (دمشق: دار الفكر، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م).
٥٥. محمد الخطيب الشربيني: مغني المحتاج، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
٥٦. محمد الزحيلي: التنظيم القضائي في الفقه الإسلامي - دراسة مقارنة بين المذاهب الفقهية والأنظمة والقوانين في سوريا والسعودية والإمارات-، ط٢، (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
٥٧. محمد الشربيني: مغني المحتاج، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج٣، ص٢٦١؛ أنور العمروسي: أصول المرافعات الشرعية في مسائل الأحوال الشخصية.
٥٨. محمد الفقي المغاوري: التفريق بين الزوجين للغيبة والفقدان –دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية العماني وبعض القوانين العربية الأخرى -، بحث مقدم لندوة "الفرقة بين الزوجين وآثارها"، التي أقيمت في كلية الشريعة والقانون بمسقط، بتاريخ ٢٢- ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٦هـ/ ١- ٣ مايو ٢٠٠٥م.
٥٩. محمد بكر اسماعيل: القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه، (د.م: دار المنار، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
٦٠. محمد بن أكرم بن منظور: لسان العرب، ط١، (بيروت: دار صادر، د. ت)، ج٤، ص٤٨٢؛ ينظر: أحمد بن محمد بن

علي المقري الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت).
٦١. محمد بن حسين الجيزاني: حقيقة الضرورة الشرعية، بحث في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد (٧٠)، السنة (١٨)، (١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م).
٦٢. محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ).
٦٣. محمد حسين الذهبي: الشريعة الإسلامية ـ دراسة مقارنة بين مذاهب أهل السنة والشيعة ـ ط٣، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).
٦٤. محمد رأفت عثمان: النظام القضائي في الفقه الإسلامي، ط٢، (القاهرة: دار البيان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
٦٥. محمد عرفه الدسوقي: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق: محمد عليش، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
٦٦. محمد نعيم ياسين: نظرية الدعوى بين الشريعة الإسلامية وقانون المرافعات المدنية والتجارية، ط٣، (بيروت: دار النفائس، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م).
٦٧. محمد واصل، حسين بن علي الهلالي: الخبرة الفنية أمام القضاء-دراسة مقارنة-، (إصدار المكتب الفني بالمحكمة العليا، بوزارة العدل بسلطنة عمان، ٢٠٠٤م).
٦٨. محمد يوسف اطفيَّش: شرح النيل وشفاء العليل، ط٣، (جدة: مكتبة الإرشاد، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).
٦٩. محمود محمد علي: الطلاق بين الإطلاق والتقييد في الشريعة الإسلامية –دراسة مقارنة-، (د.م: دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).
٧٠. محمود محمد هاشم: القضاء ونظام الإثبات في الفقه الإسلامي والأنظمة الوضعية، ط١، (السعودية: جامعة الملك سعود، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).
٧١. محيي الدين بن شرف النووي: المجموع شرح المهذب، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧م).
٧٢. منصور بن يونس بن إدريس البهوتي: شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، ط٢، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٦م).
٧٣. منصور بن يونس بن إدريس البهوتي: كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ).
٧٤. هشام بن عبد الملك بن عبدالله آل الشيخ: أثر التقنية الحديثة في الخلاف الفقهي، ط٤، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٣١هـت ١٤٢٧م).
٧٥. وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ط٩، (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).
٧٦. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين: قاعدة المشقة تجلب التيسير - دراسة نظرية تأصيلية تطبيقية ـ، ط١، (الرياض: مملكة الرشد، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

التأصيل الشرعي لمفهوم جودة الحياة في المملكة العربية السعودية في رؤية ٢٠٣٠

أ. نورة بنت صالح النفجان

ماجستير الدراسات الإسلامية تخصص التفسير والحديث

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بالخرج.

Establishing the Sharie' rooting of the concept of quality of life in the Kingdom of Saudi Arabia in Vision 2030

Noura Saleh Al-Nafjan

has been awarded the degree ofmaster of islamic studies in tafsir and hadith Prince Sattam bin Abdulaziz University in Al Kharj Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: Nn3731236@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

التأصيل الشرعي – جودة الحياة – برنامج جودة الحياة ٢٠٣٠م

KEY WORDS:

Sharia rooting - quality of life - Quality of Life Program 2030 technology.

مستخلص البحث:

هذا بحث بعنوان: (التأصيل الشرعي لمفهوم جودة الحياة في المملكة العربية السعودية في رؤية ٢٠٣٠) ومشكلة البحث في مفهوم جودة الحياة كونه مفهوماً مرتبطاً بالحضارة، وأصبح العمل به طريقاً للحياة الناجحة فقصدتُ الوقوف على مدى ارتباط هذا المفهوم بأدلة الشرع وأصوله، واما هدف البحث فهو التعرف على مفهوم جودة الحياة من خلال برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠، وتأصيل مفاهيم برنامج جودة الحياة٢٠٢٠ من أصولها الشرعية القرآن والسنة، وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد ومبحثين فيهما جملة من المطالب، وخاتمة ضمنها الباحث أهم النتائج والتوصيات.

وجاءت المقدمة مشتملة على مشكلة البحث وتساؤلاته، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وتناول المبحث الأول التأصيل الشرعي لمفهوم جودة الحياة في برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠م، وأما المبحث الثاني فتناول توفير خيارات للناس لتكوين حياة ممتعة ورغيدة (نمط الحياة)، وقد ختم البحث بخاتمة ضمنها الباحث أهم النتائج والتوصيات، وهي أن لاتعارض بين برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠ وأحكام الشرع الحنيف، وإن من شأن برنامج جودة الحياة٢٠٢٠ أن يرفع المملكة العربية السعودية إلى مصاف الدول الجاذبة للوافدين في وقتٍ وجيز.

وأما التوصيات فكانت العمل على تعميم تجربة جودة الحياة وتطويرها في كافة المجتمعات الإسلامية، استهدافًا لتحسين حياة الفرد والمجتمع.

ABSTRACT:

This is a research entitled: (The legal rooting of the concept of quality of life in the Kingdom of Saudi Arabia in Vision 2030) and the problem of research in the concept of quality of life as a concept associated with civilization, and working with it has become a way of successful life, so I intended to stand on the extent to which this concept is related to the evidence of Sharia and its origins, and the goal of the research is to identify the concept of quality of life through the Quality of Life Program 2020, and to root the concepts of the Quality of Life Program 2020 from its legal origins, the Qur'an and Sunnah, and the research has adopted the methodology Inductive and analytical, and the nature of the research required dividing it into an introduction, a preamble and two sections in which a number of demands, and a conclusion that included the researcher the most important results and recommendations.

The introduction included the research problem and questions, the importance of the topic and the reasons for choosing it, the objectives of the research, the research methodology, and previous studies, and the first topic dealt with the legal rooting of the concept of quality of life in the quality of life program 2020 AD, and the second section dealt with providing options for people to form an enjoyable and prosperous life (lifestyle), and the research concluded with a conclusion, which included the researcher the most important results and recommendations, which are that There is no contradiction between the Quality of Life Program 2020 and the provisions of Sharia, and the Quality of Life Program 2020 would raise Saudi Arabia to the ranks of countries attracting expatriates in a short time.

As for the recommendations, they were to work to generalize and develop the experience of quality of life in all Muslim societies, with the aim of improving the lives of the individual and society.

مقدمة:

الحمدُ لله مُزجي النِّعمِ ومُديمها، والصلاةُ والسلامُ على هادي الخلائق وشفيعها؛ أما بعد:

فإنَّ المملكة العربية السعودية في عهد الملك سلمان بن عبد العزيز - حفظه الله – رفعت لواءَ إبراز الذات الحضارية، وتأصيل الانتماء الوجداني في الدولة السعودية وكان من الخطط التطويرية في الرؤية برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠(١)، الذي اهتم بكل ما يحقق للمواطن والمقيم في هذا البلد من الحياة الكريمة والعيش الرغيد.

وممَّا لاشكَّ فيه أن مفهوم جودة الحياة مصطلحٌ شاملٌ متداولٌ يلبِّي كل الاحتياجات البشرية، وانطلاقاً من دستور المملكة العربية السعودية المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن الدين الإسلامي 'الشريعة' هو الأساس الذي تقوم عليه المملكة، فعليه حرصت حكومتنا الرشيدة على الارتقاء بحياة الفرد والمجتمع، بتنظيمٍ مقننٍ ومدروسٍ تجاه حياةٍ أفضل، على أساسٍ من هذا الدستور المشروط.

بناء على ما سبق اخترتُ أن يكون بحثي المشارك في مؤتمر الدراسات الشرعية وسؤال التنمية مساهمةً نافعة -إن شاء الله -في أفق تحقيق رؤية ٢٠٣٠، تحت عنوان: «التأصيل الشرعي لمفهوم جودة الحياة في المملكة العربية السعودية في رؤية المملكة ٢٠٣٠»

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تتخلصُ مشكلة البحث في مفهوم جودة الحياة كونه مفهوماً معاصراً، وارتبط إطلاقه بالحضارة والتطور، وأصبح العمل به من أساسيات الحياة الناجحة -كما هو معمول به في الدول المتقدمة- فقصدتُ الوقوف على مدى ارتباط هذا المفهوم بأدلة الشرع وأصوله، من خلال استقراء الأدلة الشرعية.

ويمكننا صياغة مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم جودة الحياة في برنامج جودة الحياة٢٠٢٠ وما مدى ارتباطه بالشريعة الإسلامية؟

٢. ما هي التأصيلات الشرعية لبرنامج جودة الحياة ٢٠٢٠ وما هو مستندها من النصوص؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. أن هذا البحث يساهم في تجلية العلاقة الوثيقة التي تربط برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠في رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠والتأصيل لمفهوم جودة الحياة من الكتاب والسنة كدراسة علمية تأصيلية.

٢. إبرازُ منهجية الدين الإسلامي في تحقيق جودة الحياة، التي هي طريق الحياة الطيبة وسبب من أسباب سعادة الدارين.

٣. إشباعُ حاجة الفرد المسلم إلى التعرف على الأصول الشرعية لجودة الحياة بمفاهيم علمية مؤصلة من الكتاب والسنة، وإبراز جهود علماء الأمة في شرح هذه الأصول.

أهداف البحث:

١) التعرف على مفهوم جودة الحياة من خلال برنامج جودة الحياة رؤية ٢٠٢٠.

٢) تأصيل مفاهيم برنامج جودة الحياة٢٠٢٠ من أصولها الشرعية القرآن والسنة والإجماع والقياس.

منهج البحث:

يعتمدُ الباحثُ في الإجابة على تساؤلات هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي من خلال سرد متطلبات مفهوم جودة الحياة بمفهومها المعاصر الوارد في وثيقة برنامج جودة الحياة٢٠٢٠، ثم المنهج التحليلي باستخلاص أصول تلك المفاهيم من الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

الدراسات السابقة:

من خلال التحضير لهذه الدراسة وقفت على بعض الدراسات وثيقة الصلة بموضوعنا، وبيانها كالتالي:

١. جودة الحياة من منظور التربية الإسلامية على وفق رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، د. صفية بنت عبد الله أحمد بخيت، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٧م.

٢. ضمان جودة الحياة الشاملة في القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة موضوعية تحليلية، د. زياد عواد أبو حماد، د. سليمان الشعيلي، د. صالح البوسعيدي، بحث محكم - جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق ٢٠١٧م.

التعليق على الدراسات السابقة:

بالرغم من كون تلك الدراسات لصيقة بموضوع بحثي، إلا أنها تناولت المصطلح كونه اصطلاحاً معاصراً انتشر وذاع صيته، فَربطَتْ الدراسات بينه وبين مفاهيم الشريعة بشكل شامل، أو ببعض جوانبه كل بحسب تخصصه كالتربية أو علم النفس ونحوها، ولذا أحاول في دراستي هذه البناءَ على الدراسات السابقة وتقديم دراسة متخصصة لها محورٌ محدد في موضوع جودة الحياة أقومُ فيها بمحاكاةِ مفهوم جودة الحياة الوارد في وثيقةِ برنامج (جودة الحياة رؤية ٢٠٣٠) الخاص بالمملكة العربية السعودية، ثم أعقبُها بتأصيلٍ لذلك المفهوم من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

خطة البحث:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

(١) ينظر: رؤية المملكة العربية السعودية، "وثيقة برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠م (خطة التنفيذ)"، ص: ٧.

 ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المقدمة: وهي توطئة للبحث.

التمهيد: الإطار المفاهيمي لمصطلح الجودة في برنامج جودة الحياة٢٠٢٠م، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالتأصيل الشرعي.

المطلب الثاني: التعريف بمفهوم جودة الحياة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: التعريف ببرنامج جودة الحياة رؤية ٢٠٣٠م.

المبحث الأول: التأصيل الشرعي لمفهوم جودة الحياة في برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠م، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: البنية التحتية والنقل.

المطلب الثاني: الإسكان والتصميم الحضري والبيئة.

المطلب الثالث: الرعاية الصحية.

المطلب الرابع: الفرص الاقتصادية والتعليمية.

المبحث الثاني: توفير خيارات للناس لتكوين حياة ممتعة ورغيدة (نمط الحياة) وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: الترفيه والترويح والرياضة.

المطلب الثاني: التراث والثقافة والفنون.

المطلب الثالث: المشاركة الاجتماعية.

الخاتمة: نتائج وتوصيات.

التمهيد:

الإطار المفاهيمي لمفهوم الجودة في برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠ م

المطلب الأول: التعريف بالتأصيل الشرعي:

مصطلح التأصيل الشرعي مركب من كلمتين، الأولى التأصيل وهي: رد الشيء إلى أصله، والثانية الشرعي: والمقصود بها الشريعة الإسلامية فكل ما وافقها فهو شرعيٌّ، بناء على هذا يمكننا أن نعرف المصطلح المركب بالقول:

(التأصيل الشرعي): ردُّ الشيء الحادث إلى أصله الشرعي، ببيان أدلة مشروعيته، ووجوه موافقته لمقاصد الشريعة، إذ التأصيل: هو الرجوع إلى أصول الشرع ومصادره من كتاب وسنَّة وإجماع وقياس وماتفرع عنها في الأحكام التكليفية والأوامر والنواهي تركاً وطلباً، وخرج بقيد الشرعي احتراز عما ليس بشرعي، كالأمور العقلية والحسية. (٢)

فالمقصود الأول من البحث بيان الأصل الديني الذي يُعطي المشروعية لمفردات برنامج جودة الحياة، حتى لا يقع الظن الفاسد بتعارض هذه المصطلحات الجديدة مع أصول الشريعة.

المطلب الثاني: التعريف بمفهوم جودة الحياة لغة واصطلاحاً.

كلمة جودة الحياة مصطلح معاصر مؤلَّف من كلمة (جودة) وهي مشتقة من الشيء الجيد وهو الحسن، وأما الحياة فهي ما وهبه الله للناس بعد خلقهم من القدرة على العيش، أما المصطلح المعاصر فيمكننا أن نقول:

عرفت منظمة الصحة العالمية **(جودة الحياة)** بأنها: «إدراك الفرد لوصفه في الحياة في منظومة القيم والثقافة التي تعيش فيها، وفي علاقته بأهدافه وتوقعاته ومعاييره واهتماماته» (٣).

وعرفته الباحثة نانسي كمال صالح بأنه: «البناء الكلي الشامل الذي يتكون من المتغيرات المتنوعة التي تهدف إلى إشباع الحاجات الأساسية للأفراد الذين يعيشون في نطاق هذه الحياة، بحيث يمكن قياس هذا الإشباع بمؤشرات موضوعية ومؤشرات ذاتية»(٤).

ومما سبق يمكننا أن نورد تعريفًا مقترحًا لجودة الحياة من منظور شرعي بقولنا: (هي خطوات مدروسة ومحددة تَنتُج عن سعي الفرد إلى تحسين معيشته مقيدا سعيه بضوابط شرعية موسومة بالوسطية مبتغيًا سعادة ورضاً في الدنيا والآخرة) ويعبر هذا التعريف عن مدى استعمال الفرد للعقل في إسعاد وتحسين حياته بما لا يخالف شرع الله؛ فهو يعبر عن حكمة الله في خلقه والتي هدفها إعمار الأرض.

وأما **(برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠م) :** برنامج يعنى بتحسن جودة حياة الفرد والأسرة من خلال تهيئة البيئة اللازمة لدعم واستحداث خيارات جديدة تُعزز مشاركة المواطن والمقيم والزائر في الأنشطة الثقافية والترفيهية والرياضية والسياحية والأنماط الأخرى الملائمة التي تساهم في تعزيز جودة الحياة (٥).

وأما مفهوم جودة الحياة في وثيقة تنفيذ الرؤيا(٦)**.:** ترتكز جودة الحياة على مفهومين ترتبط بجودة الحياة ارتباطاً مباشراً وهما:

---

(٢) علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، " الإحكام في أصول الأحكام". تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، (د.ط، بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت)، ١ :٦، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، "الموافقات". تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (ط١، عمان: دار ابن عفان، ١٩٩٧م)، ٣: ١٦٥بتصرف.

(٣) أحمد حسانين أحمد، "الخصائص القياسية للمقياس المئوي لنوعية الحياة الصادر عن منظمة الصحة العالمية على عينات من المجتمع الليبي". (د.ط، الجزائر: مركز البصيرة للبحوث والاستشارات التعليمية، ٢٠١١م)، (ص: ٤).

WHOQOL Group (1995). The World Health Organisation Quality of Life Assessment.

(٤) نانسي كمال صالح، "مقياس جودة الحياة للمراهقين ضعاف السمع". (رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة عين شمس، ٢٠١٨م)، (ص:٦٤).

(٥) وثيقة برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠م ص: ٧

(٦) وثيقة تنفيذ برنامج جودة الحياة ص: ٧

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

قابلية العيش: وهي المعايير الحضرية الأساسية للمعيشة مثل: البنى التحتية والخدمات الأساسية (كالأمن، والصحة، والتعليم)

نمط الحياة: هي مجموعة من خيارات وأساليب الاستمتاع بالحياة مثل: (الرياضة، والثقافة، والترفيه، ونحوها)

المطلب الثالث: التعريف ببرنامج جودة الحياة رؤية ٢٠٣م:

برنامج جودة الحياة هو أحد استراتيجيات التنمية التي تبنتها المملكة العربية السعودية مؤخرًا بهدف تحسين جودة معيشة مواطنيها ومقيميها، وذلك من خلال إنشاء البنية اللازمة لتوفير تفضيلات أكثر مرونةً تدعمُ مفهوم الحياة الإيجابية، بما من شأنه استثارة تفاعل مواطني المملكة ومقيميها مع المجتمع، ورفع مستوى انتمائهم للمملكة، لما توفره لهم من أبعاد مختلفة تسهم في تحسين جودة حياتهم.

ولقد أطلق مجلس الشؤون الاقتصادية والتنمية برنامج جودة الحياة عام ٢٠٢٠، وهو أحد استراتيجيات رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ التي أقرّها مجلس الوزراء، ويأتي هذا البرنامج بهدف تعزيز مشاركة مواطني المملكة ومقيميها وزائريها في مختلف الأنشطة الثقافية والترفيهية والرياضية والسياحية وغيرها مما يُتيح فرصًا جديدةً للعمل، ويدفع عجلة النشاط الاقتصادي للمملكة، ويضعها على مصاف الدول الأفضل جذبًا للسكان على مستوى العالم.

ومن الجدير بالذكر أن المملكة في إطار تنفيذ رؤيتها نحو الانفتاح على العالم ركزت العمل على تهيئة المجتمع السعودي لاستيعابِ مقتضيات هذا الانفتاح، وذلك من خلال خلق أجواء موازية لما هو متوافرٌ في الدول الكبرى من شأنها جعل البيئة السعودية محطّ أنظار العالم، وتقع على قائمة الدول الأكثر زيارةً والأفضل من حيث البيئة وأنماط الحياة.

ومن هذا المنعطف نصلُ إلى نتيجة جوهرية وهي أن كل ما ذكر في برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠ من خطط استراتيجية تصب في هدف استراتيجي واحد هو: كيفية تحقيق السعادة والرضا البشري، بإشباع الحاجات الصحية والنفسية والجسمية للأفراد والجماعات، مع الاستمتاع بالظروف المادية والعلاقات الاجتماعية الإيجابية، للحصول على حياة متوازنة بين الكفاية بالشعور الذاتي من: الرضا والسعادة والكفاية المادية ورقي الخدمات المقدمة في البيئة الاجتماعية، كل ذلك داخل محيط الدولة والدين.

المبحث الأول

التأصيل الشرعي لمفهوم جودة الحياة في برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠ م

المطلب الأول: البنية التحتية والنقل

جعل الله ﷻ ناصية الوصول إلى الحياة الطيبة بالسعي نحو تجويد الحياة الدنيا، فقد جاء في الحديث: «إنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا بُورِكَ لَهُ فِيهَا»(٧) فجودتها جسرٌ من جسور سيرنا الأكبر للآخرة، وإعانة على العمل وفق مراده تعالى في قرآنه وسنة نبيه ﷺ وتحصيلًا للحياة الطيبة، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

والحياة هنا تشمل حياة الدنيا وما تستقيم به أحوال العيش ، ليتفرغ الإنسان لخدمة حياته الأخروية، لذلك كان من أهم مهمات ولاة الأمور القيام على حياة الناس، وتشييد البنية التحتية التي تحقق ذلك، وهذا الأمر مرتهنٌ بسداد رأيهم، واتخاذ التدابير اللازمة في التغيير لما فيه مصلحة البلاد والعباد، فإننا نجد أن الآيات القرآنية تحمل حقائق القدرة الإلهية في توفير أساسات البنية التحتية قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥] فقد امتن الله على عباده بأن جعل الأرض مهيأةً لساكنيها على وفق احتياجاتهم فيها للرزق أو السفر في أرجائها أو التجارة والتكسب، قال القرطبي: «أي: هو الذي سخر لكم الأرض وذللها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث وشق العيون والأنهار وحفر الآبار، وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة»(٨).

ومن مظاهر تهيئة ظروف العيش الملائمة، إدراكُ أولويات هذه الحياة وهي النقل والمواصلات، وإبراز هذه القواعد وصولاً إلى جودة الحياة الحقيقية، وهذا له أصلٌ في الشرع، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١-٧٣] فالآية الكريمة تقرر الانتفاع بوسائل النقل، فهي تحقق وجوه الراحة وبلوغ القصد وهذا

(٧)أخرجه أحمد في المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، "مسند الإمام أحمد". تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م) حديث خولة بنت قيس (٢٧٠٥٤)، ٤٤: ٦٠٧، وابن حبان في صحيحه، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، "صحيح ابن حبان". (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض، حديث رقم (٢٨٩٢)، ٧: ١٥٠.

(٨)محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، "تفسير القرطبي". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م)، ١٨: ٢١٥، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، "تيسير الكريم الرحمن". تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م)، (ص: ٨٧٧) بتصرف يسير.

من تكريم الإنسان، فقوله: ﴿نى﴾ هو محل الامتنان، أي: لأجلهم، فإن جميع المنافع التي على الأرض خلقها الله لأجل انتفاع الإنسان بها تكرمة له (٩).

وقال تعالى: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ٧]، وهذا مما يقرره الواقع العملي أن توفير وسائل النقل له أثر في تحصيل المنافع من التجارة والمكاسب والتعليم، فهو من أسباب الرقي والحضارة، قال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الجاثية: ١٢]

وقال ﷺ: «اتقوا الله في هذِهِ البهائمِ المُعجَمةِ، فاركَبُوها صالحةً، وكُلُوها صالحةً» (١٠) يقصد بذلك تعاهدوها بالعلف لتقوى على المشي، وتصلح للركوب وقضاء المصالح الدنيوية، فالشرع ينبه على علامة واضحة وهي شريان الحياة المسخَّر لبني آدم في الانتفاع من وسائل المواصلات والعمل على تطويرها، وبهذا يستطيع المسلم أن يسكن في الوطن متنعماً بوسائل النقل الحديثة والمتنوعة التي هي سرُّ ضبطِ عجلة السير والتطور والحضارة في المجتمعات البشرية على اختلاف أجناسها واحتياجاتها.

المطلب الثاني: الإسكان والأمن والتصميم الحضري والبيئة.

تتحقق الحياة الجيدة بالمفهوم المعاصر من خلال التركيز على العناصر(الإسكان، والأمن، وتحسين البنية التحتية)، وذلك بالعمل على كفايتها ومواكبتها للاحتياجات المتزايدة والمتنوعة للناس، والعمل على بناء صرح العمران الدنيوي، وإصلاح الأرض ومحاربة المفسدين، وتسخير ذلك كله للإنسان، وحماية البيئة التي لها أثر في استمرار الوجود البشري، قال تعالى: ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٤٩]، ويمكن القول أن الآيات اختزلت أهم أساسات البنية التحتية، والتي هي مظهر من مظاهر جودة الحياة في الحاجات الحسية الدنيوية، وهى الأمن وطلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة التي حوت صنوفاً من أشكال المتعة والجمال حتى صارت فاخرةً فارهة، فالسكن ضرورة من ضروريات الحياة التي أولاها الشرع أهمية كبيرة لكونها مطلباً أساسًا من مطالب الإنسان وعنواناً للتقدم والحضارة، قال جل جلاله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ [النحل: ٨٠-٨١].

ويوضح ابن عاشور ذلك فيقول "هذا من تعداد النعم التي ألهم الله إليها الإنسان، وهي نعمة الفكر بصنع المنازل الواقية والمرفهة وما يشبهها من الثياب ... وكلها من الألطاف التي أعد الله لها عقل الإنسان وهيأ له وسائلها وهذه نعمة الإلهام إلى اتخاذ المساكن وذلك أصل حفظ النوع من غوائل حوادث الجو من شدة برد أو حر ومن غوائل السباع والهوام، وهي أيضا أصل الحضارة والتمدن لأن البلدان ومنازل القبائل تتقوم من اجتماع البيوت. وأيضا تتقوم من مجتمع الحل والخيام" (١١).

مع الانتباه إلى أمر مهم وهو أن المسكن وإن كان هو البيئة الملائمة للرخاء والتنمية، إلا أن الأمن هو أساس الاستقرار في هذا المسكن إن كان على الصعيد الشخصي، أو الدولي، فالمجتمع إذا أمن نمى وازدهر؛ لأنه يجد البيئة المناسبة للاستقرار والتقدم، وفي سياقٍ متصل يشير ابن عاشور في تفسير الآية: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ﴾ [الدخان: ٥١] إلى ذلك، فيقول: «والأمن أكبر شروط حسن المكان لأن الساكن أول ما يتطلب الأمن وهو السلامة من المكاره والمخاوف فإذا كان آمنا في منزله كان مطمئن البال شاعرا بالنعيم الذي يناله»(١٢).

ثم يُؤكِّد على أنَّ الأمن في البلاد شرطٌ من شروط التقدُّم والتنمية الحضارية ويقدمه على الطمأنينة مهما كانت مواصفاته فاخرة أكَّد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ﴾ [النحل: ١١٢]

وهكذا نرى النبي محمدًا ﷺ يرسم لأمته كثيرًا من البدائل الحياتية التي من شأنها أن تساعدهم في تحسن معيشتهم، وحسن استثمارها على الوجه الأمثل الذي يُحقق مراد الله من البشر على الأرض، فها هو ﷺ يرشد إلى سؤال الله سعة المسكن، وصولاً لأرفع مستويات الجودة فيما أُثِرَ عنه من دعائه الذي يقول فيه «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي»(١٣). قال المناوي في

(٩)محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، "التحرير والتنوير". (ط١، تونس: الدار التونسية للطباعة، ١٩٨٤م)، ٢٣: ٦٨.

(١٠) أخرجه أبو داود في سننه، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد، " سنن أبي داود". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية، د.ت)، كتاب: الجهاد، باب: ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ٣:٢٢٨، (٢٥٨٤)، قال الألباني: (قلت: إسناده صحيح، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والنووي)، صحيح أبي داود، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، "صحيح أبي داود – الأم"، (ط:١، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)، ٧: ٣٠١.

(١١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٤: ٢٣٧.

(١٢) المرجع السابق ٢٥: ٣١٧.

(١٣) أخرجه الترمذي في سننه، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

سبب طلب توسيع الدار: «(ووسع لي في داري) محل سكني في الدنيا؛ لأن ضيق مرافق الدار يضيق الصدر ويشتت الأمتعة ويجلب الهم ويشغل البال»(١٤).

وكذلك رغب النبي ﷺ في السعي وراء السعادة والحياة الطيبة الهنيئة بتوفير أسبابها، فقال: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا الْجَارُ الصَّالِحُ وَالْمَنْزِلُ الْوَاسِعُ وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»(١٥). وهذا من جودة الحياة المادية الموصلة لجودة الحياة النفسية.

وفي مجال التصميم الحضري والبيئة، اهتمت الدولة السعودية بالتصميم الحضري وجودة المدن، كونها دِعامةً لجودة الحياة، يتجلى ذلك في المشاريع الواعدة مثل: مشروع تطوير مدينة العلا كمتحف حي، ووجهة عالمية للسياحة التاريخية والتراثية، ومشروع البحر الأحمر، ومشروع تطوير المربع لينتج عن ذلك رموزاً حضارية ذات هوية إسلامية سعودية هدفها المباشر هو رفع مستوى جودة الحياة، ويمكن تأصيل ذلك من القرآن الكريم في دعاء إبراهيم عليه السلام ربَّه بالأمن والرزق الوفير لذريته، إلى الدرجة التي تجعلهم قِبلةً لكل وافدٍ، حيث قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦]، فسأل أن يكون البيت الحرام آمناً مطمئناً، فكان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا يؤذيه، وفي هذا كمال النعمة والمنَّة لمن جاور البيت العتيق، فهو يتمتع بأمن وسلام.

وفيما يتعلق بأهمِّ مراحل بناء الأمة ما جعله الله علامة من علامات جودة الحياة المتطوّرة ومظهراً من مظاهر عناية الإسلام بتطوير أوجه المعيشة وتهيئة البيئة السوية للفرد المسلم، فالقرآن يتحدث عن الجنات والنخيل والثمار المتنوعة والعيون والأنهار والآبار وهي كلها من مظاهر البيئة الجاذبة، كما قال سبحانه: ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٨-٢٢].

كل ذلك تسخيرٌ للعباد من ربٍ كريم ورزقٌ لهم من فيض رحمته، وهي حقائق كونية عجيبة تخدم البيئة التي يسكنها بنو البشر وتقوّي جودة الحياة في تلك البقعة وتجعل المتدبِّر لذلك النظام الفلكي والكوني يتأمل كيف تكون البيئة الجيدة سبباً مباشراً في تغيير المجتمعات للأفضل وإدراك أن للأرض علاماتٍ مسخَّرةً تعين ساكنها على صناعة المجد البشري بالتطوير المستمر واستحداث المراكب الصناعية والحيوانية في البر والبحر والجو، فجودة المدن عند تأمل آيات الذكر الحكيم تقودُ إلى ملحظ لطيف وهو الاهتمام بالعمران والتطوير في مدن وقرى وحضارات الأقوام السابقة التي وردت فيها إشارات للرفاهية العمرانية والبيئة الجاذبة، وذِكْرِ الخيرات والنِّعم التي فيها مما يجعلها مريحة لساكنيها ووافديها من توفير المظلات التي تقي الحر والبرد أو تكثيف المساحات الخضراء وبناء السدود والاهتمام بتطوير المدن والعناية بالأماكن التاريخية والثقافية، بإبراز معالم **السياحة الدينية** وزيارة الآثار الموجودة في المملكة العربية السعودية باعتبارها مركزاً لها، والمحققة لأهداف البلاد، والمتوافقة مع الأساس الذي قامت عليه الدولة، والجاذبة للسياح من شتى بقاع الأرض، وقال: ﴿ **رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

وهاهو نبي الله يطلبها صراحةً من ربه بأن يكون البيت وجهة للناس ومكاناً يتردد عليه الوافدون، فلا يخلو من الحجاج والزوار(١٦).

ويؤكد ما سبق أعمال الرسول ﷺ والتغييرات التي أحدثها عندما دخل المدينة المنورة مهاجراً إليها، فالارتقاء بجودة الخدمات في المدن منهج وأسلوب سار عليه نبيُّ الهدى ﷺ حينما بنى مسجده هو وأصحابه، وسوَّى الخِرب ونبش قبور المشركين، وثبت ذلك فيما رواه أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ لما أمر ببناء المسجد أرسل إلى ملأ بني النجار فقال: يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم قال أنس: وكان

بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، "سنن الترمذي". تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥م) كتاب: الدعوات، باب: أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -باب-، ٥: ٥٧٩، (٣٥٠٠)، وقال: «حديث غريب». قال الألباني: ضعيف، لكن الدعاء حسن. ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، "ضعيف سنن الترمذي"، (ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٢م)، ص: ٤٥٤.

(١٤) زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين المناوي، "فيض القدير شرح الجامع الصغير". (ط١، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ)، ٢: ١١٠.

(١٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، "المستدرك على الصحيحين". تحقيق: مصطفى عبد القادر، عطا، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، كتاب البر والصلة، ٤: ١٦٦، (٧٣٩٩)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، " سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها "، (ط١، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٩٥م)، ص:٢٨.

(١٦) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي، "تفسير الإمام الشافعي". جمع وتحقيق: ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، (ط١، الرياض: دار التدمرية، ٢٠٠٦م)، ١: ٢٢١.

فيه قبور المشركين وخرب، وفيه نخل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين فنبشت، ثم بالخرب فسويت» (١٧).

واتخذ ﵇ غرب المسجد النبوي سوقاً تجارية للمسلمين ليغذي اقتصادهم، ووضع لهذا السوق الضوابط والآداب الرفيعة في عالم التجارة، وبهذا تكون معالجة الأزمة الاقتصادية في المدينة. ومن خطواته المباركة التي عمل بها ﵇، وتُعدُّ من دعائم دولة الإسلام في المدينة، بناء الصفة التابعة للمسجد النبوي الشريف، التي جعلها داراً للإيواء يأوي إليها الغرباء ممن لا مأوى لهم، فعن أبي هريرة η قال: «كَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا يَأْوُونَ عَلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ» (١٨).

هكذا كان صاحب الرأي الأصيل ﷺ يعقِدُ غرر المجد، ويُألِّق رايات الحضارة الإسلامية ويُلمِّحُ للاجتهادات العملية، ليستحثَّ أهل الفهم والنَّظر للطريقة الواقعية في صناعة المدن لبناء دولة التمكين والعزِّ التي تُحقق نعَمَ العيش.

المطلب الثالث: الفرص الاقتصادية والتعليمية:

لقد اجتهدت الدولة في إيجاد سياسة لتحفيز النمو الاقتصادي، وذلك من خلاص خلق فرص عمل جديدة للجنسين لسدِّ الثغرات الاقتصادية، قال تعالى: **﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾** [البقرة: ٢٧٥]، وهذا الأمر أصل من أصول الشريعة، فقد أمر الله مريم بأن تتسبب في طلب الرزق، وأن لا تتواكل، قال تعالى: **﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾** [الأنبياء: ٨٠]، الحقيقة أن هذه سُنَّة الأنبياء في كسب العيش والأخذ بالأسباب، فالشريعة حثت على اقتناص الفرص الاقتصادية والسعي في تحصيلها؛ من أجل التنمية والارتقاء بمستوى الفرد والمجتمع، قال ﵇: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» (١٩). فدل الحديث على جواز الصنائع، وفيه فضيلة لداود ﵇ فإنه كان صانعا يأكل من كسب يده (٢٠).

ومن ناحيةٍ أخرى أشار النبي ﷺ إلى معيار من معايير جودة الحياة، من خلال ذكره للمظاهر التي تتسم بها الحياة الجيدة حثاً لطلبها، في زيادة الدخل المادي من أجل تحقيق الأهداف، وفي حديث مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ عَلَيَّ ثِيَابِي وَسِلَاحِي، ثُمَّ آتِيهِ، فَفَعَلْتُ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ إِلَيَّ الْبَصَرَ ثُمَّ طَأْطَأَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُغْنِمُكَ اللَّهُ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ صَالِحَةً» ، قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أُسْلِمْ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، إِنَّمَا أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ فَأَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ» (٢١).

وهذا فيه مدح عظيم للمال الصالح الذي يطوِّعه الرجل في حاجته، ومنها ما رخص الشرع به من التجارة في مواسم الحج ابتغاء زيادة الدخل المالي في قوله تعالى: **﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾** [البقرة: ١٩٨] فمع كونها مواطن عبادة محضة إلا أنه أباح لهم التكسُّب ورغبهم فيه، قال الألوسي: «واستدل بها على إباحة التجارة والإجارة وسائر أنواع المكاسب في الحج» (٢٢).

وما تقدم ذكره يكون في حدود التوازن والاعتدال، فهو من سبل الحياة الاقتصادية العامرة، التي لا تتعارض مع مبدأ العمل للآخرة: قال تعالى: **﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾** [الفرقان: ٦٧].

وقد اعتنت الدولة السعودية بخلق الفرص التعليمية ودعمها وتطويرها، ومن أبرز الجهات التنفيذية للتطور العلمي هي وزارة التعليم، والتي اهتمت بتنفيذ مبادرات البرنامج المرتبطة بتطوير المسيرة التعليمية، فكان هدفها الأول هو رفع القُدُرات على التعلم والتعليم، وسائر ضروب الابداع والاختراع مما تتحقق به جودة حياة الإنسان وعمارة الأرض، قال تعالى: **﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾** [البقرة: ٣١] فهذه الآية في بيان شرف آدم على الملائكة بالعلم، فمن الهبات العظيمة لآدم ﵇ في الآية أنه أُعطِيَ موهبتين متكاملتين هما: (التعليم والتعلم)، وبهذين يكون التطور العمراني في المجتمعات الإنسانية.

واستخلاصاً مما سبق نؤكِّد على أن الاشتغال بالعلم هو المنطلق الأول لجودة الحياة، فأول العلم معرفة الله، ثم ما يحتاج إليه الفرد من علوم الشريعة والعلوم الطبيعية قال تعالى: قال تعالى: **﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾**

(١٧) أخرجه البخاري في صحيحه، محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري". تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١، الرياض: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، كتاب: الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد ١: ٩٣، (٤٢٨).

(١٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم من الدنيا ٨: ٩٦، (٦٤٥٢).

(١٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، ٣: ٧٥، (٢٠٧٢).

(٢٠) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، "شرح النووي على مسلم". (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ١٥: ١٣٥.

(٢١) أخرجه البخاري، في الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، "الأدب المفرد". تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، (ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٨م)، باب المال الصالح للمرء الصالح، (٢٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني، "صحيح الأدب المفرد". (ط١، بيروت: دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، (٢٢٩).

(٢٢) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق: علي عبدالباري عطية، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ١: ٤٨٢.

﴿ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]، فالعلم مطلب شرعي، وأصلٌ تُستندُ إليه الحضارات وهو مُقدَّم على العبادة، كما جاء في الحديث: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ»(٢٣) فتقديم العلم على العبادة يُنبئُ عن مقامٍ عظيم للمترقي في منازل العلوم.

ومما يجدر التنبيه عليه هنا، أن أساسيات نجاح العملية التعليمة هو العناية باللغة العربية؛ فبها نزل القرآن، قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] وسبب اختيارها: أنها أفصح اللغات وأبينها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات» (٢٤).

كذلك اكتشاف المواهب ورعايتها، له دور في إعداد القيادات المستقبلية وبناء صُنَّاع الحضارة، وهو أحد المرتكزات التي تعمل عليها وزارة التعليم، ويمكن تأصيل ذلك من قصة يوسف ﷺ لما ظهر من حكمته وعلمه، وصبره على تحمل المشاق، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥].

وفي السياق نفسه كان رسول الله ﷺ يكتشف شخصيات الصحابة ومميزاتهم ومواهبهم، فقال - ﷺ واصفا بعض أصحابه: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» (٢٥).

وبتحليل أدبيَّات التعليم تتجلَّى لنا حقيقة مفادها: أنَّ العلم هو الفلكُ النوراني الذي تدور حوله حاجات البشريَّة كُلِّها وكُلِّف الرسل والأنبياء بتبليغه للنَّاس، ومن ثمَّ أصبح العلم علاج جميع العلل والأدواء، وأصلاً لإبداع الإنسان في شتى المجالات (الصناعية والزراعية...)، التي يناط بها استمرار حياة الإنسان وعمارته للأرض.

المطلب الرابع: الرعاية الصحية:

من أبرز جوانب جودة الحياة: الرعاية الصحية، التي بدأها الشرع بتكريم الله للجنس البشري وتشريفه بما حباه الله به وأودعه في الجسد من المزايا، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

ثم إن هذا الشرف يحتاج إلى شكر بصيانته عن كل ما يؤذيه إن كان حسياً أو معنوياً، ويكون ذلك بجملة من المطالب وهي متعلقة بشكل مباشر بالناحية الصِحيَّة:

أولاً: بحفظ النفس وهي من الضروريات الخمس التي أمرنا الله ﷻ بحفظها، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] تلك آياتٌ عظيمة تجمعُ بين البيان العلمي والتربية الصحية:

قال السعدي: "فالله تعالى ما حرَّم علينا إلا الخبيثات تفضلا منه، وصيانة عن كل مستقذر"(٢٦).

وقال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ»، قَالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧]. (٢٧) ويؤخذ من ذلك أنه لا معين على العبادة إلا الحياة الجيدة باختيار المطاعم الطيبة مثبتاً بذلك منافعها وأن لها أثراً في صلاح أحوال الفرد والمجتمع.

وقد صارت هذه الآيات والأحاديث وغيرها أصلاً في بيان منهج جلب المصالح الصحية.

ونؤكِد على ملحظ مهم، وهو أن مدار التَّحريم في بعض المطاعم والمشارب هو الضَّرر الصِحِّي فإن المحرَّم ما كانت رداءته ضارَّة كالدَّم ولحم الخنزير والخمر وغيره، ثمَّ ما يؤول إليه من المفاسد العاجلة والآجلة قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال ﷺ «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»(٢٨). والحديث يدُلُّ على مهمَّات قواعد الدين، حيث إن المقصود بالطهارة هي طهارة عن الشرك، وطهارة عن الأحداث الحسيَّة، فهما طهارتان إحداهما تختص بالباطن، والأخرى تختص بالظاهر، فالطهارة أصلها النظافة فصارت قسيمةً الإيمان في الذي هو السبب في سعادة الدارين.

ولقد أثبت الإسلام أوَّلَ نظامٍ صحي عالمي يُقِرُّ الحَجْرَ الصحي عند حدوث الأوبئة والأمراض الخطيرة

(٢٣)أخرجه الحاكم في "المستدرك على الصحيحين"، كتاب: العلم - فضل العلم أحب من فضل العبادة وخير الدين الورع، ١: ٩٢، (٣١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، محمد ناصر الدين الألباني، "صحيح الجامع الصغير". (ط١، عمان: المكتب الإسلامي، ١٩٨٢م)، ١٦: ٣١٠.

(٢٤) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: سامي محمد سلامة، (ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م)، ٤: ٣١٣.

(٢٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: مناقب معاذ بن جبل، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه»، ٦ :١٢٧، (٣٧٩٠). وقال الحاكم في مستدركه: «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما اتفقا بإسناده هذا على ذكر أبي عبيدة فقط، وقد ذكرت علته في كتاب التلخيص»، باب: ذكر مناقب زيد بن ثابت ٣: ٤٧٧، (٥٨٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١: ٢١٦.

(٢٦)السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي،" تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط: ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م)، ص: ٤٥١.

(٢٧) أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ٣: ٨٥، (١٠١٥).

(٢٨)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، ١: ١٤٠، (٢٢٣).

المعدية؛ كالطاعون والكوليرا وفيروس كورونا الجديد ونحوها؛ حيث وَضَعَ له قواعدَ راسخةً أقرَّها الطبُّ الحديث؛ كما في قول النبيِّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْزٌ سُلِّطَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا» (٢٩).

وفي الإطار ذاته نبَّه الإسلام إلى الوقاية من مرض الإيدز باتقاء جريمة الزنا لفحشها وسوء عاقبتها عن ابن عباس، قال: «ما فشا الزنا في قوم إلا كثر فيهم الموت» (٣٠).

ونختم المبحث بتوجيه نبوي عظيم وهو لبُّ ما ذكرناه سابقاً قوله ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالْيَقِينَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى» (٣١).

المبحث الثاني:

توفير خيارات للناس لتكوين حياة ممتعة ورغيدة (نمط الحياة)

المطلب الأول: الترفيه والترويح والرياضة:

من المحزن أن يظُنَّ ظانٌّ أن الإسلام دين مُتَزمِّت، يمنع مظاهر السرور والبهجة ولا يقر برامج الترفيه، والحقيقة خلاف ذلك، فالترفيه أمر أَبَاحَتْهُ الشريعة بضوابطه، لذلك تسعى الدول في تشييد البنى التحتية الثانوية، ويدخل في نطاقها بناء الملاعب والمدن الترفيهية والحدائق والمعارض والمسارح وغيرها.

ومن رحمة الله بعباده أن الترفيه ليس مقصوراً على نوع محدد في الشريعة، وإنما الأمر مشروع في كل ما يحويه معنى الترفيه من الأنشطة المباحة، وممارسة الهوايات، والسفر والرياضات والسياحة، بل الترفيه تحديداً هو الحياة المتوازنة بين العبادة وهي حظُّ الربِّ، والمتعة والترفيه وهي حظُّ النفس، فحاجة الإنسان إلى ذلك توازن ما افترضه الله عليه من واجباتٍ، وقد حوَى القرآن كثيراً من النصوص الدالة على ذلك، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا** ﴾ [القصص:٧٧].

وراعت السنة النبوية المطهرة الطبيعة التي جَبَلَ الله عليها النفس البشرية، ومن ذلك جواب رسول الله ﷺ على حنظلة الأسيدي حينما خَشِيَ على إيمانه من مشغلات الدنيا: «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات (٣٢).

وقال ﷺ: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة» (٣٣).

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الحديث: "وهذا مما يدل على كمال الإسلام أنه يعطي النفوس بعض الحرية والانطلاق في المرح واللعب؛ لأن الطبيعة البشرية لا يمكن أن تبقى النفس مكبوتة لا تتحرك ولا تمرح ولا تمزح لابد من شيء ولكنه في الحدود الشرعية". (٣٤).

وفي المحور ذاته تاتي الرياضة فتبني الأجسام القوية والعقول السليمة والنفسيات القويمة بناءاً فعالاً، لتكون جزءاً أصيلاً في تشكيل المجتمع الناجح قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ** ﴾ [الأنفال:٦٠]، وفُسِّرت القوة بالرمي قال ﷺ «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»(٣٥)، ويدخل معها غيرها من أنواع الرياضة التي رغب رسول الله في تعلمها حين قالﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ لَهْوٌ وَسَهْوٌ، إِلَّا أَرْبَعَ خِصَالٍ: مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ، وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ، وَتَعَلُّمُ السِّبَاحَةِ»[٣٦] فأشار الحديث إلى رياضة المشي والفروسية والسباحة وغيرها كثير مما ورد في نصوص الشريعة ،كالمبارزة حين قالﷺ : «إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، والمسابقة في قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ** ﴾ [يوسف:١٧]، وحمل الأثقال حينما قام الصحابة يتبارون في رفع حجرٍ ثقيل ليتمكنوا معرفة مدى قوتهم، وكان الرسول بينهم فأقرهم ولم ينكر عليهم،

(٢٩) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها،٧: ٢٧، (٢٢١٨).

(٣٠) أخرجه مالك في الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، "الموطأ" تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط١، أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية، ٢٠٠٤م)، كتاب: الجهاد، باب: الغلول في سبيل الله، وما جاء فيه، ١: ٦٥٤، (١٦٧٠). قال ابن حجر: «فيه انقطاع». ينظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ١٠: ١٩٣.

(٣١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الخلفاء الراشدين، مسند أبي بكر الصديق ﷺ ، ١: ١٨٥، (٦)، وصححه الألباني في تحقيق الإيمان، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، "كتاب الإيمان". تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (ط٥، عمان: المكتب الإسلامي، ١٩٩٦م)، ص:٩٤.

(٣٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الأخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا ٤: ٢١٠٦، (٢٧٥٠).

(٣٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها ٤١: ٣٤٨. (٢٤٨٥٤ـ ٢٤٨٥٥)، قال ابن حجر: «هذا الإسناد حسن». أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، "تغليق التعليق على صحيح البخاري". تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، (ط١، الأردن: المكتب الإسلامي، ١٠٤٥هـ)، ٢: ٤٣.

(٣٤) محمد بن صالح العثيمين، "فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام". تحقيق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، (ط١، بيروت: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م)، ١: ٦١٦.

(٣٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثُمَّ نسيه، ٦: ٥٢، (١٩١٧).

(٣٦)أخرجه النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، "السنن الكبرى"، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، (مؤسسة الرسالة – بيروت)، ٨: ١٧٦، (٨٨٩٠). قال ابن حجر: «إسناده صحيح»، أبو الفضل، أحمد بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، (ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥ه، ٢: ١٢٩

ويقاس عليها غيرها من الرياضات الإسلام على غرس ركائزها لما تقدمه من القوة البدنية والقيم الاجتماعية والفنون الإبداعية التي تدعم أدوات التواصل الاجتماعي .

كل ماذكر آنفاً من الممارسات الترفيهية والرياضية تضبطه الشريعة بضوابط محددة على رأسها: أن لا يؤدي هذا الترفيه والترويح والرياضة إلى ضياع ماهو واجب كالصلاة ونحوها، وأن لا يشتمل على محرمات ككشف العورات أو اختلاط مشين، أو كلام فاحش وأن لا يثير عصبية تنمي الأحقاد أو وتثير الفتن، فإذا خلا هذا الترفيه والترويح من هذه المحظورات ومثيلاتها، فهو من التنفيس المشروع الذي يستعان به على إصلاح أمر الدين والدنيا.

المطلب الثاني: التراث والثقافة والفنون.

حياة الأمم مستمدة من تمسكها بتراثها، والعناية بالتراث في القرآن تظهر في الاهتمام بالموروث العلمي للأنبياء والمصلحين، مما له أثر في جودة الحياة، ومن التراث الإسلامي والذي ترعاه دولتنا الحبيبة اليوم مهرجان الملك عبدالعزيز للصقور، ومهرجان الهجن، ومهرجان الملك عبد العزيز للإبل (المزاين) وله أصل في الشرع قال تعالى: ﴿ **وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ** ﴾ [النحل: ٦] وقوله: ﴿ **وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ** ﴾ [النحل: ٨] وهو جواز إظهار النعمة بالأنعام والاكتفاء بذلك عن الخلق، ومنها جواز شراء الأنعام وبيعها لجمالها بلا إسراف، فعن عروة البارقي ﷺ يرفعه قال: «الْإِبِلُ عِزٌّ لِأَهْلِهَا، وَالْغَنَمُ بَرَكَةٌ، وَالْخَيْرُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣٧).

وأما العناية بالمظاهر الثقافية الداخلية والخارجية التي تتميز بها دولتنا: فمنها إقامتها للمهرجانات الموسمية مثل مهرجان الجنادرية والمهرجانات البرية والحفلات الثقافية ومهرجان البحر الأحمر السنمائي وغيرها، وما تحرص عليه من إقامة المعارض كمعرض الكتاب الذي يقام كل عام مرة، وقد أثنى الله على تعليم الكتاب ومدارسته فقال: ﴿ **وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧٩]، فهذه وإن كانت في الكتب السماوية، إلا أن حكمها يشمل الكتب النافعة.

كما اعتنى الإسلام بالفنون، واعتنى بتهذيبها وتنزيهها عن المحرمات، فالإسلام دين يحب الجمال ويرغب فيه، ويعد الفن الإسلامي عميق وهادف، والاهتمام به مشروعٌ إذا بلغ حدَّ القصد والمنفعة المباحة، ومن طبيعة الفطرة البشرية الميل إلى الجمال والإبداع واستحسانه في جميع مظاهر الحياة، لكن في نطاق الفضيلة، كما قال تعالى: ﴿ **قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ** ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ويحدد بعضهم مهمة الفن بأنها: «نقل وإيصال أسمى وأفضل القيم والأفكار والمشاعر إلى الآخرين بأسلوب جميل مؤثر بحيث يوفر عنصر المنفعة إضافة إلى التأثير في السلوك» (٣٨).

والنبي ﷺ يقول: «إن الله جميل يحب الجمال» (٣٩)

والفن هو في حقيقته إبداع جمالي يقبله الإسلام ويقيِّدُهُ بقاعدة تقول: حَسَنُه حسن وقبيحه قبيح، وفي حديث عائشة: أن أبا بكر رضي الله عنه، دخل عليها، وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان، وتدففان، وتضربان، والنبي ﷺ متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي ﷺ عن وجهه، فقال: «دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد» (٤٠). وتلك الأيام أيام منى.

المطلب الثالث: المشاركة الاجتماعية:

من أهم دعائم الاستقرار الاجتماعي: التآلف بين الناس، وقد حرص الإسلام على التكافل الاجتماعي بين المسلمين، ووضع الرسول ﷺ قاعدته عندما هاجر إلى المدينة، فكانت أول مشاريعه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فأصبح المسكن الواحد يضم المهاجري والأنصاري، يتقاسمون المكان والمال والطعام، فمثل هذه التفاصيل كانت أحد الدعائم المهمة في بناء دولة الإسلام، قال تعالى: ﴿ **وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا» (٤١).

فنتج عن هذا التآلف الأخوة في الدين ﴿ **إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ** ﴾ [الحجرات: ١٠] فوصلوا لأعلى مراتب الأخوة، وهي تقديم غيرهم على أنفسهم، فاستحقوا الوصف في قوله تعالى: ﴿ **وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ** ﴾ [البقرة: ١٧٧] فإن هؤلاء آثروا على

---

(٣٧) أخرجه بن ماجة في سننه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، "سنن ابن ماجة"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية)، كتاب: التجارات، باب: اتخاذ الماشية، ٢: ٣٧٧، (٢٣٠٥). قال: محمد فؤاد عبد الباقي في الزوائد «إسناده صحيح على شرط الشيخين. بل بعضه في الصحيحين بهذا الوجه. وإنما انفرد ابن ماجة بذكر (الإبل والغنم) فلذلك ذكرته»، حاشية السندي على سنن ابن ماجه " كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، أبو الحسن، نور الدين السندي، (دار الجيل - بيروت، بدون طبعة)، ٢: ٤٧، (٢٣٠٥).

(٣٨) صالح بن أحمد الغزالي، "ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية". (ط١، الرياض: دار الوطن للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ) (ص:٢٩).

(٣٩) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، ١: ٩٣، (٩١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العيدين، باب: إذا فاته العيد يصلي ركعتين وكذلك النساء: ٢:٢٣ ، (٩٨٧).

(٤١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ٨: ١٩، (٦٠٦٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر ٤: ١٩٨٣، (٢٥٥٩).

أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه"(٤٢).

ومن أهم سُبُلِ المشاركة الاجتماعية التعاون بالأعمال التطوعية، فالعمل التطوعي هو: (ما تبرعت به من ذات نفسك فيما لا يلزمك فرضه) (٤٣). وهو مندوب في الشريعة ومنه: الشفاعة الحسنة، ومساعدة أهل الحوائج، وإعانة الرجل على دابته، وإماطة الأذى عن الطريق، وغيرها من المندوبات كثيرٌ في الشرع، قال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن ﴾ [النساء: ١١٤] والمعروف في الآية الكريمة يشمل كل أعمال البِرَّ.

فالأعمال التطوعية من النفع المتعدي الذي يؤجر صاحبه بأضعاف النفع القاصر وإن قصد به النفع الدنيوي دون الأخروي، ويكون التعاون بالجهد وبالمال وبالرأي، ومن ذلك: تطوع ذو القرنين ببناء السد بينه وبين أهل الشر، قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف:٩٥].

وما استجلب عون الله بشيءٍ أعظم من عون الإنسان لأخيه المسلم قال ﷺ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (٤٤). فكل إنسان ذكراً كان أو أنثى مطالب بالعمل الخيري والإحسان، بما يتناسب مع قدراته انطلاقاً من قوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» (٤٥).

والأصل في ذلك أن الإسلام اهتم بالعمل التطوعي، معتبرًا إياه منهجاً تربوياً في إعداد الجماعات، ومعالجة الضعف البشري وسد حاجاتهم، ويكون ذلك من خلال التكاتف في سد ثغرات المجتمع الإسلامي والتعاون على أعمال البر، وتحقيق الترابط والتآخي، كما ثبت من قول خديجة رضي الله عنها حينما قالت: «فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» (٤٦).

الخاتمة:

تشهدُ المملكة العربية السعودية في السنوات الحالية تطورًا هائلًا، وانفتاحا على العالم، والأخذ بناصية العلم والتطور، ابتغاء الارتقاء إلى مصاف الدول المتقدمة، وتلبيةً للطموحات العالية التي ترتضيها القيادة الملكية الحكيمة لمواطني المملكة ووافديها.

وقد ربطت المملكة رؤيتها لعام ٢٠٣٠ بمفهوم جودة الحياة والمتغيرات المرتبطة به مثل الرضا عن الحياة، والسعادة، والبحث عن الجودة، في حياة الفرد والمجتمع ليصل بهما إلى الرفاهية، كما تعددت استخدامات مفهوم جودة الحياة في كثير من المجالات منها جودة الحياة الحاضرة والمستقبلية، فأصبحت الجودة هدفا لأي برنامج من برامج التنمية في الدول المتقدمة.

ولمَّا كانت المملكة العربية السعودية مهد الديانة الإسلامية، أخذت على عاتقها ضبط نمط الحياة في المجتمع السعودي بما يوافق أحكام الشرع الحنيف، وبناء دستور الدولة على هذا الأصل ونبذ ما يخالف ذلك، وانطلاقًا من هذا المربض كانت الحاجة ماسة إلى محاولة تأصيل مفهوم برنامج جودة الحياة، وما يحتويه من أهدافٍ وتطلعاتٍ من وجهة نظر الشريعة الإسلامية للوقوف على مدى مطابقته لأحكام الشرع، فكانت هذه الدراسة محاولةً على هذا الدرب، وأسأل الله أن أكون قد وفقت فيها للقصد والإصابة.

من خلال هذه الدراسة توصل الباحث إلى بعض النتائج والتوصيات وهي كالتالي:

أولًا: النتائج:

١. أنه لا تعارض بين برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠ وأحكام الشرع الشريف، بل هو داخلٌ في مقاصد الشريعة التي تهدف إلى التطوير والتحسين المستمر في حياة البشر.

٢. إن الإسلام سابقٌ دائمًا إلى كل ما فيه خير الدنيا والآخرة، وذلك لتبنيه منظومة الخير وابتغاء المصالح العليا واتسامُ أحكامه بالمرونة والقابلية للتطوير.

٣. إن الإسلام لا يعارض الترفيه والترويح عن النفس، وليس بدين تعنت أو تشدد أو تزمُّت، بل دينُ فطرة واستقامة، جاء ليقيم التوازن بين حاجات الإنسان البدنية والروحية.

٤. إن جودة الحياة من خلال تدشين برامج تنمية البيئة المجتمعية من شأنه أن يرفع المملكة العربية السعودية إلى مصاف الدول الجاذبة للوافدين في وقتٍ وجيز.

ثانيًا: التوصيات:

١. ضرورة مواكبة تحسين البيئة المجتمعية بالعمل على تحسين الفرد ذاته من خلال توفير أحدث وأفضل وسائل تعليمية ممكنة تابعة للنسق الإسلامي.

٢. ضرورة العمل على تعميم تجربة جودة الحياة في كافة

---

(٤٢) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٨: ٧٠.

(٤٣) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، "تهذيب اللغة"، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ٣: ٦٦، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ٢: ٣١٤.

(٤٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ٤: ٢٠٧٤، (٢٦٩٩).

(٤٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ٣: ١٢٨، (٢٤٤٢).

(٤٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ قي كا كل كم كى كي ﴾ [الضحى:٣] ٦: ١٧٣، (٤٩٥٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١: ١٣٩، (١٦٠).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المجتمعات الإسلامية، استهدافًا لتحسين حياة الفرد والمجتمع.

ثبت المصادر والمراجع

١. أحمد، أحمد حسانين، "**الخصائص القياسية للمقياس المئوي لنوعية الحياة الصادر عن منظمة الصحة العالمية على عينات من المجتمع الليبي**". (د.ط، الجزائر: مركز البصيرة للبحوث والاستشارات التعليمية، ٢٠١١م).

٢. الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور، "**تهذيب اللغة**"، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

٣. الأصبحي، مالك بن أنس بن مالك بن عامر المدني، "**الموطأ**" تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط١، أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية، ٢٠٠٤م).

٤. الألباني، محمد ناصر الدين، " **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** "، (ط١، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٩٥م).

٥. الألباني، محمد ناصر الدين، "**صحيح الجامع الصغير**". (ط١، عمان: المكتب الإسلامي، ١٩٨٢م).

٦. الألباني، محمد ناصر الدين، "**ضعيف سنن الترمذي**"، (ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٢م).

٧. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني، "**صحيح الأدب المفرد**". (ط١، بيروت: دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م).

٨. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، "**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**". تحقيق: على عبدالباري عطية، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

٩. الآمدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، "**الإحكام في أصول الأحكام**". تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، (د.ط، بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت).

١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، "**صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**". تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط ١، السعودية: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

١١. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، الأدب المفرد، "**الأدب المفرد**". تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، (ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٨م).

١٢. البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، "**صحيح ابن حبان**". (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م).

١٣. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، "**سنن الترمذي**". تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥م).

١٤. ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، "**كتاب الإيمان**". تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (ط٥، عمان: المكتب الإسلامي، ١٩٩٦م).

١٥. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، "**المستدرك على الصحيحين**". تحقيق: مصطفى عبد القادر، عطا، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م).

١٦. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق، " **سنن أبي داود**". تحقيق: محمد محيي الدين عبالحميد، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية، د.ت).

١٧. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، "**تيسير الكريم الرحمن**". تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م).

١٨. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، "**المحكم والمحيط الأعظم**". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).

١٩. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، "**الموافقات**". تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (ط١، عمان: دار ابن عفان، ١٩٩٧م).

٢٠. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان، "**تفسير الإمام الشافعي**". جمع وتحقيق: ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، (ط١، الرياض: دار التدمرية، ٢٠٠٦م).

٢١. الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، "**مسند الإمام أحمد**". تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م).

٢٢. صالح، نانسي كمال، "**مقياس جودة الحياة للمراهقين ضعاف السمع**". (رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة عين شمس، ٢٠١٨م).

٢٣. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، "**التحرير والتنوير**". (ط١، تونس: الدار التونسية للطباعة، ١٩٨٤م).

٢٤. ابن عثيمين، محمد بن صالح، "**فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام**". تحقيق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، (ط١، بيروت: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م).

٢٥. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، "**تغليق التعليق على صحيح البخاري**". تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، (ط١، الأردن: المكتب الإسلامي، ١٠٤٥هـ).

٢٦. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، "**فتح الباري شرح صحيح البخاري**"، تحقيق: محمد فؤاد عبد

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الباقي، (ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
٢٧. الغزالي، صالح بن أحمد، "**ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية**". (ط١، الرياض: دار الوطن للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ).
٢٨. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، "**تفسير القرطبي**". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م).
٢٩. القشيري، أخرجه مسلم في صحيحه، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، "**صحيح مسلم**". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
٣٠. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، "**تفسير القرآن العظيم**". تحقيق: سامي محمد سلامة، (ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م).
٣١. المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد الرحماني، "**مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**". (ط٣، الهند: الجامعة السلفية، ١٩٨٤م).
٣٢. ابن ملك، محمد بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، "**شرح مصابيح السنة**" تحقيق: نور الدين طالب، (ط١، عمان: إدارة الثقافة الإسلامية، ٢٠١٢م).
٣٣. المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين، "**فيض القدير شرح الجامع الصغير**". (ط١، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ).
٣٤. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، "**شرح النووي على مسلم**". (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).
٣٥. وثيقة برنامج جودة الحياة ٢٠٢٠ (خطة التنفيذ)، **رؤية** VISION 2030، المملكة العربية السعودية، الموقع الرسمي لرؤية ٢٠٣٠ http://vision2030.gov.sa
36.WHOQOL Group (1995). The World Health Organisation Quality of Life Assessment.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

الكلاسيكية في عصر النهضة الأوربي - عرض ونقد.

أ. أسماء عبدالرحمن عمرالفقيه

محاضر، جامعة الباحة، المملكة العربية السعودية.

Classicism in the European Renaissance - Review and Critique

Asmaa Abdulrahman Omar ALFaaqeeh

Lecture at Al Baha University. Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: asmaa.a.o.f@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

الكلاسيكية، عصر النهضة، النهضة الأوروبية.

KEY WORDS:

Classicism, Renaissance, European Renaissance.

مستخلص البحث:

يتناول هذا البحث مفهوم الكلاسيكية في عصر النهضة الأوروبي، من خلال دراسة نشأتها التاريخية وتطورها الدلالي، مع تحليل أثرها في المجالات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، ويركز البحث على كيفية إحياء التراث اليوناني والروماني وتأثيره في تشكيل المدارس الفكرية والأدبية المختلفة، مثل الرومانسية، إلى جانب دوره في نشوء الأنظمة الاقتصادية الحديثة، كالرأسمالية والشيوعية، كما يناقش النقد الموجه للكلاسيكية، خصوصًا فيما يتعلق بإغفالها للبعد الديني وتركيزها على الإرث الفلسفي والفكري لليونان والرومان، ويقدم البحث رؤية تحليلية نقدية تستعرض الإيجابيات والسلبيات المرتبطة بهذه الحركة الفكرية وتأثيرها في أوروبا الحديثة.

مشكلة البحث:

تُعَد الكلاسيكية من أهم الاتجاهات الأدبية والفنية التي أثرت في تشكيل الفكر الجمالي والثقافي في الحضارات المختلفة، وخصوصًا في أوروبا في خلال عصر النهضة، ورغم الدراسات المتعددة حول هذا الاتجاه، لا تزال هناك جوانب تحتاج إلى مزيد من البحث، خصوصًا فيما يتعلق بتطورها وتأثيرها على الحركات الأدبية والفنية اللاحقة؛ لذا، يهدف هذا البحث إلى تحليل المفاهيم الأساسية للكلاسيكية، وتأثيراتها على عصر النهضة والنهضة الأوروبية، مع دراسة أبعادها الفلسفية والجمالية.

ABSTRACT:

This study examines the concept of Classicism during the European Renaissance by analyzing its historical origins and semantic evolution, with a focus on its impact on intellectual, social, and economic domains. The research explores the revival of Greek and Roman heritage and its influence on various literary and philosophical schools, such as Romanticism, as well as its role in the emergence of modern economic systems like capitalism and communism. Additionally, it discusses the critiques of Classicism, particularly regarding its neglect of religious aspects and its emphasis on Greek and Roman philosophical traditions. The study presents a critical analytical perspective that evaluates both the positive and negative dimensions of this intellectual movement and its influence on modern Europe.

أسئلة البحث:

١. ما مفهوم الكلاسيكية وما أبرز خصائصها الفكرية والجمالية؟

٢. كيف تطورت الكلاسيكية عبر العصور المختلفة، وما علاقتها بعصر النهضة والنهضة الأوروبية؟

٣. ما مدى تأثير الكلاسيكية على التيارات الأدبية والفنية اللاحقة؟

٤. ما الأبعاد الفلسفية والجمالية التي شكلت الاتجاه الكلاسيكي؟

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في تسليط الضوء على أحد أهم التيارات الفكرية والفنية التي أسهمت في تشكيل الوعي الثقافي الأوروبي، وتوضيح دورها في إحياء التراث الإغريقي والروماني في خلال عصر النهضة. كما يُسْهِم البحث في تقديم فَهْم أعمق للأسس الفلسفية والجمالية للكلاسيكية، وهو ما يساعد على ربطها بالاتجاهات الأدبية والفنية الحديثة والمعاصرة.

أهداف البحث:

١. تحليل المفاهيم الأساسية للكلاسيكية وتطورها عبر العصور.

٢. دراسة علاقتها بعصر النهضة والنهضة الأوروبية وتأثيرها في التيارات الأدبية والفنية.

٣. توضيح الأبعاد الفلسفية والجمالية التي قام عليها الفكر الكلاسيكي.

٤. تقديم رؤية متكاملة عن مدى استمرارية الكلاسيكية وتأثيرها في الأدب والفن الحديث.

مجتمع الدراسة:

يركز البحث على دراسة النصوص الأدبية والفنية المرتبطة بالكلاسيكية، سواء في العصور القديمة أو خلال عصر النهضة الأوروبية، مع تحليل أعمال أبرز المفكرين والأدباء الذين تبنوا هذا الاتجاه.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي، حيث تتم دراسة نشأة الكلاسيكية وتطورها عبر العصور، بالإضافة إلى المنهج النقدي المقارن لتحليل تأثيرها في الحركات الأدبية والفنية المختلفة.

الدراسات السابقة:

١. "تاريخ عصر النهضة الأوروبية" نور الدين حاطوم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م: يستعرض هذا الكتاب عصر النهضة الأوروبية، مسلطًا الضوء على الأحداث والتغيرات العميقة التي شهدتها أوروبا خلال تلك الفترة، مع التركيز على تأثير التراث الكلاسيكي.

٢. "التاريخ الحديث والمعاصر: عصر النهضة الأوروبية" إسحق عبيد، دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م: يقدم هذا الكتاب نظرة شاملة على عصر النهضة، موضحًا دور الحضارة العربية الإسلامية في تنوير العقلية الأوروبية، ويستعرض الحركة الإنسانية وتأثيرها على الفكر الكلاسيكي.

٣. "التراث الكلاسيكي: مقدمة قصيرة جدًّا" ماري بيرد وجون جراهام هندرسون، ترجمة محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٥م: يقدم هذا الكتاب مقدمة موجزة عن التراث الكلاسيكي وتأثيره المستمر منذ عصر النهضة، مع التركيز على كيفية تنقيح النصوص الكلاسيكية ونشرها.

وجه الاختلاف بين الدراسات السابقة وبين دراستي:

يتميز بحثي بشموليته في تناول مفهوم الكلاسيكية في عصر النهضة الأوروبي، حيث لا أقتصر على الجوانب الأدبية والفكرية فقط، بل أبحث في تأثيرها العميق على المجالات الاجتماعية والاقتصادية، خصوصًا في نشوء الرأسمالية والشيوعية. كما أقدم رؤية نقدية للكلاسيكية، موضحًا جوانب القصور فيها، مثل إغفالها للبعد الديني وتركيزها على الإرث الفلسفي لليونان والرومان. إضافةً إلى ذلك، أسلط الضوء على التطور الدلالي لهذا المفهوم عبر الزمن، وأحلل دوره في تشكيل المدارس الفكرية والأدبية الحديثة، وهو ما يمنح البحث بُعدًا تحليليًّا ومقارنًا أكثر عمقًا من الدراسات السابقة التي ركزت على جوانب محددة من هذه الحركة الفكرية.

المبحث الأول: تعريف الكلاسيكية وتاريخها:

ظهر مصطلح الكلاسيكية في عصر النهضة الأوربي، في القرن الثالث عشر للميلاد، فقد كانت أوربا في عصور مظلمة ساد فيها التخلف والجهل والفقر، والتبعية المطلقة للكنيسة التي تسلطت باسم الدين النصراني على الشعب الذي نهض، وسُمي عصر النهضة بهذا الاسم نسبة لنهضة الشعب.

"عصر النهضة مصطلح يطلق على حقبة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة وجاءت كلمة (Renaissance) الرينسانس، وتعني نهضة أو ولادة جديدة أو بعث أو إحياء، ولم يكن ظهورها مرة واحدة، بل كان انبعاثًا تدريجيًّا، ظهرت هذه الحركة أولًا في إيطاليا في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، في حين أن النهضة ظهرت في إنجلترا في الربع الأخير من القرن الخامس عشر، ومطلع القرن السادس عشر، وسبقتها فرنسا بعض الشيء، أما روسيا فتأخر دخولها إلى مطلع القرن الثامن عشر، وفي إيطاليا توقفت النهضة نهاية القرن السادس عشر بسبب تعرضها للغزو الفرنسي"(١).

المطلب الأول: المرحلة الأولى: ظهور مصطلح

---

(١) بتصرف من بحث بعنوان السمات الجمالية لتصوير العصور الوسطى وتمثلاتها في عصر النهضة (الفنان جيوتو) أنموذجًا، أحمد حفظي حسن، ٢٤٩، وبحث بعنوان حركة الفن النسائي في عصر النهضة الأوربية ـ دراسة تحليلية فنية)، إعداد أ. م. د/ أمل محمد حلمي يوسف، ١٣٥. ومحاضرات تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى ظهور الولايات المتحدة الأمريكية (١٧٧٦-١٥٠٠)، جامعة الأنبار، كلية الآداب، قسم التاريخ، الدكتور إياد ناظم جاس ٢٠١٥م ٢٠١٦م.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الكلاسيكية:

في أول ظهور لمصطلح الكلاسيكية كان المراد به علوم اليونان والرومان، ففي القرون الوسطى تعالت أصوات المفكرين والنقاد داعين إلى محاكاة التراث اليوناني والروماني"[٢].

ظهر مصطلح الكلاسيكية بهذا المعنى في عام ١٥٤٦م، في كتابات دبليو بيرين [٣] ثم ظهر في كتابات توماس أوكهارت[٤]، عام ١٦٥٣م، وفي عام ١٦٩٩م ظهرت الكلاسيكية في كتابات توماس بيكر [٥] وفي عام ١٦٥٨م، ظهر المصطلح في كتابات هيو بينق[٦].

الحضارة اليونانية من أعرق الحضارات القديمة فكريًا وسياسيًا، وأصبحت ضمن البلاد الرومانية. بعد غزوهم لهم فترة من الزمن.

وتعرف اليونان قديمًا باسم (هيلاسي)، وهي تشمل ما يُعرف باسم شبه جزيرة البلقان ومجموعة الجزر المنتشرة في بحر إيجة، إضافة إلى المدن المنتشرة على ساحل شبه جزيرة آسيا الصغرى.

مصادر التاريخ اليوناني:

إن القائمين على دراسة كتب التاريخ اليوناني اتفقوا على وجود مصدرين أساسيَّيْن لكَتَبَة تاريخ هذه البلاد، أولهما: ما كُتِب باللاتينية أو اليونانية من قصص وخطب وأشعار وتراجم ومؤلفات وفلسفات وجغرافيا تركها لنا الإغريق القدامى، وهو ما يسمى بالمصدر الأدبي، ثانيهما كل ما تركه الإغريق القدامى لنا من مخلفات، كالمعابد والمنازل والأدوات والمقابر والآلات التي كانت تُستعمل في حياتهم اليومية وغيرها، وهذا ما يعرف بالمصدر غير الأدبي، وقد نقل لنا المصدر الأدبي بعض جوانب التاريخ اليوناني في هيئة قصص موضوعه في شكل حكايات تعيد الذكرى للعصور الخالية التي لا يُعرَف من حوادثها إلا جزء يسير، وهي قصص لأسلاف اليونانيين وما عايشوه من شدائد، وذللوه من صعاب لبعض أبطال الأمة[٧].

"في نهاية القرن الرابع عشر في إيطاليا، أي بداية عصر النهضة الأوربي الذي بدأ في إيطاليا أولًا ظهرت حركة إحياء الدراسات الكلاسيكية التي تُعرف بالحركة الإنسانية (humanism أو المذهب الإنساني) ويراد بها الارتفاع بمستوى العقل عن طريق إعلاء شأن الماضي الكلاسيكي وبعثه من جديد، وزحف (المذهب الإنساني) من فلورنسا إلى روما مناديًا بغلبة اللغة اللاتينية، والتوفيق بين الأشكال الوثنية في الحضارتين اليونانية والرومانية وبين المجتمع المدني والعلماني في عصر النهضة، وبعد اكتمال النهضة في إيطاليا تسربت لبقية البلدان الأوربية ممثلة في فرنسا وإنجلترا وألمانيا وغيرها، وقد ترك عصر النهضة تراثًا فكريًا وفنيًا لا يزال مهمًا إلى يومنا هذا"[٨].

بترارك patriarch [٩] أول من عبر عن اهتمامه باللغة

---

[٢] بتصرف من بحث الشعريات الكلاسيكية والظاهرة الأدبية (دراسة في إشكالية انفتاح النص الأدبي)، نجاة عرب الشعبة٥٧١. وبتصرف من كتاب تاريخ عصر النهضة الأوربية، د. نور الدين حاطوم، ٩٢، وبتصرف من مقال أثر الفكر اليوناني على النهضة الفكرية في أوربا، أ. محمود جودت محمود قبها، ٣١.

[٣] بيرين من آباء الكنيسة في عصر النهضة كاتب مسيحي في القرن الخامس، يستشهد بكتب ومؤلفات مَن قبله، لم يربط بين التعاليم الدينية المسيحية وبين آداب العصور القديمة ولا الإيطاليين الأوائل لا بقصة ولا بتمجيد، فلم يكن كلاسيكيًا، ولم تظهر في كتاباته أفكار اليونان ولا الرومان إلا قليلًا

THE EXEGETICAL METHODS OF SOME SIXTEENTH-CENTURY ROMAN CATHOLIC PREACHERS IN ENGLAND: FISHER, PERYN, BONNER, AND WATSON, PART II,270-272,

https://www.oed.com/dictionary/classical_adj

(قاموس أكسفورد)

(4) توماس أوكهارت، مؤلف ومترجم وفارس أسكتلندي، ترجم كلاسيكيات فرنسا في عصر النهضة، كان عالم أنساب، وعالم سير ذاتيةSIR، وعالمًا بالشعر وعلم المثلثات، بتصرف من كتاب THOMAS URQUHARTIE OF CROMARTIF KNIGHT.by JOHN WILLCOCK

، 7، https://www.oed.com/dictionary/classible_adj

، قاموس أكسفورد.

[٥] توماس بيكر، رجل دين في كنيسة إنجلترا عاش في الفترة بين (١٦٦٥-١٧٤٠م)، رجل دين، حصل على البكالوريس من جامعة جونز عام ١٦٧٨م، ودرجة الماجستير في عام ١٦٨١م، درس علم الآثار والمخطوطات وقام بتأليف الكتب، حيث جمع عددًا كبير منها فيما يتعلق بالكنيسة والدولة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وأعاد طباعتها ونشرها.

https://www.joh.cam.ac.uk/library/special_collections/early_books/baker.htm

موقع جامعة كامبريدج، كلية سانت جون، موقع قاموس أكسفورد

https://www.oed.com/dictionary/classical-greek_n

[٦] هيو بيننق، ابن جون بيننق، تلقى تعليمًا ليبراليًا قبل سن الرابعة عشرة، درس الفلسفة في جامعة جلاسكو، وفي عمر التاسعة عشرة، أصبح أستاذًا للفلسفة، ثم عُيّن وزيرًا لغوفان المدينة المجاورة لجلاسكو، عمل لخدمة الكنيسة، توفي عام ١٦٥٣م. الكنيسة المشيخية الإصلاحية (المعاهدة) - أتباع العهد "الفولاذي

HTTPS://WWW.COVENANTER.ORG/REFORMED/2015/6/26/HUGH-BINNING"

موقع قاموس أكسفورد

https://www.oed.com/dictionary/classer_n

[٧] أثر الفكر اليوناني على النهضة الفكرية في أوربا، أ. محمود جودت محمود قبها ٢٥-٢٩-٣٠.

[٨] بتصرف من بحث بعنوان الثقافة والإمبريالية والنقد الإنساني في مدن الدول الإيطالية/ ديانا روبن/ ترجمة جمال الجزيري، ٦٤٥-٦٤٦-٦٥٦، ومن بحث حركة الفن النسائي في عصر النهضة الأوربية - دراسة تحليلية فنية)، إعداد أ. م. د/ أمل محمد حلمي يوسف، ١٣٨-١٣٩.

[٩] عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، أحب "لاورا .Laura" وألهمته كثيرًا من القصائد الغنائية، ولكنه بعد عشر سنوات من هذا الحب الذي لا طائل منه، بحث في مكتبات أوربا وأعاد اكتشاف الكلاسيكيات، ففي عام ١٣٣٣م وجد خطبة شيشرون في الدفاع عن آرخياس، وهو شاعر يوناني من أصل سوري عاش في روما، لكنه اتُّهم بأنه لم يكن مواطنًا روميًّا صالحًا، ألف قصيدة شعرية طويلة باسم (أفريقيا) تزيد

اللاتينية الكلاسيكية، واكتشاف المخطوطات الإغريقية واللاتينية وقام بترجمتها، اكتشف في عام ١٣٤٥م في مدينة فيرونا الإيطالية مخطوطات لرسائل وخطب شيشرون [١٠]. المفقودة، مثل Epistulae al Atticam وad Brutum وQaintum Fratrem [١١].

اهتمت حركات البعث والنهضة الأوربية باللغة اللاتينية (الإيطالية) والإغريقية (اليونانية)، والتراث الروماني واليوناني، ومن ضمن هذه الاهتمامات التي نهضت مع أوربا حين نهضتها الفلسفتان الرواقية [١٢] والإبيقورية [١٣] اليونانيتان.

"كانت المبادئ الرواقية الأساسية معروفة جيدًا للدارسين في العصور الوسطى وبداية عصر النهضة، الفلسفة الرواقية أسلوب نثري فيه إيجاز، وليس بهرجة زائدة مثل أسلوب شيشرون، ووجه النقد للرواقية بأن الكلام الموجز المحكم ممل عقيم غير مثير للاهتمام، عديم الطلاوة، تعيقه بعض العبارات القصيرة والتلاعب بالألفاظ والعبارات المقتضبة، وظهرت الإبيقورية في منتصف القرن التاسع عشر، لكن لأن النظرة السائدة إلي إبيقور Epicurus تتمثل في إنكاره للعناية الإلهية وخلود النفس واعتقاده بأن اللذة هي الخير الأسمى جعلت سمعتها سيئة جدًّا، لذا كانت الموضوعات الإبيقورية القليلة الموجودة في أشعارهم مقصورة على الموضوعات الشائعة، مثل: انعم بيومك، كتعبير عن اللذة"[١٤].

المطلب الثاني: المرحلة الثانية: دلالة مصطلح الكلاسيكية على طبقة من المجتمع:

تغيرت دلالة لفظ الكلاسيكية وأصبح يدل لفظ الكلاسيكيين على صنفين من المجتمع، هما: الأغنياء والمتعلمون تعليمًا عاليًا:

فقد عبر بلفظ الكلاسيكية على التمييز الطبقي عام ١٨١٣م، ثم في عام ١٨٨٥م، ظهر اسم الاقتصاد الكلاسيكي، ثم سجل في الكونجرس عام ١٨٧٨م كلفظ دال على طبقة اجتماعية، ثم ظهر في عام ١٩١٤ في علم الاجتماع [١٥].

وعبر بلفظ الكلاسيكية على الفصل الدراسي (Class) – كلاس- في عام ١٨٣٣م، وبقي الاسم للوقت الحالي [١٦].

لذلك فمفهوم الكلاسيكية قد مر بتطورات تاريخية من حيث دلالة المصطلح.

المبحث الثاني: آثار الكلاسيكية على أوروبا:

من الآثار التي كانت الكلاسيكية تمهيدًا أو مقدمة لها ما يلي:

(أ): ظهور الأنظمة الاقتصادية، كالنظام الرأسمالي، والنظام الشيوعي والاشتراكي.

"النظام الرأسمالي هو نظام اقتصادي يجعل الملكية فردية للأفراد بلا قيود، وهو نظام ظهر في إنجلترا، ينادي بأن الفرد هو المالك الوحيد لما يكتسبه، وله الحق في احتكار وسائل الإنتاج لمصالحه الشخصية، وترتكز الرأسمالية على

على ستة آلاف بيت، يستخدم لغة أهل توسكانا الإيطالية اللاتينية باعتبارها لغة أصلية وعريقة في ترجماته ومؤلفاته، بتصرف، من بحث بعنوان أساطير الإكراه عند بتراركا (ملحمة أفريقيا - الكتاب الثالث) وأصولها الكلاسيكية، د. مجدي صبحي الهواري، كلية الآداب - جامعة المنصورة/ ٨٢٥-٨٢٦-٨٢٧.

[١٠] ولد ماركوس توليوس شيشرون في عام ١٠٦ قبل الميلاد، واغتيل في العام الثالث والأربعين قبل الميلاد، عاش فترة سقوط الجمهورية الرومانية، كان مصدرًا مهمًّا لكثير من الأحداث السياسية في زمانه، وتعتبر كتاباته مصدرًا مهمًّا، منع من الكتابة في السياسية، فاستخدم الفلسفة وسيلة لأغراض سياسية، منها التعبير عن غياب مفهوم المدينة الفاضلة الذي نشأ لدى الرومان من عهد أفلاطون، عمل محاميًا، مؤلفاته على ثلاثة أقسام: الفلسفية وهي شبيهة بكتابات أفلاطون وأرسطو، والخطب التي تعبر عن النواحي السياسية والاجتماعية لذلك العصر، وتنتقد النخبة الرومانية في ذلك الزمان وتتهمهم بالفساد، وعددها ستون رسالة تقريبًا، والرسائل لأصدقائه، وعدد مؤلفاته من الرسائل تسعمائة رسالة، لا تخلو من وصف أحوال ذلك الزمان، بتصرف من بحث بعنوان ماركوس توليوس شيشرون، الباحثون السوريون، نورا خدام/ طالبة فلسفة وإنجليزي بجامعة تشرين.

[١١] بتصرف من بحث بعنوان الترجمة في عصر النهضة من إيطاليا إلى فرنسا، فاليري ورث ستايلياتو - ترجمة محمد غزلان، ٢٣٧، بتصرف من بحث بعنوان الثقافة والإمبريالية والنقد الإنساني في مدن الدول الإيطالية/ ديانا روبن/ ترجمة جمال الجزيري، ٦٤٥-٦٤٦-٦٥٦. وبتصرف من كتاب رسائل بترارك إلى المؤلفين الكلاسيكيين PETRARCH'S LETTERS TO CLASSICAL AUTHORS، من اللاتينية، ترجمة ماريو إيميليو كوزينزا.

[١٢] الرواقية هي إحدى الحركات الفلسفية التي ظهرت في الحقبة الهلينستية، اشتُق اسمها من الرواق الموجود في الساحة العامة بأثينا، والمزين بلوحات جدارية، حيث كان أعضاء المدرسة يجتمعون وتُعقد محاضراتهم، يرى الرواقيون أن المشاعر مثل الخوف والحسد أو الجاذبية الجارفة الجسدية أو الحب الجارف لأي شيء كان، كانت هذه المشاعر أو نشأت عن أحكام زائفة، وأن الحكيم الشخص الذي يبلغ الكمال العقلي والأخلاقي لن يخضع لمثل هذه المشاعر، مؤسسها زينون من كيتوم في قبرص، عام ٢٦٢- قبل الميلاد ٣٣٤ الرواقية، درس شيشرون الروماني الفلسفة الرواقية في أثنيا باليونان، وعاد إلى روما لينشر الثقافة الرواقية فيها بتصرف من مقال الرواقية موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة ناصر حلواني، ٢-٣-٣٤-٣٥.

[١٣] أسس أبيقور مدرسته قبل أن يؤسس زينو مدرسته الرواقية بسنة أو بسنتين، فسارت المدرستان إحداهما إلى جانب الأخرى، وحصل تنافس شديد بينهما، ولد أبيقور عام ٣٤٢م، كان مهتمًّا بالدراسة والبحث ومعلمًا لنفسه بنفسه، استقر في أثينا عام ٣٠٦ قبل الميلاد وأسس مدرسة في داره وحديقته وأوصى أن تبقى مدرسته حتى بعد وفاته، وسُمي أتباعه فلاسفة الحديقة، وكان أغلب الدارسين من النساء والعبيد، ألف نحو ثلاثمئة مجلد بتصرف من كتاب أبيقور مؤسس المدرسة الأبيقورية، الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ٧.

[١٤] بتصرف من بحث بعنوان الرواقية والإبيقورية الإحياء الفلسفي والأصداء الأدبية، بقلم جيل كريه، ترجمة دعاء إمامي، ٨٣٩-٨٤٠-٨٤٢-٨٤٤-٨٤٦-٨٤٧.

[١٥] موقع قاموس أكسفورد

https://www.oed.com/dictionary/class-day_n

[١٦] موقع قاموس أكسفورد

https://www.oed.com/dictionary/classer_ n n
https://www.oed.com/dictionary/class-distinction_n
https://www.oed.com/dictionary/classhood_n
https://www.oed.com/dictionary/classical-conditioning_n

الربا والقمار والرشوة.

النظام الشيوعي: نظام اقتصادي يجعل الملكية جماعية، أي لأفراد الجماعة الواحدة مجتمعة ككل، الأصل ملكية عامة لا فردية"(١٧).

(ب): ظهور المدارس الأدبية المختلفة المضادة للكلاسيكية، مثل المدرسة الرومانسية:

"الرومانسية مذهب أدبي يهتم بالنفس الإنسانية والعواطف، والتعبير عن الذات وحب الطبيعة، على خلاف المدرسة الكلاسيكية التي تهتم بالعقل والمعرفة والفلسفة، والغموض الأدبي والإيجاز"(١٨).

(ج): ظهور القوميات في أوربا كل مجموعة أو قوم لهم روابط تجمعهم، حضارية تراثية، لغوية، وطنية.

المبحث الثالث: نقد الكلاسيكية عقديًّا واجتماعيًّا:

تعددت الانتقادات التي وُجِّهت للكلاسيكية من زوايا متعددة، وخصوصًا من الناحية العقدية والاجتماعية، حيث اعتبرها بعض المفكرين تيارًا فكريًّا يتجاهل القيم الدينية، ويتبنى رؤى فلسفية تتعارض مع الأسس الروحية للمجتمعات. كما أنها أسهمت في تشكيل أنظمة اجتماعية غير متوازنة، وهو ما أدى إلى تفاقم الفروقات الطبقية والمادية. ويمكن إجمال النقد الموجه للكلاسيكية في المطالب الآتية:

المطلب الأول: إهمال الجانب الديني وتعويضه بالتراث الفلسفي اليوناني والروماني:

من أبرز الانتقادات العقدية الموجهة للكلاسيكية أنها تجاهلت البُعد الديني الذي كان يشكل أساسًا في البناء الثقافي والاجتماعي لكثير من الحضارات، وعملت بدلًا من ذلك على إحياء التراث الفلسفي لليونان والرومان. فبدلًا من أن تكون النهضة الأوروبية قائمة على القيم الدينية، سعت إلى استلهام الفكر الفلسفي الإغريقي والروماني، بما فيه من نظريات عقلية ومنطقية، ونماذج اجتماعية وسياسية قائمة على نظرة مادية بحتة. وقد أدى هذا إلى انتشار فكر علماني متحرر من الإطار الديني، وهو ما انعكس على كثير من الأنظمة الفكرية والسياسية الحديثة(١٩).

المطلب الثاني: الاستفادة العشوائية من علوم اليونان والرومان:

من الانتقادات الأخرى الموجهة للكلاسيكية طابعها الانتقائي والعشوائي في الاستفادة من التراث اليوناني والروماني. فلم تكن هناك معايير واضحة لتحديد ما يجب الاستفادة منه وما يجب تركه، بل كانت الإفادة قائمة على الانتقاء العشوائي دون مراعاة الهوية الثقافية للمجتمعات الأوروبية الناهضة. وبدلاً من تحقيق توازن بين التراث المحلي والموروث الإغريقي والروماني، أدى هذا التوجه إلى طمس بعض الملامح الفكرية والاجتماعية الخاصة بالمجتمع الأوروبي في تلك الفترة. كما أن بعض المفكرين رأوا أن النهضة الأوروبية لم تكن بحاجة إلى كثير من الأفكار المستوردة من الفلسفة اليونانية، بل كان بالإمكان إعادة إحياء المعرفة بناءً على أصولها الدينية والاجتماعية الخاصة.

المطلب الثالث: ظهور النظام الطبقي وآثاره الاجتماعية:

أسهمت الكلاسيكية في تشكيل أنظمة اجتماعية غير متوازنة، حيث ظهر النظام الطبقي بشكل واضح في المجتمعات الأوروبية بعد النهضة، وهو ما أدى إلى انقسام المجتمع إلى طبقات متمايزة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية. وقد ساعد هذا الانقسام في خلق حالة من التفاوت الاجتماعي، حيث أصبحت الامتيازات السياسية والاقتصادية حكرًا على فئات معينة من المجتمع، بينما ظلت الطبقات الدنيا تعاني من التهميش والفقر. ومن نتائج هذا التفاوت نشوء أزمات اجتماعية متعددة، أبرزها العداء بين الطبقات، وانتشار الفقر والتشرد، فضلًا على الحركات الثورية التي سعت إلى تغيير هذا الوضع غير العادل، كما حدث في الثورة الفرنسية التي كانت من تداعيات الفروقات الطبقية الناتجة عن الفكر الكلاسيكي وما تبعه من أنظمة اقتصادية منحازة.

الخاتمة:

بعد استعراض المفاهيم الأساسية للكلاسيكية وتطورها وتحليلها عبر العصور المختلفة، يتضح أن هذا الاتجاه الفكري والجمالي لم يكن مجرد مرحلة تاريخية محدودة، بل كان تيارًا مؤثرًا استمر في تشكيل الوعي الأدبي والفني في أوروبا، خصوصًا في خلال عصر النهضة والنهضة الأوروبية. وقد أظهرت الدراسة أن الكلاسيكية اعتمدت على مبادئ التوازن، والتناسق، والعقلانية، وهو ما جعلها أساسًا لكثير من الحركات الفنية والأدبية اللاحقة. كما أن تأثيرها لم يقتصر على أوروبا فحسب، بل امتد إلى كثير من الثقافات التي استفادت من منهجها في استلهام القيم الجمالية والفكرية.

النتائج:

أسفرت الدراسة عن عدد من النتائج المهمة، من أبرزها:

١. تعريف واضح للكلاسيكية: يتجلى مفهوم الكلاسيكية في الالتزام بالمثل الجمالية المستمدة من الأدب والفن الإغريقي والروماني، مع التركيز على العقلانية والاتزان.

٢. ارتباط الكلاسيكية بعصر النهضة: أدت الكلاسيكية دورًا محوريًا في النهضة الأوروبية، حيث أعادت إحياء القيم الفنية والأدبية القديمة، وهو ما أسهم في تطور الأدب

(١٧) بتصرف من بحث بعنوان: الملكية المزدوجة في الإسلام ومقارنتها بالنظامين الرأسمالي والشيوعي، محمد رضا عبد الحليم/٤٢، وبحث بعنوان: الإسلام بين الرأسمالية والشيوعية، محمود سعيد قظام/٥٢.

(١٨) بتصرف من بحث الطبيعة السماوية في المدرستين الرومانسية والكلاسيكية، منا عيسى بور،٣٣٠.

(١٩) ينظر: العلمانية - نشأتها وتطورها، سفر الحوالي، دار الهجرة، (٤٥٢- ٤٥٣).

والفنون البصرية.

٣. التأثير المستمر للكلاسيكية: لم يقتصر تأثير الكلاسيكية على عصرها، بل امتد ليشكل كثيرًا من الاتجاهات الأدبية والفنية اللاحقة، مثل الكلاسيكية الجديدة في خلال القرن الثامن عشر.

٤. الأبعاد الفلسفية والجمالية: ارتكزت الكلاسيكية على مبادئ الانسجام والاعتدال والجمال المثالي، وهو ما جعلها نموذجًا يحتذى به في مختلف المجالات الأدبية والفنية.

التوصيات:

بناءً على النتائج التي توصل إليها البحث، يُوصَى بما يأتي:

١. إجراء دراسات مقارنة بين الكلاسيكية والتيارات الأدبية والفنية الحديثة لفهم أوجه التأثر والتطور.

٢. توسيع نطاق البحث ليشمل تأثير الكلاسيكية في الثقافات غير الأوروبية، مثل التأثيرات التي شهدتها الفنون والآداب في العالم العربي.

٣. التركيز على دراسة تطبيقات المبادئ الكلاسيكية في الفنون المعاصرة، وخصوصًا في الأدب والمسرح والعمارة.

٤. تعزيز دراسة الفلسفات الجمالية التي انبثقت عن الكلاسيكية، لفهم أعمق لدورها في تشكيل المفاهيم الفنية الحديثة.

المراجع:

١. بور، منا عيسى (٢٠١٩، أيار). الطبيعة السماوية في المدرستين الرومانسية والكلاسيكية. مجلة الكلية الإسلامية. جامعة آزاد الإسلامية، آبادان- إيران.

٢. جاس، إياد ناظم (٢٠١٥-٢٠١٦). محاضرات تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى ظهور الولايات المتحدة الأمريكية (١٥٠٠-١٧٧٦). جامعة الأنبار، كلية الآداب، قسم التاريخ.

٣. حاطوم، نور الدين (١٩٦٨). تاريخ عصر النهضة الأوربية. دمشق: دار الفكر.

٤. حسن، أحمد حفظي. السمات الجمالية لتصوير العصور الوسطى وتمثلاتها في عصر النهضة (الفنان جيوتو أنموذجًا). مجلة نابور للبحوث والدراسات. كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل.

٥. حلواني، ناصر (ترجمة). الثقافة الرواقية فيها. موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة حكمة.

٦. الحوالي، سفر، العلمانية - نشأتها وتطورها، دار الهجرة.

٧. خدام، نورا. ماركوس توليوس شيشرون. الباحثون السوريون.

٨. روبن، ديانا. الثقافة والإمبريالية والنقد الإنساني في مدن الدول الإيطالية (جمال الجزيري، ترجمة).

٩. عبد الحليم، محمد رضا. (١٩٩٠، إبريل). الملكية المزدوجة في الإسلام ومقارنتها بالنظامين الرأسمالي والشيوعي. مجلة المال والتجارة.

١٠. عرب الشعبة، نجاة. (٢٠٢٢). الشعريات الكلاسيكية والظاهرة الأدبية (دراسة في إشكالية انفتاح النص الأدبي). مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، ١.

١١. عويضة، كامل محمد محمد. (١٩٩٤). أبيقور: مؤسس المدرسة الأبيقورية. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢. قبها، محمود جودت محمود. أثر الفكر اليوناني على النهضة الفكرية في أوربا. المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث. جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

١٣. قبها، محمود جودت محمود. أثر الفكر اليوناني على النهضة الفكرية في أوربا. المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث. جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

١٤. قظام، محمود سعيد. (١٩٣٨، مارس). الإسلام بين الرأسمالية والشيوعية.

١٥. كريه، جيل. الرواقية والأبيقورية: الإحياء الفلسفي والأصداء الأدبية (دعاء إمامي، ترجمة).

١٦. نورتون، جلين (تحرير). (٢٠٠٥). موسوعة كمبردج في النقد الأدبي، المجلد ٣، عصر النهضة (إسحاق عبيد، مراجعة؛ جابر عصفورة، المشرف العام). المركز القومي للترجمة.

١٧. نورتون، جلين (تحرير). (٢٠٠٥). موسوعة كمبردج في النقد الأدبي، المجلد ٣، عصر النهضة (إسحاق عبيد، مراجعة؛ جابر عصفورة، المشرف العام). المركز القومي للترجمة.

١٨. نورتون، جلين (تحرير). (٢٠٠٥). موسوعة كمبردج في النقد الأدبي، المجلد ٣، عصر النهضة (إسحاق عبيد، مراجعة؛ جابر عصفورة، المشرف العام). المركز القومي للترجمة.

١٩. الهواري، مجدي صبحي. أساطير الإكراه عند بترارك (ملحمة أفريقيا - الكتاب الثالث) وأصولها الكلاسيكية. كلية الآداب، جامعة المنصورة.

٢٠. ورث ستايلياتو، فاليري. الترجمة في عصر النهضة من إيطاليا إلى فرنسا (محمد غزلان، ترجمة).

٢١. يوسف، أمل محمد حلمي. (٢٠١٤). حركة الفن النسائي في عصر النهضة الأوربية - دراسة تحليلية فنية. جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)، المهرة برقم (٥٣٢٠)، مديرية الشؤون الاجتماعية بالجيزة.

٢٢. يوسف، أمل محمد حلمي. (٢٠١٤). حركة الفن النسائي في عصر النهضة الأوربية - دراسة تحليلية فنية. جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)، المهرة برقم (٥٣٢٠)، مديرية الشؤون الاجتماعية بالجيزة.

23. Cosenza, Mario Emilio. (1910). Petrarch's Letters to Classical Authors: Translated from the Latin with a Commentary. The University of Chicago Press.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

The Religious Influence on the Architectural Design of Traditional Houses in Najd

Dr. Haya Nasser Alhumaidhi

Assistant professor at Taif University- college of Designs and Applied Arts.

التأثير الديني على التصميم المعماري للبيوت التقليدية في نجد.

د. هياء ناصر الحميضي

أستاذ مساعد- جامعة الطائف - كلية التصاميم والفنون التطبيقية.

E-mail: hnhumaidhi@tu.edu.sa

KEY WORDS:
Traditional Architecture, Religious Influence, Najd, Gender Segregation, Interior Design

الكلمات المفتاحيّة:
العمارة التقليدية، التأثير الديني، نجد، الفصل بين الجنسين، التصميم الداخلي

ABSTRACT:

This research aims to investigate the religious influences on the architectural designs of traditional houses in the Najd region of Saudi Arabia, focusing on a set of factors and practices that have shaped the distinctive architectural identity of this area. The study reviews the key Islamic values and principles reflected in both the interior and exterior spatial design, as well as the role of local customs and traditions in reinforcing certain functional and aesthetic features. It addresses issues of privacy and gender segregation in daily spatial usage, examining how concepts of purity and cleanliness affect the location of bathrooms and washing areas. Additionally, it explores the use of the courtyard as a natural ventilation element and a social and practical space. The research also discusses the practice of “door tilting” to ensure privacy and visual protection, illustrating how living areas are organized in a manner consistent with neighborly propriety and the avoidance of causing harm to others. Further, it highlights the religious importance of separating children’s sleeping quarters, along with the allocation of suitable areas for livestock outside the main living spaces. Relying on a qualitative research methodology, including field observations and historical document analysis, this study provides an in-depth examination of how religious considerations shape the architectural essence of these traditional homes.

مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث إلى استقصاء التأثيرات الدينية على التصاميم المعمارية للبيوت التقليدية في منطقة نجد بالمملكة العربية السعودية، من خلال التركيز على مجموعة من العوامل والممارسات التي شكّلت الهوية المعمارية المميزة لهذه المنطقة. يستعرض البحث أهم القيم والمرتكزات الإسلامية التي انعكست على تصميم الفراغات الداخلية والخارجية، فضلاً عن دور العادات والتقاليد المحلية في تعزيز بعض السمات الوظيفية والجمالية. ويتناول البحث قضايا الخصوصية والفصل بين الجنسين في الاستخدام اليومي للفراغات، وتأثير مفاهيم الطهارة والنظافة على مواقع دورات المياه وأماكن الغسل، وكذلك توظيف الفناء الداخلي كعنصر تهوية طبيعي ومساحة اجتماعية وعملية. كما سيتم استعراض مسألة "تنكيب الأبواب" لضمان الخصوصية والحماية البصرية، وتوضيح كيفية تنظيم مساحات المعيشة بما يتوافق مع متطلبات حسن الجوار وعدم إلحاق الأذى بالآخرين. ويتناول البحث أيضاً الأهمية الدينية للفصل بين الأبناء في أماكن النوم، إضافةً إلى تخصيص أماكن مناسبة للمواشي خارج نطاق المعيشة. واستناداً إلى منهجية بحثية نوعية تعتمد على الملاحظة الميدانية وتحليل الوثائق التاريخية.

المقدمة:

تُعد العمارة التقليدية في منطقة نجد بالمملكة العربية السعودية من أهم النماذج العمرانية التي تعكس التفاعل المتكامل بين البيئة الطبيعية والدينية والاجتماعية. فقد تأثرت تصاميم البيوت النجدية بالقيم الإسلامية التي أولت اهتماماً كبيراً لخصوصية الأفراد والفصل بين الجنسين في مختلف الأنشطة المعيشية. ولطالما مثّلت هذه البيوت صورة حية لمدى ارتباط المجتمع المحلي بتعاليم الفقه الإسلامي، سواء في توزيع الفراغات الداخلية أم في استخدام العناصر الجمالية المرتبطة بهوية المكان.

وعلاوةً على ذلك، شكلّت العوامل البيئية والمناخية عنصراً مهماً في توجيه المساقط الأفقية واختيار مواد البناء التقليدية كالطين وجذوع النخيل، مما ساهم في تقليل تأثير الحرارة وتحقيق مستويات جيدة من التهوية. كما أبرزت التقاليد المحلية ضرورة تخصيص أماكن محددة للمواشي وحماية الجيران من أي إزعاج محتمل، بالإضافة إلى مراعاة النواحي الدينية المتعلقة بالنظافة والطهارة.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة التأثير الديني على العمارة النجدية التقليدية لفهم أبعادها الاجتماعية والدينية والثقافية، واستلهامها لتطوير أنماط معمارية حديثة تراعي هوية المجتمع وقيمه.

مشكلة البحث:

على الرغم من وجود إرث عمراني غني في نجد يعكس هوية دينية واجتماعية واضحة، إلا أن هناك نقصاً في توثيق وتحليل مدى ارتباط هذه المفاهيم والقيم الدينية بتفاصيل التصميم المعماري التقليدي، خصوصاً في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية الحاصلة في العصر الحديث. وقد أدى ذلك إلى ضياع بعض الملامح الأصلية التي تُعَدّ ركيزة أساسية في تشكيل الشخصية المعمارية النجدية.

أسئلة البحث:

١. ما أبرز القيم الدينية التي انعكست على تخطيط وتصميم البيوت التقليدية في نجد؟

٢. كيف أثّر الفصل بين الجنسين على توزيع الفراغات الداخلية والواجهات الخارجية؟

٣. ما دور مفاهيم الطهارة والنظافة في تحديد مواقع دورات المياه وأماكن الغسل؟

٤. كيف تمّ توظيف الفناء الداخلي لتحقيق التهوية والحفاظ على الخصوصية؟

٥. ما مدى التزام البيوت النجدية التقليدية بمبدأ عدم إيذاء الجار، وكيف انعكس ذلك على تصميمها؟

٦. ما هي سُبل الحفاظ على هذه القيم المعمارية وترسيخها في ظل المتغيرات المعاصرة؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على جانب حيوي من الهوية الثقافية والدينية لمنطقة نجد. إذ تساهم نتائج الدراسة في توثيق الموروث المعماري التقليدي، والكشف عن الأسس والقواعد التي يقوم عليها هذا الموروث. وتمكّن الباحثين والمخططين وصنّاع القرار من الاستفادة من الدروس التصميمية والتطبيقية المستقاة من العمارة النجدية التقليدية. كما أن تعميق فهم التأثير الديني على العمارة يساعد في وضع استراتيجيات معاصرة تحافظ على أصالة الهوية العمرانية، مع الأخذ في الحسبان المتطلبات الحديثة للتنمية المستدامة والحياة المدنية.

أهداف البحث:

١. تحديد المفاهيم الدينية الأساسية المؤثرة في تصميم البيوت التقليدية في نجد.

٢. تحليل دور العادات والتقاليد الإسلامية في تحديد توزيع الفراغات الداخلية والخارجية.

٣. دراسة تأثير مبدأ الخصوصية والفصل بين الجنسين على تشكيل الفضاءات المعمارية.

٤. توضيح أثر مفاهيم الطهارة والنظافة على أماكن المرافق الصحية.

٥. اقتراح سياسات تصميمية تضمن استدامة القيم المعمارية الأصيلة في ظل التطور العمراني المعاصر.

مجتمع الدراسة:

ينحصر مجتمع الدراسة في البيوت التقليدية بمنطقة نجد التي ما تزال تحتفظ بقدر جيد من عناصرها الأصلية، سواء كانت هذه البيوت مأهولة بالسكان أم تحولت إلى مواقع تراثية. بالإضافة إلى ذلك، يشمل المجتمع الخبراء والمهندسين المعماريين والباحثين في مجال التراث العمراني، وكذلك سكان المنطقة المهتمين بصون الهوية الثقافية والدينية لعمارتهم التقليدية.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

١. التعريف بالعمارة النجدية التقليدية:

لمحة تاريخية عن نشأة العمارة التقليدية في نجد وتطورها

تعدّ منطقة نجد من أبرز المناطق في الجزيرة العربية التي تطوّر فيها نمط عمراني مميز، يعكس تفاعُل الإنسان مع البيئة الصحراوية. فقد اعتمد السكان الأوائل على المواد المتوفرة محليًا، كالأحجار والطين وجذوع النخل، لتشييد المساكن والمنشآت بما يتلاءم مع الظروف المناخية الحارة والجافة (القرني، ٢٠٠٨). وفي العصور الإسلامية المتعاقبة، أخذت العمارة النجدية تتأثر بالعوامل السياسية والدينية والاقتصادية، ما أدى إلى تطور ملامحها واكتسابها طابعًا يجمع بين البساطة الوظيفية والتفاصيل الجمالية (ابن رجب، ٢٠١٦).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الشكل (١) صور تاريخيٌّة لأحد أحياء بلدة أشيقر التراثية، وسط نجد. يُلاحظ تلاصق البيوت واستخدام مادة الطين في الجدران الخارجية، مع ترك فراغات ضيقة في الأزقة (دارة الملك عبد العزيز، ٢٠١٤).

الخصائص العامة للبيوت التقليدية (المواد، الأشكال، أنماط البناء):

تعتمد البيوت النجدية الطينية على جدران سميكة لعزل الحرارة، وتُستخدم جذوع النخيل وسعفها في التسقيف. تتخذ البيوت غالبًا شكلًا أفقيًا ممتدًا، مع فناء داخلي يسمح بتهوية طبيعية وإنارة كافية (الحميري، ٢٠١٧). وتُراعى في أنماط البناء التدرّج الفراغي، حيث توجد غرف استقبال الضيوف في الجزء الأمامي، بينما تُخصص مناطق الأسرة والنساء في الأجزاء الخلفية أو العلوية من المنزل (الطريفي، ٢٠١٠).

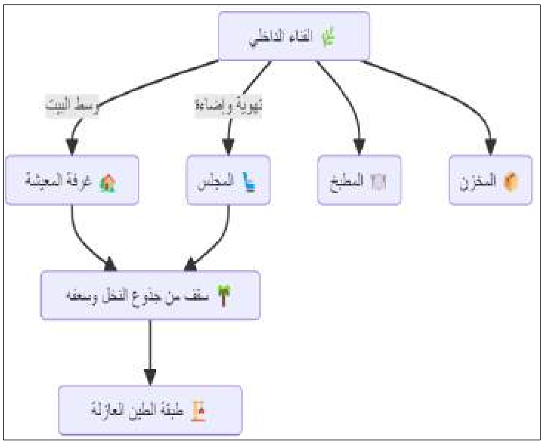

(شكل ٢): يبيّن مقطعًا عرضيًا في بيت نجدي تقليدي، يوضح الترتيب الأفقي للفراغات، وموقع الفناء في الوسط، والأسقف المصنوعة من جذوع النخل وسعفها المغطاة بالطين (بخيت، ٢٠١٥).

٢. المرتكزات الدينية في العمارة الإسلامية:

مفهوم العمارة في الفقه الإسلامي وأهم النصوص المؤسِّسة له:

يستند مفهوم العمارة الإسلامية على نصوص القرآن الكريم والسنّة النبوية، وما استنبطه الفقهاء من مبادئ تنظّم سلوك الإنسان وعلاقته بالمكان (ياغي، ١٩٩٩). وتشمل هذه المبادئ: تجنّب التبذير والإسراف، ومراعاة الستر والخصوصية، وتحقيق الراحة النفسية والجسدية لسكان البيت (Frishman & Khan, 2002). كما تؤكد أحكام الشرع على ضرورة مراعاة عدم الإضرار بالآخرين، سواء كان ذلك في الارتفاعات أو التوسعة على حساب حقوق الجار (الحميري، ٢٠١٧).

القيم الإسلامية المؤثرة في تشكيل الفضاءات المعمارية (الخصوصية، الحياء، الطهارة):

تنطلق القيم الإسلامية من مبدأ "الستر" في العمارة(Creswell, 1979) ، وهو ما ينعكس في اختيار أماكن النوافذ وتوجيه الأبواب بصورة تمنع كشف الداخل. وتُعدّ الطهارة من القيم الأساسية، حيث يُراعى فصل أماكن الوضوء ودورات المياه عن أماكن الطعام والمعيشة، وضمان تصريف صحي يحافظ على نقاء البيئة (الطريفي،

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

٢٠١٠). ويأتي الحياء بوصفه قيمة تفرض احتشام المداخل والفتحات المعمارية، بحيث لا يخترق المارُّ خصوصية الأسرة في الداخل (ابن رجب، ٢٠١٦).

٣.البُعد البيئي والثقافي في منطقة نجد:

ظروف المناخ في المنطقة (الحرارة، الجفاف، الرياح) وكيف أثرت على تصميم البيوت:

مناخ نجد قاري يتميز بحرارة شديدة صيفًا وبرودة ملحوظة شتاءً، مع رياح موسمية غالبًا ما تتسبب في إثارة الغبار والرمال (بخيت، ٢٠١٥). دفعت هذه الظروف السكان إلى بناء جدران طينية سميكة لعزل الحرارة، والاعتماد على الفناء الداخلي لخلق تيار هوائي يخفف من حدة الحرارة. كما يتم رفع بعض الغرف للسماح للنسيم بالتدفق تحتها.(Asquith & Vellinga, 2006)

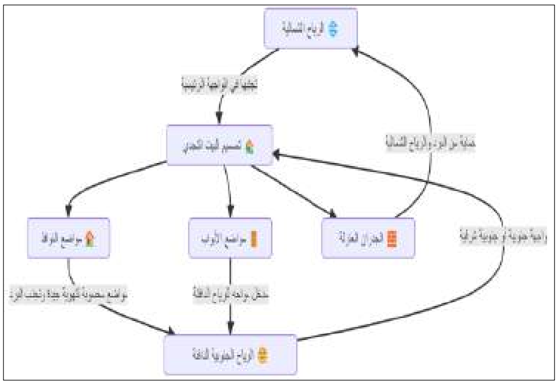

شكل (٣) رسمًا بيانيًا لاتجاه الرياح السائدة في نجد، وتأثيره على تحديد مواضع النوافذ والمداخل. عادةً ما تكون الواجهة الرئيسية جنوبية أو جنوبية شرقية، لتفادي الرياح الشمالية الباردة في الشتاء (ابن رجب، ٢٠١٦).

التقاليد المحلية والعادات الاجتماعية ودورها في بلورة الأنماط المعمارية:

سادت في المجتمع النجدي قيم الأسرة الممتدة والتكافل الاجتماعي؛ وبالتالي تحولت البيوت إلى مجمّعات عائلية أفقية تضم أجيالًا مختلفة (القرني، ٢٠٠٨). كما كان للمجلس أو الديوانية دورٌ جوهريٌ في استقبال الضيوف وإقامة المناسبات الاجتماعية، وهذا ما دفع إلى تخصيص جزء مستقل من المنزل لاستقبال الضيوف بعيدًا عن المناطق النسائية (الحميري، ٢٠١٧).

٤. الخصوصية والفصل بين الجنسين:

دوافع الفصل بين النساء والرجال في العمارة الإسلامية:

يشكّل الحفاظ على خصوصية النساء ومراعاة حاجتهن للحرية داخل البيت دون اختلاط مستمر بالرجال، أحد الدوافع الرئيسة وراء الفصل المعماري (ياغي، ١٩٩٩). ويُعدّ هذا الأمر تجسيدًا لآداب الاحتشام في الإسلام، حيث تتجلى في تصميم المساحات الداخليّة بأسلوب يمكّن النساء من مزاولة حياتهن اليوميّة بحرية (Al-Omari, 2019).

تطبيقات الفصل في البيوت النجدية: توزيع المداخل، المساحات الداخلية، مجالس الرجال والنساء:

تظهر هذه التطبيقات بوضوح في تخصيص مداخل منفصلة للرجال والنساء أحيانًا، أو على الأقل تصميم مدخل موحد يتفرّع إلى مسلك خاص بالمجلس الرجالي وآخر يوصل إلى الفناء وغرف العائلة (الطريفي، ٢٠١٠). ويكون المجلس الرجالي غالبًا مطلًّا على الشارع أو الفناء الأمامي، بينما تتوارى غرف النساء في الداخل، محاطة بأسوار عالية (القرني، ٢٠٠٨).

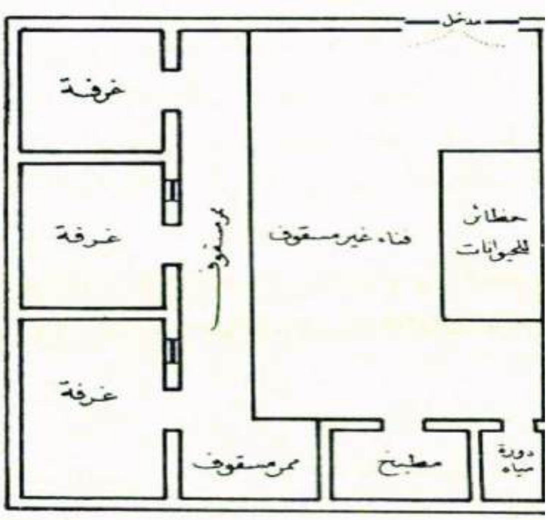

شكل (٤) يوضح تقسيمًا أُفقيًا لأحد البيوت النجدية، حيث يقع المجلس الرجالي قرب المدخل الرئيسي، وتوجد ممرات داخلية تؤدي إلى أقسام الأسرة لضمان عدم الاختلاط العشوائي (بخيت، ٢٠١٥).

٥. تنظيم الفراغات الداخلية والخارجية:

5.1 مبادئ التخطيط المعماري النابع من المنظور الديني (اتجاه الغرف، عدد الأدوار، ارتفاع الأسقف):

يرتكز التخطيط المعماري النجدي على مبادئ منها:

- **توجيه الغرف** :غالبًا تُوجَّه الفراغات الأساسية نحو القبلة (الجنوب أو الجنوب الشرقي) لاستغلال أشعة الشمس والتهوية (ابن رجب، ٢٠١٦).
- **عدد الأدوار** :تُراعى قدرة الأسرة وعدد أفرادها، فلا يتم اللجوء إلى الأدوار المتعددة إلا في حالات الضرورة أو ارتفاع الكثافة السكانية (الحميري، ٢٠١٧).
- **ارتفاع الأسقف** :يتراوح ارتفاعها بين ٢,٥ - ٣,٥ أمتار لتسهيل عملية تكييف الهواء (Creswell, 1979).

دراسة "تنكيب الأبواب" وكيفية تحقيق الخصوصية والحماية البصرية:

يقصد بتنكيب الأبواب وضعها بزاوية أو انحراف عن المحور الرئيسي، بحيث لا تسمح برؤية الداخل مباشرة من الخارج (ياغي، ١٩٩٩). وقد يُستخدم عنصرٌ معماريٌّ إضافي مثل حاجز جانبي أو باب ثانٍ لتأمين الخصوصية الكاملة. تُعد هذه التقنية مثالًا واضحًا على اندماج الفقه الإسلامي في التصميم، لضمان احترام عورة أهل البيت وعدم كشفها للغرباء.(Al-Omari, 2019) .

الشكل (٥) باب مجلس رجالي في أحد البيوت التراثية ببلدة الغاط، مائلٌ بزاوية ٣٠ درجة تقريبًا عن المحور الخارجي للشارع، مما يحجب الرؤية المباشرة نحو الداخل (الحميري، ٢٠١٧).

٦. الطهارة والنظافة في التصميم المعماري:

تأثير المفاهيم الدينية المتعلقة بالطهارة على مواقع دورات المياه وأماكن الغسل:

تؤثر تعاليم الإسلام بوضوح في توزيع دورات المياه، إذ يجب أن تكون بعيدة عن أماكن تحضير الطعام وغرف النوم، ومتصلة بنظام صرف صحي يمنع التلوث وتسرب الروائح (القرني، ٢٠٠٨). كما يتم تخصيص أماكن للوضوء قرب مدخل المنزل أو قرب الغرفة المخصصة للصلاة، تسهيلاً لأداء العبادات (الطريفي، ٢٠١٠).

حلول معمارية لضمان النظافة ومنع التلوث (تصريف المياه، أماكن النفايات)

تشمل هذه الحلول تصميم قنوات لجمع مياه الأمطار وتصريفها بعيدًا عن أساسات المبنى أو ممتلكات الجيران .(Asquith & Vellinga, 2006) بالإضافة إلى تخصيص حاويات للنفايات في ساحة خارجية أو في زاوية بعيدة من الفناء، مع وجود منفذ مستقل لإخراج النفايات دون المرور بمناطق المعيشة (ابن رجب، ٢٠١٦).

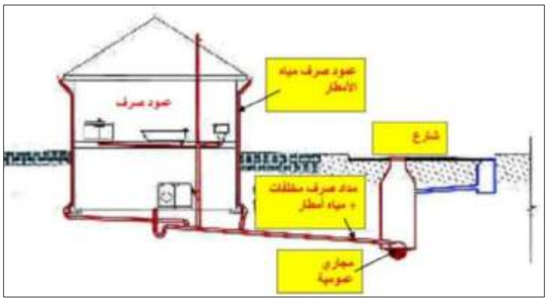

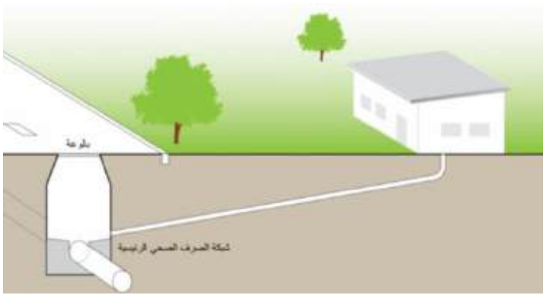

(شكل ٦) :رسم تقريبي لنظام تصريف المياه في منزل نجدي، يوضح انحدار الأرضية نحو قنوات رئيسة تصب خارج حدود المنزل بما يتوافق مع أنظمة الحفاظ على البيئة (بخيت، ٢٠١٥).

٧. الفناء الداخلي ودوره الوظيفي والديني:

الفناء بوصفه عنصر تهوية طبيعي ومساحة تجمع اجتماعي:

يمثل الفناء (أو الحوش) رئة المنزل، إذ يمكّن الهواء من الدوران الحر وتحقيق تبريد طبيعي، كما يوفّر إضاءة كافية نهارًا .(Bianca, 2000) اجتماعيًا، يجتمع أفراد الأسرة في الفناء لإقامة بعض الأنشطة العائلية دون أن يتعارض ذلك مع خصوصية الغرف الداخلية (ياغي، ١٩٩٩).

تأثير استخدام الفناء على الاستقلالية البصرية والحفاظ على الخصوصية:

ترتفع الجدران المحيطة بالفناء إلى ارتفاع مناسب لحجب الرؤية عن الخارج، ما يسمح لأهل المنزل بممارسة أنشطتهم اليومية بقدر عالٍ من الحرية. كما أنّ الفتحات والنوافذ تكون موجهة داخليًا على الفناء، ما يقلل من الحاجة إلى نوافذ تطل على الشارع (الحميري، ٢٠١٧).

(شكل ٧) :لقطة جوية تبين تكوّن مجموعة من البيوت التقليدية في أشيقر، حيث تظهر الأفنية الداخلية بوضوح كمساحات فارغة بين الكتل المبنية (دارة الملك عبد العزيز، ٢٠١٤).

8. الأبناء وأماكن النوم:

أهمية الفصل بين الأبناء في المضاجع من المنظور الديني والتربوي:

يشدد الفقه الإسلامي على ضرورة الفصل بين الأطفال في سن معينة (غالبًا عند بلوغ العاشرة)، منعًا للاطلاع على عورات بعضهم (ياغي، ١٩٩٩). وتنسجم هذه التوصية الدينية مع التوجهات التربوية الحديثة التي تشجع توفير حيز خاص بكل طفل، يساعده على الاستقلالية والنمو النفسي السليم.(Al-Omari, 2019)

تصميم الغرف والمساحات المخصصة للأطفال في البيئة النجدية:

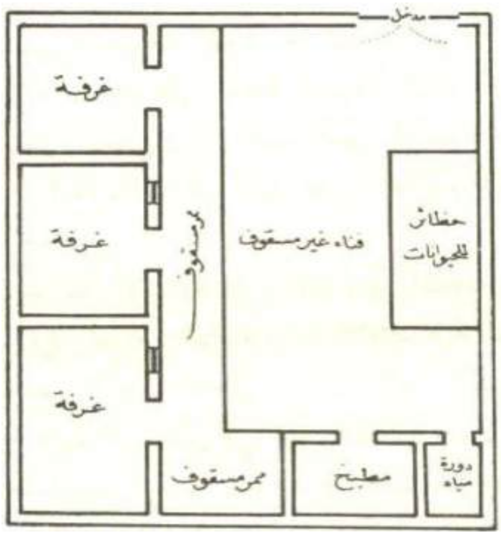

(شكل ٨) :يُظهر رسم مقطعي توزيع غرف الأطفال في أحد البيوت النجدية القديمة، حيث روعي وضع باب منفصل لكل غرفة، مع نافذة علوية مشتركة للإضاءة والتهوية (بخيت، ٢٠١٥).

تطبيق مبدأ عدم إيذاء الجار في تصميم المواقع الخارجية والحدود الفاصلة بين البيوت:

يؤكد الشرع الإسلامي على تجنّب كل ما يسبّب الأذى أو الضيق للجار، لذا تُرفع الجدران الخارجية بالقدر الكافي لمنع دخول مياه الأمطار أو تسرب النفايات، كما يجري ضبط ارتفاعات المباني بعدم حجب التهوية والإضاءة عن الجار (ابن رجب، ٢٠١٦). في بعض الحالات، يتفاهم الجيران على فتح ممرات أو بوابات مشتركة في حالات الطوارئ، مما يعكس قيم التعاون المجتمعي (القرني، ٢٠٠٨).

(شكل ٩) :صورة لحدٍّ فاصلٍ بين منزلين في إحدى قرى نجد، يتضمن قناة مائية مشتركة لتصريف مياه الأمطار، بما يضمن عدم تجمّعها في منزل واحد (دارة الملك عبد العزيز، ٢٠١٤).

١٠. المواد والتقنيات التقليدية:

دراسة المواد التقليدية المستخدمة (الطين، الخشب، سعف النخيل) ومدى توافقها مع المتطلبات الدينية:

يرتكز البناء النجدي على الطين المصنّع محليًا، نظرًا لقدرته العالية على العزل الحراري، وانسجامه مع القيم الدينية التي تحث على عدم الإسراف واستخدام الموارد المحلية (ابن رجب، ٢٠١٦). أما الخشب وجذوع النخيل فتُستعمل في صناعة الأسقف والأبواب، بينما يستعمل سعف النخيل في صنع الحصير والأسقف الثانوية (Creswell, 1979).

أساليب البناء التقليدية ودورها في تحقيق الاستدامة البيئية والدينية:

يتم بناء الجدران الطينية على طبقات متتالية، تُترك كل طبقة لتجفّ قبل إضافة الطبقة التالية، مما يعزز صلابتها وطول عمرها (الطريفي، ٢٠١٠). وتمثل هذه الأساليب صورةً من صور الاستدامة الاقتصادية والبيئية، إذ لا تحتاج إلى استيراد مواد باهظة الثمن، كما أنّها لا تخلُّ

بالقيم الدينية المتصلة بالتواضع وعدم المباهاة (Bianca, 2000).

(شكل ١٠) :سلسلة صور توضح الخطوات المتبعة في عملية بناء الجدران الطينية (مأخوذة بإذن من ترميم أحد المنازل التراثية في مدينة شقراء)، بدءًا من خلط التربة بالماء والتبن، وصولًا إلى وضع آخر طبقة من الطلاء الخارجي (القرني، ٢٠٠٨).

١١. مفاهيم الزخرفة والهوية البصرية:

استخدام الزخارف والنقوش ذات الدلالات الدينية أو الثقافية:

تحفل العمارة النجدية بنقوش هندسية بسيطة أو كتابات قرآنية على الأبواب والنوافذ، حرصًا على تجميل المبنى بطريقة لا تخالف الضوابط الشرعية (ياغي، ١٩٩٩). وغالبًا ما تُستمد هذه النقوش من الزخرفة العربية والإسلامية، وتتخذ هيئة أشكال نباتية وهندسية تكرارية (Frishman & Khan, 2002).

ضوابط الفقه الإسلامي في الزخرفة الفنية ودورها في تعزيز الهوية:

تمنع بعض المذاهب الإسلامية تصوير ذوات الأرواح في التصميم الداخلي، ما دفع المعماريين إلى استلهام الزخارف من الأشكال الطبيعية والخطوط الهندسية. ويساهم هذا التوجه في ترسيخ الهوية الدينية للمبنى وإعطائه طابعًا فنيًا لا يقف حائلًا أمام أداء العبادات أو يتعارض معها (Al-Omari, 2019).

(شكل ١١) :لقطة مقرّبة لباب خشبي مزخرف في أحد بيوت تراث الرياض، تُظهر آيات قرآنية نقشها أحد الحرفيين المحليين بشكلٍ يعكس الذوق النجدي في استخدام الخط العربي (الحميري، ٢٠١٧).

١٢. التحديات المعاصرة وسبل الحفاظ:

تأثير التطور العمراني والحداثة على القيم الدينية في التصميم المعماري:

مع توسع المدن ودخول مواد البناء الحديثة، قلّ الاعتماد على الطين، ما أدى إلى ظهور مبانٍ خرسانية ذات تصاميم عالمية لا تراعي في كثير من الأحيان الخصوصية الدينية المحلية (بخيت، ٢٠١٥). كما أدّت أنماط الحياة العصرية إلى إضعاف بعض القيم الاجتماعية المتصلة بالفصل بين الجنسين، إذ أصبحت الشقق السكنية الصغيرة لا تسمح بفراغات مستقلة للرجال والنساء (الحميري، ٢٠١٧).

آليات إعادة إحياء العناصر التقليدية ودمجها في الأبنية الحديثة:

يمكن إعادة توظيف التقنيات التقليدية بتطويعها لتلائم المتطلبات الحديثة، مثل استخدام هياكل خرسانية داخلية واجهاتها الخارجية من الطين (Asquith & Vellinga, 2006).كما يمكن المحافظة على الفناء الداخلي مع تزويده بسقف زجاجي متحرك، يسمح بالتحكم

بدرجة الحرارة والتهوية .(Al-Omari, 2019) فضلًا عن تشجيع الجهات الرسمية على ترميم المباني التراثية وتخصيصها للاستخدام الثقافي والسياحي، للحفاظ على الهوية المعمارية.(Bianca, 2000)

(شكل ١٢) :مشروع ترميم في إحدى محافظات القصيم، حيث تم تعزيز الجدران الطينية بقوالب طوب حديثة، مع الحفاظ على تصميم الفناء الداخلي والمداخل التقليدية. المصدر: (القرني، ٢٠٠٨).

١٣. الدراسات السابقة والتحليل المقارن:

أبرز الأبحاث التي تناولت العمارة النجدية أو العمارة التقليدية الإسلامية:

- أشار **الطريفي (2010)** إلى خصائص العمارة الطينية في نجد وسبل الحفاظ عليها، مع توثيق ميداني لعدد من القرى التاريخية.
- درس **بخيت (2015)** التطورات الاجتماعية والاقتصادية وأثرها على طرز البناء التقليدي في وسط الجزيرة العربية، عارضًا أمثلة تراثية في مدن شقراء والرياض والدرعية.
- تناول **الحميري (2017)** بالتحليل نماذج معمارية تراثية أعيد ترميمها وفق المعايير الحديثة، مبرزًا دور الجمعيات الأهلية في صيانة التراث.
- ركّز **ابن رجب (2016)** على القيم الدينية في توزيع الفراغات الداخلية، وعلاقتها بالأنماط الأسرية في المنطقة.
- قارنت **Al-Omari (2019)** بين العمارة التقليدية في نجد وبعض المناطق الأخرى في الخليج العربي، موضحة التشابه والاختلاف في طرق تحقيق الخصوصية.

المقارنة مع مناطق أخرى تشترك في الخلفية الدينية ولكن تختلف في الظروف البيئية أو الثقافية:

تتشابه العمارة النجدية مع عمارة مدن أخرى في الجزيرة العربية من حيث الحرص على الستر والفناء الداخلي، لكنها تختلف في كمية المواد الطينية المستخدمة وحجم الفناء نسبةً لمساحة الأرض .(Bianca, 2000) أما في بلدان المغرب العربي، فتتقاطع في الجوهر مع المعمار الإسلامي في فكرة "الدار" والفناء، غير أنّ الظروف المناخية المعتدلة أتاحت تنفيذ فتحات ونوافذ أوسع (Frishman & Khan, 2002).

(شكل ١٣) :جدول يقارن بين البيت النجدي والبيت الحجازي والبيت المغربي من حيث المواد الإنشائية وعدد الأفنية وموقعها النسبي.

العنصر	البيت النجدي	البيت الحجازي	البيت المغربي
المواد الإنشائية	- الطين كمادة أساسية للجدران (مُعالج أحيانًا بالتبن) - استخدام جذوع النخل في التسقيف - الأخشاب للأبواب والنوافذ (غالبًا من النخيل أو مستوردة)	- الأحجار المرجانية (في جدة خصوصًا) ، أو الحجر المحلي في مكة والمدينة - الأخشاب في النوافذ والمشربيات (الرواشين) - تغطية السطح بالجص أو الخشب	- مزيج من الحجارة والطوب المجفف أو المحروق - الجير والجبس في التشطيبات - استخدام الطين مع الطوب في بعض المناطق الريفية
عدد الأفنية	- فناء داخلي واحد (حوش) في أغلب البيوت - في البيوت الكبيرة قد يوجد فناء ثانوي أو حوش للمواشي	- يختلف العدد تبعًا لمساحة المبنى؛ بعض البيوت تحتوي على فناء داخلي صغير - في البيوت الأكبر قد تكون هناك ساحة أو أكثر، لكن غالبًا بمساحات محدودة	- غالبًا ما تحتوي البيوت التقليدية (الرياض أو الدار) على فناء مركزي رئيس - في بعض التصاميم قد تتعدد الأفنية الصغيرة بحسب حجم الأسرة والوظائف المختلفة
الموقع النسبي للأفنية	- الفناء وسط المنزل بحيث تحيط به الغرف من الجهات الأربع - يساهم في التهوية والخصوصية	- الفناء غالبًا في وسط المبنى أو مجاور لمنطقة الخدمات - يُراعي الفصل بين مناطق الرجال والنساء في البيوت الكبيرة	- الرياض)الأفنية غالبًا في قلب الدار (أو الحوش الداخلي - أحيانًا تُحاط بأروقة أو أعمدة، وقد يوجد في وسطها نافورة أو حديقة صغيرة (الرياض المغربية)

١٤. الخلاصة النظرية والربط بالجانب التطبيقي:

إبراز أهم ما توصل إليه الإطار النظري من مفاهيم وقيم مؤثرة في العمارة النجدية:

من خلال ما تقدّم، يتضح أنّ العمارة النجدية التقليدية تمثل نموذجًا تطبيقيًا لقيمٍ دينية واجتماعية، تُجسّد مفاهيم الخصوصية والستر والاعتدال في استخدام الموارد، إضافةً إلى مراعاة البيئة الصحراوية من خلال اعتماد الفناء الداخلي والمواد الطينية. كما تؤكد الدراسات على ارتباط البناء النجدي بعلاقات أسرية مترابطة، وحسن الجوار، وحفظ حقوق الآخرين.

توجيه نحو كيفية توظيف هذه المفاهيم في الجزء التطبيقي (الدراسة الميدانية، التحليل المعماري)

تدعو هذه النتائج الباحثين والمخططين العمرانيين إلى إعادة النظر في أساليب التخطيط المعاصرة، باعتماد مبادئ العمارة التقليدية وتطويرها لتتلاءم مع معطيات العصر. وتشمل المقترحات العملية إجراء مسوحات ميدانية شاملة للبيوت التراثية قيد الاستخدام، وتحليل مدى التزامها بالاشتراطات الدينية، ثم توثيقها للاستفادة منها في المشروعات الجديدة. ويمكن إدماج المفاهيم التراثية في مخططات الأحياء الحديثة، بدءًا من تخصيص مساحات خضراء وأفنية مركزية مشتركة، وصولًا إلى ضبط ارتفاع المباني ومواقع النوافذ والأبواب.

١٥. منهج البحث:

نوع المنهجية وطبيعتها:

اعتمدت هذه الدراسة بصورة رئيسة على **المنهج الوصفي والتحليلي** من خلال جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالعمارة النجدية التقليدية من مصادر تاريخية ودراسات سابقة، ثم تحليلها وفق الأُطر الدينية والبيئية والثقافية التي تشكل الهوية المعمارية في نجد. كما تم الاستعانة بأسلوب **الدراسة الميدانية** القائم على الملاحظة المباشرة والمقابلات شبه الموجهة مع سكان بعض البيوت التقليدية والخبراء في مجال التراث العمراني.

مبررات اختيار المنهج:

١. **الطبيعة التراثية للموضوع** :نظرًا لأن العمارة النجدية التقليدية تُعد جزءًا من التراث الثقافي والديني للمملكة العربية السعودية، احتاجت الدراسة إلى **منهج وصفي** يوثق الظواهر المعمارية الموجودة ويفسرها في ضوء القيم الإسلامية.

٢. **ضرورة التحليل النوعي** :يسمح **المنهج التحليلي** باستخلاص العوامل الدينية والبيئية التي أثرت في تصميم البيوت التقليدية، ومقارنة أوجه التشابه والاختلاف مع دراسات سابقة.

٣. **تحقق الدقة والتعمّق** :من خلال الملاحظة الميدانية والمقابلات، تمكنت الدراسة من الحصول على رؤية أكثر شمولًا للعناصر الدينية في التصميم المعماري، إضافةً إلى قياس مدى الوعي المجتمعي بهذه القيم في الوقت الحاضر.

أدوات جمع البيانات:

١. **المصادر التاريخية والوثائقية** :كُتب التراث والدراسات الأكاديمية التي وثّقت العمارة النجدية (مثل: الطريفي، ٢٠١٠؛ بخيت، ٢٠١٥؛ ابن رجب، ٢٠١٦).

٢. **الملاحظة المباشرة** :زيارة عدد من المواقع التراثية والبيوت التقليدية في المدن والأرياف النجدية، وتوثيق الملاحظات بالصور والرسومات التوضيحية.

٣. **المقابلات شبه الموجهة** :شملت عيّنة من سُكّان البيوت التراثية، بالإضافة إلى مهندسين معماريين وخبراء في مجال الترميم وصيانة التراث.

٤. **التحليل المقارن** :مقارنة النتائج مع نماذج معمارية إسلامية في مناطق أخرى تشترك في نفس الخلفية الدينية، ولكن بظروف بيئية مختلفة.

١٦. نتائج البحث ومناقشتها:

نتائج البحث:

١. تأثير القيم الدينية على تصميم الفراغات :

- أظهرت المقابلات الميدانية استمرار حرص العديد من الأسر على تطبيق مبدأ الخصوصية والفصل بين الجنسين، خاصةً في المجالس والمداخل.
- كشفت الزيارات الميدانية أنّ "تنكيب الأبواب" (وضعها بانحراف) ما زال حاضرًا في البيوت التي تم ترميمها حديثًا، حرصًا على الحماية البصرية.

٢. دور البيئة والمناخ في تشكيل الملامح المعمارية:

- أكدت الملاحظات الميدانية أنّ الجدران السميكة وفناء البيت المركزي ما زالا يؤديان دورًا مهمًا في التهوية وتقليل درجات الحرارة الداخلية، بما يتوافق مع المناخ الصحراوي.
- استُمر في استخدام مواد البناء المحلية كالطين والخشب، ولكن بشكل أقل؛ إذ دخلت مواد حديثة مع محاولات المحافظة على الطابع التراثي.

٣. واقع الاستدامة الدينية والاجتماعية:

- بينت بعض المقابلات مع السكان رغبة متزايدة في توفير مساحات مستقلة للصلاة والعبادة، رغم ضيق المساحة في البيوت الحديثة .
- وُجِدت تحديات في فصل أماكن المواشي في البيوت القديمة المرممة، بسبب تغير نمط الحياة وعدم اعتماد معظم السكان الحاليين على تربية المواشي بصورة رئيسة.

٤. وعي المجتمع المحلي وإقبال المؤسسات:

- لوحظت زيادة وعي الجهات الرسمية والأهلية بأهمية الحفاظ على العمارة التقليدية من خلال مشاريع الترميم (الحميري، ٢٠١٧).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

- تظهر بعض المبادرات الخاصة التي تعيد استخدام البيوت التراثية كمقاهٍ تراثية أو متاحف، مع الحفاظ على معالمها الأصلية.

مناقشة النتائج:

- تتفق النتائج مع ما أشار إليه الطريفي (٢٠١٠) وبخيت (٢٠١٥) من أنّ القيم الدينية، خصوصًا المتعلقة بالخصوصية والحياء، تظل ركيزة أساسية في تصميم البيوت النجدية.
- رغم الإقبال على العمارة الحديثة ذات الطابع العالمي، هناك محاولات دمج القيم الإسلامية في المخططات الجديدة، لكنها تظل محدودة بسبب متطلبات الحياة العصرية.
- لوحظ بأن بعض الأسر باتت لا تحتاج لأماكن واسعة لتربية المواشي كما في السابق، ما أدى إلى إعادة توظيف الفراغات الخارجية لأغراض أخرى.
- وجود اختلاف في جودة عمليات الترميم؛ إذ يلتزم بعض المنفذين بالمعايير التقليدية، فيما يستسهل آخرون استخدام مواد غير متطابقة مع الخصائص التراثية.

التوصيات والمقترحات:

- إصدار لوائح واضحة من قِبَل الجهات المختصة (مثل البلديات) تلزم الترميم باستخدام مواد وتقنيات تقليدية تضمن الحفاظ على الهوية المعمارية.
- وضع تصاميم جديدة تراعي مبدأ الفناء المركزي وتوجيه المباني، إضافةً إلى "تنكيب الأبواب" في المداخل الداخلية لضمان الخصوصية.
- تكثيف الفعاليات وورش العمل التي توضح للسكان والقائمين على البناء مدى أهمية قيم الخصوصية والطهارة في العمارة، وكيفية تطبيقها بأساليب عصرية.
- عمل أرشيف إلكتروني يوثق البيوت التقليدية بالصور والرسومات والمقاسات، يتيح للباحثين والمهندسين والمختصين الاطلاع والاستفادة في مشاريع مماثلة.
- تشجيع رجال الأعمال والمستثمرين على إعادة تأهيل البيوت التراثية وتحويلها إلى مقاهٍ أو متاحف أو نُزل سياحية، شريطة الالتزام بمعايير الترميم وإبراز الطابع الديني والثقافي.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى أنّ العمارة النجدية التقليدية ليست مجرد استجابة وظيفية للبيئة الصحراوية فحسب، بل هي نتاج تفاعل متكامل بين العوامل الدينية والثقافية والاجتماعية التي أسهمت في صياغة هوية معمارية مميزة. وتؤكد النتائج على استمرار حضور القيم الإسلامية في التطبيقات المعمارية، لا سيّما في مبادئ الخصوصية والفصل بين الجنسين، واستخدام الفناء الداخلي، وحرص السكان على توفير أماكن للعبادة والنظافة. كما كشف البحث عن تحديات جمّة في العصر الحديث؛ إذ تفرض التحولات الاجتماعية والاقتصادية واقعًا جديدًا قد يحول دون التمسك بجميع العناصر التقليدية. إلا أن تنامي الوعي بأهمية الحفاظ على هذا الموروث، سواءً من قِبل المؤسسات الحكومية أو المبادرات الخاصة، يعد خطوة إيجابية تُبشر بإمكانية دمج القيم الدينية والتراثية في التصميم المعاصر.

المراجع:

المراجع العربية:

١. ابن رجب، م .(2016) .المنظور الديني وأثره في تشكيل الفراغات الداخلية للبيوت النجدية .الرياض: دار الصميعي.

٢. الحميري، ع .(2017) .البيوت النجدية بين الماضي والحاضر: دراسة توثيقية للترميم وإعادة الاستخدام .جدة: دار المنهاج.

٣. الدارة (دارة الملك عبد العزيز) .(2014) .الأرشيف المصوّر للعمارة التقليدية في وسط الجزيرة العربية . الرياض: دارة الملك عبد العزيز.

٤. القرني، ع .(2008) .البيوت الطينية في وسط الجزيرة العربية: دراسة تحليلية .الرياض: دارة الملك عبد العزيز.

٥. الطريفي، م .(2010) .العمارة الطينية في نجد: الخصائص والمميزات .الرياض: مكتبة العبيكان.

٦. بخيت، س .(2015) .التراث العمراني في وسط الجزيرة العربية: تطور أساليب البناء والحفاظ عليها .الرياض: دار الشروق.

٧. ياغي، س .(1999) .العمارة الإسلامية بين الفكر والتطبيق .بيروت: دار المعرفة.

المراجع الأجنبية:

1. Al-Omari, A. (2019). Islamic Values in Najd’s Traditional Architecture: Privacy and Community Aspects. *Journal of Islamic Architecture, 8*(1), 45-56. https://doi.org/10.18860/jia.v8i1.xxxx

2. Asquith, L., & Vellinga, M. (2006). *Vernacular Architecture in the 21st Century: Theory, Education and Practice*. London: Taylor & Francis.

3. Bianca, S. (2000). *Urban Form in the Arab World: Past and Present*. London: Thames & Hudson.

4. Creswell, K. A. C. (1979). *A Short Account of Early Muslim Architecture* (2nd ed.). Aldershot: Scolar Press.

5. Frishman, M., & Khan, H. U. (Eds.). (2002). *The Mosque: History, Architectural Development & Regional Diversity*. London: Thames & Hudson.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

أدب التعامل مع القرآن الكريم في وسائل التواصل الاجتماعي.

د. أعياد منصور جميل دقنه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم المشارك بقسم الكتاب والسنة – جامعة أم القرى.

Adab (Etiquette) of Handling the Holy Qur'an on Social Media Platforms.

Dr. Aayad Mansor Jameel Deknah

Ciate professor in Quranic Interpretation and Quranic Sciences.Umm Al-qura University.

E-mail: amdegnah@uqu.edu.sa

الكلمات المفتاحيّة:

الأدب – التعامل – القرآن - وسائل التواصل الاجتماعي.

KEY WORDS:

Adab (Etiquette) – handling – Holy Qur'an – media – social

مستخلص البحث:

هذا البحث "أدب التعامل مع القرآن الكريم في وسائل التواصل الاجتماعي" يسلط الضوء على أهمية احترام القرآن الكريم عند التعامل معه في الوسائط الرقمية. تناولت الباحثة أسباب اختيار الموضوع نظرًا لندرة الدراسات حول هذا المجال، بهدف توعية الجيل الناشئ بآداب التعامل مع القرآن الكريم عبر المنصات الاجتماعية.

أكدت أهمية البحث في رفع الوعي العام، وحماية مكانة النصوص القرآنية من الإساءة أو الاستخدام غير اللائق. اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي والاستنباطي لدراسة القضايا واستخلاص الآداب اللازمة.

تناولت أبرز النتائج أهمية التعامل السليم مع القرآن الكريم، الذي يعكس مدى رقي وتحضر الأمة. كما أشارت إلى أهمية الدقة في كتابة الآيات (بالخط العثماني) والالتزام باللغة العربية الفصحى، مع تجنب أي أخطاء عند القراءة أو النشر. وشددت على أهمية إيراد النصوص كاملة، وضمان تقديم المعاني بما يتفق مع المرجعيات الصحيحة.

أوصت الدراسة بضرورة وضع آليات للتعامل مع القرآن في برامج الذكاء الاصطناعي، ودراسة الآداب الواجب مراعاتها مع السنة النبوية والأحكام الشرعية في الوسائل الرقمية. يهدف البحث إلى تعزيز احترام القرآن الكريم ورفع مستوى التوعية بقدسيته في البيئة الرقمية.

ABSTRACT:

explores proper manners for engaging with the Quran in the digital sphere. The study emphasizes raising awareness among youth about the Quran's sanctity and the etiquette required in online platforms, addressing a lack of prior research in this area.

The research highlights the importance of accurately writing Quranic texts using the Ottoman script and ensuring proper recitation. It stresses presenting verses in their entirety, avoiding any misrepresentation or alteration. Additionally, it underscores the need to consult credible sources for interpretation, adhering to objectivity and avoiding personal biases.

Findings reveal that proper interaction with the Quran reflects societal sophistication, urging users to protect it from misuse or disrespect in social media contexts. Recommendations include integrating Quranic principles into artificial intelligence applications and exploring similar etiquette for the Sunnah and Islamic jurisprudence online. The research aspires to safeguard the Quran's reverence and ensure its appropriate representation in the digital era.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على هديه واقتدى إلى يوم الدين.. وبعد

فإن التقدم التقني من الأمور العظيمة التي امتن الله بها على البشرية، والتي كان من ثمار هذا التقدم أن تيسرت أمور كثيرة؛ كانت فيما مضى من الأمور شبه المستحيلة، وهي سهولة ترابط الثقافات وتلاقحها عن طريق تقنيات التواصل بين مجتمعات الأرض قاطبة، مهما اختلفت الأعراق والأديان والمذاهب واللغات، إلا أن هذا التعارف يتطلب أن يؤطر بإطار الأخلاق لتؤتي هذه التطبيقات ثمارها ونفعها على أكمل وجه، لاسيما وأنها سلاح ذو حدين، والمجتمع يتوق لأن يعلو جانب النفع على ما يقابله، وهذا البحث لا يتحدث عن أي اخلاق؛ بل أخلاق تتعلق بأمر يتعلق بمصدر ديننا وثقافتنا، ودستور دولتنا الحبيبة، وهو أمر يتطلب نشر الوعي بين أبناء الأمة ليكن لهم نبراس يسيرون به بين تطبيقات وبرامج التواصل الاجتماعي، ويراعوا المنهجيات المناسبة تجاه هذا المصدر العظيم وهو القرآن الكريم، لاسيما وأن الأغلبية العظمى من المتصفحين لهذه المواقع والتطبيقات هم من الجيل الناشئ الذي يعول عليهم الوطن كل خير؛ لذلك استخرت الله تعالى أن يكون عنوان بحثي "أدب التعامل مع القرآن الكريم في وسائل التواصل الاجتماعي"..

إذ أن التعامل الأمثل مع مصدرنا الديني الأول – القرآن الكريم - يعكس الثقافة العليا والخلق السامي لدين الإسلام الذي يجب أن يتمثله كل من ينتسب إليه، ليعطي العالم أجمع صورة واضحة ناصعة نقية لهذا الدين في التعامل مع النص الإلهي، وليكون قدوة لكل من يأتي بعده من الأجيال القادمة، وليعلم أن الطريق للاستفادة من هدايات القرآن الكريم والوصول إلى التدبر الأمثل لآياته إنما هو حسن التعامل مع القرآن الكريم، وتقديسه القدسية التي أقرها الله تعالى له، والتأثر بمعاني القرآن الكريم لابد أن يترجم إلى أخلاق وأفعال مستقيمة في التعامل مع القرآن الكريم بوجه خاص، والتعامل مع غيره بوجه عام.

أسباب اختيار الموضوع:

- ندرة من تحدث عن أدب التعامل مع القرآن الكريم في وسائل التواصل الاجتماعي
- تبصير الجيل الصاعد بالآداب الواجبة تجاه القرآن الكريم.
- إيضاح الأدب الواجب في التعامل مع القرآن الكريم.

أهمية الموضوع:

- رفع الوعي بأدب التعامل مع القرآن الكريم لدى متصفحي مواقع التواصل الاجتماعي.
- إضافة علمية يمكن الأخذ بها لدى هيئة مراقبة المحتوى المرئي.
- صيانة جناب القرآن الكريم ومكانته من كل ما يكون سبباً في إساءة الأدب مع القرآن الكريم إذا تطلب الأمر إلى التعامل معه في وسائل التواصل الاجتماعي.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي والمراجعة والاطلاع على المكتبات الإلكترونية والورقية لم أقف على مؤلف كتب في أدب التعامل مع القرآن الكريم في مواقع التواصل الاجتماعي وجل الدراسات التي وقفت عليها هي كالتالي:

- الأحكام الفقهية المتعلقة بوسائل التواصل الاجتماعي، اليحيى، بندر بن عبد العزيز بن إبراهيم، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، مؤسسة البحوث والدراسات الفقهية وعلوم القرآن الكريم الوقفية، المجلد٣٣, العدد١١٩، ٢٠٢٢ـ ١٤٤٣، السعودية.
- أخلاق المسلم في منصات التواصل الاجتماعي من منظور قرآني، الجرمان، عبد الرحمن عبد الله سرور ـ الماجد، أمينة أحمد عبد المحسن جامعة الحديدة ـ كلية التربية بالحديدة، العدد ٢٢، ٢٠٢١، اليمن.
- الإعلام الجديد وتعليم القرآن الكريم: بين الاستخدامات وتحديات الواقع، حدادي، وليدة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد ٣٤، العدد ١ (٣٠ يونيو/حزيران ٢٠٢٠)، ص. ٦٨٠ـ٧١١.
- القرآن الكريم وتقوية التواصل الاجتماعي: دراسة تأصيلية، القحطاني، عبد الرحمن حمد عبد الله، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، المجلد ٢٠٢٠، العدد ٩٩ (٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠٢٠)، ص. ٣٣٩ـ٣٧٨، جامعة القاهرة كلية دار العلوم قسم الشريعة الإسلامية، ٢٠٢٠ـ٠٩ـ٣٠، مصر.
- استخدامات برامج التواصل الاجتماعي في تعليم القرآن الكريم: دراسة مسحية على المعلمين بمراكز تعليم القرآن الكريم بوزارة الأوقاف بدولة الكويت، هاشم، محمد شرف محمد عبد الله، مجلة القلم، المجلد ٧، العدد ١٨ (٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠٢٠)، ص. ٤٨٢ـ٥١٧، جامعة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية، ٢٠٢٠ـ٠٩ـ٣٠، اليمن.
- الإعلام الجديد ودوره في خدمة القرآن الكريم وعلومه، ببوش، محمد العربي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامي، المجلد ٣٣، العدد ٢ (٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٩)، ص. ٦٩٣ـ٧٣٣، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ٢٠١٩ـ٠٩ـ٣٠، الجزائر.

- حماية القرآن للوعي الفكري لدى الشباب في ظل تحديات وسائل التواصل الحديثة، الجندي، محمد عبد الدايم علي سليمان محمد، مجلة تدبر، المجلد ٣، العدد ٦ (٣١ مارس/آذار ٢٠١٩)، مؤسسة بصمة خير الأهلية (سابقا) / دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع (حاليا)، ٢٠١٩-٠٣-٣١، السعودية.
- شبكات التواصل الاجتماعي وخدمة علوم القرآن الكريم: قراءة تحليلية لعينة من صفحات الفايسبوك، ضيف، ليندة، دراسات وأبحاث، المجلد ١٠، العدد ٤ (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٨)، ص ٩٧١-٩٨١، جامعة زيان عاشور الجلفة، ٢٠١٨-١٢-٣١، الجزائر.
- صفحات وحسابات القرآن وعلومه في الشبكات الاجتماعية: دراسة وصفية تحليلية على عينة من صفحات وحسابات [فيس بوك، تويتر، يوتيوب]، الشهري، ياسر بن علي، المجلة العربية للإعلام والاتصال، المجلد ٢٠١٥، العدد ١٣ (٣١ مايو/أيار ٢٠١٥)، ص ٩٥-١٥٨، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال،٢٠١٥-٠٥-٣١، السعودية.
- أثر تطبيقات الهاتف النقال في مواقع التواصل الاجتماعي على تعلم وتعليم القرآن الكريم لطالبات جامعة طيبة واتجاههن نحوها، الجريسي، آلاء أحمد- العمري، عائشة بنت بليهش بن محمد بن صالح - الرحيلي، تغريد بنت عبد الفتاح بن محمد، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، المجلد ١١، العدد ١ (٣١ مارس/آذار ٢٠١٥)، ص ١-١٥، جامعة اليرموك عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، ٢٠١٥-٠٣-٣١، الأردن.

وبعد الاطلاع على البعض كاملاً وعلى ملخصات البعض الآخر، لم يتحدث أي منها عن أدب التعامل مع القرآن الكريم القرآن الكريم في وسائل التواصل الاجتماعي.

المنهج المتبع في البحث:

المنهج الوصفي والاستنباطي، حيث تمت دراسة الموضوعات ووصف ما يلزم في التعامل مع القرآن الكريم، كما تم استنباط الآداب الواجب مراعاتها من أقوال العلماء الذي تناولوا حكم كل علم من علوم القرآن الكريم.

إجراءاته:

سلكت عدة إجراءات في كتابتي لهذا البحث وهي كالتالي:

١. كتابة الآيات بالخط العثماني.

٢. تخريج الأحاديث من مظانها والحكم على ما يحتاج إلى ذلك.

٣. بيان معاني الألفاظ من مصادرها المعتمدة.

التمهيد:

قبل الخوض في مباحث البحث ومطالبه، من المهم توضيح المصطلحات الواردة في هذا البحث لتيسير فهم القارئ للمفاهيم والألفاظ المستخدمة. سيتم تعريف المصطلحات على النحو التالي:

أولاً: تعريف الأدب:

الأدب لغة: أدب الرجل يأدب أدباً، فهو أديب مؤدب يؤدب غيره ويتأدب بغيره، والأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس[١].

«التعريفات الفقهية» (ص٢٠):

«قال السيد: "الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ". وقال في العناية: "الأدب اسم يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل". قال أبو زيد: "ويجوز أن يعرف بأنه ملكة تعصم من قامت به عما يشينه". وفي "فتح القدير": "الأدب الخصال الحميدة".»

والأدب في اصطلاح الفقهاء: "عبارةٌ عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ"[٢] وعرفه أهل التربية والسلوك بأنه "رياضة النفس، ومحاسن الأخلاق، ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل"[٣]،ويمكن ن يعرف بأنه "مَلَكَةٌ تعصم من قامت به عما يَشينه"[٤]، وقيل:"الأدب: الخصالُ الحميدة"[٥].

ثانياً: تعريف التعامل:

التعامل لغة: مأخوذ من تعامل يتعامل، تعاملا، فهو متعامل، والمفعول متعامل، وطريقة التعامل: الطريقة التي يتعامل فيها الشخص، وتعامل مع صديقه: عامله وتصرف معه، ويقال: تعامل مع الموقف بحكمة، أي: تصرف بحكمة، وتعامل القوم أي عامل بعضهم بعضاً[٦].

التعامل اصطلاحاً: بعد الاطلاع على المراجع القديمة والحديثة وجدت أن التعامل أطلق على التفاعل بين شخصين أو أكثر، وكذا تعامل الإنسان مع ما حوله، كما جاء في التعريف اللغوي ويمكن أن يُعرَّف هنا بأنه: هو مجموعة من الطرق والاتجاهات والأفعال المختلفة المحددة شرعاً والتي تصدر من الأفراد أو الجماعات تجاه القرآن الكريم.

---

[١] - العين للخليل الفراهيدي (٨/ ٨٥) تهذيب اللغة للأزهري (١٤/ ١٤٧) لسان العرب لابن منظور (١/ ٢٠٦).

[٢] - التعريفات للجرجاني (ص١٥)، وانظر: التعريفات الفقهية المجددي (ص٢٠).

[٣] - التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص٤٢)

[٤] - تاج العروس للزبيدي (٢/ ١٢)

[٥] - فتح القدير لابن الهمام (٧/ ٢٥١)

[٦] - بتصرف: معجم الرائد لجبران مسعود، (ص ٢٢٠)، معجم محيط المحيط للبستاني (ص ٦٣٣)، معجم النفائس الكبير (ص ١٣٣١)، المعجم الوجيز إبراهيم مذكور (ص ٤٣٥)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٥٥٤).

ثالثاً: تعريف القرآن:

القرآن لغة: مأخوذ من "قرأ، قراءة وقرآنا"[٧] حيث ذهب بعضهم أنه مهموز؛ يقال قرأ القرآن، والقرآن من القرو، وهو الجمع[٨]؛ لأنه يجمع السُّوَرَ فيضمها، وقيل: معنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا، أي: ألقيته، وذهب آخرون إلى أنه اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل، ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن، كما تقول إذا قرأت القرآن[٩].

القرآن اصطلاحاً: هو كلام الله تعالى المعجز المنزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس، والمتحدي بأقصر سورة منه.[١٠]

رابعاً: تعريف وسائل التواصل الاجتماعي:

الوسيلة لغة: الوصلة والمنزلة والدرجة، ما يتقرب به إلى الغير، وجمعها الوسائل[١١].

التواصل لغة: الواو والصاد واللام أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه، ووصلته به وصلاً وصلة، والوصل: ضد الهجران[١٢].

الاجتماعي لغة: مأخوذ من الجمع والجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء. يقال جمعت الشيء أجمعه جمعاً إذا ضممت بعضه إلى بعض، واجتمع القوم اجتماعاً لفرح أو خصومة وهو خلاف التفريق.[١٣]

وسائل التواصل الاجتماعي اصطلاحاً:

إن وسائل التواصل الاجتماعي من الأمور المستحدثة والمتجددة من حين إلى آخر نظراً للتطور المتسارع للتقنية خاصة فيما يتعلق بتطبيقات ومواقع التواصل الاجتماعي، وبناء على ذلك فإن التعريف بها يتبع هذا التطور، ويمكن تعريفها في الوقت الراهن الذي وصلت إليه هذه الوسائل ما وصلت بأنه: "منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، و من ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها"[١٤]، أو هو "أنواع الإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي، ويعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت، فضلا عن استخدام الكومبيوتر كآلية رئيسة له في عملية الانتاج والعرض"[١٥].

المبحث الأول: أدب التعامل مع القرآن بوجه عام:

قبل الحديث عن التعامل مع ألفاظ القرآن ومعانيه بوجه الخصوص؛ يلزم الحديث عن التعامل مع القرآن الكريم بوجه عام، أي التعامل مع ذات القرآن الكريم بكل ما يحمله من ألفاظ، ومعاني، وحِكَم، وهذا التعامل كالتالي:

المطلب الأول: تعظيم القرآن الكريم:

إن تعظيم القرآن الكريم في وسائل التواصل الاجتماعي بل تعظيمه في كل موطن وموضع لهو دليل على التقوى الذي بينه تعالى في قوله: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ (٣٢)﴾ [الحج: ٣٢] والقرآن الكريم شعيرة من شعائر الدين، وهو ما ذهب إليه الحسن في تفسيره لشعائر الله بأنها دين الله كله[١٦]، وفي هذا يقول القرطبي: "وهو الراجح الذي لا يقدم غيره؛ لعمومه"[١٧] ورفعه لمنزلته التي رفعه الله لها لهو من تعظيم شعار الله تعالى، وإذا كان أهله يعظمونه ويرفعونه في منزلته العظيمة، فالأعداء لا يجرؤون على التعرض له والتقليل من شأنه.

وإن من معاني تعظيم القرآن وتشريفه تسميته بأجل الأسماء ونعته بأحسن الأوصاف في كل مكان يذكر فيه، وهي الأسماء والأوصاف التي ارتضاه الله تعالى له.

ويتبع ذلك تعظيم مصدرية هذا القرآن وهو الله تعالى وحده والابتعاد عن أنسنة القرآن الكريم، فالمقرآن الكريم هو المصدر الذي يبنى عليه الدين، فإذا تأنسن فقد الدين أصله الإلهي، وبالتالي فلا قدسية له، ويصبح عرضة للتبديل والتغيير والتبديل والمعارضة مثل أي قول بشري القبول أو الرفض له إنما هو أمر نسبي، وهذا الأمر نفاه القرآن الكريم حيث بين تعالى أنه ليس من عند محمد ﷺ أو أنه افتراه على الله تعالى، وأنه أساطير الأولين أخذها عن من يحكيها ويقصها وذلك في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا (٤) وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا (٥)﴾ [الفرقان: ٤ – ٥] ، كما نفى تعالى أن يكون ضرب من السحر من صنع السحرة فقال مستنكراً عليهم : ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ (١٥)﴾ [الطور: ١٥] وبين تعالى

[٧] - المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٦/ ٤٦٩)

[٨] - انظر: مجمل اللغة لابن فارس (ص٧٥٠)

[٩] - انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٢٠٩)، الصحاح تاج اللغة للجوهري (١/ ٦٥)

[١٠] - انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١/ ٢٠)، المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة (ص:٢١)

[١١] - انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ٤٨)، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٨/ ٦١٢)، مختار الصحاح للرازي (ص٣٣٨).

[١٢] - انظر: الصحاح تاج اللغة للجوهري (٥/ ١٨٤٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١١٥)

[١٣] - جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ٤٨٣) مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٧٩).

[١٤] - استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي لزاهر راضي، مجلة التربية، ع١٥، جامعة عمان الأهلية، عمان، ٢٠٠٣، ص٢٣.

[١٥] - الاعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة لعباس مصطفى صادق، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، ٢٠١١م، ص٩.

[١٦] - الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٤/ ٨)، أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٣٧٦).

[١٧] - المرجع السابق (٦/ ٣٨)

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

أن لا يمكن أن يكون هذا القرآن شعر يلقيه الشعراء عليه أو كهانة من صنع الكهنة وهو ماحكاه تعالى في قوله: { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) } [الحاقة: ٤١ - ٤٢] كل هذا ليبين أنه لا علاقة لأي بشر كان في مصدرية القرآن الكريم، بل يجد القاري للقرآن الكريم الأدلة الواضحة على أنه من عنده فقال مخاطباً نبيه: { نَحْنُ نَقُصُّ عليك أحسن ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ (٣) } [يوسف: ٣] وقال: { سمحوَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا } [الشورى: ٧].

ومن وسائل التعظيم للقرآن الكريم في وسائل التواصل الاجتماعي عدم تعريضه للسخرية والاستهزاء حيث يقول تعالى: { وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ } [البقرة: ٢٣١] وقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ } [المائدة: ٥٧] ونهى عن مجالسة المستهزئين به وإن لم يكن الجالس مستهزءاً فقال: { وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ } [الأنعام: ٦٨].

المطلب الثاني: تقديم القرآن على غيره:

من المعلوم بداهة أن القرآن الكريم يقدم على غيره، بل لا يقارن به شيء، وفي هذا يقول ابن القيم في حديثه عن قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا ترفعوا أصواتكم فَوْقَ صوت النبي وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)} [الحجرات: ٢] قال:" فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطا لأعمالهم"[١٨] والقرآن الكريم هو ما جاء به النبي ﷺ ، فإذا جعل المتصفح لوسائل التواصل الاجتماعي هذا الأمر أمام عينه دون غيره من الأمور فإنه لن يحيد عن الحق وإحقاقه.

يقول الإمام أبو مظفر السمعاني: "أما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم، عرضوه على الكتاب والسنة فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفا لهم تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق، وقد يرى الباطل"[١٩]، وعلى الإنسان أن لا يقدم قواعد علم معين ويحاكم القرآن الكريم عليها، وجعل القرآن فرعاً يقاس على ذلك العلم، بل يجب أن يكون الأمر عكس هذا، إذ أن القرآن هو أصل العلوم، وما جاء في غيره من علوم فهو فرع ومقاس عليه – على القرآن الكريم -.

المطلب الثالث: صيانة القران من العبث:

إن حماية القرآن الكريم من أيدي العابثين واجب على كل مؤمن عاقل، فهو كتاب أنزله الله ليُتعبد بتلاوته ويُسترشد به، لا ليُعبث به ممن يجهلون قيمته ومكانته. ومن مظاهر صيانته: تجنب الاقتباس المحرم الذي يحمل طابع الاستهزاء أو السخرية أو المزاح، والابتعاد عن إقحامه في النزاعات والجدالات التي قد تؤدي إلى إهانته أو التقليل من شأنه. كما ينبغي الحذر من طرح مسائله أو العلوم المرتبطة به بين العوام؛ لأن ذلك قد يفتح الباب أمام الجاهلين للتجرؤ عليه، ويؤدي إلى إساءة استخدام آياته بطريقة قد تنتهك حرمته.

وقد يحدث أن يكون من يخوض في هذه الجدالات غير مؤهل علميًا أو فاقدًا للحجة الدامغة، مما يجعله عرضة للغلبة من قبل الخصوم بحجج قد تبدو صحيحة لغير المتخصصين، بينما هي في جوهرها ضعيفة ومردودة. من هنا، كان الأجدر تجنب الخوض بآيات الذكر الحكيم في مثل هذه الجدالات حفاظًا على مكانته وصيانته من أي انتهاك.

ومن العبث كذلك التعرض للآيات في وسائل التواصل الاجتماعي مِن يفتقر للأسلوب الصحيح في الدعوة والنصح والإرشاد، والعلم بمقتضيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناهجه وأسسه وشروطه، مما يؤدي إلى النفور مِن مَن أورد الآيات ومن ثم من القرآن الكريم ، ومن ثم من الإسلام وأهله، وعلى المسلم تجنب الجدال بغير علم في القرآن الكريم حتى لا يدخل فيمن شملهم قوله تعالى: وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (٤) [الحج: ٣ – ٤] وقوله جل وعلا: { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٩) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ (١٠) } [الحج: ٨ – ١٠] يقول الإمام الشاطبي صاحب الموافقات:" وأما الجدال بالقرآن؛ فإنه من -اللسن الألد- من أعظم الفتن لأن القرآن مهيب جداً، فإن جادل به منافق على باطل أحاله حقا"[٢٠].

المطلب الرابع: الترفع بالقرآن عن الإهانة والسخرية والاستهزاء:

حيث يجب على الكاتب في مواقع التواصل الاجتماعي أن يحرص على أن لا يكون سبباً لتعريضه للسخرية والاستهزاء، حتى لا يدخل فيمن ذكرهم تعالى في

[١٨] - أعلام الموقعين لابن القيم (١/ ١٠٦)

[١٩] - الانتصار لأصحاب الحديث (ص:٤٤)

[٢٠] - الموافقات للشاطبي (٤/ ٩٠)

قوله : {وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ } [البقرة: ٢٣١]، وحتى لا يقع الكاتب في هذا الأمر فقد نهى تعالى عن مجالسة المستهزئين به وإن لم يكن الجالس مستهزءاً فقال: { وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٦٨) } [الأنعام: ٦٨] وبين أن مجرد مجالستهم يجعل المرء مساوياً لهم في الإثم والعقاب فقال: { وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ } [النساء: ١٤٠].

ومن ذلك الحفاظ على مصدرية القرآن الكريم وتنزيهه عن الاستهزاء والطعن، لضمان بقاء قدسيته وعدم جعله عرضة للتبديل أو التغيير أو المعارضة كأي قول آخر. ويجب الابتعاد عن هذا الأمر لتجنب مشابهة المشركين الذين زعموا أن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ ، وأنه مجرد أساطير الأولين التي استقاها ممن يرويها ويحكيها وهذا ما بينه تعالى في قوله: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا (٤) وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا (٥)} [الفرقان: ٤ ــ ٥] ، وفرقة قالت أنه سحر من صنع السحرة { فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ (١٣)} [النمل: ١٣] وآخرون قالوا أنه شعر يلقيه الشعراء عليه أو كهانة من صنع الكهنة وهو ماحكاه تعالى في قوله: { وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢)} [الحاقة: ٤١ - ٤٢].

إن التشكيك في كون القرآن الكريم مصدره من الله تعالى وحده يؤدي إلى تحويله إلى نص بشري، وهو أمر لا يجوز تجاه هذا الكتاب العظيم الذي يشكل أساس الدين. فعند فقدانه لطابعه الإلهي، يفقد الدين جذوره وأصله المقدس

ومن ذلك كذلك الترفع بالمبلغ ووسيلة التبليغ للقرآن الكريم عن الاستهزاء والطعن فمهمة النبي ﷺ هي تبليغ الوحي – الذي هو القرآن - فقال: { كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ (٣٠) } [الرعد: ٣٠] وبين أن الوحي لم يقتصر على النبي ﷺ وحده بل كان مثل من سبقه ممن أوحي إليهم فقال: { إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا (١٦٣) } [النساء: ١٦٣]، وبين أن النبي ﷺ ليس له القدرة على جلب الوحي او دفعه حيث قال: { وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا (٨٦) } [الإسراء: ٨٦] وبين أن من يستهزيء به فإنما يستهزيء بالله تعالى وكل ذلك يدخل في حكم قوله تعالى: وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ (٦٥) لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ (٦٦) } [التوبة: ٦٥ - ٦٦] وإن اختلفت طرق الاستهزاء والطعن ووسائلهما إلا أن النتيجة واحدة وهي الطعن في القرآن الكريم والانتقاص من شأنه والتشكيك فيه بطريق غير مباشر.

إن الاستهزاء في المبلغين عن الله تعالى يدخل في قوله تعالى الذي حكى حالهم: {وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ (٣٦)} [الأنبياء: ٣٦] وقال في موضع آخر مؤكداً موقفهم: {وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا (٤١)} [الفرقان: ٤١].

لقد بين تعالى أن الوحي بالقرآن إنما هو منه فقال مخاطباً نبيه: {نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ (٣)} [يوسف: ٣] وقال: {وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا} [الشورى: ٧].

ومن الجدير بالذكر أن من الترفع بالقرآن الكريم قد يكون بطريق غير مباشر وذلك باحترام معتقدات الغير وعدم التعرض للديانات الاخرى بالسب والشتم والانتقاص والاستخفاف وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقبيح ونحوه[٢١]، وهذا الأمر مرفوض على جميع النواحي والأصعدة بوجه عام، وفيما يتعلق بالتعامل مع معتقدات الشعوب والأمم بوجه خاص، إذ أن التعرض لمعتقدات الغير بالسوء قد يرتد على ديننا الحنيف، وهي حقيقة ذكرها تعالى في كتابه الكريم حيث يقول: { وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ } [الأنعام: ١٠٨] فلقد كان المسلمون إذا سبوا آلهة الكفار سب الكفار من يأمرهم بذلك وإلههم الذين يعبدونه، معرضين عن كونه ربهم وإلههم، فيقع سبهم على الله تعالى؛ لأنه إلهنا ومعبودنا فيكونوا سابين لموصوف وهو الله سبحانه.. وفي اللجاجة أن يسب الجاهل من يعظمه مراغمة لعدوه إذا كان يعظمه أيضاً ... وكما يقول بعض الجهال: مقابلة الفاسد بمثله وكما قد تحمل بعض جهال المسلمين الحمية على أن يسب عيسى إذا جاهره المحاربون بسب رسول الله ﷺ [٢٢].

وهذا "في الحقيقة منع جائز في الظاهر؛ لما كان يتطرق به إلى باطن ممنوع، لذلك منع الله سائر المسلمين من سب

[٢١] -انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٦١).

[٢٢] - انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (ص٤٩٦).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

آلهة الكفار، وهو مباح؛ لئلا يصير طريقا لهم إلى سب إله العالمين سبحانه وتعالى"[٢٣]، وفيه قاعدة مقابلة، وهي ترك أدنى المصلحتين لنيل أعلاهما، إذا كان لا بد من ترك إحداهما فإذا اجتمعت مصلحتان لا يمكن الأخذ بهما جميعا; فخذ بأعلاهما، وإذا اجتمعت مفسدتان لا يمكن تركهما; فخذ بأدناهما"[٢٤]، والغيرة على الدين تقتضي مجانبته والتحرز منه[٢٥].

المطلب الخامس: العمل بأخلاقه وقيمه:

إن العمل بأخلاق القرآن الكريم وقيمه في وسائل التواصل الاجتماعي لهو أمر يطالب به كل من يؤمن به، فكل ما حسن من الأخلاق فإن القرآن الكريم كان له السبق في الدعوة إليه، كما كان له السبق في النهي عن كل أمر سيء، وهذا الأمر كان نهج النبي ﷺ في كل حياته حيث قالت عنه أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها- بأنه كان خلقه القرآن[٢٦]، وهو ما ذكره تعالى في قوله: { إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } [الإسراء: ٩] فالتحلي بأخلاق القرآن الكريم وقيمه لهو أفضل صورة يقدمها المسلم للعالم أجمع عن هذا القرآن العظيم، بل وسيكون دفاعاً عملياً عن كل ما يشاع عن القرآن الكريم بوجه خاص وعن الإسلام وحقيقة المسلمين بوجه عام، ولا يقتصر هذا الأمر في التعامل مع المسلمين فحسب بل في التعامل مع جميع من يرتاد وسائل التواصل الاجتماعي مهما اختلف دينه ومذهبه وعمره وجنسه وجنسيته، فإن حسن التعامل قد يرتد على ديننا الحنيف سلباً وإيجاباً، وهي حقيقة ذكرها تعالى في كتابه الكريم حيث بين ما قد يحدث عند الإساءة لمعتقد مخالف فيقول: { وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ } [الأنعام: ١٠٨].

المبحث الثاني: أدب التعامل مع ألفاظ القرآن الكريم في وسائل التواصل الاجتماعي.

إن التعامل مع ألفاظ القرآن ومعانيه بوجه الخصوص يساهم مساهمة كبيرة في إبراز التعامل الذي يجب أن يعامل به لفظ القرآن الكريم نصاً وقراءة واستماعاً على وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا التعامل كالتالي:

المطلب الأول: كتابة الآيات بالخط العثماني:

إن كتابة الآيات بالخط العثماني في وسائل التواصل الاجتماعي لهو أمر في غاية الأهمية إذ أنه يميزه عن غيره من الكلام البشري، بل قد بين العلماء أن الخط العثماني به يفرق بين القراءة المتواترة عن الشاذة حيث يقول الشيخ عبد الفتاح شلبي: "هذا الرسم الذي أجمعت عليه الأمة، وتلقته بالقبول بترتيب آياته، بل كلماته، بل حروفه، ليس لنا إلى إنكاره من سبيل، وأصبح مصحف عثمان الإمام والدليل فيما يعنيه من ترتيب يمنع التقديم والتأخير، ومن حصر يمنع الزيادة والنقصان، وإبدال لفظ بلفظ آخر[٤]، وهو حجة على القارئين والمقرئين إلى يوم الدين، وأصبحت القراءة بما يخالف الرسم وإن وافق العربية وصح سنده -كالذي جاء في مصاحف الصحابة والتابعين- شاذة؛ لكونها شذت عن رسم المصحف الإمام المجمع عليه"[٢٧].

وقد جاء قرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، رقم ٧١ بتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٣٩٩هـ ونصه:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء بعد اطلاعه على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في حكم كتابة القرآن بطريقة الإملاء العادية، وإن خالف ذلك الرسم العثماني.

وبعد دراسة الموضوع ومناقشته وتداول الرأي فيه تبين للمجلس أن هناك أسبابا تقتضي بقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني وهي:

١- ثبت أن كتابة المصحف بالرسم العثماني كانت في عهد عثمان رضي الله عنه، وأنه أمر كتبة المصحف أن يكتبوه على رسم معين، ووافقه الصحابة، وتابعهم التابعون ومن بعدهم إلى عصرنا هذا، وثبت أن النبي ﷺ قال: [عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي][٢٨] فالمحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم هو المتعين، اقتداء بعثمان وعلى وسائر الصحابة وعملا بإجماعهم.

٢- إن العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حاليا بقصد تسهيل القراءة يفضي إلى تغيير آخر إذا تغير الاصطلاح في الكتابة، لأن الرسم الإملائي نوع من الاصطلاح قابل للتغيير باصطلاح آخر، وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن بتبديل بعض الحروف أو زيادتها أو نقصها، فيقع الاختلاف بين المصاحف على مر السنين، ويجد أعداء الإسلام مجالا للطعن في القرآن الكريم، وقد جاء الإسلام بسد ذرائع، الشر ومنع أسباب الفتن.

٣- ما يخشى من أنه إذا لم يلتزم الرسم العثماني في كتابة القرآن أن يصير كتاب الله ألعوبة بأيدي الناس، كلما عنت الإنسان فكرة في كتابته اقترح تطبيقها، فيقترح كتابته

[٢٣] - الحوادث والبدع للطرطوشي (ص٢٦)
[٢٤] - القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٢/ ٤٩٤).
[٢٥] - انظر:المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٣/ ٣٩٩)
[٢٦] - أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٢/ ١٨٣) برقم: (٢٥٣٠٢) وقال شعيب الأرنؤوط في التعليق عليه: "إسناده صحيح على شرط الشيخين، عبد الرزاق: هو ابن همام الصنعاني، ومعمر: هو ابن راشد، وهو عند عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٣٠٧، ومن طريقه أخرجه الحاكم ٢/ ٤٩٩"، وذكر الإمام الألباني أنه صحيح في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٨٧٢)
[٢٧] - رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم (ص٦)
[٢٨] - أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث العرباض بن سارية (٢٨/ ٣٦٧) وقال عنه شعيب الأرنؤوط: "حديث صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد حسن، عبد الرحمن بن عمرو السلمي روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات".

باللاتينية أو غيرها، وفي هذا ما فيه من الخطر، ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح.

وبناء على هذه الأسباب اتخذ المجلس القرار التالي:

يرى مجلس هيئة كبار العلماء أن يبقى رسم المصحف على ما كان بالرسم العثماني، ولا ينبغي تغييره ليوافق قواعد الإملاء الحديثة، محافظة على كتاب الله من التحريف، واتباعا لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف، رضوان الله عليهم أجمعين.

والله الموفق. وصلى الله على نبينا محمد...هيئة كبار العلماء"[٢٩]

أضف إلى ذلك أن كتابة الآيات بالخط العثماني يجنب الكاتب والقارئ الوقوع في الخطأ اللغوي الذي يبنى عليه فهم المعاني على وجه صحيح.

المطلب الثاني: كتابة الآيات باللغة العربية الفصحى:

إن من ينظر نظر الفاحص في وسائل التواصل الاجتماعي يجد أن بعض الحسابات غير العربية تكتب الآيات بغير العربية، وهذا الفعل لا يخلو من أمرين؛ إما أن يفعل هذا الفعل من يريد العبث بالقرآن الكريم، أو الاستهزاء به، أو الحط من شأنه، بأن يكتبه بلغة أخرى تعرضه للسخرية والنقص، وإما أن يفعله شخص يجتهد اجتهاداً خاطئاً؛ بأن كتابة القرآن الكريم بلغات أخرى أدعى لدخول الأعاجم للإسلام، والإعجاب بالقرآن الكريم، وهذا وإن كان المقصد حسناً إلا أن فاعله قد جانب الصواب، ويكفي في هذا المقام أن ننقل فتوى هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية والتي نصت على الآتي: " بعد دراسة الموضوع ومناقشته وتداول الرأي فيه، قرر المجلس بالإجماع: تحريم كتابة القرآن بالحروف اللاتينية، أو غيرها من حروف اللغات الأخرى، وذلك للأسباب التالية:

١ - إن القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، حروفه ومعانيه، قال تعالى: { وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ (١٩٥) } [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥] والمكتوب بالحروف اللاتينية لا يسمى قرآنا، لقوله تعالى: { وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا } [الشورى: ٧] وقوله: { وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ (١٠٣) } [النحل: ١٠٣].

٢ - إن القرآن كتب حين نزوله، وفي جمع أبي بكر، وعثمان، رضي الله عنهما إياه بالحروف العربية، ووافق على ذلك سائر الصحابة ﷺ وأجمع عليه التابعون، ومن بعدهم إلى عصرنا، رغم وجود الأعاجم، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: [عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين][٣٠] الحديث، فوجبت المحافظة على ذلك، عملا بما كان في عهده ﷺ وخلفائه الراشدين، ﷺ وعملا بإجماع الأمة.

٣ - إن حروف اللغات من الأمور المصطلح عليها، فهي قابلة للتغيير مرات بحروف أخرى، فيخشى إذا فتح هذا الباب أن يفضي إلى التغيير كلما اختلف الاصطلاح، ويخشى أن تختلف القراءة تبعا لذلك، ويحصل التخليط على مر الأيام، ويجد عدو الإسلام مدخلا للطعن في القرآن للاختلاف والاضطرابات، كما حصل بالنسبة للكتب السابقة، فوجب أن يمنع ذلك محافظة على أصل الإسلام، وسدا لذريعة الشر والفساد.

٤ - يخشى إذا رخص في ذلك أو أقر؛ أن يصير القرآن ألعوبة بأيدي الناس، فيقترح كل أن يكتبه بلغته، وبما يجد من اللغات، ولا شك أن ذلك مثار اختلاف وضياع، فيجب أن يصان القرآن عن ذلك صيانة للإسلام وحفظا لكتاب الله من العبث والاضطراب.

٥ - إن كتابة القرآن بغير الحروف العربية يثبط المسلمين عن معرفة اللغة العربية، التي بواسطتها يعبدون ربهم، ويفهمون دينهم ويتفقهون فيه، هذا وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم "[٣١].

المطلب الثالث: قراءة الآيات قراءة عربية صحيحة بعيدة عن اللحن والخطأ:

كثيراً ما يرفق مرتادي وسائل التواصل الاجتماعي أصواتهم وهم يقرأون القرآن، سواء كان ما يرسلونه مقاطع صوتية أو مرئية والتي يجب أن ينوه بشأنها أن تكون قراءة عربية صحيحة حيث يقول الإمام الواحدي في تفسير قوله تعالى: { إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ (٣) }[الزخرف: ٣] "كتاب محمد ﷺ يُقرأ بالعربية، وهذا يدل على أنه إذا قرئ بغير العربية لا يكون قرآنا"[٣٢]، وليس ذلك فحسب بل لابد من بقراءته قراءة مرتلة متأنية صحيحة، لا تختلط ألفاظه بعضها ببعض، وفي هذا يقول علي بن أبي طالب ﷺ في حديثه عن قوله تعالى: { أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا (٤) } [المزمل: ٤] "الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف"[٣٣]، وفي وصف الطريقة التي بها ينبغي أن يُقرأ بها القرآن الكريم يقول الإمام الزركشي: "من أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله؛ فإن كان يقرأ تهديداً لَفَظ به لَفْظ المتهدد، وإن كان يقرأ لَفْظ تعظيم لَفَظ به على التعظيم"[٣٤].

كما يحرم قراءة القرآن منكوساً وهو قراءة السورة من آخرها إلى أولها، وهذا أمر يذهب بعض ضروب الإعجاز،

[٢٩] - أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية (٧/ ٣٣٩-٣٤٠)

[٣٠] - تقدم تخريجه.

[٣١] - أبحاث هيئة كبار العلماء (٧/ ٤٠٦).

[٣٢] - التفسير الوسيط (٤/ ٦٣)

[٣٣] - انظر: التمهيد في علم التجويد للجزري (ص٤٨).

[٣٤] - البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٥٠)

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

ويزيل حكمة ترتيب الآيات، وقد ورد عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، أرأيت رجلًا يقرأ القرآن منكوساً؟ قال: ذلك منكوس القلب[٣٥].[٣٦]

وبناء على ما ورد سابقاً فإن على من يريد الاستدلال بآية أو مقطع من الآيات أن يتجنب وصل كلامه بالآية لفظاً أو كتابة حتى لا يظن القارئ أنها من القرآن الكريم، ويكون الكاتب قد ألحق بكتاب الله ما ليس منه، حيث يجب أن يصان القرآن الكريم عن أن يدخل فيه ما ليس منه[٣٧].

المطلب الرابع: إيراد اللفظ القرآني المستدل به كاملاً يتم به المعنى المراد:

يجب على من يستدل بآية قرآنية أن يورد اللفظ بما يؤدى به المعنى المراد، "فمن قواعد الاستدلال المنهجي السليم: أن يكون النظر فيه شاملا الجميع النصوص والقواعد الشرعية، فلا ينظر في بعض النصوص ويهمل بعضها"[٣٨].

وبناء على ذلك فإنه يجب الحذر من بتر النص الشرعي، حتى لا يشابه المشركين وديدنهم وقت نزول الوحي حيث حكى الله تعالى فعلهم في كتابه العزيز وحذر منه فقال: { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) } [البقرة: ٨٥] حيث حكى فعل اليهود الذين كانوا يتخيرون من كتابهم ما يرضيهم، أما إذا كان ماورد في الكتاب لايقع موقع القبول والرضا عندهم فإنهم يعرضون عنه ويعرضون عما لا يقع منهم موقع الرضا والقبول، والآية عامة في كل من يفعل هذا الفعل المشين، فلم يورد تعالى موقف اليهود إلا للحيطة والحذر وأخذ العظة والعبرة، وتجنب ما فعلوه وما زالوا يفعلوه، لاسيما أن الآية ورد فيها "استفهامٌ بمعنى الإنكار والتَّوبيخ والتَّهديد"[٣٩]

وهذا الأمر خلاف المسلمين الذين وصفوا بالإيمان به كله في قوله: {وتؤمنون بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ} [آل عمران: ١١٩][٤٠].

ويضاف إلى ما ذكر ما يسمى بالاقتباس، فلا يقتبس الكاتب آيات أو جزء منها ليضمن بها كلامه، إلا إذا كان عالماً بمواضع الاقتباس وطريقته التي ارتضاها العلماء في كتب علوم القرآن الكريم حتى لا يخرج الأمر من موضع الجد إلى الهزل، يقول ياقوت الحموي: "والثالث- أي المردود - على ضربين: أحدهما، ما نسبه الله تعالى إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه، والآخر تضمين آية كريمة في معنى هزل، ونعوذ بالله من ذلك"[٤١]، والقرآن الكريم لم ينزل لهذه الغاية بل نزل ليكون كتاب هداية وإرشاد لا مزح أو هزل، يقول الإمام فخر الدين الرازي في حديثه عن قوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)} [الكافرون: ٦] " قال: جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة، وذلك غير جائز؛ لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به بل ليتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه"[٤٢]، وورد عن إبراهيم النخعي أنه قال:" كانوا يكرهون أن يتلو الآية عند الشيء يعرض من أمر الدنيا"[٤٣]، وقد جاء عن ابن مسعود ﷺ قوله:" جَردوا القرآن؛ لا تلبسوا به ما ليس منه"[٤٤]، ومن أراد أن يقتبس شيئاً من القرآن الكريم عليه مراجعة ضوابط ذلك في الكتب التي اهتمت بعلوم القرآن الكريم، وحتى لا يلحق ماليس من القرآن به، فقد يظن البعض أن الكلام التذي أتى بجانب الآيات أنها من القرآن الكريم، وحتى لا يدخل الكاتب في قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)} [آل عمران: ٧٨] ويجب أن يصان القرآن الكريم عن أن يدخل فيه ما ليس منه[٤٥].

المطلب الخامس: الاستماع والإنصات للقرآن الكريم:

الإنصات للقرآن الكريم له مكانة عظيمة في الإسلام، وقد أشار العلماء إلى أهمية الاستماع بتدبر واحترام عند قراءة أو سماع القرآن الكريم، حيث أن ابن جرير - رحمه الله - : في تفسيره لقوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)} [الأعراف: ٢٠٤] أوضح أن الاستماع والإنصات سبب لفهم الآيات، والاعتبار بمواعظه، وحصول الرحمة[٤٦]، وقال أبو حيان- رحمه الله - : " لما ذكر أن القرآن بصائر وهدى ورحمة؛ أمر باستماعه إذا شرع في قراءته، وبالإنصات وهو السكوت مع الإصغاء إليه؛ لأن ما اشتمل على هذه الأوصاف من البصائر والهدى والرحمة حري بأن يصغى إليه حتى يحصل منه للمنصت هذه النتائج العظيمة، وينتفع بها، فيستبصر من العمى، ويهتدي من الضلال ويرحم بها"[٤٧]ويقول الشيخ السعدي- رحمه الله -: " هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

٣٥ - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٦/ ٥٠٢) برقم: ٣٢٣١٤.
٣٦ - بتصرف من: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي (١/ ٢٦٦، ٢٦٧)
٣٧ - انظر: شرح ابن عبد العز للعقيدة الطحاوية (١/ ١٦)
٣٨ - الاستدلال الأعمى فهد العجلان (ص: ٥٧) مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، العدد: ٣١٦، نوفمبر – ذو الحجة.
٣٩ - انظر: التفسير الوسيط للواحدي (١/ ١٧٠)، التيسير في التفسير للنسفي (٢/ ٣١٥)
٤٠ - التفسير البسيط للواحدي (٨/ ٥٥١)
٤١ - انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (٢/ ٤٥٥).
٤٢ - مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (٣٢/ ٣٣٣).
٤٣ - فضائل القرآن لأبي عبيد (ص١٢٣).
٤٤ - أخرجه الإمام عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٦٠).
٤٥ - انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٦)
٤٦ - جامع البيان لابن جرير الطبري (١٣/ ٣٤٥)
٤٧ - البحر المحيط (٥/ ٢٦١)

وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً كثيراً، وعلماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدى متزايداً، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تلي عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير"[٤٨]

وذكر ابن القيم- رحمه الله-"أن الله سبحانه في كتابه إنما أثنى على المستمعين للقرآن، وحمد هذا السماع، وذم المعرضين عنه، وجعلهم أهل الكفر والجهل، الصم البكم الذين لا يعقلون، قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)} [الأعراف: ٢٠٤] ، وقال تعالى: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)} [الأنفال: ٢]، وقال تعالى في حق المنعم عليهم: {إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا} [مريم: ٥٨]، وقال تعالى:{وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ} [المائدة: ٨٣]، وقال: {إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) } [الإسراء: ١٠٧].

وقال في ذم المعرضين عن هذا السماع: {۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) } [الأنفال: ٢٢ - ٢٣]، وقال: {وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١)} [البقرة: ١٧١]، وقال: {وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣)} [الفرقان: ٧٣]"[٤٩].

إن مواقع التواصل الاجتماعي زاخرة بمقاطع ترافقها آيات من الذكر الحكيم والتي تتطلب من المستمع أن ينصت إليها، وقد بين تعالى موقف المشركين لما أحسوا بل وشاهدوا مشاهدة العيان أن قراءة القرآن له تأثير عظيم، وأن هذه الدعوة الجديدة- الدعوة الإسلامية – قد انجذب الناس إليها بمختلف طبقاتهم وقبائلهم وأجناسهم، فنادوا بين أقرانهم أن لا تسمعوا لهذا القرآن، حيث حكى قولهم: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) } [فصلت: ٢٦] إلا أن الله تعالى لم يبلغهم ما تسعى إليه آمالهم، وجعل للقرآن طريقاً إلى قلوب جميع الثقلين مهما اختلف الزمان والزمان.

المبحث الثالث: أدب التعامل مع معاني القرآن الكريم في وسائل التواصل الاجتماعي:

يركز هذا المبحث على توضيح النهج الواجب اتباعه عند تناول معاني ألفاظ القرآن الكريم. فالقرآن ليس مجرد كلمات خالية من المعاني، بل هي ألفاظ غنية بالدلالات العميقة والمعاني الوفيرة، مما يتطلب التعامل معها بأسلوب دقيق وفق الطريقة التالية:

المطلب الأول: الرجوع للمصادر الموثوقة لبيان معانيه:

على من يرغب في الحديث عن القرآن الكريم أو نشر ما يتعلق به وبآياته أن يستند إلى المصادر العلمية الأصلية والموثوقة، بعيدًا عن الخرافات والأباطيل. فلا يجوز لأحد الخوض في أي علم دون امتلاك معرفة شاملة ورؤية متعمقة فيه، وبخاصة ما يتعلق بالقرآن الكريم. فهذا المجال يتطلب عقولًا مستنيرة، وأفهامًا متعلمة، وقلوبًا متخصصة في علومه وتفسيره.

والمصادر الموثوقة هي التي ما كان من شأنها "التبليغ عن الله سبحانه وصاحبها يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق؛ فيكون عالما بما يبلغ، صادقا فيه. ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلا في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله، وحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، وليوقن أنه مسؤول غدا وموقوف بين يدي الله"[٥٠].

يقول الإمام الطوفي: "الاستدلال يستدعي أهليته، أي: يقتضي أن يكون المستدل من أهل الاستدلال"[٥١]، وهذه الأهلية هي التي تجعل من الاستدلال صحيحاً، بل تجعل الدليل أهلا لأن يؤخذ به في معرض الاستدلال.

لا سيما وأن كثيراً من "كتب الناس وآرائهم ومعقولاتهم هي في علوم لا ثقةَ بها، وإنما هي آراء وتقليد، وبين ظنون كاذبة لا تُغني من الحق شيئًا وبين أمور صحيحة لا منفعة للقلب فيها، وبين علوم صحيحة قد وعّروا الطريق إلى تحصيلها، وأطالوا الكلام في إثباتها، مع قلة نفعها، فهي لحمُ جملٍ غَثٍّ، على رأس جبل وَعْر، لا سهلٌ فيُرتقَى، ولا سمينٌ فينتقل. وأحسنُ ما عند المتكلمين وغيرهم فهو في القرآن أصح تقريرًا وأحسن تفسيرًا، فليس عندهم إلا التكلف والتطويل والتعقيد.

فهم يزعمون أنهم يدفعون بالذي وضعوه الشُّبَه والشكوك، والفاضل الذكي يعلم أن الشبه والشكوك زادت بذلك"[٥٢].

---

[٤٨] - تيسير الكريم الرحمن (ص٣١٤)

[٤٩] -الكلام على مسألة السماع (١/ ١٦٥)

[٥٠] - بتصرف يسير من: أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/ ١٧).

[٥١] - شرح الطوفي لمختصر الروضة (١/ ١٥٤)

[٥٢] - انظر: إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن القيم (١/ ٧٠ - ٧١).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المطلب الثاني: الموضوعية والحيادية في الدفاع عنه:

لا شك في مكانة القرآن الكريم وعظمته كونه مقدماً على كل ما سواه. ومع ذلك، ينصب الحديث هنا على تفسير آياته من خلال أقوال العلماء والمفسرين، فلا يجوز قبول رأي عالم بعينه قبولاً أعمى دون إمعان النظر في أقوال علماء آخرين، فقد تكشف هذه الآراء عن جوانب جديدة تُضعف بعض الأقوال وتُقوي غيرها. ومن هنا، يجب التركيز على مضمون الحديث المرتبط بالقرآن نفسه، وليس على شخصية المتحدث. وينبغي أن يكون الهدف هو الوصول إلى الحق، بعيداً عن المكابرة أو التعصب لرأي أو عالم أو مذهب أو معتقد. فمن يتبع هذا النهج يبتعد عن الحياد والموضوعية و"فيه شبه من اليهود والنصارى والمشركين حيث تجده يغلو في بعض المخلوقين من المشايخ والأئمة والأنبياء وغيرهم، إذا ذكروا بما يستحقونه أنكر ذلك ونفر منه وعادى من فعل ذلك"[٥٣]، وما دعاه لفعل ذلك إلا "أن يكون شيخ أحدهم في صدره أعظم من الله"[٥٤].

المطلب الثالث: توضيح اللبس فيما يقع:

إن وسائل التواصل الاجتماعي كيان مفتوح يرتاده الناس من كل المستويات العلمية إلا أن السواد من عامة الناس الذين يتأثرون بكل ما يلقى إليهم، وهذا الأمر سلاح ذو حدين، وحري بالمتخصص في علوم القرآن الكريم والتفسير أن يبين الحق فيما يتعلق بالقرآن الكرمي وآياته، وهذا الأمر يدخل في أداء العلم ونشره والتي هي مهمة الرسل – عليهم السلام – فلقد وصف الله تعالى نبيه إبراهيم بذلك فقال: {إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا }[النحل: ١٢٠] ولما سئل عبد الله بن مسعود ﷺ عن معنى "أمة" أجاب: "الذي يعلم الناس الخير"[٥٥] وسار على ذلك أتباعهم المؤمنين من بعده، لا سيما ما لنشر العلم من أجر ومثوبة، حيث يقول النبي ﷺ: [خيركم من تعلم القرآن وعلمه][٥٦] وقالﷺ : [إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير][٥٧] وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة.

ويجب ترك ما يطرح من باطل دون بيان الحق يجعل الباطل ينتشر والحق يندثر، لا سيما أن ما يعرض في وسائل التواصل الاجتماعي من "الشبهات والشهوات، فإن القرآن شفاء للنوعين؛ ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يُبيّن الحق من الباطل، فتزول أمراض الشُّبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية ــ من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد، والنبوّات، ورد النِّحَل الباطلة والآراء الفاسدة ــ مثل القرآن؛ فإنه كفيل بذلك كله، متضمن له على أتمّ الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول، وأفصحها بيانًا، فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه"[٥٨].

ولابد من مراعاة اللغة السهلة البسيطة في بيان ما يلتبس على الناس لا سيما كما ذكر سابقاً أن وسائل التواصل الاجتماعي تمتلئ بالعوام.

المطلب الرابع: الاستدلال بالآيات فيما أريد بها حقيقة:

حيث يعرض الآيات بألفاظها ومعانيها على حقيقتها، وفق السياق الذي وردت فيه[٥٩]، لاسيما في المتشابهات، وهي التي قال عنها الإمام ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ } [آل عمران: ٧] بأنها "ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات"[٦٠]، وحتى لا يجد الكاتب نفسه أمام أدلة الشرع يضرب بعضها بعضاً، يقول ابن قتيبة:" قد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم، والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور"[٦١]

وهذا الأمر يؤدي إلى لبس الحق بالباطل التي تثير الفتنة في الدين "فالفتنة تمنع معرفة الحق أو قصده أو القدرة عليه، فيكون فيها من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل، حتى لا يتميز لكثير من الناس أو أكثرهم"[٦٢].

وحتى لا يقع في كل ذلك فلا يقبل على القرآن بنية مسبقة، وخلفية سابقة، وهدف يبغى تحقيقه، فيضطر إلى أن يعتسف الطريق، ويتكلف الأدلة، ويلوى أعناق النصوص ليا، ويقسرها قسراً، ويستنطقها استنطاقاً، لتشهد له.

الخاتمة:

في ختام البحث الذي أردت به أن يكون معالم للطريق وهدايات للسبيل الأقوم في التعامل مع أعظم كتاب نال من

[٥٣] - الإخنائية لابن تيمية (ص٢٢٤)
[٥٤] -قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لابن تيمية (ص١٠٢)
[٥٥] - جامع البيان لابن جرير الطبري (١٤/ ٣٩٣).
[٥٦] - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، (٦/ ١٨١)
[٥٧] - أخرجه الترمذي في سنن، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٥/ ٥٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال الألباني: صحيح.
[٥٨] - إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن القيم (١/ ٧٠)
[٥٩] - بتصرف من: شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص١٩٧).
[٦٠] - جامع البيان لابن جرير (٥/ ٢٠٤)
[٦١] - تأويل مشكل القرآن (ص٤).
[٦٢] - منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٤/ ٥٤٨)

الكرامة والقداسة ما لم ينله إي كتاب، وبعد ذكر ما ذكرت في طياته توصلت إلى نتائج من أهمها:

- إن التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي يتطلب إعادة الوعي إلى الجيل الصاعد بأهمية القرآن الكريم ومكانته العالية، وتوثيق الصلة به وحسن التعامل معه.
- ينبغي على الكاتب أن يحافظ على تنزيه القرآن الكريم عن أي شكل من أشكال السخرية والاستهزاء، وكذلك أن يصون مكانة النبي المُبلغ عنه، صلوات الله وسلامه عليه.
- للقرآن الكريم خصوصيته في قراءته وكتابته لذا يجب أن تراعى هذه الخصوصية في وسائل التواصل الاجتماعي.
- لقد أصبح التعرض للقرآن الكريم بالقراءة والكتابة والنقاش عبر وسائل التواصل الاجتماعي أمراً لا مفر منه، مما يوجب توضيح آداب التعامل معه بما يليق بمكانته وقدسيته.
- إن تعامل كل أمة مع دستورها في وسائل التواصل الاجتماعي يظهر مدى رقي وتحضر تلك الأمة، وهو ما يجب أن تكون عليه خير أمة مع كتابها وهو القرآن الكريم.
- على من يرتاد وسائل التواصل الاجتماعي حماية القرآن من الاستخدام غير الملائم أو العبث به، سواء عن عمد أو جهل.
- يجب العلم بكيفية التعامل مع الألفاظ النصية للقرآن في منصات التواصل الاجتماعي، من كتابة الآيات بالخط العثماني للحفاظ على الدقة القرآنية، وكتابة الآيات باللغة العربية الفصحى: لتجنب أي أخطاء قد تضر بالنص القرآني.
- عند قراءة الآيات في مواقع التواصل الاجتماعي يجب أن تكون قراءة صحيحة، وتجنب الأخطاء أو اللحن، وإيراد النص كاملاً، وعدم بتر الآيات وضمان عرضها بطريقة تكمل المعنى.
- على من يرتاد وسائل التواصل الاجتماعي الرجوع إلى المصادر الموثوقة، والالتزام بالمراجع الصحيحة عند تفسير أو توضيح معاني النصوص القرآنية، وعرض النصوص بما يتفق مع سياقها ودلالتها الحقيقية، مع الحذر من إساءة استخدامها، مع الحرص على الموضوعية والحيادية والبعد عن التعصب، والبحث عن الحق في التفسير بعيدًا عن الميول الشخصية.

أبرز التوصيات:

معالجة كيفية التعامل مع القرآن الكريم ضمن برامج وتطبيقات الذكاء الاصطناعي.

دراسة الآداب التي يجب مراعاتها مع السنة والسيرة النبوية في وسائل التواصل الاجتماعي.

دراسة الآداب التي يجب مراعاتها مع الأمور العقائدية والأحكام الشرعية في وسائل التواصل الاجتماعي.

المراجع:

- القرآن الكريم
- ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ) شرح العقيدة الطحاوية (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة العاشرة.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) المصنف (١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م) تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، تقديم: ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)، التمهيد في علم التجويد (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) تحقيق: الدكتور على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.
- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري الحنفي (ت٨٦١ هـ) فتح القدير (١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م) شركة مكتبة ومطبعة مصفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى.
- ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (ت ٨٤٠هـ)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) حققه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) الإخنائية (الرد على الأخنائي قاضي المالكية)، (١٤٢٣هـ) تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الأولى.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، بدون ط.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)، تحقيق: سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الثانية.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد (٢٤١ هـ) المسند (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- ابن سلام، القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤ هـ) فضائل القرآن (١٤١٥هـ -١٩٩٥م) تحقيق: جماعة من العلماء، دار ابن كثير (دمشق - بيروت) الطبعة الأولى.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ) المحكم والمحيط الأعظم (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى.
- ابن عثيمين، لمحمد بن صالح بن محمد (ت ١٤٢١هـ)، القول المفيد على كتاب التوحيد (محرم ١٤٢٤هـ) دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) مجمل اللغة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بدون ط.
- ابن قيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (٦٩١ - ٧٥١)، أعلام الموقعين عن رب العالمين (١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م)، تحقيق مجموعة من العلماء، دار عطاءات العلم - الرياض، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الثانية.
- ابن قيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (٦٩١ - ٧٥١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م)، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير - محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم - الرياض، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الثالثة.
- ابن قيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (٦٩١ - ٧٥١) الكلام على مسألة السماع (١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م) تحقيق: محمد عزير شمس، راجعه: محمد أجمل الإصلاحي، عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عطاءات العلم، الرياض، الطبعة الثالثة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) لسان العرب (١٤١٤هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة.
- أبو حاقة، أحمد وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، دار النفائس، الطبعة الأولى.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ)، البحر المحيط في التفسير (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، بعناية: زهير جعيد، دار الفكر – بيروت.
- أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم (ت ١٤٠٣هـ) المدخل لدراسة القرآن الكريم (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة الثانية.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (ت ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة (٢٠٠١م) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت ١٤٢٠هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي.
- الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م)، طبع ونشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة.
- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه (١٣١١ هـ) تحقيق: جماعة من العلماء،

الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر.

- البستاني، بطرس، معجم محيط المحيط محيط المحيط "قاموس مطول للغة العربية" (١٩٨٧م) مكتبة لبنان – بيروت.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت ٨٨٥هـ) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى.
- بن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ) جمهرة اللغة (١٩٨٧م) تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ) الجامع الكبير (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية.
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.
- الجرجاني، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، التعريفات (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة الأولى.
- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، أحكام القرآن (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الخامسة.
- الحَلِيمي، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله (ت ٤٠٣ هـ) المنهاج في شعب الإيمان (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، الطبعة الأولى.
- الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الأزراري (ت ٨٣٧هـ) خزانة الأدب وغاية الأرب (٢٠٠٤م) تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة الأخيرة.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب "التفسير الكبير" (١٤٢٠هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة.
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت ٦٦٦هـ) مختار الصحاح (١٤٢٠هـ -١٩٩٩م) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة.
- الزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.
- الزُّرْقاني: محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت ١٣٧٦هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ) الانتصار لأصحاب الحديث (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، تحقيق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار – السعودية، الطبعة الأولى،
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت ٧٩٠ هـ) الموافقات (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى.
- شلبي، لعبد الفتاح إسماعيل، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، مكتبة وهبة، بدون طبعة.
- صادق، عباس مصطفى، الاعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة (٢٠١١م)، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال.
- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (٢١١ هـ) المصنف (١٤٠٣ هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، توزيع المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة الأولى.

- الطرطوشي، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر المالكي (ت ٥٢٠هـ) الحوادث والبدع (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة.
- الطليحي، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت ٥٣٥ هـ) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، محمد بن محمود أبو رحيم، دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة الثانية.
- الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ). شرح مختصر الروضة (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (١٤٢٨هـ)، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية.
- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، المحرر في علوم القرآن (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة الثانية.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ) العين، تحقيق: د/مهدي المخزومي، د/إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون ط.
- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية.
- القشيري، بكر بن العلاء لأبي الفضل بكر بن محمد بن العلاء البصري المالكي (ت ٣٤٤ هـ)، أحكام القرآن (١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م)، رواية: أبي بكر محمد بن عبد الله الأدفوي عنه، تحقيق: سلمان الصمدي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، جمهورية مصر العربية.
- مختار، لأحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، عالم الكتب، الطبعة الأولى.
- مسعود، جبران، معجم الرائد معجم لغوي عصري (١٩٩٢م)، دار العلم للملايين.
- معبد، محمد أحمد محمد (ت ١٤٣٠هـ) نفحات من علوم القرآن (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) دار السلام – القاهرة، الطبعة الثانية.
- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (ت ١٠٣١هـ) التوقيف على مهمات التعاريف (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) عالم الكتب، عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة الأولى.
- النسائي، أبو خيثمة زهير بن حرب (ت ٢٣٤ هـ) العلم (١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية.
- النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي (٤٦١ - ٥٣٧ هـ)، التيسير في التفسير (١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م) تحقيق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، الطبعة الأولى.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) تحقيق وتعليق: جماعة من العلماء، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.
- الرسائل العلمية:
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ) التفسير البسيط (١٤٣٠ هـ) تم تحقيقه في رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، وقامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى.
- المجلات العلمية:
- العجلان، فهد، الاستدلال الأعمى (العدد: ٣١٦) مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، نوفمبر – ذو الحجة.
- راضي، زاهر، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي (٢٠٠٣م، العدد ١٥) مجلة التربية، جامعة عمان الأهلية، عمان.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

مقصد الرحمة الإلهية في ضوء التنوع اللغوي في القراءات القرآنية وأثره في خدمة الإنسانية دراسة وصفية.

د. أميمة بنت عبد الرحمن بن عبد القادر حلبي

أستاذ مساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية- بالكلية الجامعية بالليث- جامعة أم القرى- السعودية.

The Purpose of Divine Mercy in Light of Linguistic Diversity in Quranic Readings and Its Impact on Serving Humanity A Descriptive Study.

Dr. Omaimah Abdulrahman Halabi

Assistant Professor, Department of Da'wah and Islamic Culture, Al-Lith University College, Umm Al-Qura University.

E-mail: oahalabi@uqu.edu.sa

الكلمات المفتاحيّة:

المقصد، القراءات، رحمة إلهية، تنوع لغوي، الإنسانية.

KEY WORDS:

Purpose, Readings, Divine Mercy, Linguistic Diversity, Humanity.

مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان الكيفية التي يمكن من خلالها بيان أثر اختلاف القراءات القرآنية في إيضاح مقصدا من مقاصد الرحمة الإلهية التي تجلت من خلال التيسير والتنوع اللغوي والتكليفي، وكيف انعكس ذلك التنوع على البعد اللغوي وفي فهم معاني القرآن الكريم، وبيان أثر التنوع اللغوي للقراءات القرآنية، وأثرها في ربط المجتمعات الإسلامية بعضها ببعض، تيسيرا على الجميع وتأليفا لهم، وقد اعتمدت الباحثة لتحقيق ذلك المنهج الوصفي الاستقرائي، مستعرضًا الآيات القرآنية والحديث النبوي حول القراءات، وخلصت الباحثة إلى بعض النتائج، أبرزها: وجود علاقة وطيدت بين تيسير قراءة القرآن بالقراءات المختلفة وبين مقصد الرحمة، وتنوعت تقرير الرحمة الإلهية حيث ظهرت في عدة صور، منها: السماح لكل مسلم أن يقرأ القرآن على الحرف الذي يسهل عليه تعلمه، وعدم تكلفته بما لا يطيق، وكذلك ساهمت القراءات المختلفة في ضمان بقاء النص القرآني محفوظًا بطريقة دقيقة ومتواترة، مما عزز من استمرارية القرآن الكريم عبر الأجيال، ووفرت القراءات القرآنية مخزونًا لغويًا هائلًا يخدم الباحثين في علوم اللغة والتفسير، وساعدت في فهم النصوص القرآنية بطريقة أكثر عمقًا، وقد أوصت الباحثة بدراسة العلاقة بين مقصد التيسير في التشريع وبين صور الرحمة الإلهية، ودراسة أسلوب القراءات القرآنية في توجيه الأخلاق في ضوء اختلاف القراءات.

ABSTRACT:

This research aims to show how the impact of the difference in Quranic readings can be shown in clarifying a purpose of the purposes of divine mercy that was manifested through facilitation and linguistic and obligatory diversity, and how that diversity was reflected in the linguistic dimension and in understanding the meanings of the Holy Quran, and to show the impact of the linguistic diversity of Quranic readings, and its impact in linking Islamic societies to each other, facilitating and composing for everyone, and the researcher relied on the descriptive inductive method to achieve that.

Reviewing the Quranic verses and the Prophetic Hadith on the readings, the researcher reached some conclusions, the most prominent of which are: the existence of a strong relationship between facilitating the reading of the Quran with different readings and the purpose of mercy. The report of divine mercy varied as it appeared in several forms, including: allowing every Muslim to read the Quran with the letter that is easy for him to learn, and not burdening him with what he cannot bear. Likewise, the different readings contributed to ensuring that the Quranic text remains preserved in an accurate and transmitted manner.

This has enhanced the continuity of the Holy Quran across generations. Quranic readings have provided a vast linguistic resource for researchers in the fields of linguistics and interpretation, and have helped in understanding Quranic texts in a more profound way. The researcher recommended studying the relationship between the purpose of facilitation in legislation and the images of divine mercy, and studying the method of Quranic readings in guiding morals in light of the differences in readings.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على سيّد ولد عدنان وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

القراءات القرآنية هي إحدى مظاهر رحمة الله بعباده، فقد أنزل الله القرآن بسبعة أحرف، تيسيرًا وتسهيلاً على الناس في تلاوته وفهمه. تعدد هذه القراءات لم يكن مجرد تنوع في النطق، بل هو تجسيد للحكمة الإلهية في استيعاب اختلاف ألسنة العرب ولهجاتهم، مما جعل القرآن قريبًا من قلوبهم وعقولهم.

فالقراءات القرآنية تثري المعاني وتوضح الأحكام، وتفتح أبوابًا للتدبر والتأمل، إذ أن كل قراءة تحمل في طياتها لطائف ودقائق تزيد من عمق الفهم لمعاني كلام الله. وهذا التنوع العظيم يعكس مرونة الشريعة الإسلامية وقدرتها على استيعاب البشرية بمختلف ثقافاتهم ولهجاتهم.

إنها نعمة عظيمة تستحق التأمل والشكر، فهي تسهل الحفظ والتلاوة، وتعزز الارتباط بالقرآن الكريم، ليظل هدى ونورًا للناس في كل زمان ومكان.

وعند اطلاعي على مؤتمر مكة الدولي الرابع للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية، أدركت مدى الأثر العميق الذي تتركه هذه الدراسات في بناء المجتمعات وتعزيز القيم الإنسانية. ومن هذا المنطلق، شعرت أن من واجبي أن أساهم بجهدي المتواضع في هذا المجال، فقررت أن أكتب بحثي بهدف تسليط الضوء على جانب مهم يخدم الإنسانية من خلال الدراسات الإسلامية. أسأل الله التوفيق في هذا السعي، وأن يكون جهدي إضافة نافعة لهذا الميدان العلمي الرفيع". من خلال هذا البحث الذي أسميته: (مقصد الرحمة الإلهية في ضوء التنوع اللغوي في القراءات القرآنية وأثره في خدمة الإنسانية، دراسة وصفية)

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول كيفية اعتبار تُعدّد القراءات القرآنية رحمة إلهية من خلال تنوعها اللغوي، وكيف يساهم هذا التنوع في خدمة الإنسانية؟

أسئلة البحث:

١. كيف يمكن اعتبار اختلاف القراءات القرآنية مقصدا من مقاصد الرحمة الإلهية التي تجلت من خلال التيسير والتنوع اللغوي والتكليفي؟

٢. كيف يعكس تنوع القراءات البعد اللغوي في فهم معاني القرآن الكريم؟

٣. كيف أسهمت القراءات القرآنية في تعزيز الوحدة بين المسلمين رغم اختلاف لهجاتهم؟

أهمية البحث:

١. وجود علاقة مقاصدية بين تنزيل القرآن الكريم على سبعة أحرف تيسيرا على الأمة تضمن بيان رحمة الله تعالى بعبادة، من جهة الاعتبار اللغوي والتكليفي معا.

٢. يحمل البحث أهمية كبيرة من عدة جوانب، سواء من الناحية الشرعية أو اللغوية أو الحضارية.

٣. تعدد القراءات القرآنية يُظهر جانبًا من الرحمة الإلهية، حيث نزل القرآن على سبعة أحرف، مما سهّل على العرب من مختلف القبائل قراءته وفق لهجاتهم. وهذا التعدد كان تخفيفًا ورحمة بالأمة، فمكن الجميع من تلاوة القرآن بدون مشقة.

أهداف البحث:

١. بيان مقصد الرحمة الإلهية التي تجلت من خلال تنوع القراءات القرآنية وتيسر قراءة القرآن وفهم معانيه.

٢. بيان أثر التنوع اللغوي للقراءات القرآنية، وأثرها في ربط المجتمعات الإسلامية بعضها ببعض، تيسيرا على الجميع وتأليفا لهم.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي، مستعرضًا الآيات القرآنية والحديث النبوي حول القراءات، بالإضافة إلى المراجع العلمية المتعلقة.

الدراسات السابقة:

عند البحث في الدراسات السابقة حول القراءات القرآنية من زاوية كونها رحمة إلهية وتنوعًا لغويًا، نجد العديد من الأبحاث والكتب التي تناولت هذا الموضوع من جوانب مختلفة، مثل نشأة القراءات، حكمتها، وأثرها في حفظ النص القرآني. فيما يلي بعض أهم الدراسات التي يمكن الاستفادة منها، وأقربها إلى هذا البحث دراسة بعنوان:

(تغاير القراءات القرآنية وأثره في ترسيخ القيم الإنسانية)، للباحث: د/ هادي حسين عبد الله فرج، نشرتها: المجلة العلمية لكلية القرآن الكريم والقراءات وعلومها وضبطها، جامعة الأزهر، مصر، المجلد(٨)، العدد(١)، وقد ركز الباحث جهد حول أثر القراءات وأهميتها في إبراز القيم الإنسانية، وكيفية تطبيقها في الواقع المعاصر، وخلص الباحث من خلال البحث إلى بيان أهمية القيم الإنسانية في حياة الفرد والمجتمع، ومن أهمها: التكافل الاجتماعي، والتواضع، والعلم، وحسن المعاملة، والتأكيد والوضوح في نقل الأخبار، وقيمة الإنفاق، والإخلاص، فهذه أقرب الدراسات التي وقفت عليها الباحثة، وهي للمتأمل فيها عامة تناولت عدة قيم في حين أن هذا البحث سيركز على مقصد الرحمة التي كانت سببا في إنزال القرآن على سبعة أحرف وتيسير قراءته بالقراءات المتواترة المشهورة، وكيف كان هذا التنوع سببًا في التيسير على الأمة وتعزيز الوحدة الإسلامية رغم اختلاف اللهجات والثقافات، وكيف أسهم ذلك

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

في انتشار القرآن عالميًا بسهولة دون أن يكون هناك صعوبة في التلاوة أو الفهم.

المبحث الأول: مفهوم القراءات القرآنية وأسباب نشأتها،

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم القراءات القرآنية:

أولا: القرآن في اللغة: مصدر قرأ يقرأ قراءة، ويسمّى كلام الله الذي أنزله على نبيه كتاباً وقرآناً وفرقاناً، ومعنى القرآن الجمع، وسمي قرءاناً، لأنه يجمع السّور ويضمّها، قال تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة:١٧]، أي: جمعه وقراءته، وقرأت الشيء قرءاناً، جمعته وضممّت بعضه إلى بعض [١].

قال ابن فارس [٢]: " القاف والراء والحرف المعتل، أصلٌ صحيح، يدلُّ على جمع واجتماع " [٣].

القرآن في الاصطلاح: كلام الله تعالى الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم بألفاظه العربية، ومعانيه الحقّة، ليكون حجة وبرهاناً للرسول صلى الله عليه وسلم على أنه رسول من عند الله ، ودستوراً للناس يهتدون بهداه، وقُرْبةً يتعبدون بتلاوته، وقد دُوّن هذا الكلام العظيم بين دفَّتي المصحف، مبدوءً بسورة الفاتحة، ومختوماً بسورة الناس، ونقل إلينا بالتواتر كتابةً ومشافهة، جيلاً عن جيل، محفوظاً من أي تغيير أو تبديل مصداقاً لقول الله تعالى فيه: {**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**} [الحجر:٩] [٤].

ثانيا: تعريف القراءات القرآنية:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر: قرأ يقرأ قراءة فهو قارئ، ويقال: قرأ فلان قراءةً، واستقراه: بمعنى طلب منه أن يقرأ، وقرأ الكتاب قراءةً: أي تتبع كلماته نظراً ونطق بها [٥].

القراءات في الاصطلاح: كما عرفها ابن الجزري بقوله: "هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها بعزو النَّاقلة" [٦].

وعرفها بدر الدين الزركشي [٧] أيضاً فقال: "هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كَتَبَة الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيلٍ وغيرهما" [٨].

وقد عرفها شهاب الدين القسطلاني [٩] تعريفاً جامعاً مانعاً فقال بأنها: "علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع" [١٠].

ومما تجب ملاحظته أن القراءات القرآنية هي التنوعات الصوتية واللغوية لقراءة القرآن الكريم، حيث أُقرّت هذه القراءات بناءً على الروايات المتواترة عن الصحابة والتابعين. وتعود أهمية هذه القراءات إلى كونها تُظهر جمال اللغة العربية ومرونتها، وتعزز من فهم معاني القرآن الكريم من زوايا مختلفة.

المطلب الثاني: نشأة القراءات القرآنية:

نشأة علم القراءات القرآنية تعود إلى زمن النبي محمد ﷺ، حيث نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف، تسهيلًا وتيسيرًا على الأمة. كان النبي ﷺ يُقرئ الصحابة بهذه الأحرف المتعددة، مما أدى إلى ظهور اختلافات في التلاوة بين الصحابة [١١].

بعد وفاة النبي ﷺ، ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، بدأت تظهر اختلافات في قراءة القرآن بين المسلمين من مختلف المناطق. هذا الأمر دفع الخليفة الثالث، عثمان بن عفان رضي الله عنه، إلى جمع المسلمين على مصحف واحد، يُعرف بالمصحف العثماني، لتوحيد القراءة والحد من هذه الاختلافات.

فيما بعد، ومع تطور علم القراءات، قام العلماء بجمع وتدوين هذه القراءات. من أبرز هؤلاء العلماء الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (توفي سنة ٣٢٤ هـ)، الذي كان أول من اقتصر على قراءة القراء السبعة المشهورين [١٢].

([١]) ينظر: لسان العرب، (٣٥٦٣/٥)

([٢]) هو: أحمد بن فارس بن زكريا، القزويني، الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، أصلة من قزوين وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ وتوفي فيها، من تصانيفه، (مقاييس اللغة)، و(جامع التأويل في تفسير القرآن)، و(الحماسة المحدثة)، و(الفصيح)، وغيرها، ينظر: سير أعلام النبلاء، (١٠٣/١٧)، والأعلام، (١٩٣/١).

([٣]) معجم مقاييس اللغة، (ص٨٥٢).

([٤]) ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر، (٦٢/١)، والنبأ العظيم، (ص١٠)، القراءات وأثرها في التّفسير والأحكام، (٢٦/١)

([٥]) ينظر: لسان العرب، (٣٥٦٣/٥)

([٦]) مُنجد المقرئين ومرشد الطالبين، (ص٤٩).

([٧]) هو: محمد بن عبد الله بن بهادر، بدر الدين، الزركشي، فقيه أصولي، محدث، أحد العلماء الأثبات، الذين نجموا بمصر في القرن الثامن، ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ، وتوفي بمصر في رجب سنة ٧٩٤هـ، ودفن بالقرافة الصغرى، وله مؤلفات كثيرة، منها: (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة عن الصحابة)، و(إعلام الساجد بأحكام المساجد)، و(البحر المحيط في أصول الفقه)، و(البرهان في علوم القرآن)، و(تفسير القرآن) وغيرها، ينظر: حسن المحاضرة، (٤٣٧/١)، معجم المؤلفين (٤٣٣/٣).

([٨]) البرهان في علوم القرآن، (٣١٨/١).

([٩]) هو: أحمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلاني، شهاب الدين، أبو العباس، المصري، الشّافعي، الإمام العلامة، الحجة، الفقيه، المقرئ، يرجع نسبه إلى قسطلة، وهي إقليم بأفريقية، ولد في القاهرة سنة ٨٥١هـ، ونشأ بها، حفظ القرآن، والشاطبيّة، والطّيبة، وأحكام التلاوة، وحفظ الوردية في النحو، ومتوناً أخرى في فنون الثقافة الإسلامية، له مؤلفات كثير مثل: (الحديث وروايته)، و(القراءات والاحتجاج لها)، و(التصوف) و(الأخلاق) ويعتبر شرحه للبخاري من أبرز مؤلفاته، توفي سنة ٩٢٣هـ، الأعلام، (٢٣٢/١).

([١٠]) لطائف الإشارات لفنون القراءات، (١٧٠/١).

(١١) ينظر: القراءات القرآنية: نشأتها وتطورها، الدكتور شوقي ضيف، (١٢٠-١٢٥).

(١٢) ينظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ٣٣٥)، الأحرف السبعة للقرآن، (ص: ١١)، البرهان في علوم القرآن، (٣١٨/١)

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المطلب الثالث: أنواع الاختلافات في القراءات:

تعدد اللهجات القرآنية من أبرز خصائص القرآن الكريم، فهي تظهر سعة رحمة الله تعالى بعباده، حيث أجاز سبحانه وتعالى للناس تلاوة القرآن بشكل يسير وفقًا لثقافاتهم ولهجاتهم -رحمة منه- وهذا التعدد يفيد تنوع المعاني والقراءة والأحكام، فهو يعكس تنوعًا في أسلوب النطق أو في بعض الكلمات مع الحفاظ على المعنى ذاته، أو يضيف إليه معنى يكمله، بل قد يتسع المعنى حتى تحتمل كل قراءة معنى غير معنى الأخرى أو حكما غير حكمها، مكملا له، أو مفصلا، أو موسعا، ومن الأمثلة على ذلك:

١. الاختلاف في نطق بعض الحروف:

- مثال: (مالك يوم الدين) و (ملك يوم الدين)، في قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: ٤] حيث قرأ عَاصِم وَالْكسَائِيّ: {مَالك يَوْم الدّين} بِالْألف وَالْبَاقُونَ: (ملك يوم الدين)[١٣]، وهاتان القراءتان متواترتان وهناك قراءات شاذة ذكرها ابن الجزري في النشر مع المتواترة قال: "(وَقَرَأَ) أَبُو صَالِحٍ (مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ) بِأَلِفٍ وَالنَّصْبِ عَلَى النِّدَاءِ، وَكَذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ السَّمَيْفَعِ الْيَمَانِيُّ وَهِيَ قِرَاءَةٌ حَسَنَةٌ، (وَقَرَأَ) أَبُو حَيْوَةَ (مَلِكَ) بِالنَّصْبِ عَلَى النِّدَاءِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، (وَقَرَأَ) عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (مَلَكَ يَوْمَ) فَنَصَبَ اللَّامَ وَالْكَافَ وَنَصَبَ (يَوْمَ) فَجَعَلَهُ فِعْلًا مَاضِيًا، وَرَوَى عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو (مَلْكِ يَوْمِ الدِّينِ) بِإِسْكَانِ اللَّامِ وَالْخَفْضِ وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ"[١٤]

وقد فرق بعض العلماء بين (ملك ومالك) فرجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى، وهذا غير مَرْضِيٍ؛ لأن كلتيهما متواترةُ، قال شهابُ الدين أبو شامة[١٥]: "...وقد أكثر المصنِّفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين هاتين القراءتين، حتى إن بعضهم يُبالغُ في ذلك إلى حدًّ يكاد يُسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمودٍ بعد ثبوت القراءتين وصحة اتصاف الربِّ بهما، ثم قال: " حتى أني أُصلِّي بهذه ركعة وبهذه ركعة"، ولنذكر بعض الوجوه المرجّحة تنبيهاً على معنى اللفظة لا على الوجهِ الذي قصدوه، فمما رُجّحت به قراءةُ (مالك) أنها أمدح لعموم إضافته، ومما رُجّحت به قراءة (ملك) أنه وَصَفَ نفسهُ بأنه مالك كل شيء"[١٦].

إلا أن بعض العلماء رجح قراءة الجماعة لثلاثة أوجه:

الأول: أن الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله، وأما الملك فهو سيد الناس.

والثاني: قوله تعالى: {وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} [الأنعام: ٧٣]

الثالث: أنها لا تقتضي حذفاً، والأخرى تقتضيه؛ لأن تقديرها مالك الأمر، أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل..."[١٧].

إلا إنه من خلال أقول العلماء، تبين أن لكل قراءة دلالتها الخاصة إذا ما أفردناها، فإذا اجتمعتا جعلت كل قراءة بمنزلة الآية وكل قراءة تعضد الأخرى ليكتمل المعنى ويتضح، وهو مقصد اختلاف القراءات فبأي وجه قرأ الناس فقد أدركوا المعنى إما تصريحا وإما تضمينا.

٢. الاختلاف في صيغة الفعل:

ومنها الاختلاف في صيغة الفعل بين الأمر والماضي كما في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنبياء: ٤] قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ وَحَفْصٌ قَالَ بِأَلِفٍ عَلَى الْخَبَرِ، وَالْبَاقُونَ (قُلْ) بِغَيْرِ أَلِفٍ عَلَى الْأَمْرِ[١٨].

فمن قرأ (قال) على الماضي فالوجه أنّه إخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول، فالقولُ مسندٌ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو البشر في قوله تعالى: {هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} [الأنبياء: ٣].

ومن قرأ (قل) على الأمر، فالوجه أنه على الأمر للرسول عليه السلام بأنْ يقول لهم، إنَّ ربيّ يَعلمُ القولَ، يعني السرَّ والنجوى، فقد قال تعالى: {وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} [الأنبياء: ٣]، فقيل للرسول: قل لهم إن ربي يعلم القول في السماء والأرض، فهو عالمٌ بسرِّكم ونجواكم[١٩].

قال ابن خالويه: " الحجة لمن أثبت أنه جعله فِعلاً ماضياً أُخبِر به، والحجة لمن حذف أنه جعله من أمر النبيِّ صلى الله عليه وسلم" [٢٠].

٣. الاختلاف في الحروف:

من الأمثلة على ذلك اختلاف القراء في قوله تعالى في سورة التوبة: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

(١٣) التيسير في القراءات السبع (ص: ١٨)، النشر في القراءات العشر (١/ ٤٧)

(١٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٤٧)

(١٥) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، الدمشقي، أبو القاسم شهاب الدين، أبو شامة، مؤرخ، ومحدث، وباحث، أصله من القدس، ومولده في دمشق، ونشأ بها وتوفي فيها، وولي بها مشيخة دار الحديث الأشرفية، له كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، والصلاحية النورية، وغيرها، ولد سنة (٥٩٩هـ)، وتوفي سنة (٦٦٥هـ - ١٢٦٧م)، ينظر: الأعلام، (٣/٢٩٩).

(١٦) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (١/٤٨-٤٩).

(١٧) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/٦٤-٦٥)

(١٨) السبعة، (ص٤٢٨)، النشر في القراءات العشر، (٢/ ٣٢٣)

(١٩) ينظر: حجة أبي علي الفارسي، (١٥٧/٣)، حجة ابن خالويه، (ص٢٤٨)، الكشف، (١١٠/٢)، حجة أبي زرعة، (ص٤٦٥ - ٤٦٦)، إتحاف فضلاء البشر، (٢٦١/٢)

(٢٠) حجة ابن خالويه، (ص٢٤٨).

وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠].

حيث قرأ ابْن كثير {من تحتهَا} بِزِيَادَة {من} وخفض التَّاء، وَالْبَاقُونَ بِغَيْر {من} وَفتح التَّاء (٢١).

قال ابن الجزري: " وَاخْتَلَفُوا فِي: (تَجْرِي تَحْتَهَا)، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْأَخِيرُ فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ بِزِيَادَةِ كَلِمَةِ " مِنْ " وَخَفْضِ تَاءِ (تَحْتِهَا)، وَكَذَلِكَ هِيَ فِي الْمَصَاحِفِ الْمَكِّيَّةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِحَذْفِ لَفْظِ " مِنْ " وَفَتْحِ التَّاءِ، وَكَذَلِكَ هِيَ فِي مَصَاحِفِهِمْ"(٢٢).

١. الاختلاف في الإدغام والإظهار:

ومثال ما جاء في قوله تعالى: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا} [الذاريات: ١].

حيث قرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء في الذال (٢٣).

والوجه أن التاء، أدغمت في الذال لتقارب مخرجيهما؛ لأنهما جميعاً من طرف اللسان، وأصول الثنايا.

وقرأ الباقون: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا} بالإظهار، وهو الأشهر، أي ترك الإدغام؛ لأنهما ليسا بمثلين، وهما من كلمتين، فالإظهار أولى.

وعلة الإدغام: أن الذال أقوى من التاء؛ لأن فيها صفة الجهر، فحسن الإدغام لذلك ولخروجهن من الفم (٢٤)؛ ولأن الإدغام يقوى به الحرف الأول؛ لأنه يبدل بأقوى منه (٢٥).

قال السمين الحلبي: ".. وجه إدغام التاء في الذال لتقاربهما في المخرج، وأما من حيث الصفات فهما مشتركتان في الانفتاح والاستفال، وأن في الذال جهر يقابل بشدة التاء " (٢٦).

ومن حجج الإدغام -أيضا-

١- أنه اجتمع حرفان متماثلان تآخيا واتحدا في المخرج والصفة.

٢ - أن الإدغام وسيلة للاقتصاد في الجهد العضلي أثناء النطق.

٣ - ثقل اجتماع حرفين متماثلين، فإنه إذا اجتمع حرفان متماثلان، ثقل على اللسان أن ينطق بالحرف، ثم يعود مرة أخرى إلى نفس المخرج ليلفظ حرفاً مثله، فكان في الإدغام تخفيف لهذا الثقل (٢٧).

٤ - لتقليل كثرة الحركات (٢٨).

وأما الإظهار فهو الأصل (٢٩)، وهو الأحسن عند جمهور القراء، قال ابن خالويه في حجة الإظهار: " أن التاء متحركة والألف ساكنةٌ قبلها، فالإظهارُ أحسن من الجمع بين الساكنين" (٣٠).

وقال مكي بن أبي طالب في حجته فقال: " ...الإظهار في الحروف هو الأصل؛ لأنه أكثر؛ ولأن الواقف يضطر فيه إلى الإظهار" (٣١).

وخلاصة القول في الأمثلة السابقة أن كلا الوجهين -الإظهار والإدغام- جائزان، فمن أدغم فللتخفيف والانسجام الصوتي، ومن أظهر فعلى الأصل، والله أعلم.

تلك الاختلافات لا تُفسر على أنها تغييرات جوهرية في المعنى، بل هي مجرد أوجه متعددة من الأساليب اللغوية التي أتاحها الله تعالى لتسهيل قراءة القرآن على مختلف الأمم والشعوب في بيئات لغوية متنوعة.

المطلب الرابع: أسباب تعدد القراءات:

تعدد القراءات القرآنية لم يكن اعتباطيًا، بل كان لحكمة إلهية عظيمة تيسيرًا للأمة الإسلامية وحفظًا للقرآن الكريم. ويمكن تلخيص أهم الأسباب التي أدت إلى هذا التعدد فيما يلي[٣٢]:

١. التيسير على الأمة والتخفيف عنها:

نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف، وذلك تخفيفًا ورحمةً من الله على عباده، حيث كانت القبائل العربية تمتلك لهجات مختلفة، وكان من الصعب على البعض نطق الكلمات بلهجة واحدة فقط (٣٣).

قال النبي ﷺ :«إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه"(٣٤) وهذا يؤكد أن الهدف الأساسي هو التيسير والتخفيف.

٢. اختلاف لهجات العرب عند نزول القرآن

كانت اللهجات العربية متباينة في نطق بعض الحروف والكلمات، فجاء تعدد القراءات ليتوافق مع هذه

(٢١) التيسير في القراءات السبع (ص: ١١٩)، النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٨٠)

(٢٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٨٠)

(٢٣) السبعة، (ص٥٤٦)، النشر، (٢٣٥/١)

(٢٤) بمعنى أن التاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، الذال من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا.

(٢٥) بتصرف يسير في كلام مكي، الكشف، (١٥١/١-١٥٢)

(٢٦) العقد النضيد في شرح القصيد، (٥١٧/١)، بتصرف يسير.

(٢٧) ينظر: الكشف، (١٣٤/١)

(٢٨) الكتاب، لسيبويه، (٤٣٧/٤).

(٢٩) ينظر: الكشف، (١٥١/١-١٥٢)

(٣٠) حجة ابن خالويه، (ص٣٠٠).

(٣١) الكشف، (١٣٤/١).

٣٢ ينظر: النشر في القراءات العشر، (٣١/١)، الإتقان في علوم القرآن، (١/ ١٨٠)، التيسير في القراءات السبع، ص ٤، البرهان في علوم القرآن، (١/ ٢٧٩)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، (١/ ١٧).

(٣٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، (١/ ١٨٠)، البرهان في علوم القرآن، (١/ ٢٧٩)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، (١/ ١٧).

(٣٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب من لم ير بأسا أن يقول: سورة البقرة، وسورة كذا وكذا: (٦/ ١٩٤)، رقم (٥٠٤١)

الاختلافات، مما جعل تلاوة القرآن ميسّرة لجميع القبائل العربية [٣٥].

a. تعزيز حفظ القرآن الكريم ونقله بالتواتر ساعد تعدد القراءات في ضمان حفظ القرآن عبر الأجيال، حيث نُقل بطرق مختلفة لكنها متوافقة تمامًا مع النص القرآني الأصلي [٣٦]. كل قراءة تمت روايتها بأسانيد صحيحة ومتواترة عن النبي ﷺ، مما جعل تحريف القرآن أو تغييره مستحيلًا.

b. الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم تعدد القراءات أضاف بعدًا إعجازيًا في فهم التراكيب اللغوية للقرآن، حيث إن بعض الكلمات تقرأ بأكثر من وجه مما يثري المعاني [٣٧].

مثال: قوله تعالى "مالك يوم الدين "في قراءة حفص، وقول بعض القراء "ملك يوم الدين"، وكل قراءة تضيف بعدًا دقيقًا في معنى السيطرة والسلطة الإلهية [٣٨].

c. الاختلاف في أداء الحروف والحركات دون المساس بالمعنى بعض الاختلافات في القراءات تتعلق بالنطق الصوتي مثل التخفيف والتشديد والإمالة والإظهار والإدغام، وهذه الفروقات لا تغير المعنى الأساسي، بل تزيد من ثراء اللغة القرآنية [٣٩].

d. توسيع دائرة الفهم الفقهي والتفسيري تعدد القراءات ساهم في إثراء علم التفسير والفقه الإسلامي، حيث إن بعض القراءات تلقي ظلالًا إضافية على الأحكام الشرعية [٤٠].

e. حماية النص القرآني من التحريف والتغيير تعدد القراءات لم يكن سببًا في التغيير، بل كان وسيلة لحفظ القرآن وتأكيد عدم تحريفه، حيث إن أي محاولة للتغيير أو التحريف كانت تُكشف بسهولة من خلال الاختلافات المحفوظة بالتواتر [٤١].

وأخيراً إن تعدد القراءات القرآنية حكمة إلهية عظيمة تبرز مدى رحمة الله بعباده، كما أنه وسيلة لحفظ القرآن الكريم ونشره بين مختلف الشعوب دون عائق لغوي. وهو أحد أعظم مظاهر إعجاز القرآن، حيث حافظ على أصالته رغم تعدد طرق قراءته، مما يجعله خالدًا عبر الأزمان

المبحث الثاني: القراءات القرآنية رحمة إلهية، وفيه ثلاثة مطالب:

القراءات القرآنية تمثل أحد أهم أوجه التنوع اللغوي في القرآن الكريم، وقد أقرّها العلماء بناءً على روايات متواترة عن الصحابة والتابعين. هذه القراءات تتفاوت في بعض الحروف، الكلمات، والكيفية التي يتم بها النطق، لكنّها لا تؤثر على المعنى الأساسي للنص القرآني. في هذه السياقات، يمكن أن تلعب اللهجات القرآنية دورًا مهمًا في تخفيف الأمور على الأمة الإسلامية [٤٢].

تُعدّ القراءات المتعددة وسيلة لتيسير فهم القرآن على الناس بمختلف لغاتهم واللهجات، القراءات المتعددة جعلت من القرآن أكثر قربًا لفهم مختلف المجتمعات الإسلامية. فاللهجات القرآنية التي ظهرت عبر مناطق جغرافية متنوعة، ساعدت في تسهيل تلاوة القرآن على الأمم المختلفة، حيث يمكن لكل مجتمع أن يتلو القرآن بطريقة قريبة من لغته أو لهجته. هذا التيسير ساهم في جعل القرآن أكثر يسراً للأمة في جميع أنحاء العالم [٤٣].

القراءات القرآنية تظهر قدرة اللغة العربية على التكيف مع مختلف الألفاظ والتراكيب. هذا التنوع يساهم في تعزيز قدرة الأمة على التفاعل مع القرآن الكريم من خلال مرونة اللغة العربية، مما يشجع الأفراد على تطوير قدراتهم اللغوية والإبداعية في تلاوة القرآن وفهمه [٤٤].

المطلب الأول: دور القراءات في تخفيف العبء على الأمة:

يُعدُّ تنوع القراءات القرآنية نعمة عظيمة خففت من المشقة على الأمة، حيث أتاح هذا التنوع للمسلمين تلاوة القرآن وفقًا للهجاتهم المختلفة، مما سهّل عليهم النطق وأزال أي عوائق لغوية قد تعترضهم، فبدلًا من إلزام الجميع بلهجة واحدة قد تكون صعبة على بعضهم، جاءت القراءات لتراعي الفروقات اللسانية بين القبائل والشعوب، مما جعل القرآن أكثر قربًا وسهولة للفهم والتلاوة [٤٥].

على سبيل المثال، نجد أن بعض القراءات جاءت بصيغ تتناسب مع طبيعة النطق عند قوم معينين، مما جعل تعلم القرآن وإتقانه أكثر سلاسة دون أن يشعر القارئ بأي

(٣٥) ينظر: النشر في القراءات العشر، (٣١/١)، التيسير في القراءات السبع، (ص ٤)، البرهان في علوم القرآن، (١/ ٢٧٩).

(٣٦) ينظر: النشر في القراءات العشر، (٣١/١)، الإتقان في علوم القرآن، (١/ ١٨٠)، التيسير في القراءات السبع، ص ٤، البرهان في علوم القرآن، (١/ ٢٧٩)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، (١/ ١٧).

(٣٧) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٤١)

(٣٨) سبق تخريج القراءات وبيان معانيها.

(٣٩) ينظر: البرهان في علوم القرآن، (١/ ٢٧٩)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، (١/ ١٧).

(٤٠) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، (١/ ١٨٠)، التيسير في القراءات السبع، ص ٤، البرهان في علوم القرآن، (١/ ٢٧٩)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، (١/ ١٧).

(٤١) ينظر: التيسير في القراءات السبع، ص ٤، البرهان في علوم القرآن، (١/ ٢٧٩)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، (١/ ١٧).

(٤٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، (١/ ١٨٠).

(٤٣) ينظر: النشر في القراءات العشر، (٣١/١)، التيسير في القراءات السبع، (ص ٤).

(٤٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن، (١/ ٢٧٩)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، (١/ ١٧).

(٤٥) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، (١/ ١٢٧)، المعجزة الكبرى القرآن (ص: ٤٢)، مناهل العرفان، (١/ ١٢٧)، الأصلان في علوم القرآن، (ص: ٩٨)، صفحات في علوم القراءات، (ص: ١٣٧).

تعثر أو صعوبة. وهذا التنوع ليس مجرد تيسير لغوي فحسب، بل هو أيضًا رحمة إلهية تعكس مدى مرونة الإسلام في احتواء جميع أبنائه، مهما اختلفت ألسنتهم ولهجاتهم (٤٦).

فالقراءات القرآنية لم تكن سببًا في التفرقة، بل كانت جسورًا تربط بين الشعوب المختلفة، وتجعل القرآن رسالة عالمية يمكن للجميع التفاعل معها بسهولة ويسر، دون أن تقف اللغة عائقًا أمام فهم كلام الله وتدبره.

المطلب الثاني: شواهد من حياة الصحابة:

مواقف الصحابة في تعاملهم مع القراءات القرآنية واستخدام اللهجات القرآنية كانت مليئة بالتسامح والمرونة، مما يعكس فهمهم العميق لمقصد رحمة الله تعالى في تنوع أساليب التلاوة. هؤلاء الصحابة، الذين شهدوا نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقوا القرآن عنه مشافهة، كانوا مدركين للمرونة في قراءة القرآن وفقًا للهجات المختلفة. هنا بعض الأمثلة الموثقة التي توضح مواقف الصحابة في هذا السياق

١. موقف الصحابي عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) مع قراءات القرآن:

عبد الله بن مسعود كان من أشهر الصحابة الذين قرأوا القرآن بقراءة "مكة" التي تختلف في بعض جوانبها مع القراءة المتبعة في الكوفة والشام. عندما سمع الصحابة قراءته قال لهم: "...لا تنازعوا في القرآن، فإنه لا يختلف ولا يتلاشى ولا يتغير لكثرة الرد، وإن شريعة الإسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة، ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر، كان ذلك الاختلاف، ولكنه جامع ذلك كله، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ولا شيء من شرائع الإسلام، ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأمرنا فنقرأ عليه، فيخبرنا أنا كلنا محسن، ولو أعلم أحدا أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبته، حتى أزداد علمه إلى علمي، ولقد قرأت من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، سبعين سورة، وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان، حتى كان عام قبض، فعرض عليه مرتين، فكان إذا فرغ، أقرأ عليه، فيخبرني إني محسن، فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة عنها، ومن قرأ على شيء من هذه [ص:٢٧] الحروف، فلا يدعنه رغبة عنه، فإنه من جحد بآية جحد به كله" (٤٧).

في هذا الموقف، يبين ابن مسعود أن الاختلاف في القراءات كان مقبولًا، بل ومباركًا، فهو يعي تمامًا أن كل قراءة هي قراءة صحيحة ولا تخرج عن نطاق الشريعة. هذا الموقف يعكس التسامح بين الصحابة في التعامل مع التنوع اللغوي، ويظهر أن الصحابة كانوا متقبلين للاختلافات في القراءة، وكانوا يدركون أنها أوجه لغوية متعددة ولا تشكل تناقضًا مع القرآن، بل هي مرونة في التعبير عن نفس المعنى.

٢. موقف الصحابي زيد بن ثابت (رضي الله عنه) مع اختلاف القراءات:

كان زيد بن ثابت من كبار العلماء في القرآن وكان له دور بارز في جمع القرآن. عندما تناقش الصحابة حول القراءات، قال زيد: "كلنا أقرأناه كما أقرأناه رسول الله صلى الله عليه وسلم". وكان ذلك في فترة جمع القرآن وتدوينه، حيث استقر الرأي على جمع القرآن وفقًا لقراءة واحدة، ولكنهم كانوا متفهمين لمشروعية القراءات الأخرى.

هذه المقولة من زيد بن ثابت تُظهر كيف كان الصحابة يعترفون بالتنوع في القراءات كجزء من أصول القرآن وأن تلك القراءات لم تكن محل اختلاف جوهري، بل كانت تشهد على التعدد اللغوي والرحمة التي منحها الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم (٤٨).

٣. موقف الصحابي أبي هريرة (رضي الله عنه):

ورد عن الصحابي أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه كان يقرأ القرآن بقراءة تختلف عن قراءة الصحابي عبد الله بن مسعود. فعندما كان أبو هريرة يقرأ، قال بن مسعود: "ما كان هذا في القرآن"، لكن أبو هريرة أجاب قائلاً: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرني على ذلك".

هذا الموقف يعكس الفهم الصحيح لدى الصحابة في مسألة القراءات المتنوعة. على الرغم من وجود تباين في أسلوب التلاوة بين الصحابة، فإنهم كانوا يعلمون أن ذلك كان مشروعًا وموافقًا لمراد الله تعالى (٤٩)، ويعكس الفهم العميق لدى الصحابة لمرونة القرآن في أساليب التلاوة، وتُظهر كيف أن الله رحمة بالأمة الإسلامية أتاح لهم التنوع في تلاوة كلامه، ليكون أكثر توافقًا مع البيئات اللغوية والثقافية المختلفة.

المبحث الثالث: تأثير القراءات القرآنية في خدمة الإنسانية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تيسير العبادة من خلال تنوع القراءات

تعدد القراءات القرآنية يُجسّد رحمة الله بعباده، حيث يمنح المسلمين مرونة في التلاوة والفهم، مما يسهل عليهم أداء عباداتهم دون مشقة. هذا التنوع اللغوي يراعي اختلاف اللهجات والثقافات، مما يجعل القرآن أكثر قربًا وسهولة

(٤٦) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، (ص: ٤٢)، مناهل العرفان للزرقاني (١/ ١٢٧)، الأصلان في علوم القرآن، (ص: ٩٨)،

(٤٧) ينظر: أخرجه ابن جرير في تفسيره جامع البيان، ت شاكر: (١/ ٢٨)

٤٨ ينظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، (ص ٧٨)، القراءات القرآنية، (ص ٩٥).

٤٩ ينظر: صحيح البخاري. رقم ٤٩٩٢، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، (ص ٧٨)، القراءات القرآنية، (ص ٩٥).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

للفهم، سواء للمبتدئين أو لأصحاب المعرفة العميقة، قال ابن الجزري: "وأما حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي صلى الله عليه وسلم وفائدته فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى قال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناها لا تخلو من ثلاثة أحوال (أحدها) اختلاف اللفظ والمعنى واحد (الثاني) اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد (الثالث) اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد. فأما الأول فكالاختلاف في (الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، ويحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط. وأما الثاني فنحو (مالك، وملك) في الفاتحة لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه وكذا (يكذبون، ويكذبون) لأن المراد بهما هم المنافقون لأنهم يكذِّبون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويَكذِبون في أخبارهم وكذا (كيف ننشرها) بالراء والزاي لأن المراد بهما هي العظام وذلك أن الله أنشرها أي أحياها وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين"(٥٠).

وهذا التعدد للمجتمعات المختلفة بالتفاعل مع النص القرآني بطريقة تتناسب مع قدراتهم اللغوية، مما يخفف من صعوبة نطق بعض الألفاظ أو استيعاب بعض التراكيب التي قد تكون معقدة في لهجات معينة. فوجود قراءات تسهّل نطق الكلمات أو ترتيبها يعد تيسيرًا إلهيًا يرفع الحرج عن الأمة، ويمكّن الجميع من تلاوة القرآن وحفظه بإتقان وسلاسة.

التنوع اللغوي في القراءات يعكس الفطرة البشرية واحتياجات الناس المختلفة، حيث يساعد المسلمين على التفاعل مع القرآن الكريم بمرونة تتناسب مع بيئاتهم الثقافية. وهذا بدوره يسهم في جعل القرآن أكثر حضورًا في حياتهم اليومية، ويفتح أمامهم أبواب التدبر والتفكر، قال ابن الجزري: "وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك فوائد غير ما قدمناه من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة"(٥١).

كما أن القراءات المختلفة تسهم في نشر القرآن عالميًا، إذ يجد المسلمون في مختلف أنحاء العالم قراءة تتماشى مع لسانهم المحلي، مما يسهل عليهم حفظه وتلاوته، ويجعل علاقتهم بالقرآن أكثر عمقًا وانسجامًا مع لغاتهم ولهجاتهم الأصلية.

المطلب الثاني: دور القراءات في تعزيز وحدة الأمة الإسلامية

رغم تعدد القراءات القرآنية، يبقى القرآن الكريم واحدًا في جوهره، وتحمل كل قراءة نفس الرسالة الإلهية الخالدة. فالقراءات المختلفة لا تخلق فرقة بين المسلمين، بل تؤكد وحدة اللسان العربي، مما يجعله مصدر تشريع عالمي يحتضن جميع الشعوب والثقافات(٥٢).

يتيح هذا التنوع للناس في مختلف البلدان والبيئات أن يتفاعلوا مع القرآن الكريم بلغاتهم ولهجاتهم الخاصة، مما يعزز روح التفاهم والاحترام المتبادل بين المسلمين من شتى الخلفيات. إن اختلاف اللهجات في القراءات ليس سببًا للانقسام، بل هو دليل على رحمة الله بعباده، حيث جعل القرآن ميسرًا للجميع دون تمييز(٥٣).

وفي جوهره، يُجسّد هذا التنوع مفهوم "الوحدة في التنوع"، حيث إن جميع القراءات تعود إلى المصدر ذاته، مما يرسّخ الإحساس بالأخوة بين المسلمين، ويعمّق مفهوم التعددية التي لا تُضعف الأمة، بل تزيدها قوة وتلاحمًا. فالقرآن الكريم ليس مجرد كتاب مقدس، بل هو رمز لوحدة المسلمين مهما اختلفت ألسنتهم وثقافاتهم، مما يعزز روح التعاون والتعايش دون تعصب أو تفريق.

المطلب الثالث: فتح أبواب الفهم والتفسير.

أن التنوع في القراءات يفتح المجال لتفسير القرآن من زوايا متعددة ويساعد في فقه الآيات، حيث تُساهم القراءات القرآنية في فتح أفق أوسع لتفسير النصوص القرآنية. كل قراءة قد تُبرز معاني جديدة أو تُوضح مقاصد معينة بشكل أعمق، مما يساعد العلماء والمفسرين على استخلاص أحكام أو معاني قد تكون غائبة في قراءة واحدة(٥٤).

التنوع في اللهجات القرآنية يُمكّن العلماء والمفسرين من استخراج معاني متعددة من نفس الآية، حيث تساعد القراءات المختلفة في تفسير النصوص القرآنية وتوسيع الأفق المعرفي لفهم القرآن. هذه القدرة على فهم القرآن بعدة طرق تفتح المجال أمام العلماء لاستخلاص أحكام دينية ودنيوية تساعد المجتمع المسلم في مواجهة التحديات المعاصرة(٥٥).

من المعروف أن الإسلام دين يسر وليس عسرًا، وقد جاء القرآن الكريم ليتناسب مع قدرة الإنسان على فهمه

(٥٠) النشر في القراءات العشر، (١/ ٦٦)، وينظر: مقدمات في علم القراءات، (ص: ٣١)

(٥١) النشر في القراءات العشر، (١/ ٦٩)، وينظر: مقدمات في علم القراءات، (ص: ٣١)

(٥٢) ينظر: مقدمات في علم القراءات، (ص: ٣١).

(٥٣) ينظر: الأحرف السبعة، (ص: ١٢)، مقدمات في علم القراءات، (ص: ٥٠-٥١).

(٥٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، (١/ ٢٩٧)

(٥٥) ينظر: مناهل العرفان، (١/ ٢٣)، التفسير والمفسرون، للذهبي (١/ ١٣)، بيان المعاني، (١/ ٧)

وتطبيقه. تنوع القراءات كان جزءًا من هذه الرحمة والتيسير، حيث يمكن لكل مسلم أن يقرأ القرآن بالطريقة التي تناسب لغته ولهجته، مما يجعل دين الله أقرب إلى الناس ويساعد في تيسير الوصول إلى رسالته (٥٦).

إذن: فالاختلاف في القراءات يتيح للمفسرين فرصة للبحث والتدقيق في معاني الآيات من زوايا مختلفة. هذا التنوع يعزز من فهم النصوص القرآنية بشكل أعمق، مما يساهم في تطور علم التفسير وفتح آفاق جديدة لفهم القرآن. هذا الدور يساهم في تخفيف عبء الفهم العميق، ويجعل النصوص أكثر قابلية للتفسير في سياقات مختلفة.

وأخيراً، اللهجات القرآنية ودورها في تخفيف الأمور على الأمة تتمثل في أنها تجعل تلاوة القرآن وفهمه أكثر يسرًا وتعددًا، مما يساهم في تعزيز القيم الإسلامية في المجتمعات المتنوعة. هذا التنوع يعكس رحمة الله تعالى بعباده، ويظهر مدى قدرة القرآن على التكيف مع احتياجات الأمة الإسلامية في مختلف زمان ومكان.

التنوع في اللهجات القرآنية يُعتبر من أبرز مظاهر رحمة الله تعالى بعباده، حيث يعكس مرونة اللغة العربية وقدرتها على التكيف مع مختلف البيئات والتقاليد الثقافية. هذا التنوع له أهمية كبيرة في تسهيل فهم القرآن وتيسير تلاوته على المسلمين في مختلف أنحاء العالم.

المطلب الرابع: دور القراءات في تقارب الشعوب الإسلامية المختلفة ثقافيًا ولغويًا، وفتح المجال للحوار بين ثقافات متعددة.

القراءات لها دور في تقارب الشعوب الإسلامية المختلفة ثقافيًا ولغويًا، وفتح المجال للحوار بين ثقافات متعددة.

فالقراءات القرآنية تساهم بشكل كبير في تحسين المجتمعات من خلال عدة أوجه:

١. تنمية القيم الإنسانية:

القراءات القرآنية تساهم في تعزيز القيم العليا مثل العدالة، والرحمة، والتعاون، والتسامح. الاختلاف في القراءات لا يؤدي إلى تباين في المعاني الجوهرية، بل يساعد في تبني هذه القيم بشكل أوسع وأكثر مرونة من خلال فهم أعمق للقرآن، يتم تطبيق هذه القيم في مختلف جوانب الحياة المجتمعية، مما يعزز التعايش السلمي بين الأفراد والجماعات (٥٧).

٢. تعزيز التسامح والقبول بالاختلاف:

تنوع القراءات يُظهر المرونة في فهم النصوص الدينية وتفسيرها. هذا التنوع يعزز القدرة على قبول الاختلافات في الرأي والتفسير، سواء في الحياة الدينية أو الاجتماعية. المجتمعات التي تفتح ذهنها لهذا التنوع تكون أكثر قدرة على التعامل مع التعددية الثقافية والدينية في العالم المعاصر (٥٨).

٣. دعم التعليم وبناء الفكر:

يساهم تعلم القراءات القرآنية في تحسين مستوى التعليم، حيث تتطلب دراسة القرآن الكريم تعمقًا في اللغة العربية، وفهمًا دقيقًا لأحكام التفسير. يشجع هذا على التفكير النقدي وتوسيع آفاق المعرفة لدى الأفراد، مما يعود بالنفع على المجتمع في تطوير مهارات التفكير والتحليل (٥٩).

القراءات القرآنية لا تقتصر على التأثير على فهم النصوص، بل تسهم في تطور الفكر الديني والروحاني، من خلال تسليط الضوء على الجوانب النفسية والفكرية المختلفة للقرآن.

يُشجع تنوع القراءات على البحث العلمي والتنقيب في المعاني العميقة للآيات القرآنية، مما يفتح المجال لدراسات فقهية وأصولية جديدة تهدف لخدمة الإنسان والمجتمع.

وأخيراً، تُعد القراءات القرآنية جزءًا أساسيًا في فهم الإسلام وتقديم رسالة القرآن بشكل مُتكامل. وبذلك، تؤدي دورًا بارزًا في رفعة الإنسانية عبر تعزيز قيم التسامح، العدالة، والرحمة، وتساعد في بناء مجتمع متوازن ومتنوع في عالم اليوم.

٤. ترسيخ العدالة والمساواة:

تتضمن العديد من القراءات القرآنية إشارات إلى العدالة والمساواة بين الناس، مما يساهم في توجيه الأفراد والمجتمعات نحو تحقيق العدالة في مختلف مجالات الحياة. من خلال ترسيخ هذه المبادئ، يمكن للمجتمعات أن تخلق بيئة أكثر مساواة واحترام لحقوق الإنسان (٦٠).

٥. تحقيق التوازن النفسي والروحي:

القراءات القرآنية تُظهر جوانب روحية ونفسية يمكن أن تساهم في تحسين الحالة النفسية للأفراد. من خلال التأمل في معاني الآيات وقراءتها بتنوعاتها المختلفة، يشعر الأفراد بالطمأنينة والسكينة، مما يعزز الصحة النفسية ويساعد في تحقيق التوازن الداخلي (٦١).

٦. إثراء العلوم الإنسانية والاجتماعية:

القراءات القرآنية تساهم في تطوير العلوم الإنسانية والاجتماعية من خلال تأثيرها على أبحاث فقهية وعلمية جديدة. العلماء والمفكرون الذين يدرسون القرآن من خلال القراءات المختلفة يساهمون في تقدم المجتمعات عبر

(٥٦) ينظر: مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، (ص: ٨٥)
(٥٧) ينظر: التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/ ٧٨)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢/ ٤٩)
(٥٨) ينظر: علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، (ص: ١٥٤)
(٥٩) ينظر: محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري، (ص: ٢٢١)
(٦٠) ينظر: التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/ ٧٨)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢/ ٤٩)
(٦١) ينظر: التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/ ٧٨).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

إنتاجهم العلمي، الذي يلامس قضايا العصر ويلبي حاجات المجتمعات المعاصرة (٦٢).

٧. دعم الاستقرار الاجتماعي:

من خلال الالتزام بتعاليم القرآن الكريم التي تسهم فيها القراءات القرآنية، يمكن تحقيق استقرار اجتماعي أكبر، حيث يتم تعزيز مفهوم الحقوق والواجبات بين الأفراد، وتفعيل مفهوم التعاون الاجتماعي وتعزيز التضامن بين مختلف الفئات في المجتمع.

على الرغم من اختلاف اللهجات القرآنية، فإن الأمة الإسلامية تجد فيها وحدة مترابطة. هذه القراءات تؤكد على أن التنوع لا يعني التفريق أو التباعد بل هو قوة تعزز من تماسك الأمة. الجميع يتفق على معاني القرآن رغم تنوع الأساليب اللغوية، مما يعزز من مبدأ التعاون والاحترام المتبادل بين مختلف الشعوب والقبائل (٦٣).

وأخيراً، يمكن القول أن القراءات القرآنية تلعب دورًا محوريًا في تحسين المجتمعات من خلال ما تقدمه من معاني هامة في بناء الأفراد على أسس أخلاقية وفكرية قوية، وبالتالي بناء مجتمع قائم على التسامح، العدالة، والازدهار.

إن اللهجات القرآنية تُسهم في خلق شعور من القرب بين المسلمين في مختلف الثقافات واللغات. عبر تلاوة القرآن بقراءات متنوعة، يشعر المسلمون في جميع أنحاء العالم بأنهم جزء من كيان واحد، تتنوع فيه الثقافات واللغات لكن الوحدة تتجسد في التوجه نحو القرآن الكريم كمرجعية دينية واحدة.

التنوع في اللهجات القرآنية يعكس رحمة الله التي تهدف إلى تسهيل فهم القرآن وتيسير تلاوته على المسلمين في مختلف البيئات الثقافية واللغوية. هذا التنوع يعزز من قدرة الأمة الإسلامية على التفاعل مع القرآن الكريم وتطبيق تعاليمه في حياتهم اليومية، مما يساعد في نشر قيم الرحمة والتسامح والتعاون بين مختلف فئات المجتمع المسلم في كل مكان.

الخاتمة:

بعد دراسة وتحليل موضوع القراءات القرآنية من حيث كونها رحمة إلهية وتنوعًا لغويًا يخدم الإنسانية، توصل البحث إلى عدة نتائج، منها:

١. هناك علاقة وطيدت بين تيسير قراءة القرآن بالقراءات المختلفة وبين مقصد الرحمة.

٢. تنوعت تقرير الرحمة الإلهية فظهرت في عدة صور، منها:

- السماح لكل مسلم أن يقرأ القرآن على الحرف الذي يسهل عليه تعلمه، وعدم تكلفته بما لا يطيق.

- ساهمت القراءات المختلفة في ضمان بقاء النص القرآني محفوظًا بطريقة دقيقة ومتواترة، مما عزز من استمرارية القرآن الكريم عبر الأجيال.

١. وفرت القراءات القرآنية مخزونًا لغويًا هائلًا يخدم الباحثين في علوم اللغة والتفسير، وساعدت في فهم النصوص القرآنية بطريقة أكثر عمقًا.

٢. على الرغم من اختلاف القراءات، فإنها لم تكن سببًا في تفرقة اللسان العربي، بل كانت عامل توحيد بين المسلمين، حيث يجتمع الجميع على مصحف واحد رغم اختلاف طرق النطق.

وأخيراً يؤكد البحث أن القراءات القرآنية ليست مجرد اختلافات في النطق، بل هي حكمة ورحمة إلهية تيسر التلاوة على المسلمين، وتحافظ على النص القرآني، وتعزز التنوع اللغوي الذي يخدم الإنسانية علميًا وثقافيًا. كما أن هذا التنوع ساهم في نشر القرآن وحمايته من التحريف، وأثبت أن الإسلام دين يسر لا عسر.

التوصيات:

توصي الباحثة بإجراء الدراسات الآتية:

١. دراسة العلاقة بين مقصد التيسير في التشريع وبين صور الرحمة الإلهية.

٢. دراسة أسلوب القراءات القرآنية في توجيه الأخلاق في ضوء اختلاف القراءات.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الجزري، محمد بن محمد. (١٩٩٥). منجد المقرئين ومرشد الطالبين. دار الكتب العلمية، بيروت.

٣. ابن الجزري، محمد بن محمد. (٢٠٠٠). النشر في القراءات العشر. دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. ابن جزي الكلبي. (١٤١٦هـ) .التسهيل لعلوم التنزيل (تحقيق: ع. الخالدي، ط١). شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

٥. ابن خالويه. (١٤٠١هـ) .الحجة في القراءات السبع (تحقيق: ع. مكرم، ط٤). دار الشروق.

٦. ابن زنجلة. (د.ت.) .حجة القراءات (تحقيق: س. الأفغاني). دار الرسالة.

٧. ابن فارس. (د.ت.) .معجم مقاييس اللغة)إعداد: م. ع. مرعب م. أصلان). دار إحياء التراث العربي.

٨. ابن مجاهد. (١٤٠٠هـ) .كتاب السبعة في القراءات (تحقيق: ش. ضيف، ط٢). دار المعارف.

٩. ابن منظور. (د.ت.) .لسان العرب .دار المعارف.

١٠. أبو زهرة. (د.ت.) .المعجزة الكبرى القرآن .دار الفكر العربي.

(٦٢) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (٢/ ٤٩)

(٦٣) ينظر: التفسير والمفسرون، للذهبي، (١/ ٧٨)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢/ ٤٩)

١١. بازمول .(1996) .القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (ط١). دار الهجرة.
١٢. الباقلاني. (د.ت.) .إعجاز القرآن.
١٣. البناء، أحمد بن محمد بن أحمد. (١٤٢٧هـ). إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. تحقيق: أنس مهرة. لبنان: دار الكتب العلمية، ط٣.
١٤. الحلبي .(1993) .علوم القرآن الكريم (ط١). مطبعة الصباح.
١٥. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. (١٩٩٨). التيسير في القراءات السبع (تحقيق: أوتو برتزل). دار الكتاب العربي، بيروت.
١٦. الداني. (١٤٠٨هـ) .الأحرف السبعة للقرآن (تحقيق: ع. طحان، ط١). مكتبة المنارة.
١٧. دراز .(1997) .النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن (اعتنى به: ع. الدخاخني، ط١). دار طيبة.
١٨. الذهبي.(1985) . سير أعلام النبلاء (ط٣). مؤسسة الرسالة.
١٩. الذهبي. (د.ت.) .التفسير والمفسرون .مكتبة وهبة.
٢٠. الزرقاني .(1995) .مناهل العرفان في علوم القرآن (تحقيق: ف. زمرلي، ط١). دار الكتاب العربي.
٢١. الزركشي، بدر الدين محمد. (١٩٨٨). البرهان في علوم القرآن. دار المعرفة، بيروت.
٢٢. الزركلي .(2002) .الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (ط١٥). دار العلم للملايين.
٢٣. السمين الحلبي .(2001) .العقد النضيد في شرح القصيد (تحقيق: أ. س. سويد، ط١). دار نور المكتبات.
٢٤. السمين الحلبي. (د.ت.) .الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (تحقيق: أ. م. الخراط). دار القلم.
٢٥. السندي. (١٤١٥هـ) .صفحات في علوم القراءات (ط١). المكتبة الأمدادية.
٢٦. سيبويه .(1988) .الكتاب (تحقيق: ع. م. هارون، ط٣). مكتبة الخانجي.
٢٧. السيوطي .(1967) .حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (تحقيق: م. أ. إ. إبراهيم، ط١). دار إحياء الكتب العربية.
٢٨. السيوطي. (د.ت.) .معترك الأقران في إعجاز القرآن.
٢٩. السيوطي، جلال الدين. (١٩٩٦). الإتقان في علوم القرآن. دار الفكر، بيروت.
٣٠. الصالح .(2000) .مباحث في علوم القرآن (ط٢٤). دار العلم للملايين.
٣١. ضيف، شوقي. (١٩٧٢). القراءات القرآنية: نشأتها وتطورها. دار المعارف، القاهرة.
٣٢. الطبري .(2001) .جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق: ع. التركي، ط١). دار هجر.
٣٣. العاني .(1965) .بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول] (ط١). مطبعة الترقي.
٣٤. العثيمين، محمد بن صالح. (١٩٩٤). أصول التفسير. مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، القصيم.
٣٥. الفارسي .(1993) .الحجة للقراء السبعة)تحقيق: ب. قهوجي ب. جويجابي، ط٢). دار المأمون للتراث.
٣٦. الفراء، يحيى بن زياد. (١٩٨٠). معاني القرآن. دار الفكر، بيروت.
٣٧. فوزي، محمود. (د.ت). القراءات القرآنية في العصور الإسلامية. دار الفكر العربي.
٣٨. القاسم بن سلام .(1995) .فضائل القرآن، تحقيق: م. العطية، م. خرابة، و. تقي الدين، ط١). دار ابن كثير.
٣٩. القاضي، عبد الفتاح. (١٩٨٢). القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف. مكتبة دار التراث، القاهرة.
٤٠. القسطلاني. (د.ت.) .لطائف الإشارات لفنون القراءات)تحقيق: ع. الس. عثمان ع. ش. شاهين). لجنة إحياء التراث الإسلامي.
٤١. القضاة، شكري، وآخرون .(2001) .مقدمات في علم القراءات (ط١). دار عمار.
٤٢. القيعي .(1996) .الأصلان في علوم القرآن (ط٤). المؤلف.
٤٣. كحالة. (د.ت.) .معجم المؤلفين تراجم مؤلفي الكتب العربية .مؤسسة الرسالة.
٤٤. مجموعة من الباحثين، (د.ت). موسوعة علوم القرآن. دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٥. المرصفي، عبد الفتاح. (١٩٩٥). هداية القاري إلى تجويد كلام الباري. مكتبة دار التراث، القاهرة.
٤٦. المطعني .(1992) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (ط١). مكتبة وهبة.
٤٧. المقدسي. (١٣٩٩هـ) .روضة الناظر وجنة المناظر (تحقيق: ع. السعيد، ط٢). جامعة الإمام محمد بن سعود.
٤٨. مكي بن أبي طالب .(1974) .الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (تحقيق: م. رمضان). مجمع اللغة العربية.
٤٩. الناصري .(2003) .محاضرات في علوم القرآن (ط١). دار عمار.
٥٠. النووي، يحيى بن شرف. (١٩٨٦). تهذيب الأسماء واللغات. دار الكتب العلمية، بيروت.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

التأويل البلاغي في باب الأسماء والصفات دراسة في البلاغة العقدية.

د. لطيفة بنت سعود العصيمي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بجامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية.

Rhetorical interpretation in the chapter of names and attributes A study in doctrinal rhetoric.

Dr. Latifa bint Saud Al-Asimi

Assistant Professor of Rhetoric and Criticism at Umm Al-Qura University - Kingdom of Saudi Arabia

E-mail: khademat_addeen@hotmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

التأويل، البلاغة، الأسماء، الصفات

KEY WORDS:

interpretation, rhetoric, nouns, adjectives

مستخلص البحث:

كان عامة من ضل من الفرق المنتسبة إلى الإسلام خوضهم في باب الأسماء الصفات، والتوسع في المجاز تحت ذريعة التأويل، فوقعوا في التعطيل والتحريف، وبعد التأمل ظهر أن فتيل تلك الانحرافات جاء بسبب الجهل بالعربية، وسنن العرب في كلامها، فهذه الدراسة تقدم قراءة بلاغية لهذا الباب، وتحلل الطريقة الصحيحة للتأويل، متبعة المنهج التحليلي، فجاءت في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تضمنت المقدمة أهمية الموضوع ومشكلة البحث وأسئلته، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة وهيكل البحث، ثم المبحث الأول وفيه أهمية علم البلاغة في فهم مسائل الاعتقاد، ثم المبحث الثاني يتناول معنى التأويل البلاغي وحدوده، والفرق بينه وبين التأويلات الفاسدة، ومعتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، ثم المبحث الثالث وفيه مستويات التأويل البلاغي، حيث يتضمن التأويل اللفظي، والتأويل السياقي، والتأويل التداولي، وخلصت الخاتمة إلى نتائج من أهمها: أن معاني الصفات لا يتضح إلا من خلال السياق، وأن التأويل مراتب تتعلق بمستويات اللغة، وأن التأويل البلاغي يحد من الاختلاف على أسماء الله وصفاته.

ABSTRACT:

The majority of those who went astray from the sects affiliated with Islam were involved in the chapter of names and attributes, and expanded in metaphor under the pretext of interpretation, so they fell into nullification and distortion. After contemplation, it became clear that the victim of these deviations was due to ignorance of Arabic and the Arabs' traditions in their speech. This study presents a rhetorical reading of this chapter, and analyzes the correct method of interpretation, following the analytical approach. It came in an introduction, three chapters, and a conclusion. The introduction included the importance of the topic, the research problem and its questions, the study methodology, previous studies, and the structure of the research. Then the first chapter, which includes the importance of the science of rhetoric in understanding matters of belief. Then the second chapter deals with the meaning of rhetorical interpretation and its limits, and the difference between it and corrupt interpretations, and the belief of the people of the Sunnah and the community in the chapter of names and attributes. Then the third chapter, which includes the levels of rhetorical interpretation, as it includes verbal interpretation, contextual interpretation, and communicative interpretation. The conclusion concluded with results, the most important of which is that the meanings of attributes are not clear except through the context, and that interpretation Levels related to the levels of language, and that rhetorical interpretation limits the difference in the names and attributes of God.

مقدمة:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، تفرد عن الشبيه والنظير، تعالى جده وتقدست أسماؤه، أذل بجبروته أعداءه، ورفع برحمته أولياءه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله، وصفيه من خلقه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

فإن معرفة الله تعالى أصل عظيم من أصول الدين، وتتضمن هذه المعرفة، العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، على مراد الله تعالى، ومعرفة ذلك لا يكون إلا بالرجوع للكتاب والسنة فحسب، ليس لأحد أن يصف ربه بما لم يصف به نفسه، فطريق معرفة الله تعالى الوحي، والقرآن الكريم نزل بلسان العرب، كما أن نبيه هذه الأمة عربي، وجاءت مواضع عدة في كتاب الله تلفت النظر لعربية القرآن، وفي ذلك إشارة لأهمية اللسان العربي في فهم المعنى، وتجلية المراد، ومعرفة المقصود، وباب الأسماء والصفات أكثر أبواب الاعتقاد وقع فيه التحريف والميل عن الصواب، وما ذاك إلا من قبيل الجهل باللغة، وتحميل النصوص ما لا تحتمل، فأخذوا بالمعنى ذات اليمين وذات الشمال بين معطلة ومشبهة، وكثر اللغط، وعظم الشطط، ولا سبيل لحل النزاع، إلا برد النص إلى لغته، والاحتكام لتلك القواعد، ثم النظر إلى التوجيه النبوي للنص، وفهم الأوائل من صحابته الذين وردوا إليه، وصدروا عنه، فجاءت هذه الدراسة موسومة بعنوان "التأويل البلاغي في باب الأسماء والصفات، دراسة في البلاغة العقدية"، لعلها أن تسهم في كشف الشبهات، وتجلية القواعد المهمات في تأويل الأسماء والصفات.

مشكلة الدراسة وأسئلة البحث: المتأمل في باب الأسماء والصفات، يجد أنها لا تخرج عن قواعد العربية، في التركيب أو الاستعمال، ويجري عليها ما يجري على لغة العرب، فهل يعني ذلك أن المتأولة من الفرق العقدية التي تناولت الجانب اللغوي كانت على حق؟ فإذا كانت اللغة هي الوسيلة التي ينتقل بها المراد، كان لزاما أن تنتصر العربية للمذهب العقدي الصحيح، فأين يقع مذهب أهل السنة والجماعة بين المذاهب من هذا المنطلق؟ وهنا إشكالات عدة تثيرها الدراسة منها:

١ـ ما أهمية البلاغة في دراسة النص الشرعي؟

٢ـ إذا كانت العقيدة توجه بلاغة النص، فهل يمكن أن تكون البلاغة هي الموجه للمعتقد لا العكس، أي أن المنطلق يبدأ من اللغة.

٣ـ كيف نقرأ الأسماء والصفات من منظور بلاغي؟

٤ـ ما هو التأويل البلاغي، وما حدوده؟ والفريق بينه وبين التأويلات الفاسدة.

٥ـ ما حاجتنا إلى التأويل؟ وهل وجد ذلك في عصر الصحابة رضي الله عنهم؟

٦ـ هل التأويل البلاغي يقع في مستوى واحد من مستويات اللغة أو يقع في جميعها؟

منهج البحث: وحتى يجيب البحث عن هذه التساؤلات، لابد من النظر في الأسماء والصفات، وتصنيفها حسب المستوى البلاغي، ثم تحليلها وفق معطيات المنهج التحليلي، لسبر أغوار المعنى، وكشف أسرار التنزيل.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في توجيه الفهم العقلي عند تلقي أسماء الله تعالى وصفاته، والحد من الاختلاف عليها، والرجوع بها إلى فهم السلف الصالح من هذه الأمة، وبيان أن سلامة اللغة مع سلامة المعتقد في فلك البلاغة الكونية.

الدراسات السابقة: لم تقف الباحثة على دراسة تناولت مسائل الأسماء الحسنى والصفات العلى بهذه المعالجة، إلا أن هناك دراسات كثيرة بحثت مسائل الأسماء والصفات منها:

١ـ دراسة عقدية لبعض الصفات التي يدعى أنها من باب المشاكلة، يوسف بن محمد السعيد، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٣٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ٢٠٠١م.

٢ـ التوجيه البلاغي لاقتران الأسماء الحسنى، أحمد راشد إبراهيم راشد، الوعي الإسلامي، س ٦١، ع٢٠٠، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ٢٠٢٣م.

٣ـ ما يجري من الألفاظ في حق الله جل جلاله: أقسامه وحالاته وضوابطه وأحكامه، شريفة بنت أحمد بن علي الحازمي، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، مج ١٣، ع١، جامعة الملك خالد، ٢٠١٦م.

٤ـ أثر فهم التقسيمات اللفظية في الرد على نفاة الصفات، آمال بنت عبد العزيز بن محمد العمرو، مجلة العلوم الشرعية، ع ٢١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١١م.

٥ـ عقدة المسلم بين التسليم والتأويل للنصوص الشرعية: دراسة وصفية تحليلية، نضال محمد علي إدريس، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠١٨م.

وهذه الدراسة تعالج معنى التأويل البلاغي، والفرق بينه وبين التأويلات الفاسدة التي نهجها أهل الفرق المبتدعة، فهم يسمون المجاز تأويلا، وهو خلط أورث ضلالا، أما التأويل البلاغي محل الدراسة فهو على مستويات يجب النظر فيها جميعا، وفهم اشتغالها وآلية عملها في النصوص، وأحسب أن هذه إضافة وبالله التوفيق.

واقتضت الدراسة أن تقسم مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تضمنت المقدمة أهمية الموضوع ومشكلة البحث وأسئلته، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة وهيكل البحث، ثم المبحث الأول وفيه أهمية علم البلاغة في فهم مسائل

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الاعتقاد، ثم المبحث الثاني يتناول معنى التأويل البلاغي وحدوده، والفرق بينه وبين التأويلات الفاسدة، ومعتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، ثم المبحث الثالث وفيه مستويات التأويل البلاغي، حيث يتضمن التأويل اللفظي، والتأويل السياقي، والتأويل التداولي، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول: أهمية علم البلاغة في فهم مسائل الاعتقاد.

أنزل الله تعالى الكتاب المبين هداية للناس، واختار له اللسان العربي تبيانا، فجاء على طريقة العرب في كلامها، وسلك سنن العربية في نظامها، مع إعجازه لبلغاء العرب وأقحاحها، وفي ذلك آية عظمى على وحدانية الله تعالى، (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ـ النساء ٨٢ـ.

ولا يتأتى فهم القرآن الكريم من غير طريق العربية، فتعلمها واجب، ولا يجوز لمن لا يعرف العربية أن يتحدث في الدين، فبها تعرف مقاصد الشريعة، وتستوضح الأحكام الفقهية، وتستبان المسائل العقدية، فنصوص الوحي باقية بحفظ الله تعالى، وقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يشكل عليهم من آيات الله، أما بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه فليس دوننا سوى هذه المحجة، تركنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيضاء نقية، وقد جاءت الإشارة لعربية القرآن الكريم في مواضع عدة منها قول الله تعالى: (نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين) ـ الشعراء ١٩٥ـ ، وقوله تعالى: (إنّا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) ـ يوسف ٢ـ ، وقوله: (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد) ـ طه ١١٣ـ ، وقوله: (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) ـ الرعد ٣٧ـ ، وقوله: (قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون) ـ الزمر ٢٨ـ ، وقوله: (كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) ـ فصلت ٣ـ ، وقوله: (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) ـ الأحقاف ١٢ـ ، وفي ذلك إشارة لأهمية عربية القرآن، واختصاصها بشرف حمل المقصود، حتى لا تضل الأفهام، وتزل العقول، لابد من معرفة اللسان العربي والعناية به، قال الشاطبي: (الشريعة عربية، وإذا كانت عربية؛ فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم؛ لأنهما سيان في النمط ما عدا وجوه الإعجاز، فإذا فرضنا مبتدئا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطا؛ فهو متوسط في فهم الشريعة والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة؛ فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة)[1].

والذي يحيد في فهم لسان العرب يزيغ في فهم النص الشرعي، فإتقان علوم الشريعة متوقف على (التبحر في معرفة علم اللسان العربي، من وجوهه وطرقه ومجازه ومجازي استعماله؛ ولهذا ضل كثير ممن جهله فزلوا في علم الأصول والفروع أنواعا من الزلل، وأخطؤوا فيها ضروبا من الخطأ والخطل، قال الزهري: "إنما أخطأ الناس في كثير من تأويل القرآن لجهلهم بلغة العرب")[2]، فلو جرى التأويل على ما تعرفه العربية في الكلام؛ لأصاب التأويل بذلك كبد الحقيقة.

وكان عامة من ضل في باب الأسماء والصفات قد أتوا من قبيل جهلهم بالعربية، أو استبدالهم لها، يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطيس)[3]،

ومن أمثلة ضلالهم ما أخرجه البيهقي في البعث (عن الأصمعي قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء يناظره في وجوب عذاب الفاسق، فقال له: يا أبا عمرو. الله يخلف وعده؟ فقال: لن يخلف الله وعده، فقال عمرو فقد قال: وذكر آية وعيد، فقال أبو عبيد: من العجمة أتيت، الوعيد غير الإيعاد، ثم أنشد:

وإني وإن أوعدته أو وعدته
لمخلف إيعادى ومنجز موعدي)[4]

فالوعد في الخير والوعيد في الشر، والله تعالى لا يخلف وعده، نص بذلك القرآن، أما الوعيد فلا يدخل في ذلك، ففيه احتمال أنه لا يقع، إذ أن لفظ وعد غير توعد، والوعيد خلاف الإيعاد، لكنه لجهله بالعربية جعل اللفظين بمنزلة اللفظ الواحد، فأدخلها في قوله تعالى: (وعد الله لا يخلف الله وعده)، فصار الوعد في الخير والشر مطلقا واقع لا محالة، وفيه هذا من بدع الاعتقاد الناشئة عنه ما الله به عليم.

ومثل ذلك خطأ الخوارج في تفسير معنى الإيمان، فأخذوا بالمعنى المعجمي مقطوعا عن السياق ولازم اللغة، ففسروه بالتصديق وحده، فلم يدخلوا النطق به ولا العمل، والصدق في اللغة ضد الكذب، شيء واحد لا يقبل التجزئة، فإما أن يكون الإنسان صادقا أو كاذبا، ولا يكون صادقا وكاذبا في الوقت نفسه، وعليه كفروا صاحب الكبيرة،

---

[1] ـ الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ، ج٥، ص ٥٣

[2] ـ خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، قرأه وعلق عليه جمال عزون، ط١، أضواء السلف ٢٠٠٣م، ص ٦٢، ٦٣

[3] ـ صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام ومعه جهد القريحة في تجريد النصيحة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د.علي سامي النشار، السيدة سعاد علي عبد الرازق، مجمع البحوث الإسلامية، نسخة بدون تاريخ، ص ٤٨

[4] ـ المرجع السابق، ص ٥٦

وأنكروا أن الإيمان يزيد وينقص، ولفظ الإيمان له معنى سياقي يستلزم القول والعمل، وليس الاقتصار على العمل القلبي الذي يدل عليه لفظ المعجم مجردا، وهكذا ما زلت الأفهام في فهم النص إلا من قبيل الجهل بالعربية، وقد يصل الأمر لوقوع الجاهل في التناقض، والوحي منزه عن ذلك، فمن ذلك تفسير كلمة العبقري في قوله تعالى: (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) ـ الرحمن ٧٦ـ ، فلا خلاف أن المقصود في الآية الكريمة هي البسط الجيدة الحسنة، والعرب (إذا استحسنت شيئا واستجادته قالت عبقري)[٥]، والمتأمل في أصل هذه الكلمة يجد أن العرب في جاهليتها كانت تستغيث بالجن وتصرف لهم جزءا من العبادة، وكانوا إذا نزلوا منزلا استعاذوا بعزيز ذلك الوادي من الجن، ولرهبة الجن في نفوسهم كانوا ينسبون إليهم كثيرا من الأفعال، و(عبقر موضع بالبادية كثير الجن، يقال في المثل: كأنهم جن عبقر)[٦]، فإذا رأوا شيئا مبتكرا حسنا لا يؤتى بمثله نسبوه إلى الجن فنسبوه إلى ذلك الوادي فقالوا عبقري، والاستعانة بالجن والاستغاثة بهم هي من أعمال الجاهلية التي أبطلها الإسلام، فالنسبة إلى الجن لا تصح، فهل كان هذا اللفظ في القرآن يشير إلى تلك العقيدة؟، تصريف الكلمات عند العرب واستعمالها يرجع إلى أعراف لغوية أو اجتماعية أو دينية أو أسطورية، فينشأ لفظ مرتبط بتلك الحوادث، ثم تستعمله العرب في لغتها، ويجري بمعانٍ خاصة به، فإذا استقر اللفظ في اللغة، وجرى في العرف اللغوي، اندثر الحادث المسبب في ظهوره، وبقي الاستعمال اللغوي، فالعبرة بهذا الاستعمال وما دل عليه، ومعاني كتاب الله تعالى (موافقة لمعاني العرب، وظاهر كتاب الله ملائم لظاهر كلام العرب)[٧].

فإذا وقع هذا الجهل على تناول باب الأسماء والصفات خرجت البدعة العقدية، لذلك كانت الحاجة ماسة لبيان التوجيه البلاغي لنصوص الأسماء والصفات، فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يختلفوا على هذا الباب، ولم يكونوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أسماء الله تعالى ولا صفاته، وما اختلفوا عليه، بل تلقوا ذلك بالإيمان والتسليم والقبول، ولم تثر عندهم الشبهات التي أثيرت عند الخلف، ذلك لمعرفتهم باللسان العربي، فكيف تقرأ نصوص هذا الباب من منظور بلاغي سليم اللغة؟

المبحث الثاني: التأويل البلاغي وحدوده.

التأويل في اللغة مصدر أول يؤول، وأول فعل ـ بتشديد أوسطه ـ ثلاثيه: آل يؤول أولا، قال أهل اللغة: الأول الرجوع، وهذا تفسير تقريبي، وأغلب ما تستعمل في الرجوع، الذي فيه معنى الصيرورة، ومن أمثلة اللغويين: "طبخ الشراب فآل إلى قدر كذا وكذا"، ولذلك عد بعض النحاة "آل" في الأفعال التي تجيء بمعنى "صار"، وتعمل عملها، و"آل" قريب من معنى "حال"، أي: تحول من حال إلى حال[٨].

فالكلمة في اللغة تأتي بمعنى المرجع والمصير والعاقبة، فيقال "آل" إذا رجع لأول أمره، و" آل" إذا صار وتحول، و" آل" أي ما يؤول إليه وهي العاقبة، فاللفظ في اللغة يستغرق الأزمنة كلها، في الماضي والحال والمستقبل، وتحمل هذه الدلالات كذلك معنى الإبانة والوضوح والتفسير، فالتأويل يرجع بالمعنى إلى قصد المتكلم ومراده، ويفسر حقيقته، ويجلي عاقبته التي يؤول إليها.

والتأويل البلاغي يصدر عن هذه المعاني، وأضيف للبلاغة لاختصاص العلم، فهو مقيد بطرق البلاغة وعلم العربية، فالبلاغة تعنى بتفسير الخطاب، واتجاهات تلقيه، وتوجيه ذلك بحسب المقامات المختلفة، والبلاغة عند أهل الاختصاص هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وهذا يعني أن لها ركنان هما: القصدية والمقامية، فأما القصدية ففي قولهم "مطابقة الكلام"، وأما المقامية ففي قولهم "مقتضى الحال"، وهما كجناحي طائر، لا يتم تحليل الخطاب إلا بمراعاتهما.

والقصدية في الكلام لها ثلاثة أقسام:

١ـ قصدية المتكلم: وهي مراده من الحديث، ولا سبيل لمعرفتها إلا بالنظر للنص، أو أن يبين قصده مما قال.

٢ـ قصدية النص: وهي ما يحتمله النص من المعاني، والنص بطبيعته حمّال وجوه، وتوجيه المعنى المراد راجع لقرائن اللغة أو لازم السياق، وقد يكون للمتكلم دور في توجيه النص على قصده بما تحتمله اللغة، وللمتلقي تأثير في توجيه الخطاب، وهو يرتبط بالمقامية من جهة أخرى.

٣ـ قصدية المتلقي: وهي فهمه للنص، وطريقة تلقيه له، وأفق قراءته خاضع لخلفياته المعرفية، والاجتماعية، والدينية، يقول ابن عباس رضي الله تعالى عنه: (حدثوا الناس بما

---

[٥] ـ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٩٩م، ج٧، ص ٤٣٣٩

[٦] ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج٤، ص ٥٣٤

[٧] ـ حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية دراسة تأصيلية تطبيقية، د. حسن يشو، ط٢، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، دمشق، سورية، ٢٠١٨م، ص ٤٤

[٨] ـ حقيقة التأويل (آثار عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني)، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، تحقيق: عدنان بن صفا خان البخاري، راجعه: محمد أجمل الإصلاحي – سعود بن عبد العزيز العريفي، ط١، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ، ص ٦.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

يعرفون، أتريدون أن يكذّب الله ورسوله)[٩]، فمراعاة قصدية المتلقي ضرورة عند إنشاء الخطاب، فطرح بعض المسائل الدقيقة في باب الأسماء والصفات على عامة الناس ممن لا يحسن فهمها، قد تؤول بهم إلى تكذيب الله ورسوله، لكن يؤمنون بها إجمالا، ولهذا نهى الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ لما حدث عنده بحديث الصورة نهى المتحدث عن ذلك، لأن العامة لا يحسنون فهم مثل هذه المباحث[١٠]، وفي الحديث أن عبد الله بن مسعود قال: (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة)[١١].

وهذه القصديات جميعا تدور حول النص، فقصدية النص هي الفيصل عند الاختلاف، وترتبط القصدية بالمقامية، والعرب تقول: "لكل مقام مقال"، يراد أن لكل أمر أو فعل أو كلام موضعا لا يوضع في غيره[١٢]، والمقامية كذلك على ثلاثة أقسام:

١ـ مقام المخاطَبين، فالناس مقامات، ومن جعل الناس شرعا واحدا في التعليم فهو كمن جعلهم شرعا واحدا في عمل من الأعمال، وهذا كله خلاف المحسوس والمعقول، وفي الحديث: (إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم، وأن نخاطبهم على قدر عقولهم)[١٣]، واختلاف مقامات الناس راجع إلى اختلاف عقولهم من ناحية، واختلاف أوضاعهم ونفوسهم من ناحية أخرى، فمنهم المتعلم والبليد والمختص وقليل الفهم وحاد الذكاء، ومهم الملوك والأمراء والسادة وصاحب الصنعة والتاجر والحكيم والعامي، ومنهم الحزين والغاضب والفرِح والمعاند والراضي ونحو ذلك مما يخص مقام المخاطَبين، فلا (لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة)[١٤]

٢ـ مقام الخطاب، كمقام الترغيب، ومقام الترهيب، ومقام الوعظ، ومقام الفرح والسرور، ومقام الرثاء، وغير ذلك من مناسبات القول.

٣ـ مقام المتكلم، فتلقي الخطاب من عامة الناس ليس كتلقيه من سيدٍ في قومه، وتلقي الوحي يختلف عن تلقي غيره من حديث البشر، فمنزلة المتكلم تضفي على الكلام مزية تبني معناه، وتؤثر في حجاجيته، خاصة إذا كان مقام العزة والجلالة في وحي رب العالمين، ومن الناس من يصدق عليه قول الشاعر:

يقولون هذا عندنا غير جائز

ومن أنتم حتى يكون لكم عند؟![١٥]

وأما الكلام في مفهوم البلاغة فهو النص، المكتوب منه والمنطوق، ويدخل في مفهومه الموقف البلاغي، وهو تشكلات الفنون البلاغية عبر السلوكيات المجتمعية، والنص هو الشكل الأخير لاستعمال اللغة، له جانب ذهني إذ تنتج اللغة في مسارات ذهنية قبل أن يولد النص، وله جانب سلوكي يتمثل في النطق به والكتابة، وسبل انتقاله، واستقبال المتلقي له، فالتأويل البلاغي يقوم على هذه العناصر الثلاثة: اللغة والقصد والمقام.

وليس كل تأويل لغوي هو تأويل بلاغي، فكثير من التأويلات التي فتنت بها الفرق والمذاهب المنتسبة للإسلام هي في حقيقتها تحريف لا تأويل، فهي (تحريف الكلام عن مواضعه، وصرف النصوص عن مدلولها ومقتضاها، وإخراج كلام الله ورسوله عما دل عليه وبينه، قال شيخ الإسلام: "هذه التأويلات من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في آياته" وقال أيضا: "فإن هذا التأويل في كثير من المواضع ـأو أكثرها وعامتها- من باب تحريف الكلم عن مواضعه من جنس تأويلات القرامطة والباطنية، وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه وصاحوا بأهله من أقطار الأرض ورموا في آثارهم بالشهب)[١٦]، فهم يعنون بالتأويل: صرف اللفظ إلى غير ظاهره؛ لقرينة دلت على ذلك، أو هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لقرينة دلت عليه[١٧]، والمتأمل في هذا التعريف يجد أن هذا في عرف البلاغيين هو المجاز، فهم يعرفونه بقولهم: (الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، على وجه يصح، مع قرينة عدم إرادته)[١٨]، والمجاز هو المطية التي ركبتها المبتدعة في نفي الصفات، فالقول في

---

[٩] ـ جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٤هـ، ج١، ص ٥٤٠

[١٠] ـ ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ط١، دار التوحيد، ٢٠٠٣م، ص ٤٤٠

[١١] ـ صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ، ج١، ص ١١، أورده الإمام مسلم في المقدمة.

[١٢] ـ مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج٢، ص ١٩٨

[١٣] ـ ينظر: درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ، ج٦، ص ٢٣٧

[١٤] ـ البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص ٩٥

[١٥] ـ الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن إيدمر المستعصمي، تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٥م، ج ١١، ص ٤١١

[١٦] ـ المناظرات العقدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمعا ودراسة، هيثم قاسم موسى الحمري، تقديم: أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط١، الناشر المتميز، دار النصيحة، الرياض، ٢٠١٩م، ص ٥٢٤

[١٧] ـ المناظرات العقدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، هيثم الحمري، ص ٥١٩

[١٨] ـ المطول شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: أحمد بن صالح السديس، ط١، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ١٤٤١هـ، ج٣، ص ١٦١

المجاز ذريعة إلى نفي الصفات، يقول الشنقيطي رحمه الله: (ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن، وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجاز في القرآن وبين جواز نفي بعض القرآن قد شوهدت في الخارج صحته، وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم)[١٩]، فاتخذوا لفظ التأويل ليمرروا هذا الفساد في كلامهم، وإلا فهو مجاز يرمون من ورائه تحريف الصفات أو نفيها، فأثبتوا المجاز في آيات الصفات، ثم نفوها لاحتمال نفي المجاز، كما فعل ابن جني في كتابه الخصائص إذ يقول: (وكذلك قولك: "ضربتُ عمرًا" مجاز أيضا من غير جهة التجوز في الفعل، وذلك أنك إنما فعلت بعض الضرب لا جميعه ولكن من جهة أخرى؛ وهو أنك إنما ضربت بعضه لا جميعه؛ ألا تراك تقول: "ضربتُ زيدا" ولعلك إنما ضربت يده أو إصبعه أو ناحية من نواحي جسده)[٢٠]، فهو يريد من خلال هذا القول أن يثبت مذهبه في نفي أفعال الله تعالى، وحملها على المجاز، فإذا كان الفعل "ضرب" مجاز، لأنك لا تقصد الضرب كله، فكذلك كلام الله وخلقه وبطشه ونحوها من الصفات الثابتة لله تعالى بنص القرآن، ففي قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما) ـ النساء ١٦٣ـ ، جعل الفعل "كلم" مجاز، و" تكليما" توكيد لحقيقة وقوعه، ونفى صفة الكلام عن الله جل وعلا، وزعم أن الله تعالى خلق في الشجرة كلاما، ففهمه موسى عليه السلام، فصفة الكلام عنده مجاز تأويلها الحديث بواسطة الشجرة، فالشجرة هي المتحدثة لأن الله تعالى خلق كلامه فيها، والقرينة التي يدعيها هي أن الإنسان لو صنع آلة متحدثة لسميت متكلمة، وما يسمع منها يعد كلاما، وليس لأن الصانع تكلم، لكنه أوجد ذلك،[٢١] وهذا كلام باطل يحاول إثباته من جهة اللغة ولا يثبت.

والحق (الذي هو مذهب أهل السنة الجماعة إثبات هذه الصفات التي أثبتها تعالى لنفسه، والإيمان بها من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل)[٢٢]، كما جاءت في الكتاب والسنة، فهذا الباب هو من الغيبيات التي لا يمكن إثباتها إلا من طريق الوحي، فالنص المعتبر فيها هو كلام الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: مستويات التأويل البلاغي.

المطلب الأول: التأويل اللفظي.

التأويل اللفظي يبحث في اللفظ، وما يعتريه في اللغة من ظواهر، ويحفر في الجذور، وسبل الاشتقاق، وما يدل عليه من المعاني، وما يحتمله منها، ويختلف اللفظ عن الكلمة، فالكلمة الصامتة (صورة صوتية مفردة في ذهن المجتمع، أو صورة كتابية مفردة بين جلدتي المعجم، والصورة دائما غير الحقيقة، فحين يلتقطها المتكلم يحولها من الصورة إلى الحقيقة الحسية "سمعيا أو بصريا"، ومن الإفراد وهو طابع المعجم إلى السياق الاستعمالي وهو طابع الكلام)[٢٣]، والفرق بينهما ناتج عن الفرق بين اللغة والكلام، فاللغة نظام أما الكلام فاستعمال.

وهنا نقول: هل أسماء الله تعالى وصفاته الواردة ألفاظ أو كلمات؟ هي كلمات باعتبار أصل اللغة المعجمي، وألفاظ باعتبار أن الطريق إليها هو الوحي، وهو كلام الله تعالى حقيقة، وثنائية اللغة والكلام دليل يبطل شبهة من أنكر صفة الكلام لله تعالى، فالمستوى المعجمي والمستوى الاستعمالي كلاهما موجود في الخطاب القرآني، ولا يمكن أن يصدر هذا إلا من متكلم.

وألفاظ الأسماء والصفات لها دلالات بيانية، والدلالة البيانية تشمل ثلاثة أنواع: دلالة مطابقة، ودلالة تضمين، ودلالة التزام، أما دلالة المطابقة فهي تدل على ذات الله تعالى وحده، ودلالة التضمين ما يتضمنه هذه الاسم أو الصفة من المعاني، ودلالة الالتزام ما يلزم وجوده من المعاني، كدلالة صفة الحياة على صفة الحكيم، إذ يلزم الحكيم أن يكون حيا، وهكذا، فيدل اللفظ على الصفة ذاتها، ويدل على ما تتضمنه من أجزاء الصفة، ويدل على ما يلزم ذلك من الصفات الأخرى، (فدلالة اسمه تعالى "الرحمن" على ذاته عز وجل مطابقة، وعلى صفة الرحمة تضمنا، وعلى الحياة وغيرها التزاما، وكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى)[٢٤].

ولا يعني ذلك أن نفسر صفة بمعنى صفة أخرى، فلا نقول أن معنى العزيز هو معنى الحي، وإن كان يتضمنه من جهة اللغة، لأن اللفظ الوارد في خطاب الوحي مقصود لذاته، ففي قوله تعالى: (وجاء ربك والملك صفا صفا) ـ الفجر ٢٢ـ ، إثبات صفة المجيء، وفي اللغة: أتى وأقبل وحضر وطرق وقدِم ووفد وورد وغشي كلها بمعنى جاء، ولا يصح أن توضع إحدى هذه المترادفات مكان الأخرى، لأن اللفظ العربي دقيق يدل على هيئات مختلفة، وبينها فروق لغوية دقيقة، ومثل ذلك صفة التجلي في قوله تعالى: (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) ـ الأعراف ١٤٣ـ ، فمن مترادفات اللفظ: ظهر وانبلج وانكشف وبان وبزغ وتراءى، فالترادف وإن كان واقع في اللغة، إلا أنه في باب الأسماء والصفات

---

[١٩] ـ منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ط٥، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١٩م، ص ٧

[٢٠] ـ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج٢ ص، ٤٢٥

[٢١] ـ ينظر: الخصائص، ج٢، ص٤٢٨

[٢٢] ـ منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، ص ٧

[٢٣] ـ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، ط٥، عالم الكتب، ٢٠٠٦م، ص ٣١٧

[٢٤] ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي، حققه وعلق عليه وضبط نصه وخرّج أحاديثه وآثاره: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط ٨، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ، ج ١، ص ١٤٩

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

لا يقع مطلقا، فصفات الله تعالى مترادفة في دلالتها على الذات، ومختلفة الدلالة في معاني الصفات، فصفة المجي تختلف عن صفة الإتيان، وكل لفظ له معناه في سياقه، واللفظة القرآنية معجزة في مكانها، لا تسد لفظة مكان أخرى، فقد بلغ النهاية في البلاغة، ومن ذلك الدلالة على الأسماء والصفات.

ومثل ذلك ظاهرة المشترك اللفظي، وهو (اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة)[٢٥]، فإذا اتفق المعنيان فهو لفظ واحد، لذلك فإن أسماء الله تعالى من المشترك اللفظي، اللفظ واحد، والمعنى مختلف، فالله تعالى هو العزيز والكريم والرحيم، وهي أوصاف تطلق على المخلوق كذلك، لكن الاشتراك في الاسم لا يعني الاشتراك في الصفة، فصفة الله تعالى ليست هي صفة المخلوق، وإن أثبتنا العزة والكرم والرحمة، وأثبتنا العين والساق واليد، فهي ليست كصفات المخلوق بوجه من الوجوه، لكن اللفظ واحد، وتناول المشترك من هذا الوجه لا يعني تحريف الصفة عن معناها الذي يفهم من العربية، بتعطيل ونحوه، فالمعنى من جهة اللغة معلوم، لكن الكيفية مجهولة، والخوض فيها من العبث.

ومن ظواهر العربية في الألفاظ ظاهرة التضاد، وهو نوع من المشترك، ويعني اللفظ الذي يقع على شيئين متضادين[٢٦]، والتضاد (نوع من العلاقة بين المعاني، فاستحضار أحد المعنيين في الذهن، يستتبع عادة استحضار الآخر)[٢٧]، واللفظ في اللغة يحمل معنى ضده ضمنا، مع عدم إرادته، فقولنا: ليل وشمس وطويل مثلا، تستدعي في الذهن نهار وقمر وقصير، فقولك ليل، يعني أنك لا تقصد النهار، وهذه الظاهرة توجه التعامل مع أسماء الله تعالى وصفاته بالنفي والإثبات، فالصفة المثبتة تنفي ضدها من صفات النقص، والصفات المنفية عن الله تعالى تثبت نقيضها من صفات الكمال المطلق، (وكل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص، تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله. وما نفاه الله عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية وإثبات كمال ضدها، وذلك أن النفي لا يدل على الكمال حتى يكون متضمنا لصفة ثبوتية يحمد عليها، فإن مجرد النفي قد يكون سببه العجز فيكون نقصا)[٢٨].

ومن ظواهر العربية كذلك الاشتقاق، وهو (أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب وحذِر من حذَر)[٢٩]، وفي الحديث: " إنني أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي"[٣٠]، وأسماء الله تعالى كلها توقيفية، لا مجال للرأي فيها، فلا يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وباب الصفات أوسع، فكل اسم يشتق منه صفة، على نحو: الرحيم العليم القدير الحي، فيشتق منها صفة الرحمة والعلم والقدرة والحياة، ولا يشتق من الصفة اسم، كالغضب والرضى والمجيء والنزول والاستواء، فلا نشتق من هذه الصفات أسماء فنقول: الغاضب والراضي والجائي والنازل ونحو ذلك[٣١].

والألفاظ رموز تدل على معانيها، أي أنها تشير إلى معنى غير نفسها، ولها وجود لساني، يتمثل في النطق، ووجود حقيقي يتمثل في حقيقة المعنى الذي تدل عليه، ووجود ذهني يتمثل في الصورة المنعكسة له، كلفظ "شجرة"، فهي في اللسان نطق هذه الأصوات: الشين والجيم والراء والتاء المربوطة، وهي في الحقيقة ذلك النبات المعروف، وهي في الذهن انعكاس صورة الشجرة بناء على خلفية معرفية لدى المتلقي، ولامتناع التشبيه في أسماء الله تعالى وصفاته؛ فكل صورة قامت في الذهن عن الله تعالى فالله عز وجل بخلافها، منزه عنها، لعدم قدرة العقل البشري أن يتصور تلك المعاني الإلهية، وعلى هذا فأسماء الله تعالى تدل على ذات الله تعالى حقيقة تليق بجلاله وعظمته، ولها وجود لساني فحسب، أما الوجود الذهني فمتعذر، لكن المعاني معلومة كما قرر ذلك علماء أهل السنة.

والوجود الذهني والحقيقي للفظ يستلزم التشبيه، أي الربط بين الصورة الحقيقية للشيء والصورة الذهنية المتخيلة عنه، التي يشير إليها اللفظ، فوجود الحيز الذهني للصورة يعني التشبيه، وهو متعذر في حق الله جل جلاله، لأن التصور الذهني غير ممكن، ودليل ذلك هو قول الله تعالى: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) ـ الأعراف ١٤٣ـ، ففي قوله "لن تراني" نفيٌ ليس على التأبيد؛ لوجود الاستدراك بعده "ولكن انظر"، فدل

---

٢٥ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ج ١، ص ٢٩٢

٢٦ ـ ينظر: المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها، ج١، ص ٣٠٦

٢٧ ـ ينظر: فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، ط ٦، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠هـ، ص ٣٣٦

٢٨ ـ فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، بدون تاريخ، ص ١٧

٢٩ ـ المزهر في علوم العربية وأنواعها، ج١، ص ٢٧٥

٣٠ ـ ضعيف الجامع الصغير (وزيادته: الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ص ٢٣٦

٣١ ـ ينظر: التعليق على القواعد المثلى، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الله بن محمد المزروع، ط١، دار التدمرية، ٢٠١٠م، ص ٦٧

ذلك على أن الله تعالى يُرى، لكن ليس في تلك الحال التي كان عليها موسى عليه السلام، يدل على ذلك الفعل المضارع "تراني"، والاستدراك يدل على أن الجبل إذا تحمل التجلي، ستتحمل العين الباصرة رؤية الله تعالى، وإن لم يتحمل ذلك، فلا تقوى عليه العين الباصرة في الدنيا، فلما تجلى الرب جل جلاله للجبل، اندك الجبل وخر موسى صعقا، وفيه ذلك دلالة على أن العين الباصرة لا تتحمل رؤية الله تعالى في الدنيا، فمن باب أولى ألا يستطيع الذهن تصور ذلك، لأن ما يمكن إدراكه بالحواس، يمكن تصوره بالذهن، وهنا تكمن حقيقة التشبيه، فالعقل لا يتحمل تخيل تلك الصفات الإلهية، فهو قاصر عن بلوغ ذلك وإدراكه، فالرب جل جلاله لا تدركه الأبصار، فلا يمكن للعقول إدراكه، وإنما يقع التشبيه فيما يُدرك.

ويمكن للإشارة أن تنوب عن اللفظ، لاشتراكها معه في وضوح الدلالة وتحديدها، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ (إنه كان سميعا بصيرا)، فوضع إصبعه الدعاء على عينه؛ وإبهامه على أذنه[٣٢]، فهل هذه الإشارة في باب الأسماء والصفات تقتضي التشبيه؟

النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بالله، وحديثه وحي من الله تعالى، والله عز وجل ليس كمثله شيء، فهذه الإشارة الواردة في الحديث عند ذكر صفتي السمع والبصر لا تعني التشبيه، لأن السياق لا يدل على ذلك، فالمقصود حقيقة السمع والبصر لا عين المشار إليهما، يقول ابن الفراء: (علم أنه ليس المراد بالإشارة إلى العضو والجارحة التي لا مدح في إثباتها، لأن القديم سبحانه يستحيل عليه ذلك، وإنما المراد بذلك تحقيق السمع والبصر الذي في إثباته المقصود أن الله عز وجل يرى المرئيات برؤيته، ويسمع المسموعات بسمعه، فأشار إلى الأذن والعين تحقيقا للسمع والبصر لأجل أنهما محل للسمع والبصر، وقد يسمى محل الشيء باسمه لما بينهما من المجاورة والقرب)[٣٣]، ومثله ما ورد في الحديث الصحيح أنه قال: "يقبض الله سماواته بيده والأرض باليد الأخرى" ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض يده ويبسطها تحقيقا لإثبات اليد وإثبات صفة القبض ومن هذا إشارته بأصبعه إلى السماء حين استشهد ربه تبارك وتعالى على الصحابة أنه قد بلغهم تحقيقا لإثبات صفة العلو[٣٤].

ولا ينتفي التشبيه عن الإشارة مطلقا، فقد تقتضي الإشارة التشبيه، وتأخذ بالذهن للربط بين المشار والمشار إليه، وإن لم يأت على طرائق التشبيه المألوفة؛ فإن الربط بين اللفظ والمشار إليه يعني المشاركة، فكأن المشير يقول: إن هذا مثل هذا، وهنا يأتي إشكال شرح باب الأسماء والصفات لمن يستعمل لغة الإشارة بديلا عن اللغة المسموعة، فاللغة الإشارية تجسد الكلمات،

فهذه ألفاظ لا تتضح دلالتها العميقة إلا من خلال السياق، وهو المستوى الثاني من مستويات التأويل البلاغي.

المطلب الثاني: التأويل السياقي.

تكتسب الكلمات معانٍ أخرى من خلال مجاورتها لكلمات أخرى، فاللفظ داخل التركيب اللغوي له معنى قد يختلف عن المعنى المعجمي، ويعرف بالمعنى السياقي، (فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها)[٣٥]، والسياق له أنواع منها:

- السياق اللغوي: فالكلمة يتغير معناها تبعا للسياق اللغوي، أو الجملة التي ترد فيها، مثل كلمة "اليد" فهي تعني الجارحة، في مقابل أعضاء الجسم، ويتغير معناها تبعا لتغير الجملة، على نحو: يد الفأس: مقبضها، يد الريح: سلطانها، يد الطائر: جناحه، فلان طويل اليد: سمح كريم، سقط في يده: ندم، يد الرجل: جماعته وأنصاره، وهكذا.
- السياق العاطفي: فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا.
- سياق الموقف: يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، أو استعمال الكمة في مقامات متعددة.
- السياق الثقافي: فيقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي تستعمل فيه الكلمة[٣٦].

والألفاظ في باب الأسماء والصفات لا تخرج عن سياقية اللغة، فيتضح المعنى المراد من خلال تحليل السياقات المختلفة، مثل قوله تعالى: (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) ـ القلم ٤٢ـ ، فلفظ الساق في اللغة معروفة، وهي ما فوق القدم، وذكر بعض المفسرين أن الساق في الآية الكريمة هي صفة لله تعالى، وصفة الساق ثابتة بالحديث النبوي في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا)[٣٧]، فصفة الساق ثابتة لله

---

[٣٢] ـ ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٢م، ج ٧، ص ٢١٦

[٣٣] ـ إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء، تحقيق ودراسة: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي، ط ١، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٣م، ص ٣٨٤

[٣٤] ـ ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ط ١، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ، ج ١، ص ٣٩٧

[٣٥] ـ علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط ٥، عالم الكتب، ١٩٩٨م، ص ٦٩

[٣٦] ـ ينظر: علم الدلالة، ص ٦٩ وما بعدها.

[٣٧] ـ صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

تعالى على الوجه الذي يليق بجلالته، وقد ورد في هذين النصين الكريمين، أما الحديث فدلالته صريحة على الصفة، فالفاعل في الجملة ظاهر، والفعل مسند إلى الرب جل جلاله، أما في الآية الكريمة، فالفعل مبني للمجهول "يُكشف"، واللفظ الساق غير مضاف كما في الحديث النبوي، وإنما جاءت نكرة، وهي بهذا السياق لا تدل على صفة الساق كما هو الحال في الحديث الشريف، فليست دليلا على إثبات الصفة، وكشف الساق (مثل في شدة الأمر كما يقال للشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل، وإنما هو مثل في شدة البخل، وكذلك هذا. لا ساق هناك ولا كشف؛ وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد يقال :شمر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام بذلك الأمر العظيم)[٣٨].

كذلك في حديث البخاري، عن جرير قال: (كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس، فافعلوا)[٣٩]، ففي الحديث تشبيه له دلالة سياقية، في قوله "سترون ربكم كما ترون هذا القمر"، فهل التشبيه تمثيلي يستغرق الصورة كلها؟، كما في قول الشاعر:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فهي صفات يقصد بمجموعها هيئة واحدة[٤٠]، حيث شبه الغبار الثائر فوق الرؤوس والسيوف اللامعة بالليل الذي تهوي فيه الكواكب، فالتشبيه يستغرق جميع عناصر الصورة، ويبنيها في المقابل مماثلة للمشبه به، على سبيل التشبيه التمثيلي، فهل التشبيه في الحديث من هذا القبيل؟

إذا ورد في النص " سترون ربكم كما ترون القمر" فحسب، جاز أن يكون التشبيه للتماثل، لكن النص يوجه الغرض من التشبيه؛ في قوله "لا تضامون في رؤيته"، بضم التاء وتخفيف الميم: لا يصيبكم في رؤيته ضيم ولا ظلم وهضم، يراه آخركم كما يراه أولكم، أو بفتح التاء وتشديد الميم: (أنكم ترون ربكم رؤية واضحة، لا تحتاجون في رؤيته أن ينضم بعضكم إلى بعض لتتساعدوا على الرؤية، كما يقع عند رؤية الأمور الخفية)[٤١]، وهنا دلالة على أن التشبيه واقع في وضوح الرؤية لا المرئي، والرؤية لها معانٍ غير المشاهدة، لكن الجمع بين النصوص يدل على أنها المشاهدة بالعين الباصرة، لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم سترون ربكم عيانا)[٤٢].

ومن المعاني السياقية دلالة الارتباط بين تحول الأشجار إلى أقلام، والبحر مدادها، وبين كلمات الله تعالى التي لا تنفد، الواردة في قول الله تعالى: (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) ـ الكهف ١٠٩ـ ، وقوله تعالى: (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) ـ لقمان ٢٧ـ ، فالآية تدل على أن ما في الأرض من الأشجار بريت فكانت أقلاما، والبحار مدادها، ثم زيدت إلى سبعة أبحر، ما استطاعت أن تفي بكلمات الله جل جلاله، ولفنيت ونفدت قبل أن تنفد كلمات الله، وفيه هذا دلالة على أن صفات الله تعالى ليست مخلوقة، لأن الفناء من طبيعة المخلوقات مهما كثرت وعظمت، (وقد علم أن الآية من الاحتباك: ذكر الأقلام دليلا على حذف مدادها، وذكر السبعة في مبالغة الأبحر دليلا على حذفها في الأشجار، وهو من عظين هذا الفن، وعلم أيضا من السياق أن المراد بالسبعة المبالغة في الكثرة لا حقيقتها، وأن المراد بجمع القلة في "أبحر" الكثرة، لقرينة المبالغة، وبجمع القلة في "كلمات" حقيقتها لينتظم المعنى، وكل ذلك سائغ شائع في لغة العرب)[٤٣].

فمعنى الصفة يتضح من السياق داخل النص وخارجه، ومن التأويل السياقي ما جاء في صفة الكلام، وأن القرآن الكريم كلام الله تعالى، ورغم أن القرآن معجز، وقد تحدى الله تعالى به العرب قاطبة، إلا أنه لم يرد وصف الله تعالى بالبلاغة، فلا نجد في المأثور وصفه جل وعلا بالبليغ، ذلك أن البلاغة وصف للكلام لا المتكلم، يقول أبو هلال العسكري: (لا يجوز أن يسمى الله جل وعز بأنه بليغ؛ إذ لا يجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام)[٤٤]، وإنما سمي الخطيب بليغا من باب التوسع في اللغة والمجاز، فالله تعالى يقول: (حكمة بالغة فما تغن النذر) ـ القمر ٥ـ ، فجعل البلاغة صفة للحكمة، فموضوعها الكلام، والله تعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وبهذا يتبين أن صفات الله تعالى لا يصح فيها المجاز، إذ إن قضية إعجاز القرآن ببلاغته وقع فيها التحدي، وقد تحدى الله تعالى بالقوة فقال:

السلطانية، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج ٦، ص ١٥٩، برقم ٤٩١٩

[٣٨] ـ لسان العرب، ج ١٠، ص ١٦٨

[٣٩] ـ صحيح البخاري، ج ٩، ص ١٢٧، برقم ٧٤٣٤

[٤٠] ـ ينظر: تحقيق الفوائد الغياثية، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، ط ١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ، ج ٢، ص ٦٣٧

[٤١] ـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، ط ١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ، ج ٢، ص ١٢

[٤٢] ـ صحيح البخاري، ج ٩، ص ١٢٧، برقم ٧٤٣٥

[٤٣] ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، ط ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١١م، ج ٦، ص ٣٠

[٤٤] ـ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ١٣

(فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون) ـ فصلت ١٥ـ وسمى نفسه جل وعلا "القوي"، ولم يسم نفسه "البليغ" رغم جريان لسان العرب به، وكثرة استعماله حتى أشبه الحقيقة، ومنه يُعلم أن صفة "اليد" و"السمع" و"الوجه" وغيرها حقيقة لا مجاز.

ومن معاني الصفات التي لا تظهر إلا من خلال التأويل السياقي، تلك الصفات التي توهم النقص، ولا نقص في صفات الله تعالى بوجه من الوجوه، ولا سبيل إلى ذلك أبدا، كصفة المكر والكيد، وقد ورد ذلك في قول الله تعالى: (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) ـ النمل ٥٠ـ ، فالآية الكريمة صريحة الدلالة على صفة المكر في مقابل مكر هؤلاء، ووردت مضافة إلى الله عز وجل "مكرنا"، وهو فعل ماضٍ، و"مكرا" مفعول مطلق، وسياق المفعول المطلق لتأكيد الفعل، فصفة المكر هنا حقيقية، والمكر في اللغة أصله الستر، (يقال: مكر الليل: أي أظلم وستر بظلمته ما فيه، وقالوا: واشتقاقه من المكر وهو شجر ملتف، تخيلوا فيه أن المكر يلتف بالممكور به ويشتمل عليه، وامرأة ممكورة الخلق أي: ملتفة الجسم، وكذا ممكورة البطن، ثم أطلق المكر على الخبث والخداع، ولذلك عبر عنه بعض أهل اللغة بأنه السعي بالفساد، قال الزجاج: "هو من مكر الليل وأمكر أي أظلم"، وقد عبر بعضهم عنه فقال: هو صرف الغير عما يقصده بحيلة)[٤٥]، لكن النظر إلى السياق يظهر معنى هذه الصفة عندما تضاف إلى رب العزة والجلال، يقول الله تبارك وتعالى: (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون) ـ النمل ٥٠،٥٢ـ ، فالسياق يدل على أن معنى الصفة هو الجزاء والمقابلة، فقال تعالى: "فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم"، ولم يقل مركنا بهم، لأن معنى المكر هنا هو الجزاء، فهم مكروا، لكن الله تعالى قابل مكرهم بعدله، والعرب تسمي الجزاء باسم الابتداء، للدلالة على منتهى العدل في الأخذ بالحق، ولذلك نظائر في القرآن الكريم، كما في قول الله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ـ البقرة ١٩٤ـ ، وقوله تعالى: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ـ النحل ١٢٦ـ ، وقوله تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ـ الشورى ٤٠ـ فالأولى كانت عدوان وظلم، لكن جزاء الظلم والاقتصاص ليس بسيء، وليس عدوانا، فالمبتدئ هو الظالم، وهو السيء، وهو الاعتداء، وسميت المجازاة باسم الابتداء، مع التنزه عن حقيقة هذا الاعتداء، هذا في حق العبد، فكيف برب العزة والجلال، المعظم بالكمال، فهذه الصفات التي توهم النقص، هي في حقيقتها كمال لله تعالى تقتضي عدله وحكمته، فهي بمعنى الجزاء والمقابلة، لا حقيقة المكر والخديعة، ومعاني صفات الله تعالى تظهر من آثارها، كما قال الله تعالى: (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها) ـ الروم ٥٠ـ ، فالرحمة تقتضي ذلك، وهذه الآيات الكونية تدل على صفات الرب جل وعلا، فالرحمة تتضمن الإحسان هو من آثارها، فكذلك صفة المكر، من آثارها تحقيق العدل، مع ما تتضمنه من الرحمة، (أو يأخذهم على تخوّف فإن ربكم لرؤوف رحيم) ـ النحل ٤٧ـ ، فلو كان المكر على حقيقته المذمومة لما تضمن معاني الكمال، فآثار الصفة تؤيد معناها.

المطلب الثالث: التأويل التداولي.

يأتي هذا المستوى بعد اللغوية والسياقية للأسماء والصفات، والتداولية تعني انتقال الدلالات إلى الحيز السلوكي، فهي داخلة في استعمالية اللغة، وهي في باب الأسماء والصفات تعني الآثار المترتبة على الإيمان بها، فالإيمان كما هو المقرر عند أهل السنة والجماعة قول وعمل واعتقاد، فلا يكفي فيه المعتقد القلبي، أو اللفظ اللساني، فإذا أصاب المؤمن حقيقة الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، لزمه العمل بمقتضاها، والإيمان بالأسماء والصفات هو ثلث التوحيد الذي قامت لأجله السماوات والأرض، وخلقت الجنة والنار، وأرسلت الرسل ونصبت الموازين، فمعرفة الله تعالى وتوحيده ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، (ولتحقيق أصل التوحيد من العلم والاعتقاد، كانت معرفة الأسماء والصفات من أول الفروض، وأوجب الواجبات)[٤٦]

ويظهر التأويل التداولي في فقه الأسماء والصفات، فقد ورد في الحديث أن أبا موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنه معكم إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده)[٤٧]، فظاهر رفع الصوت بالذكر في هذه المواطن، قد تدل على خلل في فهم حقيقة صفات الله تعالى، فجاء التوجيه النبوي بخفض الصوت، لأن الله تعالى سميع قريب، وقد ذكر الطبري رحمه الله في تفسره أن سائلا (سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله: "وإذا سألك عبادي عني

---

[٤٥] ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، ط ٣، دار القلم، دمشق، ٢٠١١م، ج ٣، ص ٢١٢

[٤٦] ـ تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، فوز بنت عبد اللطيف بن كامل الكردي، ط ١، دار طيبة، للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ، ص ١٦٠

[٤٧] ـ صحيح البخاري، ج ٤، ص ٥٧، برقم ٤٢٠٥

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

فأني قريب أجيب" الآية)[٤٨]، ولما فقهت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذه المعاني قالت في قصة المجادلة: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إنها تشتكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من زوجها، ويخفى عني بعض حديثها! وكانت في طرف البيت، والله من فوق سماواته يقول: "قد سمع الله قول التي تجادلك"، فدل ذلك على أن كل خلل في السلوك ناتج عن خلل في الاعتقاد.

ومن التأويل التداولي التوسل بها، وهو (التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، فيتوسل بالاسم المقتضي لمطلوبه، أو الصفة المقتضية له، نحو :يا رحمن ارحمني، يا رزاق ارزقني)[٤٩]، وهذه هداية ربانية جاءت في القرآن الكريم، فختام الآيات القرآنية مناسب لموضوع الآية، كقوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) ـ المائدة ٣٨ـ، روي عن الأصمعي أنه قال: (قرأت هذه الآية وإلى جنبي أعرابي فقلت: "والله غفور رحيم" سهوا، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله، قال: أعد فاعدت "والله غفور رحيم"، فقال: ليس هذا كلام الله، فتنبهت فقلت: "والله عزيز حكيم"، فقال: أصبت، هذا كلام الله، فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا، عز، فحكم، فقطع، ولو غفر، ورحم لما قطع)[٥٠].

وللتأويل التداولي أقسام منها:

١ـ ما يبعث على التأمل الكوني، ومشاهدة عظمة الله تعالى في خلقه، فإن فيها آثار تلك الصفات، فالله تعالى هو الخالق البارئ المصور، وهو القدير العليم الحي القيوم، وآثار قوته وعظمته ورحمته تظهر في خلقه، وهذا التأمل مما يزيد الإيمان في القلب.

٢ـ تحقيق العبودية، فمعرفة أسماء الله تعالى وصفاته، تجعل العبد يعرف قدر نفسه، ويعرف قدر معبوده، يقول الله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ـ الزمر ٦٧ـ، ويدعو الله تعالى بها، معظما متوسلا إليه، تبعث في نفسه محبة الله تعالى، والخوف منه وخشيته، وتدعوه للرجاء، وتبعث في نفسه الطمأنينة بذكره، ومن هنا ندرك فساد التحريف الذي وقعت فيه المذاهب المبتدعة كالمعتزلة وغيرهم، فكيف يعظم الله تعالى هؤلاء، وقد عطلوا صفاته سبحانه، ووصفوه بالنقائص بتأويلاتهم الفاسدة.

٣ـ العمل بمقتضاها، فلها معانٍ معلومة، والعمل بما تدل عليه هو من هدي القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى في حادثة الإفك: (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) ـ النور ٢٢ـ ، فمن هداية الآية الكريمة أن العبد إذا عفى عفى الله عنه، وإذا غفر للعباد غفر الله له، وإذا أعان أعانه الله، وفي الحديث: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[٥١].

ولمقتضى الصفات ثلاثة أقسام:

١ـ صفات يجب العمل بمعانيها: كصفة الرحمة والعدل والمغفرة والمحبة ونحوها.

٢ـ صفات يجب تعظيمها بتجنب العمل بمعناها: مثل الخلق ويتمثل في تصوير ذوات الأرواح، والكبرياء، وصفات الربوبية المختصة بالله تعالى، فلا ينازع الرب جل وعلا في ربوبيته، جاء في الحديث: (يقول الله جل وعلا: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار)[٥٢].

٣ـ صفات يجب العمل بمقتضاها لا معانيها، كصفة اليد والساق والوجه وغيرها من الصفات الذاتية، فإن مقتضاها هو تعظيم الرب جل وعلا، واعتقاد الكمال المطلق، الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه، فهو كمال في الذات والصفات والأفعال، وله الحمد في الأولى والآخرة.

الخاتمة:

وبعد، فنخلص في نهاية الدراسة إلى ما يلي:

- لا يتأتى فهم القرآن الكريم من غير طريق العربية.
- عامة من ضل في باب الأسماء والصفات قد أُتوا من قبيل الجهل بالعربية.
- التأويل البلاغي يستغرق الأزمنة كلها في تفسير اللفظ.
- يقوم التأويل البلاغي على القصدية والمقامية.
- قصدية النص هي الفيصل عند الاختلاف، وترتبط بالمقامية.
- مقام المتكلم له أثر كبير في بناء المعنى وإقامة الحجة.
- ليس كل تأويل لغوي هو تأويل بلاغي.

---

[٤٨] ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر ـ د عبد السند حسن يمامة، ط ١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م، ج ٣، ص ٢٢٣

[٤٩] ـ منحة العلام في شرح بلوغ المرام، عبد الله بن صالح الفوزان، ط ١، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ، ج ٤، ص ١٨٧

[٥٠] ـ روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، ط ٣، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ١٤٠٠هـ، ج ١، ص ٥٥٠

[٥١] ـ صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢٨، برقم ٢٤٤٢

[٥٢] ـ صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٠م، ج ٣، ص ١٠٣

- تأويلات الفرق الضالة هي في حقيقتها تحريف لا تأويل.
- البلاغة العربية تؤيد مذهب أهل السنة والجماعة وفهم السلف.
- للتأويل البلاغي ثلاثة مستويات: لغوي، وسياقي، وتداولي.
- ثنائية اللغة والكلام دليل يبطل شبهة من أنكر صفة الكلام.
- التأويل البلاغي يحد من الاختلاف في باب الأسماء والصفات.
- الصفات التي توهم النقص يتبين معناها من خلال السياق، وليس الاقتصار على اللفظ الوارد.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المصادر والمراجع:

١. ابن الفراء، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين. تحقيق ودراسة: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي. ٢٠١٣م. إبطال التأويلات لأخبار الصفات. الطبعة الأولى. غراس للنشر والتوزيع. الكويت

٢. ابن جني، أبو الفتح عثمان. تحقيق: الشربيني شريدة. ٢٠٠٧م. الخصائص. دار الحديث. القاهرة.

٣. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف. تحقيق: أبو الأشبال الزهيري. ١٤١٤هـ. جامع بيان العلم وفضله. الطبعة الأولى. دار ابن الجوزي. السعودية.

٤. أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي. قرأه وعلق عليه جمال عزون. ٢٠٠٣م. خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول. الطبعة الأولى. أضواء السلف.

٥. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي. الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين. ١٤١٤هـ. لسان العرب. الطبعة الثالثة. دار صادر. بيروت.

٦. آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم.٢٠٠٣م. التمهيد لشرح كتاب التوحيد. الطبعة الأولى. دار التوحيد.

٧. الألباني، محمد ناصر الدين. ٢٠٠٠م. صحيح الترغيب والترهيب. الطبعة الأولى. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض.

٨. الألباني، محمد ناصر الدين. ضعيف الجامع الصغير (وزيادته: الفتح الكبير). أشرف على طبعه: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي.

٩. البراك، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم. إعداد: عبد الله بن محمد المزروع. ٢٠١٠م. التعليق على القواعد المثلى. الطبعة الأولى. دار التدمرية.

١٠. البقاعي، الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر. خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي. ٢٠١١م. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. الطبعة الرابعة. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

١١. التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر. تحقيق: أحمد بن صالح السديس. ١٤٤١هـ. المطول شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني. الطبعة الأولى. مكتبة الرشد. المملكة العربية السعودية.

١٢. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان. ١٤٢٣هـ. البيان والتبيين. دار ومكتبة الهلال. بيروت

١٣. الجعفي، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري. تحقيق: جماعة من العلماء. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. الطبعة السلطانية. المطبعة الكبرى الأميرية. بولاق مصر. دار طوق النجاة. بيروت.

١٤. الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. ١٤٠٨هـ. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة. الطبعة الأولى. دار العاصمة. الرياض. المملكة العربية السعودية.

١٥. الحكمي، الشيخ العلامة حافظ بن أحمد. حققه وعلق عليه وضبط نصه وخرّج أحاديثه وآثاره: محمد صبحي بن حسن حلاق. ١٤٣٢هـ. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد. الطبعة الثامنة. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

١٦. الحمري، هيثم قاسم موسى. تقديم: أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميس. ٢٠١٩م. المناظرات العقدية لشيخ الإسلام ابن تيمية. الطبعة الأولى. الناشر المتميز. دار النصيحة. الرياض.

١٧. الدمشقي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي. تحقيق: د. محمد رشاد سالم. ١٤١١هـ. درء تعارض العقل والنقل. الطبعة الثانية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. المملكة العربية السعودية.

١٨. السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط. ٢٠١١م. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. الطبعة الثالثة. دار القلم. دمشق.

١٩. السيوطي، جلال الدين. تحقيق: د. علي سامي النشار- السيدة سعاد علي عبد الرازق. بدون تاريخ. صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام ومعه جهد القريحة في تجريد النصيحة. مجمع البحوث الإسلامية.

٢٠. السيوطي، جلال الدين. تحقيق: فؤاد علي منصور. ١٤١٨هـ. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

٢١. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد. ١٤١٧هـ. الموافقات. الطبعة الأولى. دار ابن عفان.
٢٢. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. ٢٠١٩م. منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز. دار عطاءات العلم. الرياض. دار ابن حزم. بيروت.
٢٣. الصابوني، محمد علي. ١٤٠٠هـ. روائع البيان تفسير آيات الأحكام. الطبعة الثالثة. مكتبة الغزالي. دمشق. مؤسسة مناهل العرفان. بيروت.
٢٤. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د عبد السند حسن يمامة. ٢٠٠١م. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبعة الأولى. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. القاهرة. مصر.
٢٥. عبد التواب، رمضان. ١٤٢٠هـ. فصول في فقه اللغة. الطبعة السادسة. مكتبة الخانجي. القاهرة.
٢٦. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. بدون تاريخ. فتح رب البرية بتلخيص الحموية. دار الوطن للنشر. الرياض.
٢٧. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. تحقيق: علي محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم. ٢٠٠٦م. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. الطبعة الأولى. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.
٢٨. عمر، تمام حسان. ٢٠٠٦م. اللغة العربية معناها ومبناها. الطبعة الخامسة. عالم الكتب.
٢٩. عمر، د. أحمد مختار. ١٩٩٨م. علم الدلالة. الطبعة الخامسة. عالم الكتب.
٣٠. الغنيمان، عبد الله بن محمد. ١٤٠٥هـ. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري. الطبعة الأولى. مكتبة الدار. المدينة المنورة.
٣١. الفوزان، عبد الله بن صالح. ١٤٣٥هـ. منحة العلام في شرح بلوغ المرام. الطبعة الأولى. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.
٣٢. الكردي، فوز بنت عبد اللطيف بن كامل. ١٤٢١هـ. تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات. الطبعة الأولى. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. المملكة العربية السعودية.
٣٣. الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين. تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي. ١٤٢٤هـ. تحقيق الفوائد الغياثية. الطبعة الأولى. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. المملكة العربية السعودية.
٣٤. المستعصمي، محمد إيدمر. تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري. ٢٠١٥م. الدر الفريد وبيت القصيد. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
٣٥. النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ١٣٧٤هـ. صحيح مسلم. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة.
٣٦. النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بدون تاريخ. مجمع الأمثال. دار المعرفة. بيروت. لبنان.
٣٧. يشو، د. حسن. ٢٠١٨م. حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية دراسة تأصيلية تطبيقية. الطبعة الثانية. دار ابن كثير. بيروت. لبنان. دمشق. سورية.
٣٨. اليماني، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. تحقيق: عدنان بن صفا خان البخاري، راجعه: محمد أجمل الإصلاحي – سعود بن عبد العزيز العريفي. ١٤٣٤هـ. حقيقة التأويل (آثار عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني). الطبعة الأولى. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
٣٩. اليمني، نشوان بن سعيد الحميري. تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني - د. يوسف محمد عبد الله. ١٩٩٩م. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. دار الفكر المعاصر. بيروت. لبنان. دار الفكر. دمشق. سورية.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

أثر السنة في اطمئنان المسلم عند المنع والعطاء

د. مضاوي نايف متروك المطيري

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية – الكويت.

The effect of the Summah on the Muslim's reassurance when he is denied or given.

Dr. Madawi Naif Matrook Al-Muteiri

Ministry of Endowments and Islamic Affairs – Kuwait.

E-mail: madawialmutiry@hotmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

المنع – العطاء – السنة – المسلم – أثر – الحكمة.

KEY WORDS:

Granting – withhold -Alsonah – Muslim - Effect -Wisdom.

مستخلص البحث:

حياة الإنسان تدور بين المنع والعطاء، فقد يتمنى الإنسان الخير والعطاء في أمر من الأمور، وهو في الحقيقة شر له، وقد يكره المنع في أمر من الأمور، وهو في الحقيقة خير له، والله تعالى يعطي لحكمة ويمنع لحكمة، والمؤمن السوي يعلم أن الخير فيما اختاره الله له، فكم من إنسان وقع له شيء من الأقدار المؤلمة، والمصائب الموجعة، التي تكرهها نفسه، فيصيبه الحزن والجزع، فإذا بهذه المحنة تتحول إلى منحة إلهية، وكما قيل: ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك، فمن فهم الحكمة من العطاء والمنع أصبح المنع من زخارف الدنيا هو عين العطاء، والناظر في سنة النبي صلى الله عليه وسلم يجد الكثير من التوجيهات النبوية للمسلم في مواجهة المنع والعطاء ، وهذا ما يعالجه هذا البحث.

ABSTRACT:

Life is full of ups and downs. It's centred around taking and giving. We are all living under the mercy of God. Everything is predestined in the Heaven. We don't know what lies in stores. God may stand against the person's desire for invisible profits and gains. God gives according to His wisdom. We must surrender to the will of God and believe what Almighty God selects for us. After ordeals and disasters, divine gifts are showered on man. God acts what he sees good for man. Man should satisfy with what God chooses for him.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد خلق الله تعالى الخلق بقدرته، ودبّر الكون بحكمته، وهو سبحانه عليم بحال عباده، يعطي من يشاء، ويمنع عمّن يشاء، قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦]، وحياة الإنسان تدور بين المنع والعطاء، فقد يتمنى الإنسان الخير والعطاء في أمر من الأمور، وهو في الحقيقة شر له، وقد يكره المنع في أمر من الأمور، وهو في الحقيقة خير له، قال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦].

لذا فالله تعالى يعطي لحكمة ويمنع لحكمة، والمؤمن السوي يعلم أن الخير فيما اختاره الله له، فكم من إنسان وقع له شيء من الأقدار المؤلمة، والمصائب الموجعة، التي تكرهها نفسه، فيصيبه الحزن والجزع، فإذا بهذه المحنة تتحول إلى منحة إلهية، وحول التوجيهات النبوية للمسلم في مواجهة المنع والعطاء، يدور هذا البحث، وقد سميته «**أثر السنة في اطمئنان المسلم عند المنع والعطاء**».

إشكالية وتساؤلات البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة على التساؤلات الآتية:

١- ما حكمة الله في المنع والعطاء؟

٢- ما واجب المسلم حال المنع والعطاء؟

٣- ما أثر الإيمان بقدرة الله تعالى في المنع والعطاء؟

٤- ما التوجيهات النبوية لمواجهة حالتي المنع والعطاء؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

١- أهمية السنة النبوية.

٢- معالجة ظاهرة إنسانية لا تنفك عن الإنسان.

٣- بيان أهمية الرضا بقضاء الله وقدره.

٤- الترغيب في الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء.

أهداف البحث:

١- بيان الحكمة الإلهية في المنع والعطاء.

٢- بيان واجب المسلم حال المنع والعطاء.

٣- بيان أثر الإيمان بقدرة الله تعالى في المنع والعطاء.

٤- بيان التوجيهات النبوية لمواجهة المنع والعطاء.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسات سابقة تحدثت حول هذا الموضوع، وقد رأيت بعض الدراسات تقترب قليلًا مع موضوع البحث مع اختلاف كثير في منهجه ومن ذلك:

الدراسة الأولى: بحث بعنوان «ألفاظ العطاء في القرآن الكريم - دراسة موضوعية» للدكتور حيدر عبد العزيز إسماعيل الحسني، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، في بغداد بدولة العراق.

الدراسة الثانية: بحث بعنوان «المنع والعطاء في القصص القرآني سورة يوسف أنموذجًا» للأستاذ حسام محمد رشيد الصالحي، بحث منشور في مجلة كلية المأمون بدولة العراق.

الدراسة الثالثة: بحث بعنوان «سياقات العطاء في القرآن الكريم - دراسة تحليلية» للأستاذ خليل محمود حسين التمشة، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية بدولة العراق.

الفرق بين الدراسات السابقة وهذا البحث:

الدراسات السابقة تناولت موضوع المنع والعطاء في القرآن الكريم، ففي الأولى كانت دراسة موضوعية، وفي الثانية من خلال دراسة سورة يوسف، والثالثة دراسة تحليلية، بينما هذا البحث يتناول موضوع المنع والعطاء في السنة النبوية وأثره في اطمئنان النفس الإنسانية.

إجراءات البحث:

سأتبع في هذه الدراسة الإجراءات الآتية:

١- تخريج الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث من مصادرها، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذلك، وإن لم يكن الحديث فيهما أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه من السنن الأربعة، فإن لم يكن فيها توسعت في تخريجه مع ذكر الحكم على الحديث من خلال أقوال أهل العلم.

٣- عزو الأقوال إلى قائليها وتوثيق الاقتباسات بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة.

التمهيد:

الحكمة الإلهية في المنع والعطاء.

خلق الله الإنسان، وهو عليم بحال عباده، وما يُصلِحهم، لذا فإن الله تعالى يعطي ملكه من يشاء، ويمنعه عمن يشاء، قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦]، يقول تعالى: قل يا محمد، معظمًا لربك ومتوكلًا عليه، وشاكرًا له ومفوضًا إليه: اللهم مالك الملك، أي: أنت لك الملك كله، تؤتيه من تشاء، وتنزعه ممن تشاء، وتعز من

تشاء، وتذل من تشاء، أي: أنت المعطي، وأنت المانع، وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، فأنت سبحانك المتصرف في شئون خلقك، لا رادّ لقضائك، ولا معقب لحكمك، وعبر في الآية بلفظ الإيتاء الذي هو مجرد الإعطاء دون التمليك(١).

وحياة الإنسان تدور بين المنع والعطاء، فالله سبحانه يعطي لحكمة، ويمنع لحكمة، وكثيرا ما يكره الإنسان شيئًا ما وهو في الحقيقة خير له، وقد يتمنى الإنسان شيئًا ما وهو في الحقيقة شر له، كما قال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦]، فهذه الآية عامة في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة؛ أنها خير لها بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحبها النفوس لما تظنه فيها من الراحة واللذة؛ هي شر لها بلا شك، فعلى العبد المؤمن أن يشكر الله على كل حال؛ ولذا ختم الآية بقوله {والله يعلم وأنتم لا تعلمون} فالواجب على الإنسان أن يرضى بأقدار الله، سواء سرته أو ساءته(٢).

وقد فهم السلف الصالح هذه الحقيقة، ففوضوا أمرهم لله رب العالمين، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «ما أبالي على أي حال أصبحت على ما أحب، أم على ما أكره، ذلك بأني لا أدري الخيرة فيما أحب أم فيما أكره؟»(٣).

والواقع المشاهد يؤكد هذه الحقيقة القرآنية، فكم من إنسان سعى للوصول إلى شيء في ظاهره خير له، واستمات في سبيل الحصول عليه، وبذل الغالي والنفيس من أجل الوصول إليه، فإذا بالأمر يأتي على خلاف ما يريد، ويكون هذا المحبوب الذي سعى إليه شر له، وكم من إنسان وقعت له المصائب الموجعة، التي تكرهها نفسه، فيجزع، أو يصيبه الحزن، ويظن أن الدنيا ضاقت عليه بما رحبت، فإذا بهذه الآلام التي أصابته في حقيقتها منحة في ثوب محنة، وعطية في رداء بلية.

وكما قيل: ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك، فمن فهم الحكمة من العطاء والمنع أصبح المنع من زخارف الدنيا هو عين العطاء؛ لأنه منع عنك ما يشغلك عنه، وذلك مثل المريض الذي يمنعه أهله من بعض أنواع الطعام والشراب حبا له ورغبة في سرعة شفائه وتعافيه، وليس كراهية له، فالمريض يتألم من المنع، والمنع هو عين العطاء له، حيث يسرع منع لذيذ الطعام والشراب في زوال المرض ومجيئ الصحة والعافية، وجاء مثل هذا المعنى في حديث نبوي، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه»(٤).

وعن قتادة بن النعمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا كما يظل أحدكم، يحمي سقيمه الماء»(٥).

وقليل من الناس من يفهم حكمة الله تعالى في المنع والعطاء، قال تعالى: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} [الفجر: ١٥، ١٦].

يقول تعالى منكرًا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان، وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، والأمر ليس كما ظن الإنسان، لا في هذا، ولا في هذا، فإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيرا بأن يصبر(٦).

المبحث الأول:

حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن المنع والعطاء

الناظر في سنة النبي صلى الله عليه وسلم يجد الكثير من الأحاديث التي تكلم فيها النبي صلى الله عليه وسلم عن المنع والعطاء، ومن هذه الأحاديث:

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت»، فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذه الكلمات في موضعين:

الموضع الأول: بعد القيام من الركوع، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال: «ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(٧).

الموضع الثاني: بعد الانتهاء من الصلاة، لما روي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول خلف الصلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٢/ ٧١).
(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٧) باختصار وتصرف.
(٣) أخرجه أبو داود في الزهد (ص ١٠٨)، برقم (٩٦)، وابن أبي الدنيا الفرج بعد الشدة (ص ٣٥)، برقم (١٣).
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٣١)، برقم (٧٤٦٥)، وقال: حديث صحيح، ووافقه الذهبي.
(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٤٣)، برقم (٦٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٢)، برقم (١٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٣٠)، برقم (٧٤٦٤)، وقال: حديث صحيح، ووافقه الذهبي.
(٦) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٨) باختصار وتصرف.
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٤٧)، برقم (٤٧٧).

له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[٨].

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء بعد الرفع من الركوع وبعد الانتهاء من الصلاة، ومعناه: اللهم أي لا يقدر أحد على أن يمنع ما أعطيته لأي عبد، ولا يقدر أحد أن يعطي ما منعته لأي عبد، فأنت المانع، وأنت المعطي.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد على أن المعطي هو الله، فعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم»[٩]، أي: أن المعطي في الحقيقة هو الله تعالى، وأنه صلى الله عليه وسلم يقسم بينهم ما أمر الله به؛ فالأمور كلها بمشيئة الله تعالى وتقديره، فمن قسم له النبي صلى الله عليه وسلم قليلًا فذلك بقدر الله له، ومن قسم له كثيرًا فبقدر الله أيضًا، وبما سبق له في أم الكتاب، فلا يزاد أحد في رزقه، كما لا يزاد أحد في أجله[١٠].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العطاء الدنيوي للعبد لا يدل على محبة الله تعالى للعبد، وكذا المنع لا يدل على غضب الله على العبد، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين، فقد أحبه»[١١].

يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى خلق الخلق، وقسم بينهم أرزاقهم وأخلاقهم، فجعل منهم الغني والفقير، ولله عز وجل في هذا التقسيم حكمة بالغة، وليس إنعام الله على شخص دليلًا على حبه له، ولا إفقاره دليلًا على بغضه؛ لأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين والإيمان إلا لمن أحب، وحذر النبي صلى الله عليه وسلم أن يغتر العبد بما فتح الله عليه من الدنيا مع معصيته، لأن هذا استدراج منه تعالى، فعن عقبة بن عامر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤][١٢].أي أن الله تعالى إذا أعطى العبد العاصي ما يحب، فإنما هو استدراج من الله تعالى للعبد، فكلما جدد خطيئة جدد له نعمة، ظانًّا أنه أثرة من الله وتقريب حيث يعطيه من الدنيا ما يحبه، وفاته الاستغفار وأنه يأخذه قليلًا قليلًا ولا يباغته، فيمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر[١٣].

المبحث الثاني:

توجيهات نبوية عند المنع والعطاء

حياة الإنسان متقلبة بين العسر واليسر، الصحة والمرض، القوة والضعف، الغنى والفقر، السعادة والحزن، المنع والعطاء، وقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم بعض القواعد التي لو استعان بها العبد المسلم؛ لعاش في أمن واستقرار نفسي في مختلف هذه الأحوال، ومن هذه التوجيهات النبوية:

أولًا- الانقياد لله رب العالمين:

لما روي عن صهيب الرومي رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[١٤]، فالمؤمن الراضي بأحكام ربه، المصدق بوعد الله تعالى لعبده إما أن يبتلى بما يضره، أو بما يسره، فإن كان الأول صبر واحتسب ورضي، فحصل على خير الدنيا والآخرة وراحتهما، وإن كان الثاني عرف نعمة الله عليه ومنته فيها، فشكرها وعمل بها، فحصل على نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وليس ذلك إلا للمؤمن؛ أما غير المؤمن فلا يصبر على المصيبة، بل يتضجر ويتسخط، فيضاف إلى مصيبته الدنيوية مصيبته في دينه، وكذلك لا يعرف النعمة ولا يقوم بحقها ولا يشكرها، فتنقلب النعمة نقمة والحسنة سيئة[١٥].

ثانيًا- ما منعك إلا ليعطيك:

أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن ما يصيب العبد ما هو إلا ابتلاء واختبار من الله تعالى؛ لرفع الدرجات، وتكفير السيئات، فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب[١٦]، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه»[١٧].

---

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢٦)، برقم (٦٦١٥)، ومسلم في صحيحه (١/ ٤١٥)، برقم (٥٩٣).

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٨٥)، برقم (٣١١٦)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٩)، برقم (١٠٣٧).

(١٠) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٥٥).

(١١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٨٩)، برقم (٣٦٧٢)، والبزار في مسنده (٥/ ٣٩٢)، برقم (٢٠٢٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٨)، برقم (٩٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١١٩)، برقم (٥٩٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ٥٣): رواه أحمد، ورجال إسناده بعضهم مستور، وأكثرهم ثقات.

(١٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/ ٥٤٧)، برقم (١٧٣١١)، والطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ١١٠)، برقم (٩٢٧٢)، وفي المعجم الكبير (١٧/ ٣٣٠)، برقم (٩١٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٩٨)، برقم (٤٢٢٠)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٧٣).

(١٣) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٤٣٥).

(١٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٥)، برقم (٢٩٩٩).

(١٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٦٣٠).

(١٦) الوصب: دوام الوجع ولزومه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٩٠).

(١٧) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٤/٧)، برقم (٥٦٤١)، ومسلم في صحيحه (١٩٩٢/٤)، برقم (٢٥٧٣).

ثالثًا- ما ابتلاك الله إلا لحبه لك:

يظن البعض أن ما أصابه من ابتلاء هو دليل على غضب الله على العبد، وهذا غير صحيح؛ لأن الابتلاء من الله للعبد دليل على محبته له، فقد ثبت أن أشد الناس بلاء هم أولياؤه وأحباؤه من النبيين والصالحين، فعن سعد بن أبي وقاص أنه قال: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[(١٨)].

رابعًا- ما ابتلاك الله إلا لرفع منزلتك:

قد يصاب الإنسان بالابتلاء من الله تعالى ويلهمه الصبر على هذا الابتلاء، حتى يرفع درجته في الآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة، لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى»[(١٩)]

خامسًا- الرضا بالمقسوم:

الرضا عن الله تعالى في حالتي المنع والعطاء من أهم ما يخفف عن الإنسان ما يعانيه في لحظات المنع والابتلاء، فالغنى والسعادة في الرضا عن الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ»[(٢٠)].

سادسًا- أن ينظر المرء إلى من هو دونه في أمور الدنيا:

علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن من نظر إلى مَن فضل عليه في الدنيا، استصغر ما عنده من نعم الله، فكان سببا لمقته، وإذا نظر إلى مَن هو أقل منك، شكر النعمة، وتواضع وحَمِدَ الله تعالى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»[(٢١)].

سابعًا ـ المنحة تخرج من رحم المحنة:

علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن المحن التي يصاب بها العبد إذا تقبلها وصبر عليها تحولت من محن إلى منح، فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦]، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها»، قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٢٢)].

المبحث الثالث:

آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع

للإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع آثار عظيمة تظهر في حياة الإنسان، ومن هذه الآثار:

أولًا- العلم أن الله لا يمنع ولا يعطي إلا لحكمة:

إذا علم العبد أن الله لا يمنع ولا يعطي إلا لحكمة؛ حينئذ يرضى بما أعطى الله وبما منع؛ فإذا ضاقت عليه الدنيا، وكثرت عليه الشدائد، لم تؤثر فيه تأثيرا كبيرا؛ لأنه يعلم أن لله حكمة فيما منع، وحكمة فيما أعطى، وأنه يسلك بك طريق أوليائه وأصفيائه، كما قال تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور: ٤٨]

ثانيًا- السخاء بما في اليد:

من آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع أن تجعل الإنسان كريمًا سخيًّا ينفق على الفقراء والمحتاجين؛ لأنه يعلم أن المال مال الله، وأن الله هو المعطي على الحقيقة، فمن شكر الله في نعمة المال بالجود به وإعطائه لمستحقيه يحفظ له هذه النعمة، قال الله تعالى: {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: ٧].

ثالثًا- عدم المن بالعطية لأنها من الله تعالى:

من آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع أن تجعل الإنسان إذا أعطى الفقير والضعيف لا يمن عليه بما أعطاه؛ لأنه يعلم أن المعطي في الحقيقة هو الله، وأنه مُستخلَف في هذا المال للابتلاء به، كما قال الله: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: ١٦٥].

رابعًا- ترك التأسف والحزن على ما فات:

من آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع أنه لا يتأسف على ما فاته من الدنيا، فيكثر من قول لو كان كذا لكان كذا، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»[(٢٣)].

---

(١٨) أخرجه الترمذي في سننه (٤ / ٦٠١)، برقم (٢٣٩٨)، وابن ماجه في سننه (٢ / ١٣٣٤)، برقم (٤٠٢٣).

(١٩) أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ١٨٣)، برقم (٣٠٩٠)، والحديث صححه الألباني في الصحيحة (٦/ ١٨٩).

(٢٠) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٥١)، برقم (٢٣٠٥)، وقال: هذا حديث غريب.

(٢١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٥)، برقم (٢٩٦٣).

(٢٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٣١)، برقم (٩١٨).

(٢٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٢)، برقم (٢٦٦٤).

خامسًا- الشدة لا تدوم، بل تعقبها رحمة الله:

من فوائد الإيمان بحكمة الله تعالى في المنع والعطاء أن يعلم المؤمن أن العسر والشدة لا تدوم بل يعقبها الفرج واليسر، كما قال تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح: ٥، ٦]

سادسًا- تحقيق معاني التقوى:

من آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع تحقق معنى التقوى في قلب العبد المؤمن؛ لأنه يعلم أن التقوى سبب من أسباب العطاء، وتفريج الكروب، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢، ٣].

سابعًا- التوكل على الله والأخذ بالأسباب:

من آثار الإيمان بقدرة الله في العطاء والمنع أن تجعل العبد المؤمن متوكلًا على ربه، مستعينًا به في كل أحواله، وحقيقة التوكل تفويض الأمر إلى الله والثقة به، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٣].

ثامنًا- حسن الظن بالله:

من آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع تقوية حسن الظن بالله تعالى الذي يجلب السعادة إلى النفس، والانشراح إلى القلب، وحسن الظن بالله يدعو إلى التوكل عليه؛ إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه، فعلى قدر حسن ظنك بربك يكون توكلك عليه، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»(٢٤).

لذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحسن الظن بالله تعالى، فعن جابر بن عب الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»(٢٥).

الخاتمة:

أولًا- النتائج:

- حياة الإنسان تدور بين المنع والعطاء، فالله سبحانه يعطي لحكمة، ويمنع لحكمة، وكثيرًا ما يكره الإنسان شيئًا ما وهو في الحقيقة خير له، وقد يتمنى الإنسان شيئا مًا وهو في الحقيقة شر له.
- فهم السلف الصالح الحكمة الإلهية في المنع والعطاء، ففوضوا أمرهم لله رب العالمين.
- من فهم الحكمة من العطاء والمنع أصبح المنع من زخارف الدنيا هو عين العطاء.
- كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت.
- المعطي في الحقيقة هو الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وسلم يقسم ما أمر الله به؛ فالأمور كلها بمشيئة الله تعالى وتقديره.
- العطاء الدنيوي للعبد لا يدل على محبة الله تعالى للعبد، وكذا المنع لا يدل غضب الله على العبد.
- حذر النبي صلى الله عليه وسلم أن يغتر العبد بما فتح الله عليه من الدنيا مع معصيته؛ لأن هذا استدراج من الله تعالى للعبد.
- من التوجيهات النبوية عند المنع والعطاء: الانقياد لله رب العالمين.
- على المؤمن أن يعلم أن ما يصيب العبد ما هو إلا ابتلاء واختبار من الله تعالى، لرفع الدرجات، وتكفير السيئات.
- على المؤمن أن يعلم أن الله ما ابتلاه إلا لحبه لك، أو لرفع منزلته في الآخرة.
- الرضا عن الله تعالى في حالتي المنع والعطاء من أهم ما يخفف عن الإنسان ما يعانيه في لحظات المنع والابتلاء، فالغنى والسعادة في الرضا عن الله.
- من نظر إلى من فضل عليه في الدنيا، استصغر ما عنده من نعم الله، فكان سببًا لمقته، ومن نظر إلى من هو أقل منك، شكر النعمة، وتواضع وحَمِدَ الله تعالى.
- المنحة تخرج من رحم المحنة، فالمحن التي يصاب بها العبد إذا تقبلها وصبر عليها تحولت من محن إلى منح.
- إذا علم العبد أن الله لا يمنع ولا يعطي إلا لحكمة؛ حينئذٍ يرضى بما أعطى الله وبما منع.
- من آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع أن تجعل الإنسان كريمًا؛ لأنه يعلم أن المال مال الله، وأن الله هو المعطي على الحقيقة.
- من آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع أن تجعل الإنسان إذا أعطى الفقير والضعيف لا يمن عليه بما أعطاه؛ لأنه يعلم أن المعطي في الحقيقة هو الله، وأنه مستخلف في هذا المال للابتلاء به.
- من آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع أنه لا يتأسف على ما فاته من الدنيا.
- من فوائد الإيمان بحكمة الله تعالى في المنع والعطاء أن يعلم المؤمن أن العسر والشدة لا تدوم بل يعقبها الفرج واليسر.
- من آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع تحقق معنى التقوى في قلب العبد المؤمن؛ لأنه يعلم أن التقوى سبب من أسباب العطاء، وتفريج الكروب.

(٢٤) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٥٧٣) برقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٩٤) برقم (٤١٦٤). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٠٥)، برقم (٢٨٧٧).

- من آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع أن تجعل العبد المؤمن متوكلًا على ربه، مستعينًا به في كل أحواله.
- من آثار الإيمان بقدرة الله تعالى في العطاء والمنع تقوية حسن الظن بالله تعالى، وحسن الظن بالله يدعو إلى التوكل عليه؛ إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به.

ثانيًا- التوصيات:

- أهمية الربط بين السنة النبوية والواقع المعاصر.
- أوصي الباحثين باستخراج حلول عملية من السنة النبوية للظواهر السيئة التي تنتشر في المجتمع.
- أوصي الباحثين بالربط بين السنة النبوية والمشكلات الإنسانية المعاصرة.

المراجع:

- القرآن الكريم.
- ألفاظ العطاء في القرآن الكريم - دراسة موضوعية، للدكتور حيدر عبد العزيز إسماعيل الحسني، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، في بغداد بدولة العراق.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لعبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبي محمد، زكي الدين المنذري، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.
- الزهد، لأبي داود سليمان السجستاني، رواية: ابن الأعرابي عنه، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، قدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: لمحمد بن ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- سياقات العطاء في القرآن الكريم - دراسة تحليلية، للأستاذ خليل محمود حسين التمشة، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية بدولة العراق.
- شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، حققه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، تحت إشراف: مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الفرج بعد الشدة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف

بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: أبو حذيفة عبيد الله بن عالية، الناشر: دار الريان للتراث، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، لعبد الحق بن سيف الدين البخاري الدِّهلوي الحنفي (ت: ١٠٥٢هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، بتحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- مسند أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المعروف بصحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، حققه: محيي الدين ديب ميستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- المنع والعطاء في القصص القرآني سورة يوسف أنموذجًا، للأستاذ حسام محمد رشيد الصالحي، بحث منشور في مجلة كلية المأمون بدولة العراق.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

مَقصَد العِفّة، وأثره في أحكام النكاح والخلع دراسة فقهية تطبيقية.

د. لارا بنت خالد السبع

أستاذ مساعد -متعاون- قسم الشرعية في كلية الحرم المكي- مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية.

The Objective of Chastity and Its Impact on the Rulings of Marriage and Khulʿ: An Applied Jurisprudential Study.

Dr. Lara bint Khalid Al-Sabi

Assistant Professor (Adjunct) – Department of Sharia, Al-Haramain College, Makkah, Saudi Arabia

E-mail: lara.khaledsb@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

العفة – مقصد – نكاح – أسرة.

KEY WORDS:

Chastity – Objective – Marriage – Family

مستخلص البحث:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذا البحث بعنوان مقصد العفة وأثره في أحكام النكاح والخلع: دراسة فقهية تطبيقية، هدفه: عرض بعض المسائل الفقهية المتعلقة بمقصد العفة في مسائل في كتابَي النكاح والخلع، وتناول بعض النوازل المعاصرة ذات العلاقة بالمقصد، وقد قسمته إلى: مقدمة وفصلين وخاتمة، وجاءت المقدمة مشتملة على أهمية الموضوع وأهداف البحث وحدوده والدراسات السابقة ومخطط البحث ومنهجيته، وتناول الفصل الأول الجانب النظري في تعريف مقصد العفة، وأنواع العفة، ومقصد العفة باعتباره مقصد جزئي، ثم الفصل الثاني وتناول الجانب التطبيقي في أثر مقصد العفة في النكاح وتناول مسائل في إعفاف الوالدين والولد والكفاءة والعشرة الزوجية، وأثر مقصد العفة في الخلع، ثم الخاتمة وأهم التوصيات، ومنها: الدعوة إلى تكثيف الجهود في استقراء الأحكام الشرعية واستخراج الحِكم والعلل لتوسيع دائرة البحث في المقاصد الشرعية، والمزيد من الدراسات التفصيلية التطبيقية للمقاصد الجزئية مع ربطها بدراسات بينية، الاهتمام بالأبحاث المرتكزة على منهجيات الفقهاء للاستفادة منها في البحوث المقاصدية عند كل عالم.

ABSTRACT:

Praise be to Allah, and may peace and blessings be upon the Messenger of Allah. To proceed:

This research, entitled "The Objective of Chastity and Its Impact on the Rulings of Marriage and Khulʿ: An Applied Jurisprudential Study," aims to present selected jurisprudential issues related to the objective of chastity as they appear in the chapters of marriage and khulʿ, while also addressing certain contemporary cases relevant to this objective.

The study is divided into an introduction, two main chapters, and a conclusion.

The introduction includes the importance of the topic, the objectives of the study, its scope and limitations, a review of previous studies, the research outline, and the adopted methodology.

The first chapter presents the theoretical framework, including a definition of the objective of chastity, its types, and its classification as a partial (or secondary) objective within Islamic jurisprudence.

The second chapter covers the practical aspect, addressing the impact of the objective of chastity on rulings related to marriage—such as issues of fulfilling the sexual needs of parents and children, compatibility (kafāʾah), and marital cohabitation—as well as its impact on rulings related to khulʿ.

The conclusion highlights key findings and recommendations, among which are:

Calling for intensified efforts in examining Islamic legal rulings to extract underlying wisdoms and legal reasons, thereby broadening the scope of research on the objectives of Islamic law (maqāṣid).

Encouraging more detailed applied studies of partial objectives, with an emphasis on interdisciplinary research.

Giving greater attention to research based on the methodologies of classical jurists, in order to benefit maqāṣid-based studies across different schools of thought.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

وبعد:

فالإسلام جاء بمنظومة متكاملة من الأحكام التي تهدف إلى ترسيخ العفة في حياة الأفراد والمجتمعات، فالعفة مقصد شرعي يحمل أجمل معاني النبل والسمو والطهارة والكرامة، فهو يجعل الفرد بشكل خاص والأسرة بشكل عام في العلو التكريمي وينزهها عن الدرك البهيمي.

إن مقصد العفة لا يتناول الجانب الأخلاقي فقط، وإنما تأصيل لأهم الأسس التي تقوم عليها المجتمعات المستقرة، والتي تتضمن البناء القوي القائم على الطهر والفضيلة.

وفي أثناء عملي على رسالة الدكتوراه والتي كانت في تحقيق التراث، وقفتُ على مسائل عدة متعلقة بمقصد العفة، فعزمتُ على جمعها، وذكر أدلتها وترجيحاتها، ونظمتها في خطة مختصرة؛ نظرًا للتقيد بعدد الصفحات، وهي تحت عنوان:

مقصد العفة وأثره في أحكام النكاح والخلع (دراسة فقهية تطبيقية)

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في التساؤلات التالية: ما معنى العفة؟ وأي نوع من العفة يستهدفه البحث؟ وما هي الفروع الفقهية المتعلقة بمقصد العفة في أحكام النكاح والخلع؟

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث فيما يلي:

١. بيان معنى العفة، وأنواعها، وأدلتها.

٢. بيان العفة كمقصد شرعي مؤثر في بعض المسائل الفقهية.

٣. بيان أثر هذا المقصد في بعض المستجدات المعاصرة.

أهداف البحث:

١. بيان معنى العفة.

٢. تحديد نوع العفة المستهدف في البحث.

٣. حصر المسائل المتعلقة بمقصد العفة في أحكام النكاح والخلع.

٤. بيان بعض الجوانب النفسية والاجتماعية أثناء عرض بعض المسائل وما يتعلق بالنوازل.

حدود البحث: المسائل التي لها علاقة بمقصد العفة في أحكام النكاح والخلع.

الدراسات السابقة: هناك عدة دراسات متعلقة بالعفة، منها:

١. العفة في الإسلام وتطبيقاتها مقارنة بالأديان والفلسفات المعاصرة: دراسة نقدية، سمية الحسيان، بحث دكتوراه، جامعة أم القرى، ٢٠٢٢م.

البحث تأصيلي في قيمة العفة في الإسلام مع المقارنة بالأديان الأخرى والفلسفات المعاصرة وترسيخ تطبيقها وأهم المؤثرات عليها.

٢. الأحاديث الواردة في العفة: دراسة موضوعية، د.عبد الله لبابيبي، بحث منشور، عام ٢٠٢٠م.

البحث جمعٌ للأحاديث الواردة في العفة، وقد قسم البحث إلى محاور في أنواع العفة، والأسباب المعية عليها، والأعمال التي رغب بها النبي ﷺ لتحصيل العفة، وفضلها، وأدرج تحتها الأحاديث المتعلقة بها.

٣. العفة في ضوء القرآن الكريم، مفهومها ومقاصدها وضرورتها، د. منظور محمد رمضان، بحث منشور، ٢٠١٥م.

البحث عن نصوص العفة في القرآن بشكل عام، وبيان أنواعها، مع تطبيقات للعفة في الحياة العملية.

٤. الدعوة إلى العفة في ضوء الكتاب والسنة: دراسة تأصيلية، صالح الغامدي، بحث ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٤ه.

البحث يتناول العفة من ناحية دعوية، بماهية وأساليب الدعوة إلى العفة، ومعوقات الدعوة إلى العفة ومخاطرها للداعي والمدعو.

وجميع الأبحاث السابقة لم تتعرض للعفة من ناحية مقاصدية مع التطبيق على المسائل الفقهية، وفي هذا البحث تحدثت عن مسائل فقهية متعلقة بمقصد العفة، مع ذكر أقوال العلماء فيها، والتعرض لمستجدات معاصرة.

منهج البحث:

اتبعتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي، فاستقرأت الفروع التفصيلية، واستنبطتُ منها الأحكام الفقهية والنوازل المعاصرة في حدود عمل المقصد، وكانت المنهجية بهذا التفصيل:

١. ذكر الفرع الفقهي، وقد أذكر في بعض المسائل تصورًا؛ ليتضح المقصود.

٢. إذا كانت المسألة من مواضع الاتفاق فأذكر حكمها مع التوثيق.

٣. إذا كانت من مسائل الخلاف، فأذكر الأقوال فيها، وبيان من قال بها من الفقهاء، مع الاستدلال.

٤. وثقتُ الأقوال من مصادرها.

٥. رجّحت بعض المسائل مع بيان سبب الترجيح، وذكر الأثر في الغالب.

٥. اعتنيت ببعض القضايا من النوازل مما له صلة بالبحث.

٦. خرجت الأحاديث من مصادرها مع إثبات اسم الكتاب والباب ورقم الحديث.

٧. ذيلتُ البحث بخاتمة وتوصيات وفهرسًا للمراجع مرتبًا حسب الترتيب الهجائي.

خطة البحث:

قسمتُ البحث إلى مقدمة، وفصلين، وفهرس للمراجع.

المقدمة: واشتملت على:

الافتتاحية، وأهمية البحث، وأهداف البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث، وخطة البحث.

الفصل الأول: التأصيل النظري، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف مقصد العفة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المقصد

المطلب الثاني: تعريف العفة

المبحث الثاني: أنواع العفة

المبحث الثالث: مقصد العفة باعتباره مقصد جزئي

الفصل الثاني: الجانب التطبيقي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر مقصد العفة في النكاح، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر مقصد العفة في وجوب التزويج

الفرع الأول: حكم إعفاف الوالد

الفرع الثاني: حكم إعفاف الوالدة

الفرع الثالث: حكم إعفاف الابن

المطلب الثاني: أثر مقصد العفة في الكفاءة، وفيه فرعان:

الفرع الأول: زواج العفيفة من الفاجر

الفرع الثاني: زواج العفيف من غير العفيفة

المطلب الثالث: أثر مقصد العفة في العشرة الزوجية، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الاستمتاع الإلكتروني

الفرع الثاني: تخيل غير الزوج أو الزوجة أثناء الجماع

الفرع الثالث: حكم إعفاف الزوجة

المبحث الثاني: أثر مقصد العفة في الخلع، وفيه مطلب واحد:

المطلب الأول: حكم عضل الزوجة غير العفيفة لتفتدي زوجها بالخلع

الخاتمة والتوصيات ثم فهرس المراجع.

الفصل الأول: التأصيل النظري، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف مقصد العفة:

المطلب الأول: تعريف المقصد:

المقصد لغة: مصدر مشتق من الفعل قصد، والمقصد له عدة معانٍ في اللغة، منها: التوجه واستقامة الطريق، والأمّ، وإتيان الشيء، وبمعنى التوسط والاعتدال وعدم الإفراط[١].

المقصد اصطلاحًا: المقاصد عادة تضاف إلى الشريعة، ولم أقف على تعريفها عند المتقدمين، ووردت عدة تعاريف عند المعاصرين، من أقدمها: تعريف ابن عاشور فذكر رحمه الله بأنها: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختصّ ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"[٢].

فالمقاصد متعلقة بالحكم المقصودة من التشريعات[٣].

المطلب الثاني: تعريف العفة:

العفة لغةً: تدل على ترك الشيء وقلة الشيء، وهي: الكف عما لا يحل ويجمل[٤].

العفة اصطلاحًا: لها عدة تعريفات، منها: " ضبط النفس عن الملاذّ الحيوانية، وهي حالة متوسطة من إفراط -وهو الشَّرَه- ، وتفريط، وهو جمود الشهوة"[٥].

وقيل في تعريفها: "العفة في العرف: الامتناع عن كل فاحشة"[٦].

فنلاحظ أن العفة خلق شامل ناشئ عن جملة من الأخلاق الكريمة، فهي أصل لكثير من الأخلاق كالصبر والعزة والكرامة والحياء وغيرها.

المبحث الثاني: أنواع العفة:

العفة نوعان: عفة عن المحارم، وعفة عن المآثم، أما العفة عن المحارم: فهي ضبط الفرج عن الحرام، وكف اللسان عن الأعراض، وأعظم الداعي لهما: إرسال الطرف، واتباع الشهوة. وأما العفة عن المآثم: فهي الكف عن المجاهرة بالظلم، وزجر النفس عن الإسرار بخيانة[٧].

والعفة المتعلقة بضبط الفرج هي موضوع البحث وعليه أقيمت الفروع، وهي من المقاصد الجزئية التي يستدل بها على الحكم المتعلق بها، وهي محل إبداع النظر المقاصدي ومنطلق إضافاته الحقيقية[٨].

المبحث الثالث: مقصد العفة باعتباره مقصد جزئي

المقاصد الشرعية تنقسم إلى:

مقاصد عامة، وهي التي تتعلق في جميع أبواب الشريعة ومجالاتها، بحيث لا تختص ملاحتها في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل فيها غايات الشريعة الكبرى[٩].

مقاصد خاصة: وهي العلل والغايات والحِكم التي راعاها الشرع من حيث النظر لجميع أصول وفروع الشريعة في باب معين، أو أبواب معينة، كالمقاصد التي تتعلق بالأسرة، أو المعاملات، أو العقوبات، ونحوها[١٠].

مقاصد جزئية: وهي أدق مما سبق، فهي تتعلق بكل مسألة من الباب الفقهي على انفراده، فهي خاصة بمسألة أو باب معين[١١]، أو المقاصد المتعلقة بالحِكم ولها أثر على فروع

---

[١] ينظر: مادة: (قصد) في: تهذيب اللغة، الأزهري (٨/ ٢٧٤)، لسان العرب، ابن منظور (٣/٣٥٣).

[٢] ينظر: مقاصد الشريعة، ابن عاشور (ص:٢٥١).

[٣] ينظر: بناء الأحكام على المقاصد، فهد العجلان (ص:٢٠).

[٤] ينظر: مادة: (عفف): مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/٣)، لسان العرب، ابن منظور (٩/٢٥٣).

[٥] الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني (ص:٢٢٤).

[٦] تفسير الماوردي (٤/٩٩).

[٧] ينظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي (ص:٣٢١-٣٢٤)

[٨] ينظر: بناء الأحكام على المقاصد، فهد العجلان (ص:١٥٣).

[٩] ينظر: مقاصد الشريعة، ابن عاشور (ص:٥٠)، علم المقاصد الشرعية، الخادمي (ص:٧٢).

[١٠] ينظر: مقاصد الشريعة، ابن عاشور (ص:١٥٥ وما بعدها)، المقاصد الجزئية والمقاصد الخاصة، فريد بوهنة (ص:٢).

[١١] ينظر: المقاصد الجزئية والمقاصد الخاصة، فريد بوهنة (ص:٦).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

كثيرة من أبواب متفرقة، كمقصد الشفقة، ومراعاة المشاعر، والعفة في هذا البحث[١٢].

المبحث الأول: أثر مقصد العفة في كتاب النكاح

المطلب الأول: أثر مقصد العفة في وجوب التزويج

الفرع الأول: في حكم إعفاف الوالد

اختلف الفقهاء في حكم إعفاف الأب المُعسِر على قولين:

القول الأول: أن الولد يلزمه إعفاف أبيه، وهو رواية عند المالكية[١٣]، والمشهور عند الشافعية[١٤]، والمذهب عند الحنابلة[١٥]. **واستدلوا بأدلة:**

من القرآن: بعموم قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ [لقمان: ١٥].

وجه الدلالة: أن إنكاح الوالد من المعروف، وهو لا يَلِيق بحرمة الأبوة، وليس من المصاحبة بالمعروف المأمور بها، فالزواج مما تدعو الحاجة إليه ويتضرَّر الأب بفَقْدِه، فلَزِم ابنه تزويجه كالنفقة[١٦].

نوقش: أن منطوق الآية لا دلالة فيه، ومفهومها أن لا يدخل عليهما الضّرر، وترك التزويج ليس هو إدخالُ ضررٍ من جهة الابن[١٧].

ومن المعقول:

١. "لما وُقِيت نفس الأب بنفس الابن لم يُقتصّ من الأب بالابن، فأولى إن تُوقى نفسه بمال الابن في وجوب إعفافه على الابن" [١٨]

٢. أنه من جملة النفقة والقُوت؛ فالنكاح من وجوه حاجاته المهمة كالنفقة والسكنى، ولئلا يعرِّضه للزنا المُفضِي إلى الهلاك، فهو يحتاج إليه ويضرُّه فقده، فأشبه النفقة[١٩] .

ونوقش: أن استدلالهم لا يصحّ، فمن فَقَدَ الطِّيب لِمَن أَلِفَه لحِقه ضَرر بفَقدِه، وبفقدِ الملابس الفاخرة، والأطعمة اللذيذة، والنكاح لا يلزمه لنفسه إن احتاج إليه، كذلك لا يلزمه لأبيه[٢٠].

القول الثاني: لا يلزم الولد إعفاف أبيه، وهو قول الحنفية[٢١] ورواية عند المالكية[٢٢]، وبعض الشافعية[٢٣]، واستدلوا:

من المعقول:

١. أن وجوب النفقة على الابن لا تقتضي وجوب إعفافه لو احتاج.

٢. أن وجوب النفقة على الأم لا يقتضي وجوب إعفافها لو احتاجت، فإن كان إعفافه مُعتبرًا بالطرف الأدنى سقط بالابن، وإن كان مُعتبرًا بالطرف الأعلى سقط بالأم[٢٤].

الفرع الثاني: في حكم إعفاف الأم

صورة المسألة: إذا طلبت الأمّ الزواج، وخَطَبها الكُفء، فهل يجب على الابن إعفافها؟

اختلف الفقهاء على قولين:

القول الأول: يلزم الابن إعفاف أُمّه، وهو قول الحنابلة[٢٥]، ووجه شاذ عند الشافعية[٢٦]. **واستدلوا من المعقول:** أن كلّ من لَزِمَت نفقته يجب إعفافه، والأمّ تلزمُ نفقتها على ولدها، فإذا زوّجها أصبحت النفقة على الزوج[٢٧]

القول الثاني: لا يلزم، وهو قول الجمهور[٢٨]. **واستدلوا من المعقول:** أن إعفاف الأب إلزام فوَجب على الابن، وإعفاف الأمّ اكتساب فلم يجب على الابن[٢٩]، فلا مؤونة عليها ابتداء ودوامًا حتى يجب على الابن بذلها[٣٠].

الفرع الثالث: في حكم إعفاف الولد

اختلف الفقهاء في حكم إعفاف الابن عند حاجته على قولين:

القول الأول: لا يلزم إعفافه، وهو قول الجمهور[٣١].

واستدلوا من المعقول: أن نفقة الابن تسقط ببلوغه، فلا يلزم إعفافه[٣٢].

القول الثاني: يَلزَم إعفافه، وهو من مفردات المذهب عند الحنابلة[٣٣].

واستدلوا من السنة: (أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله عندي دينار قال: تصدق به على نفسك، قال: عندي آخر، قال: تصدق به على ولدك) [٣٤].

وجه الدلالة: المراد من الصدقة: النفقة، ورتَّب ﷺ الأول فالأول، وذكر ولده؛ لأنه كبعضه[٣٥]، ومن النفقة الواجبة - في حال احتياج الابن- إعفافه بالتزويج.

---

[١٢] ينظر: بناء الأحكام على المقاصد، فهد العجلان (ص:١٥٣).

[١٣] ينظر: التاج والإكليل، المواق (٥٨٦/٥)، الفواكه الدواني، النفراوي (٦٩/٢).

[١٤] ينظر: روضة الطالبين، النووي (٢١٤/٧)، مغني المحتاج، الشربيني (٣٥٣/٤).

[١٥] ينظر: الإنصاف، المرداوي (٣٧٤/٢٠).

[١٦] ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي (٧٣٦٠/١٠).

[١٧] ينظر: التجريد، القدوري (٤٤٩٩/٩).

[١٨] الحاوي الكبير، الماوردي (١٨٣/٩)

[١٩] ينظر: نهاية المطلب، الجويني (٢٠٧/١٢)، الكافي في فقه الإمام أحمد (٢٤٢/٣).

[٢٠] ينظر: التجريد، القدوري (٤٤٩٩/٩).

[٢١] ينظر: التجريد، القدوري (٤٤٩٨/٩).

[٢٢] ينظر: المختصر الفقهي، ابن عرفة (٧٠/٥)، التاج والإكليل، المواق (٥٨٦/٥).

[٢٣] ينظر: روضة الطالبين، النووي (٤٢١/٢٤)،

[٢٤] الحاوي الكبير، الماوردي (١٨٣/٩).

[٢٥] ينظر: المبدع، ابن المفلح (١٧٣/٧)، الإنصاف، المرداوي (٤٢١/٢٤).

[٢٦] ينظر: النجم الوهاج، الدميري (٢٦٦/٧).

[٢٧] ينظر: المغني، ابن قدامة (١١/ ٣٧٩).

[٢٨] ينظر: التجريد، القدوري (٤٤٩٨/٩)، الحاوي الكبير، الماوردي (١٨٥/٩)،

[٢٩] ينظر: الحاوي الكبير، الماوردي (١٨٥/٩)

[٣٠] ينظر: نهاية المطلب، للجويني (٢١٤/١٢).

[٣١] ينظر: التجريد، القدوري (٤٤٩٨/٩)، الحاوي الكبير، للماوردي (٩/ ١٧٦)، نهاية المطلب، للجويني (١٢/ ٢١٤)

[٣٢] ينظر: مواهب الجليل، الحطاب (٢١٠/٤).

[٣٣] ينظر: المغني، ابن قدامة (١١/ ٣٨٠)، المنح الشافيات، البهوتي (٦٧٨/٢).

[٣٤] رواه أبو داود في سننه: كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، برقم (١٦٩١)، وإسناده حسن. ينظر: صحيح سنن أبي داود، الألباني (٣٧٥/٥).

[٣٥] ينظر: شرح سنن أبي داود، العيني (٤٥٠/٦).

ومن المعقول: أن الولد من عمودَي النسب، وتلزَم نفقته، فلزِم إعفافه عند حاجته إليه، كأبيه[٣٦].

والراجح عندي وجوب الإعفاف للوالدَين والولد إذا احتيج له، والمقصد حكمة للمسألة، وسبب الترجيح: أن ذلك مما تدعو حاجته إليه، ويستضر بفقده، فهو كالنفقة، والشرع قد اعتبر جهة الوالد في التوريث والتعصيب، فكذلك في الإنفاق والاستحقاق[٣٧].

المطلب الثاني: أثر مقصد العفة في الكفاءة [٣٨]

الفرع الأول: زواج العفيفة من الفاجر

صورة المسألة: لو عقد غير العفيف على العفيفة، فهل يصح العقد؟

اتفق الفقهاء رحمهم الله على أن العفيفة ليست بكُفءٍ للفاجر، واختلفوا في صحة العقد على غير العفيف على قولين:

القول الأول: أن العقد فاسد، وهو قول الحنفية فيما إذا عقدت المرأة لنفسها بغير كُفء[٣٩]، وقول عند المالكية[٤٠]، وقول عند الشافعية[٤١]، ورواية عند الحنابلة[٤٢]، واستدلوا:

من القرآن: قوله تعالى: {ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [النور:٣].

وجه الدلالة: أنه لا يصح تزويج الحرة العفيفة بالرجل الفاجر غير العفيف حتى يتوب؛ لقوله تعالى: {وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [٤٣].

ومن السنة: قوله ﷺ: (لا يَنْكِحُ الزَّاني المَجلودُ إلا مِثلَه)[٤٤]

وجه الدلالة: أن الزاني لا يكافئ العفيفة، ولا ينكح إلا مثله، "وإنما ذكر المجلود لاشتهاره بالفسق وهو الذي يجب أن يفرّق بينه وبين غيره"[٤٥].

القول الثاني: صحة العقد، وللمرأة أو الأولياء حق الفسخ، وهو قول الجمهور[٤٦].

واستدلوا بأدلة، منها:

من السنة: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ يَرْفَعُ بِي خَسِيسَتَهُ، فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا [٤٧].

وجه الدلالة: أنّ الخيار لا يثبت في العقد الفاسد، فدل على صحة العقد، وأنه كان موقوفًا على خيارها وإجازتها[٤٨].

ومن المعقول: أن إجازة هذا النكاح هو نقصٌ وتقصيرٌ على المرأة والأولياء، فإذا رَضِيت المزوَّجة ومن له الأمر معها بالنقص، فالنكاح صحيح[٤٩].

والراجح عندي القول باشتراط الكفاءة في العفة لصحة النكاح، والمقصد أثر على حكم العقد من حيث الصحة والفساد، وسبب الترجيح: دلالة الآية على اشتراط العفة لصحة عقد النكاح، فلا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى: وحرم ذلك على المؤمنين[٥٠]، ثم إن كان الزوج معروفًا بالزنا ولم يتب، فإنه يهون عليه أن تزني امرأته؛ لأن الذي يمارس المنكر يهون عليه المنكر، وحينئذٍ يكون ديوثاً؛ وهو الذي يقر الفاحشة في أهله[٥١].

الفرع الثاني: زواج العفيف من غير العفيفة

صورة المسألة: هل يجوز للعفيف أن ينكح غير العفيفة؟ وهل تشترط توبتها؟

اختلف الفقهاء في حكم نكاح غير العفيفة على قولين:

القول الأول: الجواز، وهو قول الجمهور، واشترط المالكية[٥٢] الاستبراء[٥٣] بحيضة، واستحب الحنفية[٥٤] الاستبراء، وأجاز الشافعية[٥٥] العقد والوطء بلا استبراء، واستدلوا:

من القرآن: قوله تعالى: {وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ} [النور:٣٢]

وجه الدلالة: أن غير العفيفة دخلت في أيامى المسلمين[٥٦]، وهذه الآية ناسخة لآية النور في نكاح الزانية[٥٧].

---

[٣٦] ينظر: المصدر السابق.

[٣٧] ينظر: المغني، ابن قدامة (٣٧٩/١١).

[٣٨] الكفاءة: أمر يوجب عدمه عارًا. مغني المحتاج، الشربيني (٢٧٢/٤). والكفاءة معتبرة في جانب الزوج دون الزوجة، فهي حق للمرأة وأوليائها. ينظر: المغني، ابن قدامة (٣٩٧/٩).

[٣٩] ينظر: التجريد، القدوري (٤٢٤٩/٩)، المبسوط، السرخسي (٢٦/٥).

[٤٠] ينظر: النوادر والزيادات، أبو زيد القيرواني (٣٩٥/٤)، مواهب الجليل، ابن الحطاب (٤٦١/٣).

[٤١] ينظر: البيان، للعمراني (١٩٧/٩)، روضة الطالبين، النووي (٨٤/٧).

[٤٢] ينظر: المغني، ابن قدامة (٣٨٧/٧)، الإنصاف، المرداوي (٢٥٩/٢٠).

[٤٣] ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٦)، نيل الأوطار، الشوكاني (١٧٣/٣).

[٤٤] رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في قوله {الزاني لا ينكح إلا زانية}، برقم (٢٠٥٢)، وهو صحيح الإسناد ينظر: السلسلة الصحيحة، الألباني (٥٧٢/٥).

[٤٥] مواهب الجليل، الحطاب (٤٦١/٣).

[٤٦٤٦] ينظر: المبسوط، السرخسي (٢٦/٥)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٢٤٩/٢)، روضة الطالبين، النووي (٨٤/٧)، المغني، ابن قدامة (٣٨٩/٩).

[٤٧] رواه أحمد في مسنده برقم (٢٥٠٤٣)، وعلّق الأرناؤوط: حديث صحيح.

[٤٨] ينظر: الحاوي الكبير، الماوردي (٥٥/٩).

[٤٩] ينظر: الأم، للشافعي (١٦/٥)، الحاوي الكبير، الماوردي (١٠٠/٩).

[٥٠] ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٦).

[٥١] ينظر: الشرح الممتع، ابن عثيمين (١٠٣/١٢).

[٥٢] ينظر: النوادر والزيادات، ابن أبي زيد القيرواني (٥٠٦/٤)، التبصرة، اللخمي (٢٠١٢/٥).

[٥٣] الاستبراء: تربص الأمة مدة بسبب ملك اليمين حدوثًا أو زوالًا؛ لبراءة الرحم، أو تعبد. ينظر: مغني المحتاج، الشربيني (١١٣/٥).

[٥٤] ينظر: تبيين الحقائق، الزيلعي (١١٤/٢)، درر الحكام، منلا خسرو (٣٣٣/١).

[٥٥] ينظر: الحاوي الكبير، الماوردي (١٨٩/٩)، نهاية المطلب، الجويني (٢١٩/١٢)،

[٥٦] ينظر: تفسير البغوي (٣٨١/٣).

[٥٧] ينظر: الناسخ والمنسوخ، القاسم بن سلام (١٠٠/١).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

ونوقش: "أن كونها زانية وصفٌ عارض لها، يوجب تحريمًا عارضا: مثل كونها محرمة، ومعتدة، ومنكوحة للغير.. والآية لم تتعرض للصفات التي بها تحرم المرأة مطلقًا أو مؤقتًا؛ وإنما أمر بإنكاح الأيامى من حيث الجملة؛ وهو أمر بإنكاحهن بالشروط التي بينها وكما أنها لا تنكح في العدة والإحرام لا تنكح حتى تتوب"[٥٨].

من الأثر:

١. أَنَّ عمر بن الخطاب ضرب رجلًا وامرأة في زنا وَحَرِصَ أن يَجْمَعَ بينهما فأبى الغلام[٥٩].

ونوقش: الظاهر أن عمر رضي الله عنه استتابهما[٦٠].

٢. أن رجلاً سأل ابن عباس عن نكاح الزانية فقال: يجوز، أرأيت لو سَرَق من كَرَمٍ ثم ابتاعه أكان يجوز؟[٦١]

ونوقش: أن قول ابن عباس ليس فيه بيان، ولم يتعرض له بمحل النزاع[٦٢].

من المعقول:

١. أن الزانية قد وطئها زانٍ، وماؤه غير محترم، فلا يلحقه نسب، ولا تجب عليها عدة[٦٣].

ونوقش: " أن الاستبراء لم يكن لحرمة ماء الأول؛ بل لحرمة ماء الثاني؛ فإن الإنسان ليس له أن يستلحق ولدًا ليس منه، وكذلك إذا لم يستبرئها قد تعلق من الزاني"[٦٤].

٢. أنه لم يرد في سنة النبي ﷺ أنه حرّم زوجة على زوجها بسبب الزنا، فقد أتاه ماعز بن مالك مقرًا بالزنا، ولم يأمره النبي ﷺ باجتناب زوجته[٦٥].

ونوقش: أن ابتداء النكاح يختلف عن استدامته[٦٦].

القول الثاني: التحريم حتى تتوب وتُستبرَأ، وهو قول الحنابلة[٦٧]، واستدلوا:

من القرآن:

١. {وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ} [المائدة: ٥]

وجه الدلالة: المقصود بالمحصنات: العفائف، فمفهومه أن غير العفيفة لا تباح[٦٨].

٢. {ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ} [النور:٣].

وجه الدلالة: أن نكاح الزانية محرم بدلالة قوله تعالى: {وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ}[٦٩].

نوقش: أن المقصود في الآية الوطء، فالزاني لا يطاوعه على فعله ويشاركه في مراده إلا زانية مثله أو مشركة لا تحرم الزنى[٧٠].

وردّ عليه من وجهين[٧١]:

الأول: أنه ليس في القرآن لفظ نكاح إلا ولا بد أن يراد به العقد، وإن دخل فيه الوطء أيضًا.

الثاني: أن سبب نزول الآية إنما هو استفتاء النبي ﷺ في التزوج بزانية، فكيف يكون سبب النزول خارجًا من اللفظ؟

ومن السنة: أن مرثد بن أبي مرثد قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْكِحُ عَنَاقًا؟ فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ: الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ}، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا مَرْثَدُ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ، فَلَا تَنْكِحْهَا)[٧٢].

وجه الدلالة: في الحديث دلالة صريحة على حرمة نكاح الزواني[٧٣].

من المعقول: أن غير العفيفة لا يؤمَن أن تُفسِد على الزوج فراشه، وتعلّق عليه أولادًا من غيره[٧٤].

والراجح عندي منع نكاح الرجل من غير العفيفة، والمقصد علة الحكم، وسبب الترجيح: أن الإسلام ينهى عن الفحشاء والمنكر، وكذلك المرأة المتزوجة زوجها يحصنها؛ لأنها تستكفي به، ولفظ الإحصان أصله إنما هو العفة؛ فإن العفيفة هي التي أُحصِن فرجها من غير زوجها كالمحصن الذي يمتنع من غير أهله، وإذا كان الله إنما أباح من المسلمين وأهل الكتاب نكاح المحصنات، والبغايا لَسْنَ محصناتٍ ولا عفيفات؛ فلا يباح نكاحهن[٧٥].

ثم الذي يمارس المنكر يهون عليه المنكر، وأقبح القبائح أن يكون زوج الرجل بَغِي، وقُبْح هذا مستقرٌّ في الفطرة، وعقدة النكاح تتم على أساس الارتباط الدائم، فلا بُدَّ من التوافق في

---

٥٨ الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (١٨٠/٣).
٥٩ رواه البيهقي في السنن الكبرى: كتاب النكاح، باب ما يستدل به على قصر الآية على ما نزلت فيه أو نسخًا، برقم (١٣٩٨٩).
٦٠ ينظر: المغني، ابن قدامة (٥٦٣/٩).
٦١ ينظر: الحاوي الكبير، الماوردي (١٨٩/٩)، المغني، ابن قدامة (٥٦٣/٩). ورواه البيهقي بنحوه في سننه: كتاب النكاح، باب ما يستدل به على قصر الآية على ما نزلت فيه أو نسخا، برقم (١٣٩٩١).
٦٢ ينظر: الشرح الكبير، ابن أبي عمر (٣٣٩/٢٠).
٦٣ ينظر: نهاية المطلب، الجويني (١٢/ ٢٢٠)، التهذيب، البغوي (٥/ ٣٣٤).
٦٤ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١٢/٣٢).
٦٥ ينظر: الأم، الشافعي (١٢/٥).
٦٦ ينظر: زاد المعاد، ابن القيم (٢٣٥/٥).
٦٧ ينظر: المغني، ابن قدامة (٩/ ٥٦٣)، الإنصاف، المرداوي (٣٣٥/٢٠).
٦٨ ينظر: شرح المنتهى، البهوتي (٦٦٠/٢)، تفسير السعدي (ص:٢٢١).
٦٩ ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٦)، نيل الأوطار، الشوكاني (١٧٣/٣).
٧٠ ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٦).
٧١ ينظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (١٧٩/٣).
٧٢ رواه الترمذي في جامعه: أبوا تفسير القرآن، باب من سورة النور، برقم (٣١٧٧)، وقال: حسن غريب.
٧٣ ينظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري (١٨/٩).
٧٤ ينظر: زاد المعاد، ابن القيم (١٦١/٥).
٧٥ ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٢٢/٣٢).

الطبع، والتلاؤم في الوضع، حتى يعيش الزوجين حياةً مستقرةً طاهرة[٧٦].

المطلب الثالث: أثر مقصد العفة في العشرة الزوجية

الفرع الأول: الاستمتاع الالكتروني

أولًا: مشاهدة الإباحيات لتحسين الأداء الجنسي بين الزوجين

صورة المسألة: المقصود بالإباحية (Pornography): التصوير الكامل للممارسات الجنسية الصريحة، وقد تكون جزيئة بمقدمات دون الفعل الصريح، وقد تكون مرئية أو مسموعة أو مقروءة بهدف إثارة الغرائز[٧٧].

تشير الدراسات الغربية [٧٨][٧٩][٨٠]إلى أن مشاهدة الإباحية ليست مشكلة إلا إذا أصبحت بشكل مُفرط إلى درجة الاختلال الوظيفي أو ارتبطت بأعراض إدمانية[٨١]، فعدم تَرشِيد الاستخدام هو المشكلة الصحية، أما إن كانت للتعلم أو لتحسين الأداء الجنسي والمتعة ونحو ذلك، فطالما لا إشكال صحي في المشاهدة فلا تعتبر مشكلة!

والمقرر شرعًا أن كل ما يهدف إلى إثارة الغرائز فهو محرّم، سواء أكانت هذه الفواحش بالتصوير الكامل للممارسات الجنسية، أو جزئية عبر القصص والروايات والصور ونحوها.

ومشاهدة هذه الفواحش لتحسين الأداء الجنسي بين الزوجين مناقض شرعًا وعقلًا لما هو مطلوب منهما من غض البصر، والعفة بالكفّ عمّا لا يحلّ، والبعد عن مواطن الإثارة وحَسْم أي فساد موصل للمعصية، لأدلة، منها:

من القرآن: قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ} [الأنعام: ١٥١]

وجه الدلالة: أن المشاهدة -وإن لم تصل للضرر الصحي- تندرج تحت الفواحش والنظر المحرم[٨٢].

من المعقول:

١. إن ّدوافع الالتزام بالأخلاق عند المؤمن متعددة، فهي حالة مركبة من المعاني الفطرية والوجودية والمعرفية[٨٣]، ورفض الأسس اللاهوتية للأخلاق وتعطيل معاييرها في علم النفس راجع إلى مبدأ النفعية (Utilitarianism) [٨٤]، والنفعية لا ضابط لها واضح المعالم[٨٥]، وتقدير المنافع والمضار بشكل عام وللإباحية بشكل خاص لا يرجع إلى الناس أو إلى الزوجين بل إلى الوحي، فالله تعالى هو الذي خلق هذه النفس، ويعلم ما ينفعها أو يضرها، والمصالح لا تقدّم على النصوص القطعية[٨٦]، والأمر بغض البصر وحفظ الفرج صريح قطعي قال تعالى: { قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْۚ} [النور: ٣٠]، كما أن المصالح والمنافع المُجتَلبة والمفاسد المُستَدفَعة إنما تُعتَبر بما يصلح حياة البشر الدنيوية والأخروية، لا من حيث أهواء النفوس في جَلب مصالحها أو درء مفاسدها[٨٧].

٢. أن مشاهدة الإباحية تؤثر على العافية بكلّيتها، ولا يمكن حصر أضرارها بالجانب الصحي فقط، فمفهوم الصحة الذي عرفته منظمة الصحة العالمية هو: حالة من اكتمال السلامة بدنيًا وعقليًا واجتماعيًا[٨٨]، وهو أخص من مفهوم العافية الذي هو مفهومٌ واسع في ديننا والذي يشمل عافية الدنيا من البلايا والأمراض، وجميع ما يكره الإنسان، وعافية القلب والبدن، وعافية الآخرة من عذابها وأهوالها[٨٩].

ثانيًا: الخيانة الالكترونية

صورة المسألة: الاستمتاع خارج إطار الزوجية عبر التقنيات الحديثة[٩٠]، كالإباحيات (Pornography) المرئية أو المصوّرة، الحقيقية أو الإنمي، أو عن طريق المحادثات الجنسية (sex phone)، أو استخدام تطبيقات الذكاء الصناعي (AI) في تجسيد التجارب الافتراضية التي تحاكي العلاقات الواقعية، وغيرها.

ولا شك أن هذا النوع من الاستمتاع قدحًا في العفة، وخيانة زوجية حكمية، ويستدل على حرمته بعدة أدلة، منها:

من القرآن:

١. قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال:٢٧].

وجه الدلالة: قال ابن تيمية رحمه الله: "ولفظ الخيانة حيث استعمل لا يستعمل إلا فيما خفي عن المَخون، كالذي يخون

---

٧٦ ينظر: زاد المعاد، ابن القيم (١٦١/٥)، فقه الأسرة، أحمد علي (ص:١٦٩).

٧٧ ينظر: https://t.me/Effah20300

٧٨ ينظر: Pornography as a source of sex information for students a private northeastern university. Psychological Reports, p: 68, 782

٧٩ ينظر: Positive porn: educational, medical, and clinical uses. American Journal of Sexuality Education, 7(2), p: 122-145

٨٠ ينظر: Pornography, normalization, and empowerment. Archives of Sexual Behavior, 39(6), p: 1389-1401

٨١ ينظر: Sexual addiction 25 years on: A systematic and methodological review of empirical literature and an agenda for future research. Clinical Psychology Review, p: 82.

٨٢ ينظر: إحكام النظر في أحكام النظر، ابن القطان (ص:٣٩٣).

٨٣ ينظر: ظاهرة نقد الدين، سلطان العميري (٦٢٤/٢).

٨٤ النفعية: "الاعتقاد بأن الأفعال تكون صحيحة بقدر ما تميل إلى تعزيز السعادة، وخاطئة بقدر ما تميل إلى إنتاج عكس السعادة". النفعية، جون ستيوارت ميل (ص:٣٧).

٨٥ ينظر: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، توفيق الطويل (ص:٢١ وما بعدها)، ظاهرة نقد الدين، سلطان العميري (٦٢٧/٢).

٨٦ ينظر: التعيين في شرح الأربعين، الطوفي (ص:٢٣٦)

٨٧ ينظر: الموافقات، الشاطبي (٢٨٦/٢).

٨٨ ينظر: موقع الصحة العالمي: https://www.who.int/about/governance/constitution

٨٩ ينظر: العافية، محمد المقدم (ص:١٢).

٩٠ ينظر: الخيانة الإلكترونية، سالم أبو مخدة (ص:٧).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

أمانته، فيخون من ائتمنه إذا كان لا يشاهده ولو شاهده لما خانه"[٩١].

فهذا الفعل يندرج تحت الخيانة العامة، وهذا النوع من الخيانة هو سبيل وطريق نحو الخيانة الزوجية بمفهومها الضيق في الزنا؛ لقوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ} [النور:٢١] والنفس إذا لم يكبح جماح شهواتها طغت، والدماغ عند ممارسة هذه العادات السيئة لا يكتفي بها، بل يتطلب المزيد؛ لأن الاستمرار على ممارستها يؤدي إلى فقدان المادة الرمادية[٩٢] لدائرة المكافأة في الدماغ، وبالتالي يبحث الدماغ عن المزيد من الإثارة بتصعيد الممارسات حتى يصل إلى التطبيق بالزنا أو الشذوذ وغيرهما من الفواحش[٩٣].

وقد أظهرت دراسة في جامعة ولاية وَين (Wayne State University and colleagues)، أن استخدام المواد الإباحية يزيد من معدل الخيانة الزوجية بنسبة تزيد عن ٣٠٠ في المائة، وأن استخدام المواد الإباحية على الإنترنت أكبر بمقدار ٣,٧ مرة بين أولئك الذين يحصلون على علاقات جنسية واقعية مقارنة بأولئك الذين لا يفعلون ذلك[٩٤].

١. وقوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ} [المؤمنون: ٥-٦].

وجه الدلالة: أن حلّ الاستمتاع مقصور على الزوجات، فلا يجوز للزوج أن يستمتع خارج إطار الزوجية ومن ذلك الاستمتاع الالكتروني، والمؤمنون أهل العفة والصون هم الذين يحفظون فروجهم من التلوث بالحرام، من كل أنواع الزنا والفواحش، ويقتصرون في علاقاتهم على زوجاتهم، فلا يكونوا من المتجاوزون ما أحله الله لهم إلى ما حرمه عليهم[٩٥].

٢. وقوله تعالى: {قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ} [النور: ٣٠]

وجه الدلالة: النظر هو بريد الزنا، والبصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأكثر السقوط من جهته، فوجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله[٩٦].

٣. وقوله تعالى: {فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ} [الأحزاب:٣٢]

وجه الدلالة: نهى الله عز وجل عن اللين والخضوع في القول والتكلم على وجه يقع بشهوة المريب[٩٧]، ولا يخفى أن الاستمتاع الإلكتروني يشمل مكالمات فاضحة وألفاظ بذيئة وأفعال تخدش الفطرة السليمة[٩٨].

٤. وقوله تعالى: {وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا} [الروم:٢١]

وجه الدلالة: السكون ضد الاضطراب، والسكن الزوجي المربوط بالحب ومشاعر الأمن وعدم الخوف والإحساس بتسامي العواطف لا يتحقق في مشاهدة الإباحية أو العلاقات المحرمة مهما كانت اللذة عالية؛ لأن مثل هذه الممارسات لا تقتضي استقرارًا، بل هي محفوفة بالخطر وكشف الستر، أو مهددة بفساد العلاقة، عدا أنها مبنية على الخداع، وتمثيل مشوّه للعلاقة، وهذا كفيل بهدم الاستقرار النفسي[٩٩].

من السنة: قوله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)[١٠٠].

وجه الدلالة: أن هذا النوع من الاستمتاع له أضرار نفسية وصحية واجتماعية ومجتمعية ودينية.

وفي دراسة غربية[١٠١] أجريت عن تأثير الجنس الالكتروني وجد الباحثون أن نصف المشاركون فقدوا الاهتمام بالعلاقة الخاصة، عدا أن النظر إلى المواد الإباحية مدة طويلة يؤدي إلى فقدان العاطفة بين الزوجين، وعدم الرضا عن السلوك الجنسي الطبيعي.

كما أن هذا النوع من الاستمتاع يؤدي إلى الضعف الجنسي، وصعوبة الإثارة الجنسية في العلاقة الخاصة بين الزوجين بدون المحتوى الإباحي؛ نظرًا لتعوّد الدماغ على كميّات عالية من المحفزات[١٠٢].

الفرع الثاني: تخيل غير الزوج أو الزوجة أثناء الجماع

والمقصود بالخيال: أي خاطرة ذهنية أو فكرة تؤدي إلى الإثارة الجنسية، سواء تخيل الزوج امرأة أجنبية، أو العكس،

---

[٩١] مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٤٠/١٤).

[٩٢] المنطقة الرمادية في الدماغ (Gray Matter): هي الجزء من الجهاز العصبي المركزي تحتوي على الخلايا العصبية، والمحاور غير المُغلّفة بغمد الميالين، والتشعبات العصبية، والخلايا الدبقية، والشعيرات الدموي، سميت بهذا الاسم؛ لأن المحاور العصبية ما بعد العقدية غير الميالينية تمنحها مظهرًا أغمق إلى حد ما من الأعصاب الرابطة ما قبل العقدية الميالينية. ينظر: دماغ المراهقين، فرنسيس جنسين، (ص: ٣١)، Neuroscience, Dale Purves, p:472.

[٩٣] ينظر: دراسة منشورة عبر موقع:
https://www.yourbrainonporn.com/miscellaneous-resources/start-here-evolution-has-not-prepared-your-brain-for-todays-porn /

[٩٤] ينظر: دراسة منشورة عبر موقع:
https://marripedia.org/effects_of_pornography_on_marriage

[٩٥] ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد (١٢/٥)، التفسير الوسيط، الزحيلي (١٦٧٧/٢)

[٩٦] ينظر: تفسير القرطبي (٢٢٣/١٢).

[٩٧] ينظر: تفسير السمعاني (٢٧٩/٤).

[٩٨] ينظر: الخيانة الإلكترونية، سالم أبو مخدة (ص:٢٣).

[٩٩] ينظر: اللقاء بين الزوجين في ضوء الكتاب والسنة، عبد القادر عطا (ص:٢٥).

[١٠٠] رواه ابن ماجه في سننه: أبواب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، برقم (٢٣٤٢)، وهو حديث صحيح. ينظر: إرواء الغليل، الألباني (٤٠٨/٣).

[١٠١] ينظر: دراسة منشورة عبر موقع:
https://marripedia.org/effects_of_pornography_on_marriage

[١٠٢] ينظر: Effects of Pornography on Relationships, Naomi Brower, p:1,2

أو كانت خيالات جنسية (Sexual Fantasies) عادية أو شاذة[١٠٣].

ولا خلاف في جواز تخيل كل من الزوجين للآخر، بل وصفه البعض انه حيلة نفسية تفيد العلاقة بين الزوجين[١٠٤].

أما من جامع زوجته وهو يتخيل امرأة أخرى، أو أي نوع من الخيالات الجنسية فقد اختلف الفقهاء في حكمه عن على قولين:

القول الأول: التحريم، وهو قول الجمهور[١٠٥]، وعدّوه من الزنا المعنوي، وأدلتهم:

من القرآن: قوله تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيما} [النساء:٣٢].

وجه الدلالة: أنه كما يحرم النظر لما لا يَحِلّ فإنه يحرم التفكر وتمنِّي ما لا يحلّ[١٠٦].

ونوقش: أن الآية في حرمة تمنّي حصول ما لا يحل له؛ بأن يتمنى الزنا بفلانة، أو أن تحصل له نعمة فلان بعد سلبها، وليس التخيّل[١٠٧].

وأجيب: أنه يستحب دفع هذه الخواطر؛ صيانةً للدين وحراسةً للعفة[١٠٨].

من السنة: قوله ﷺ: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُهُ)[١٠٩].

وجه الدلالة: قال القرطبي رحمه الله: " وإنَّما أطلق على هذه الأمور كلها: زنا، لأنَّها مقدماتها، إذ لا يحصل الزنا الحقيقي في الغالب إلا بعد استعمال هذه الأعضاء في تحصيله"[١١٠].

قال النووي رحمه الله: "فمنهم من يكون زناه حقيقيًا بإدخال الفرج في الفرج الحرام، ومنهم من يكون زناه مجازًا بالنظر الحرام أو الاستماع إلى الزنى، وما يتعلق بتحصيله.. أو بالفكر بالقلب، فكل هذه أنواع من الزنى المجازي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه"[١١١].

من القياس: على أخذ كوزًا من الماء فصور بين عينيه أنه خمر يشربه، أن ذلك الماء يصير عليه حرامًا، وهذا لا يختص بالرجل وحده بل المرأة داخلة فيه بل هو أشد[١١٢].

قال ابن عابدين الحنفي: "والأقرب لقواعد مذهبنا عدم الحلّ؛ لأن تصور تلك الأجنبية بين يديه يطؤها فيه تصوير مباشرة المعصية على هيئتها، فهو نظير مسألة الشرب"[١١٣].

القول الثاني: الجواز، وهو قول متأخري الشافعية[١١٤]، ودليلهم:

من السنة: قول النبي ﷺ: (إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتي عَمَّا حَدَّثَتْ به أَنْفُسَهَا، ما لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ)[١١٥].

وجه الدلالة: أن هذا التخيل معفوٌ عنه، والذي فعله الزوج هو تصوّر قبيح بصورة حسنة[١١٦].

ويناقش: أن كلا الزوجين لابد أن يصونا أنفسهما عن الخواطر القبيحة، ولا يتعلقا بالخيالات، وهذا من عفة الفكر، فإدمان هذا النوع من التخيل باعث على التعلق به.

والراجح عندي القول بتحريم الخيالات الجنسية خارج إطار الزواج، وأثر المقصد أنه تابع للأدلة، وسبب الترجيح: أن مثل هذه الممارسات تضعف مقصد العفة بفتحها لذرائع الفتنة، وبناءً على قاعدة سدّ الذرائع، فإنه ينبغي فك ارتباط أي خيالات قذرة بالعلاقة الطاهرة العفيفة.

وفي إحصائية محلية[١١٧] استهدفت ٨٧ متزوجًا ومتزوجة ممن يعانون مشكلة إدمان الإباحيات، أجاب ٣٩% منهم أن الخيالات الجنسية أثرت على الرضا عن العلاقة الخاصة، وأجاب ٦٥% بحاجتهم إلى المحافظة على العلاقة الخاصة الطاهرة دون خيالات جنسية متعلقة بالفواحش.

---

[١٠٣] المقصود بالخيالات الشاذة كتخيل الجماع الجماعي، الشذوذ، العنف في العلاقة أو السادية والمازوخية، ونحوها. ينظر: The Development and Validation of the Erotic Fantasy Use Scale (SDEF2) on Experience, Attitudes, and Sharing IssuesAngelo Jannini, Chiara Simonelli, Renata Tambelli, p:16

[١٠٤] ينظر: لماذا يريد الرجل ترفض المرأة، د. شريف عرفة (ص:١٩٣-١٩٥)، What fantasies can do to your relationship The efforts of sexual fantasies on couple interactions. Personality and Sa Psychology Bulletin,Birnbaum, G. E., Kanat-Maymon, Y., Mizrahi, M., Recanati, M, p: 461-476.

[١٠٥] ينظر: حاشية ابن عابدين (٣٧٢/٦)، المدخل، ابن الحاج (١٩٥/٣)، تحفة المحتاج، بن حجر الهيتمي (٢٠٦/٧).

[١٠٦] ينظر: تحفة المحتاج، ابن حجر الهيتمي (٢٠٦/٧).

[١٠٧] ينظر: تحفة المحتاج، ابن حجر الهيتمي (٢٠٦/٧).

[١٠٨] ينظر: المصدر السابق.

[١٠٩] رواه البخاري في صحيحه في: كتاب القدر، باب وحرام على قرية أهلكناها، برقم (٦٦١٢)، ومسلم في صحيحه في: كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا، برقم (٢٦٥٧).

[١١٠] المفهم، القرطبي (٦٧٤/٦)

[١١١] شرح صحيح مسلم، النووي (٢٠٦/١٦).

[١١٢] ينظر: المدخل، ابن الحاج (١٩٥/٢).

[١١٣] حاشية ابن عابدين (٣٧٢/٦).

[١١٤] ينظر: تحفة المحتاج، ابن حجر الهيتمي (٢٠٥/٧).

[١١٥] رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخاطر، برقم (١٢٧).

[١١٦] ينظر: تحفة المحتاج، ابن حجر الهيتمي (٢٠٥/٧).

[١١٧] وقد أفادني بالإحصائية إدارة التعافي في جمعية عفة لتعزيز الفضيلة، وهي جمعية غير ربحية، تسعى لجعل المجتمعات آمنة من العادات الإدمانية الضارة خاصة ما يتعلق بإدمان الإباحية. موقعهم الإلكتروني: https://landing.effah.net/

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الفرع الثالث: في حكم إعفاف الزوجة

صورة المسألة: هل يجب على الزوج إعفاف زوجته بالوطء والاستمتاع؟ وهل حق الوطء خاص بالزوج، أو هو للزوجين معًا؟[١١٨]

اختلف الفقهاء في هذا المسألة على أقوال:

القول الأول: أن للزوجة حق مطالبة زوجها بالوطء؛ لأن حِلّه لها حقها، كما أن حلها له حقه. وإذا طالبته به فإنه يجب عليه ويجبر عليه في الحكم مرة واحدة، والزيادة على ذلك تجب عليه ديانة فيما بينه وبين الله تعالى من باب حسن المعاشرة واستدامة النكاح وإعفافًا لها، وهو قول الحنفية[١١٩]، واستدلوا:

من السنة: أن النبي ﷺ قال: (فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ)[١٢٠].

وجه الدلالة: أن كلمة الله المذكورة في كتابه العزيز لفظة الإنكاح والتزويج، فدل الحديث على حل الاستمتاع بالنساء بلفظة الإنكاح والتزويج، ولأن النكاح ضم وتزويج لغة، فيقتضي الانضمام، والازدواج، ولا يتحقق ذلك إلا بحلّ الوطء والاستمتاع[١٢١].

القول الثاني: أن الإعفاف بالوطء واجب على الرجل للمرأة في الجملة إذا انتفى العذر، وتطالبه به إذا تضررت بتركه، وهو قول المالكية[١٢٢]، واستدلوا:

من القياس: على إلزامه الوطء في الإيلاء[١٢٣].

ومن المعقول: أن قاعدة العقود كالنكاحات والإجارات تتناول جميع الأزمان إلا ما استثناه العرف كزمان الأغذية وقضاء الحاجات وغير ذلك، أو استثناه الشرع كأوقات العبادات[١٢٤].

القول الثالث: لا يجب على الزوج إعفاف زوجته بالوطء، ولا يجبر عليه قضاءً؛ لأنه حقه، ولكن يستحب له أن لا يعطّلها من الجماع تحصينًا لها؛ لأنه من المعاشرة بالمعروف، ولأن تركه قد يؤدي إلى الإضرار بها أو فسادها، وهو قول الشافعية[١٢٥]، ورواية عن أحمد[١٢٦]، واستدلوا:

من المعقول: أن المبيت والوطء لا يجب ابتداء إذا لم يقصد الإضرار بتركه؛ لأنه حق فجاز تركه، كسكنى الدار المستأجرة[١٢٧].

القول الرابع: يجب على الزوج أن يطأ زوجته في كل أربعة أشهر مرة، وهو المذهب عند الحنابلة[١٢٨]، واستدلوا:

من السنة: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَا عَبْدَ اللهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ. فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا)[١٢٩].

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ أخبر الصحابي أن لزوجته حق عليه، وحقها أن يبقى في نفسه قوة يمكنه معها إعفافها[١٣٠].

من القياس: أن الوطء يجب على المولي، وقدره الله بأربعة أشهر، ويفسخ النكاح لتركه[١٣١].

ونوقش: أن الإيلاء حالٌ طارئة، ولم تطرأ عليه هذه الحال، ولم يوجد سببٌ لتأجيله، والواجب أن يعاشر زوجته بالمعروف، وليس من المعروف أبداً أن الإنسان الشاب يتزوج المرأة الشابة ثم يطؤها في كل أربعة أشهر مرة فقط![١٣٢]

من المعقول: أن ما لا يجب على غير الحالف، لا يجب على الحالف على تركه، كسائر المباحات، وما لا يجب، لا يفسخ النكاح؛ لتعذره، كزيادة النفقة[١٣٣].

القول الخامس: وجوب إعفاف الزوجة، ولا يتقدر بقدر أو مدة، بل هو بحسب حاجة الزوجين، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية[١٣٤].

واستدل **من المعقول:** أن عقد النكاح هو عقد ازدواج ومشاركة شُرِع لمصلحة الزوجين معًا.

والراجح عندي وجوب الإعفاف وأنه لا يتقدر، ويكون بحسب حاجة الزوجين، وأثر المقصد على وجوب الإعفاف

---

[١١٨] هذه المسألة مبنية على حكم المعقود عليه في النكاح، هل هو ملك منفعة البضع، أو الانتفاع، أو الحلّ والاستباحة وليس الملك؟ والراجح أن المعقود عليه هو الازدواج، كالمشاركة؛ لأن الله فرّق بين الزواج وملك اليمين، فعقد النكاح من باب المشاركات، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. ينظر: المستدرك على مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣٩/٤).

[١١٩] ينظر: بدائع الصنائع، الكاساني (٣٣١/٢)، البحر الرائق، ابن نجيم (٢٣٥/٣).

[١٢٠] رواه مسلم في صحيحه في: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).

[١٢١] ينظر: بدائع الصنائع، الكاساني (٣٣١/٢).

[١٢٢] ينظر: الذخيرة، القرافي (٤١٦/٤)، شرح الزرقاني على مختصر خليل (٩٨/٤).

[١٢٣] ينظر: الذخيرة، القرافي (٤١٦/٤).

[١٢٤] ينظر: الذخيرة، القرافي (٤١٦/٤).

[١٢٥] ينظر: نهاية المطلب، الجويني (٢٢٦/١٣)، أسنى المطالب، زكريا الأنصاري (٢٢٩/٣).

[١٢٦] ينظر: شرح المنتهى، ابن النجار (٢٨٠/٩).

[١٢٧] ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد، ابن قدامة (٨٥/٣)، المغني، ابن قدامة (٢٤٠/١٠).

[١٢٨] ينظر: الإنصاف، المرداوي (٤٠٤/٢١)، شرح المنهى، ابن النجار (٢٧٧/٩).

[١٢٩] رواه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، برقم (١٩٧٥)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب الصوم، باب النهي عن صوم الدهر، برقم (١٦٦/٣).

[١٣٠] ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال (١٢٣/٤)، المغني، ابن قدامة (٢٣٧/١٠).

[١٣١] ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد، ابن قدامة (٨٥/٣).

[١٣٢] ينظر: الشرح الممتع، ابن عثيمين (٤١١/١٢).

[١٣٣] ينظر: المصدر السابق.

[١٣٤] ينظر: الإنصاف، المرداوي (١١/٢٠).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

كونه حكمة، وسبب الترجيح: أن النكاح شرع لمصلحة الزوجين، ودفع الضرر عنهما، وإعفافهما، وهو مفضٍ إلى دفع ضرر الشهوة عن المرأة كإفضائه إلى دفع ذلك عن الرجل، فيجب تعليله بذلك ويكون النكاح حقاً لهما(١٣٥).

ثم إن العلاقة الزوجية علاقة ازدواج ومشاركة، وحق الاستمتاع لكلا الزوجين يقدّر بحسب حاجتهما وإشباعهما واستعفافهما؛ وهذا ما يقتضيه مقصد العفة وقواعد الشرع.

المبحث الثاني: أثر مقصد العفة في الخلع

المطلب الأول: عضل الزوجة غير العفيفة لتفتدي زوجها بالخلع

اتفق العلماء على أن الزوجة إذا كانت غير عفيفة(١٣٦) فطلاقها مندوب، وفي قول عن الإمام أحمد أنه لا ينبغي للزوج إمساكها؛ وذلك لأن فيه نقصًا لدينه، فيجب الطلاق في هذه الحال(١٣٧)، وهل له أن يعضلها لتفتدي منه بالخلع؟ المسألة على قولين:

القول الأول: جواز العضل وصحة الخلع، وهو قول عند المالكية(١٣٨)، وقول عند الشافعية(١٣٩)، والحنابلة(١٤٠)، ودليلهم:

من القرآن: قوله تعالى: {وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ} [النساء:١٩]

وجه الدلالة: قال ابن تيمية: " ولهذا جاز للرجل إذا أتت امرأته بفاحشة مبينة أن يعضلها لتفتدي نفسها منه وهو نص أحمد وغيره؛ لأنها بزناها طلبت الاختلاع منه وتعرضت لإفساد نكاحه، فإنه لا يمكنه المقام معها حتى تتوب"(١٤١).

ونوقش: إنها منسوخة بآية الإمساك في البيوت وهي قوله تعالى: {فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ} [النساء: ١٥] ثم نسخ ذلك بالجلد والرجم(١٤٢).

القول الثاني: المنع، وهو قول عند المالكية(١٤٣) والشافعية(١٤٤)، واستدلوا:

من المعقول: أنه خلع أُكرهت عليه بمنع الحق، فأشبه إذا منعها حقها لتخالعه من غير زنا.(١٤٥)

ولم يترجح لي قول، وأرى أن مثل هذه المسائل مما يرجع فيها إلى القضاء.

الخاتمة: في ختام هذا البحث أسأل الله أن يتقبله ويجعل فيه النفع والهدى، وأن يكون من المساهمات في إبراز علم المقاصد الشرعية، وقد تبيّن لي أن مقصد العفة ركيزة أساسية في التشريع الإسلامي حيث يسهم في تحقيق الاستقرار الأسري، وحماية الأفراد من الانحرافات السلوكية والأخلاقية.

وقد توصلت في هذا البحث إلى نتائج وتوصيات مقترحة يمكن الاستفادة منها.

أهم النتائج:

١. علم المقاصد علم ثري وأقسامه متنوعة لا تقتصر على المقاصد العامة فقط.

٢. لمقصد العفة الأثر الواضح في الفروع الفقهية بكونه علة أو حكمة وتابعًا للأدلة.

٣. وجود نوازل فقهية معاصرة مرتبطة بمقصد العفة تعرضت لبعضها في البحث.

التوصيات:

١. تكثيف الدراسة المقاصدية الجزئية التطبيقية.

٢. الاهتمام بالنوازل الفقهية المعاصرة المتعلقة بمقصد العفة خاصة ما يتعلق بقضايا الأسرة وضوابط استخدام التقنية.

٣. الاستفادة من الأبحاث المتعلقة بمناهج الفقهاء باستخراج طريقتهم في دراسة أو ذكر المقاصد.

٤. العمل على دراسات بينية مع علم المقاصد.

٥. العمل على الكتب الفقهية باستنباط المقاصد منها جردًا ودراسة.

فهرس المراجع:

أولًا: المراجع العربية:

١. إِحْكَامُ النَّظَرِ فِي أَحْكَامِ النَّظَرِ بِحَاسَّةِ البَصَرِ، المؤلف: علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (ت ٦٢٨ هـ)، المحقق: إدريس الصمدي، الناشر: دار القلم، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

٢. أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م

٣. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

٤. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، المؤلف: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى

---

١٣٥ ينظر: المستدرك على مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣٩/٤)، المغني، ابن قدامة (٢٤٠/١٠).
١٣٦ ينظر: البيان، العمراني (٧٧/١٠)، المغني، ابن قدامة (١٠/ ٢٧٣).
١٣٧ ينظر: المغني، ابن قدامة (١٠/ ٢٧٣).
١٣٨ ينظر: التبصرة، اللخمي (٢٥١٩/٦)، بداية المجتهد، ابن رشد (٩٠/٣).
١٣٩ ينظر: المهذب، الشيرازي (٤٨٩/٢)، كفاية النبيه، ابن الرفعة (٣٦٢/١٣).
١٤٠ ينظر: المغني، ابن قدامة (٢٧٣/١٠).
١٤١ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٢٠/١٥).
١٤٢ ينظر: الناسخ والمنسوخ، القاسم بن سلام (١٣٢/١)، المهذب، الشيرازي (٤٨٩/٢).
١٤٣ ينظر: التاج والإكليل، المواق (٤٢/٥).
١٤٤ ينظر: المهذب، الشيرازي (٤٨٩/٢)، البيان، العمراني (١٠/١٠).
١٤٥ ينظر: المصدر السابق.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ
٥. الأم، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٦. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير)، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المَرْداوي (ت ٨٨٥ هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - د عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
٧. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت ٩٧٠ هـ) الطبعة: الثانية.
٨. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: بدون طبعة
٩. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧ هـ)، الطبعة: الأولى ١٣٢٧ - ١٣٢٨ هـ.
١٠. بناء الأحكام على المقاصد، المؤلف: د. فعد صالح العجلان، الناشر: آفاق المعرفة، الطبعة: الأولى، ٢٠٢٢م،
١١. البيان في مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت ٥٥٨هـ) المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م
١٢. التاج والإكليل لمختصر خليل، المؤلف: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (ت ٨٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م
١٣. التبصرة، المؤلف: علي بن محمد الربعي، أبو الحسن، المعروف باللخمي (ت ٤٧٨ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
١٤. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، المؤلف: عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (ت ١٠٢١ هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٤ هـ
١٥. التجريد، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعفر البغدادي القُدُوري (٣٦٢ - ٤٢٨ هـ)، دراسة وتحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
١٦. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م
١٧. التعيين في شرح الأربعين، المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت ٧١٦ هـ)، المحقق: أحمد حَاج محمّد عثمان، الناشر: مؤسسة الريان (بيروت - لبنان)، المكتَبة المكيّة (مكّة - المملكة العربية السعودية)، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
١٨. تفسير الإمام الشافعي، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م
١٩. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م
٢٠. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٢١. تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م
٢٢. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
٢٣. التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
٢٤. تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
٢٥. التهذيب في فقه الإمام الشافعي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء

البغوي الشافعي (ت ٥١٦ هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٢٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ٢٠٠٠ م

٢٧. الجامع الصحيح «صحيح مسلم»، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الطباعة العامرة – تركيا.

٢٨. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

٢٩. جمعية عفة لتعزيز الفضيلة، موقع إلكتروني:
https://t.me/Effah20300

٣٠. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ)، المؤلف: محمد بن عرفة الدسوقي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت

٣١. حاشية رد المحتار، على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار، المؤلف: محمد أمين، الشهير بابن عابدين (ت ١٢٥٢ هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية ١٩٦٦ م

٣٢. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩ م.

٣٣. الخيانة الإلكترونية، سالم عبد الله أبو مخدة، بحث منشور في مجلة وحدة الأمة، ٢٠٢٠م.

٣٤. درر الحكام شرح غرر الأحكام، المؤلف: منلا خسرو الحنفي، وبهامشه حاشية: «غنية ذوي الأحكام في بغية درر الأحكام»، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

٣٥. دماغ المراهقين، المؤلف: د. فرنسيس جينسين، الناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠١٦م.

٣٦. الذخيرة، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م

٣٧. الذريعة إلى مكارم الشريعة، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، ٢٠٠٧ م

٣٨. روضة الطالبين وعمدة المفتين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، ١٩٩١ م

٣٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ - ٧٥١)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

٤٠. سنن ابن ماجه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

٤١. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) - محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م

٤٢. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٤٣. السنن الكبير، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١

٤٤. شرح الزُّرقاني على مختصر خليل، ومعه: الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني، المؤلف: عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني المصري (ت ١٠٩٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

٤٥. الشرح الكبير، المؤلف: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢ هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - د عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٤٦. الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ

٤٧. شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر

الدين العينى (ت ٨٥٥هـ)، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م

٤٨. شرح منتهى الإرادات - المسمى: «دقائق أولي النهى لشرح المنتهى»، المؤلف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتى، فقيه الحنابلة (ت ١٠٥١ هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣ م

٤٩. صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، الطبعة: السلطانية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني.

الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٥٠. ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، تأليف: د. سلطان العميري، الناشر: تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة: الثانية، ٢٠١٨م.

٥١. العافية، تأليف: محمد أحمد المقدم، الناشر: دار الأمل، الطبعة: الثانية، ٢٠٢٢م.

٥٢. علم المقاصد الشرعية، المؤلف: نور الدين بن مختار الخادمي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٥٣. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

٥٤. فقه الأسرة، المؤلف: أحمد علي طه ريان، بدون طبعة.

٥٥. الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ (الشَّامل للأدلّة الشّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)، المؤلف: أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلاميّ وأصوله بجامعة دمشق - كلّيَّة الشَّريعة، الناشر: دار الفكر - سوريَّة – دمشق

٥٦. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المؤلف: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (ت ١١٢٦هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

٥٧. الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

٥٨. كفاية النبيه في شرح التنبيه، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (ت ٧١٠هـ)، المحقق: مجدي محمد سرور باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، م ٢٠٠٩

٥٩. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٦٠. لماذا يريد الرجل وترفض المرأة، د. شريف عرفة، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة السابعة، ٢٠٢٢م.

٦١. المبدع في شرح المقنع، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (ت ٨٨٤ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٦٢. المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣ هـ)، الناشر: مطبعة السعادة – مصر

٦٣. مجموع الفتاوى، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، وساعده: ابنه محمد وفقه الله، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

٦٤. المحقق: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] - عادل مرشد – وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٦٥. المختصر الفقهي لابن عرفة، المؤلف: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت ٨٠٣ هـ)، المحقق: د. حافظ عبد الرحمن محمد خير، الناشر: مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

٦٦. المدخل، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (ت ٧٣٧هـ)، الناشر: دار التراث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ

٦٧. مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، تأليف: توفيق الطويل، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: الأولى، ١٩٥٣م.

٦٨. المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

الحراني (ت ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (ت ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ

٦٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ)

٧٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت

٧١. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، النشر: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٧٢. معونة أولي النُهَى شرح المنتهى (منتهى الإرادات)، تصنيف: محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي، الشهير بابن النجار (٨٩٨ ـ ٩٧٢ هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د عبد الملك بن عبد الله دهيش [ت ١٤٣٤ هـ]، توزيع: مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة: الخامسة (منقحة ومزيدة)، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م

٧٣. المغني، المؤلف: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي (٥٤١ ـ ٦٢٠ هـ)، المحقق: الدكتور عبد اللَّه بن عبد المحسن التركي، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م

٧٤. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ ـ ٦٥٦ هـ)، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق ـ بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م

٧٥. المقاصد الجزئية والمقاصد الخاصة، تأليف: فريد عبد الرحمن بوهنة، بحث منشور على شبكة الألوكة.

٧٦. المقاصد الشريعة، تأليف: محمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: مكتبة الاستقامة، الطبعة: الأولى، ١٣٦٦هـ.

٧٧. المِنَحُ الشَّافِيات بِشَرْحِ مُفْرَدَاتِ الإمَامِ أحْمَد، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (ت ١٠٥١هـ)، المحقق: أ. د. عبد الله بن محمد المُطلَق، الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م.

٧٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

٧٩. المهذب في فقه الإمام الشافعي، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية

٨٠. المهذب في فقه الإمام الشافعي، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية

٨١. الموافقات، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م>

٨٢. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (ت ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

٨٣. الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ)، الناشر: مكتبه الرشد / شركة الرياض – الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م

٨٤. النجم الوهاج في شرح المنهاج، المؤلف: كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (ت ٨٠٨هـ)، الناشر: دار المنهاج (جدة)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

٨٥. النفعية، المؤلف: جون ستيوارت ميل، ترجمة: سعاد حرار، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠١٢م.

٨٦. نهاية المطلب في دراية المذهب، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ)، حققه وصنع فهارسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الدّيب، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

٨٧. النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (ت ٣٨٦هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩ م

٨٨. نيل الأوطار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر.

المراجع الأجنبية:

1. : The Development and Validation of the Erotic Fantasy Use Scale (SDEF2) on Experience, Attitudes, and Sharing IssuesAngelo Jannini, Chiara Simonelli, Renata Tambelli, March 2023, Healthcare 11(6):880

2. Effects of Pornography on Relationships, Naomi Brower, 2016, USU Extension Professor، ترجمة وفاء الدروبي، إدارة الترجمة، جمعية عفة لتعزيز الفضيلة.

3. https://marripedia.org/effects_of_pornography_on_marriage, ترجمة: إدارة الترجمة، جمعية عفة لتعزيز الفضيلة

4. https://www.who.int/about/governance/constitution

5. https://www.yourbrainonporn.com/miscellaneous-resources/start-here-evolution-has-not-prepared-your-brain-for-todays-porn , ترجمة: آلاء المشاري، إدارة الترجمة، جمعية عفة لتعزيز الفضيلة.

6. Neuroscience, Dale Purves, George J. Augustine, David Fitzpatrick, William C. Hall, Anthony-Samuel LaMantia, Richard D. Mooney, Michael L. Platt, Leonard E. White, Octobre 2017, Oxford University Press.

7. Pornography as a source of sex information for students a private northeastern university. Psychological Reports, David F. Duncan and J. William DonnellyView all authors and affiliations, 1991, Psychological Reports.

8. Pornography, Normalization, and Empowermen, December 2010, Archives of Sexual Behavior 39(6):1389-401

9. Positive porn: educational, medical, and clinical uses. American Journal of Sexuality Education, Mary Ann Watson PhD a & Randyl D. Smith PhD, Version of record first published: 08 Jun 2012, Metropolitan State University of Denver, Denver, CO, USA.

10. Sexual addiction 25 years on: A systematic and methodological review of empirical literature and an agenda for future research. Clinical Psychology Review, 2020, Clinical Psychology Review.

11. What fantasies can do to your relationship The efforts of sexual fantasies on couple interactions. Personality and Sa Psychology Bulletin,Birnbaum, G. E., Kanat-Maymon, Y., Mizrahi, M., Recanati, M, 2018, Personality and Social Psychology Bulletin.

ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031 المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

الإلزام بالوعد وتطبيقاته المعاصرة.

د. ملاك بنت محمد بن سعود آل فهيد
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والأنظمة بجامعة الطائف.

Enforceability of Promises and Its Contemporary Implementations.

Dr. Malak Mohammed Saud AL fuhayd
Assistant Professor at the College of Sharia and Law, Taif university.

E-mail: malak098765@hotmail.com

الكلمات المفتاحيّة:
الإلزام، الوعد، التطبيقات المعاصرة، المعاوضات.

KEY WORDS:
Enforceability, Promises, Contemporary Implementations, exchange contracts.

مستخلص البحث:

هدَف البحث الحالي المعنون بـ: (الإلزام بالوعد وتطبيقاته المعاصرة)، إلى بيان حكم الوفاء بالوعد، وحكم الإلزام بالوعد في المعاوضات، وتطبيقات معاصرة على الإلزام بالوعد، والتطبيقات المذكورة فيه كالآتي: المرابحة للآمر بالشراء، وعقد التوريد، والاعتماد المستندي، والتأجير المنتهي بالتمليك.

وقد اتُبع فيه المنهج التحليلي والمقارن، وخلُص البحث إلى عدة نتائج منها: أن الوفاء بالوعد مطلوب شرعاً، وأنه يجب الوفاء بالوعد المجرد ديانةً لا قضاءً، أما إذا كان الوعد على سبب وحصل هذا السبب، وتضرر الموعود بسببه، فإنه يُلزم بالوفاء به قضاءً على الراجح من مذاهب الفقهاء -والله أعلم-، ومن النتائج أيضًا: أنه يجوز الإلزام بالوعد -في عقود المعاوضات- لطرف واحد، أما إن كان الإلزام للطرفين فلا يجوز على الراجح من مذاهب الفقهاء -والله أعلم-.

ABSTRACT:

This research is titled: “Enforceability of Promises and Its Contemporary Implementations.” In it, I discuss the ruling on fulfilling promises, the enforceability of promises in exchange contracts, and contemporary implementations of enforceable promises.

The implementations I covered include: Murabaha to the purchase orderer, supply contracts, letters of credit, and lease-to-own agreements.

I adopted an analytical and comparative methodology and reached several conclusions, including: Fulfilling promises is religiously required, A bare promise must be fulfilled as a moral obligation (Diyaana), but not legally enforced (Qadhaan), However, if a promise is tied to a cause, that cause occurs, and the promisee incurs harm due to reliance on the promise, then the promisor may be legally bound to fulfill it, according to the predominant opinion of jurists—and Allah knows best.

المقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وترفع الدرجات، نحمده على آلائه ونعمه، ونعوذ به من عذابه وسخطه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

الوفاء بالوعد من مكارم الأخلاق، والصفات المحمودة التي حثنا عليها الإسلام، فقد قال الله ﷻ مادحاً إسماعيل عليه السلام: {واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولًا نبيًّا}[1] وإخلافه من الصفات المذمومة، فهو من صفات المنافقين، فالوفاء بالوعد أمر مطلوب شرعًا، لكن الإشكال في حكم الإلزام به، حيث استحدثت كثير من المؤسسات المالية المعاصرة عدد من العقود يكون الوعد فيها ملزمًا، مثل بيع المرابحة للآمر بالشراء، فالمصرف يشتري السلعة التي اختارها العميل، على وعد منه ببيعها على العميل، ووعد من العميل بشرائها من المصرف، ويكون هذا الوعد ملزمًا، فلو أخلفه أحد المتعاقدين ترتب على ذلك آثار قانونية؛ فكان من الضروري بيان حكم ذلك، وهذا ما سيتناوله البحث بالإضافة إلى بيان عدد من الأمثلة التطبيقية على هذه العقود.

أهمية الموضوع:

١. إبراز دور الفقه الإسلامي في تنظيم المعاملات الحديثة، مما يؤكد شمولية الفقه الإسلامي والشريعة وصلاحيتهما لكل زمان وكان.

٢. التنبيه على عدد من العقود المعاصرة المشتملة على وعدٍ ملزم؛ ليتبع المسلم حكم الشرع فيها.

٣. إيجاد حلول شرعية للتحديات المعاصرة؛ فنظرًا لاعتماد كثير من المؤسسات المالية على الوعد كأساس للتعاقد، فإن دراسة مدى إلزاميته تسهم في إيجاد حلول شرعية لمختلف الإشكالات التي قد تنشأ عن عدم الوفاء به.

الدراسات السابقة:

في الموضوع عدة دراسات، منها:

١. الوعد وحكم الإلزام بالوفاء به ديانة وقضاء، لعبد الله بن سليمان بن محمد بن منيع، بحث نشرته: مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الصادرة عن مؤسسة البحوث والدراسات الفقهية وعلوم القرآن الكريم الوقفية، عدد (١٦) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ويقع في (٢٧ صفحة)، والبحث تضمن تعريف الوعد، وأدلة على وجوب الوفاء بالوعد، ومجموعة كبيرة من نصوص العلماء في حكم الوفاء بالوعد وحكم الإلزام به، ثم رجح القول بلزوم الوفاء بالوعد، ولكنه لم يعرض المسألة بشكل واضح ومقسم؛ حيث إن غالبية البحث عبارة عن نقول ونصوص، ولم يفرق في حكم الوفاء بالوعد بين ما إذا كان في التبرعات أو في المعاوضات.

٢. الإلزام القضائي بالوعد في فقه المعاملات المالية تقعيد وتأصيل، لنزيه كمال حماد، بحث نشرته: المجلة القضائية الصادرة عن وزارة العدل، عدد (٥) ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م، ويقع في (٢٥ صفحة)، وقد اشتمل على بيان حقيقة الوعد والتمييز بينه وبين المصطلحات ذات الصلة، وحكم الوفاء بالوعد ديانة، وحكم الإلزام به قضاءً، وحكم الإلزام بالمواعدة وضوابطها، لكنه لم يذكر تطبيقات معاصرة على الإلزام بالوعد، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى إضافته وبيانه.

٣. الإلزام بالوعد في بيع المرابحة للآمر بالشراء، لمحمد عباسي مجدوب، بحث نشرته: مجلة الدراسات الإسلامية، الصادرة عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط ـ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ قسم العلوم الإسلامية، عدد (٥) ٢٠١٤م، ويقع في (١٧ صفحة)، وتضمن البحث تعريف المرابحة، وصور المرابحة للآمر بالشراء، وحكم المرابحة للآمر بالشراء إذا كانت غير ملزمة، وكذا لو كانت ملزمة، فهدف الدراسة الأساسي هو بيع المرابحة للآمر بالشراء، فلم يذكر حكم الوفاء بالوعد والإلزام به، ولم يذكر تطبيقات معاصرة أخرى على الإلزام بالوعد.

٤. الآراء الفقهية في الإلزام بالوعد وعدمه، لمحمد الأمين محمد سيلا، بحث نشرته: مجلة وحدة الأمة، الصادرة عن الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف ديوبند ـ مجمع حجة الإسلام للبحث والتحقيق بالهند، عدد (٦) ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ويقع في (٢٠ صفحة)، واشتمل على تعريف الوعد، وحكم الوفاء بالوعد ديانة وقضاء، وذكر تطبيق واحد معاصر وهو حكم إلزامية وعد الطرف الثالث لسداد دين المضمون عنه أو سداد حق المضمون له، ولكنه لم يفرق في حكم الوفاء بالوعد بين ما إذا كان في التبرعات أو في المعاوضات، كما أنه اقتصر على ذكر تطبيق واحد من التطبيقات المعاصرة.

منهج البحث:

أُتّبع فيه المنهج التحليلي وذلك بتحليل النصوص الشرعية، والمنهج المقارن عند عرض أقوال المذاهب الأربعة، وفي ضوء هذا المنهج كانت طريقة الدراسة كالآتي:

١. أتخذ في عرض المسائل الطريقة الآتية:

- تحرير محل الخلاف إذا كانت بعض صور المسألة محل خلاف، وبعضها محل اتفاق.
- ذكر الأقوال الواردة في المسألة، وبيان من قال بها من أهل العلم.

---

[1] سورة مريم، الآية:٥٤.

- الاقتصار على المذاهب الفقهية الأربعة في الدراسة.
- توثيق الأقوال من الكتب المعتمدة في المذهب نفسه.
- ذكر أدلة الأقوال مع بيان وجه الدلالة، وذكر ما يرد عليها من مناقشات ما أمكن ذلك.
- الترجيح، مع بيان سبب الترجيح.

٢. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية بجانبها.

٣. تخريج الأحاديث الواردة في الدراسة، بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أُكتفي بتخريجه منهما، وإن لم يكن فيهما خُرِّج من كتب السنن مع ذكر حكم أهل الحديث عليه.

٤. توضيح المعاني اللغوية، من كتب المعاجم وتكون الإحالة عليها بالمادة، ورقم الجزء والصفحة.

٥. العناية بقواعد اللغة العربية، والإملاء، وعلامات الترقيم.

٦. اتباع البحث بفهرسين تُسهِّل الاستفادة منه، وهما فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

تعريف الإلزام بالوعد

أولاً: تعريف الإلزام:

الإلزام لغةً:

من (لَزِمَ) وهو بمعنى: الثبوت والدوام، يُقال: لَزِمَ الشيء، أي: ثبت ودام، ويتعدى بالهمزة فيقال (أَلْزَمْتُهُ) أي: أثبتّه وأدمته، ولَزِمَهُ المال: وجب عليه، ولَزِمَهُ الطلاق: وجب حكمه وهو قطع الزوجية، وأَلْزَمْتُهُ المال والعمل وغيره فَالْتَزَمَهُ، ولَزِمْتُهُ: تعلقت به، ولم أفارقه، و(الْتَزَمْتُهُ): اعتنقته، فهو (مُلْتَزَمٌ) ومنه يقال لما بين باب الكعبة والحجر الأسود (الْمُلْتَزَمُ)؛ لأن الناس يعتنقونه أي يضمونه إلى صدورهم(٢).

الإلزام اصطلاحاً:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للكلمة عن مدلولها اللغوي فالإلزام هو: إيجاب أداء ما التزمه الإنسان على نفسه، والالتزام هو: إيجاب الإنسان على نفسه باختياره وإرادته من تلقاء نفسه أمراً يتعلق بغيره، كمعاوضة، أو تبرع، أو توثيق دين، أو غير ذلك، بحيث لا يكون له حق الرجوع عمّا التزم به، بإرادته المنفردة دون موافقة الطرف الملتزم له(٣).

ثانياً: تعريف الوعد:

الوعد لغة:

الواو والعين والدال: كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على تَرجِيَةٍ بِقَوْل. يقال: وَعَدْتُه أعِدُهُ وَعْداً، ويقال: أرضُ بني فلانٍ واعِدَةٌ، إذا رُجِيَ خَيرُها من المطر والإعشاب، والعدة: الوعد، والهاء عوض من الواو، ويجمع على عدات ولا يجمع الوعد، والوعد يستعمل في الخير والشر، يقال في الخير: الوعد والعدة، وفي الشر: الإيعاد والوعيد(٤).

الوعد اصطلاحاً:

عرفه الفقهاء بتعريفاتٍ متقاربة منها تعريف الإمام ابن عرفة ¬ بأن الوعد هو: " إخْبَارٌ عَنْ إنْشَاءِ الْمُخْبِرِ مَعَ وَفَاءٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ"(٥)، وتعريف الإمام ابن عقيل ¬ في قوله: "والوَعدُ والعِدَةُ خَبرٌ أيضاً، وحَدُّه: إخبارٌ بمنافعَ لاحقةٍ بالمخْبَر من جهة المخبِر في المستقبل"(٦).

ثالثاً: تعريف الإلزام بالوعد باعتباره لقباً:

يمكن تعريفه بأنه: إيجاب أداء ما التزمه الإنسان على نفسه في المستقبل، سواء كان تبرعاً أو معاوضةً.

حكم الوفاء بالوعد

من المعلوم أن الوفاء بالوعد هو من مكارم الأخلاق، وأن إخلاف الوعد من صفات المنافقين، قال النبي ﷺ: ((آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان)) (٧) وفي هذه المسألة سيتم بيان حكم الوفاء بالوعد ديانةً وقضاءً، علمًا بأن الفقهاء المتقدمين لما تحدثوا عن حكم الوعد قصدوا الوعد بالمعروف، أي الوعد في غير المعاوضات.

تحرير محل النزاع:

اتفق الفقهاء على:

١- أن الوعد بشيء محرم لا يجوز الوفاء به.

٢- أن الوعد بشيء واجب على الواعد، يجب عليه الوفاء به.

٣- أن من وعد إنساناً شيئاً ليس بمنهيّ عنهُ شرعاً، -أي مباح أو مندوب- فإنه ينبغي عليه أن يفي بوعدِه، فالوفاء بالوعد أمر مطلوب شرعاً(٨).

واختلفوا هل الوفاء بالوعد واجب ويلزم على الإنسان الوفاء به أم لا؟ على خمسة مذاهب كما سيأتي.

---

(٢) ينظر: المصباح المنير للفيومي (ص: ٢٨٥) مادة (ل ز م)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/ ٥٤١) مادة (ل ز م).

(٣) ينظر: فتح العلي المالك لابن عليش (١/ ٢١٧)، والإلزام بالوعد في المعاملات المالية لنزيه كمال حماد (ص:١٦).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٩٥) مادة (و ع د)، ولسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٦١) مادة (و ع د).

(٥) شرح حدود ابن عرفة (ص: ٤٢٨).

(٦) الواضح في أصول الفقه (١/ ١٠٦).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١/١): كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ح (٣٣)، ومسلم في صحيحه (٧٨/١): كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ح (٥٩).

(٨) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢١/ ٢٩)، والبناية شرح الهداية للعيني (١٠/ ١٥٢)، وحاشية ابن عابدين (٥/ ٨٤)، والبيان والتحصيل (١٥/ ٣٣٧)، وفتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك لابن عليش (١/ ٢٥٤)، والفروق للقرافي (٤/ ٢٥)، والمجموع للنووي (٤/ ٦٥٣)، والحاوي الكبير للماوردي (٥/ ٣٥٩)، وكفاية النبيه لابن رفعة (٩/ ٣٨٤)، والأذكار للنووي (ص: ٥٠٨)، وشرح منتهى الإرادات للبهوتي (٤٠١/٣)، وكشف المخدرات للبعلي (٨١٦/٢)، والمغني لابن قدامة (٧/ ١٤٦)، والشرح الكبير لابن قدامة (٣٦٦/٧).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

سبب الخلاف:

يظهر للباحثة -والله أعلم- أن سبب الخلاف في المسألة هو تعارض الأدلة الواردة فيها.

مذاهب الفقهاء:

المذهب الأول: إذا كان الوعد على سبب لزم الوفاء به بحصول السبب، فيجب الوفاء به ديانةً وقضاءً، وهذا هو المشهور عند المالكية[٩].

قال الإمام القرافي ¬ في الفروق: "قال سحنون: الذي يلزم من الوعد قوله اهدم دارك، وأنا أسلفك ما تبني به أو اخرج إلى الحج، وأنا أسلفك أو اشتر سلعة أو تزوج امرأة، وأنا أسلفك؛ لأنك أدخلته بوعدك

في ذلك، أما مجرد الوعد فلا يلزم الوفاء به بل الوفاء من مكارم الأخلاق"[١٠].

المذهب الثاني: إذا كان الوعد على سبب لزم الوفاء به سواء حصل السبب أو لم يحصل، فيجب الوفاء به ديانةً وقضاءً، وهذا قول عند المالكية[١١].

المذهب الثالث: الوفاء بالوعد مستحب فلا يلزم الوفاء به، وهذا قول عند المالكية[١٢]، ومذهب الشافعية[١٣]، والمذهب عند الحنابلة[١٤].

المذهب الرابع: يلزم الوفاء بالوعد مطلقاً، وهذا قول عند المالكية ونصوا فيه على أنه يجب الوفاء به ديانةً وقضاءً[١٥]، ووجه عند الحنابلة، ولم يبينوا هل هو واجب ديانةً وقضاءً، أم ديانةً فقط[١٦].

المذهب الخامس: أن الوعد إذا كان معلقاً على شرط فإنه يلزم الوفاء به، فيجب الوفاء به ديانةً وقضاءً، أما الوعد المجرد لا يلزم الوفاء به والوفاء به مندوب، وهذا مذهب الحنفية[١٧].

جاء في درر الحكام في شرح مجلة الأحكام لعلي حيدر قوله: "(المادة ٨٤) المواعيد بصور التعاليق تكون لازمة؛ لأنه يظهر فيها حينئذ معنى الالتزام والتعهد. هذه المادة مأخوذة عن الأشباه من كتاب (الحظر والإباحة) حيث يقول (ولا يلزم الوعد إلا إذا كان معلقاً) .... يفهم من هذه المادة أنه إذا علق وعد على حصول شيء أو على عدم حصوله فثبوت المعلق عليه أي الشرط كما جاء في المادة (٨٢) يثبت المعلق أو الموعود، مثال ذلك: لو قال رجل لآخر: بع هذا الشيء من فلان وإذا لم يعطك ثمنه فأنا أعطيك إياه فلم يعطه المشتري الثمن لزم على الرجل أداء الثمن المذكور بناءً على وعده .... أما إذا كان الوعد وعداً مجرداً أي: غير مقترن بصورة من صور التعليق فلا يكون لازماً"[١٨].

الأدلة والمناقشات:

أدلة أصحاب المذهب الأول القائلين: بأنه إذا كان الوعد على سبب لزم الوفاء به بحصول السبب:

استدلوا بأدلة من السنة والمعقول على النحو الآتي:

أولاً: من السنة:

عن أبي سعيد الخدري ¢ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا ضرر ولا ضرار))[١٩].

وجه الدلالة: أن المسلم إذا أدخل أخاه في أمرٍ -أو كما ذكر بعض الفقهاء (في ورطةٍ) - بسبب الوعد، ثم رجع في الوعد، وتركه في الورطة التي أدخله فيها، فقد أضر به، وفي الحديث نهي عن الإضرار بالمسلم[٢٠].

---

[٩] جاء في البيان والتحصيل لابن رشد (٨/ ١٨) قوله: "قوله: بع وأنا أرضيك عدة، إلا أنها عدة على سبب، وهو البيع، والعدة إذا كانت على سبب لزمت بحصول السبب في المشهور من الأقوال، وقد قيل: إنها لا تلزم بحال، وقيل: إنها تلزم على كل حال، وقيل: إنها تلزم إذا كانت على سبب وإن لم يحصل السبب"، وينظر: التمهيد لابن عبد البر (٣/ ٢٠٨)، والذخيرة للقرافي (٦/ ٢٩٩)، وفتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك لابن عليش (١/ ٢٥٤)، وشرح مختصر خليل للخرشي (٤/ ٢٥).

[١٠] (٤/ ٢٥).

[١١] ينظر: البيان والتحصيل لابن رشد (٨/ ١٨)، والفروق للقرافي (٤/ ٢٥)، والذخيرة للقرافي (٦/ ٢٩٩)، وفتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك لابن عليش (١/ ٢٥٤).

[١٢] ينظر: البيان والتحصيل لابن رشد (٨/ ١٨)، وفتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك لابن عليش (١/ ٢٥٤).

[١٣] جاء في الحاوي الكبير للماوردي (٥/ ٣٥٩) قوله: "إذا كان لرجل في ذمة آخر دين حال فسأل تأجيله فأجله لم يلزم الأجل وكان له المطالبة به حالاً، ولو وفى بوعده وأجّله به كان حسناً"، وفي كفاية النبيه لابن رفعة (٩/ ٣٨٤) قوله: "لأنه وعد وهو لا يلزم، لكن المستحب الوفاء به، وكذا فيما إذا أجل الدين الحال بعد لزومه لا يتأجل، ولكن المستحب الوفاء بالوعد"، وينظر: تحفة المحتاج للهيتمي (٦/ ٣١٤)-(٨/ ١٠٣)، ونهاية المحتاج للرملي (٥/ ٤٢٢)، وأسنى المطالب للأنصاري (٢/ ٤٨٦)، وروضة الطالبين للنووي (٥/ ٣٩٠)، والأذكار للنووي (ص: ٥٠٨).

[١٤] جاء في الإنصاف للمرداوي (١١/ ١٥٢) قوله: "لا يلزم الوفاء بالوعد، على الصحيح من المذهب، نص عليه. وعليه الأصحاب"، وينظر: الإقناع للحجاوي (٤/ ٣٦٣)، وكشاف القناع للبهوتي (٦/ ٢٨٤)، والمبدع لابن مفلح (٩/ ٣٤٥)، والفروع وتصحيح الفروع لابن مفلح (١١/ ٩٢)، وشرح منتهى الإرادات للبهوتي (٣/ ٤٠١).

[١٥] ينظر: البيان والتحصيل لابن رشد (٨/ ١٨)، وفتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك لابن عليش (١/ ٢٥٤).

[١٦] جاء في الإنصاف للمرداوي (١١/ ١٥٢) في شأن الوعد قوله: "وذكر الشيخ تقي الدين - رحمه الله - وجها: أنه يلزمه. واختاره"، وينظر: المبدع لابن مفلح (٩/ ٣٤٥)، والفروع وتصحيح الفروع لابن مفلح (١١/ ٩٢).

[١٧] جاء في البحر الرائق لابن نجيم (٦/ ٨) قوله: "وإن ذكرا البيع بلا شرط ثم شرطاه على وجه المواعدة جاز البيع ولزم الوفاء، وقد يلزم الوعد لحاجة الناس"، وينظر: حاشية ابن عابدين (٥/ ٨٤)، والأشباه والنظائر لابن نجيم (ص: ٢٤٧)، والمبسوط للسرخسي (٢١/ ٢٩).

[١٨] (١/ ٨٧).

[١٩] أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٦/٢): كتاب البيوع، ح (٢٣٤٥)، ومالك في الموطأ مرسلاً (٤/ ١٠٧٨): كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق، ح (١٤٢٩)، وابن ماجه في سننه (٧٨٤/٢): كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، ح (٢٣٤٠) من طريق عبادة بن الصامت، وح (٢٣٤١) من طريق ابن عباس ¢. وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه"، وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٤٠٨).

[٢٠] ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٤٣٩).

ثانياً: من المعقول:

أن في هذا المذهب جمعاً بين الأدلة، فقد قال الإمام القرافي ¬: "وحينئذ نقول وجه الجمع بين الأدلة المتقدمة التي يقتضي بعضها الوفاء به، وبعضها عدم الوفاء به أنه إن أدخله في سبب يلزم بوعده لزم كما قال مالك وابن القاسم وسحنون أو وعده مقرونا بذكر السبب كما قاله أصبغ لتأكد العزم على الدفع حينئذ ويحمل عدم اللزوم على خلاف ذلك"(٢١).

أدلة أصحاب المذهب الثاني القائلين: بأنه إذا كان الوعد على سبب لزم الوفاء به سواء حصل السبب أو لم يحصل: لم أجد لهم دليلاً في المسألة إلا نص القرافي الذي سبق ذكره، والذي يُفهم منه أن الأدلة تحمل على الوعد المقرون بذكر السبب؛ لأنه متأكد، فوجب الوفاء به.

ويمكن مناقشته: بأن الأدلة التي دلت على وجوب الوفاء بالوعد مطلقة وعامة ولا ينبغي تخصيصها وحملها على الوعد المقرون بسبب، من غير دليل.

أدلة أصحاب المذهب الثالث القائلين: بأن الوفاء بالوعد مستحب فلا يلزم الوفاء به:

استدلوا بأدلة من السنة والمعقول على النحو الآتي:

أولاً: من السنة:

١- عن صفوان بن سليم ¬: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أأكذب امرأتي يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ((لا خير في الكذب)) فقال الرجل: يا رسول الله! أعدها وأقول لها، فقال رسول الله ﷺ: ((لا جناح عليك)) (٢٢).

٢- عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا وعد الرجل، وينوي أن يفي به، فلم يف به، فلا جناح عليه)) (٢٣).

وجه الدلالة من الحديثين: أن قوله ﷺ (لا جناح) يدل على عدم وجوب الوفاء بالوعد(٢٤).

ويمكن مناقشة الدليلين: بأن حديث صفوان مرسل، وحديث زيد ضعيف فلا يحتج بهما.

ثانياً: من المعقول:

أن الوعد بأمرٍ ما يعتبر من التبرعات، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، لا تلزم إلا بالقبض، حيث أنها إذا لم تُقبض فلصاحبها الرجوع فيها(٢٥).

ويمكن مناقشته: بأن هذا الدليل لا ينطبق على كل حالات الوعد، فليس كل وعد تبرع، فالوعد قد يكون على أمر مباح كالوعد بشراء شيء ما.

أدلة أصحاب المذهب الرابع القائلين: بأنه يلزم الوفاء بالوعد مطلقاً:

استدلوا بأدلة من القرآن والسنة على النحو الآتي:

أولاً: من القرآن:

قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون۝ كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} (٢٦).

وجه الدلالة: أن الوعد إذا أُخلف فهو قولٌ لم يفعل، فوجب الوفاء بالوعد؛ لأن المقت الكبير من الله على عدم الوفاء بالقول يدل على التحريم الشديد في عدم الوفاء به (٢٧).

المناقشة: أن هذه الآية نزلت في قومٍ كانوا يقولون لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه، فلما نزل الجهاد كرهوه ولا شك أن هذا محرم؛ لأنه كذب وتسميع بالطاعة وكلاهما معصية(٢٨).

وأجيب عنها: بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (٢٩).

ثانياً: من السنة:

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ((آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان)) (٣٠).

وجه الدلالة: ذكره ﷺ لإخلاف الوعد في سياق الذم دليل على التحريم، فيجب الوفاء بالوعد (٣١).

المناقشة: يحمل الحديث على ما إذا وعد الإنسان وفي نيته إخلاف الوعد، ويؤيد ذلك حديث زيد بن أرقم ¢ الذي سبق ذكره (٣٢).

وأجيب عنه: بأن هذا تقييد لعموم الحديث من غير دليل، فحديث زيد ليس بحجة؛ لأنه ضعيف (٣٣).

---

(٢١) ينظر: الفروق للقرافي (٤/ ٢٥).

(٢٢) أخرجه مالك في الموطأ (٥/ ١٤٤٠): كتاب الكلام، باب ما جاء في الصدق والكذب، ح (١٧٩١)، والحديث مرسل، ينظر: المغني عن حمل الأسفار لأبو الفضل العراقي (٢/ ٨١٢)، وجامع الأصول لابن الأثير الجزري (١٠/ ٦٠٥).

(٢٣) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٣١٦): أبواب الإيمان، باب ما جاء في علامة المنافق، ح (٢٦٣٣)، وأبو داود في سننه (٢٩٩/٤): كتاب الأدب، باب في العدة، ح (٤٩٩٥). وقال الترمذي: " هذا حديث غريب، وليس إسناده بالقوي، علي بن عبد الأعلى ثقة، ولا يعرف أبو النعمان ولا أبو وقاص وهما مجهولان"، وضعفه ابن الأثير الجزري في جامع الأصول (١١/ ٦٤٣).

(٢٤) ينظر: الذخيرة للقرافي (٦/ ٢٩٩).

(٢٥) ينظر: النجم الوهاج في شرح المنهاج للدميري (٥/ ٥٧١)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٣/ ٤٣٩).

(٢٦) سورة الصف، الآية:٢- ٣.

(٢٧) ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٨١)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٣/ ٤٤١)، والذخيرة للقرافي (٦/ ٢٩٩).

(٢٨) ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٧٨)، والذخيرة للقرافي (٦/ ٢٩٩).

(٢٩) ينظر: المستجدات في أحكام الوعد وتطبيقاته للعمراني (ص:٨٢).

(٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١/١): كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ح (٣٣)، ومسلم في صحيحه (٧٨/١): كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ح (٥٩).

(٣١) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٥/ ٦٢٢)، والذخيرة للقرافي (٦/ ٢٩٩).

(٣٢) ينظر: غمز عيون البصائر للحموي (٣/ ٢٣٧).

(٣٣) ينظر: المستجدات في أحكام الوعد وتطبيقاته للعمراني (ص:٨٢).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

أدلة أصحاب المذهب الخامس القائلين: بأن الوعد إذا كان معلقاً على شرط فإنه يلزم الوفاء به، أما الوعد المجرد لا يلزم الوفاء به والوفاء به مندوب:

استدلوا بدليلٍ من القياس على النحو الآتي:

إن الوعد إذا كان معلقاً على شرط؛ فإنه يظهر منه معنى الالتزام، قياساً على الإنسان لو قال: إن شُفيت أحج، فشفي، فإنه يلزمه، ولو قال أحج مجرداً عن الشرط، لم يلزمه [٣٤].

ويمكن مناقشته: بأن هذا قياس مع الفارق؛ لأن المقيس عليه نذر لله على طاعة، فوجب الوفاء به، أما الوعد فقد يكون على قُربة كالوعد بالعتق، وقد يكون على مباح كالوعد بالشراء.

الترجيح وأسبابه:

بعد تحرير محل النزاع في المسألة وذكر سبب الخلاف وبيان مذاهب الفقهاء وأدلتهم، ومناقشة ما أمكن مناقشته، فإنه يمكن القول بأنه يجب الوفاء بالوعد المجرد ديانةً لا قضاءً، أما إذا كان الوعد على سبب وحصل هذا السبب، وتضرر الموعود بسببه، فإنه يُلزم بالوفاء به قضاءً؛ وذلك لما يلي:

١- لأن الأدلة تدل على وجوب الوفاء بالوعد، لكن ليس فيها دلالة على أن للقضاء إلزام الواعد بتحقيق ما وعد به.

يقول الإمام الشنقيطي: "فإذا علمت أقوال أهل العلم في هذه المسألة، وما استدل به كل فريق منهم فاعلم أن الذي يظهر لي في هذه المسألة -والله تعالى أعلم-: أن إخلاف الوعد لا يجوز؛ لكونه من علامات المنافقين، ولأن الله يقول: {كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} [٣٥]، وظاهر عمومه يشمل إخلاف الوعد، ولكن الواعد إذا امتنع من إنجاز الوعد لا يحكم عليه به ولا يلزم به جبراً، بل يؤمر به ولا يجبر عليه؛ لأن أكثر علماء الأمة على أنه لا يجبر على الوفاء به؛ لأنه وعد بمعروف محض" [٣٦].

٢- أن في الإلزام بالوفاء بالوعد قضاءً إذا كان الوعد لسبب وحصل هذا السبب، رفعاً للحرج والضرر عن الناس؛ لأن الموعود قد يدخل في أمر ما بسبب الوعد، ويتضرر بعدم الوفاء بهذا الوعد، كما لو قيل: اهدم دارك وسأقرضك مالاً، ونحو ذلك.

٣- أن الوعد لسبب، يتضمن معنى من معاني الالتزام فيخرج من كونه وعد إلى كونه التزاماً [٣٧].

٤- أن في هذا القول جمعاً بين الأدلة، ومراعاةً لقاعدة "إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما ما أمكن" [٣٨].

حكم الإلزام بالوعد في المعاوضات

يظهر من نصوص الفقهاء التي تم إيرادها في مسألة حكم الوفاء بالوعد، أن كلام الفقهاء كان عن الوفاء بالوعد في أمور المعروف والإحسان -التبرعات- كالإقراض، ونحوه، ولا يتعلق بأمور ذات صلة بعقود المعاوضات كالبيع [٣٩]، وفي هذه المسألة سيتم بيان خلاف المعاصرين في حكم الإلزام بالوعد في المعاوضات، هل يُلزم بالوعد فيُقضى به عند نكول أحد الواعدين عن إتمام وعده، أم لا؟ اختلفوا فيه على ثلاثة مذاهب على النحو الآتي:

مذاهب الفقهاء:

المذهب الأول: يجوز الإلزام بالوعد من طرف واحد، أما إن كان الإلزام من طرفين فلا يجوز، وهذا قول عدد من المعاصرين، منهم الدكتور الصديق الضرير [٤٠]، وأخذ به مجمع الفقه الإسلامي الدولي [٤١]، وهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية [٤٢]، وبعض الهيئات الشرعية للمصارف الإسلامية [٤٣].

المذهب الثاني: لا يجوز الإلزام بالوعد مطلقاً، وبه قال كثير من المعاصرين، منهم: الدكتور علي السالوس [٤٤]، والشيخ بكر أبو زيد ¬ [٤٥]، والدكتور رفيق يونس المصري [٤٦]، وعليه فتوى اللجنة الدائمة [٤٧]، وبعض الهيئات الشرعية للمصارف الإسلامية [٤٨].

المذهب الثالث: يجوز الإلزام بالوعد مطلقاً، وبه قال عدد من المعاصرين، منهم: الدكتور سامي حمود ¬ [٤٩]، وأخذت به بعض الهيئات الشرعية للمصارف الإسلامية [٥٠]،

---

[٣٤] ينظر: غمز عيون البصائر للحموي (٣/ ٢٣٧).
[٣٥] سورة الصف، الآية: ٣.
[٣٦] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٤٤١). وينظر: نص قرار مجمع الفقه الإسلامي رقم (٤٠-٤١).
[٣٧] ينظر: المستجدات في أحكام الوعد وتطبيقاته للعمراني (ص:٨٦).
[٣٨] ينظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي (٣/ ٤٩٢).
[٣٩] ينظر: المرابحة للآمر بالشراء للصديق محمد الأمين الضرير، بحث منشور في مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٢٢١).
[٤٠] ينظر: المرجع السابق (٢/ ٩٢٢٠).
[٤١] ينظر: قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، قرار رقم:٤٠-٤١، (ص: ٨١).
[٤٢] ينظر: المعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعيار رقم (٨)، (ص:٩٢-٩٤).
[٤٣] ينظر: مثل بنك فيصل الإسلامي المصري بالسودان، ينظر: بيع المرابحة للآمر بالشراء للدكتور سامي حسن حمود، بحث منشور في مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٢٩٣).
[٤٤] ينظر: المرابحة للآمر بالشراء نظرات في التطبيق العملي، لعلي السالوس، بحث مقدم ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٢٧٦).
[٤٥] ينظر: فقه النوازل (٢/ ٩٠).
[٤٦] ينظر: بيع المرابحة للآمر بالشراء في المصارف الإسلامية للدكتور رفيق يونس المصري، بحث مقدم ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٣٣١).
[٤٧] ينظر: مجلة البحوث الإسلامية (٧/ ١١٤).
[٤٨] مثل مصرف الراجحي، ينظر: قرارات الهيئة الشرعية بمصرف الراجحي (ص:٤٣٣)، القرار رقم (٢٧٨)، بتاريخ ١٤١٨/٨/٢٠هـ.
[٤٩] ينظر: بيع المرابحة للآمر بالشراء للدكتور سامي حسن حمود، بحث منشور في مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٢٩٠).
[٥٠] ينظر: مثل بنك دبي الإسلامي، وبيت التمويل الكويتي، ينظر: بيع المرابحة للآمر بالشراء للدكتور سامي حسن حمود، بحث منشور في مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٢٩٣)، والمرابحة للآمر بالشراء للصديق محمد الأمين الضرير، بحث منشور في مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٢١٩).

وصدر به مجمع الفقه الإسلامي الدولي مؤخراً في بعض الحالات وبضوابط، كما في حالة الحاجة العامة مثل الإلزام بسبب حكم الأعراف التجارية الدولية كما في فتح الاعتماد المستندي [٥١] لاستيراد البضاعة [٥٢].

الأدلة والمناقشات:

أدلة أصحاب المذهب الأول القائلين: بأنه يجوز الإلزام بالوعد من طرف واحد:

استدلوا بدليل من المعقول على النحو الآتي:

أن المواعدة الملزمة للطرفين تشبه العقد نفسه، بخلاف ما إذا كان الخيار للطرفين أو أحدهما، فإنه لا يترتب عليه المحاذير التي أوجبت منع المواعدة الملزمة للطرفين، وعلى ذلك فتجوز المعاملة مع الوعد الملزم لطرف واحد [٥٣].

ونوقش: بأن الأدلة التي تمنع إلزام الطرفين تمنع من إلزام أحدهما، كالغرر، وعدم تحقق الرضا، وبيع ما لا يملك [٥٤].

ويمكن الإجابة على المناقشة: بأن هذه المحظورات التي جاءت الأدلة بالنهي عنها هي في عقد البيع، لكن في حالة الإلزام لطرف واحد، فإن الوعد لا يعتبر عقداً ولا تجري عليه هذه المحظورات.

أدلة أصحاب المذهب الثاني القائلين: بعدم جواز الإلزام مطلقاً:

استدلوا بأدلة من المعقول على النحو الآتي:

١- أن الإلزام بالوعد يخرجه من كونه وعداً إلى كونه عقداً؛ لأن الالتزام من أهم خصائص العقود، وبناءً على ذلك فإنه يترتب على الإلزام بالوعد بعض المحظورات الشرعية المنهي عنها مثل: بيع الإنسان ما لا يملك، والبيعتين في بيعة، وبيع الكالئ بالكالئ، والغرر والجهالة حيث يقول الإمام ابن القيم ¬ في بيع الإنسان ما لا يملك: "وهو يتضمن نوعاً من الغرر، فإنه إذا باعه شيئاً معيناً، وليس في ملكه، ثم مضى ليشتريه، أو يسلمه له، كان متردداً بين الحصول وعدمه، فكان غرراً يشبه القمار، فنُهي عنه"[٥٥] [٥٦].

ونوقش: بأن الإلزام بالوعد ليس بيعاً وأنه ينصب على الوفاء بالوعد فقط، بدليل أنه لا تترتب عليه آثار البيع مباشرة، فمثلاً في بيع المرابحة يمكن تعديل الثمن أو شروط السداد في عقد البيع بعد ورود البضاعة والوقوف على تكلفتها الفعلية؛ ولذلك لا تحتوي عقود الوعد في البنوك الإسلامية على ثمن البيع مرابحة بل تذكر بقيمة إجمالية - احتمالية - في طلب الشراء، ولذلك لا يتم عقد البيع إلا بعد ورود البضاعة فعلا للبنك [٥٧].

وأجيب عنها: أنه مادام كل واحد من الطرفين ملزم بإنشاء عقد البيع على الصورة التي تضمنها الوعد، فهذا عقد وليس وعد، وما ذكرتموه من أنه يمكن تعديل الثمن أو شروط السداد في عقد البيع بعد ورود البضاعة والوقوف على تكلفتها الفعلية، وغيره، لا يؤثر في حقيقة الأمر؛ إذ الإلزام من خصائص العقود [٥٨].

٢- أن من شروط صحة العقد التراضي بين المتعاقدين، وإذا كان الوعد ملزماً فإن العقد الذي سيتم بعد ذلك سيكون من غير تراضٍ؛ لأنه تم تحت ضغط الحكم القضائي، فالإلزام بالوعد يؤدي، إلى القول بصحة العقد مع الإكراه [٥٩].

ويمكن مناقشته: بأننا لا نسلّم بذلك في حالة الإلزام بالوعد لطرف واحد لأنه ليس بعقد، وإنما وعد، كما أن المتواعدين دخلا في هذا الوعد برضاهما التام.

أدلة أصحاب المذهب الثالث القائلين: بجواز الإلزام بالوعد مطلقاً:

استدلوا بأدلة من المعقول على النحو الآتي:

١- أن الأخذ بالإلزام هو الأحفظ لمصلحة التعامل واستقرار المعاملات، وفيه مراعاة لمصلحة المصرف والعميل، فالوعد في المعاوضات يترتب عليه التزامات مالية، ويترتب على جواز الإخلاف فيه ضرر على الناس وتغرير بهم [٦٠].

ونوقش: بأن هذا الدليل غير مقبول؛ لأنه ثبت أن في الإلزام محظورا شرعيًّا؛ فتكون المصلحة التي فيه غير معتبرة شرعاً، فهي كالمصلحة التي تعود على الطرفين في بيع الإنسان ما ليس عنده الذي نهى عنه الشارع [٦١].

٢- إن الأصل في العقود الإباحة إلا ما ورد النص بتحريمه، والتراضي من أهم ركائز العقود والمعاملات في الإسلام،

---

[٥١] الاعتماد المستندي هو: "وثيقة يوجهها البنك إلى أحد مراسليه في الخارج، يدعوه فيها، إلى أن يدفع مبلغاً معيناً من النقود، أو يمنح قرضاً، أو يفتح اعتماداً للمستفيد". والمستفيد هو المستورد، ينظر: المعاملات المالية المعاصرة للدكتور محمد عثمان شبير (ص:٢٨٠).

[٥٢] ينظر: قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، قرار رقم:١٥٧، (ص: ٣٥٣).

[٥٣] ينظر: المستجدات في أحكام الوعد وتطبيقاته للعمراني (ص:١٠٧)، وبيع التقسيط للتركي (ص: ٤٧٣).

[٥٤] ينظر: بيع المرابحة للآمر بالشراء في المصارف الإسلامية للدكتور رفيق يونس المصري، بحث مقدم ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٩٣٣١/٢).

[٥٥] زاد المعاد في هدي خير العباد (٥/ ٧١٦).

[٥٦] ينظر: فقه النوازل لبكر أبو زيد (٢/ ٩٠)، والمرابحة للآمر بالشراء للصديق محمد الأمين الضرير، بحث منشور في مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٢١٨).

[٥٧] ينظر: التفاصيل العملية لعقد المرابحة في النظام المصرفي الإسلامي للدكتور محمد عبد الحليم عمر، بحث منشور في مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٤٤٤).

[٥٨] ينظر: بيع التقسيط للتركي (ص:٤٧٢).

[٥٩] ينظر: بيع التقسيط للتركي (ص:٤٧٣)، وبيع المرابحة للآمر بالشراء في المصارف الإسلامية للدكتور رفيق يونس المصري، بحث مقدم ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٣٢٩).

[٦٠] ينظر: المرابحة للآمر بالشراء للصديق محمد الأمين الضرير، بحث منشور في مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٢٢١)، والمستجدات في أحكام الوعد وتطبيقاته للعمراني (ص:١٠٥).

[٦١] ينظر: المرجع السابق (٢/ ٩٢٢٢).

وحيث إن الطرفين تراضيا على الالتزام بالوعد فإنه ينفذ طالما لم يتفقا على ما يخالف نصاً شرعياً [٦٢].

ونوقش: بأنه قد دل الدليل على تحريم المواعدة الملزمة مثل النهي عن بيع ما لا يملك [٦٣].

الترجيح وأسبابه:

بعد عرض مذاهب الفقهاء في المسألة، وبيان أدلتهم، ومناقشة ما أمكن مناقشته، يتبين أن الراجح -والله أعلم- هو المذهب الأول القائل بجواز الإلزام بالوعد من طرف واحد، أما إن كان الإلزام من طرفين فلا يجوز؛ وذلك لقوة تعليلهم، وما ورد على أدلة المخالفين من مناقشة.

تطبيقات معاصرة على الإلزام بالوعد

أولاً: بيع المرابحة للآمر بالشراء [٦٤]:

وهو: "طلب الفرد أو المشتري من شخص آخر (أو المصرف) أن يشتري سلعة معينة، بمواصفاتٍ محددة، وذلك على أساس وعد منه بشراء تلك السلعة اللازمة له مرابحة، وذلك بالنسبة أو الربح المتفق عليه، ويدفع الثمن على دفعات أو أقساط تبعاً لإمكانيته وقدرته المالية".

ويتكون هذا العقد من العناصر الآتية:

١- وعد من المشتري للمصرف بشراء السلعة.

٢- عقد بيع بين المالك للسلعة والمصرف.

٣- عقد بيع مرابحة بين المصرف والمشتري.

والعنصر الأول هو الوعد الذي وقع الخلاف في حكم الإلزام به كما تبين لنا سابقًا.

ثانياً: عقد التوريد [٦٥]:

وهو: "أن يتعهد شخص بتوريد (تسليم) سلع معلومة إلى آخر بصفة دورية أو خلال فترة معينة، مقابل مبلغ مالي".

ومثاله: أن يتفق صاحب معرض سيارات مع آخر على أن يقوم بتوريد سيارات وفق مواصفات معينة، ومعلوم أن هذا الشخص المتعهد بالتوريد لا يملك تلك السلع، فإذا تعاقد معه المستورد فيكون هذا المورّد قد باع مالا يملك، وهو منهي عنه شرعاً.

وللعقد مخارج شرعية للخروج من محذور بيع ما لا يملك، وهي كالآتي:

١- إذا كانت السلعة أو البضاعة تتطلب الصناعة، فالعقد الذي بينهم يكون عقد استصناع وهو عقد جائز شرعاً.

٢- إذا كانت السلعة أو البضاعة لا تتطلب الصناعة، بل موصوفة في الذمة، ويلتزم المورد بتسليمها عند حلول الأجل، فهذا عقد سلم، وهو جائزٌ شرعاً، بشرط تعجيل الثمن كله، بحيث يسلمه في مجلس العقد.

٣- في حالة عدم تسليم ثمن السلعة أو البضاعة، تكون المعاملة قائمة على الوعد، بأن يبدي المستورد للمورد الرغبة في سلعة معينة ويعده، بأنه إذا ورّد هذه السلعة فسوف يشتريها منه، فلا يكون بينهما عقد، وقد رأى الأستاذ الدكتور سعد الخثلان جواز المعاملة على هذا النحو بشرط أن يكون وعد المستورد وعداً غير ملزماً [٦٦].

والنقطة الثالثة أي قيام المعاملة على أساس الوعد هي المسألة التي اختلف فيها الفقهاء كما سبق وبيّنا.

ثالثاً: الاعتماد المستندي [٦٧]:

وهو: "وثيقة يوجهها البنك إلى أحد مراسليه في الخارج، يدعوه فيها، إلى أن يدفع مبلغاً معيناً من النقود، أو يمنح قرضاً، أو يفتح اعتماداً للمستفيد".

وتفسير خطاب الاعتماد المستندي، هو: أن شخصاً يريد شراء بضاعة من بلد أجنبي، ولكنه لا يرغب بدفع ثمنها قبل استلامها والتأكد من كونها مطابقة للشروط، فيقوم بطلب خطاب اعتماد بمبلغ البضاعة من أحد بنوك بلده، وإذا تسلّم مالك البضاعة الخطاب فيمكنه سحب مبلغ الخطاب من أحد البنوك التي في بلده والتي تتعامل مع البنك الذي أصدر الخطاب، وذلك بعد تسليم الوثائق التي تُثبت شحن البضاعة، وبهذا يكون البنك الداخلي مديناً للبنك الخارجي، فيبدأ احتساب الفوائد، حتى يقوم البنك الداخلي بسداد المبلغ للبنك الخارجي.

ولم تغفل البنوك الإسلامية الاعتمادات المستندية التي تعتبر من أساسيات التجارة الخارجية، فخلصتها من الفوائد الربوية، وأبقتها على مجرد الوكالة بأجرة إن كان المستورد مالكاً لمبلغ خطاب الاعتماد ومُمَوِّلاً له، أما إن كان المستورد غير مالك لمبلغ الخطاب فتكون المعاملة على أساس المشاركة أو على أساس المرابحة للآمر بالشراء، والتي يكون فيها وعد من المستورد بشراء البضاعة من المصرف.

رابعاً: التأجير المنتهي بالتمليك [٦٨]:

ويسميه البعض بـ(التأجير مع الوعد بالتمليك) وتختص هذه التسمية بصور العقد الجائزة، وحقيقة هذا العقد هو: أن يقوم المصرف بتأجير عين كسيارةٍ مثلاً، إلى شخص مدة معينة بأجرة معلومة، قد تزيد عن أجرة المثل، على أن يملِّكه إياها بعد انتهاء المدة ودفع جميع أقساط الأجرة، بعقد جديد.

---

(٦٢) ينظر: المستجدات في أحكام الوعد وتطبيقاته للعمراني (ص:١٠٥)، والتفاصيل العملية لعقد المرابحة في النظام المصرفي الإسلامي للدكتور محمد عبد الحليم عمر، بحث منشور في مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢/ ٩٤٣).

(٦٣) ينظر: المرجع السابق بنفس الصفحة.

(٦٤) ينظر: المعاملات المالية المعاصرة للدكتور محمد عثمان شبير (ص:٣٠٩- ٣١٠).

(٦٥) ينظر: فقه المعاملات المالية المعاصرة، للدكتور سعد الخثلان (ص: ١٤٠).

(٦٦) وللاستزادة في معرفة حكم هذا العقد ينظر نص مجمع الفقه الإسلامي في حكم عقد التوريد، قرار رقم: ١٠٧ (١ / ١٢).

(٦٧) ينظر: المعاملات المالية المعاصرة للدكتور محمد عثمان شبير (ص:٢٨٠- ٢٨٥).

(٦٨) ينظر: المصدر السابق (ص:٣٢٢)، وفقه المعاملات المالية المعاصرة، للدكتور سعد الخثلان (ص: ١٤٤).

وهي تشبه بيع التقسيط، إلا أن البنوك والشركات يفضلونه ويرون فيه مخرجاً؛ لأنه في بيع التقسيط تنتقل ملكية المبيع إلى المشتري، وربما يتعذر على المشتري تسديد الأقساط، بخلاف عقد الإيجار المنتهي بالتمليك؛ فإن ملكية المبيع لا تنتقل للمشتري (المستأجر) حتى تسدّد جميع الأقساط، وبهذا يضمن البنك حقه.

ولهذا العقد عدة صور منها الجائز ومنها المحرّم، وقد فصّل مجمع الفقه الإسلامي في ذكر هذه الصور وحكم كل صورة [٦٩]، فذكر أن ضابط الصورة الممنوعة هو: أن يرد عقدان مختلفان، في وقت واحد، على عينٍ واحدة، في زمنٍ واحد، وأن ضابط الجواز كالآتي:

١-وجود عقدين منفصلين يستقل كل منهما عن الآخر، زماناً بحيث يكون إبرام عقد البيع بعد عقد الإجارة، أو وجود وعد بالتمليك في نهاية مدة الإجارة، والخيار يوازي الوعد في الأحكام.

٢-أن تكون الإجارة فعلية وليست ساترة للبيع.

٣-أن يكون ضمان العين المؤجرة على المالك لا على المستأجر وبذلك يتحمل المؤجر ما يلحق العين من ضرر غير ناشئ من تعد المستأجر أو تفريطه، ولا يلزم المستأجر بشيء إذا فاتت المنفعة.

٤-إذا اشتمل العقد على تأمين العين المؤجرة فيجب أن يكون التأمين تعاونياً إسلامياً لا تجارياً ويتحمله المالك المؤجر وليس المستأجر.

٥-يجب أن تطبق على عقد الإجارة المنتهية بالتمليك أحكام الإجارة طوال مدة الإجارة وأحكام البيع عند تملك العين.

٦-تكون نفقات الصيانة غير التشغيلية على المؤجر لا على المستأجر طوال مدة الإجارة.

ونجد أن العقد يحتوي على وعد بين المصرف والمستأجر بتمليك العين إلى المستأجر عن طريق البيع أو الهبة عند سداده جميع الأقساط الإيجارية، وحكم الإلزام بهذا الوعد هو ما سبق وبيناه في هذا البحث.

النتائج:

خلص البحث إلى النتائج التالية:

١- أن الإلزام هو: إيجاب أداء ما التزمه الإنسان على نفسه، والالتزام هو: إيجاب الإنسان على نفسه باختياره وإرادته من تلقاء نفسه أمراً يتعلق بغيره، كمعاوضة، أو تبرع، أو توثيق دين، أو غير ذلك، بحيث لا يكون له حق الرجوع عمّا التزم به، بإرادته المنفردة دون موافقة الطرف الملتزم له.

٢- أن الوعد هو: إخبار عن إنشاء المخبر مع وفاء في المستقبل.

٣- العلماء متفقون على أن الوفاء بالوعد مطلوب شرعاً.

٤- يجب الوفاء بالوعد المجرد ديانةً لا قضاءً، أما إذا كان الوعد على سبب وحصل هذا السبب، وتضرر الموعود بسببه، فإنه يُلزم بالوفاء به قضاءً على الراجح من مذاهب الفقهاء -والله أعلم-.

٥- يجوز الإلزام بالوعد -في عقود المعاوضات- لطرف واحد، أما إن كان الإلزام للطرفين فلا يجوز على الراجح من مذاهب الفقهاء -والله أعلم-.

٦- أن للإلزام بالوعد تطبيقات معاصرة كثيرة، منها: المرابحة للآمر بالشراء، وعقد التوريد، والاعتماد المستندي، والتأجير المنتهي بالتمليك.

٧- أن التأجير المنتهي بالتمليك هو: أن يقوم المصرف بتأجير عين كسيارةٍ مثلاً، إلى شخص مدة معينة بأجرة معلومة، قد تزيد عن أجرة المثل، على أن يملِّكه إياها بعد انتهاء المدة ودفع جميع أقساط الأجرة، بعقد جديد.

٨- الاعتماد المستندي هو: وثيقة يوجهها البنك إلى أحد مراسليه في الخارج، يدعوه فيها، إلى أن يدفع مبلغاً معيناً من النقود، أو يمنح قرضاً، أو يفتح اعتماداً للمستفيد.

٩- أن عقد التوريد هو: أن يتعهد شخص بتوريد (تسليم) سلع معلومة إلى آخر بصفة دورية أو خلال فترة معينة، مقابل مبلغ مالي.

١٠- بيع المرابحة للآمر بالشراء هو: طلب الفرد أو المشتري من شخص آخر (أو المصرف) أن يشتري سلعة معينة، بمواصفاتٍ محددة، وذلك على أساس وعد منه بشراء تلك السلعة اللازمة له مرابحة، وذلك بالنسبة أو الربح المتفق عليه، ويدفع الثمن على دفعات أو أقساط تبعاً لإمكانيته وقدرته المالية.

وأخيراً أرجو الله عز وجل أن أكون قد وفقت في عرض هذا البحث، وصل اللهم وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه..

الفهارس:

فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن:

١. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ٢٠ج، ط٢ (مصر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

ثالثاً: كتب السنة وشروحها وكتب التخريج:

[٦٩] للاطلاع على تفاصيل هذه الصور وأحكامها ينظر: قرار مجمع الفقه الإسلامي في الإجارة المنتهية بالتمليك قرار رقم: ١١٠ (١٢/٤).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

٣. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، راجعه: د. مصطفى ديب البغا، ٦ج، ط٣ (بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م).
٤. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٥ج، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
٥. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ٤ ج (بيروت: المكتبة العصرية).
٦. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٢ج (دار إحياء الكتب العربية).
٧. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، ٦ج، ط.د (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م).
٨. المستدرك على الصحيحين للحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ٤ج، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م).
٩. الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ٨ج، ط١ (أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).
١٠. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
١١. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، ط١ (الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان).
١٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ٩ج، ط٢ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م).
١٣. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ٣٦ج، ط١ (دمشق: دار النوادر، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).
١٤. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي -محمد عبد الكبير البكري، ٢٤ج، (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧ هـ).

رابعاً: كتب اللغة والمعاجم ومصطلحات الفقهاء:

١٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ١٥ج، ط١ (بيروت: دار صادر).
١٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط.د (الناشر: المكتبة العصرية).
١٧. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ٦ج، ط.د (الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
١٨. الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية (شرح حدود ابن عرفة للرصاع)، محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاع التونسي المالكي (المتوفى: ٨٩٤هـ) ط١ (الناشر: المكتبة العلمية، ١٣٥٠هـ).

خامساً: كتب أصول الفقه:

١٩. تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، دراسة وتحقيق: د سيد عبد العزيز - د عبد الله ربيع، المدرسان بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، ٤ج، ط١ (الناشر: مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث - توزيع المكتبة المكية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م)
٢٠. الأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م).
٢١. الوَاضِح في أُصُولِ الفِقه، أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: ٥١٣هـ)، تحقيق: الدكتور عَبد الله بن عَبد المُحسن التركي، ٥ج، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).
٢٢. غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (المتوفى: ١٠٩٨هـ)، ٤ج، ط١ (الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

سادساً: الكتب الفقهية في المذهب الحنفي:

٢٣. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي (المتوفى: ٩٧٠هـ)، ٨ج (بيروت: دار المعرفة).

٢٤. رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، ٦ج، ط٢ (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
٢٥. المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، ٣٠ج، ط.د (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
٢٦. درر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا - أو منلا أو المولى - خسرو (المتوفى: ٨٨٥هـ)، ٢ج، ط.د (الناشر: دار إحياء الكتب العربية).
٢٧. البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، ١٣ج، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
سابعاً: الكتب الفقهية في المذهب المالكي:
٢٨. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، تحقيق: محمد حجي وآخرون، ٢٠ج، ط٢ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
٢٩. شرح مختصر خليل، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: ١١٠١هـ)، ٨ج، ط.د (بيروت: دار الفكر للطباعة).
٣٠. الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد حجي، وسعيد أعراب، ومحمد بو خبزة، ١٤ج، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤ م).
٣١. الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) ٤ج، ط.د (الناشر: عالم الكتب، ت.د).
٣٢. فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: ١٢٩٩هـ) ٢ج، ط.د (الناشر: دار المعرفة، ت.د).
ثامناً: الكتب الفقهية في المذهب الشافعي:
٣٣. النجم الوهاج في شرح المنهاج، كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، تحقيق: لجنة علمية، ١٠ج، ط١ (جدة: دار المنهاج، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٣٤. روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، ١٢ج، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م).
٣٥. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، ٤ج، ط.د (دار الكتاب الإسلامي).
٣٦. المجموع شرح المهذب لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، (بيروت: دار الفكر).
٣٧. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ١٩ج، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م).
٣٨. الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط.د (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م).
٣٩. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، ٨ج (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤ه-١٩٨٤م).
٤٠. كفاية النبيه في شرح التنبيه، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (المتوفى: ٧١٠هـ)، تحقيق: مجدي محمد سرور باسلوم، ٢١ج، ط١ (الناشر: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).
تاسعاً: الكتب الفقهية في المذهب الحنبلي:
٤١. كتاب الفروع، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ١١ج، ط١ (الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م).
٤٢. المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، ٨ج، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).
٤٣. شرح منتهى الإرادات (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى)، لمنصور بن يونس البهوتي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، ٣ج (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٦م).
٤٤. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، ١٢ج، ط٢ (الناشر: دار إحياء التراث العربي).
٤٥. المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، ١٠ج، ط.د (الناشر: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).

٤٦. الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، موسى بن أحمد لحجاوي المقدسي (المتوفى: ٩٦٨هـ)، تحقيق: عبد اللطيف السبكي، (دار المعرفة).
٤٧. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، ومصطفى هلال، ٦ج (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ).
٤٨. كشف المخدرات والرياض المزهرات لشرح أخصر المختصرات، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد البعلي الخلوتي الحنبلي (المتوفى: ١١٩٢هـ)، تحقيق: قابله بأصله وثلاثة أصول أخرى: محمد بن ناصر العجمي، ٢ج، ط١ (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

عاشراً: الأبحاث والكتب الفقهية المعاصرة:

٤٩. فقه النوازل، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ) ٢ج، ط١ (الناشر: مؤسسة الرسالة- ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م).
٥٠. فقه المعاملات المالية المعاصرة، سعد بن تركي الخثلان، ط٦ (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ).
٥١. المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، محمد عثمان شبير، ط٦ (عمّان: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ).
٥٢. بيع التقسيط وأحكامه، سليمان بن تركي التركي، ط١ (الرياض: دار إشبيليا، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
٥٣. التفاصيل العملية لعقد المرابحة في النظام المصرفي الإسلامي، محمد عبد الحليم عمر، بحث مقدم ضمن أبحاث مجلة مجمع الفقه الإسلامي.
٥٤. الإلزام القضائي بالوعد في المعاملات المالية تقعيد وتأصيل، نزيه كمال حماد، بحث محكم ومنشور.
٥٥. بيع المرابحة للآمر بالشراء في المصارف الإسلامية، رفيق يونس المصري، بحث مقدم ضمن أبحاث مجلة مجمع الفقه الإسلامي.
٥٦. المرابحة للآمر بالشراء، الصديق محمد الأمين الضرير، بحث مقدم ضمن أبحاث مجلة مجمع الفقه الإسلامي.
٥٧. المستجدات في أحكام الوعد وتطبيقاته في بيع المرابحة للآمر بالشراء، عبدالله بن محمد العمراني، بحث منشور على موقع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٥٨. بيع المرابحة للآمر بالشراء، سامي حسن حمود، بحث مقدم ضمن أبحاث مجلة مجمع الفقه الإسلامي.
٥٩. المرابحة للآمر بالشراء نظرات في التطبيق العملي، علي أحمد السالوس، بحث مقدم ضمن أبحاث مجلة مجمع الفقه الإسلامي.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة
International Journal of Sharia and Islamic Studies
مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

أقوال الصحابة رضي الله عنهم العَقَدية التي حُكي أن ليس للرأي فيها مجال (اسم القيّام لله -عز وجل- انموذجاً).

أ. رهف بنت عبداللطيف بن فهد بن دخيل
باحثة دكتوراة كلية الشريعة وأصول الدين، تخصص: العقيدة، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.

The Doctrinal Statements of the Companions (may Allah be pleased with them) in Which It Is Reported That There Is No Room for Opinion (The Name "Al-Qayyum" (The Sustainer) as an Example)

Rahaf Abdullatif Fahad Dakhil
Assistant Professor at the College of Sharia and Law, Taif university.
E-mail: raholatif@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:
مسائل- العقدية- الصحابة- الرأي.

KEY WORDS:
Issues, Doctrinal, Companions, Opinion.

مستخلص البحث:

إنَّ علم أصول الدين أشرف العلوم؛ إذ شرفُ العلم بشرف المعلوم، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياةَ للقلوب ولا نعيمَ ولا طمأنينةَ إلاّ بأنّ تعرف ربها، ومعبودها، وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ولأهمية أقوال الصحابة وكونها من مناهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة؛ رأيت أن على المختصين من أهل العلم تجلية الحكم الشرعي في ذلك، خاصةً فيما ليس للرأي فيه مجال؛ بمنهج علمي واضح، وقد قسمت البحث إلى تمهيد ومبحث، ثم الخاتمة، والفهارس، وقد اتبعتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وتوصلت إلى عدد من النتائج أهمها: أن مفهوم قول الصحابي الذي ليس للرأي فيه مجال: هو ما ثبت عنه ﷺ من مسائل الاعتقاد، وليس فيه إجماع بين الصحابة ﷺ، ولا يدخل في الاجتهاد، من الإخبار عن الأمور الماضية، أو الآتية، أو الإخبار عن عمل يحصل به ثواب أو عقاب مخصوص، واختلف العلماء في درجة الاحتجاج به، والراجح -والله تعالى أعلم-: أنه موقوف، إلا إذا ثبَت رفعُه للنبي ﷺ، والمسائل العقدية التي وردت في البحث ليست من أصول الاعتقاد، فيجوز الخلاف فيها.

ABSTRACT:

The Science of the Fundamentals of Religion (Usul al-Din) is the most noble of sciences, as the honor of knowledge is determined by the honor of what is known. The need of the servants for it exceeds all other needs, and their necessity for it surpasses all other necessities. This is because there is no life for the hearts, no bliss, and no tranquility except by knowing their Lord, their object of worship, and their Creator, through His names, attributes, and actions.
Given the importance of the statements of the Companions (Sahabah) and their status as sources of legal reasoning for the Ahl al-Sunnah wa'l-Jama'ah, I believe it is the responsibility of scholars to clarify the legal rulings on this matter, especially in cases where there is no room for personal opinion. This should be done with a clear scientific methodology.

I have divided this research into an introduction, a main body, and a conclusion, followed by indexes. In this research, I have followed the inductive and analytical method, and I have reached several conclusions, the most important of which are: The concept of the statement of a Companion, in matters where there is no room for opinion, refers to what has been firmly established from them regarding matters of belief, where there is no consensus among the Companions, and it does not fall within the scope of ijtihad (juridical reasoning). This includes reports about past or future events, or reports about actions that lead to specific rewards or punishments. Scholars have differed in the degree of reliance on such statements. The most likely view — and Allah knows best — is that these statements are considered suspended (mawquf), unless it is proven that they were raised to the Prophet (peace be upon him).
The doctrinal issues discussed in this research are not considered core tenets of faith, and disagreement is permissible in them.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ:

إنَّ علم أصول الدين أشرف العلوم؛ إذ شرفُ العلم بشرف المعلوم، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياةَ للقلوب ولا نعيمَ ولا طمأنينةَ إلاّ بأنّ تعرف ربها، ومعبودها، وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله[1]، ولقد بعث الله نبينا محمدًا ﷺ بالحُجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغُ عنها إلا هالِك، فأدَّى الأمانة، وبلَّغ الرسالة، وبيَّن للأمة الطريق المستقيم، وإنَّ مما بيَّنه نبينا محمد ﷺ لأصحابه ﷺ مسائل الاعتقاد، حتى إذا رسخت في أذهانهم جاء الاعتناء بالجوانب الأخرى، ولم يقبضِ الله نبيَّه إلا وقد كمُل به الدين، قال تعالى: سمحٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚسجى [المائدة:٣]، وقد فهم الصحابة ﷺ العقيدة فهمًا صحيحًا، وبلَّغوها على أكمل وجه[2]، وردُّوا كل بدعة ظهرت في زمنهم بالحجَّة والبرهان، وأوضحوا لمن جاء بعدهم السبيل المستقيم. ولأهمية أقوال الصحابة ﷺ وكونها من مناهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة؛ وجبَ على المختصين من أهل العلم تجلية الحكم الشرعي في ذلك، خاصةً فيما ليس للرأي فيه مجال؛ بمنهج علمي واضح، لذا جاءت هذه الدراسة بعنوان "أقوال الصحابة رضي الله عنهم العَقَدية التي حُكي أن ليس للرأي فيها مجال (اسم القيّام لله -عز وجل- انموذجاً)".

مشكلة البحث:

تنحصر مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات التالية:

١. ما حكم الاحتجاج بقول الصحابي ﷺ في المسائل العَقَدية التي حُكي أن ليس للرأي فيها مجال؟

٢. ما أقوال الصحابة ﷺ في اسم القيّام لله -عز وجل- التي حُكي أن ليس للرأي فيها مجال؟

الأهمية العلمية للموضوع:

تتجلى أهمية الموضوع من خلال ما يأتي:

١. أن الصحابة ﷺ أصح الناس فهمًا للدين بعد النبي ﷺ.

٢. أهمية أقوال الصحابة ﷺ؛ حيث إنها تَردُ ضمن منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة.

٣. وجود مسائل عَقَدية في أقوال الصحابة ﷺ مما حُكي أن ليس للرأي فيه مجال تحتاج للحصر والإيضاح.

أهداف البحث:

للبحث عدة أهداف، هي:

١. توضيح حكم الاحتجاج بقول الصحابي ﷺ في المسائل العَقَدية التي حُكي أن ليس للرأي فيها مجال، ومرتبة هذا الاحتجاج.

٢. دراسة أقوال الصحابة ﷺ العَقَدية في مسألة اسم القيّام لله -عز وجل-، التي حُكي أن ليس للرأي فيها مجال.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع عن هذا الموضوع في مظانِّه؛ لم أقف -حسب علمي- على مَن أفردَ أقوال الصحابة رضي الله عنهم العَقَدية التي حُكي أن ليس للرأي فيها مجال (اسم القيّام لله - عز وجل- انموذجاً) ببحث مستقل، عدا:

• بحث ترقية بعنوان: "أقوال الصحابة العقدية التي ليس للرأي فيها مجال".

المؤلف/ د. زياد بن حمد العامر، عام النشر/ ١٤٣٩ه-٢٠١٨م، الناشر/ جامعة الجوف.

الاختلاف والإضافة:

تناولت الدراسة السابقة بعضًا من آثار الصحابة ﷺ، وكان طرح الباحث مختصرًا، حيث درس مسألتين، هما: قدما الله -عز وجل-، ونزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

وسيتناول هذا البحث تفصيل وتحقيق أقوال الصحابة ﷺ العقدية التي حُكي أن ليس للرأي فيها مجال، وما وقفت عليه الباحثة من آثار الصحابة ﷺ العقدية في مسألة اسم القيّام لله -عز وجل-، ودراستها دراسة عقدية.

• رسالة دكتوراه بعنوان: "أقوال الصحابة ﷺ المسندة في الاعتقاد".

المؤلف/ د. هشام بن إسماعيل الصيني، عام النشر/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، الناشر/ جامعة أم القرى.

الاختلاف والإضافة:

تناولت الدراسة أقوال الصحابة ﷺ المسندة فقط، ودراسة أسانيدها، ولم تدرس موضوع ما ليس للرأي فيه مجال، وسيتناول هذا البحث تفصيل وتحقيق أقوال الصحابة ﷺ العقدية التي حُكي أن ليس للرأي فيها مجال، وما وقفت عليه الباحثة من آثار الصحابة ﷺ العقدية، في مسألة اسم القيّام لله -عز وجل-، ودراستها دراسة عقدية.

منهج البحث وإجراءاته:

اتبعتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك وفق الإجراءات التالية:

١- استقراء أقوال الصحابة ﷺ العقدية مما حُكي أن ليس للرأي فيه مجال من مظانها.

٢- الحُكم على الأثر من ناحية الثبوت وعدمه (الصحة والضعف)، ومن ناحية كونه مرفوعًا للنبي ﷺ أو موقوفًا

[1] انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز (٥/١).

[2] انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين (٢/ ٢٧٤-٢٨٧).

على الصحابي ﷺ (الرفع والوقف)؛ من خلال الرجوع لرأي المحققين من العلماء[٣]، وإذا لم تجد الباحثة حُكمًا لهم فستجتهد في نقل أقوال العلماء في ذلك.

٣- دراسة الأثر العقدي في أقوال الصحابة ﷺ التي حُكي أن ليس للرأي فيها مجال وفق منهج أهل السنة والجماعة.

٤- تخريج الأحاديث بذكر اسم الكتاب والباب، وبيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها، إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، فإن كانت فيهما أو في أحدهما أكتفي بهما.

٦- التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة الواردة في البحث.

٧- ترجمة الأعلام الوارد ذكرها في متن البحث؛ بذكر تاريخ الوفاة بجانب العَلَم فقط، باستثناء ترجمة الصحابة ﷺ؛ وذلك لتكرار ورودهم، وما نقلته نصاً.

تقسيم خطة البحث:

يشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، ومبحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: تشتمل على: أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالصحابة ﷺ، ومكانتهم.

المطلب الثاني: مفهوم قول الصحابي ﷺ الذي حُكي أن ليس للرأي فيه مجال، وحُكم الاحتجاج به.

المطلب الثالث: الصحابة ﷺ الذين نُسب إليهم الأخذ عن الإسرائيليات.

المبحث الأول: الأقوال العقدية المتعلقة باسم القيّام لله -عز وجل-.

الخاتمة: فيها أبرز النتائج والتوصيات.

المطلب الأول: التعريف بالصحابة ﷺ، ومكانتهم

أولًا: تعريف الصحابة ﷺ في اللغة، والاصطلاح

الصحابة ﷺ في اللغة: جمعُ صحابي، ويرجع إلى صَحب، صحِبَ الشخصَ أي: لازَمه ورَافقه وعاشَره، (صحِبَ) يَصحَب، صَحابةً وصُحبةً، فهو صاحِب والجمع: أصحاب وصَحابة وصِحاب وصَحْب وصُحْبَة، والصاحب: يُجمع على الصَّحْب، والصُّحبان، والصُّحبة والصِّحاب، والأصحاب: جماعة الصَّحب، والصحابة مصدر قولك: صاحبَكَ الله، وأحسن صحابَتَك[٤]، والصاد والحاء والباء أصل واحد دلّ على مقارنة الشيء ومقاربته، ومن ذلك: الصاحب، والجمع صحب، والصحابة والأصحاب واحد، فإذا قالوا: صحابة فهم الأصحاب، وأصل الصحابة مصدر[٥]، قال الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ): "قال الباقلاني: لا خلاف بين أهل اللغة في أن قول صحابي مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص؛ بل هو جارٍ على كل مَن صحِبَ غيرَه قليلًا أو كثيرًا، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال،...، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على مَن صَحِبَ النبيَّ ﷺ ولو ساعة من نهار، وهذا الأصل في اشتقاق الاسم"[٦]، وقال الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ): "الصاحب الملازم إنسانًا كان أو حيوانًا أو مكانًا أو زمانًا، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن -وهو الأصل والأكثر-... ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته، ويقال للمالك للشيء: هو صاحبه"[٧].

فالصحابة في اللغة تدور على معاني: المصاحَبة، والملازَمة، والمعاشَرة، والمرافَقة، كذلك في الاصطلاح لا يخرج عن ذلك.

الصحابة ﷺ في الاصطلاح: اختلف أهل العلم فيمن يطلق عليه اسم الصحابي، وتعددت تعريفاتهم له، وانقسموا في ذلك على قسمين:

أولًا: تعريف جمهور المحدثين -وافقهم عليه بعض الأصوليين-[٨]: كل من صَحِبَ النبيَّ ﷺ، وأدرك الحُلُم، وعقِلَ أمر الدين، ورضيه[٩].

ثانيًا: تعريف بعض الأصوليين -جماهير أصوليّي الشافعية-: كل من أقام مع النبي ﷺ سَنة أو سنتين، بمعنى: من كثرت مجالسته للنبي ﷺ[١٠]، قال الغزالي (ت:٥٠٥هـ): "الاسم لا يطلق إلا على من صحبه...، العرف يخصص الاسم بمن كثرت صحبته، ويعرف ذلك بالتواتر، والنقل الصحيح، وبقول الصحابي: كثرت صُحبتي"[١١].

وأصحُّ التعاريف أن الصحابي ﷺ: من لقي النبيَّ ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك[١٢]، وهذا التعريف مبني على الأصح، وما أجمع عليه أهل السنة والجماعة، قال رسول الله ﷺ: **(وددت أنَّا قد رأينا إخواننا)، قالوا: أوَلسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: (أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعدُ)**[١٣]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: **(يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من**

---

[٣] مثل: مصنف ابن أبي شيبة، ابن أبي شيبة، والمطالب العالية، ابن حجر، ومصنف عبد الرزاق، الصنعاني.
[٤] انظر: العين، الخليل بن أحمد، (مادة: صحب)، (١٢٤/٣).
[٥] انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (مادة: صحب)، (٣٣٥/٣).
[٦] الكفاية (ص:٥١).
[٧] مفردات ألفاظ القرآن، (مادة: صحب)، (ص:٤٧٥).
[٨] انظر: التلخيص في أصول الفقه، للجويني (٤١٣/٢-٤١٤).
[٩] انظر: معرفة أنواع علوم الحديث، ابن الصلاح (ص:٢٩٣)، وفتح المغيث، السخاوي (٩٣/٣).
[١٠] انظر: البحر المحيط، الزركشي (١٩١/٦-١٩٢).
[١١] المستصفى (ص:١٣١).
[١٢] انظر: تحقيق منيف الرتبة، الحافظ العلائي (٣٠-٤٩)، ومخالفة الصحابي للحديث النبوي الشريف، عبد الكريم النملة (٦٨-٧٧).
[١٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، (رقم:٢٤٩)، (١٥٠/١).

الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى مَن صحِبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى مَن صحِبَ مَن صحِبَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم)[١٤]، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وحديث أبي سعيد هذا يدل على شيئين: على أن صاحب النبي ﷺ هو من رآه مؤمنًا به وإن قلَّت صُحبته، كما قد نصَّ على ذلك الأئمة أحمد وغيره، وقال مالك: مَن صحبَ رسول الله ﷺ سَنةً أو شهرًا أو يومًا أو رآه مؤمنًا به فهو من أصحابه، له من الصحبة بقدر ذلك، وذلك أنّ لفظ الصحبة جنس تحته أنواع، يقال: صحبه شهرًا، وساعة، وقد تبين في هذا الحديث أن حكم الصحبة يتعلق بمن رآه مؤمنًا به"[١٥]، وقال أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ): "كل مَن صحبَه سنةً أو شهرًا أو يومًا أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صَحِبَه"[١٦]، وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغزُ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارضٍ كالعمى"[١٧]، وقال أيضًا: "إذا ثبت أنه لقي النبيَّ ﷺ فهو صحابي على الراجح"[١٨].

ثانيًا: مكانة الصحابة ﷺ: أهل السنة والجماعة متفقون جميعُهم على فضل وعدالة [١٩] الصحابة ﷺ بلا استثناء، خلافًا عن غيرهم، وقد دلَّ على ذلك الكتاب، والسُّنة، والإجماع.

أولًا: أدلة الكتاب كثيرة، منها ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، قال الطبري (ت:٣١٠هـ): "رضي الله عن جميعهم لـمَّا أطاعوه وأجابوا نبيه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه، ورضي عنه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان لِما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه، وإيمانهم به وبنبيه –عليه الصلاة والسلام- وأعدَّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار يدخلونها خالدين فيها، لابثين فيها أبدًا، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها"[٢٠].

٢- قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١١٧]، قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "قال قتادة: خرجوا إلى الشام عام تبوك في لهَبان الحر، على ما يعلم الله من الجهد، أصابهم فيها جهد شديد، حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم، يمصها هذا، ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم"[٢١].

٣- قال الله تعالى: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [الفتح:١٨-١٩]، قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "يخبر -تعالى- عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وقد تقدم ذكر عِدَّتهم، وأنهم كانوا ألفًا وأربعمئة، وأن الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية،...، ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: من الصدق والوفاء، والسمع والطاعة، ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ﴾: وهي الطمأنينة، ﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾: وهو ما أجرى الله على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة"[٢٢].

٤- قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح:٢٩]، ذكر الطبري (ت:٣١٠هـ) أن محمدًا ﷺ وأتباعه من الصحابة ﷺ أشداء مع الكفار، رحماء بينهم، وتراهم ركعًا سُجدًا، يبتغون بذلك فضلًا من الله تعالى، وأن يرضى عنهم ويدخلهم جنته، وقد ذكر الله -تعالى- أصحاب النبي ﷺ في التوراة والإنجيل وضرب لهم

[١٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، باب: فضل الصحابة ﷺ، (رقم: ٢٥٣٢)، (١٨٤/٧).
[١٥] مجموع الفتاوى (٢٩٨/٢٠).
[١٦] الجامع (٢٨/٣).
[١٧] الإصابة (١٥٨/١).
[١٨] المرجع السابق (٤١٤/٣).
[١٩] المراد بعدالة الصحابة ﷺ : ليس عصمتهم من الخطأ، بل أنهم ثقات مؤمنون في الرواية عن النبي ﷺ، من غير بحث عن أسباب عدالتهم وتزكيتهم، وليسوا منافقين.
[٢٠] جامع البيان (٦٤١/١١).
[٢١] تفسير القرآن العظيم (٢٢٨/٤).
[٢٢] المرجع السابق (٣٣٩/٧-٣٤٠).

الأمثال...، فقد وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله عفوًا عما مضى من ذنوبهم، والثواب بالجنة"[٢٣].

ثانيًا: في السُّنة الأحاديث الكثيرة الدالة على مكانتهم، منها ما يلي:

١- قال النبي ﷺ: **(خير أمتي قرني، ثم الذي يلونهم، ثم الذين يلونهم)**[٢٤]، وشرح ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ) الحديث بلفظ آخر قال: "قوله: (خير الناس) دليل على أن قرنه خير الناس، فصحابته ﷺ أفضل من الحواريين الذين هم أنصار عيسى، وأفضل من النقباء السبعين الذين اختارهم موسى ﷺ، وهذه الأفضلية أفضلية من حيث العموم والجنس، لا من حيث الأفراد، فلا يعني أنه لا يوجد في تابعي التابعين من هو أفضل من التابعين، أو لا يوجد في التابعين من هو أعلم من بعض الصحابة، أما فضل الصحبة فلا يناله أحد غير الصحابة ولا أحد يسبقهم فيه، وأما العلم والعبادة فقد يكون فيمن بعد الصحابة من هو أكثر من بعضهم علمًا وعبادة"[٢٥].

٢- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **(لا تسُبُّوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفه)**[٢٦][٢٧]، قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "وقال أهل اللغة: النصيف النصف...، ومعناه: لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مُدًّا ولا نصفَ مُدٍّ"[٢٨].

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(لا تسُبُّوا أصحابي، لا تسُبُّوا أصحابي)**[٢٩]، قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "واعلم أن سب الصحابة ﷺ حرام من فواحش المحرمات، سواء مَن لابَسَ الفتنَ منهم ومن غيرهم؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأوِّلون، قال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يُعزر ولا يُقتل، وقال بعض المالكية: يُقتل"[٣٠]، وسب الصحابة ﷺ على نوعان[٣١]:

النوع الأول: سب يقدح في دين أو عدالة الصحابي ﷺ، فهذا كفر لتضمنه التكذيب بالقرآن، والسنة الصحيحة، الدالة على تزكيتهم وفضلهم.

النوع الثاني: سب لا يقدح في دين أو عدالة الصحابي ﷺ، فلا يعتبر كفر، ولكن يستحق التأديب والتعزير.

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "ولا ريب أنه لا يجوز سب أحد من الصحابة: لا على ولا عثمان ولا غيرهما، ومن سب أبا بكر وعمر وعثمان فهو أعظم إثماً ممن سب علياً، وإن كان متأولاً فتأويله أفسد من تأويل من سب علياً، وإن كان المتأول في سبهم ليس بمذموم لم يكن أصحاب معاوية مذمومين"[٣٢].

ثالثًا: الإجماع: أجمعَ علماء أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة ﷺ وفضلهم، قال ابن عبد البر (ت:٤٦٣هـ): "ونحن وإن كان الصحابة ﷺ قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول فواجب الوقوف على أسمائهم والبحث عن سيرهم وأحوالهم، ليهتدى بهديهم، فهم خير من سلك سبيله واقتدى به"[٣٣]؛ فالله -تعالى- اصطفاهم من بين الخلق ليكونوا صحابة رسول الله ﷺ، فهم أعلم بالتنزيل والمقاصد، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة أنهم يحبون الصحابة ﷺ، ويبغضون من يبغضهم، بلا تفريط، ولا يتبرؤون منهم، فحبهم دين وبغضهم كفر، قال ابن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ): "باب: في محبة أصحاب النبي ﷺ: قال محمد -رحمه الله-: ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ، وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم، وقد أثنى الله -عز وجل- في غير موضع من كتابه ثناء أوجب التشريف إليهم بمحبتهم والدعاء لهم"[٣٤]، ولكل صحابي فضل يخصه، فبعضهم أفضل من بعض، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠]، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، واستقروا بعدهما على عثمان، ثم علي، ثم بقية العشرة، ثم بقية الصحابة ﷺ أجمعين، ويقدَّم المهاجرون على الأنصار؛ لأنهم جمعوا بين الهجرة والنصرة[٣٥].

المطلب الثاني: مفهوم قول الصحابي الذي حُكي أن ليس للرأي فيه مجال، وحُكم الاحتجاج به

---

[٢٣] انظر: جامع البيان (٣٢١/١١-٣٤٣).

[٢٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ والصحابة ﷺ، ومن صحب النبيَّ ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، (رقم:٣٤٥٠)، (٣٣٥/٣).

[٢٥] مجموع فتاوى (١٠٥٧/١٠-١٠٥٨).

[٢٦] مُد: أصله: ربع الصاع، ورُي بمَد: وهو الغاية، قال ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ): "المد في الأصل: ربع الصاع، وإنما قدره به؛ لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة، ويروى بفتح الميم، وهو الغاية" النهاية (٣٠٨/٤)، (وانظر: غريب الحديث، الخطابي (٢٤٨/١)).

[٢٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذًا خليلًا)، (رقم: ٣٦٧٣)، (٨/٥).

[٢٨] المنهاج (٩٣/١٦).

[٢٩] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، باب: تحريم سب الصحابة ﷺ، (رقم:٢٥٤٠)، (١٩٦٧/٤).

[٣٠] المنهاج (٩٣/١٦).

[٣١] انظر: الجامع لعلوم العقيدة، أحمد بن حنبل (٥٢٤/٤-٥٥٣)، وشرح أصول الاعتقاد، اللالكائي (١٣٣٦/٧-١٣٤٦).

[٣٢] منهاج السنة (٤٦٨/٤-٤٦٩).

[٣٣] الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٩/١)، (وانظر: معرفة أنواع علوم الحديث، ابن الصلاح (ص:٢٩٤)).

[٣٤] أصول السنة (ص: ٢٦٣).

[٣٥] انظر: شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي (١٩٧/١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (١٧/١-١٨)، والكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي (ص:٥٠).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

قول الصحابي ﷺ الذي حُكي أن ليس للرأي فيه مجال وحكم الاحتجاج به تطرقت له كتب أصول الفقه، وسأبين خلاصته بإذن الله تعالى.

أولًا: مفهوم قول الصحابي الذي حُكي أن ليس للرأي فيه مجال

أ- المراد بقول الصحابي المقبول: ما ثبت عن أحد من الصحابة ﷺ، ولم تكن فيه مخالفة صريحة لدليل شرعي؛ من رأي، أو فتوى، أو فعل، أو عمل اجتهادي، في أمر من أمور الدين[٣٦].

ينقسم قول الصحابي ﷺ إلى أربعة أقسام، هي كالتالي[٣٧]:

١- قول الصحابي ﷺ فيما لا مجال للرأي فيه؛ كالعبادات ونحوها، وهذا حجة عند الأئمة الأربعة؛ لأنه لا بد أن يكون سمِعَه الصحابيُّ من النبي ﷺ، فلا اجتهاد في الأمور التي لا تُعرف إلا بتوقيف، ولكن الأئمة يختلفون في مدى الاحتجاج به قلةً وكثرةً؛ لعدم الاتفاق على ضابط معين يحدد ما لا مجال للرأي فيه، فيرى بعضهم أن هذه المسألة مما لا مجال للرأي فيه؛ فيعمل بقول الصحابي ﷺ فيها، ويرى الآخر أنها مما يدخله الاجتهاد؛ فلا يعمل بقول الصحابي فيها.

٢- قول الصحابي ﷺ الذي اشتهر ولم يخالفه غيره فيه، وهذا المسمى بالإجماع السكوتي، والعلماء مع الإجماع السكوتي على قولين: منهم من يجعل الإجماع السكوتي خاصًّا بالصحابة ﷺ، ومنهم من يعممه للصحابة ﷺ ومن بعدهم، والإجماع السكوتي حجة.

٣- قول الصحابي ﷺ الذي خالفه فيه غيره من الصحابة ﷺ، فإنه ليس بحجة، ولكن لا يخرج الفقيه عن أقوالهم إلى قول آخر؛ بل يتخير من أقوالهم ما هو أقرب للدليل، هذا ما عليه الكثير من الأصوليين.

٤- قول الصحابي ﷺ فيما للرأي فيه مجال ولم ينتشر ولم يعرف له مخالف من الصحابة ﷺ، وهذا هو محل النزاع، فمن العلماء من يرى حجيته، ومنهم من يرى أنه ليس بحجة.

أدلة من قال بحجية قول الصحابي إذا لم يعلم له مخالف من الصحابة ﷺ، ما يلي[٣٨]:

١- قول الرسول ﷺ: **(خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)**[٣٩]، فهذه شهادة لهم بالفضل على من سواهم، فتقتضي تقديم اجتهادهم على اجتهاد غيرهم.

٢- قول الصحابي ﷺ الذي لم يعلم له مخالف يحتمل أن يكون نقلًا عن رسول الله ﷺ فيقدَّم على الرأي المحض.

٣- الصحابة ﷺ شاهدوا الرسول ﷺ وسمعوا منه الوحي، فهم أعرف الناس بـكـتـاب الله وسنة رسـولـه ﷺ، فلا بد أن يكون قولهم مقدمًا على قول غيرهم.

وأدلة الذين رأوا عدم الحجية هي ما يلي[٤٠]:

١- الصحابة ﷺ غير معصومين من الخطأ إذا لم يُجمِعوا، وقول من لـم تثبت عصمته لا يكون حجة.

٢- التابعون قد أُثِر عنهم مخالفة آحاد الصحابة ﷺ، ولو كان قول الصحابي ﷺ حجة لما صحَّت مخالفته من التابعي، ولأنكر الصحابي ﷺ على مَن خالفه من التابعين، وإذا جاز للتابعي مخالفة الصحابي ﷺ جاز لغيره ذلك.

الراجح -والله تعالى أعلم- أنَّ قول الصحابي ﷺ وحده لا يُعد حجة إلا إذا غلب على الظن اشتهاره بين الصحابة ﷺ وعدم إنكاره، كأنْ يكون من الخلفاء الراشدين، أو كانت من المسائل التي يكثر وقوعها وتعم بها البلوى، وإذا اختلف الصحابة ﷺ على أقوال فالخروج عن أقاويلهم يقتضي تخطئتهم جميعًا، وهذ بعيد، فالواجب أن يختار من أقوالهم ما يسنده النظر والدليل، والاستدلال بحديث: **(خير أمتي قرني)** لا يكفي؛ لأن الخيرية لا توجب حجية قول كل واحد إذا انفرد، بدليل أن التابعين أيضًا مشهود لهم بالخيرية في الحديث، ولم يقل أحد إن رأي التابعي حجة يترك لها القياس الصحيح، والاستدلال باحتمال ما قاله رواية لا يدل على الحجية؛ لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال القوي سقط به الاستدلال، ومشاهدتهم الرسول ﷺ ونزول الوحي بلغتهم هي ميزة -بلا شك- ولكنها لا تكفي لأن يعد قول الواحد منهم دليلًا، وينبغي التنبه إلى أنَّ القول بعدم حجية قول الصحابي ﷺ لا يدل على المنع من تقليده لمن لا قدرة له على الاجتهاد، أو لمن لم ينظر في المسألة بعدُ وحضره وقت العمل[٤١].

وتسمَّى هذه المسألة عند الأصوليين بأسماء، منها: قول الصحابي، أو فتواه، أو تقليد الصحابي، أو مذهب الصحابي ﷺ.

ب- المراد بالذي ليس للرأي فيه مجال: ما ثبت عن أحد من الصحابة ﷺ، وليس فيه إجماع بينهم، ولا يدخل في الاجتهاد، ونُقيِّده هنا بأن يكون من مسائل الاعتقاد، وقد بيَّن أهل العلم ما يراد بما ليس للرأي فيه مجال، بالأمور الآتية[٤٢]:

١- الإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق، وقصص الأنبياء، ونحو ذلك.

٢- الإخبار عن الأمور الآتية كالملاحم، والفتن، والبعث، وصفة الجنة، والنار.

---

[٣٦] انظر: إتحاف ذوي البصائر، النملة (٤/٢٥٩).

[٣٧] انظر: إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، الحافظ العلائي (٣١-٨٤)، وإتحاف ذوي البصائر، النملة (٤/٢٥٩-٢٦٠)، وأصول الفقه الذي لا يسع الفقيهَ جهلُه، عياض السلمي (١٨٥-١٨٦).

[٣٨] انظر: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيهَ جهلُه، عياض السلمي (ص:١٨٧).

[٣٩] سبق تخريجه (ص:٥).

[٤٠] انظر: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيهَ جهلُه، عياض السلمي (١٨٧-١٨٨).

[٤١] انظر: المرجع السابق (ص:١٨٨).

[٤٢] انظر: معرفة علوم الحديث، الحاكم (٢١-٢٢)، وفتح المغيث، السخاوي (١/١٤٨).

٣- الإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص، أو عقاب مخصوص.

وقد اختلف العلماء في حالات قول الصحابي ﷺ على عدة حالات[٤٣]:

١- ألا يخالف الصحابيُّ نصًّا، فإذا خالف الصحابي ﷺ نصًّا فإن قوله مردود، وقد أجمع العلماء على أن مَن استبانت له سنة النبي ﷺ فليس له أن يدعها لقول أحدٍ كائنًا مَن كان.

٢- ألا يخالف الصحابيُّ صحابيًّا آخرَ، فإذا خالف الصحابيُّ ﷺ صحابيًّا آخرَ فليس قول أحدهما أولى من الآخر، "وقول الخلفاء الراشدين مقدَّم على غيرهم"، وعلى هذا إجماع أهل العلم.

٣- ألا يكون لقول الصحابي حكم الرفع، فقد يقول الصحابي قولًا، أو يفعل فعلًا، وله حكم الرفع، فما كان له حكم الرفع فمثله حجة؛ لأنه وحي، لا لأنه قول الصحابي ﷺ.

٤- ألا يكون قول الصحابي ﷺ مهجورًا؛ بمعنى: أن يتابع الصحابيَ أهل العلم، فلو ذهب الصحابي إلى مذهب، وأجمع العلماء على عدم العمل بهذا القول؛ فإنَّ هذا القول ليس حجة، ويجب أن يُترك، بل لو أجمع العلماء على ترك حديث نبوي فإنه لا يُعمل بهذا الحديث؛ لأن هذا الإجماع إما يدل على ضعف هذا الحديث، وإما على أن الحديث منسوخ، فقول الصحابي ﷺ من بابِ أولى.

بعد تحرير محل النزاع في حجية قول الصحابي ﷺ يتضح -والله تعالى أعلم- أن قول الصحابي حُجة، فإذا تنازع العلماء في مسألة على قولين، وكان في أحد القولين قول الصحابة ﷺ؛ فإن هذا القول يكون راجحًا؛ لأن الصحابي ﷺ قد ذهب إلى هذا القول.

ثانيًا: حُكم الاحتجاج به: اختلف أهل العلم في درجة الاحتجاج بقول الصحابي ﷺ الذي ليس للرأي فيه مجال، على قولين، هما:

القول الأول: ذهب جمهور أهل العلم إلى أنَّ له حكمَ الرفع، وحُكي الإجماع عليه[٤٤]، اختاره الحاكم (ت:٤٠٥هـ)[٤٥]، وابن عبد البر (ت:٤٦٣هـ)[٤٦]، وابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)[٤٧]، وغيرهم[٤٨]، قال الحاكم (ت:٤٠٥هـ): "قول الصحابي المعروف بالصحبة: أُمِرْنا أن نفعل كذا ونُهينا عن كذا وكذا، وكنا نؤمَر بكذا، وكنا نُنهى عن كذا، وكنا نفعل كذا، وكنا نقول ورسول الله ﷺ فينا، وكنا لا نرى بأسًا بكذا، وكان يقال كذا وكذا، وقول الصحابي: من السُّنة كذا، وأشباه ما ذكرناه إذا قاله الصحابي المعروف بالصحبة فهو حديث مسند، وكل ذلك مخرج في المسانيد"[٤٩]، وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "ومثال المرفوع من القول حكمًا لا تصريحًا: ما يقول الصحابي -الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات- ما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا تَعلُّق له ببيان لغة أو شرح غريب؛ كالإخبار عن الأمور الماضية؛ كبدء الخلق، وأخبار الأنبياء، أو الآتية؛ كالملاحم، والفتن، وأحوال يوم القيامة، وكذا الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص، وإنما كان له حكم المرفوع لأن إخباره بذلك يقتضي مخبرًا له، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي مُوقفًا للقائل به، ولا مُوقف للصحابة إلا النبي ﷺ أو بعض من يخبر عن الكتب القديمة؛ فلهذا وقع الاحتراز عن القسم الثاني، فإذا كان كذلك فله حكم ما لو قال: قال رسول الله ﷺ، فهو مرفوع، سواء كان مما سمعه منه أو عنه بواسطة"[٥٠]، واختلف أصحاب هذا القول في أنه: هل يشترط للصحابي عدم الأخذ من الإسرائيليات[٥١] مطلقًا، أو الأخذ الكثير دون القليل، أو أن هذا لم يشترط أصلًا، واشترط بعض أهل العلم لاعتبار أن الحديث له حكم الرفع أن يكون الصحابي الذي رواه لم يأخذ من الإسرائيليات عن أهل الكتاب مطلقًا[٥٢]، وبعض أهل العلم جوَّز الأخذ اليسير عن أهل الكتاب، واعتبر القدح في الأخذ الكثير الذي يشتهر ويعرف به الصحابي، والسخاوي (ت:٩٠٢هـ) خالف ذلك الشرط أصلًا؛ حيث بيَّن أنه يبعد عن الصحابي المتصف بالأخذ عن أهل الكتاب أن يسوغ شيئًا من الأحكام الشرعية التي لا مجال للرأي فيها بغير عزو[٥٣]، ويُجاب عن ذلك[٥٤]: ليس الاتهام لصحابي أن يروي من الإسرائيليات من غير عزو تلبيسًا على السامع؛ لكن لعدم القدرة على التفريق بين ما سمعه من النبي ﷺ وما نقله عن أهل الكتاب وما يرويه مما لا مجال للرأي فيه، وذكر بعض أهل العلم أن من القرائن التي تدل على أن الخبر الذي ينقله الصحابي مما ليس للرأي فيه مجال ليس من أخبار بني إسرائيل: أن يكون الخبر إسلاميًّا؛ أي مما له تعلُّق بالمسلمين وعقائدهم وعبادتهم ونحو ذلك[٥٥].

القول الثاني: ذهب بعضهم إلى أنه موقوف على الصحابي،

---

٤٣ انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٨٣/١-٢٨٤)، (١٤/٢٠)، وإعلام الموقعين، ابن القيم (٥٤٦/٥-٥٥٢)، (٣٩/٦)، وإجمال الإصابة في أقوال الصحابة، الحافظ العلائي (ص:٧٨)، (٩٠-٩١).

٤٤ انظر: ما له حكم الرفع، محمد الزهراني (٦١-٦٩)، ولكن في صحة ثبوت هذا الإجماع نظر.

٤٥ انظر: معرفة علوم الحديث (ص:٢١).

٤٦ انظر: التمهيد (٤٦/٧).

٤٧ انظر: مجموع الفتاوى (١٤/٢٠).

٤٨ انظر: فتح المغيث، السخاوي (١٦١/١)، والغاية، السخاوي (ص:١٦٠).

٤٩ معرفة علوم الحديث (ص:٢١).

٥٠ نزهة النظر (١٠٧-١٠٨).

٥١ الإسرائيليات: القصة أو الحادثة التي تُروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، وتشمل ما يروى عن اليهود والنصارى، (انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٥٦/٢)).

٥٢ انظر: المرجع السابق.

٥٣ انظر: فتح المغيث (١٦٤/١).

٥٤ انظر: أقوال الصحابة العقدية التي ليس للرأي فيها مجال، زياد العامر (٥-٦).

٥٥ انظر: الغاية، السخاوي (ص:١٦٢).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

قال بذلك الكرخي (ت:٣٤٠هـ)[٥٦]، وابن حزم (ت:٤٥٦هـ)[٥٧]، والعراقي (ت:٨٠٦هـ)[٥٨]، وغيرهم[٥٩]، قال ابن حزم (ت:٤٥٦هـ): "أما نحن فلا حجة عندنا في قول أحد دون رسول الله ﷺ، كائنًا من كان القائل، لا نتكهن فنقول: مثل هذا لا يقال بالرأي، فننسب إلى رسول الله ﷺ مالم يقله، وهذا هو الكذب عليه جهارًا"[٦٠]، وقال أيضًا: "قال بعضهم: إذا جاء عن صاحب فُتيا من قوله إلا أن فيها شرع شريعة أو حدًّا محدودًا أو وعيدًا؛ فإنّ هذا مما لا يقال بقياس ولا يقال إلا بتوقيف، فاستدل بذلك على أنه من رسول الله ﷺ، قال علي[٦١]: وقائل هذا القول الساقط يقر أنهم رتبوا في الخمر ثمانين برأيهم وقد أعاذهم الله -تعالى- من ذلك، ونحن نجد أنهم ﷺ قالوا بكل ما ذكرنا بآرائهم ورسول الله ﷺ حي وبعد موته"[٦٢]، وقال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ): "من الصيغ المحتملة: قول الصحابي: من السنة كذا، فالأكثر على أن ذلك مرفوع، ونقل ابن عبد البر فيه الاتفاق؛ قال: وإذا قالها غير الصحابي؛ فكذلك، ما لم يُضِفْها إلى صاحبها كسُنة العُمَرين[٦٣]، وفي نقل الاتفاق نظر، فعن الشافعي في أصل المسألة قولان، وذهب إلى أنه غير مرفوع أبو بكر الصيرفي من الشَافعية، وأبو بكر الرازي من الحنفية، وابن حزم من أهل الظاهر، واحتجوا بأن السنة تتردد بين النبي ﷺ وبين غيره، وأجيبوا: بأن احتمال إرادة غير النبي ﷺ بعيد"[٦٤].

القول الراجح: هذه المسألة من مسائل الاجتهاد والنظر عند أهل العلم، والراجح -والله تعالى أعلم- أن ما يرويه الصحابي مما ليس للرأي فيه مجال موقوف على الصحابي وليس له حكم الرفع، إلا إذا ثبت أنه أخذه من النبي ﷺ؛ وذلك لما يأتي:

١- ترجيح بعض العلماء المتأخرين والمتقدمين لهذا القول[٦٥].

٢- المرفوع هو ما رُفع للنبي ﷺ، والموقوف ما وقف للصحابي ﷺ، وهناك فرق بين ما رُفع ووُقف، فمن الصعوبة جعل الموقوف مرفوعًا إلا إذا دلَّت قرينة على ذلك.

٣- صعوبة نسبة جميع أقوال الصحابة ﷺ فيما ليس للرأي فيه مجال والقول إنها مرفوعة للنبي ﷺ فننسب إلى النبي ﷺ ما لم ينسب إليه، فيكون ذلك من الكذب.

٤- صلة الصحابة ﷺ بمصدر الغيب منقطعة، وليسوا بمعصومين، لكن لا ننفي خيريتهم، وفضلهم، ومكانتهم.

٥- احتمال أن ما رُوي مما ليس للرأي فيه مجال مرويٌّ عن بني إسرائيل، كما أذِنَ النبي ﷺ بذلك[٦٦].

٦- عدم قدرتنا على التفريق فيما روي ما ليس للرأي فيه مجال بين ما سمعه من النبي ﷺ، وما روي عن بني إسرائيل[٦٧].

المطلب الثالث: الصحابة الذين نُسب إليهم الأخذ عن الإسرائيليات[٦٨]

إيراد هذا المطلب بسبب أن تهمة الأخذ عن بني إسرائيل يغلب على الظن معها احتمال أن هذا القول الذي ليس للرأي فيه مجال متلقَّى عنهم وليس مرفوعًا للنبي ﷺ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال القوي سقط به الاستدلال[٦٩].

وقد قسَّم العلماء موقف الإسلام من الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام، هي ما يلي:

١- قسم مقبول: وهو الذي يكون موافقًا لما في الإسلام، عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: **(وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)**[٧٠].

٢- قسم يُتوقف فيه: وهو ما لم يُعلم صحته ولا كذبه، فلا يُصدَّق ولا يُكذَّب، وهذا القسم تجوز حكايته للعظة والعبرة، ولا نؤمن بصدقه ولا كذبه امتثالًا لأمر النبي ﷺ، عن أبي هريرة ﷺ قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **(لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: سمح ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَاسجى [البقرة:١٣٦])**[٧١].

٣- قسم لا يجوز قبوله: وهو ما يحوي مخالفه للإسلام، أو لمخالفته للعقل، فلا يصح تصديقه ولا قبوله ولا روايته، عن عمر بن الخطاب أنه أتى النبيَّ ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه، فغضب النبي ﷺ فقال: **(أمتهوكون[٧٢] فيها يا بن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان**

[٥٦] انظر: قفو الأثر، ابن الحنبلي (ص:٩٢).
[٥٧] انظر: الإحكام (٧٤/٢).
[٥٨] انظر: فتح المغيث (ص:٧٩).
[٥٩] انظر: فتح المغيث، السخاوي (١٤٣/١)، وألفية السيوطي، السيوطي (ص:١٤).
[٦٠] المحلى (٥٤٧/٧).
[٦١] يعني ابن حزم: يكتبها -عادةً- الناسخون.
[٦٢] الإحكام (٧٤/٢).
[٦٣] هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.
[٦٤] نزهة النظر (١٠٨-١٠٩).
[٦٥] انظر: أقوال الصحابة العقدية التي ليس للرأي فيها مجال، زياد العامر (ص:٨)، وألفية السيوطي (ص:١٤).
[٦٦] انظر: المحلى، ابن حزم (٥٤٧/٧).
[٦٧] انظر: أقوال الصحابة العقدية التي ليس للرأي فيها مجال، زياد العامر (ص:٨).
[٦٨] سبق التعريف بها، (ص:٩).
[٦٩] انظر: أقوال الصحابة العقدية التي ليس للرأي فيها مجال، زياد العامر (٨-٩).
[٧٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (رقم: ٣٤٦١)، (٥٤٢/٦).
[٧١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها (رقم: ٧٥٤٢)، (١٥٧/٩).
[٧٢] التهوك: كالتهور، هو الوقوع في الأمر بغير روية، وقيل: التحير، (انظر: النهاية، ابن الأثير (٢٨٢/٥)).

حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني)[٧٣].

وكان ذلك موقف الصحابة ﷺ من الإسرائيليات تبعًا لرسول ﷺ، وذكر بعض أهل العلم عددًا من الصحابة حُكي الخلاف في الاحتجاج بحديثهم بسبب ما نُسب إليهم من الأخذ بالإسرائيليات، منهم[٧٤]:

ابن مسعود ﷺ (ت:٣٢هـ)، وسلمان الفارسي ﷺ (ت:٣٣هـ)، وعبدالله بن سلام ﷺ (ت:٤٣هـ)، وأبو هريرة ﷺ (ت:٥٧هـ)، وعبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- (ت:٦٥هـ)، وعبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- (ت:٦٨هـ)، وعبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- (ت:٧٣هـ)، وعبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- (ت:٧٣هـ)[٧٥].

والرد على هذه النسبة عام يشمل كل الصحابة ﷺ، وخاص لكل صحابي على حدة، وسنبين أولًا الرد العام:

١- يجب الرجوع لأهل العلم في بيان تلك المسألة، فليس كل ما ينسب صحيحًا، خصوصًا ما يخص الصحابة ﷺ، ولعلوّ مكانتهم وقدرهم.

٢- على فرض صحة هذه النسبة فهو داخل في إذن النبي ﷺ بالتحديث عن بني إسرائيل[٧٦]، عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: **(وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)**[٧٧]، وهذا الإذن لا يعارض السماع أو التحديث عن بني إسرائيل، فالنهي هو عن البحث عن الحق عندهم، وأما الإذن في رواية العجائب عندهم فإنما للعظة والعبرة[٧٨].

ثانيًا: الرد الخاص، لكل صحابي:

١- ابن مسعود ﷺ (ت:٣٢هـ):

أ- ثبت عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء؛ فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، فتُكذِّبوا بحق، وتُصدِّقوا الباطل"[٧٩].

ب- ولو ثبت تحديث ابن مسعود ﷺ عن بني إسرائيل فهو داخل في إذن النبي ﷺ بالتحديث عن بني إسرائيل[٨٠].

٢- سلمان الفارسي ﷺ (ت:٣٣هـ): لو ثبت تحديث سلمان ﷺ عن بني إسرائيل فهو داخل في إذن النبي ﷺ بالتحديث عن بني إسرائيل[٨١].

٣- عبدالله بن سلام ﷺ (ت:٤٣هـ): لو ثبت تحديث عبدالله ﷺ عن بني إسرائيل فهو داخل في إذن النبي ﷺ بالتحديث عن بني إسرائيل[٨٢].

٤- أبو هريرة ﷺ (ت:٥٧هـ):

أ- أبو هريرة ﷺ كان يحذر من رواية الإسرائيليات، وذكر ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) أن أبا هريرة ﷺ لا يأخذ عن أهل الكتاب[٨٣].

ب- ورد التصريح بروايته عن كعب الأحبار، فعن أبي هريرة ﷺ عن كعب الأحبار: "أن الذي أُمِر إبراهيم بذبحه من ابنيه إسحاق..."[٨٤]، والجواب في ذلك: بعض الرواة يقع في الوهم لكثرة مجالسة أبي هريرة ﷺ لكعب الأحبار، فيتوهم البعض أنه مرفوع فيرفعه[٨٥].

ت- ولو ثبت تحديث أبي هريرة ﷺ عن بني إسرائيل فهو داخل في إذن النبي ﷺ بالتحديث عن بني إسرائيل[٨٦].

٥- عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- (ت:٦٥هـ):

أ- صرح بروايته عن كتب بني إسرائيل في رواية: (ولقد بلغنا أنك قرأت القرآن على محمد ﷺ، وأنه لم يكن في الأرض قرشي أبر بوالديه منك، وأنك كنت أحسن الناس عينًا، فأفسد عينيك البكاء، ثم لقد قرأت الكتب كلها بعد رسول الله ﷺ ولا أحد أفضل منك علمًا في أنفسنا)[٨٧]، ففي قوله: (ورويت الكتب) دلالة على روايته من كتب بني إسرائيل.

ب- أنه حصل يوم اليرموك على راحلتين من الكتب التي فيها أخبار بني إسرائيل، فكان يحدث منها[٨٨]، والجواب عن ذلك: أنه كان ﷺ يميز بين ما يرويه عن النبي ﷺ، ويسميها الصحيفة الصادقة، وما يرويه عن بني إسرائيل للتفريق بينهما[٨٩].

---

[٧٣] أخرجه أحمد في مسنده، مسند: جابر بن عبدالله ﷺ (رقم:١٥١٥٦)، (٣٤٩/٢٣)، وقال المحقق: "ضعيف"، وابن أبي شيبة في مصنفه، وقال المحقق: "ضعيف" (٤٥١/١٤).

[٧٤] انظر: أقوال الصحابة العقدية التي ليس للرأي فيها مجال، زياد العامر (٨-١٨)، وفتح المغيث، السخاوي (١٦٤/١).

[٧٥] هذه النسبة اعتمدها أهل العلم، بناءً على ما يلي: ١- ما نُسب إليهم ﷺ من رواية الإسرائيليات. (انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦٧٩/١)). ٢- أن من العبادلة الذين سمعوا من كعب الأحبار: عبدالله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما- (ت:٦٥هـ)، وعبدالله بن عباس –رضي الله عنهما- (ت:٦٨هـ)، وعبدالله بن عمر –رضي الله عنهما- (ت:٧٣هـ)، وعبدالله بن الزبير –رضي الله عنهما- (ت:٧٣هـ)، فقد سُئل أحمد بن حنبل عن العبادلة فقال: (عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمرو بن العاص، قلت لأحمد: وابن مسعود؟ قال: ليس عبدالله بن مسعود من العبادلة)، (طبقات الحنابلة، ابن يعلى (٣٤٤/١))، وانظر: فتح المغيث، السخاوي (١٦٤/١).

[٧٦] انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٦٦/١٣).

[٧٧] سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

[٧٨] انظر: فتح المغيث، السخاوي (١٦٥/١).

[٧٩] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١١/٦)، وابن حجر في فتح الباري، وقال: اسناده حسن (٣٣٤/١٣).

[٨٠] انظر: (ص:١٠) من هذا البحث، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٦٦/١٣).

[٨١] انظر: المرجع السابق (٣٦٦/١٣).

[٨٢] انظر: المرجع السابق (٣٦٦/١٣).

[٨٣] انظر: فتح الباري، ابن حجر (٣٥٣/٦).

[٨٤] انظر: جامع البيان، الطبري (٥٩١/١٩).

[٨٥] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٦٨/٧).

[٨٦] انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٦٦/١٣).

[٨٧] أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: "صحيح الإسناد على شرط مسلم، ولم يخرّجاه" (٥٧٧/٤).

[٨٨] انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٦٦/١٣)، والبداية والنهاية، ابن كثير (٥٢/١)، وفتح المغيث، السخاوي (١٦٤/١).

[٨٩] انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٨٩/٣).

ت- ولو ثبت تحديث عبدالله ﷺعن بني إسرائيل فهو داخل في إذن النبي ﷺ بالتحديث عن بني إسرائيل[٩٠].

٦- عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- (ت:٦٨هـ):

أ- كان ابن عباس -رضي الله عنهما- من الذين تشددوا في رواية الإسرائيليات، ويحذر منها، ونهى عن التحدث بها، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: "كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم، وعندكم كتاب الله؛ أقرب الكتب عهدًا بالله، تقرؤونه محضًا لم يشب؟!"[٩١]، ولعل نهيه كان لمن لم يرسخ الإيمان والعلم عنده خوفًا عليه من الضلال، ونهى عن سؤالهم للاحتجاج بالدين بما يحكونه، أما ما كان من قبيل الوقائع التاريخية فلم يكن ابن عباس -رضي الله عنهما- ولا غيره يرون في ذلك حرجًا، والمتتبع لرواية ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره من الصحابة ﷺ في التفسير يجد صحة ما قلناه، فقد سأل ابن عباس -رضي الله عنهما- كعب الأحبار وغيره بعضًا من أحبار اليهود أشياءً من القرآن، قال ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) بعد ذكره قولًا لابن عباس: كذلك رواه سعيد بن جبير موقوفًا في حكم الرفع؛ وذلك لأن ابن عباس لا يعتمد على أهل الكتاب[٩٢].

ب- روى ابن عباس –رضي الله عنهما- عن بني إسرائيل، فقال: "كانت اليهود يقولون: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس يوم القيامة بكل ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا من أيام الآخرة..."[٩٣].

ث- لو ثبت تحديث ابن عباس- رضي الله عنهما- عن بني إسرائيل فهو داخل في إذن النبي ﷺ بالتحديث عن بني إسرائيل[٩٤].

٧- عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- (ت:٧٣هـ):

أ- ورد التصريح بروايته عن كعب الأحبار، عن سالم أنه سمع عبدالله يحدِّث عن كعب الأحبار: "أنه حدَّث أن الملائكة أنكروا أعمال بني آدم وما يأتون في الأرض من المعاصي،"[٩٥].

ب- لو ثبت تحديث عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما- عن بني إسرائيل فهو داخل في إذن النبي ﷺ بالتحديث عن بني إسرائيل[٩٦].

٨- عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- (ت:٧٣هـ): لو ثبت تحديث عبدالله -رضي الله عنهما- عن بني إسرائيل فهو داخل في إذن النبي ﷺ بالتحديث عن بني إسرائيل[٩٧].

المبحث الأول: الأقوال العقدية المتعلقة باسم القيّام لله -عز وجل-.

اسم القيّام لله تعالى: يوصف الله تعالى بالقيّوم والقيم، والقيّام والقائم، وهو وصف ذاتي، والقيوم اسم من أسمائه -تبارك وتعالى- ثبتت لله تعالى بالكتاب والسنة، فمِن الكتاب قوله تعالى: **سمحٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚسجى** [البقرة: ٢٥٥]، ومن السنّة كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد، قال: **(اللهم لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض، ومَن فيهن ...)**[٩٨]، قال النووي (ت:٦٧٦هـ): "(أنت قيام السماوات والأرض)، وفي الرواية الثانية: (قيم)؛ قال العلماء: من صفاته: القيام والقيم، كما صرح به هذا الحديث، والقيوم بنص القرآن، وقائم، ومنه قوله تعالى: **سمحأَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭسجى** [الرعد: ٣٣]، قال الهروي: ويقال: قوام. قال ابن عباس: القيوم الذي لا يزول. وقال غيره: هو القائم على كل شيء، ومعناه: مدبر أمر خلقه؛ وهما سائغان في تفسير الآية والحديث"[٩٩].

الأقوال العقدية المتعلقة باسم القيام لله -عز وجل-:

عن عمر ﷺ: "... قرأ: سمحٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚسجى [البقرة: ٢٥٥]، في آية الكرسي: "الحي القيام"، وعن ابن مسعود ﷺ أنه كان يقرؤها الحي القيام"[١٠٠].

شرح الأثر، والمسائل المستنبطة منه:

١. قول: "قرأ": أصل القراءات القرآنية يرجع إلى رخصة الأحرف السبعة التي يسّر الله تعالى بها على الصحابة ﷺ في قراءاتهم للقرآن، والأحرف السبعة متفرقةٌ في سور القرآن، لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني،

---

[٩٠] انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٦٦/١٣).

[٩١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: **سمحكُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖسجى** (رقم:٧٥٢٢)، (١٥٣/٩).

[٩٢] انظر: فتح الباري (٢٩١/٥).

[٩٣] أخرجه الطبري في جامع البيان (١٧٥/٢).

[٩٤] انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٦٦/١٣).

[٩٥] انظر: جامع البيان، الطبري (٣٤٤/٢).

[٩٦] انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٦٦/١٣).

[٩٧] انظر: المرجع السابق (٣٦٦/١٣).

[٩٨] أخرجه البخاري في صحيحه، باب: التهجد بالليل، (رقم:١١٢٠)، (٤٨/٢).

[٩٩] المنهاج (٥٤/٦).

[١٠٠] أخرجه سعيد بن منصور في سننه، (١٠٣٠/٣-١٠٣١)، وأبو عبيد القاسم بن سلام، في فضائل القرآن، برواية: "عن عمر ﷺ، أنه صلى العشاء الآخرة، فاستفتح آل عمران، فقرأ: (الم * الله لا إله إلا هو الحي القيام)، قال هارون: هي في مصحف عبدالله مكتوبة: الحي القيم" (ص:٢٩٦)، والبخاري في صحيحه، برواية: "... كما قرأ عمرﷺ: (الحي القيام)، وهي من قمت ..." (١٥٩/٦)، وابن أبي داود في المصاحف، (ص١٧٤-١٧٥)، والطبراني في المعجم الكبير، (١٤٠/٩)، والحاكم في المستدرك، برواية: "عن عمر ﷺ أنه صلى بهم، "فقرأ: (الم * الله لا إله إلا هو الحي القيام)، قال أبو عبيد: أما القراء بعد من أهل الحرمين؛ مكة والمدينة، وأهل المصريْن؛ الكوفة والبصرة، وأهل الشام ومصر، وغيرهم من القراء، فقرؤها: **سمحٱلۡقَيُّومُۚسجى** [آل عمران: ٢] لا اختلاف بينهم فيه أعلمه، وكذلك القراءة عندنا، لموافقة الكتاب، ولما عليه الأمة، وإن كان لذينك الوجهيْن في العربية مخرج"، وقال: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" (٣١٦/٢)، وابن كثير في مسند الفاروق، وقال: "إسناد صحيح إلى عمر" (٤٩٦/٢)، وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب، (٣١٥/٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: "وبقية رجاله ثقات" (١٥٤/٧)، والسيوطي في الدر المنثور، (١٤١/٢).

فكل القراءات القرآنية ترجع إلى قراءات الصحابة، وكان رسول الله ﷺ قد علّم الصحابة القرآن، وسمع منهم قراءاتهم، وأقرّ لهم اختلافهم في النطق، كما جاء في عدد من روايات حديث الأحرف السبعة[١٠١].

٢. "قول الله تعالى: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وعن ابن مسعود ﷺ أنه كان يقرؤها الحي القيام": فقد اختُلف في قراءتها، فعن عمر بن الخطاب ﷺ، وابن مسعود ﷺ: "الحي القيام"[١٠٢]، واختلف في معنى قوله: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فقال بعضهم: معنى ذلك: أنه وصف الله تعالى نفسه بالبقاء، ونفَى الموت الذي يجوز على مَن سواه مِن خلقه عنها، وقال آخرون: معنى: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ [آل عمران:٢] الذي عناه الله، ووصف به نفسه؛ أنه المتيسر له تدبير كل ما أراد وشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، وأنه ليس كمَن لا تدبير له من الآلهة والأنداد، وقال آخرون: معنى ذلك: أن له الحياة الدائمة التي لم تزل له صفة، ولا تزال كذلك، وقالوا: إنما وصف نفسه بالحياة؛ لأنّ له حياة كما وصفها بالعلم، لأن لها علمًا، وبالقدرة؛ لأن لها قدرة[١٠٣]، ورجح الطبري (ت:٣١٠هـ) بأنه: "وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها، ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حال بكل ذي حياة من خلقه من الفناء، وانقطاع الحياة عند مجيء أجله، فأخبر عباده أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهة، والحي الذي لا يموت، ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا، ويبيد كل مَن ادّعى من دونه إلهًا، واحتج على خلقه بأن مَن كان يبيد، فيزول، ويموت، فيفنَى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد، ولا يموت، وأن الإله هو الدائم الذي لا يموت، ولا يبيد، ولا يفنَى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو"[١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] -وقد بينا الاختلاف في قراءتها-. والقيوم: اسم من أسماء الله تعالى، وقرأ عمرﷺ: "الحي القيام"، وهو لغة: معروف يوم القيامة[١٠٥]. ورجح الطبري (ت:٣١٠هـ) أن معنى القيوم: "القيم بحفظ كل شيء، ورزقه، وتدبيره، وتصريفه فيما شاء وأحبّ من تغيير وتبديل، وزيادة ونقص"[١٠٦]، وقال آخرون: معنى ذلك القيام على مكانه، ووجّهوه إلى القيام الدائم الذي لا زوال معه، ولا انتقال، وأن الله تعالى إنما نفَى عن نفسه بوصفها بذلك التغيّر والتنقّل من مكان إلى مكان، وحدوث التبدّل الذي يحدث في الآدميين، وسائر خلقه غيرهم[١٠٧]، وقيل: إنّ ذلك وصف من الله تعالى لنفسه بأنه القائم بأمر كل شيء في رزقه، والدفع عنه، وغيرها، من قول العرب: فلان قائم بأمر هذه البلدة، يعني: المتولي تدبير أمرها، فالقيوم إذ كان ذلك معناه "الفيعول" من قول القائل: الله يقوم بأمر خلقه، وأصله "القيووم"، غير أن الواو الأولى من القيوم لما سبقتها ياء ساكنة -وهي متحركة- قُلبت ياءً، فجعلت هي والياء التي قبلها ياء مشددة؛ لأن العرب كذلك تفعل بالواو المتحركة إذا تقدمتها ياء ساكنة. وأما القيام: فإن أصله القيوام؛ وهو الفيعال، مِن: قام يقوم، سبقت الواو المتحركة من قيوام ياء ساكنة، فجعلتا جميعًا ياء مشددة، ولو أن القيوم فعول كان القووم؛ ولكنه الفيعول، وكذلك القيام لو كان الفعال لكان القوام، كما قيل: الصوّام والقوام، ولكنه الفيعال، فقال: القيام، وأما القيم فهو الفيعل مِن: قام يقوم، سبقت الواو المتحركة ياء ساكنة، فجعلتا ياء مشددة، كما قيل: فلان سيّد قومه، مِن: ساد يسود، وما أشبه ذلك، وإنما جاء ذلك بهذه الألفاظ؛ لأنه قصد بها قصد المبالغة في المدح[١٠٨]، فكان القيوم والقيام والقيم أبلغ في المدح من القائم، وعمر ﷺ يختار قراءته "القيام"؛ لأن ذلك الغالب على منطق أهل الحجاز في ذوات الثلاثة من الياء والواو، فيقولون للرجل الكثير الدوران: الديار، وذُكر ذلك في القرآن؛ لأنه نزل بلغة أهل الحجاز، وأقرّت كذلك في المصحف[١٠٩]، وقد فرّق ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) بين القيام والقيم، وذكر أنها مبالغات في القائم، وأن لفظ القيام يقتضي: القوة والثبات، والعدل والاستقامة[١١٠].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين؛ نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

في ختام هذا البحث -الذي وفّقني الله لإتمامه- أذكر أبرز نتائجَ هذا البحثِ؛ وهي كالتالي:

١- الصحابة لهم مكانةٌ عظيمة دل عليها الكتاب، والسنّة، والإجماع، والصحابي هو: من لقِي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك.

٢- مفهوم قول الصحابي الذي ليس للرأي فيه مجال: هو ما ثبت عنه ﷺ من مسائل الاعتقاد، وليس فيه إجماع بين الصحابة ﷺ، ولا يدخل في الاجتهاد، من الإخبار عن الأمور الماضية، أو الآتية، أو الإخبار عن عمل يحصل به ثواب أو عقاب مخصوص، واختلف العلماء في درجة الاحتجاج به،

---

[١٠١] انظر: جامع البيان، الطبري (٤٩/١).
[١٠٢] انظر: المرجع السابق (١٧٥/٥)، وتفسير السمعاني (٢٩١/١).
[١٠٣] انظر: جامع البيان، الطبري (١٧٥/٥-١٧٦).
[١٠٤] المرجع السابق (١٧٦/٥).
[١٠٥] انظر: الصحاح، الجوهري، (مادة: قوم)، (٢٠١٨/٥)، وتاج العروس، الزبيدي، (مادة: قوم)، (٣١٥/٣٣).
[١٠٦] جامع البيان (١٧٧/٥).
[١٠٧] انظر: المرجع السابق (١٧٨/٥).
[١٠٨] انظر: التعيين، الطوفي (١/٥-٦)، ومنهاج السنة، ابن تيمية (١٨٩/٥).
[١٠٩] انظر: جامع البيان، الطبري (١٧٨/٥-١٧٩)، واشتقاق أسماء الله، الزجاجي (ص:١٠٨).
[١١٠] انظر: جامع المسائل (١٦١/٥-١٦٨).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

والراجح -والله تعالى أعلم-: أنه موقوف، إلا إذا ثبَت رفعُه للنبي ﷺ.

٣- ادّعاء عدم جواز الاحتجاج بقول الصحابة بسبب ما نُسب إليهم ﷺ من الأخذ عن الإسرائيليات غيرُ صحيحٍ، ولو صح ذلك فقد يكون مما أُذِن به.

٤- المسائل العقدية التي وردت في البحث ليست من أصول الاعتقاد، فيجوز الخلاف فيها.

٥- من أبرز المسائل العقدية في أقوال الصحابة ﷺ في مسائل الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات: إثبات اسم القيّام لله تعالى.

من أبرز التوصيات: استقراء الصحابة ﷺ الذين حدّثوا عن بني إسرائيل، وتحرير القول في ذلك.

وختامًا لهذا البحث المتواضع الذي بذلت جهدي، فإنْ أحسنتُ فمِن فضل الله تعالى، وإن أخطأتُ فمِن نفسي والشيطان، هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع:

١. ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان (١٤٢٣هـ). المصاحف، (ط١)، ت: محمد بن عبده، القاهرة، دار الفاروق الحديثة.

٢. ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله (١٤١٥هـ). أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، (ط١). ت: عبدالله بن محمد البخاري، المدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية.

٣. ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد (١٣٧١هـ). طبقات الحنابلة، (د.ط). ت: محمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية.

٤. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات (١٣٩٩هـ). النهاية في غريب الحديث والأثر، (د.ط). ت: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية.

٥. ابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم (١٤٠٨هـ). قفو الأثر في صفوة علوم الأثر، (ط٢). ت: عبدالفتاح أبو غدة، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية.

٦. ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن (١٤٠٦هـ). معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، (د.ط). ت: نور الدين عتر، بيروت، دار الفكر المعاصر.

٧. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤٠٦هـ). منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، (ط١). ت: محمد رشاد سالم، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤١٦هـ). مجموع الفتاوى، (د.ط). ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٩. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤٤٠هـ). جامع المسائل، (ط٢). تحقيق: محمد عزير شمس، وعلي بن محمد العمران، وآخرون، بيروت، دار ابن حزم.

١٠. ابن حجر، أحمد بن علي (١٣٧٩هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة.

١١. ابن حجر، أحمد بن علي (١٤١٩هـ). المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، (ط١). ت: سعد بن ناصر الشثري، الرياض، دار العاصمة.

١٢. ابن حزم، علي بن أحمد (١٤٠٣هـ). الإحكام في أصول الأحكام، (ط٢). ت: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

١٣. ابن حزم، علي بن أحمد (د.ت). المحلى بالآثار، (د.ط). ت: عبدالغفار سليمان البنداري، بيروت، دار الفكر.

١٤. ابن حنبل، أحمد بن محمد (١٤٢١هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ط١). ت: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة.

١٥. ابن حنبل، أحمد بن محمد (١٤٣٠هـ). الجامع لعلوم الإمام أحمد (العقيدة)، (ط١). جمعه: خالد الرباط، وسيد عزت عيد، وآخرون، مصر، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث.

١٦. ابن عادل، سراج الدين عمر بن علي (١٤١٩هـ). اللباب في علوم الكتاب، (ط١). ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٧. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (١٤٣٩هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله -ﷺ-، ت: بشار عواد معروف، وسليم محمد عامر، وآخرون، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

١٨. ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله (١٤١٢هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ط١). ت: محمد علي البجاوي، بيروت، دار الجيل.

١٩. ابن فارس، أحمد بن فارس (١٣٩٩ه). معجم مقاييس اللغة، (د.ط). ت: عبد السلام محمد هارون، (د.م)، دار الفكر.

٢٠. ابن قيم، محمد بن أبي بكر (١٤٢٣هـ). إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ط١). ت: مشهور بن حسن آل سلمان، الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

٢١. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (١٤٣٠هـ). مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب -ﷺ- وأقواله على أبواب العلم، (ط١). ت: إمام بن علي بن إمام، الفيوم، دار الفلاح.

٢٢. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٤١٨هـ). البداية والنهاية، (ط١). ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
٢٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٤٢٠هـ). تفسير القرآن العظيم، ت: سامي السلامة، (ط٢). الرياض، دار طيبة.
٢٤. ابن منصور، سعيد بن منصور (١٤١٧هـ). سنن سعيد بن منصور، (ط١). ت: د سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل حميد، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع.
٢٥. أبو الأشبال، حسن الزهيري (د.ت). شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، دروس صوتية من موقع https://shamela.ws/book/37437.
٢٦. أبي شيبة، عبد الله بن محمد (١٤٣٦هـ). المصنف، (ط١). ت: سعد بن ناصر الشثري، الرياض، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع.
٢٧. الأصفهاني، الراغب (١٤٣٠هـ). مفردات ألفاظ القرآن، (ط٤،١)، ت: صفوان عدنان داوودي، دمشق، دار القلم - الدار الشامية.
٢٨. البخاري، محمد بن إسماعيل (١٣١١هـ). صحيح البخاري، (د.ط). ت: جماعة من العلماء، مصر، السلطانية.
٢٩. البغدادي، أبو عبيد القاسم بن سلاّم (١٤١٥هـ). فضائل القرآن للقاسم بن سلام، (ط١). ت: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دمشق، دار ابن كثير.
٣٠. البغدادي، أحمد بن علي (١٣٥٧هـ). الكفاية في علم الرواية، (ط١). صححه: أبو عبدالله السورقي، قابله: إبراهيم حمدي المدني، الهند، جمعية دائرة المعارف العثمانية.
٣١. الجوهري، إسماعيل بن حماد (١٤٠٧هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (ط٤). ت: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين.
٣٢. الجويني، عبد الملك بن عبد الله (د.ت). التلخيص في أصول الفقه، (د.ط). ت: عبد الله جولم النبالي، وبشير أحمد العمري، بيروت. دار البشائر الإسلامية.
٣٣. الحاكم، أبو عبد الله محمد (١٤١١ه). المستدرك على الصحيحين، (ط١). ت: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.
٣٤. الحاكم، محمد بن عبد الله (١٣٩٧هـ). معرفة علوم الحديث، (ط٢). ت: السيد معظم حسين، بيروت، دار الكتب العلمية.
٣٥. الخطابي، حمد بن محمد (١٤٠٢هـ). غريب الحديث، ت: عبد الكريم بن إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دمشق، دار الفكر.
٣٦. الذهبي، شمس الدين محمد (١٤٠٥هـ). سير أعلام النبلاء، (ط٣). ت: مجموعة من المحققين، إشراف: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة.
٣٧. الزركشي، محمد بن بهادر (١٤١٤هـ). البحر المحيط في أصول الفقه، (د.ط) (د.م)، دار الكتبي.
٣٨. الزهراني، محمد بن مطر (١٤١٨هـ). ما له حكم الرفع من أقوال الصحابة وأفعالهم، (د.ط). المدينة النبوية، دار الخضيري للنشر والتوزيع.
٣٩. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد (١٤٢٤هـ). فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، (ط١). ت: علي حسين علي، مصر، مكتبة السنة.
٤٠. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد (٢٠٠١م). الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، (ط١). ت: أبو عائش عبد المنعم إبراهيم، مصر، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.
٤١. السلمي، عياض بن نامي (١٤٢٦هـ). أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، (ط١). الرياض، دار التدمرية.
٤٢. السمعاني، منصور بن محمد (١٤١٨هـ). تفسير القرآن، (ط١). ت: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، دار الوطن.
٤٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٤٣٢هـ). الدر المنثور، (د.ط). بيروت، دار الفكر.
٤٤. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (د.ت). ألفية السيوطي في علم الحديث، (د.ط). ت: أحمد محمد شاكر، (د.م)، المكتبة العلمية.
٤٥. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (١٤٠٣هـ). مصنف عبدالرزاق، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، (ط٢). بيروت، المكتب الإسلامي.
٤٦. الطبراني، سليمان بن أحمد (دت). المعجم الكبير (المجلدان الثالث عشر، والرابع عشر)، (دط). ت: فريق من الباحثين بإشراف: سعد بن عبد الله الحميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي، (د.م)، (د.ن).
٤٧. الطبري، محمد بن جرير (١٤٢٢هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ط١). ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، القاهرة، دار هجر. ٢٠١.
٤٨. الطوفي، سليمان بن عبد القوي (١٤١٩هـ). التعيين في شرح الأربعين، (ط١). ت: أحمد حاج محمد عثمان، بيروت، مؤسسة الريان، مكة المكرمة، المكتبة المكية.
٤٩. العامر، زياد بن حمد (١٤٣٩هـ). أقوال الصحابة العقدية التي ليس للرأي فيها مجال، مجلة جامعة الجوف، م ٤ (١)، ص ص ١-٣٥.
٥٠. العسقلاني، أحمد بن علي (١٤١٥هـ). الإصابة في تمييز الصحابة، (ط١). ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية.
٥١. العسقلاني، أحمد بن علي (١٤٢١هـ). نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، (ط٣). ت: نور الدين عتر، دمشق، مطبعة الصباح.

٥٢. العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل (١٤٠٧هـ). إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، (ط١). الكويت، جمعية إحياء التراث الإسلامي.
٥٣. العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل (١٤١٠هـ). تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، (ط١). ت: عبدالرحيم محمد القشقري، الرياض، دار العاصمة.
٥٤. الغزالي، محمد بن محمد (١٤١٣هـ). المستصفى، (ط١). ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية.
٥٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٤٢٤). العين، (ط١). ت: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية.
٥٦. النملة، عبدالكريم بن علي (١٤١٧هـ). إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر، (ط١). الرياض، دار العاصمة.
٥٧. النملة، عبدالكريم بن علي (١٤٢٠هـ). مخالفة الصحابي للحديث النبوي الشريف (دراسة نظرية تطبيقية)، (ط٢). الرياض، مكتبة الرشد.
٥٨. النووي، يحيى بن شرف (١٣٩٢م). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ط٢). بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٥٩. النيسابوري، مسلم بن الحجاج (١٣٣٤هـ). الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، (د.ط). ت: أحمد بن رفعت حصاري، ومحمد عزت بوليوي، وأبو نعمة الله محمد الأنقروي، تركيا، دار الطباعة العامرة.
٦٠. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (١٤١٤هـ). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (ط١). ت: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

الجهود العلمية المعاصرة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في مواجهة التنصير.

أ. لولوه بنت خالد الحميّد

دكتوراه في الثقافة الإسلامية من جامعة أم القرى.

Contemporary scientific efforts of the Islamic University in Madinah in the face of Christianization.

Dr.Luluwh Khalid alhomaid

PhD in Islamic Culture from Umm Al-Qura University.

E-mail: Lolo_k_h_@hotmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

الجامعة الاسلامية. مواجهة التنصير.

KEY WORDS:

Islamic University. Confronting Christianization

مستخلص البحث:

يسلط البحث الضوء على أهمية الجهود العلمية للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمواجهة التنصير في العصر الحاضر ويجلي عن أهم الجهود كالمواد التي تُدرس والنشر العلمي والتأثير العملي التطبيقي على طلاب الجامعة الإسلامية القادمين من شتى أرجاء المعمورة.

وخلص البحث إلى أن الجهود المبذولة من الجامعة الإسلامية جهود بناءة علمية عملية مجديه وأثمرت في مجال مواجهة التنصير حديثا.

والتوصية بأهمية وجود لجان علمية ومراكز فكرية متخصصة تتابع موضوع التنصير، وتعد الدراسات والتقارير وتُخرج الأبحاث والدراسات بشأن التطورات الجديدة.

ABSTRACT:

The research highlights the importance of the scientific efforts of the Islamic University in Madinah to confront Christianization in the present era and reveals the most important efforts such as the materials taught, scientific publishing and the practical impact applied to the students of the Islamic University coming from all over the world.

The research concluded that the efforts made by the Islamic University are constructive, scientific, practical and feasible efforts in the field of confronting Christianization recently.

And recommending the importance of having scientific committees and specialized think tanks that follow up the subject of Christianization, prepare studies and reports and produce research and studies on new developments.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبة أجمعين أما بعد:

تُعد الجامعات والكليات من أهم ركائز التنمية والتقدم الحضاري، ولها الدور العظيم والفعال في تنمية المجتمع وتثقيفه، وتكوين الفرد وتهيئته وإعداده لشتى التخصصات؛ ليُسهم في التنمية والتقدم المنشود، فهي المؤسسة الأولى المعنية في تطوير الكوادر العلمية الناجحة، بل يمتدُّ أثرها إلى جميع مناحي الحياة؛ العلمية، والتطبيقية، والاجتماعية، لتعيد صياغة التوجهات الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية.

ولم يكن غريبًا على الحضارة العربية الإسلامية أن تبلغ ما بلغته من تقدم علمي معرفي في جميع مراحلها؛ ذلك بأنَّ الإسلام كان المحرك والباعث لهذا التقدم العلمي، فكلمة: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾[العلق:١] هي أول ما نزل من القرآن الكريم؛ محفزةً ورابطة بين العلم والدين، إضافة إلى قوله تعالى في بيان فضل العلم: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[المجادلة:١١]، و﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾[الزُمَر:٩]. فالحضارة الإسلامية بَنَتْ مجدها بالعلم، وبالعلم تقوم الحضارات، ومن لا علم له فلا حضارة له.

وفي هذا الإطار برزت مجموعة من المؤسَّسات الجامعية التي أنارت للعالم القديم ظلماتِ الجهل، وبدَّدت غياهب التخلف، وما تزال مناراتٍ مضيئةً إلى اليوم في تاريخ العرب والمسلمين. وكان أساس الجامعات الإسلامية، وأول منارات العلم: المساجد والجوامع التي تعقد فيها الحلقات العلمية، والمناظرات الفقهية، وتوسعت بعد ذلك لتتحول إلى جامعاتٍ؛ كجامعة القرويين بالمغرب، وجامعة الأزهر بمصر؛ وتُعدُّ من أقدم الجامعات الإسلامية، وغيرها من الجامعات الإسلامية التي اشتهرت منذ نشأتها بالتفوق في العلم والثقافة، وقيادة الأمم.[١]

ونظرًا لأهمية الجامعات، ودورها في نقل الدول من مرحلة التخلف والجهل إلى مرحلة التقدم والنمو، خاصة تلك النامية منها، فقد حرصت الدول على تجهيزها، وإعداد بنيتها الأساسية بما يتناسب مع الغاية من وجودها، وقدرتها على إخراج الكفاءات التي يُؤمل منها قيادة المجتمع بنزاهة ومسؤولية، وخدمة البحث العلمي والمجتمع لتحقيق التنمية والتقدم المعرفي والحضاري المطلوب على أرض الواقع، إضافة إلى تعزيز قيمة العلم والنزاهة للإسهام في حماية المجتمع من آفة الفساد، والتخلف الحضاري.[٢]

وتعرّف الجامعة كما في المعجم الوسيط بأنها: "مجموعة معاهد علمية تسمى كلياتٍ تدرّس فِيهَا الآداب، والفنون، والعلوم"[٣]، أما الجامعات الإسلامية فهي: " الصروح التي وقفت نفسها لخدمة الدراسات الإسلامية؛ تنميةً للعلوم الإسلامية، وإعدادًا للعالم، والفقيه، والقاضي، والمدرس، وتثبيتًا لمعالم الحضارة الإسلامية، وتطويرًا وتحسينًا في المجتمعات الإسلامية عن طريق العلم، وهي الجامعات التي ركزت جهودها على الدراسات الإسلامية"[٤].

والسبب في تخصيص الجامعات باسم الإسلامية؛ مسايرة الواقع الذي نعيشه اليوم، وإلا فالأصل في كل الجامعات في العالم الإسلامي أن تكون إسلامية، تدرس بها كافة العلوم والتخصصات، إلى جانب العقيدة الإسلامية، وما يتعلق بها من أصول وفروع، وتكون مواد الدراسات الإسلامية مقررة في كل الكليات ليتخرج الطالب فيها متخصصًا في فن معين من فنون العلم والمعرفة إلى جانب إلمامه الكافي بثقافته الإسلامية الصحيحة، ومجريات الواقع، والتحديات التي تواجهها الأمة؛ لتكون العقيدة حصنًا يتحصن به أمام كل التحديات.[٥]

مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة الدراسة في تقييم الجهود العلمية للجامعة الإسلامية لمواجهة التنصير مع وجود الكثير من التحديات التي تواجه الإسلام وتتهمه بالضعف في العصر الحاضر وتقلل من شأن المؤسسات العلمية في التصدي للحركة التنصيرية، وتغيب جهودها عن الواقع وتحاول إخفائها، فجاءت هذه الدراسة لإبراز تلك الجهود العظيمة في العصر الحاضر.

أسئلة البحث:

١. ما الجهود الفعالة للجامعة الإسلامية في مواجهة التنصير؟ وكيف أثرت الجهود إيجابا على رد المد التنصيري؟

٢. هل اقتصرت الجهود وتأثيرها على طبقة المتخصصين في المجال العلمي أم تعدت للمجتمع الإسلامي؟

أسباب اختيار الموضوع:

١. هناك الكثير من الأبحاث التي تتحدث حول التنصير وجهوده وأهدافه ووسائله، وبالمقابل يكون هناك فراغ في اجلاء الجهود الإسلامية وتوضيحها والفخر بها.

---

[١] ينظر: الميمني، عبد العزيز، بحوث وتحقيقات، ط١، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م)، ص١٩٤، السيد، وليد أحمد، مقال الجامعات ودور العلم في الحضارة الإسلامية، (٢٠١٨م)، استرجعت بتاريخ: ١٤٤٤/٢/١٧ه من موقع: islamstory.com.

[٢] ينظر: عامر، طارق عبد الرؤوف، التعليم الجامعي، د.ط، (عمان، دار اليازوري، ٢٠١٩م)، ص٧، الزبون، مأمون، وأبو جابر، ماجد، دور الجامعات الأردنية في تعزيز النزاهة الأكاديمية، مجلة جامعة النجاح، ٢٠٢٢م، العدد: ٣٣، ص٣٣٥٠٣٣٦.

[٣] مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ١٣٥/١.

[٤] سعد الدين، محمد منير، البحث العلمي في الجامعات الإسلامية، بحوث المؤتمرات، ١٩٩٧م، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ص٨٠٤.

[٥] ينظر: الأهدل، عبدالله قادري، السباق إلى العقول، د.ط، (المملكة العربية السعودية، وزارة الأوقاف، د.ت)، ص٣٦٨.

٢. الرغبة في الوقوف على حجم الجهود المبذولة من الجامعة وتوثيقها في العصر الحاضر.

أهمية الموضوع:

١. رغبة الباحثة في رصد الإنتاج الفكري والعلمي للجامعة الإسلامية، والإسهام في صناعة رؤية واضحة حول الجهود المبذولة في التصدي للتنصير.

٢. تتطلع الباحثة إلى تجلية الضوء أمام الجهود الإسلامية العظيمة في العصر الحاضر والتعريف بها، لتكون رداً على كل من يتهم الإسلام بالضعف والوهن، فلا يزال الخير موجود في الأمة إلى قيام الساعة.

أهداف البحث:

١. تغيير المفهوم القائم في بعض الكتب وعند بعض الأفراد المتخصصين أو العامة من أن هذا الوقت هو وقت وهن الإسلام وضعفة، بل على العكس تماما فالجهود الإسلامية عظيمة وما ذكر في هذا البحث غيض من فيض.

٢. تقويم الجهود بنقدها ووضع الحلول والوسائل التي تساعد في المواجهة الصحيحة السليمة لعملية التنصير.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات والرسائل المتعلقة بمواجهة التنصير ولكنها عالجت أفكار وفروع جزئية في موضوع الجهود الإسلامية، ولم تقتصر على الجهود المعاصرة فقط، فالاختلافات بينها وبين دراستي كبير وواسع، وقد وجدت في بعض المجلات العلمية بعض العناوين التي تختص في جانت المواجهة الإسلامية العملية والعلمية، ولكنها لا تعدو أن تكون مقالات بسيطة أو أبحاث محكمة منشورة تقتصر على جانب معين في موضوع المواجهة أو بلد معين.

حدود البحث:

يستغرق الموضوع في زمانه على العصر الحاضر وينحصر في مكانه على الجامعة الإسلامية.

منهج البحث:

تتبع الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، الذي يهدف إلى جمع البيانات حول الموضوع وتحليلها ومن ثم تقويمها ونقدها نقداً علمياً.

المبحث الأول: تمهيد:

قبل الحديث عن الجامعة الإسلامية ودورها في مواجهة التنصير، لا بد أن تشير الباحثة إلى اهتمام القادة- ابتداء بالملك عبد العزيز ثم أبنائه من بعده- البالغ بالجانب التعليمي، فقد كان اهتمام الملك عبدالعزيز واضحًا منذ بداية مسيرته في توحيد المناطق، فقد كان يقدّر العلماء، ولا يخلو مجلسه منهم حضرًا وسفرًا، وكان يشجع طلاب العلم خاصة على تعلم أصول الدين[٦]، كما قام -رحمه الله- بافتتاح المدارس، والمعاهد العلمية، وإرسال الطلبة إلى الخارج، ووُضعت في عهده نواة التعليم الجامعي؛ بإنشاء كلية الشريعة بمكة عام ١٣٦٩هـ، وكلية المعلمين عام ١٣٧٢هـ، ثم كلية الشريعة بالرياض مطلع السنة التالية، والجدير بالذكر أن الملك عبد العزيز لم يجعل التعليم مجانًا فحسب، بل خصص مكافآت للطلاب.[٧]

ثم توالت إنجازات المملكة العربية السعودية بقيادة ملوكها نحو الارتقاء بالمنظومة التعليمية، ومؤسسات التعليم العالي، مبنيةً على سياسة تعليمية تنبثق أساسًا من الإسلام دينًا وعقيدة وعبادة لنظم الحياة الشاملة، وهي جزء أساس من النظام السياسي للملكة العربية السعودية، ومن الأسس التي يقوم عليها التعليم في المملكة: أن العلوم الدينية أساسية في جميع مراحل التعليم المدرسي والعالي، والارتباط الوثيق بالدين وتراثه وآدابه، والثقة بمقوماته العالمية، والتضامن أمام كل ما من شأنه مسّ العقيدة؛ من أديانٍ، ومذاهبَ باطلة، مع واجبِ الدعوة إلى الإسلام في مشارق الأرض ومغاربِها، وتنمية روح الولاء للشريعة الإسلامية.[٨]

ومما يجب أن يُبين: أن المملكة اهتمت كثيرًا بدعم التعليم الإسلامي في البلاد الإسلامية الأخرى أيضًا، ولم يقتصر جُهدها على وطنها فقط، فقد اعتنت المملكة بالعلم الشرعي، ونشر الإسلام، والتعريف به، وخدمة أبناء المسلمين الذين يعيشون في أقليات مسلمة، من خِلال إنشاء المعاهد والمدارس والأكاديميات، وتشغيلها أيضًا، وإيفاد المدرسين والدعاة إليها، وجاءت خطوات المملكة إدراكًا لأهمية التعليم في رفع مستوى المسلمين حول العالم، ومقدرتهم على مواجهة الشبهات والمكائد التي يتولاها أهل الأديان الأخرى.[٩]

وانطلاقًا من السمة الدينية التي تمتاز بها جامعتنا السعودية، بدأ التعليم الجامعي في التوسع والتقدم العلمي طورًا بعد طور. وبذلك استطاعت المملكة أن تحقق التطور والتقدم الجامعي في سنوات قليلة، مقارنة بباقي الدول، كما أنشأت المملكة جامعتين متخصصتين في مجال الدراسات الإسلامية والدعوة إلى الله، وهما الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، والجدير بالذكر أن كل المناهج والبرامج الدراسية في جميع الجامعات أعدت لتكون متماشية مع الشريعة الإسلامية، ومتطلبات التنمية.[١٠]

---

[٦] ينظر: العثيمين، عبد الله صالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، ط١٣، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ)، ٣٢٦/١.

[٧] ينظر، العثيمين، مرجع سابق، ٣٣١/١.

[٨] ينظر: سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، وزارة التربية والتعليم، ١٤١٦هـ، ص ٣-٧.

[٩] ينظر: جهود المملكة العربية السعودية في نشر الثقافة الإسلامية والعربية، بحوث المؤتمرات، ٢٠١٠م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص٦٣٩-٦٤٠.

[١٠] ينظر: مراد، عادل سراج، تطور التعليم في المملكة العربية السعودية، مجلة الدبلوماسي، العدد:٢، ١٩٨٢م، ص٧٤.

وبما أنَّ التنصير هو الذي أطلَّ برأسه عبر كثير من الطرق والوسائل في شتى المعمورة، بخلاف الدعوة إلى اليهودية، فسأسلط الضوء عليه.

ودولتنا المباركة ممثلة في جامعاتها الرائدة؛ دعامة قوية للإسلام وعقيدته السمحة أمام كل الدعوات المناهضة للإسلام، من خلال تشجيع طلاب العلم للقيام بالأبحاث العلمية المواجهة للتنصير وغيره، وكشف عوارها، وقد خصصت الباحثة لهذا المبحث ثلاث جامعات كان لها جهود مباركة في الدعوة إلى الله ومواجهة التنصير ونشر الإسلام.

المبحث الثاني: جهود الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

الجامعة الإسلامية مؤسسة دينية تعليمية عالمية، تقع بالمدينة المنورة، أنشأها الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله غرضها الأساسي تثقيف كلّ من يلتحق بها بالدين الإسلامي، ونشر الدعوة الإسلامية، ففي عام ١٣٨٠ه خطب الملك سعود فقال: "إخواني لقد رأيت من واجبي أن أخدم هذين الحرمين الشريفين، وأن أبدأ العمل في نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة، فأمرت بإنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وهيأت لها من الأسباب والوسائل ما يكفل لها أداء الرسالة السامية المرجوة منها، وسأحرص على أن يكون فيها عدد غير قليل من إخواننا الأفريقيين والآسيويين الذين يتشوقون لمعرفة الإسلام من منابعه"[١١]، وقد نوَّه الملك سعود بحرصه على تبليغ الدعوة الإسلامية ونشرها عن طريق طلاب الجامعة بدعوتهم إلى الاستقامة على دين الله، واجتماع المسلمين على كلمة سواءٍ، وتوحيدهم على المنهج الحق.[١٢]

نشأت الجامعة الإسلامية لإعداد المتخصصين في العلوم الإسلامية واللغة العربية من مختلف أرجاء العالم، إحياءً للتراث الإسلامي، وقيامًا بواجب الدعوة للإسلام ونشره، وهي مركز الإشعاع في العالم الإسلامي؛ تفتح ذراعيها لاستقطاب الطلاب من مختلف العالم، لتثقيفهم، وتطبيعهم على الإسلام الصحيح، وتخريجهم دعاةً يبشرون بدين الله.[١٣]

ولم تألُ الجامعة جهدًا في تحقيق أهدافها السامية، بدعمٍ متواصل من ولاة الأمر في هذه البلاد المباركة وعلمائها وأساتذتها ومفكريها، فلا تكاد بلد إسلامي تخلو من طلاب الجامعة الإسلامية المتأصلين في العقيدة الإسلامية، المتحصنين أمام دعاة التنصير، فهم دعاة لله، حماة لعرين الإسلام، ذائدون عن حياضه كل غريب ودخيل.

ومن إسهامات الجامعة الأصيلة في مجال مواجهة التنصير والدعوة إلى الله: إنشاء كلية الدعوة وأصول الدين عام١٣٨٦ه؛ والتي تغير اسمها حديثاً لكلية العقيدة والدعوة وتُعنى بتقديم تعليم متميز في العقيدة والدعوة، وتأهيل المتخصصين في العقيدة والأديان، المتمكنين من التعامل مع متطلبات العصر الحديثة، ومجاراة أهل الأديان الأخرى ومواجهتهم، ونشر الإسلام، وخدمة المجتمعات المحلية والعالمية، ومن ضمن أقسام الكُلية: قسم العقيدة الذي يُقدم عددًا من المسارات العلمية لمرحلة البكالوريوس منها: العقيدة والفرق والأديان، وفي عام ١٤٤٠ه انطلق برنامجان جديدان للدراسات العليا هما: برنامج العقيدة والأديان، وبرنامج العقيدة والدعوة.

هذه المسارات والبرامج تدرّس فيها عدد من المواد المعنية بالديانة النصرانية ومواجهتها، فمسار العقيدة يدرس فيه الطالب مادة: الأديان، وبرنامج العقيدة والأديان يدرس الطالب فيه أصول الدعوة وطُرقها، والأديان، والدراسات الاستشراقية، والمذاهب والتيارات المعاصرة، ووسائل الدعوة وأساليبها، ودعوات الأديان والفرق، وبرنامج العقيدة والدعوة يدرس الطالب فيه مادة الأديان، والفرق والمذاهب والتيارات معاصرة، والدعوة والحسبة، وتطبيقات التقنية الحديثة في الدعوة.

ويقدم قسم الدعوة والثقافة الإسلامية عددًا من المواد، منها: جهود المملكة في الدعوة إلى الله، والاستشراق، ووسائل الدعوة، وتقدم الكلية فهرسًا للرسائل العلمية المسجلة في القسم، وهذا من المميزات المهمة التي تخدم الباحثين وطلاب العلم.[١٤]

ومن جانب آخر فقد أسهمت الجامعة الإسلامية في توجيه طلابها وإرشادهم إلى كتابة الرسائل العلمية المتخصصة بالتنصير، والتي من شأنها أن تخدم طلاب العلم والمتخصصين في مجال الأديان؛ لمواجهة العملية التنصيرية، ومن ضمن تلك الأبحاث:

- جهود الملك عبد العزيز الدعوية في كتابات المستشرقين، للباحث سعود الحربي. تحدث فيها عن مفهوم الاستشراق، وعرّف بالملك عبد العزيز، ثم عرَّج على جهود الملك الدعوية في نشر العقيدة؛ من خلال أقوال المستشرقين عنه، ودوافعهم التي كان من ضمنها: الدوافع التنصيرية لدراسة حياة الملك والحديث عنه، وتحدث عن جهود الملك الدعوية في فقه العبادات، وجهوده الدعوية في مجال الحسبة، والقضايا الإسلامية الأخرى، ونصرته لها، والدفاع عن المسلمين، وانشاء الهيئات والمنظمات الإسلامية؛ كل

---

[١١] الفريح، صالح عبد الله، من جهود الملك سعود بن عبد العزيز في خدمة العالم الإسلامي، بحوث المؤتمرات ٢٠١٠م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص٣٤٩-٣٥٠.

[١٢] ينظر: الفريح، مرجع سابق، ص٣٥٠-٣٥١.

[١٣] ينظر: حكيم، عبد المجيد عبد الحميد، نظام التعليم وسياسته، ط١، (القاهرة، الدار الهندسية، ٢٠١٢م)، ص٢٥٠.

[١٤] ينظر: موقع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، استرجعت بتاريخ:١٤٤٤/٢/٢ه، من موقع: https://iu.edu.sa/.

ذلك من خلال أقوال المستشرقين.[١٥]

- الدراسات الاستشراقية والتنصيرية في الجامعات السعودية، للباحث سليمان الشمراني، تحدث عن المقررات الدراسية في مجال الدراسات الاستشراقية والتنصيرية في الجامعات، والرسائل العلمية في مجالي الاستشراق والتنصير، والأبحاث العلمية المحكَّمة، والمحاضرات، والندوات، والمقالات في هذا الشَّأن، وسبل تطوير الدراسات الاستشراقية والتنصيرية.[١٦]
- مسؤوليات المؤسَّسات التربوية في مواجهة التنصير في غرب أفريقيا، للباحث أحمد بمبه، تحدث عن الحملات التنصيرية وخطرها في غرب أفريقيا؛ وعن وسائل التنصير، وأهدافه، وآثاره، ومظاهره، وعلاقة التنصير بالمذاهب الفكرية المعاصرة؛ كالعلمانية، والعولمة، ثم عن ملامح التربية الإسلامية في مواجهة التنصير، ومسؤوليات الأسرة، والمدارس، والمساجد في مواجهة التنصير.[١٧]
- التنصير في غانا وسبل مواجهته، للباحث محمد إدريس، تحدث عن تاريخ التنصير في غانا، ونشأته، ومؤسساته، وتطوره، وأساليبه، ووسائله الحديثة التي من ضمنها: الإعلام، وآثار حملات التنصير على مسلمي غانا، ومن ثم سبل مواجهته في غانا، ومسؤولية الأسرة والعلماء في مواجهته.[١٨]
- التنصير في الجزائر؛ تاريخه، وأسبابه، وسبل مواجهته؛ للباحث دومة أحمد، بداية ذكر نبذة عن الجزائر، ثم تحدث عن النصرانية والتنصير والعلاقة بينها وبين الاستعمار، وتاريخ التنصير في الجزائر ماضيًا وحاضرًا، وتعدد الدوافع والعوامل لانتشار التنصير فيها، وأهدافه، ووسائله التقليدية والحديثة، ثم تحدث عن الجهود التي بذلها الجزائريون؛ حكومة وأفرادًا؛ علماء ودعاةً لمواجهة التنصير، وما هو الواجب تجاه هذه الحملات التنصيرية.[١٩]
- التنصير في جمهورية سيراليون؛ تاريخه، ووسائله، وآثاره، وطرق معالجته؛ للباحث محمد جالو، تحدث عن جمهورية سيراليون والإسلام والنصرانية فيها، وتاريخ التنصير، ونشأته، وأهدافه في الجمهورية، ووسائله وأساليبه المستخدمة، ثم واجب مسلمي الجمهورية بشتى أطيافهم تجاه التنصير.[٢٠]
- التنصير في بنين وجهود الدعاة في مقاومته؛ للباحث باويزي يايا، عرف بجمهورية بنين وأوضاعها، وتاريخ دخول الإسلام فيها، ثم دخول التنصير والمراحل التي مرَّ بها العمل التنصيري في الجمهورية ماضيًا وحاضرًا، وأردف الحديث عن واجب المسلمين في الجمهورية لمواجهة التنصير، ودور المدارس، والمساجد، والمراكز، والهيئات الإسلامية في المواجهة.[٢١]
- التنصير في ولاية بيهار بالهند، وسبل مواجهته؛ للباحث إبراهيم عبد الغفور، عرف الباحث بالهند وولاية بيهار، والنصرانية والتنصير وعلاقته بالاستعمار والاستشراق، ثم تحدث عن تاريخ التنصير في ولاية بيهار، وأهدافه، والمراحل التي مر بها، وأشهر المنصرين، مع ذكر المؤسسات التنصيرية، والوسائل القديمة والحديثة، وذكر سبل مواجهة التنصير في الولاية، ودور الأسرة، والعلماء، والمراكز، والمدارس في ذلك.[٢٢]

لقد بات أثر الجامعة الإسلامية واضحًا وجليًا في مواجهة التنصير، ويظهر ذلك في عدد من المؤثرات داخليًا وخارجيًا منها:

أ- استقطاب الطلاب المسلمين من جميع أنحاء العالم لتعليمهم العربية أولًا، ثم التخصص الذي يلتحقون به، وقد عملت الجامعة على تثقيف كلٍّ من يلتحق بها من طلاب العلم، وتأهيلهم لجعلهم علماء متخصصين في العلوم الإسلامية، ودعاة في بلادهم، وحل ما يعرض لهم من مشكلات؛ كالتنصير، والتعامل معها ومواجهتها على هدى الكتاب والسنة، وهكذا اهتمت الجامعة بالإعداد والتهيئة العلمية والعملية لطلابها، لفهم الإسلام فهمًا صحيحًا، والدعوة إليه بوسائله الربانية القائمة على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن، كما أن من امتيازات المنحة الدراسية في الجامعة تقديم جميع عوامل

---

[١٥] ينظر: الحربي، سعود حمزة، جهود الملك عبدالعزيز الدعوية في كتابات المستشرقين، رسالة دكتوراه، ١٤٣٨ه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص ٥٨٠-٥٨٦.

[١٦] ينظر: الشمراني، سليمان أحمد، الدراسات الاستشراقية والتنصيرية في الجامعات السعودية، رسالة ماجستير، ١٤٣٨ه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص٣٧١-٣٨٢.

[١٧] ينظر: بمبه، أحمد سفيان، مسؤوليات المؤسسات التربوية في مواجهة التنصير في غرب أفريقيا، رسالة دكتوراه، ١٤٣٣ه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص ح-ن.

[١٨] ينظر: إدريس، محمد باشا، التنصير في غانا وسبل مواجهته، رسالة ماجستير، ١٤٣٢، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص ٣٢٧-٣٣١.

[١٩] ينظر: أحمد، دومة، التنصير في الجزائر تاريخه وأسبابه وسبل مواجهته، رسالة ماجستير، ١٤٣٣ه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص، ٥٢٧-٥٣٣.

[٢٠] ينظر: جالو، محمد البشير، التنصير في جمهورية سيراليون تاريخه ووسائله وآثاره وطرق معالجته، رسالة ماجستير، ١٤٣٣ه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص ٢٨٢-٢٨٧.

[٢١] ينظر: يايا، باويزي محمد، التنصير في بنين وجهود الدعاة في مقاومته، رسالة ماجستير، ١٤٣٤ه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص ٤١٢-٤١٧.

[٢٢] ينظر: عبدالغفور، إبراهيم، التنصير في ولاية بيهار في الهند وسبل مواجهته، رسالة ماجستير، ١٤٢٨ه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص٤٥١-٤٥٧.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

استقرار الطلاب، وسبل راحتهم؛ بتوفير السكن الملائم، والتغذية الجيدة، والرعاية الصحية المجانية، والمكافآت المجدية، والمواصلات المناسبة، والخدمات الأخرى المتنوعة.[23]

ب- بعد أن يتخرج طلابها الوافدون عليها من جميع أقطار العالم الإسلامي، ويرجعون إلى بلدانهم مؤهلين، يقومون بنشر العربية لغةً والإسلام دينًا، وتعليم الناس العقيدة الصحيحة، ونشر الوعي بضرورة العودة إلى الكتاب والسنة، وتطبيقها وفق منهج السلف الصالح، وصدّ الدعايات التنصيرية ضد الإسلام والمسلمين، والدعوة إلى الإسلام خاصة في القارتين الهندية، والأفريقية، وشرق آسيا، بل امتدّ أثر الجامعة الإسلامية إلى المدارس؛ فأنشأوا مدارس تحفيظ القرآن، والمؤسسات الإسلامية الدعوية التي تواجه التحديات ضد الإسلام، ومن ضمنها التنصير، كما عملوا على إنشاء المعاهد والجامعات التي تُعنى بالتعليم الإسلامي، ونشر اللغة العربية، وقاموا بإعداد المناهج الدراسية الإسلامية الصحيحة التي تساعد على نشر الإسلام. وأثرهم في مجال الدعوة يمتد إلى إلقاء الخطب والدروس والندوات والمحاضرات للدعوة إلى الإسلام، وتعريف الناس به، كما قاموا بالمشاركة الإعلامية للتعريف بالإسلام وتعاليمه السمحة، والتصدي بقوة للغزو التنصيري الذي يستهدف بلدانهم، وقد تحقق هدف من أهم أهداف الجامعة الإسلامية؛ وهو تبليغ رسالة الإسلام إلى العالم، عن طريق التعليم الجامعي، والدعوة إلى الله.[٢٤]

ت- زرعت الجامعة الإسلامية في نفوس طلابها واجب القيام بالدعوة إلى الإسلام في كل مكان وزمان، فحرص طلابها على القيام بدعوة النصارى حتى في منطقة الجامعة ـمنطقة المدينة المنورةـ، ومناطق المملكة الأخرى، خاصة ممن يعملون في المجال الصحي من الممرضين، والموظفين القادمين للمملكة غير المسلمين، فقد حرص طلاب الجامعة على تعريفهم بالإسلام، وإطلاعهم على حقائقه، فأقبل الكثير منهم على الإسلام -ولله الحمد-.[٢٥]

ث- عملت الجامعة بالتعاون مع إدارة البحوث العلمية بالرياض على ابتعاث الطلاب لتصحيح مفاهيم الدين الإسلامي لدى المسلمين الجاهلين بتعاليمه، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن كثيرًا من المسلمين بحاجة ماسة إلى تعلم أصول الدين؛ حتى الصلاة، فكم نُشرت من مقاطع مرئية لمسلمين لا يعرفون كيفية الصلاة، ولا قراءة الفاتحة، ولا معنى الخشوع، فهذا الجهد التي تقوم به الجامعة الإسلامية من أجلّ وأعظم الجهود المبذولة.[٢٦]

ج- أنشأت الجامعة الإسلامية لجانًا تابعة لعمادة خدمة المجتمع، ومن تلك اللجان: لجنة الخدمات الداخلية والخارجية، ومن خصائصها: وضع الخطط للتعاون مع الهيئات والمراكز الإسلامية في سبيل الدعوة إلى الله، وإقامة المحاضرات، والندوات، والدروس العلمية، ولجنة توعية الجاليات؛ ومن مهامها: دعوة الجاليات غير المسلمة في المملكة إلى الإسلام بالموعظة الحسنة، وتوضيح محاسن الإسلام، وشرح العقيدة السمحة، كما تقوم اللجنة بمتابعة المسلمين الجدد؛ لتفقيههم في الدين، وعمل لقاءات أسبوعية معهم، وزيارتهم في أماكن عملهم.[٢٧]

ح- قامت في رحاب الجامعة الإسلامية العديد من المؤتمرات الدعوية لمواجهة العملية التنصيرية وغيرها من الهجمات المتوالية ضد الإسلام، والتي من دورها مساعدة الداعية في مجال المواجهة للتنصير؛ كالمؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، والذي كان موضوعه: (سبل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين)[٢٨]، و(المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة)، و(المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة في خدمة القضايا الإسلامية).

خ- تحرص الجامعة الإسلامية ومؤسسات المملكة ومسؤولوها وسفراؤها على الاجتماع بطلاب الجامعة الخريجين منها في مختلف البلدان، وهذا الحرص يأتي نابعًا من مسؤولية المملكة تجاه الإسلام والدعوة إلى الله، والتأكيد على الطلاب بالالتزام بالمنهج الإسلامي الوسطي للدعوة إلى الإسلام ومواجهة التنصير، والوقوف على أثر الطلاب في نشر العلم والدعوة للإسلام، والمشكلات التي تواجه الدعوة, وتحرص الجامعة على أن يكونوا على تواصل دائم معها؛ لتزودهم بالكتب والنشرات التي تساعدهم في الدعوة إلى الله، وتستقبل أيضًا تقاريرهم عما قاموا به، ونشاطاتهم المختلفة.[٢٩]

د- يقوم رئيس الجامعة الإسلامية أو من ينوب عنه بجولات إسلامية تشمل الكثير من الأقطار والبلاد الإسلامية وغيرها؛

---

[23] ينظر: الدعيلج، إبراهيم عبد العزيز، جهود خادم الحرمين الشريفين في تعليم أبناء المسلمين من خلال المنح الدراسية التي تقدمها الجامعة الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد: ١١٨، د.ت، ص٣٦٤.

[٢٤] ينظر: خطاب، محمود شيت، أهمية الدعوة، ط١، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، د.ت)، ص٨، والدعيلج، مرجع سابق، ص٣٦١-٣٦٢.

[٢٥] ينظر: الجامعة الإسلامية، إخوة فلبينون يهتدون للإسلام، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد:٤٦، د.ت، ص٣٢٠.

[٢٦] ينظر: جاملي، محمد أمان، الإسلام في أفريقيا عبر التاريخ، ط٤، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٤٠٤هـ)، ص٣٠-٣١.

[٢٧] ينظر: عبد الجليل، عبد المعيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودورها الرائد في نشر الوسطية الإسلامية، بحوث المؤتمرات، ٢٠١٠م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص٤٦٨.

[٢٨] ينظر: يعقوب، طاهر محمود، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودورها الرائد في نشر الوسطية الإسلامية، بحوث المؤتمرات، ٢٠١٠م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص٣٣٥.

[٢٩] ينظر: وكالة الأنباء السعودية، (١٤٤٣هـ)، وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد يلتقي خريجي الجامعات السعودية، استرجعت بتاريخ: ١٤٤٤/٢/٢٥هـ، من موقع: وكالة الأنباء السعودية (spa.gov.sa).

كأوروبا، وأمريكا، والبرازيل، والأرجنتين؛ لمتابعة حال الأقليات المسلمة من جهة، وزيارة خريجي الجامعة من جهة أخرى، إضافة إلى استجابة مسؤولي الجامعة لعدد من الدعوات من الجامعات، والمراكز، والجماعات الإسلامية للمشاركة في الندوات والمؤتمرات الإسلامية، ويحرص مسؤولو الجامعة في هذه الرحلات على بيان الواجب الدعوي على المسلمين كافة تجاه الحملات التنصيرية التي تمولها بعض الدول دون استحياء، إضافة إلى متابعة حال الدعوة الإسلامية المتقدم، ومعرفة قوة فاعليته في البلاد غير الإسلامية، والجامعة تلبي الاحتياجات العلمية والتطبيقية لتلك الأقليات الإسلامية التي يضيق عليها في فرص العمل.[30]

ذ- تهتم الجامعة الإسلامية بالمسلمين كافة، حتى من غير منتسبيها وطلابها، وتستَقبل الوُفود الإسلامية الزائرة لها برحابة صدرٍ، بل تكون عونًا لهم في حثهم على التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة؛ بتقديم الكتب العلمية، ونشرات مجلة الجامعة هديةً من الجامعة، كما تقوم الوفود بالتجول في أقسام الجامعة وكلياتها ومكاتبها.[٣١]

ر- يمتد حرص واهتمام الجامعة الإسلامية إلى الدول الإسلامية ونشر العربية فيها، والحرص على صمود المجتمعات الإسلامية أمام الإلحاد، ومقاومتها لحركات التنصير النشطة، لما للدول الإسلامية في صمودها ومقاومتها للتنصير من أهمية كبرى في حماية المجتمعات الإسلامية من التحديات الجائرة.[٣٢]

ز- للجامعة عدد من المجلات العلمية الصادرة عنها، كمجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، ومجلة الدراسات العقدية، التي تُنشر فيها الأبحاث العلمية المتخصصة بمقارنة الأديان ومواجهة التنصير.

س- قيام الجامعة بإنشاء الكراسي العلمية الخيرية[٣٣]، ككرسي مؤسسة محمد وعبدالله إبراهيم السبيعي الخيرية الذي يعدُّ الأول من نوعه في الجامعات؛ بوصفه كرسيًّا غير ربحي في هويته وفكرته، يسهم في تنمية مهارات طلاب المنح الدعوية، والقيادية، والإعلامية؛ بأساليب وطرائق منهجية وإبداعية، ويطمحُ القائمون على هذا الكرسي إلى تطوير تلك المهارات، ومن مميزاته: تقديم التدريب الاحترافي للطلاب والدعاة؛ ليكونوا أنموذجًا لبناء قيادات دعوية فاعلة في مجتمعاتها، تسهم بالارتقاء بالمجتمعات الإسلامية، ومواكبة المتغيرات، وصد أي هجوم ينال من الإسلام؛ كالتنصير، ومتابعة الدعاة حتى بعد تخرجهم.[٣٤]

ش- تقوم الجامعة الإسلامية بإرسال أساتذتها ومنسوبيها سفراءَ عنها للعديد من الجامعات والمراكز الإسلامية في العالم، لتوثيق العلاقات الدعوية الإسلامية بين الجامعة وتلك المراكز، والوقوف على حال المسلمين في تلك البلاد، ومعرفة تطور الجانب الدعوي فيها، إلى جانب دعم تلك المراكز بالدعاة الأكفاء.[٣٥]

ص- من إسهامات الجامعة الإسلامية: إرسال طلابها إلى ساحة العمل، والإسهام بتزويد المؤسسات والهيئات والمنظمات والجمعيات الإسلامية بالكوادر المؤهَّلة للقيام بالواجب الدعوي الذي يتحتم؛ لمواجهة التنصير في كافة البلدان، كما عملت على ابتعاث الطلاب في شهر رمضان لصلاة التراويح بالناس في البلاد الأوربية، والمعلوم أن هذه البلاد أغلب أهلها نصارى، فالقيام بالدعوة، وإبراز شعائر الدين من أهم السبل لمواجهة التنصير حاليًا، خاصة أن بعض المسلمين هناك حديثي عهد بالإسلام؛ لا يعلمون العقيدة الصحيحة، وقد قيض الله سبحانه وتعالى طلاب الجامعة الإسلامية لخدمة الدين خارجيًا.[٣٦]

ض- من المخرجات المهمة التي قامت بها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة -مما يختص بمواجهة التنصير-: إنشاء الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، وهي جمعية علمية سعودية تعمل تحت إشراف الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تعنى بعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب في ضوء الكتاب والسنة؛ وفق فهم السَّلف الصَّالح، مقرُّها: قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة، تربط بين المختصين والمهتمين بها، وتهدف الجمعية إلى: العناية بالنشاط العلمي المتخصص بالأديان، تيسير تبادل الإنتاج العلمي، وتحقيق التواصل العلمي في مجال اهتمامات الجمعية بين الهيئات والمؤسسات المعنية داخل المملكة وخارجها، وصدّ الانحرافات المتعلقة بالعقيدة والأديان والفرق والمذاهب، وبيان طرق الوقاية من الشُّبه الواردة؛

---

[30] ينظر: أخبار الجامعة، نائب رئيس الجامعة في أقطار مختلفة من العالم، مجلة الجامعة الإسلامية، د.ت، العدد:٢٢، ص٣٠٥-٣٠٦.

[٣١] ينظر: أخبار الجامعة، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد:٣٠، ص٢٤٣.

[٣٢] ينظر: أخبار الجامعة، وزير التربية والتعليم الصومالي في زيارة الجامعة الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د.ت، العدد: ٥٣، ص٨٩-٩٠.

[٣٣] الكرسي العلمي: هي وحده أكاديمية تنشأ في الجامعة بهدف إجراء البحوث والدراسات المتعمقة والورش والدورات، لتأصيل الشراكة المجتمعية بين الجامعة والقطاعات الخاصة والأفراد سعيًا للتطور المعرفي وخدمة المجتمع، ينظر: جامعة المجمعة، الدليل التعريفي للكراسي البحثية، ص٢-٣.

[٣٤] ينظر: كرسي مؤسسة محمد وعبد الله السبيعي الخيري بالجامعة الإسلامية، استرجعت بتاريخ: ١٤٤٤/٢/٢٩ه، من موقع: https://iu.edu.sa/site_Page/20545.

[٣٥] ينظر: أخبار الجامعة، الجامعة الإسلامية تتعاون مع المركز الإسلامي في ميونخ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د.ت، العدد:٥٣، ص٩٥.

[٣٦] ينظر: العباد، عبد المحسن حمد، آيات متشابهات الألفاظ في القرآن الكريم، ط١، (الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢٣ه)، ص٤، وميغا، عبدالله ادريس، الجامعة الإسلامية بالمدينة ودورها الرائد في نشر الوسطية الإسلامية، بحوث المؤتمرات، ٢٠١٠م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص٤٠٤.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

بما فيها التنصير، ودراسة تأثيراتها ومعالجتها، وغيرها من الأهداف الجليلة التي تخدم الإسلام والمسلمين.[37]

وتقوم الجمعية بعدد كبير من النشاطات؛ مثل إجراء البحوث والتأليف والترجمة، وعقد الندوات، والمشاركة بالمؤتمرات، والاهتمام بالنشر الرقمي، وللجمعية العديد من الجهود المبذولة في مجال الأديان، والتي منها التنصير والنصرانية، كإقامة الدورات ونشرها صوتيًا، كدورة جمعية العقيدة عن حوار النصارى، ودورتها عن حوار الأديان، وتضم الجمعية مكتبة مرئية؛ بها العديد من المحاضرات، وورش العمل، وللجمعية مجلة علمية محكَّمة تصدر عنها، وهي مجلة الدراسات العقدية، تختصُّ بنشر العلوم والدراسات العلمية في مجال العقيدة والأديان.[٣٨]

ترتبط بالجمعية منصةٌ تعليمية تدريبية عن بعدٍ، تقدم مجموعةً من البرامج العلمية، والدوراتِ التدريبية في التخصصات العقدية والأديان، من تلك البرامج: برنامج الفرق والأديان، ومن ضمن مفرداته: النصرانية، والتعرف عليها، وبرنامج النصرانية؛ ويتعرف فيه المستفيد على تاريخ الديانة المسيحية، ومصادرها، وتاريخ دعوى ألوهية المسيح، والتثليث، والصلب، والفداء، وعلم النقد للديانة النصرانية، جميع هذه الدورات تقدم مجانًا للمستفيدين، عن بُعدٍ؛ مما يتيح الفرصة لاستفادة أي طالب علم من هذه البرامج المجانية، ويوجد جزء من المحاضرات على منصة يوتيوب.[٣٩]

كما ترتبط بالجمعية منصة يقينٍ لنقد الإلحاد واللادينية، والمعروف أنَّ التنصير الآن ينادي للإلحاد أيضًا، وليس فقط لدخول المسلمين للديانة النصرانية، فأنشئت هذه المنصة لمواجهة هذه التحديات التي نعيشها في عالمنا اليوم، وهي مشروع علمي دعوي، متفرّع عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، يقوم على رصد المدِّ الإلحادي واللاديني، والتحصين منه، ومعالجة آثاره، ومن آثاره ومميزاته: أن المشروع يقدم الدورات باللغتين العربية والإنجليزية، ويترجم الكتب والأبحاث، وينتج المقاطع المرئية في نقد الإلحاد، مع التواصل المباشر مع المتأثّرين بهذا التيار، عن طريق وسائل التواصل وغيرها؛ للسعي في إصلاحهم.

موقع الجمعية والمنصات التابعة له في نسخة تجريبية، ويحتاج لجهد أكبر، وعمل أكثر إتقانًا؛ لإبراز جهود الجمعية في مجال مواجهة التنصير في العصر الحاضر، حيث إن الجمعية من الجمعيات المعاصرة التي يحتاج إليها الباحثون من طلاب العلم، ولتصبح منارة في مجال الأديان ونقد النصرانية ومواجهتها، وقد وجدت الباحثة منهم تعاونًا كبيرًا في توفير أعداد المجلة، والتعريف بجهود الجمعية.[٤٠]

وبعد عرض بعض الجهود العظيمة المبذولة من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة فإن من المستحدثات المهمة والقيمة التي قامت بها الجامعة الإسلامية حسب ما ترى الباحثة هو التعليم التطبيقي بجانب التعليم النظري, وهو أمر تقوم به الجامعات الإسلامية في العصر الحاضر ولعله من أنفع الأمور وأجلها وأكثرها قدرة على معاصرة مجريات الزمن السريعة, إضافة إلى التطور التقني والمواكبة حيث أن الكليات والجمعيات التابعة لها حسابات في منصات التواصل الاجتماعي, وبدأت بعض الجهات بإنتاج مقاطع مرئية وهذا جهد مشكور مبارك من الجامعة.

لقد كانت الجامعة الإسلامية ولازالت حريصة على طلابها ومنتسبيها بعد تخرجهم من الجامعة, ولعل هذا الحرص يأتي نابعاً من المسؤولية تجاه الطلاب المسلمين ومجتمعاتهم, وتذهب الباحثة إلى أن هذا الحرص من الميزات المهمة في الجامعة الإسلامية, فعندما تُشاهد وتُقرأ أعمال طلابها في بلدانهم نعلم حينها أن الجامعة نجحت بمخرجاتها الإسلامية القوية وصَقل طلابها على مبادئ الإسلام الصحيحة, ولا تكاد تخلو دولة من الدول وجامعة من الجامعات الإسلامية إلا ويوجد فيها أساتذة أفاضل من طلاب الجامعة الإسلامية تركوا آثاراً طيبة في بلدانهم, ولكن بعض المخرجات تحتاج لتوثيق أكثر وأكبر مما هو عليه, فمثلا لجنة توعية الجاليات لم تجدها الباحثة إلا في الكتب والأبحاث, ولم يكن لها وجود في موقع الجامعة أو حساب خاص بها, وكثير هي الجهود الدعوية الإسلامية التي يُحتاج لتوثيقها وبيان عملها وانجازاتها

ومن أهم الأمور من وجهة نظر الباحثة التي قامت بها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: تعميق العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس طلابها، وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، ومن ثم نشر ذلك التصحيح إلى بلدان العالم الإسلامي التي تعاني الجهل وقلة العلم بالدين، فهذا من الأسس المهمة التي يرتكز عليها التمسك القوي بالإسلام، وعدم التخلي عنه أمام مغريات الدخول في النصرانية، بل إنه من أهم سبل وأسس المواجهة الصحيحة والمرتكزة ضد التنصير

وزبدة القول: إن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ستظل منفردة عن غيرها من الجامعات الإسلامية، متميزةً بهدفها، وبأسلوبها الأكاديمي الإسلامي الذي لا تشوبه شائبة، قائمة -بعد توفيق الله- بحرص ولاة الأمر، وعلماء هذه البلاد الطاهرة على نهج سنة النبي صلى الله عليه وسلم، حريصةً

---

[37] ينظر: موقع الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، استرجعت بتاريخ: ١٤٤٤/٢/٢٤ه، من موقع: https://aqeeda-new.aqedaty.com/videos.

[٣٨] ينظر: المرجع السابق.

[٣٩] ينظر: المرجع السابق.

[٤٠] ينظر: المرجع السابق.

أشد الحرص على طلابها أثناء دراستهم وبعدها في تمثيل رسالة جامعته وأهدافها، مهتمةً بنشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعن الشمس لا تسأل، فقد أصبحت مساحة الدعوة ومواجهة التنصير المنطلقة من الجامعة أرسى وأقوى المساحات.

الخاتمة:

أولا:

النتائج:

١. مما يسطر بماء الذهب أن ملوك وقيادات المملكة العربية السعودية كان لهم الدور البارز في الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، وظهرت آثار ظهوراً واضحاً في مؤسسات الدولة ومواطنوها، مما كان له الدور في تمسك أبناء المملكة بدينهم وقيمهم وصعوبة دخول أي دين دخيل عليهم.

٢. كان للجامعة الإسلامية وكوادرها ومراكزها التابعة الدور العلمي الرصين في ما يخص موضوع المواجهة للتنصير، وإخراج وتهيئة جيل ذا مستوى علمي وثقافي متميز، ولكن يغلب كثيراً على الأبحاث والرسائل العلمية التكرار وعدم مسايرة العصر الحديث، مع سيادة التشاؤم حول قوة المسلمين وشدة تمسكهم بدينهم وإعطاء القارئ الجانب المظلم حول ضعف العالم الإسلامي، مع أن الباحثة تذهب إلى خلاف ذلك.

٣. الملاحظ على بعض الأطروحات الإسلامية التي تحدثت عن النصارى والتنصير، أنها تعمد دوماً إلى قالب الحلول المثالية الجاهزة والنصائح اللامتناهية الواجبة على المجتمع والفرد المسلم، لتعش تحت وهم تأدية الدور وابراء الذمة، دون النظر إلى تعقيدات القضية ودراستها بروية وعمق علمي عملي.

٤. أن ما رُصد في هذا البحث المتواضع وغيره من الأبحاث التي تُبرز قوة المسلمين العلمية ووحدتهم الاسلامية، ما هو إلا عائق من العوائق التي تواجه العمل التنصيري وتبرز ضعفه وهوانه وعدم كفاية المسيحية كدين، مع قوة انتشار الإسلام ذاتياً في بلادهم، والنهضة العلمية والفكرية المعاصرة في العالم الإسلامي اليوم.

ثانيا: التوصيات:

١. من الضروري وجود لجان خاصة ومراكز فكرية متخصصة –في الجامعات وغيرها من المؤسسات المعنية- تتابع موضوع التنصير، وتعد الدراسات والتقارير وتُخرج الأبحاث والدراسات بشأن التطورات الجديدة، ويكون لها السبق في حفظ وتوثيق ما وصلت إليه، وإصدار نشرات حديثة في كيفية المواجهة والتحصين أمام المد التنصيري، والاهتمام بإحياء فنون المناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن كما أمر بذلك جل وعلا، وتأهيل الدعاة لذلك.

٢. تذهب الباحثة إلى ضرورة الربط بين المؤسسات الدعوية والهيئات الاغاثية والإعلامية بالجامعات الإسلامية، فالتعاون بين هذا الجهات وتكاتفها من الضروريات في اخراج الكوادر العلمية الدعوية، واجراء الأبحاث الأكاديمية ذات الصلة، وتنظيم الجهود وسيرها على مبدأ موحد، ليكون أجدى بالنتائج المرجوة.

٣. إنشاء مكتبات الكترونية متخصصة في مواجهة التنصير، مع توفير جميع الأوعية اللازمة من كتب وأبحاث ومقالات ودوريات علمية تحدثت في مضامينها حول التنصير.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

نازلة الاجتهاد الجماعي (تأصيل، وتطبيق).

د. جار الله بن عبد الله بن أحمد الجارالله

دكتوراه في أصول الفقه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

The scholars' opinions on the attribution of the Zahiri school to Ijtihad, and the reasons for their disagreement.

Dr. Jaar Allah bin Abdullah bin Ahmad Al-Jarallah

PhD in Usul al-Fiqh, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: g.a.g.05656@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

نازلة، المجامع الفقهية، الاجتهاد الجماعي.

KEY WORDS:

Challenges, Islamic jurisprudence councils, collective effort

مستخلص البحث:

أصبح الاجتهاد الجماعي ضرورة في هذه الزمن لكثرة النوازل والمستجدات في ظل التطور المدني و التقني الذي شمل جميع جوانب الحياة، وتأتي هذه الدراسة إلى الكشف عن أهمية الاجتهاد الجماعي، وأنه أقرب إلى الحق و أدعى إلى القبول والاطمئنان إذ إن من المعلوم أن رأي الجماعة أقرب إلى الصواب من رأي الفرد، وكان من أبرز النتائج والتوصيات: إعمال لمبدأ الشورى الذي حث عليه الإسلام و دعا إليه كما في قوله تعالى:﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾[آل عمران:١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾[الشورى:٣٨].

ABSTRACT:

Collective effort has become a necessity in this time due to the abundance of challenges and developments in light of the civil and technological evolution that has encompassed all aspects of life.

This study aims to reveal the importance of collective effort, which is closer to truth and claims acceptance and reassurance, as it is known that the opinion of the community is closer to correctness than the opinion of the individual.

One of the most prominent results and recommendations was the application of the principle of consultation (Shura) which Islam encourages, as stated in the Quran: "And consult them in the matter" [Al-Imran: 159], and "Those who have responded to their lord and established prayer and whose affair is [determined by] consultation among themselves" [Ash-Shura: 38].

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن من سنن الله القائمة في هذا الكون تبدل الأحوال وتغير الظروف، فلكل عصر أدواته ووسائله، ولكل أهل زمان عاداتهم وأعرافهم الخاصة.

وقد تميز هذا العصر عن العصور السابقة بالتطور المادي الذي شمل كافة نواحي الحياة، وبخاصة في مجال العلوم التكنولوجيا، وقد أفرز هذا التطور جملة من النوازل والمسائل المستجدة التي تتطلب من علماء الشريعة بذل الجهد واستفراغ الوسع في استنباط أحكامها، وبخاصة ما يمس الشأن العام السياسي والاقتصادي ومسائل الدين الكبرى.

والاجتهاد الفردي فيه يكون عرضه لمجانبة الصواب، وذلك لأن تحقق شروط الاجتهاد بات في هذه الزمن في حكم النادر.

ولهذا كان الاجتهاد الجماعي المنظم يغطي النقص الذي يكون في الأفراد، فيكون أقرب إلى الحق وأدعى إلى القبول والاطمئنان، إذ أن من المعلوم أن رأي الجماعة أقرب إلى الصواب من رأي الفرد.

فيظهر مما سبق أهمية الاجتهاد الجماعي في هذا العصر، ولهذا رأيت إفراده بالبحث، والوقوف على مشروعيته، وكيفية تطبيقه.

وجعلت عنوانه: **نازلة الاجتهاد الجماعي (تأصيل وتطبيق).**

مشكلة البحث:

أن تطور أدوات الاتصال وتقنيات التواصل، سهلت التواصل مع الناس فأصبح كثير من المنتسبين إلى العلم مما من لم يستجمع شروط الإفتاء وأدوات الاختصاص، يفتي في مسائل تعم عموم الأمة، فيجانبه الصواب وتناقض، فكانت الحاجة ماسة لاسيما في هذا العصر الذي اختص بكثرة نوازله إلى الاجتهاد الجماعي، لضبط وتنظيم الفتوى.

أهداف الموضوع:

يهدف البحث في هذا الموضوع إلى ما يأتي:

١. إبراز أهمية الاجتهاد الجماعي في هذا العصر الذي كثرت فيه النوازل المستجدات المتعلقة بالشأن العام السياسي والاقتصادي وغيره.

٢. بيان أثر المجامع الفقهية، في تنظيم الاجتهاد الجماعي.

٣. إثراء المكتبة الأصولية بدراسة تتناول الاجتهاد الجماعي وبيان مشروعيته، إذ أنه يعتبر من النوازل في هذه العصر.

الدراسات السابقة:

١. الاجتهاد الجماعي وأهميته في نوازل العصر، للدكتور: الدكتور: صالح بن عبد الله بن حميد، بحث منشور في المجمع الفقهي الإسلامي، أوجه الاتفاق تنحصر في: تعريف الاجتهاد الجماعي، وأما أوجه الاختلاف فمن عده أوجه:

أحدها: بيان نشأة المجامع الفقهية.

الثاني: بيان الفرق بين الاجتهاد الجماعي والفردي.

الثالث: بيان الفرق بين الاجتهاد الجماعي ودليل الاجماع.

الرابع: ضوابط الاجتهاد الجماعي.

الخامس: ذكر أبرز مؤسسات المجامع الفقهية مع بيان نماذج من قراراتها.

٢. الاجتهاد الجماعي في الفقه الإسلامي، للدكتور: خالد حسين خالد، بحث منشور في: مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، ومن الفوارق بين هذه الرسالة وموضوع البحث ما يلي:

أحدها: الفرق بين الاجتهاد الجماعي، والفردي.

الثاني: الفرق بين الاجتهاد الجماعي، ودليل الاجماع.

الثالث: أهمية الاجتهاد الجماعي.

الرابع: ضوابط الاجتهاد الجماعي.

٣. الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي، للدكتور: عبد المجيد السوسوه الشرفي، أوجه الاتفاق تنحصر في: تعريف الاجتهاد الجماعي، ومشروعيته؛ وأما أوجه الاختلاف فمن عده أوجه:

أحدها: بيان نشأة المجامع الفقهية، وتكييفها كنازلة.

الثاني: بيان الفرق بين الاجتهاد الجماعي والفردي.

الثالث: بيان الفرق بين الاجتهاد الجماعي ودليل الاجماع.

الرابع: ضوابط الاجتهاد الجماعي.

الخامس: ذكر أبرز مؤسسات المجامع الفقهية مع بيان نماذج من قراراتها.

٤. الاجتهاد الجماعي ودور المجامع الفقهية في تطبيقه. للدكتور: شعبان محمد إسماعيل، منشور في دار البشائر الإسلامية، أوجه الاتفاق تنحصر في: أهمية الاجتهاد الجماعي، ونشأته، ومشروعيته؛ وأما أوجه الاختلاف فمن عده أوجه:

أحداها: تعريف الاجتهاد الجماعي.

الثاني: اعتبار الاجتهاد الجماعي نازلة.

الثالث: بيان الفرق بين الاجتهاد الجماعي والفردي.

الرابع: بيان الفرق بين الاجتهاد الجماعي ودليل الاجماع.

الخامس: ضوابط الاجتهاد الجماعي.

منهج البحث:

منهج الكتابة في الموضوع ذاته، ويكون على ضوء النقاط الآتية:

١. أقوم بالاستقراء التام لمصادر المسألة، ومراجعها المتقدمة والمتأخرة.

٢. أعتمد عند الكتابة على المصادر الأصيلة في كل مسألة بحسبها.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

٣. أمهد للمسألة بما يوضحها؛ إن احتاج المقام لذلك.

٤. تكون كتابة معلومات البحث بأسلوبي، لا بالنقل بالنص، ما لم يكن المقام يتطلب ذلك.

٥. أعترف بالسبق لأهله، في تقرير فكرة، أو نصب دليل، أو مناقشة، أو ضرب مثال، أو ترجيح رأي... الخ، وذلك بذكره في صلب البحث، أو الإحالة على مصدره في الهامش، وإن لم آخذه بلفظه.

٦. رسم الآيات بالرسم العثماني مع بيان أرقامها وعزوها إلى سورها.

٧. تخريج الأحاديث من مصادرها من كتب السنة.

٨. أعزو نصوص العلماء وآراءهم لكتبهم مباشرة، ولا ألجأ للعزو بالواسطة إلا عند تعذر الأصل.

٩. أوثق المعاني اللغوية من معجمات اللغة المعتمدة.

وختامًا: فيا أيها الناظر في هذا البحث فإن لك غُنمه وعلى كاتبها غُرمه، ولك صفوه وعليه كدره؛ وهذه بضاعته المزجاة تُعرض عليك، وبنات أفكاره تُزف إليك؛ فإن صادفت كفوًا كريمًا لن تعدم منه إمساكًا بمعروف أو تسريحًا بإحسان؛ وإن كان غيره فالله المستعان؛ فما كان من صواب فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله برئ منه ورسوله.

جار الله بن عبد الله أحمد الجار الله

المبحث الأول: تعريف الاجتهاد الفردي والجماعي:

أنواع الاجتهاد عند الأصوليين من حيث الكيفية التي يتم بها ينقسم إلى نوعين:

أحدهما: الاجتهاد الفردي:

الاجتهاد لغة: الجيم والهاء والدال أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه. يقال جهدت نفسي وأجهدت والجهد الطاقة. قال الله تعالى ﴿لَّا جهدهم فيسخرون عَنْهِمْ﴾ [التوبة:٧٩].

ومنه يقال: جهد دابته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، والاجتهاد بذل الوسع، يقال: أجهد جهدك: ابلغ غايتك[١].

وعرف الأصوليون الاجتهاد الفردي بتعاريف متقاربه[٢] من أشهرها تعريف الآمدي بأنه: " باستفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه."[٣]

الثاني: الاجتهاد الجماعي:

لم يذكر علماء الأصول المتقدمين تعريفاً للاجتهاد الجماعي وعرفه المعاصرون بعدة تعريفات وفيما يلي ذكر أشهرها.

- عرف الدكتور: صالح بن عبد الله بن حميد الاجتهاد الجماعي بأنه " بذل جمع من الفقهاء وسعهم مجتمعين لتحصيل حكم شرعي.[٤]
- وعرفه الدكتور: خالد حسين الخالد بتعريف قريب من تعريف الدكتور صالح حيث عرفه بانه:" بذل فئة من الفقهاء جهودهم في البحث والتشاور لاستنباط حكم شرعي لمسألة ظنية". [٥]
- اختارت ندوة الإمارات تعريف الدكتور عبد الناصر العطار حيث عرفه بانه " اتفاق أكثر من مجتهد بعد تشاور بينهم على حكم شرعي مع بذلهم غاية وسعهم في استنباطه من أدلته. [٦]
- يظهر من هذه الحدود والتعريفات قربها من بعض واتفاقهم في حد التعريف بأن يكون مجموعة من الفقهاء والمجتهدين، وأقرب هذه التعاريف للاجتهاد من جهة اللغة ومن تعريف الاجتهاد الفردي هو تعريف الدكتور عبد المجيد الشرقي حيث عرفه بأنه:" استفراغ أغلب الفقهاء الجهد لتحصيل ظن بحكم شرعي بطريق الاستنباط، واتفاقهم جميعاً أو أغلبهم على الحكم بعد التشاور"[٧].

المبحث الثاني: نشأة الاجتهاد الجماعي ونازلة المجامع الفقهية ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: نشأة الاجتهاد الجماعي.

ظهر الاجتهاد الجماعي منذ ظهور الإسلام تفعيلاً لمبدأ الشورى الذي أرشد وحث على اللجوء إليه في الأمور كلها، بقوله سبحانه: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ [الشورى:٣٨]. و كان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه امتثالاً لأمر الله سبحانه بقوله ﴿وشاورهم فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا

---

[١]- ينظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ (١ / ٤٨٧)، وزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت. (١ / ٦٣)، ومجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب، تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ (٢٧٥).

[٢] - ينظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، *المستصفى*، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ (٣٤٢)، وسليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي، شرح مختصر الروضة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ (٣ / ٥٧٥).

[٣] - علي بن محمد الآمدي، *الإحكام في أصول الأحكام*، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت) الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ (٤ / ١٦٢).

[٤] - الدكتور: صالح بن عبد الله بن حميد، *الاجتهاد الجماعي وأهميته في نوازل العصر*، الناشر: المجمع الفقهي الإسلامي – مكة المكرمة – ١٤٣٠ه. (١٦).

[٥] - الدكتور: خالد حسين خالد، *الاجتهاد الجماعي في الفقه الإسلامي*، الناشر: مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ه. (١٠٠)

[٦] - أبحاث ندوة الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي (٣١).

[٧] - الدكتور: عبد المجيد السوسوه الشرفي، *الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي*، الناشر: كتاب الأمة، الطبعة الأولى: ١٤١٨ه. (٤٦).

عزمت فتوكل ﴿عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، و استلهم صحابته هذا المعنى بالشورى بالأحكام الشرعية فقد كان أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذا وردت عليه مسألة نظر في كتاب الله فإن لم يجد نظر في سنة النبي صلى الله عليه و سلم فإن لم يجد خرج فسأل المسلمين و استشارهم فإذا اجتمع أمرهم على رأي قضى به [٨]، و تبعه في ذلك عمر ابن الخطاب قال ابن القيم في إعلام الموقعين :" وكانت النازلة إذا نزلت بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ليس عنده فيها نص عن الله ولا عن رسوله جمع لها أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم جعلها شورى بينهم."[٩]

وقد سار التابعون على منهج الصحابة حيث روي عن عمر ابن عبد العزيز أنه كان يجمع فقهاء المدينة ويستشيرهم حينما كان والياً عليهم [١٠] ، قال الإمام مالك:" أدركت هذا البلد وما عندهم إلا الكتاب والسنة فإذا نزلت نازلة جمع الأمير لها من حضر من العلماء فما اتفقوا عليه انفذه" [١١].

وحاصل القول إن الاجتهاد الجماعي كان منذ بداية القرن الأول تجسيداً لمبدأ المشاورة مع أصحاب العلم والرأي والأخذ بما اتفقوا عليه.

المطلب الثاني: نازلة المجامع الفقهية مع ذكر مؤسساتها [١٢] :

يعتبر الاجتهاد الجماعي الذي يكون بشكل مؤسسي مقنن يتخذ شكل مجمع علمي أو هيئة شرعية أو ما شابه ذلك من النوازل في هذه العصر فقد شهد بدايات القرن الرابع عشر الهجري دعوات عدد من العلماء والباحثين إلى إحياء الاجتهاد الجماعي ومن أولئك العلماء الذين طالبوا بهذا المسلك الاجتهادي المنظم الطاهر ابن عاشور - رحمه الله – حيث يقول: " وإن أقل ما يجب على العلماء في هذا العصر أن يبتدئوا به من هذا الغرض العلمي أن يسعوا إلى جمع مجمع علمي يحضره أكبر العلماء بالعلوم الشرعية في كل قطر إسلامي على اختلاف مذاهب المسلمين في الأقطار، ويبسطوا بينهم حاجات الأمة، ويصدروا فيها عن وفاق فيما يتعين عمل الأمة عليه"[١٣].

وأعقب دعوة الطاهر ابن عاشور تأييد كثير من العلماء كمصطفى الزرقا وغيره فخرج إلى الوجود عدد من المجامع والهيئات واللجان الفقهية والشرعية والعلمية منها:

١– مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر:

فقد صدر عام ١٣٨١هـ قرار بإنشاء هذا المجمع، الذي يقوم بدراسة ما يتصل بالبحوث الإسلامية، وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية، ويتألف من خمسين عضواً من العلماء والمختصين من المذاهب الإسلامية، ويكون من بينهم عدد لا يزيد عن العشرين من غير المصريين، ويكون نصف الأعضاء على الأقل متفرغين لعضويته، ويعين العضو بقرار من رئيس الجمهورية، ويكون شيخ الأزهر رئيساً لهذا المجمع.

وقد عقد المجمع أول مؤتمر له في القاهرة عام ١٣٨٣هـ، وطبعت التوصيات والبيانات الصادرة عنه حتى العام ١٤٠٣هـ.

٢ – هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية:

ألفت بموجب أمر ملكي عام ١٣٩١هـ، ومهمتها إبداء الرأي فيما يحال إليها من ولي الأمر لأجل بحثه وتكوين الرأي المستند إلى الأدلة الشرعية فيه، وتنعقد جلساتها كل ستة أشهر ويرأسها سماحة المفتي العام للمملكة، وتتفرع عنها اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وتصدر الأمانة العامة للهيئة دورية (ثلاث مرات في السنة) باسم مجلة البحوث الإسلامية، تتضمن طائفة من فتاوى اللجنة الدائمة، وفتاوى سماحة المفتي العامة، وبعض البحوث الشرعية.

٣ – اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية:

تتفرع عن هيئة كبار العلماء، ويختار أعضاؤها من بين أعضاء الهيئة بأمر ملكي، ومهمتها إعداد البحوث وتهيئتها للمناقشة من قبل الهيئة وإصدار الفتاوى في الشؤون الفردية بالإجابة عن أسئلة المستفتين دون تقيد بمذهب معين، وقد جمعت فتاوى اللجنة في مجلدات تيسيراً لمن أراد الاطلاع والإفادة.

---

(٨) – ينظر: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام الدارمي، *سنن الدارمي*، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م (١ / ٢٦٢) برقم (١٦٣).

(٩) – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، *إعلام الموقعين عن رب العالمين*، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (١ / ٦٧).

(١٠) – ينظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق: إشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ (٥ / ١١٨).

(١١) – ينظر: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م. (٦ / ٣٣٢).

(١٢) - الاجتهاد الجماعي وأهميته في نوازل العصر د: صالح بن حميد (٢٣) وما بعدها.

(١٣) - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م. (٤٠٨-٤٠٩).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

٤ ـ المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة:

وقد أنشئ هذا المجمع سنة ١٣٩٨هـ لدراسة أمور المسلمين الدينية والفقهية، والنظر في الوقائع الجديدة في شؤون الحياة.

ويتألف من رئيس ونائب له وعشرين عضواً من العلماء المتميزين بالنظر الفقهي والأصولي، وقد عقدت الدورة الأولى للمجمع في شعبان عام ١٣٩٨هـ.

وتصدر عن المجمع مجلة دورية تتضمن بحوثاً فقهية، وبعض قرارات المجمع وفتاوى وملخصات وتقارير علمية.

وقد جمعت القرارات الصادرة عن المجمع حتى الدورة السادسة عشرة في كتاب واحد صدر عام ١٤٢٢هـ.

٥ ـ مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي:

صدر قرار مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بإنشاء مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ويتألف المجمع من أعضاء عاملين، ويكون لكل دولة من دول منظمة المؤتمر الإسلامي عضو عامل في المجمع يتم تعيينه من قبل دولته، وللمجمع بقرار منه أن يضم لعضويته من تنطبق عليهم الشروط من علماء وفقهاء المسلمين والجاليات المسلمة في الدول غير الإسلامية.

وقد عقد اجتماع المجلس التأسيسي للمجمع عام ١٤٠٣هـ وكانت دورته الأولى في مكة المكرمة في شهر صفر من العام ١٤٠٥هـ ويجتمع مجلس المجمع في دورة سنوية، ومقره الرئيس في محافظة جدة، ويقوم بدراسة مشكلات الحياة المعاصرة، والاجتهاد فيها لتقديم الحلول النابعة من الشريعة الإسلامية.

وتصدر عن المجمع مجلة تتضمن البحوث المقدمة إليه والقرارات الصادرة عنه، ونصوص وقائع جلسات المجمع بما في ذلك العرض والمناقشة، كما يلحق بها الوثائق المتعلقة بكل دورة، وقد طبعت القرارات والتوصيات الصادرة عن المجمع حتى الدورة العاشرة.

٦ ـ مجمع الفقه الإسلامي بالهند:

أنشئ هذا المجمع عام ١٩٨٨م، ويهدف إلى البحث عن الحلول لمستجدات العصر والمشاكل الناجمة عن ذلك وفق الأطر الإسلامية، ويشارك في ندوات المجمع السنوية نخبة من العلماء يزيد عددهم عن ستمائة عالم معظمهم من الهند، وعقدت الندوة الأولى له في نيودلهي عام ١٩٨٩م، وقد جمعت قراراته وتوصياته في كتاب طبع باسم (قضايا معاصرة) في العام ١٤٢٠هـ.

٧ ـ مجمع الفقه الإسلامي بالسودان:

صدر نظام هذا المجمع وتم اعتماده في شهر شعبان عام ١٤١٩هـ، ويضم مجلسه أربعين عضواً من الفقهاء والعلماء والخبراء جميعهم من جمهورية السودان، وله هيئة للمستشارين من ممثلي المجامع الفقهية والبحثية من خارج السودان وقد عقد المجمع مؤتمره الأول عام ١٤٢٢هـ.

وتصدر عن المجمع مجلة حولية تتضمن بحوثاً فقهية وبعض قرارات المجمع، وقد صدر العدد الأول من المجلة عام ١٤٢٢هـ.

٨ ـ رابطة علماء المغرب:

تعنى ببحث المسائل الفقهية المعاصرة والنوازل، وتجمع معظم علماء المغرب، ومقرها الرباط، وتصدر عنها مجلة باسم مجلة الرباط.

٩ ـ قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية في الكويت:

يتبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، وقد صدرت عنه مجموعة الفتاوى الشرعية في ثلاث مجلدات.

١٠ ـ المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث:

وهو هيئة علمية متخصصة مستقلة، مقرها في إيرلندا، وقد عقد لقاؤه التأسيسي عام ١٤١٧هـ في لندن بدعوة من اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، ويهدف المجلس إلى إيجاد التقارب بين علماء الساحة الأوروبية، والعمل على توحيد الآراء الفقهية فيما بينهم، وإصدار فتاوى جماعية تسد حاجة المسلمين في أوروبا، وإصدار البحوث والدراسات الشرعية في المستجدات على الساحة الأوروبية.

١١ ـ مجمع فقهاء الشريعة في أمريكا:

وهو مؤسسة علمية تسعى لبيان أحكام الشريعة فيما يعرض للمقيمين في أمريكا من النوازل، ومقرها واشنطن.

وقد زامن هذه المجامع وتلاها في الظهور عدد من اللجان والهيئات الشرعية التي تعنى بالاجتهاد الجماعي، وأسهم الازدهار المادي والحضاري في توسع تلك اللجان والهيئات وبخاصة فيما يتصل بالنشاط المصرفي والمالي إذ تعددت هيئات الرقابة الشرعية الملحقة بعدد من المصارف والمؤسسات المالية لدراسة ما يستجد في ميدان المعاملات المالية المعاصرة وتصدر قرارات تلك الهيئات بأغلبية أعضائها، ومنها:

١. اللجنة الشرعية بمصرف الراجحي في المملكة العربية السعودية.
٢. اللجنة الشرعية ببنك البلاد في المملكة العربية السعودية.
٣. الهيئة الشرعية العالمية للزكاة بالكويت.
٤. بيت التمويل الكويتي.

المبحث الثالث: مشروعية الاجتهاد الجماعي:

اختلف العلماء المعاصرون في مشروعية الاجتهاد الجماعي على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الاجتهاد الجماعي يجب المصير إلى حكمه فهو بمنزلة الإجماع الصريح.

القول الثاني: أن الاجتهاد الجماعي ليس بحجة ولا يجب المصير إلى حكمه.

القول الثالث: أن الاجتهاد الجماعي حجة وهو بمنزلة الإجماع السكوتي.

- دليل القول الأول:

- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة"[١٤].

وجه الدلالة: أن هذا يدل بمفهومه على هذه الأمة إذا أجمعت فهي على حق وهذا يمكن في الاجتهاد الجماعي بحث يجمع علماء العصر بالعلوم الشرعية ويصدروا فيها عن وفاق حكماً شرعياً فيكون هو الإجماع الصريح الذي يتعين وجوب عمل الأمة عليه[١٥].

نوقش من وجهين:

الوجه الأول: أن الاجتهاد الجماعي ينعقد ويتحقق باجتماع أهل مذهب واحد، فلا يصح أن يكون بمنزلة الإجماع الصريح الذي لابد من إجماع جميع المذهب.

الوجه الثاني: أن الاجتهاد الجماعي يتحقق برأي أغلب مجتهدي العصر، والإجماع الصريح من شرطة أتفاق جميع الأمة.

- تعليل القول الثاني:

أن بالنظر إلى تطبيق الاجتهاد الجماعي في الوقت الحاضر فإنه لا يصدر عن وفاق بين العلماء بل جملة منهم، والنصوص دلّت على عصمة الأُمَّة عن الخطأ، ولفظ الأُمَّة إنما يُطلق حقيقة على جميع الأُمَّة، ولا يُطلق على أكثر الأُمَّة.

نوقش:

أن يسلم بإن الاجتهاد الجماعي لا يصدر عن وفاق بين علماء الأمة ولكن يصدر عن غالبهم وإقرار باقي العلماء، فدل على موافقتهم إياه.

تعليل القول الثالث:

أن الاجتهاد الجماعي أقرب إلى الإجماع السكوتي حيث إن الإجماع السكوتي هو قول الواحد إذا انتشر ولم يعلم له مخالف [١٦]، والاجتهاد الجماعي هو قول جماعة من مجتهدي العصر وانتشر ولم يعلم لهم مخالف [١٧].

الراجح:

يترجح عندي والله أعلم القول الثالث القاضي بأن الاجتهاد الجماعي حجة، لكونه قول جماعة تناظروا وتذاكروا ثم اتفقوا على رأي وانتشر ولم يعلم له مخالف.

وقد تبث مشروعية الاجتهاد الجماعي بالكتاب والسنة وإجماع العلماء.

- **الكتاب:**

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رحمة مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى:٣٨].

- وغيرها من الآيات الدالة على أهمية المشاورة والحث عليه ومدح فاعله، والاجتهاد الجماعي قائم على المشاورة.

- **السنة:**

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم مشاورته لأصحابه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٨]، فمن أمثلة مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه.

- مشاورته لأبي بكر وعمر في أسرى بدر بقوله: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟».[١٩]

- مشاورته لأصحابه يوم أحد في المقام بالمدينة أو الخروج لمواجهة قريش فأخذ برأي الأغلب بالخروج إلى قريش. [٢٠]

الإجماع:

أجمع العلماء على مشروعية التشاور بالاجتهاد الجماعي واستحبابه في حق الأمة قال النووي رحمه الله "التشاور في الأمور لاسيما المهمة وذلك مستحب في حق الأمة بإجماع العلماء"[٢١].

المبحث الرابع: الفروق ذات الصلة بالاجتهاد الجماعي، ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: الفرق بين الاجتهاد الجماعي والفردي:

١. من أهم الفروق بين الاجتهاد الجماعي والفردي: الاجتهاد الجماعي مبني على التشاور بالإجماع أو الأغلبية، أما الاجتهاد الفردي مبني على اجتهاد المجتهد بنفسه.

---

[١٤] -محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، *جامع الترمذي*، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٤١٧ه. (٤ / ٤٦٦) برقم (٢١٦١).

[١٥] - مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، (٤٠٨-٤٠٩)، بتصرف.

[١٦] - ينظر: المستصفى للغزلي (١ / ١٩١)، الإحكام للآمدي (١ / ٢٥٢).

[١٧] - الأستاذ الدكتور: أحمد بن عبر الله الضويحي، *النوازل الأصولية*، الناشر: كلية الشريعة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ. (٥٨)، الاجتهاد الجماعي في الفقه الإسلامي للدكتور خالد الخالد (٢٣٣).

[١٨] – سنن الترمذي (٤ / ٢١٣) برقم ١٧١٤.

[١٩] – كما في صحيح مسلم " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيبا لعمر، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها "(٣ / ١٣٨٣) رقم (١٧٦٣).

[٢٠] – كما في صحيح البخاري " شاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج، فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أقم، فلم يمل إليهم بعد العزم، وقال: «لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله» (٩ / ١١٢).

[٢١] – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ (٤ / ٧٦).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

٢. أن الاجتهاد الجماعي يكمل بعضهم البعض في شروط الاجتهاد التي نص عليها علماء الأصول، بخلاف الاجتهاد الفردي الذي لابد من توفر جميع شروط الاجتهاد(٢٢).

٣. أن الاجتهاد الجماعي يحد من الخلاف بين مجتهدي العصر وذلك لاجتماعهم في مكان واحد يسهل فيه تحرير محل النزاع وتمحيص الأدلة، وأما الاجتهاد الفردي فقد يخالف غيره من المجتهدين لعدم فهم مراده وعند التحقيق يكون الخلاف لفظي(٢٣).

المطلب الثاني: الفرق بين الاجتهاد الجماعي ودليل الإجماع:

أهم الفروق بين الاجتهاد الجماعي ودليل الإجماع:

دليل الإجماع لابد من اتفاق جميع المجتهدين، أما الاجتهاد الجماعي فيكفي فيه اتفاق أو أغلبيه جماعة من مجتهدي العصر.

دليل الإجماع لابد من اعتباره اتفاق جميع المذاهب المعتبرة، وأما الاجتهاد الجماعي فلا يشترط اتفاق جميع المذاهب بل قد يُكتفى بمذهب واحد.

أن دليل الإجماع لا ينعقد إلا من المجتهدين في علوم الشريعة وأما الاجتهاد الجماعي لا يلزم أن يكون جميع أعضائه من مجتهدي الشريعة بل قد يدخل معهم أعضاء من تخصصات أخرى كالطب وغيره.

دليل الإجماع قطعي الدلالة والثبوت، بخلاف الاجتهاد الجماعي الذي يعتبر ظنياً.

ويظهر -والله أعلم- أن الاجتهاد الجماعي أقرب إلى الإجماع السكوتي حيث إن الإجماع السكوتي هو قول الواحد إذا انتشر ولم يعلم له مخالف (٢٤)، والاجتهاد الجماعي هو قول جماعة من مجتهدي العصر وانتشر ولم يعلم لهم مخالف(٢٥).

المبحث الخامس: أهمية الاجتهاد الجماعي وضوابطه، ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: أهمية الاجتهاد الجماعي:

تبرز أهمية الاجتهاد الجماعي من خلال النقاط الآتية:

١. إعمال لمبدأ الشورى الذي حث عليه الإسلام ودعا إليه كما في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى:٣٨]. (٢٦).

٢. كثرة النوازل والمستجدات في ظل التطور المدني والتقني الذي شمل جميع جوانب الحياة وهذا يتطلب ضرورة الاجتهاد الجماعي.

٣. أن تحقق شروط بلوغ درجة الاجتهاد بات في حكم النادر في هذا العصر فمن خلال الاجتهاد الجماعي المنظم يغطي النقص الذي قد يكون في الأفراد، فإن تحقق شروط الاجتهاد في مجموع المجتهدين أقرب من تحققه في أفرادهم(٢٧).

٤. أن الاجتهاد الجماعي أقرب إلى الحق وأدعى إلى القبول والاطمئنان إذ إن من المعلوم أن رأي الجماعة أقرب إلى الصواب من رأي الفرد(٢٨).

المطلب الثاني: ضوابط الاجتهاد الجماعي وآلية التصويت فيه.

- تعتني مؤسسات الاجتهاد الجماعي بضوابط يتم من خلالها اختيار العضو ومن نماذج هذه الضوابط:

أ. مجمع الفقه الإسلامي حيث ذكرت في المادة التاسعة:" يشترط أن يتوفر في عضو المجمع ما يلي:

١. الالتزام بالدين الإسلامي عقدة وسلوكاً.

٢. سعة الاطلاع وعمقه في العلوم الإسلامية عامة والشريعة منها بوجه خاص، فضلاً عن معرفته بواقع العالم الإسلامي.

٣. ألا يكون قد صدر ضده حكم مخل بالشرف أو الأمانة.

٤. أن يكون العضو العامل متمكناً من اللغة العربية (٢٩).

ب. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر حيث ذكرت في المادة السابعة عشر: "يشترط في عضو المجمع:

١. ألا يقل عن أربعين سنة.

٢. أن يكون معروفاً بالورع والتقوى في ماضيه وحاضره.

٣. أن يكون حائزاً لأحد المؤهلات العلمية العليا من الأزهر أو إحدى الكليات أو المعاهد العليا التي تهتم بالدراسات الإسلامية.

٤. أن يكون له إنتاج علمي بارز في الدراسات الإسلامية أو اشتغل بالتدريس لمادة من مواد الدراسات الإسلامية في كلية أو معهد من معاهد التعليم العالي لمدة أدناها خمس سنوات أو شغل إحدى الوظائف الإسلامية في القضاء أو الإفتاء أو التشريع لمدة أدناها خمس سنوات"(٣٠).

- **آلية التصويت في المجامع الفقهية:**

- تصدر الهيئات والمجامع الفقهية القرار بناءً على تصويت الأغلبية المطلقة للحاضرين من الأعضاء وإذا تساوت يعتبر صوت الرئيس مرجحاً (٣١)

---

(٢٢) - النوازل الأصولية للأستاذ الدكتور: أحمد الضويحي (٥٦).

(٢٣) المرجع نفسه (٥٧).

(٢٤) - ينظر: المستصفى للغزلي (١ / ١٩١)، الإحكام للآمدي (١ / ٢٥٢).

(٢٥) - النوازل الأصولية للأستاذ الدكتور: أحمد الضويحي (٥٨)، الاجتهاد الجماعي في الفقه الإسلامي للدكتور خالد الخالد (٢٣٣).

(٢٦) الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي (٧٨).

(٢٧) - النوازل الأصولية للأستاذ الدكتور: أحمد الضويحي (٥٥).

(٢٨) - الاجتهاد الجماعي وأهميته في نوازل العصر د: صالح بن حميد (٢١).

(٢٩) - الدكتور شعبان محمد إسماعيل، *الاجتهاد الجماعي ودور المجامع الفقهية في تطبيقه*، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ (٢٠٠).

(٣٠) – المرجع نفسه (١٣٩).

(٣١) – ندوة الاجتهاد الجماعي بحث بعنوان (الاجتهاد الجماعي في هيئة كبار العلماء ولجنة الإفتاء بالمملكة العربية السعودية. أ.د. عبد الله المطلق) (١ / ٣٠٥).

المبحث السادس: نماذج مختصرة من أحكام المجامع الفقهية(٣٢) :

تعتبر قرارات مؤسسات الاجتهاد الجماعي لها آثر كبير في بيان الأحكام الشرعية وخاصة في النوازل الفقهية وفيما يلي ذكر عشرة نماذج مختارة من قرارات مؤسسات الاجتهاد الجماعي مكتفياً بالموضوع وخلاصة الحكم مع ذكر المؤسسة والتاريخ.

- النموذج الأول: حكم تغير رسم المصحف العثماني، **خلاصة الحكم فيه: لا** يجوز تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي حفظاً له من التغيير واتباعاً للصحابة، **المصدر** المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، **التاريخ** ربيع الآخر ١٤٠٤ه

- النموذج الثاني: التأمين التجاري، **خلاصة الحكم فيه:** التأمين التجاري محرم لاشتماله على الغرر الفاحش ولأنه من ضروب المقامرة لما فيه من المخاطرة ولاشتماله على ربا الفضل والنسا وهو من الرهان المحرم، **المصدر** هيئة كبار العلماء بالسعودية، **التاريخ** ربيع الآخر ١٣٩٧ه.

- النموذج الثالث: حكم جمعيات الموظفين، **خلاصة الحكم فيه:** ما يسمى بجمعيات الموظفين لا مانع منها لأن فيها مصلة لهم جميعاً من غير ضرر على واحد منهم أو زيادة نفع لآخر، والشارع لا يرد بتحريم المصالح التي لا مضرة فيها على أحد، **المصدر** هيئة كبار العلماء بالسعودية، **التاريخ** صفر ١٤١٠ه

- النموذج الرابع: حكم إجراء النكاح بالآت الاتصال الحديثة، **خلاصة الحكم فيه:** لا يعتبر إجراء النكاح على الانترنت بالفيديو والهاتف لكونه عقداً يحمل خطورة أكثر من البيع وفيه جانب تعبدي ويشترط فيه شاهدان، **المصدر** مجمع الفقه الإسلامي بالهند: ٢٠٠١م

- النموذج الخامس: تحديد النسل، **خلاصة الحكم فيه:**١-لا يجزز شرعاً وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأي وجه من الوجوه .٢- الإجهاض بقصد تحديد النسل أو استعمال الوسائل التي تؤدي إلى العقم لهذا الغرض أمر لا تجوز ممارسته شرعاً للزوجين ولغيرهما. **المصدر** مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة **التاريخ** محرم ١٣٨٥ه

- النموذج السادس: تحديد نوع المولود بالجدول الصيني، **خلاصة الحكم فيه:** تحديد نوع المولود بموجب ما يسمى بالجدول الصيني عن طريق عمر الأم ومعرفة الشهر الميلادي لظهور الحمل، كذب وباطل لأنه يؤدي إلى ادعاء علم الغيب والذي لا يعلمه إلا الله، ويجب إتلاف هذا الجدول وعدم تداوله، **المصدر:** اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء **التاريخ** محرم ١٤٢٢ه

- النموذج السابع: أطفال الأنابيب **خلاصة الحكم فيه:** إذا كان التلقيح بين الزوجين بأن يتم التلقيح داخلياً أو خارجياً فلا حرج فيه عند الحاجة مع ضرورة الأخذ بكل الاحتياطات اللازمة، **المصدر** مجمع الفقه الإسلامي بجدة، **التاريخ:** صفر ١٤٠٧ه

- النموذج الثامن: تقرير حصول الوفاة ورفع أجهزة الإنعاش من جسم الإنسان، **خلاصة الحكم فيه:** إذا تعطلت جميع وضائف الدماغ تعطلاً لا رجعة فيه بتقرير ثلاثة أطباء اختصاصيين جاز رفع أجهزة الإنعاش ولو كان القلب أو غيره يعمل بالأجهزة المركبة، **المصدر:** المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، **التاريخ:** صفر ١٤٠٨ه.

- النموذج التاسع: زراعة الأعضاء، **خلاصة الحكم فيه:** أخذ عضو من إنسان حي لإنسان آخر عمل مشروع وحميد بشرط ألا يخل ذلك بحياة المتبرع وألا يكون مكرهاً وأن يكون زرع العضو هو الوسيلة الوحيدة وأن يكون نجاح العملية النزع والزرع متحققاً في الغالب، **المصدر:** المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، **التاريخ:** ربيع الآخر ١٤٠٥ه

- النموذج العاشر: حكم تشريح حثث الموتى، **خلاصة الحكم فيه:** يجوز تشريح جثة الآدمي لأجل التحقيق من دعوى جنائية أو أمراض وبائية لما في ذلك من المصالح الكثيرة، ويكتفى بتشريح جثث أموات غير معصومين لأجل التعلم والتعليم حفظاً لكرامة المسلم، **المصدر** هيئة كبار العلماء بالسعودية

التاريخ: شعبان ١٣٩٦ ه

الخاتمة، وتشتمل أبرز النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من جاء بخاتمة الرسالات، وإمام المتقين، وسيد الخلق أجمعين، محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد حاولت في هذا البحث دراسة نازلة الاجتهاد الجماعي، وبيان مشروعيته، والفرق بينه وبين المصطلحات ذات الشبه كدليل الاجماع، والاجتهاد الفردي، وتوضيح أهميته، وأبرز ضوابطه، مع ذكر نماذج مختصره من أحكام المجامع الفقهية.

وحرصت في هذا البحث على كتابته بأسلوبي، وترك النقل بالنص ما أمكن، والتوطئة لكل مبحث بما يوضحه، والعناية بضرب الأمثلة، ومحاولة استيفاء المادة العلمة لكل مبحث، وحسبي أنني حاولت مجتهدًا إلقاء الضوء على أهم جوانبه، فما كان في هذا العمل من حق وصواب فبتوفيق من الباري سبحانه، وما كان من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان.

---

(٣٢) - ينظر: الدكتور: محمد بن حسين الجيزاني، *فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية*، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ه. (١٣٥ وما بعدها).

وقد خرجت من دراسة هذه الموضوعات بعدة نتائج:

أحدها: أن المراد بالاجتهاد الجماعي هو: استفراغ أغلب الفقهاء الجهد لتحصيل ظن بحكم شرعي بطريق الاستنباط، واتفاقهم جميعاً أو أغلبهم على الحكم بعد التشاور.

الثاني: أن الاجتهاد الجماعي يعتبر من النوازل في هذه العصر من جهة أنه عمل مؤسسي مقنن يتخذ شكل مجمع علمي أو هيئة شرعية أو ما شابه ذلك من النوازل وكانت بداية ذلك في القرن الرابع عشر.

الثالث: أن الراجح في الاجتهاد الجماعي أنه حجه، ويتخرَّج من أصل الاجماع السكوتي، فهو في حقيقته قول لجماعه من العلماء تناظروا وتذاكروا ثم اتفقوا على رأي وانتشر ولم يعلم له مخالف.

الرابع: تظهر أهمية الاجتهاد الجماعي في هذا الزمن لكثرة النوازل والمستجدات في ظل التطور المدني والتقني الذي شمل جميع جوانب الحياة وهذا يتطلب ضرورة الاجتهاد الجماعي.

التوصيات والمقترحات:

يوصي الباحث بتطوير الاجتهاد الجماعي في النوازل المعاصرة، من خلال الرجوع إلى المختصين والخبراء في تلك النازلة؛ لفهم النازلة بالشكل الذي يوصل إلى معرفة حكمها.

المراجع:

- **النوازل الأصولية**، تأليف: تأليف: الأستاذ الدكتور: أحمد بن عبر الله الضويحي، الناشر: كلية الشريعة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.
- **مقاصد الشريعة الإسلامية**، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- **معجم مقاييس اللغة**، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ.
- **المستصفى**، تأليف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.
- **مختار الصحاح**، تأليف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت.
- **القاموس المحيط**، تأليف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب، تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ.
- **فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية**، المؤلف: الدكتور: محمد بن حسين الجيزاني، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ه.
- **صحيح مسلم**، تأليف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: ١٣٣٤ هـ.
- **صحيح البخاري**، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الناشر: دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **شرح مختصر الروضة**، تأليف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **سير أعلام النبلاء**، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: إشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن**، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- **جامع الترمذي**، تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٤١٧ه.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، تأليف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت أعوام النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ)
- **الإحكام في أصول الأحكام**، تأليف: علي بن محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت) الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ
- **الاجتهاد الجماعي وأهميته في نوازل العصر**، تأليف: الدكتور: صالح بن عبد الله بن حميد، الناشر: المجمع الفقهي الإسلامي – مكة المكرمة – ١٤٣٠ه.
- **الاجتهاد الجماعي ودور المجامع الفقهية في تطبيقه**، تأليف: الدكتور شعبان محمد إسماعيل، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٤١٨ه
- **الاجتهاد الجماعي في الفقه الإسلامي**، تأليف: الدكتور: خالد حسين خالد، الناشر: مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ه.
- **الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي**، تأليف: الدكتور: عبد المجيد السوسوه الشرفي، الناشر: كتاب الأمة، الطبعة الأولى: ١٤١٨ه.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

العقيدة وأثرها على سلوك المسلم

Belief and its impact on Muslim behavior

أ. بخيت رده العمري

طالب دراسات عليا بجامعة المدينة العالمية بماليزيا- كلية العلوم الإسلامية (قسم الحديث).

BAKHIT RADDAH ATTIATULLAH ALOMARI

Postgraduate student at Madinah International University, Malaysia (Department of Hadith).

E-mail: Aboazoz2551391@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

العقيدة والإيمان ـ الإحياء والإماتة ـ الوسائل المتبعة ـ الإخلاص.

KEY WORDS:

Belief and Faith - Revival and Death - Methods Followed – Sincerity

مستخلص البحث:

إن العقيدة الإسلامية أساس العمل وصلاحه فهي بمثابة أساس البينيان الذي يبنى عليه غيره، وأن بينها وبين العمل السلوكي علاقة طردية، وهي عمل قلبي بينما السوك عمل الجوارح، وإن فسادها سبب لحبوط العمل وإن كان العمل السلوكي صحيح في صورته الظاهرة وليس العكس فقد يكون العمل فاسداً والعقيدة صحيحة.

والعقيدة الصحيحة التي لا يشوبها خلل أو تحريف فإنها ربانية المصدر فيجب أخذها من مصادرها الشرعية (الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة).

ولو طبقت العقيدة الصحيحة لكان من لوازم ذلك الأمن والسكون والعدل في أرض الله ولدخل الناس في دين الله أفواجاً، ولكن عندما يخالف المعتقد السلوك بحيث لا يصيران سوياً في اتجاه واحد، فإن النتيجة لامحالة يكون فيها خلل قد يؤدي إلى عقاب من الله عاجلاً أم آجلاً ولواقع والمشاهد يشهد بذلك قال تعالى " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً" فالمسلمون بأشد الحاجة للربط بين العمل الظاهر والعمل الباطن وفق شريعة الله، وليس وفقاً لأهواء متبعة أو شريعة مبتدعة.

وما أشد حاجة العالم إلى نشر العقيدة الصحيحة التي تخرجه من ظلمات الشك والشرك إلى نور العقيدة الناصعة الساطعة.

ABSTRACT:

The Islamic faith is the basis of work and its goodness, it serves as the basis of the interanion on which others are built, and that between it and the behavioral work is a direct relationship, which is the work of the heart, while the sock is the work of the limbs, and its corruption is a reason for the frustration of the work, although the behavioral work is correct in its apparent form and not vice versa, the work may be corrupt and the belief is correct.

The correct doctrine that is not tainted by defect or distortion is divine in the source and must be taken from its legitimate sources (the Qur'an and the authentic and fixed Sunnah)

If the correct belief was applied, it would have been one of the requirements of that security, tranquility and justice in the land of God and people would have entered the religion of God in droves, but when belief violates behavior so that they do not become together in one direction, the result inevitably has a defect that may lead to punishment from God sooner or later and the reality and the viewer testifies to this The Almighty said, "If they did what they preach, it would have been good for them and more confirmed." Muslims are in dire need of linking the apparent work with the inner work

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى، فجعل عقيدة التوحيد هي مناط الأعمال وأساس في صحة الأعمال وقبولها، وصلى الله وسلم على من تركنا على البيضاء النقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاّ هالك وبعد:

فإن العمل الصالح المقبول عند الله لا يكون كذلك إلاّ عندما يسبقه عقيدة صحيحة لا يشوبها شائبة من شرك صغير أو كبير فالسلوك والاعتقاد متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر من هنا جاءت أهمية العلاقة بين تلك العبادتين أعني السلوك (عمل الجوارح) وعمل القلب ....

أهمية الموضوع:

لما كان البعض يهتم اهتماما بالغاً بعبادة الجوارح (الأعمال الظاهرة) ويتساهل أو يغفل عن عبادة القلب وهي عبادة الباطن وقع كثير من المسلمين في أمور شركيه عظيمة إما جهلاً منه أو اعتقادا، فجاءت أهمية هذا البحث لبيان ذلك....

فكرة الموضوع: جاءت فكرة الموضوع لما رأيت من بالغ الأهمية بربط علاقة العقيدة بالسوك وأنهما صنوان لا ينفك أحدهما عن الأخر.

أهداف البحث:

١ـ أهمية تصحيح العقيدة

٢ـ أثر العقيدة على سلوك المسلم.

٣ـ العقيدة عمل باطن ينعكس على عمل الظاهر.

٤ـ علاقة العقيدة بقبول العمل ورده.

الدراسات السابقة:

١ـ العقيدة الصحيحة وأثرها على سلوك الفرد والمجتمع لـ ساجد صبري نعمان ــ مجلة العلوم الإسلامية ٢٠١٩

٢ـ العقيدة الإسلامية وأثرها في ضبط النفس وتغذية الروح سلامة رزق حسون ـ المجلة العربية للدراسات ٢٠٢٤

٣ـ من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك محمد بهاء ـ مكتبة وهبة ١٩٧٣

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي من حيث دراسة الموضوع من خلال الدراسات السابقة والاستفادة من ذلك في التوصل إلى نتائج جديدة من خلال البحث في موضوع العقيدة وعلاقتها بسلوك المسلم

المبحث الأول:

أهمية العقيدة:

العقيدة أو " علم أصول الدين " أهم العلوم على الإطلاق؛ لأنه يتعلّق بمعرفة تعالى، وهي أهم أركان الدين، وأعظم مبادئه، وأول أهدافه وغاياته، كما يتعلق بالنبوّات والغيبات والسمعيّات، مما لا مجال للعقل البشري للتوصل إلى معرفته إلا بواسطة وحي إلهي، ورسل من عند الله تخبر بها، ويقابله علم " أصول الفقه" وهو يتعلق بقواعد الفرع الفقهية والأحكام الشرعية، ولذلك يُطلق العلماء على هذين العلمين " الأصْلَين". (١)

وقد عرف السيوطي (ت٩١١هـ) علم أصول الدين بأنه: " علم يبحث عما يجب اعتقاده " فيقال " علم التوحيد "لأن أهم مسائله توحيد الله تعالى، الذي أمر به في كتابه الكريم فقال: " قل هو الله أحد " [الإخلاص: ١]

والعقيدة هي: أول أركان الإسلام الخمسة، ومكانها القلب والعقل، ويجب التلفظ بها ليدخل الإنسان في الإسلام، وتتلخص بالشهادتين: " أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله " وهي الغاية الأولى من بعثة الأنبياء، وإنزال الكتب السماوية، كما أنها الأساس للتشريع، وأن التصرفات البشرية تنبع من العقيدة والإيمان، فهي الترجمة العلمية للإيمان الداخلي والعقيدة القلبية.

والعقيدة الصحيحة تساهم في بناء الشخصية السوية والعبد الصالح ، وتقويم السلوك ؛ لأن العقيدة هي أساس تعاليم الإسلام ، وهي التي توجه الإنسان ، وتحركه نحو الاتجاه الصحيح ، وتجعل من إيمانه بالله تعالى باعثاً على عمل الخير ، ورادعاً عن الانحراف ، فيراقب تصرفاته بنفسه مستشعراً رقابة الله له ، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله ، ويمتنع عن المحرّمات والآثام ، ولو كان فيها هوى شخصي ، ولذّة ماديّة ، أو منفعة خاصة ، ويرتدع عن البغي والظلم والاعتداء ، خوفاً من الله تعالى ، ولو غاب عن أعين القانون ، وسلطة الدولة والشرطة ، ويكبح جماحه عن السير وراء الهوى والغرائز والشهوات، بل على عكس من ذلك ينطفع إلى السمو والكمال وطلب العلم، واتقان الأعمال والإقبال على فعل الخير طمعا ًبرضوان الله وحسن ثوابه.

والعقيدة الصحيحة تلبي فطرة الإنسان السوي، وتؤمّن له الاستقرار النفسي والكمال الروحي، وتنمية الضمير الحي. (٢)

قلت: فما أشد حاجة المسلم إلى العقيدة الصحيحة لأنها بمثابة الموجه على الطريق الي يجعل من يسير عليه على هدىً واضح فكذلك هي العقيدة إذ تسير بنا على هدي محمد صلى الله عليه وسلم، بها النجاة والنجاح والفلاح في الدنيا والأخرة وبها ثبات القلب ورباطة الجأش، وحلاوة الإيمان قال صلى الله عليه وسلم " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً".

ومن تنكب الطريق وزلت به القدم واتبع الهوى فقد ضل سواء السبيل، عياذ بالله من ذلك، ووجد وحشةً في نفسه وضيقاً في صدره، واحتوشته شياطين الإنس والجن ٹ ڈ "ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكا" [طه: ١٢٤]

وقال تعالى:" فرأيت ب اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون" [الجاثية: ٢٣]

الأدلة الشرعية على أهمية العقيدة من الكتاب والسنة:

أولاً: الأدلة من القرآن:

التوحيد في العبادة: قال تعالى: "

التوحيد في الطاعة:

قال تعالى: " ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " النحل (٣٦)

قال تعالى " وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة [البينة: ٥] [البينة: ٥]

التوحيد في التشريع والتقنين:

ﯹ قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلاّ لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﯺ [الأنعام: ٥٧]

التوحيد في الربوبية:

قال تعالى: "إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين " [الأعراف: ٥٤]

وقال سبحانه:" لوكان فيهما آلهة غير الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عمّا يصفون "

وقال سبحانه: " وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون "

التوحيد في الحاكمية:

قال تعالى: " إن الحكم إلاّ لله يقص الحق وهو خير الفاصلين"

وقال سبحانه: " ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له لحكم وهو أسرع الحاسبين" وقال تعالى: " أليس الله بأحكم الحاكمين "

التوحيد في الذات الصفات:

قال تعالى: " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "

"فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "

صفات الثبوتية الذاتية:

قال تعالى "وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع بصير "[البقرة: ٢٤٤]"

ثانيا: الأدلة من السنة:

حديث جبريل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً بازاً للناس فأتاه رجل (يمشي) فقال: يا رسول، ما الإيمان؟

قال: " (الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر، وتؤمن بالقدر كله" قال: صدقت)

قال يا رسول الله، ما الإسلام؟

قال: " الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان "(قال: صدقت)

قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟

قال: " (الإحسان): أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " قال: صدقت)

قال: يا رسول الله، متى الساعة؟

قال: " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، فذاك من أشراطها وإذا كانت العراة الحفاة (الجفاة) (الصم البكم) رءوس الناس، فذاك من أشراطها. وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها، في خمس (من الغيب) لا يعلمهن إلا الله " ثم تلا صلى الله عليه وسلم (هذه الآية)

"إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ﮑ إن الله عليم خبير " [لقمان: ٣٤]

قال: ثم أدبر الرجل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ردوا على الرجل ". فأخذو ليردوه، فلم يروا شيئاً، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم "

هذه النصوص تؤكد أهمية الإيمان الذي وهو من أركان الإيمان بالغيب والذي فيه تصديق لما أخبر به الله ورسوله ولا يكن في نفس المؤمن شك أو ريب في ذلك، وهذه حقيقة الإيمان والتي بها تطمئن القلوب إذ لا يطمئن من في قلبه ريب ولا يجد حلاوة الإيمان.

لا خالق إلاّ الله:

عن عمران ابن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلقت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال:" اقبلوا البشرى يا بني تميم ". قالوا: بشرتنا فأعطنا مرتين، ثم دخل عليه أناس من أهل اليمن فقال: " اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بن تميم ". قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر قال: " كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السنوات والأرض " فنادى منادٍ: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين. فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فو الله لوددت أني تركتها. (١)

١ـ مصادر الدراسات الإسلامية العقائد والأديان والمذاهب الفكرية القديمة والحديثة لـ أ.د. يوسف بن عبد الرحمن المرعشي الجزء الثاني ص ١٠

٢ـ نفس المصدر السابق ص ١٣

(١) هُدى القرآن: حوزة الهدى للدراسات الإسلامية

١ـ الجامع الصحيح في أحاديث العقيدة ص١٦ـ١٩ رواه البخاري (١/ ٥٠) (٤/ ٤٤٩٩)، ومسلم (١/ ٩)، وابن ماجة (١/ ٦٤)، وأحمد (٢/ ٤٢٦)، وابن خزيمة (٤/ ٢٢٤٤)، وابن حبان (١/ ١٥٩)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٥٧)، وابن منده في "الإيمان " (١/ ١٥١ـ ١٥٣ـ ٣١٣ـ ٣١٤) عن أبي زرعة عن أبي هريرة. (١)

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

رواه البخاري برقم (١٠٢٤)

من خصائص الرب الإحياء والإماتة:

عن حذيفة بن اليمان قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال: " باسمك أموت وأحيا". وإذا قام قال:" الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور "

(٢) رواه البخاري (٥/ ٥٩٥٣ـ ٥٩٥٥ـ ٥٩٦٥) (٦/ ٦٩٥٩)، وورواه أبو داود (٤/ ٥٠٤٩)، والترمذي (٥/ ٣٤١٧)، وابن ماجه (٢/ ٣٨٨٠)

وورواه مسلم (٤/ ٢٧١١)

من خصائص الرب الملك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟". متفق عليه

عن عوف بن مالك قال رضي الله عنه مرفوعاً (... سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة" حديث حسن.

(٣) رواه أبوداود (١/ ٨٧٣)، والنسائي (٢/ ١٠٤٩ـ ١١٣٢)، وأحمد (٦/ ٢٤). (١)

الفرق بين العقيدة والسلوك:

أولاً العقيدة معناها: الإيمان اليقيني الخالي من أشك الذي يعقد الإنسان قلبه عليه، ويسير عليه كدين ومبدأ ومنهج فإن كان ذلك صحيحاً كانت العقيدة صحيحة، وإن كان خاطئاً كانت العقيدة خاطئة، وكما عُرّفت بأنها مجموعة الأسس والمبادئ والقواعد التي تتعلق بالخالق ـ سبحانه وتعالى ـ والأمور الغيبية كالجنة والنار وغيرها.

السلوك: يعود مصطلح السلوك إلى الفعل وهو سير الإنسان وما يسير عليه في مذهبه واتجاهه ويعد السلوك الصورة الفعليّة والتطبيقية للأخلاق الباطنة عند الإنسان، ويقوم به الإنسان وفق إرادته مع علمه بنتيجته. (١)

فمن خلال تلك التعريف نتوصل إلى ما يلي:

١ـ أن العقيدة عمل قلبي وأن السلوك عمل الجوارح

٢ـ أن السوك مبني على الاعتقاد وهو نتيجة له

٣ـ العقيدة هي الأساس الذي تبنى عليه الأعمال

٤ـ لا يصح أحدهما دون الآخر فهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر

الفرق بين العقيدة والسلوك:

أولاً العقيدة معناها: الإيمان اليقيني الخالي من أشك الذي يعقد الإنسان قلبه عليه، ويسير عليه كدين ومبدأ ومنهج فإن كان ذلك صحيحاً كانت العقيدة صحيحة، وإن كان خاطئاً كانت العقيدة خاطئة، وكما عُرّفت بأنها مجموعة الأسس والمبادئ والقواعد التي تتعلق بالخالق ـ سبحانه وتعالى ـ والأمور الغيبية كالجنة والنار وغيرها.

السلوك: يعود مصطلح السلوك إلى الفعل وهو سير الإنسان وما يسير عليه في مذهبه واتجاهه ويعد السلوك الصورة الفعليّة والتطبيقية للأخلاق الباطنة عند الإنسان، ويقوم به الإنسان وفق إرادته مع علمه بنتيجته. (١)

فمن خلال تلك التعريف نتوصل إلى ما يلي:

١ـ أن العقيدة عمل قلبي وأن السلوك عمل الجوارح

٢ـ أن السوك مبني على الاعتقاد وهو نتيجة له

٣ـ العقيدة هي الأساس الذي تبنى عليه الأعمال

٤ـ لا يصح أحدهما دون الآخر فهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر

العقيدة أولاً:

يعرض لنا سؤلاً مفاده لماذا العقيدة أولاً؟:

لأنها محمور وأساس بناء شخصية المسلم، وعلى صلاحها تستقيم له طاعته، وتسمو أخلاقه، وتصح معاملاته، ومن هاهنا كان تصحيح العقيدة، من أولويات الدعوة إلى هذا الدين العظيم، ففي المتفق عليه، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر معاذاً حين بعثه إلى أهل اليمن، فقال: " فليكن أول ما تدعوهم إليه؛ أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك؛ فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات .... الحديث " فقدم التوحيد وتصحيح العقيدة على سائر العبادة، فلا يُطالب الإنسان بأعمال، إلاّ بعد تصحيح العقيدة.

ـ لأن غموض المعرفة بالله تعالى، وعدم ثباتها في النفس يُورث الشكوك والرّيبة والتردد، ويبعث على الحيرة وضنك العيش وهذه من أهم وأخطر أسباب مشكلات الشباب والفتيات وانحرافهم وتشربهم المناهج المنحرفة، والأفكار الضالّة، والتي تؤدي إلى الممارسة الشنيعة والمواقف فاقدة الاتزان والموضوعية وهذا ينعكس على حال الأمة وترديها وانحطاطها وتكالب أعدائها ومؤشر زوالها.

ومن المعلوم أن الله عز وجل قد حرم على نفسه الظلم، وجعله محرما بين عباده كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية عن رب العزة جلّ جلاله. والظلم نقيض العدل، وهو جور يختل به الإنصاف. وإذا كان رب العباد ينفي عن ذاته المقدسة الظلم فيقول: " وما ربك بظلام للعبيد"، فلا يحق لهم بحكم عبوديتهم له ممارسة الظلم سواء كان ظلما بينهم وبينه سبحانه مع أنه تعالى عزيز لا يمكن أن ينال منه ظلم عبيده أو كان ظلما فيما بينهم. وما حرم الله عز وجل على نفسه، فهو بالضرورة محرم على خلقه.

وأكبر ظلم يقترفه العباد في حق الله تعالى ادعاء شركاء له في الألوهية والربوبية وهو خالقهم، وقد وصف جل شأنه هذا الظلم فقال: " إن الشرك لظلم عظيم " وأي شيء أعظم من جعل شركاء مع الله سبحانه وتعالى وهو الذي لا إله غيره؟

١ـ نفس المصدر السابق ٤٥ـ٤٦ ص ٥٩ـ ٦٠

(2) رواه البخاري (٥/ ٥٩٥٣ـ ٥٩٥٥ـ ٥٩٦٥) ورواه مسلم (4/ 2711)

(٣) رواه أبوداود (١/ ٨٧٣)، والنسائي (٢/ ١٠٤٩ ـ ١١٣٢)

١ـ مفهوم العقيدة والشريعة والسلوك (تمت الكتابة بواسطة: إيمان الحيارى (آخر تحديث: ٢٧،٩:٢٢إبريل ٢٠٢١)

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المبحث الثاني:

العلاقة بين العقيدة والسلوك ايجاباً وسلباً:

إن العلاقة بين العقيدة والسوك علاقة وثيقة وهي علاقة طردية فكلما قوية العقيدة نتج عن ذلك سلوك قوي وعمل أفضل لأن العقيدة دافع داخلي ومحرك أساس لسلوك الإنسان إذ أن القلب بالنسبة للأعضاء والجوارح بمنزلة القائد من الجنود في الأمر والنهي، فعندما تكون عزيمة القلب صادقة وقوية كلما دفع الأعضاء والجوارح للعمل حينها يزيد العمل ويقوى، ويكون كذلك العكس عندما تضعف العقيدة في القلب ينتج عن ذلك سلوك غير سوي، بل ربما أدى ذلك إلى الفجور أو الكفر عندما تكون العقيدة فاسدة عياذاً بالله. فهما (العقيدة والسلوك) يسيران في اتجاه واحد، لكن العقيدة هي المحرك الأساس والموجه للسلوك إيجاباً وسلبا.

الوسائل المتبعة لتقوية العقيدة:

١ـ فهم أسماء الحسنى في القرآن الكريم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن لله تسعة وتسعين اسماً مئة إلاّ واحداً من أحصاها دخل الجنة " أي من حفظها، وفهم معانيها، واعتقدها، وتعبّد الله بها دخل الجنة. والجنة لا يدخلها إلاّ المؤمنون، فعلم أنّ ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوّته وثباته ومعرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان فكلّما ازداد إيمانه وقوي يقينه. وهذه المعرفة النافعة تجعل المؤمن في زيادة في إيمانه وقوة في يقينه وطمأنينة في أحواله.

٢ـ تدبر آيات القرآن الكريم:

إنّ المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن ومعارفه ما يزداد به إيماناً كما ث تعالى:

" إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون " [الأنفال: ٢]

وهل هناك أبلغ من الموعظة الربانية، فهي الشفاء لأمراض الشك والشرك، وأمراض القلوب والنفوس والجوارح، والحواس، وأمراض السياسة والاقتصاد والأخلاق والاجتماع والحياة والحضارة قال تعالى: " وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين" [الإسراء :٨٢]

فهو غذاء للروح وعلاج يشفي النفوس من عللها ويكسبها المناعة القوّية.

٣ـ معرفة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله:

فإن من عرفه حق المعرفة لم يرتب في صدقه، وصدق ما جاء به

قال تعالى:

" أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون " [المؤمنون: ٦٩]".

وأقسم الله سبحانه وتعالى بكمال هذا الرسول وعظمة أخلاقه وأنه أكمل مخلوق قال تعالى: " ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجراً غير ممنون * وإنّك لعلى خلق عظيم *" [القلم: ١-٤] فهو صلى الله عليه وسلم أكبر داعٍ للإيمان في أوصافه الحميدة، وشمائله الجميلة، وأقوله الصادقة النافعة وأفعاله الرشيدة، فهو الإمام الأعظم والقدوة والأكمل.

٤ـ التفكر في الكون والنظر في الأنفس:

إن التفكر في الكون وفي السماوات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة والنظر في الإنسان وما هو عليه من الصفات يقوّي الإيمان، لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدّال على سعة علم الله وشمول حكمته، وما فيها من الحسن والانتظام والإحكام الذي يحيّر الألباب، الدال على سعة علم الله وشمول حكمته، وما فيها من أصناف المنافع والنعم.

٥ـ الإكثار من ذكر الله والدعاء الذي هو روح العبادة للإنسان المسلم:

إن ذكر الله يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذّيها وينمّيها، وكلما ازداد العبد ذكراً لله، قوي إيمانه، كما أنّ الإيمان يدعو إلى كثرة الذكر فمن أحب الله أكثر من ذكره، ومحبته الله هي الإيمان، بل هي روحه. وللذكر آثار نافعة في حياة المسلمين الدنيوية والأخروية ومنها:

أـ الحياة الطيبة الحقيقية:

فالحياة هي حياة الروح المتغذّية بالوحي الإلهي، المتعلق قلب صاحبها بذكر الله وهي التي وصفها الله بالحياة الطيبة بقوله سبحانه:

من عمل صالحاً من ذكرً أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون}

قال تعالى "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون "[النحل :٩٧]

ب ـ القوة في الأبدان وإحياء المعاش:

إن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر مالم يكن يظن فعله بدونه، وشاهد ذلك موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع ابنته فاطمة وعلي رضي الله عنهما لما سألته خادماً، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة فعلّمهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضجعهما ثلاثا وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبّرا أربعا وثلاثين، وقال لهما: " فهذا خير لكما من خادم " فقيل: إنّ من دوام على ذلك وجد قوة في يومه مغنية عن خادم.

ج ـ رقة القلب وخشوعه:

إن ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته ويذهب الغفلة عنه،

قال تعالى: " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب [الرعد: ٢٨]

المبحث الثالث:

علاقة العقيدة بقبول العمل ورده:

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

لا يمكن لإنسان أن يعمل عملاً إلاّ عندما يعتقد صحة هذا العمل ويجد في قلبه هاتفاً يهتف به لعمله وممارسته، ويتوقف قبول العمل حتى يتحقق شرطان هما:

١ـ الإخلاص فيه لله تعالى

قال تعالى: " وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة [البينة: ٥]

قال تعالى:" اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلاّ هو سبحانه عمّا يشركون [التوبة: ٣١]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى" أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه"

٢ـ المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا يصح العمل مالم يكن موافقاً لهدي النبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى واطيعوا الله وأطيعوا الرسول} وقال تعالى " من يطع الرسول فقد أطاع الله "[النساء: ٨٠]

فما لم يكن العمل خالصاً وصواباً فإنه لا يقبل فإذا كان ذلك كذلك فإننا نجد أن العقيدة هي رأس الأمر وأساسه الذي يبنى عليه العمل.

ـ هل يلزم من ثبات العقيدة ثبات العمل؟

لا يلزم من ثبات العقيدة ثبات العمل، ولكنه يزيد وينقص بناء على قوة الاعتقاد وضعفه.

نخلص من هذه الدراسة إلى ما يلي:

١ـ أن العقيدة أساس العمل وبصلاحها يصلح العمل ويفسد بفسادها أو يزيد وينقص.

٢ـ أن بينهما علاقة طردية (العمل والعقيدة).

٣ـ العقيدة عمل قلبي والسلوك عمل الجوارح.

٤ـ العقيدة عمل باطن والسلوك عمل ظاهر.

٥ـ لا يصح أحدهما دون الآخر فلا عقيدة بلا عمل وكذلك العكس.

٦ـ بفساد العقيدة يفسد العمل ولا يلزم من فساد العمل فساد العقيدة

الخاتمة:

الحمد لله الذي أنعم وأفضل وأتم النعمة وأسبل والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة وبعد:

فهذا البحث المقتضب أضعه بين يديك أخي القارئ الكريم لعلك تجد منه مورداً عذباً تنهل من معينه وترتشف من زلاله ليكون لك عوناً بعد الله في المنهج الذي ينبغي لك من ربط العقيدة بالسلوك والمنهج حتى تسير وفق المنهج الصحيح بإذن الله،

فقد رأينا من بعض المسلمين هداهم الله إلى التساهل في شأن العقيدة مع الحرص على العمل، إما جهلاً أو تساهلاً وكلاهما أمرٌ خطير يجب التنبه والتنبيه إليه..

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفرق بين الدراسات السابقة وهذه الدراسة:

لم تتطرق الدراسات السابقة إلى الربط بين العقيدة والسلوك بينما هذه الدراسة جعلت من العقيدة أساساً لصلاح العمل وقبوله

وبينت الدراسة أن بين العقيدة والسلوك علاقة طردية أن كل سلوك في العبادة لا يقبل إلاّ بتصحيح العقيدة ولوكان صالحاً في نفسه، بينما لا يشترط لفساد العقيدة فساد العمل، فقد تكون صحيحة والعمل فاسداً

مصادر البحث:

١. الجامع الصحيح في أحاديث العقيدة ص١٦ـ ١٩١

٢. دليل العقيدة في القران (البلاغ) ١٤ شعبان / ١٤٤٦ هـ ١٣ شباط ٢٠٢٥م

٣. مصادر الدراسات الإسلامية العقائد والأديان والمذاهب الفكرية القديمة والحديثة لـ أ.د. يوسف بن عبد الرحمن المرعشي الجزء الثاني ص ١٠ـ١٣

٤. هُدى القرآن: حوزة الهدى للدراسات الإسلامية

٥. مفهوم العقيدة والشريعة والسلوك (تمت الكتابة بواسطة: إيمان الحيارى (آخر تحديث: ٢٢:٩،٢٧إبريل ٢٠٢١)

١ـ مفهوم العقيدة والشريعة والسلوك (تمت الكتابة بواسطة: إيمان الحيارى (آخر تحديث: ٢٢:٩،٢٧إبريل ٢٠٢١

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

التنمية البشرية الحديثة من منظور العقيدة الإسلامية

د. تهاني بنت عبد الله الظبي

محاضرة بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة طيبة.

Modern Human Development from an Islamic Perspective.

Dr. Tahani Abdullah Al-Dhabi

Lecturer in the Department of Islamic Studies at Taibah University.

E-mail: T22a22h22@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

التنمية البشرية الحديثة، منظور العقيدة الإسلامية، قنوات الإعلام، الفكر الإلحادي، الأوساط الإسلامية.

KEY WORDS:

development, humanity, modernity, perspective, Islamic faith.

مستخلص البحث:

ظهر الاهتمام بالتنمية البشرية حديثًا في العديد من قنوات الإعلام والتواصل سواء كانت من خلال المؤلفات، أو التدريب، أو وسائل التواصل بين أرجاء المعمورة.

ونظرًا لسهولة تداولها وتأثر الفرد بها، وتعطشه لما فيه صلاح أمره، فقد راجت مصطلحات وممارسات وأفكار التنمية البشرية الغربية داخل الأوساط الإسلامية، إما بأفكار إلحادية، وإما بمصطلحات بديلة لما تقرر في المرجعية الدينية الإسلامية.

وحرصًا من الباحثة على حماية العقيدة تجاه التحديات المعاصرة التي تواجهها في مجالات عدة، والتي كان من بينها مجال التنمية البشرية بينت في هذا البحث عددًا من الجوانب التي تخل بعقيدة الفرد المسلم الصحيحة؛ كونها تمثل أفكار أصحابها الإلحادية والتي أثرت بدورها على جوانب عدة من جوانب العقيدة.

ويجيب البحث عن السؤال التالي: ماهي أشهر الانحرافات العقدية في مجال التنمية البشرية الحديث؟ وما لبدائل لها في الفكر والعقيدة الإسلامية؟

ABSTRACT:

Interest in human development has recently emerged in many media and communication channels, whether through publications, training, or global communication channels.

Due to its ease of circulation, its impact on individuals, and their thirst for what benefits their well-being, Western human development terms, practices, and ideas have become popular within Islamic circles, either based on atheistic ideas or alternative terms to those established by Islamic religious authority.

In the interest of protecting faith in the face of contemporary challenges facing it in various fields, including human development, the researcher has identified in this research a number of aspects that undermine the correct Muslim faith. These aspects represent the atheistic ideas of their proponents, which in turn have influenced several aspects of faith.

The research answers the following question: What are the most common doctrinal deviations in the modern field of human development? What are the alternatives to them in Islamic thought and faith?

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فلا ريب أن الله سبحانه وتعالى قد أتم النعمة لعبادة عندما قال في كتابه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فشرع لهم دينًا وأكمله لهم، يتعبدون به خالقهم، الذي يعلم دقائق نفوسهم، وما يعتريها من لحظات الضعف، والانهزام، والإقبال، والإقدام، وأنزل لهم دستورًا شاملًا وافيًا، حوى كل جوانب حياتهم الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، حتى أنفسهم التي بين جنبيهم أرشدهم إلى تزكيتها وتنميتها بما فيه فلاحها في الدارين؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[الشمس:٩]، وجانب الاعتناء بالنفس أولته الشريعة الإسلامية بمصادرها الصحيحة قدرًا وافيًا من الاهتمام والتوجيه والإرشاد؛ إذ هو عماد الاستقرار الذي يفلح معه المرء في أمر دينه ودنياه.

ولما كان من الأهمية بمكان الاعتناء بالجانب لنفسي؛ لتحقيق الطمأنينة والسعادة المنشودة في هذه الرحلة الأرضية، وقد كانت هذه المسألة حاضرة في كل الفلسفات عبر تاريخ البشرية على اختلاف منابعها وتوجهاتها، تنظم وتؤطر من خلال عقيدة المرء وفلسفته الإيمانية، ونظرته للوجود والعالم الميتافيزيقي، مما يفسر اهتمام الكثيرين بتأليف الكتب والمنشورات، وعقد الدورات والندوات، التي تحث وتوجه للعناية بالذات وفق عقيدة الكاتب، أو المدرب وخلفيته الإيمانية والمعرفية.

ونظرًا لحركة الترجمة التي بلغت أوجها في العصر الحديث، وسهولة التواصل الاجتماعي بين أقطار المعمورة؛ ولتعطش الفرد المعاصر لكل ما ينمي ذاته ويرتقي بها، فقد أُقحمت بعض الممارسات والأفكار والمصطلحات في التنمية الذاتية التي تلقفها بعض المسلمين المهتمين بجانب التنمية الذاتية، وروَّجوا لها في كتبهم، وبرامجهم، وأطروحاتهم، والتي كانت مخالفة للعقيدة الإسلامية من زاويا عدة، كما أنّ في العقيدة الإسلامية ما يغني عن استيراد تلك الأفكار، ومحاولة غرسها داخل الفكر الإسلامي الإسلامية، فرأيت أن أفرد هذا البحث بشكل مجمل في بيان هذه المسألة من جوانب محددة في العقيدة في بيان أثرها، وما يغني عنها، والله أسأل التوفيق والسداد.

مشكلة البحث:

يحاول البحث تسليط الضوء على ممارسات التنمية البشرية الوافدة وأثرها على العقيدة الإسلامية الصافية.

أسئلة البحث:

يجيب هذا البحث عن الأسئلة التالية:

ما لمراد بالتنمية البشرية؟

ماهي الانحرافات العقدية في ممارسات وأفكار التنمية البشرية الحديثة؟

ماهي البدائل الإسلامية للأفكار العقدية المنحرفة في مجال التنمية البشرية الحديثة؟

حدود البحث:

الحد الموضوعي: التنمية البشرية الحديثة من منظور العقيدة الإسلامية.

الحد المكاني: الحديث عن أثر التنمية البشرية الحديثة داخل الأوساط الإسلامية.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى:

توضيح أفكار وعقائد التنمية البشرية الحديثة.

بيان أثر تغلغل هذه الأفكار داخل المجتمعات الإسلامية، وتأثر عقيدة المسلمين بها.

سبب اختيار البحث:

نظرًا لنشاط حركة الترجمة في المؤلفات الغربية التي تناولت جوانب التنمية البشرية، وكثرة رواد التنمية البشرية في مواقع التواصل الاجتماعي، وتأثر الكثير من المسلمين بأفكار وفلسفات الغرب في التنمية البشرية، رأيت أن أفرد هذا البحث رغبة بالمساهمة في حماية العقيدة الإسلامية من شوائب الإلحاد وخلافه.

الدراسات السابقة:

تعددت الأبحاث التي تناولت قضية التنمية البشرية، وأثرها على الفرد المسلم، وغالبًا ما تركز على قضية محورية أصيلة تُناقش تفرعاتها في البحث كاملًا، ولم اطلع على دراسة ركزت بشكل مجمل على جوانب عدة في العقيدة وأثر ممارسات ومصطلحات التنمية البشرية الحديثة عليها ومن تلك الأبحاث:

- التنمية البشرية من منظور إسلامي، د. أشرف محمد بوابه، بحث مقدم للملتقى الدولي الثالث حول واقع التنمية البشرية، الجزائر-٢٠٠٧م

تناول البحث بمنهجية الاستقصاء مواطن التنمية للنفس البشرية في النصوص الشرعية ولم يفند مصطلحات التنمية الحديثة وتبيين أثرها على العقيدة الإسلامية.

- التنمية البشرية من منظور إسلامي، أ- رُفيدة عبد الوهاب، بحث منشور في المجلة الدولية لأبحاث ودراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية، ٢٠٢٠م.

تناول هذا البحث كذلك أهمية التنمية البشرية في الإسلام والحث عليها بالمنهج الوصفي، ولم يتطرق للانحرافات العقدية المتعلقة بمصطلحات التنمية البشرية الحديثة.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي: باستقراء نصوص رواد التنمية البشرية الحديثة.

المنهج الوصفي: بوصف ظاهرة التنمية البشرية الحديثة وأثرها على العقيدة الإسلامية.

المنهج التحليلي: بتحليل ما وراء مصطلحات وممارسات التنمية البشرية الحديثة والتي تؤثر بشكل مباشر على عقيدة الفرد المسلم.

تمهيد:

لفظة التنمية في اللغة العربية مأخوذة من النماء والزيادة في المجال الذي وضعت له، وفي ذلك يقول ابن منظور: "النمَاء الزيادة، نَمَى يَنْمِي نَمْياً ونُمِيّاً ونَماء: زَادَ وكثر.. وقال في التعريفات النُمُوُّ ازدياد حجم الجسم بما ينضمُّ إليهِ ويداخلهُ في جميع الأقطار" (ابن منظور، ١٩٩٤، ١٥: ٢٤١).

ومنه أيضا: الزيادة والكثرة في قولنا: "نما الزرع ونما الولد، ونما المال" (مجمع اللغة العربية، د.ت، ٢: ٩٥٦).

وأما مراد التنمية البشرية في الاصطلاح:

فإن "علم التنمية البشرية، -ويسمى أيضًا علم تنمية الموارد البشرية، مع وجود فارق بسيط، وعلى العموم فالتسميتان واحدة؛ لأنهما تعتمدان على التنمية بشكل أساس- فعلم التنمية البشرية عام يشمل جميع جوانب الحياة لمختلف فئات المجتمع، ويعتني بالإنسان؛ لكونه جوهر عملية التنمية، أما علم تنمية الموارد البشرية فهو متخصص أكثر ويهتم بفئات محددة من أجل زيادة الإنتاج وتحسينه؛ كالموظفين والمدراء وغيرهم" (الغزي، ٢٠٢٣،٨).

وبالجملة فالتنمية تشمل جوانب عدة؛ اقتصادية، ومالية، وثقافية، وغيرها، فارتباطها بالبشر في قولنا: تنمية بشرية، يعني أنها تركز بشكل أساس على تطوير الفرد في مختلف جوانب حياته، مع التنبيه على أن هذه التنمية تنطلق من جذور ومسلمات عدة، تحكمها في إطار محدد، ومن ذلك الدين، ورؤية الفرد للحياة، وفلسفته فيها، والبيئة المجتمعية، والقيم والمبادئ التي تشكل في مجموعها دستورًا ينطلق منه الفرد في تقرير سياق تنموي لبني البشر، داخل هذا الفلك، ووفق الجذور المنطلق منها.

ولهذا فإن "التنمية الإسلامية غير مقصورة على الرفاهية المادية، فقد تضمنت النواحي المادية، والروحية، والخلقية، الأمر الذي جعل هذه التنمية تمتد إلى الحياة الأخرى" (عبد الكريم، د.ت، ص٤٥).

ومما سبق يمكن تعريف التنمية البشرية بأنها: ما يراد بها ارتقاء الفرد في شتى جوانب حياته، ومرتكزاته؛ للوصول إلى الاستقرار النفسي والفكري؛ لتحقيق السعادة والغايات المرجوة من ورائها.

المبحث الأول: وجود الله عزوجل:

مما لا شك فيه أن النصوص الشرعية، ودلالات الفطرة، والبراهين العقلية، وإجماع الأمم، ومعجزات الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، كل ذلك يدل دلالة واضحة على موجود واحد رازق نافع، معين موجه، وكل ما تقتضيه مقتضيات توحيد الربوبية.

ففي بداهة العقول والفطر يدلنا القرآن الكريم على دلالة الأثر والمؤثر، وهي التي تكون معروفة عند كل عقل صحيح خلا من الكبر والعناد، فكل تأثير مهما صغر لابد وأن وراءه مؤثر، وكل فعل لا بد له من فاعل، وكل مُحْدَث لابد له من مُحْدِث، وهذه الأقيسة والأدلة العقلية التي يتوصل المرء إليها بتأمله في كون الله الفسيح، سماواته وأراضينه، لابد أن تصدح بموجبها فطرته التي فطر الله الخلق عليها بأن ما وراء هذا الكون بسماواته وأراضينه خالق، وموجد عظيم، هو الله -سبحانه وتعالى-، وهذا ما قرر موسى -عليه السلام- وناقش فرعون فيه عندما قال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وقد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- أن جميع الخليقة على هذا الكوكب قد فطروا على العقيدة الإسلامية الصحية، ولكن هذا العقيدة تنحرف بفعل الوالدين، أو الشياطين، أو الغفلة، فينحرف بها المرء إلى الإشراك، أو الإلحاد فقال- صلى الله عليه وسلم-:) ما من مولود إلا ويولدُ على الفطرة، فأبواهُ يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه) [البخاري، ١٤٢٢هـ، ٢: ٩٤، رقم: ١٣٥٨]؛ ومسلم، د.ت، ٤: ٢٠٤٧، رقم: ٢٦٥٨].

ودلالة الحس على ربوبية الله -عزوجل- ووجوده في كل معجزات الأنبياء -عليهم السلام- التي حكاها الشرع وقرر بها وحدانية الله -عزوجل-، ومنها معجزة موسى - عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[الشعراء:٦٣].

وقد بينت النصوص الشرعية وحدانية الله -تعالى- وربوبيته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

قال شارح الطحاوية: "وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره من أدل دليل على أن مدبره إله واحد، وملك واحد، ورب واحد لا إله للخلق غيره ولا رب لهم سواه" [ابن أبي العز،١٤١٨هـ، ص٣٨].

وقال أيضًا: "ويحكى عن أبي حنيفة -رحمه الله- أن قومًا من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فتُرسي بنفسها، وتتفرغ وترجع كل

ذلك من غير أن يدبرها أحد، فقالوا: هذا محال لا يمكن أبدًا، فقال لهم: إذا كان هذا محالًا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟ !وتحكى هذه الحكاية أيضا عن غير أبي حنيفة" [ابن أبي العز،١٤١٨هـ، ص٣٨].

وكل ما سبق إيضاحه غيض من فيض الأدلة بمختلف أنواعها، التي تدل في مجموعها على وجود الله -عزوجل- وربوبيته -سبحانه- ألا وإن سنة الله الكونية في الصراع بين الحق والباطل، القائمة إلى قيام الساعة بأمره، تبين وجود الله -عزوجل- وقد انحرف بعض البشر إلى الإلحاد ونكران وجود الله، وأنه الخالق الرازق المعطي لخلقه، فنسبوا ذلك إلحادًا منهم إلى الطبيعة، وأنها هي القادرة، وهي التي يستغاث بها في تبديل الأحوال من الشر إلى الخير في إصلاح حال المرء وتطوره ونمائه.

ونجد هذه القضية حاضرة كذلك في مؤلفات التنمية البشرية الغربية التي أسندت ووجهت طلب الخير من الطبيعة، أو الكون، وأنها الفاعلة والمحركة لكل ما يحصل للمرء في حياته؛ فهم يربطون القوة بالكون في قولهم: "عندما تفكر يتم إرسال تلك الأفكار للكون، وتجذب إليها مغناطيسيًا كل الأشياء الشبيهة على التردد نفسه" [بارين، ٢٠١٨، ص٣٥].

وتقول: "إنك مثل برج للبث، ولكن برج بشري، تبث ترددًا بأفكارك، إذا أردت أن تغير أي شيء في حياتك فلتغير التردد بتغيير أفكارك" [بارين، ٢٠١٨، ص٣٥].

وكأن الكون هو القادر المعطي الذي ينتظر فقط فكرة منك حتى تنفذ لك، وأن رزقك متوقف على أفكارك عبر ترددات النظام الكوني؛ "إنك ببساطةٍ سيّد حياتك، والكون كله مسخَّر لإطاعة أوامرك" [روبرت، ص٧٧].

بل إنهم يسردونه وكأنه قانون طبيعي لابد من تصديقه، وهذا يخالف الآلية والحيثية التي عليها كل القوانين المصدقة، من حيث إجراء عدة اختبارات لها تؤدي إلى نفس النتيجة، أما في قانونهم الكوني والذي يسمونه بـ "قانون الجذب" فالنتائج مختلفة وليست كلها متطابقة، والتعليل من رواد قانون الجذب بأنك لم تعمله بالشكل الصحيح، ولم تتخيل، ولم تفكر بالشكل الصحيح.

إضافة إلى أن ثمة حلقة مفرغة في آلية سريان القوانين، وطريقة عملها، فعندما يُسألون في ذلك تكون إجابتهم: "لست مضطرًا لأن تعرف كيف ستحدث الأمور، لست مضطرًا لأن تعرف كيف سترتب الحياة أوراقها" [بارين، ٢٠١٨، ص٦١].

وطالما أن الأمر كذلك ففي بداهة العقول أن القانون لابد أن تكون آليته وطريقة وصوله للنتيجة واضحة لكل واضعيه ودارسيه، والحقيقة أن قولهم هذا يذكرني بسر القدر في العقيدة الإسلامية؛ حيث لا يتوغل المرء ولا يسأل عن كيفية حدوثه وطريقته يقول الإمام السمعاني: "القَدَر سرٌّ من أسرار الله تعالى ضُربت دونه الأستار، اختصَّ سبحانه به، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم؛ لما علمه من الحكمة، وواجبٌ أن نقف حيث حدَّ لنا فلا نتجاوز، وقد حجب الله تعالى علم القَدَر عن العالم، فلا يعلمه ملَك ولا نبيٌّ مرسل" [السمعاني، ص٤٤].

وفلسفتهم هذه في التنمية البشرية قائمة على إنكارهم لوجود الله، وأن الكون خلق نفسه بنفسه عن طريق الصدفة، أو نظرية الانفجار العظيم، أو غير ذلك من النظريات الإلحادية التي تصب في معتقد إنكار وجود الله -سبحانه وتعالى- وخلقه لهذا الكون، فتكون جذرًا لكل النظريات الأخرى في شتى المجالات [صقر،٨٩، الدمرداش، ٢٠٠٦م،٧٨، زكريا، ٢٠٠٠م،١٢٨].

لكن العجيب أنه بعد هذا كله نجد بعضًا من رواد التنمية البشرية الحديثة في الأوساط الإسلامية وممن ينتسبون للدين الإسلامي يأسلمون هذه الفكر الإلحادي، ويجعلونه من حسن الظن بالله -عزوجل- فيقولون: وماذا في ذلك؟ نحن نرى أن قانون الجذب هو ذات حسن الظن بالله، وقولهم هذا باطل ويؤخذ عليهم من وجوه عده:

الوجه الأول:

كونك شخصًا مسلمًا ما الأساس في فكرك وفلسفتك في الحياة؟ أليس عقيدتك التي وجدت منذ ١٤٠٠ عام؟ والتي قالت: أحسن الظن بربك فتقيس ما يفد بعدها من الأفكار عليها، فطالما كنت تؤمن أنه هو ذاته فيلزمك أن تمرر عقيدتك وتوجه إليها لا أن تعقد ندوات عدة في صحة قانون الجذب، ثم إذا أُخذ عليك عدم صحته قلت: هو ذات حسن الظن.

الوجه الثاني:

قد تبين معنا سابقًا أن قانون الجذب ينطلق من فكر إلحادي يؤمن بالمادة وليس وجود الله -عزوجل-، وأن الكون والطبيعة هما أساس خير الإنسان في الحياة، وإليهما يتوجه ويطلب، وهذا معلوم البطلان بالضرورة في الدين الإسلامي الصحيح.

الوجه الثالث:

أن هذا القانون قد سمى نفسه قانونًا كونيًا صحيحًا، وألصق نفسه بالعلم والعلم منه بريء فلا يمكن أن يصدق القانون إلا بنتائج واحدة في أكثر من تجربة، والناظر بحال قانون الجذب يجد اختلاف نتائج رواده ومطبقيه ؛ فمنهم من قال: نجح معي، ومنهم من قال: لم ينجح، مما يدل بشكل قاطع على أن الأمر لا يعدوا أن يكون قدريًا محضًا من قبل الله -عزوجل- ولا يعدوا أن تكون المصادفة قد وافقت أعمالهم بقانون الجذب، وربما ابتلاءً وامتحانًا لهم والله المستعان[موسوعة ستانفورد للفلسفة: https://plato-stanford-edu.translate.goog/entries/lawphil-nature].

الوجه الرابع:

أن هذا القانون مخالف لمراد حسن الظن بالله تعالى؛ فحسن الظن يتبعه بذل الأسباب والسعي، أما في قانون الجذب فالأمر متوقف على التفكير والخيال فقط، يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: "اعْلَم أَن صدق رَجَاء الْمُؤمن لفضل الله -عز وَجل- وجوده يُوجب حسن الظَّن بِهِ، وَلَيْسَ حسن الظَّن بِهِ مَا يَعْتَقِدهُ الْجُهَّال من الرَّجَاء مَعَ الْإِصْرَار على الْمعاصِي، وَإِنَّمَا مثلهم فِي ذَلِك كَمثل من رجا حصادًا وَمَا زرع، أَو ولدًا وَمَا نكح. وَإِنَّمَا الْعَارِف بِاللَّه -عز وَجل- يَتُوب ويرجو الْقبُول، ويطيع ويرجو الثَّوَاب...وعَن الْحسن قَالَ: إِن قومًا ألهتهم أماني الْمَغْفِرَة حَتَّى خَرجُوا من الدُّنْيَا وَلَيْسَت لَهُم حَسَنَة، يَقُول: إِنِّي لحسن الظَّن بربي، وَكذب، لَو أحسن الظَّن بربه لأحسن الْعَمَل"[ابن الجوزي، د.ت، ٢: ٣٢٣].

وقد يظنون أن جرد التفكير والحصول على المراد هو حسن الظن؛ وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم؛ لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة، بل وهم أيضًا لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه " [ابن تيمية، د.ت، ٢: ١٣٨].

ويقول -رحمه الله- أيضًا: " وأما الألفاظ المجملة؛ فالكلام فيها بالنفي والإثبات دون الاستفصال يوقع في الجهل والضلال، والفتن والخبال، والقيل والقال، وقد قيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء" [ابن تيمية، ١٠٤٦هـ، ٢: ٢١٧].

فمما سبق يتبين لنا بإيضاح أن اقحام هذا المصطلح الإلحادي" قانون الجذب" في فكر بعض مدربي التنمية الذاتية وعلاقته بفكرة وجود الله عزوجل ينم عن جهل منهم بحقيقته، وجذوره، ومآلاته، وخطورته البينة على صفاء عقيدة المرء المسلم وبشاشة إيمانه.

المبحث الثاني: التوكل:

يعرف ابن منظور التوكل بأنه: "وكل بالله وتوكل عليه، واتّكل: استسلم له، ويقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان: أي ألجأته إليه، واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانًا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه" [ابن منظور، ١٩٩٤، ١١: ٧٣٤].

ويفسره علماء الدين من منظور العقيدة الإسلامية بأنه: "هو صدق اعتماد القلب على الله -عز وجل- في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، ولا يكون المؤمن متوكلًا على الله حق توكله إلا بالثقة بالله، وحسن الظن به سبحانه، والتسليم لأمره"[ابن رجب، ٢٠٠١، ٢: ٤٩٧].

ومصادر الوحيين باستفاضة تحث على التوكل على الله -سبحانه وتعالى-، وتأمر به، وتفسره تارة؛ إذ يقول الله -عز وجل-: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

وذكر النبي -صلى الله عليه وسلم* حقيقة التوكل ومآلاته في قوله: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِمَاصًا وتروح بطانًا" [ابن حنبل، ٢٠٠١، ١: ٣٣٢، رقم: ٢٠٥].

وعلماء الشرع منذ عهد النبوة والرسالة إلى يومنا هذا يحثون على التوكل، ويذكرون به الخليقة؛ يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- في بيان التوكل: "اعتماد القلب على الله، واستناده إليه، وسكونه إليه، واستمداد العون والتأييد منه، وقطع العلائق بغيره تعالى" [ابن القيم، ١٩٩٦، ٢: ١٢٠]

وإذا كان الأمر كذلك كان لزامًا على المؤمن إدراك حقيقة التوكل على الله -عزوجل-، والعمل به؛ لجني ثماره المستفيضة، التي من أعلاها التشرف بمحبة الله -عزوجل- كما ورد في النص القرآني.

ثم إن هذا المعتقد الأصيل في جانب العقيدة الإسلامية قد لحقته لوثة غربية إلحادية في مجال التنمية البشرية فنجد بعضًا من الكتب التي تناولت هذا الجانب ركزت على إلغاء حقيقة التوكل، والتي من مقتضياتها العمل بالأسباب والجد والاجتهاد، لنيل المطلوب والمراد، واستبداله بالجذب الكوني عبر التخيل والتفكير، بعيدًا عن بذل الأسباب مما يبعث في نفوس أتباعهم سلوك طريق التراخي والكسل، والتواكل بعدم الأخذ بالأسباب، ومن عباراتهم في ذلك:

" فلو ظننا أن تحقيق ما نريده يتطلب الكثير من الجهد والعمل فسوف نبني حياتنا على الكفاح والنضال.. ففكرة أن تحقيق ما نريده يتطلب الكثير من الجهد والعمل الجادّ هي مجرد اعتقاد زائف" [بارين، ٢٠١٨، ص١٤].

وتقول مؤلفة كتاب السر: " بوسع السر أن يساعدك على الحصول على ما تشاء أيا كان" [بارين، ٢٠١٨، ص٦].

وكثيرًا ما تدور ألفاظهم حول قوة العقل الباطن وأثر التفكير في صنع الواقع وتغييره.

والحقيقة أن هذا علاوة على مخالفته المنهج العقدي الصحيح فإنه مخالف لبداهة العقول والفطر السليمة؛ وفي ذلك يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها، قدح في الشرع؛ فعلى العبد أن يكون قلبه معتمدًا على الله لا على سبب من الأسباب" [ابن تيمية، ١٩٩٥، ١: ١٣١].

ومن ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم- للصحابي الذي طلب مرافقته في الجنة: (أعني على نفسك بكثرة السجود) [الطبراني، ١٩٩٤، ٢: ٢٤٥، رقم: ٢٠٢٩].

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

فبين النبي -صلى الله عليه وسلم- أن كثرة سجوده وتعبده لله -سبحانه وتعالى- سبب لحصول مطلوبة من مرافقة النبي -صلى الله عليه وسلم- في الجنة.

وكذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- لرجل سأله أُرسِلُ ناقتي وأتوكَّلُ؟ قال: (اعقِلْها وتوكَّلْ) [الترمذي، ١٩٩٨، ٤: ٢٤٩، رقم: ٢٥١٧].

فلم يقل لهم النبي -صل الله عليه وسلم- تخيلوا وأحسنوا الظن تصلوا لمطلوبكم، بل وجههم لعمل الأبدان، والسعي المقصود لنيل المطلوب بإذن الله، والذي يكون سببًا لعمل القلب في التوكل على الله -عزوجل-، فلا تعارض بين الأخذ بالأسباب وبين التوكل على الله -عزوجل-، ومن دام على التوكل بلا فعل وبذل منه فهو متواكل مخالف للشرع وللفطرة وبداهة العقول الصحيحة.

المبحث الثالث: القضاء والقدر:

لا يخفى أن الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان التي بُنيت عليها العقيدة الإسلامية وفي ذلك يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩]، وقد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- اختلاف الأقدار، وموقف الإنسان المؤمن ذي العقيدة الصافية منها فقال: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) [مسلم، د.ت، ٤: ٢٢٩٥، رقم: ٢٩٩٩].

وأما المراد بالقدر وماهيته فهو: "هو ما سبق به العلمُ، وجرى به القلمُ، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه -عز وجل- قدَّر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم -سبحانه وتعالى- أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها" [السفاريني، ١٩٨٢، ١: ٣٤٨].

وقد أكد العلماء في مصنفاتهم على أهمية هذا الركن من الإيمان "ممَّا اتَّفَق عليه سَلَفُ الأُمَّةِ وأئمَّتُها، مع إيمانِهم بالقَضاءِ والقَدَرِ، وأنَّ اللهَ خالِقُ كُلِّ شيءٍ، وأنَّه ما شاء كان وما لم يشَأْ لم يكُنْ، وأنَّه يُضِلُّ من يشاءُ ويهدي من يشاءُ: أنَّ العِبادَ لهم مشيئةٌ وقُدرةٌ يفعلون بمشيئتِهم وقُدرتِهم ما أقدَرَهم اللهُ عليه مع قَولِهم: إنَّ العبادَ لا يشاؤونَ إلَّا أن يشاءَ اللهُ. كما قال اللهُ تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[المدثر:٤٥-٤٧]"[ابن تيمية، ١٩٩٥، ٨: ٤٥٩].

يقول الإمام مالك -رحمه الله-: "ما أضَلَّ من كذَّب بالقَدَرِ! لو لم يكُنْ عليهم فيه حُجَّةٌ إلَّا قَولُه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن:٢] لكفى بها حُجَّةً" [الفريابي، ١٩٩٧، ص١٦٨].

وفي الجانب الآخر عند حديثنا عن التنمية البشرية الغربية الوافدة والتي ترجمت كتب مؤلفيها إلى العربية فتناقلها القراء المسلمون، وحدث بها وحث بعض المهتمين بهذا الحقل الفكري متدربيهم على الإيمان بها، والعمل بمقتضاها، ولم يعلموا أنها مناكفة للعقيدة الإسلامية في باب الإيمان بالقضاء والقدر، وقد تعددت عبارات المنكرين للقضاء والقدر في باب التنمية البشرية والعلة واحده؛ يقول أحدهم: "أنت صاحب قدرةٍ مطلقة، وحكمة ليس لها حدود، وذكاء لا نهائي...لديك إمكانات الله، وقوته لخلق عالمك" [بايرن، ٢٠١٨، ص١٤٦].

ويفسر آخر: "مهما كانت التحديات التي تواجهها فإنَّ اعتقادًا يكمن في أعماقك بأنّ تجربتك في الحياة يمكنها -ويجب أن تكونَ- أكبر مما هي عليه الآن، فقدرك هو أن تحقِّق النمط الفريد من عظمتك"[روبن، ٢٠٠١، ص٨].

ويُذكر أن " فكرة إيجابية وجميلة من شأنها أن تخلق عالمًا جديدًا في حياة المرء، وأيًّا كان ما نفكر فيه نخلقه"[أزمنديان، ٢٠١١، ص٢٨].

وتقول مؤلفة كتاب السر: "أفكارك ومشاعرك تصنع حياتك... إنك تمتلك القدرة على تغيير أي شيء... أنت مصمم مصيرك... القدرة كلها ملكك أنت" [بايرن، ٢٠١٨، ص٢٠٩].

وكل ما سبق -وغيره الكثير- إنما أردت الاستشهاد به لا الحصر في باب القدر يبين عظيم الانحراف فيه، والغلو في انكاره، ونسبة القدر وخلق واقع المرء وفق قدرته وفكره؛ ولأن العالم الغربي يؤمن -أغلبه- بالمادة والتجربة الحسية، أما العالم الغيبي غير المشاهد وغير المحسوس فهم ينكرونه، وعلى ذلك ينسجون أفكارهم ومعتقداتهم.

ومما يكمل إيمان المسلم بجانب -الإيمان بالقضاء والقدر- عدم تساؤله عن سر القدر، وكيفية حدوثه، يقول الإمام الطحاوي -رحمه الله-: "أصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان. فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة؛ فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]، فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب"[بلكا، ٢٠٠٨، ص٢١٠].

فإيمان المؤمن بمقادير حياته ونسبتها لله عزوجل جزء من أصل إيمانه بالغيب، والحقيقة أن "الحرية المطلقة التي قال بها بعض الفلاسفة، وتغنى بها بعض الشعراء مجرد أسطورة، أو حلم، فالقدر حاضر في كل شيء، وأوّله أنه لا أحد منا اختار مولده في الزمان والمكان، ولا أبويه، ولا جسمه، ولا طبعه، والإنسان يعيش في بيئة خاصة تحكم كثيرًا من شؤون حياته، فللظروف الطبيعية آثارها، وللمجتمع ونظمه قيوده، وكثيرًا ما يشعر الفردُ بأنه كالقشة التي يحملها السيل، فلا يعرف أين يسير، فهو لا يملك من

أمره شيئًا، لكن في الوقت نفسه يوجد مجال لحرية الإنسان واختياره، حيث يحس كل أحد بأن له قدرة معينة على الحسم في كثير من الأمور" [بلكا، ١٢٨]

وبالتالي ينبغي على المسلم أن يمحص الفكر والعلم الغربي في كافة مجالاته فينبذ منها ما يخل بأركان عقيدته والتي إن أخل بركن منها سقطت العقيدة والله المستعان.

المبحث الرابع: الطيرة والتشاؤم:

الإسلام منظومة عقدية متكاملة، ودستور حياة، يحيى به المؤمن في كافة مجالات حياته صغيرها وكبيرها، وقد حث أفراده على اتباع منهج الكلمة الطيبة في كل الظروف والظن الحسن بالله -عزوجل- فقد (كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحِبُّ الْفَأْلَ الْحَسَنَ، وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ) [ابن حنبل، ٢٠٠١، ١٤: ١٢٢، رقم: ٨٣٩٣].

وكان -صلى الله عليه وسلم- يقول:) يُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ) [البخاري، ١٤٢٢، ٧: ١٣٥، رقم: ٥٧٥٦].

وأما تفسير اهتمام العقيدة بهذا الجانب ففيه كما قال البغوي: "وإنما أحب النبي -صلى الله عليه وسلم- الفأل لأن فيه رجاءَ الخير والفائدة، ورجاءَ الخير أحسن بالإنسان من اليأس وقطع الرجاء عن الخير) [البغوي، ١٩٨٣، ١٢: ١٧٥].

وأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته بأن يحسنوا الظن بالله -عزوجل- وهو من باب التفاؤل بثوابه، وكريم عفوه -سبحانه وتعالى-؛ إذ يقول: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عزَّ وجلَّ) [مسلم، د.ت، ٤: ٢٢٠٥، رقم: ٢٨٧٧].

وفي المقابل حذر من التطير والتشاؤم والكلمة السيئة؛ حرصًا على سلامة الفكر لدى الفرد المسلم، وحتى لا يجد الشيطان عليه سبيلًا في وسوسته له، فينفث في قلبه اليأس والقنوط، وقطع الرجاء من الله -سبحانه وتعالى-، فقد قال -عليه الصلاة والسلام-: (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ويعجبني الفأل قيل: يا رسول الله! وما الفأل؟ قال :الكلمة الحسنة) [أبو داود، ٢٠٠٩، ٦: ٥٩، رقم: ٣٩١٦].

فالكلمة الحسنة التي يقولها الفرد محسنًا فيها الظن بالله -تعالى- هي التفكير الإيجابي الذي ينادي به رواد التنمية، والكلمة السيئة هي التفكير السلبي الذي يحذر منها المهتمون بالتنمية البشرية، والتي هي في منظور الدين نتاج وسوسة الشيطان، وتأثيره على المسلم في حزنه وفقره وشقائه.

وهذه القضية كانت حاضرة حتى في الفكر الغربي الحديث في مجال التنمية البشرية رغم عدم إيمانهم بالله -عزوجل- ووحدانيته، ورغم قولهم إن الكون والطبيعة هما مصدرا الخير للإنسان، ومنهما يستلهم قدره واختياراته في الحياة، إلا أن كثيرًا من الكتاب المشهورين في هذا الجانب قد وجهوا قراءهم ومتدربيهم إلى ضرورة سلوك الفأل الحسن، والبعد كل البعد عن التشاؤم، والحديث والظن السيء مع النفس؛ معللين أن ذلك يؤثر على جودة حياتهم بالخير أو الشر.

تؤكد ذلك مؤلفة كتاب السر إذ تقول: "إذا كنت شكاء فإنه وفقًا لقانون الجذب سوف تجلب إلى حياتك المزيد من المواقف التي تجعلك تشكو" [بايرن، ٢٠١٨، ص٢٧].

وتقول أيضًا: "يمكنك أن تشعر من الآن بأنك معافى الصحة، يمكنك أن تبدأ الشعور بالرخاء والوفرة، يمكنك أن تبدأ الشعور بالحب المحيط بك ولو لم يكن موجودًا، وما سوف يحدث هو أن الحياة سوف تستجيب لطبيعة ترددك، وسوف تستجيب أيضًا لطبيعة ذلك الشعور الداخلي، ويتجلى لك كما تتوقعه؛ لأن ذلك هو ما تشعر به"[بايرن، ٢٠١٨، ص٤٥].

كما تقول: "كل ما يتصف بالسلبية من الأفكار أو المشاعر، أو الانفعالات يمنع الخير من الوصول اليك"[بايرن، ٢٠١٨، ص١٠٩].

وتضيف: "إذا رحت تستمع إلى أشخاص يتحدثون بشأن مرضهم فإنك تضيف طاقة إلى مرضهم، وبدلًا من ذلك غير مسار المحادثة إلى أمور طيبة، وركز أفكارك القوية على تخيل هؤلاء الأشخاص في تمام الصحة"[بايرن، ٢٠١٨، ص١٤٩].

وقد ذكرت السنة النبوية أَنَّ رَسولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- دَخَلَ علَى رَجُلٍ يَعُودُهُ، فَقالَ: (لا بَأْسَ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللَّهُ) فَقالَ: كَلَّا، بَلْ حُمَّى تَفُورُ، علَى شيخٍ كَبِيرٍ، كَيْما تُزِيرَهُ القُبُورَ، قالَ النبيُّ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-: (فَنَعَمْ إذًا) [البخاري، ١٤٢٢، ٤: ٢٠٢، رقم: (٣٦١٦).

وهذا درس من النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن على المرء أن يحسن ألفاظه وحديثه، ويحسن ظنون بخالقه -سبحانه وتعالى-، فلا يتكلم إلا طيبًا، ولا يظن إلَّا طيبًا، ويصدق ذلك قوله -صلى الله عليه ويلم-: (فَمنْ رضِيَ فَلَهُ الرضَا، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ) [الترمذي، ١٩٩٨، ٤: ١٧٩، رقم: ٢٣٩٦].

كل ذلك قد حث عليه الإسلام وفق عقيدة إسلامية على اختلاف جوانبها، تحث الفرد المؤمن دائما في أقواله وأفعاله وأحواله على سلوك ما فيه خير له، وأن لا يختار لنفسه إلا الحسن في القول والفعل وفي منشطه ومكرهه تربية منه اتباعه على السمو، وأن علوهم بعلو اتباعهم لدينهم، مما يبعث في النفس الاعتزاز بالعقيدة، وأن فيها ما يغني عن استيراد ما سواها، فإن توصل الغرب بفكرهم وأبحاثهم إلى مدى تأثير الكلمة فلقد عرفناه من قدوتنا رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم- منذ أكثر من ١٤٠٠ عام.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المبحث الخامس: الشكر لله عزوجل:

يقول الله -عزوجل- في محكم تنزيله: ﴿وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم:٧]، فربط الله -سبحانه وتعالى- زيادة إنعامه لعباده بشكرهم لواهب هذه النعم المتفضل عليهم بالجود والإحسان، قول القرطبي -رحمه الله-:" لئن شكرتم لأزيدنكم أي لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي"[القرطبي، ١٩٦٤، ٩: ٣٤٣].

وقد وجهت السنة النبوية أيضًا إلى إعمال عبادة الشكر وصرفها لله -سبحانه وتعالى- طلبًا لنماء النعمة وزيادتها؛ إذ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ. التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ) [ابن حنبل، ٢٠٠١، ٣٠: ٣٩٠، رقم: ١٨٤٤٩].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا) [مسلم، د.ت، ٤: ٢٠٩٥، رقم: ٢٧٣٤].

وبين ابن القيم -رحمه الله- أن "منزلة الشكر...من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة الرضا، فإنه يتضمن الرضا وزيادة، والشكر... أمر الله به ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعل غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سبباً للمزيد من فضله، وحارساً وحافظاً لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسماً من أسمائه"[ابن القيم، ١٩٩٦، ٢: ٢٣٢].

إلا أن لفظ الشكر تحول إلى لفظ الامتنان عند رواد التنمية الذاتية، والمغزى من اللفظين واحد؛ وهو طلب الزيادة والخير، ومن أقوالهم في هذا الصدد: "كثير من الناس الذين ينظمون حياتهم على خير وجه بكافة الطرق، يظل الفقر يطاردهم لافتقارهم إلى الحمد والامتنان" [بايرن، ٢٠١٨، ص٨٧].

ومن ذلك أنه "من المستحيل جلب المزيد الى حياتك إذا كنت تشعر بعدم الامتنان حيال ما تحظى به لماذا؟ لأن ما تبثه من أفكار ومشاعر عند شعورك بالجحود تكون كلها عواطف سلبية"[بايرن، ٢٠١٨، ص٨٧].

والحقيقة أن من النعم التي نشكر البارئ عليها أننا قد عرفنا هذا الجانب في عقيدتنا من مصادرنا الإسلامية الأصيلة قرآنًا وسنة، قبل أكثر من قرن من الزمان في حين أن الغرب يتعامل معها أنها قانون مكتشف لم يكن معروفًا ومعهودًا لهم من قبل.

وقلما تفقد هذه اللفظة الامتنان في الكتب المقروءة، أو الدورات المسموعة عند كثير من رواد التنمية البشرية، والحقيقة أن الإشكال كل الإشكال إن كان تداول لفظ الامتنان مكان الشكر خاصة في الأوساط الإسلامية، ففي نظري أن الكتب الغربية الحديثة في مجال التنمية البشرية تحدثت عن الامتنان في فكرها الإلحادي الذي ربما يكون للكون والطبيعة وليس لله -عزوجل- وارتبطت هذه اللفظة بهم وبفكرهم كارتباط المسلمين بلفظة الشكر لله في العقيدة الإسلامية.

والأولى إعمال لفظ الشكر بدلًا من الامتنان، وإن كان معناهما ومدلولهما واحد حتى يخرج المرء ويسلم وتسلم عقيدته، كون الشكر لفظ شرعي أصيل دل عليه الوحيان، وأجمع عليه العلماء، علاوة على أن اللغة ليست مجرد ألفاظ بل هي وعاء فكري يحمل هوية إسلامية متجذرة ومؤثرة على كافة الجوانب الحياتية.

المبحث السادس: الدعاء:

لما كان الدعاء أحد أنواع التوحيد الذي يوحد بها الفرد خالقه، وهو توحيد الألوهية بتوحيد الله بالعبادة التي لا تكون إلا له -سبحانه وتعالى- كانت هذه القضية حاضرة في نصوص الوحيين بالأمر من الله -سبحانه وتعالى-﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦].

ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾) [البخاري، ٢٠٠٢، ص٣٢٧، رقم: ٧١٤].

وقد أولى العلماء هذه القضية عناية هامة في تراثهم ووصاياهم لمن بعدهم قال الذهبي في وصيته لمحمد بن رافع السلامي -رحمهما الله-: "فثمة طريق قد بقي لا أكتمه عنك؛ وهو كثرة الدعاء والاستعانة بالله العظيم في آناء الليل والنهار، وكثرة الإلحاح على مولاك بكل دعاء مأثور تستحضره أو غير مأثور، وعقيب الخمس :في أن يصلحك ويوفقك" [الذهبي، محمد. ٢٠٠٣، ص٢٥-٢٦].

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: "وكذلك الدعاء فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يختلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاءً لا يحبه الله لما فيه من العدوان، فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًا فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفًا، وإما لحصول المانع من الإجابة"[ابن القيم، ١٩٩٧، ص٩].

ولما كانت هذه المسألة تعتبر من جذور المسائل في العقيدة فلا يجوز صرفها إلا لله -سبحانه وتعالى- فإن الولوج من بعض بيبان التنمية البشرية قد جعل كثيرًا من أربابها وروادها ينحرفون به عن المنهج الصحيح؛ بصرفه لغير الله -سبحانه وتعالى- إما جهلًا منهم؛ كمن يطبق أقوالهم ونصائحهم بلا تمحيص ومعرفة، وإما عمدًا؛ كناشري هذه الأقوال، وخاصة ذات الجذور الغربية في النشأة، والتي يروج فيها الكاتب عقيدته الإلحادية في ذات الله -سبحانه وتعالى-، فيغرس بنفس القارئ صرف الدعاء والطلب لغير الله -سبحانه وتعالى-؛ من خلال توجيههم لكيفية تحقيق ذواتهم، وما يتعلق فيها من مطالب وآمال، ومن ذلك ما

يروجه أصحاب قانون الجذب في قولهم: اطلب من الكون ثم آمن ثم تلقى![بارين، ٢٠١٨، ص١١٢].

والحقيقة أن هذه الفلسفة في تحقيق الذات اشتملت على مأخذين:

الأول:

الفكر الإلحادي في تحويل الدعاء والطلب لغايات المرء ومطالبه من توجيهها لله -سبحانه وتعالى- إلى الكون باعتبار أنه المعطي والمنعم والرازق، وإنكار وجود الله -عزوجل- وهو ما تحدثنا عنه في المبحث الأول.

المأخذ الثاني:

أن هذا الترتيب الإلحادي الذي نص عليه مروجوه بقولهم: اطلب من الكون ثم آمن بأنه سيعطيك، ثم تلقى عطاياه، هي موجودة في الفكر الإسلامي، وموجهة لله -سبحانه وتعالى- وليس للكون، وقد حثت عليها النصوص القطعية مما يغني في ذلك عن استيراد هذه الأفكار الغربية؛ فالله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]، فنحن نطلب من الله كل آمالنا، وما ترتقي به ذواتنا في الدنيا والآخرة، ثم نؤمن ونوقن بأن الله سيستجب لنا -سبحانه وتعالى-، وفي هذا يوجهنا النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: (ادعوا الله ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ)[الترمذي، ١٩٩٨، ٥: ٣٩٤، رقم: ٣٤٧٩]،

ثم إن الله -سبحانه وتعالى- يكرمنا فنتلقى آثار استجابته لدعواتنا وتحقيق آمنا ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، وفي الحديث: (مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ) [البخاري، ١٤٢٢، ٢: ٥٣، رقم: ١١٤٥؛ ومسلم، د.ت، ١: ١٩٠، رقم: ١٩٩].

كل ذلك في إطار إسلامي رصين، حفظ للمرء عقيدته، وصفاءها، ولم يحرمه من طلب ما ترنوا له النفس من غايات دنيوية وأخروية، فيرتقي بها ويسعد ويصل إلى السعادة المنشودة، التي يروج لها رواد التنمية البشرية الحديثة.

الخاتمة:

وبعد أ أن استعرضت بعضًا من محاور التنمية البشرية من منظور العقيدة الإسلامية أعرض ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

أولًا: النتائج:

أن التنمية البشرية المترجمة والوافدة من العالم الغربي والذي في أغلبها إنكار لله -سبحانه وتعالى- قد اصطبغت بفلسفة إلحادية بين سطور مؤلفاتها، ومنشوراتها، وروجت له، فلابد من تمحيص مفرداتهم وملائمتها للعقيدة الإسلامية.

أن اختلاف المصطلحات ذات المدلول الواحد بين التراث الإسلامي والغربي؛ كالشكر والامتنان لا ينبغي النظر له كونه من باب الترادف اللفظي فحسب، فاللغة وعاء فكري تفيض مصطلحاته وفقًا لجذوره وهويته الدينية.

أن الإسلام حوى منهجًا متكاملًا للفرد بشتى مجالات حياته، ونالت تزكية النفس وتهذيبها؛ لما فيه خير الدارين لها جانب ملاحظ في أطروحاته.

ثانيا: التوصيات:

أوصي بأن تكون هناك مؤلفات متجددة لمتخصصي الشريعة الإسلامية بتجدد التنمية البشرية الحديثة الغربية الوافدة لتبيين أثرها على العقيدة الإسلامية.

المصادر والمراجع:

المصادر:

ابن أبي العز، محمد. ١٤١٨هـ. شرح العقيدة الطحاوية. تحقيق: أحمد شاكر. ط١. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. الرياض. السعودية.

ابن القيم، محمد. ١٩٩٦. بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط٣. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.

ابن القيم، محمد. ١٩٩٧. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء. ط١، دار المعرفة. المغرب.

ابن تيمية، أحمد. ١٤٠٦. منهاج السنة النبوية. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط١، مؤسسة قرطبة. مصر.

ابن تيمية، أحمد. ١٩٩٥. مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ط١. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة. السعودية.

ابن حنبل، أحمد. ٢٠٠١. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون. ط١. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان.

ابن منظور، محمد. ١٩٩٤. لسان العرب. ط٣، دار صادر. بيروت. لبنان.

أبو داود، سليمان. د.ت. سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. د.ط. المكتبة العصرية. صيدا. لبنان.

البخاري، محمد. ١٤٢٢. صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١. دار طوق النجاة. بيروت. لبنان.

البخاري، محمد. ٢٠٠٢، الأدب المفرد. تحقيق: علي عبد الباسط مزيد، وعلي عبد المقصود رضوان. ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة. مصر.

البغوي، الحسن. ١٩٨٣. شرح السنة. تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش. ط٢، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت.

الترمذي، محمد. ١٩٩٨. سنن الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط٢. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. مصر.

الذهبي، محمد. ٢٠٠٣. وصية الإمام الذهبي لمحمد بن رافع السلامي. تحقيق: د. جمال عزون. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض. السعودية.

الطبراني، سليمان. ١٩٩٤. المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط٢. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. مصر

مجمع اللغة العربية، د.ت. المعجم الوسيط. د.ط، دار الدعوة. الكويت.

مسلم، مسلم. د.ت. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط. دار إحياء التراث العربي. بيروت-لبنان.

المراجع:

ابن الجوزي. عبد الرحمن. د.ت. كشف المشكل من حديث الصحيحين. تحقيق: علي حسين البواب. د.ط. دار الوطن. الرياض. السعودية.

ابن رجب، عبد الرحمن. ٢٠٠١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس. ط٧. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان.

أزمنديان، علي، ٢٠١١. فكر في نفسك على أنك ناجح. ط١. مكتبة جرير. الرياض. السعودية.

بايرن، روندا. ٢٠١٨. السر. ط١، مكتبة جرير. الرياض. السعودية.

بلكا، إلياس. الغيب والعقل دراسة في حدود المعرفة البشرية. ط١. ٢٠٠٨. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. فرجينا. الولايات المتحدة الأمريكية.

روبرت، أنتوني. ٢٠٠٥. ما وراء التفكير الإيجابي. ط١. مكتبة جرير. الرياض. السعودية.

روبنز، أنتوني. ٢٠٠١. أيقظ قواك الخفية. ترجمة صحة المنيف. ط٢. مكتبة جرير. الرياض. السعودية.

السفاريني، محمد. ١٩٨٢. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية. ط٢. مؤسسة الخافقين ومكتبتها. دمشق. سوريا..

الغزي، رغد. ٢٠٢٣. التنمية البشرية في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. مجلة قراءات فكرية. نوفمبر.

الفريابي، جعفر. ١٩٩٧. القدر. ط١. أضواء السلف. السعودية.

موسوعة ستانفورد للفلسفة:

https://plato-stanford-edu.translate.goog/entries/lawphil-nature

بتاريخ: ٢٠٢٥\٣\٢٣م.

النووي، يحيى بن شرف، ٢٠١٤م. الرياض الندية في شرح الأربعين النووية. ط١ دار البصرة..

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

التقوى وبناء الشخصية القيادية: دراسة تأصيلية

د. مزنة بنت عبد العزيز بن علي اللحيدان

الهيئة العامة للعناية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي - وكيل الرئيس العام للشؤون العلمية والأكاديمية النسائية - عضو هيئة التدريس بكلية المسجد النبوي.

Piety and Building Leadership Character: A Foundational Study.

Dr. Meznah Abdul-Aziz Al-Luhaydan

General Authority for the Care of the Grand Mosque and the Prophet’s Mosque Vice President for Academic & Scholarly Affairs (Women’s Section) – Faculty Member at the College of the Prophet’s Mosque.

E-mail: gmazna5000@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

التقوى - الأخلاق – القيادة.

KEY WORDS:

Piety (Taqwa) – Ethics – Leadership.

مستخلص البحث:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد :

فهذا بحث بعنوان: التقوى وبناء الشخصية القيادية: دراسة تأصيلية، اعتمد في بنائه على عدة مناهج أهمها: المنهجان التأصيلي والاستنباطي. وقد جاء البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة. أما المقدمة: فتناولت بيان أهداف البحث وأهميته ومنهجه وحدوده وخطته، وقد جاء المبحث الأول: في بيان مفهوم التقوى والقيادة وأهميتهما في الإسلام، وأما المبحث الثاني: فتناول دراسة العلاقة بين التقوى وبناء الشخصية القيادية وأما الخاتمة ففيها نتائج البحث وتوصياته التي أهمها، التقوى هي أساس صلاح القائد ونجاح قيادته في الإسلام، وهي تضمن له القدرة على اتخاذ قرارات عادلة وسليمة ومن خلال التقوى، يكتسب القائد الحكمة، والنزاهة، والقدرة على استشعار المصلحة العامة في كافة قراراته, إضافة الى ان القائد التقي ينعكس سلوكه على المجتمع، مما يعزز من روح التعاون والعدالة في النظام المجتمعي وتوصل البحث الى اهم النتائج، ضرورة ترسيخ مفهوم التقوى في البرامج التربوية والإدارية للمؤسسات الإسلامية، واهمية تعليم القادة الجدد كيف يمكنهم استمداد قيم القيادة من تقوى الله والتزامهم بالأخلاق الإسلامية، إضافة الى ان تشجيع الدراسات والبحوث التي تتناول العلاقة بين التقوى والقيادة في العصر الحديث لضمان تحقيق العدالة والتنمية المستدامة.

ABSTRACT:

Praise be to Allah, and may the peace, mercy and the blessings of Allah be upon the Messenger of Allah, his family, his companions, and those who follow him. After greetings.

This research, titled "Piety and Building Leadership Character: A Foundational Study", is based on several methodologies, primarily the foundational and deductive approaches. The study consists of an introduction, Two main sections, and a conclusion. The introduction outlines the research objectives, significance, methodology, scope, and structure. The first One explores the concept of piety (Taqwa) and leadership, emphasizing their importance in Islam. The second examines the relationship between piety and the development of leadership character. The conclusion presents the research findings & recommendations, the most important of which are that piety forms the foundation for a leader's righteousness and the success of their leadership in Islam, ensuring their ability to make just and sound decisions. Through piety, the leader gains wisdom, integrity, and the ability to perceive public interest in all their decisions. Additionally, the behavior of a pious leader reflects on society, enhancing cooperation and justice in the social system. The research reached key conclusions about the necessity of establishing the concept of piety in educational & administrative programs of Islamic institutions, the importance of teaching new leaders how to derive leadership values from piety in Allah, commitment to Islamic ethics, and encouraging studies & research that examine the relationship between piety and leadership in the modern era to ensure justice & sustainable development.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وفطره على معرفة ربه ومحبته، والإقبال عليه، والصلاة والسلام على من أرسله الله ليخرج الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والإيمان، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد، في زمن كثرت فيه التحديات، وتعددت فيه الأزمات، برزت الحاجة إلى إعادة النظر في منظومة القيم التي تُبنى عليها شخصية القائد، لا سيما في واقع الأمة الإسلامية، فليس كل من امتلك مهارة أو حاز منصبًا يصلح للقيادة، وإنما القائد الحق هو من تحلّى بالتقوى، فراقب الله في قوله وفعله، وكان ربانياً في حركته وسكونه.

لقد جاءت فكرة هذه الورقة انطلاقًا من إدراكٍ عميق للحاجة الملحة في واقعنا المعاصر إلى نماذج قيادية تمتلك النية الصادقة، والعدل الراسخ، والرقابة الذاتية، وكل ذلك لا يتحقق إلا عبر قيمة عليا جامعة هي التقوى، التي جعلها الله مقياس التفاضل بين عباده، وجعلها أساس الولاية، ومفتاح الفلاح في الدنيا والآخرة.

اخترتُ قيمة التقوى لأنها تمثّل أصلًا في صناعة القيادة الراشدة، وهي الركن الأصيل الذي تُبنى عليه شخصية القائد المسلم؛ ذلك أن القيادة في الإسلام ليست مجرد كفاءة إدارية أو مهارة تنظيمية، وإنما هي قبل كل شيء أمانة عظيمة ومسؤولية شرعية لا يُحسن القيام بها إلا من امتلأ قلبه بتقوى الله، وخشيه في كل حركة وسكنة.

وفي ظل ما نراه من أزمات قيادة عالمية تتجلى فيها المصالح على المبادئ، والهيمنة على الرحمة، برزت الحاجة إلى إعادة استحضار النموذج الإسلامي القيادي القائم على التقوى، وبيان أثرها في غرس الصفات القيادية الأصيلة، كالحكمة، والعدل، والإخلاص، وتحمل المسؤولية، والرفق بالرعية.

ذلك إنّ التقوى من أعظم القيم الإسلامية التي تتغلغل في أعماق شخصية المؤمن، لتكون دافعًا ذاتيًا يوجه سلوكه، ويضبط علاقاته، ويمنحه رؤية أخلاقية سامية.

وحينما تُستثمر هذه القيمة في صناعة الشخصية القيادية، فإنها تفرز قائدًا رشيدًا، عادلًا، صادقًا، مسؤولًا، يحمل همّ أمته ويخشى الله في أفعاله.

ومن هنا تنطلق هذه الورقة لتبرز أثر التقوى في صناعة القائد، وتقديم نموذج إسلامي قيادي متقي يخدم المجتمعات ويعالج أزماتها.

أهمية البحث:

التعرف على علاقة التقوى وبالشخصية القيادية: دراسة تأصيلية.

منهج البحث:

يستند البحث على المنهج التأصيلي التحليلي الذي يقوم على بيان مفهوم التقوى ودورها في استجلاء سمات الشخصية القيادية.

أهداف البحث:

- التعرف على مفهوم التقوى.
- بيان أهمية التقوى.
- بيان مفهوم القيادة.
- التعرف على أهمية القيادة من منظور شرعي.
- بيان دور التقوى في بناء الشخصية القيادية.

حدود البحث:

يقتصر البحث على الحدود الموضوعية في بيان دور التقوى في تكوين القادة.

الدراسات السابقة:

لم أقف على أي دراسة علمية سابقة تناولت هذا الموضوع والله أعلم.

خطة البحث وإطاره:

وقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، المقدمة: وفيها: أهمية البحث، وأهداف البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث وإطاره.

المبحث الأول: مفهوم التقوى والقيادة وأهميتها في الإسلام.

المبحث الثاني: دور التقوى في بناء الشخصية القيادية.

الخاتمة: وتتضمن: أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم التقوى والقيادة وأهميتها في الإسلام

مفهوم التقوى: التقوى مقام عظيم دعا إليه الإسلام فأمر به وحث عليه، وحتى يتجلى قدره، وتتضح حقيقته، لا بد من بيان معناه عند أهل اللغة والاصطلاح، إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

التقوى: في اللغة: التقوى والتقاة والتقية الحذر والجمع التقى [1]. والتقوى اسم من وقى، وأصله وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى [2]. وعليه فإن معنى التقوى يدور حول الحفظ والصيانة والستر.

التقوى في الاصطلاح: "الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك" [3].

وقيل: التقوى: "حفظ النفس عما يؤثم بترك المحظور وبعض المباحات" [4].

---

(١) ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، مادة "ت ق ى"، (١/١٢٤).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة "وقي"، (١٥/٤٠١-٤٠٣)

(٣) التعريفات، للجرجاني، (ص: ٦٥).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، (ص: ١١٣).

وهذه المعاني تتحقق فيها؛ إذ التعريف الأول: بين أن التقوى الحذر من فعل المعاصي وترك الواجبات، وهذا أصلُ تحققها، بينما الآخر بيَّن التقوى بأثرها وثمرتها؛ ذلك أن المتقي يورثه تقواه اجتناب فضول المباح خشية الوقوع في المحظور والذي يتجلى في غضونه خلق الورع.

وبالتدقيق بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي يلحظ أن بعضها يتضمن بعضًا؛ ليتبين من ذلك أن التقوى أصل الأخلاق وجماعها في الآن معًا.

أهمية التقوى:

التقوى شأنها عظيم في الإسلام، وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين؛ يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وإن تكفروا فإنَّ لله ما في السموات وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا** ﴾، [النساء: ١٣١]، أوصاهم الله بها رحمة بهم لصلاح أنفسهم، فهي شعار المؤمنين ودعوة الأنبياء والمرسلين؛ ففي الحديث عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: **"أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ"**[(٥)]، فكان أول ما أوصاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التقوى لما يعلمه من شمولها وإحاطتها بمنفعة العباد في دقيق أمورهم وجليلها.

وقال الشيخ السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف: ٩٠]، "كلُّ خيرٍ في الدنيا والآخرة فهو مِن آثار التقوى والصبر، وأنَّ عاقبة أهلها أحسنُ العواقب"[(٦)].

والتقوى من عظيم شأنها لأنها ليست على مرتبة واحدة وإنما من العلماء من يرى أنه يمكن إجمالها في مرتبتين كما يأتي:

المرتبة الأولى: الأصل الواجب: يقول الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وإن تكفروا فإنَّ لله ما في السموات وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا** ﴾، [النساء: ١٣١]، والأصل الواجب هو ما عبر عنه الإمام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "التقوى اسم لأداء الواجبات وترك المحرمات"[(٧)]، جميعها صغيرة كانت أو كبيرة؛ لأن التهاون بالصغائر والتساهل فيها يصيرانها كبيرة، كما أشار إليه قول الشاعر في هذه الأبيات:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَ هَا وَكَبِيرَ هَا ذَاكَ التُّقَى
وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْ ضِ الشَّوْكِ وَيَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى [(٨)]

المرتبة الثانية: الكمال المندوب: بمعنى أن تحقيق كمال التقوى بأن يعمل المؤمن بما جاء من الدين أمرًا ونهيًا يتلمس مرضاة ربه فرضًا ونفلًا لينال ولاية الله أنعم بها قربى، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **"لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ، حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ"**[(٩)]. وذلك كما فسرها ابن مسعود: "أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى"[(١٠)].

ولعلها المقصودة في تعريف الإمام السفاريني رحمه الله للتقوى بقوله: "التحرز بطاعة الله عن مخالفته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه"[(١١)]؛ فيتحرز المرء مما يخشى أن يكون فيه لبس، مجتنبًا الشبهات والمكروهات، متلمسًا مرضاة الله في قوله وفعله ونجواه.

وقد جمع الإمام ابن رجب رحمه الله بين هذه المرتبتين فقال: "تقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه. ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات، وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات، وترك المكروهات، وهي أعلى درجات التقوى"[(١٢)].

فتحقيق التقوى من تمام شكر الله تعالى: قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾. [المائدة: ٧]، وبذلك بينه الإمام محمد بن كعب رحمه الله فقال: "الشكر: تقوى الله والعمل بطاعته"[(١٣)]، فعن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"[(١٤)].

وخلاصة القول أن التقوى جماعُ الخير، وهي سبيل الفلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة. ومن اتقى الله وقاه الله، "فإن تقوى الله عز وجل خَلَفٌ من كل شيء، وليس من تقوى

---

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه، ح (٤٢)، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، حديث العرباض بن سارية ﷺ عن النبي ث، (١٥/١). وأبو داود في سننه، ح (٤٦٠٧)، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٢٠٠/٤). والترمذي في سننه، ح (٢٦٧٦)، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (٤٤/٥)، صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح (٢٧٣٥)، (٥٢٦/٦).

(٦) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (ص٢٠٧).

(٧) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٧٩/٢٩).

(٨) ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي، (٣٧٦/٢).

(٩) أخرجه ابن ماجه في سننه، ح (٤٢١٥)، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، (١٤٠٩/٢). والترمذي في سننه، ح (٢٤٥١)، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ث، (٦٣٤/٤).

(١٠) الزهد، لأبي داود، (ص: ١٤٥).

(١١) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، (٤١١/١).

(١٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (٣٩٩/١).

(١٣) جامع البيان، للطبري، (٣٦٨/٢٠).

(١٤) أخرجه الترمذي في سننه، ح (١٩٨٧)، أبواب البر والصلة عن رسول الله ث، باب ما جاء في معاشرة الناس، (٤٢٣/٣). حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح (١٣٧٤)، (٣٦١/٣-٣٦٢).

الله خَلَف" كما جاء في وصية عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

مفهوم القيادة:

القيادة في اللغة: من "القود" نقيض " السوق " يقال: يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها(١٥) وعليه فمكان القائد في المقدمة كالدليل والقدوة والمرشد.

القيادة: "هي القدرة على التأثير على الآخرين وتوجيه سلوكهم لتحقيق أهداف مشتركة. فهي إذن مسؤولية تجاه المجموعة المقادة للوصول إلى الأهداف المرسومة"(١٦).

تعريف آخر: "هي عملية تهدف إلى التأثير على سلوك الأفراد وتنسيق جهودهم لتحقيق أهداف معينة"(١٧).

أهمية القيادة:

القيادة أمانة عظيمة، ومسؤولية كبيرة تتطلب التقوى والإيمان بالله، وأن تكون قراراته وأفعاله متوافقة مع شريعة الله، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [النساء: ٥٨].

[النساء: ٥٨]. هذه الأمانة تتطلب من القائد العدل والرؤية الثاقبة، وهي أساس نجاح الأمة وتقدمها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتعيين القائد في أقل التجمعات البشرية حيث قال: **"إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدكم ".**(رواه أبو داوود)

وقال الخطابي: "إنما أمر بذلك ليكون أمرهم جميعاً ولا يتفرق بهم الرأي ولا يقع بينهم الاختلاف" **بناءً على ذلك، فإن أهمية القيادة تكمن في عدة نقاط أساسية(١٨):**

- القيادة هي الباعث على توجيه الطاقات البشرية بأسلوب متناسق يضمن تحقيق الأهداف المرجوة، وهي الرابط بين الأفراد وخطط المنظمة المستقبلية.
- القيادة هي المحل الذي يتم فيه دمج كافة السياسات والاستراتيجيات والأهداف المشتركة، مما يساهم في تنظيم العمل داخل المؤسسات.
- القائد يسعى إلى تعزيز السلوكيات الإيجابية وتقليص الجوانب السلبية قدر الإمكان في بيئة العمل.
- القائد يتولى مهمة حل مشكلات العمل وحسم الخلافات بين الآراء، مما يعزز استقرار المؤسسة.
- القيادة تركز على تنمية وتدريب الأفراد باعتبارهم الثروة الأهم للمؤسسة، وتعمل على تطوير مهاراتهم وقدراتهم.
- القيادة تسعى على مواكبة التغيرات المحيطة وتوظفها لخدمة المؤسسة وتحقيق أهدافها.
- القيادة تساهم في تحقيق الأهداف المرسومة للمؤسسة، من خلال التنظيم والتوجيه الصحيح.

المبحث الثاني: دور التقوى في بناء الشخصية القيادية

التقوى من أعظم الخلال، وأشرف الخصال، وأجلّ المقامات، لا يُنال بها فضل فحسب، بل تُبنى بها الحياة، وتُوزن بها الأعمال، وتُرفع بها الدرجات. فهي جماع الخير، وأصل الفضائل، وميزان الكرامة بين الخلق، كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].

وليس عجبًا أن يكون لفظها من أكثر الألفاظ تكرارًا في كتاب الله، إذ بها ينتظم أمر العبد ظاهرًا وباطنًا، وبه تتحقق الولاية، وتُنال محبة الله، وتُستجلب البركات، وتُدفع النقم.

فالتقوى ليست دعوى تُدّعى، ولا شعارًا يُتزين به، وإنما هي مقام رفيع، لا يصعد إليه إلا من صدق في السير إلى الله، وراقبه في السرّ والعلن، وأوقف نفسه عند حدوده، وامتثل أمره، واجتنب نهيه.

وإنّ المتقي لا يزال يترقّى في مراتبه، حتى يدع ما لا بأس به، خشية أن يقع فيما به بأس، كما قال النبي ﷺ: **"لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا لما به بأس"**. رواه الترمذي.

ومن هنا، فإنه متى ما امتلك القائد هذه القيمة، أصبح قراره نابعًا من ضمير حي، لا يخشى إلا الله، ولا يظلم، ولا يجور، ولعل من أبرز الصفات القيادية المرتبطة بالتقوى ما يأتي:

الحكمة وسداد الرأي:

التقوى بما تمثله من خوف من الله وطاعة له، هي بوابة القائد إلى الحكمة والرشد؛ لأنها تصحح بوصلة تفكيره نحو مراد الله ومصالح العباد، بعيدًا عن الأهواء الشخصية، قال الله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ ولهذا فكلما كان القلب معمورًا بالتقى، كان حظه من العلم أجدر وأقوى، وكلما قوي الإيمان في القلب، قوي انكشاف الأمور له، وعرف صحيحها من باطلها، يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحديد: ٢٨]، ومعنى ذلك التمييز بين الحق والباطل، والتفرقة بينهما؛ فلا يلتبس عليه ظاهر الأمور من باطنها وترجيح المصلحة على المفسدة عند اختلاطهما، وذلك من أعظم أحوال الهدى؛ لما فيها من البرهان، وإزالة الشبهة، وهو فضل الله ﷻ يؤتيه من يشاء من عباه فضلًا ومنة لمن آمن به وأتقاه حق التقوى، والتي تعد من حكم إنزال الله تعالى هذا الكتاب إلينا، قال الله تعالى في فاتحة سورة البقرة: ﴿ **الم . ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ١-٢]. وعليه فإنه كلما زادت التقوى بلغ العلم في القلب قدحًا معلى، وبذاك تتجلى ثمرة التقوى؛ إذ إنّ

(١٥) لسان العرب، لابن منظور، مادة "قود"، (٣/٣٧٠).
(١٦) ينظر: مهارات القيادة وصفات القائد، للعساف، (ص: ٣).
(١٧) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٣).
(١٨) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٤)، والصفات القيادية الناجحة في القرآن الكريم، للخليفي، (ص: ٩-١٠).

الذي يعمل بما يعلم سيهديه الله تعالى لعلم ما لا يعلم [١٩]، من الحِكم والأسرار التي تخفى على كثير من البشر. وعلى هذا فكلما ضعفت التقوى، ضعف نور العلم في القلب، وذلك مثل السراج القوي، والسراج الضعيف في البيت المظلم [٢٠].

وكما أنشد الإمام الشافعي رحمه الله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونورُ الله لا يُهْدى لعاصي [21]

ليستبين في ضوء ذلك المحك بين الدعاوى الزائفة من أمثال أدعياء الحكمة الواهمة، التي لا تعرف من أحوال النفس خلا ما تراءى لها، ودعوةِ الأنبياء المعصومة الراشدة التي لا تنطق عن الهوى.

قوة الحجة:

وهي فرع عن سابقتها، بيد إنها أدق منها، فالتقوى تورث القائد قوة في حجته واستدعاء تبريراته وكأنه ينطق لمغالط ويستعرض لمعارض، فتجعل للإنسان في نفسه صفات تجعل في كلامه تأثيرًا في نفوس السامعين، وانظر ما حكاه الله تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: ٨٨]. وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن هذه المكانة هي من فضل الله تعالى للعالم بالحق القائم به الدال عليه، وفي ذلك يقول: "العامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [الصافات: ١٧٣]، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح. وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾ [الفرقان: ٣٣]، قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة" [٢٢].

الثبات:

القيادة الناجحة قيادة ثابتة لا تتلون بحسب العوارض والظروف، وهو ما يفهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ" [٢٣]، ثبات على الحق والهدى ثبات الأهداف والغايات وعلى الفضائل والأخلاق، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا** ﴾[النساء: ٦٦]، قال الإمام البيضاوي رحمه الله: "ولو أنّهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ﷺ ومطاوعته طوعًا ورغبة، لكان خيرًا لهم في عاجلهم وآجلهم، وأشدّ تثبيتًا في دينهم" [٢٤].

ولأجل هذا كان الثبات من أكبر علامات الاستمرار؛ حيث إنّ الوصول إلى الحق سهل، أما البقاء عليه والجهاد لأجله، فمزلة الأقدام التي يظهر بها الصادق من غيره [٢٥].

الحفظ:

القيادة من أكثر المهام لفتًا للأنظار واستهدافًا من الأعداء والفجار، فحين يكون القائد متق لله تعالى، نال الحفظ والحماية من الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٢٠].

وقد وعد الله المتقين بالنجاة وتيسير الأمور فقال سبحانه: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ [الطلاق: ٢]. وقد علّق ابن تيمية على هذه الآية بقوله: "**ان الله ضمن للمتقين ان يجعل لهم مخرجا مما يضيق على الناس وان يرزقهم من حيث لا يحتسبون فيدفع عنهم ما يضرهم ويجلب لهم ما يحتاجون إليه فإذا لم يحصل ذلك دل على أن في التقوى خللاً فليستغفر الله وليتب إليه**" [٢٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "**يَا غُلامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟**". فقلت: بلى. فقال: "**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى**

---

(١٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٣٠٨٤/٩).
(٢٠) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٤٥/٢٠-٤٦).
(٢١) ديوان الشافعي، (ص: ٢٦٢).
(٢٢) كشف الشبهات، لابن عبد الوهاب، (ص: ١٤)
(٢٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح (١٧١٤٤)، مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم، (٣٧٣/٢٨). وابن ماجه في السنن، ح (٤٢)، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، حديث العرباض بن سارية ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم، (١٥/١). صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح (٢٧٣٥)، (٥٢٦/٦).
(٢٤) أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٨٢/٢).
(٢٥) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي، (٥٣٦/٩).
(٢٦) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٥٢٦/٨).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"(٢٧).

فالعبد إذا حفظ طاعة الله وجده يحفظه وينصره في مهماته أينما توجه، ويسهل له الأمور التي قصدها، ووجد عنايته ورأفته قريبًا منه، يراعيه في جميع الحالات، وينقذه من جميع المضرات، ويسعده بأنواع التحف والكرامات(٢٨).

فيصرف عنه الآفات التي هي عُرضة اختيارِ العبد لنفسه، ويريه من حُسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه(٢٩).

القوة:

الحق ثقيل، والمحن لابد أن تلازمه(٣٠)؛ لذلك لا يقوى عليها إلا من اتقى الله حق تقاته، قال تعالى مثنيًا على أنبيائه بذلك، ﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ**﴾ [ص: ٤٥]، فالأيدي: القوة في تنفيذ الحق، والأبصار: البصائر في الدين، فوصفهم بكمال إدراك الحق، وكمال تنفيذه، وهؤلاء أشرف الخلق وأكرمهم على الله تعالى(٣١).

ذلك أنّ الناس في هذا الأمر على أربعة أقسام: أولها: القوي في الحق وتنفيذه، أما الثاني: فعكس هؤلاء، وهو من لا بصيرة له في الدين، ولا قوة له على تنفيذ الحق، وهم أكثر هذا الخلق، والثالث: من له بصيرة بالحق ومعرفة به، لكنه ضعيف لا قوة له على تنفيذه ولا الدعوة إليه، وهذا حال المؤمن الضعيف، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله منه، والرابع: من له قوة وهمة وعزيمة، لكنه ضعيف البصيرة في الدين، لا يكاد يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٣٢).

وبأول هذه الأقسام: يتحقق نصر الحق، ويرتفع شأن الدين، فالذي وعد بذلك لا يمنعه من تحقيق وعده مانع، قال تعالى: ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: ٤٠]، "أي: والله لينصر الله من ينصره، والمراد بمن ينصر الله من ينصر دينه وأولياءه"(٣٣)، فيمده بقوة منه وعزة من لدنه سبحانه.

غير أنّ كثيرًا من الناس يظن أنّ أهل الدين الحق يكونون في الدنيا أذلاء مقهورين مغلوبين دائمًا، بخلاف من فارقهم إلى سبيل أخرى، وطاعة أخرى، فلا يثق بوعد الله بنصر دينه وعباده، فهو إما أن يجعل ذلك خاصًّا بطائفة دون طائفة، أو بزمان دون زمان، أو يجعله معلقًا بالمشيئة، وإن لم يصرح بها، وهذا من عدم الوثوق بوعد الله تعالى، ومن سوء الفهم في كتابه، والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾ [غافر: ٥١]، فالله ناصر أولياءه في الدنيا والآخرة، وما أصاب العبد من مصيبة، أو إدالة عدو، أو كسر، وغير ذلك فبذنوبه ومعاصيه(٣٤).

أمّا من يتخلّف عن إقامة الحق، ونصرته، فإنّ الله يستبدل به من هو خير منه وأفضل، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: ٥٦]، "يقول تعالى مخبرًا عن قدرته العظيمة أنّ من تولى عن نصرة دينه، وإقامة شريعته، فإنّ الله يستبدل به من هو خير لها منه، وأشدّ منعة وأقوم سبيلًا"(٣٥). ومن أجل ذلك كان أهل الحق من أعلى الناس منزلة، وأفخمهم شأناً ومكانة، بل وأكثرهم تخليداً وذكراً (٣٦) من أول الدنيا إلى قيام الساعة.

الأمانة:

الأمانة والقوة من أهم صفات القائد الناجح، وهما مترسختان في شخصية القائد التقي؛ فالتقوى تربي القائد على الصدق والشفافية، لأنه يستحضر قوله تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨]. فكل كلمة أو فعل مُراقب، مما يدفعه لتحرّي الصدق وتجنب الكذب أو الخداع.

فتترفع نفسه عن الرذائل والقبائح، وتمنعه من الطمع والكذب، والذلّ والمهانة والدنايا كلها (٣٧)، والضراعة نحو الأعراض الدنيوية الزائلة، يدلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران: ٢٦].

إذ النفس تطمع في كل شيء تراه ولو كان فيه هلاكها (٣٨)، والتقوى تنفي آفات الحرص والكلب على أهوائها، الأمر الذي هو رأس كل خطيئة، وأصل كل بلية، وأساس كل رزية(٣٩).

فهو يعلم عبد الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٦١]. لذا فالقائد التقي يتجنب مواطن

(٢٧) أحمد، المسند، ح (٢٨٠٣)، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ، (١٨/٥-١٩). صححه الألباني، ح (٢٣٨٢). ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، (٤٩٦/٥).

(٢٨) ينظر: مرقاة المفاتيح، القاري، (٣٣٢٣/٨).

(٢٩) ينظر: الفوائد، لابن القيم، (ص: ١٣٨).

(٣٠) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٨٢/٣٢).

(٣١) ينظر: الداء والدواء، لابن القيم، (ص: ٩٣).

(٣٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٩٣).

(٣٣) الشوكاني، فتح القدير، للشوكاني، (٥٤١/٣).

(٣٤) ينظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم، (١٨٣/٢).

(٣٥)تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٣٥/٣).

(٣٦) الناظر في كتب التاريخ والتراجم والسير، يجد أنّه لم تخلد ذكرى أحد بمثل ما خُلدت سير العلماء والصالحين الثابتين على الحق الأقوياء فيه، فلقد حفظ الله الركن الثالث في الإسلام بقوة أبي بكر الصديق ﷺ في حرب المرتدين، كما حفظ القرآن الكريم، بثبات الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، في فتنة القول بخلق القرآن. ينظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر، (٢٧٨/٥).

(٣٧) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، (٢٩٤/٢-٢٩٥).

(٣٨) ينظر: وصايا من القرآن والسنة، لمرسي، (ص: ٥٧).

(٣٩) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، (٢٠٢/٢).

الشبهات فضلاً عن المحرمات، وهذا ينعكس على سمعته وثقة الناس فيه.

بينما لا يتقي الله قد ينهب ويسرق ويرتشي ويأخذ ما ليس له وما لا يحق له؛ فلا صادَّ له عن قبيح، ولا زاجر عن محظور، يُقدِم على ما يشاء ويأتي ما يهوى (٤٠)، فيكون مذمومًا مَعيبًا من الله ومن خلقه.

وعلى هذا يتبيّن أنّ التقوى تبعث على التعفف عما في أيدي الناس، فلا ينظر إلى ما ليس له، ولا يلتفت إليه، ولا يستشرف له بقلبه، ولا يتعرض له بحاله، ولا لسانه، كافًّا أذاه عن الناس، لا يُظهر لهم عكس ما يبطنه ويخفيه.

فالأمانة والقوى هما ركنا القيادة الحقة، فالأمين بدون قوة قد يفشل، والقوي بلا تقوى يطغى؛ لذا فالمطلوب هو القوي الأمين كما ورد في قوله تعالى :﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ**﴾ [القصص: ٢٦]. وقد شرح ابن تيمية رحمه الله هذا المعنى بقوله: "الولاية لها ركنان: القوة والأمانة. فالقوة في كل ولاية بحسبها... والأمانة ترجع إلى خشية الله وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلًا وترك خشية الناس". فالأمانة بمعناها العميق هي خشية الله في أداء المسؤولية، ومن اجتمع فيه هذه الفضائل اكتملت له أسباب القيادة الرشيدة.

علو الهمة:

تقوى الله تعالى من أكبر الدواعي التي تدعو إلى العمل، والنشاط، والسعي بما يُرضي الله في هذه الحياة؛ ولذا فإنّه من أقوى الحوافز للمؤمن كي يعمل، ويُقدِم على عظائم الأمور بثبات، وعزم ويقين.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ**"(٤١)، وقدر السلعة يُعرف بقدر المنادي عليها، والثمن المبذول فيها، وبقدر مشتريها؛ فإذا كان المنادي جليلًا، والثمن خطيرًا، والمشتري عظيمًا، كانت السلعة غالية نفيسة.

فينطلق بثقة بالله وقوة وإقدام يقتحم الأهوال ويستهين الصعاب، يجود بالنفس والنفيس، في سبيل تحصيل غايته، وتحقيق بغيته، ويعلم أنّ المكارم منوطة بالمكاره، وأنّ المصالح والخيرات، واللذات والكمالات، لا تُنال إلا بحظ من المشقة ولا يُعبر إليها إلا على جسر من التعب.

فهي ليست شعارات تُدَّعى ومقالات تقال، وإنما عمل دؤوب وقاد، ونفَسٌ أخاذ، وهذا ما تؤثره التقوى في القيادة الحقة كالشمس في رابعة النهار، فالعزائم الصادقة المخلصة سبب في إنتاج المعارف المبتكرة الفذَّة، فكم من متوسطي الذكاء أفادوا الأمة وسادوا بينما أصحاب الذكاءات المرتفعة قعدت بهم هماتهم إلى السفاف فما نفعوا ولا فادوا، وقد أجمع عقلاء كل أمة أنّ النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأنّ من آثر الراحة فاتته الراحة(٤٢)، فشتان بين من همته تجول حول العرش، ومن تحوم بين الدنايا والقش(٤٣).

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يُفقر والإقدام قتّال (٤٤)

التواضع:

القائد المتقي يعلم أن ما له فضل من الله ومنة، يمضي في حياته على منهج سواء، لا تُبطره النعمة، ولا تُسيئه المصيبة، يعلم أنّ كل ما أصابه من نعم وحسنات من الله لا بذكائه وحسن تدبيره، فينتفي عنه الإعجاب بالنفس عند حصول مراده؛ لأنّه يعلم أنّ حصوله بقدر الله، وأنّ عمله الذي حصل به مراده ليس إلا مجرد سبب يسّره الله تعالى له(٤٥)، فيعرف قدر نفسه، فلا يتكبر ولا يتعالى، يعلم ان التقوى طريق الكرامة والرفعة منه تعالى يقول جل وعلا: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]، فرفعةُ الإنسان وكرامته عند الله تعالى إنما تُنال بالتقوى.

ومن هنا يحمل صاحبه على التواضع ولين الجانب مهما أوتي من قوة أو مال أو جاه أو علم أو شهرة أو نحو ذلك؛ لعلمه بأنّ كل ما يملكه إنّما هو ملك لله، وأنّه ﷻ لو شاء لانتزعه منه، فيتواضع ويقنت لله ﷻ، ويلين بجانبه لأخوانه ويتواضع لهم.

يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ٥٤]، فهم: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾، أي: متواضعين للمؤمنين؛ ولقد أتى سبحانه بلفظة: ﴿**عَلَى**﴾، حتى يدل على علو منصبهم، وفضلهم، وشرفهم، لا لأجل كونهم ذليلين في أنفسهم، بل لأجل أنّهم ضموا إلى علو منصبهم فضيلة التواضع ولين الجانب(٤٦).

يقول الإمام ابن القيّم رحمه الله في بيان هذه الآية: "لما كان الذلّ منهم ذلّ رحمة وعطف وشفقة وإخبات عداه بأداة ﴿**عَلَى**﴾ تضمينًا لمعاني هذه الأفعال، فإنه لم يرد به ذل الهوان

---

(٤٠) ينظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي، (ص: ٢٤٧).

(٤١) الترمذي، السنن، ح (٢٤٥٠)، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، (٦٣٣/٤). صححه الألباني، ح (٢٣٣٥). ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، (٤٤٢/٥-٤٤٣).

(٤٢) ينظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم، (١٤٢/١).

(٤٣) مستفادٌ مما أُثر عن بعض السلف حيث قالوا: "القلوب جوالة: قلب يجول حول العرش، وقلب يجول حول الحش"، مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٥٢٤/٥).

(٤٤) ديوان المتنبي، (ص: ٤٩٠).

(٤٥) ينظر: تقريب التدمرية، للعثيمين، (١٠٤/١).

(٤٦) ينظر: لباب التأويل، للخازن، (٥٥/٢).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الذي صاحبه ذليل، وإنّما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول"(٤٧).

وهم في المقابل أعزة على الكافرين والمشركين، لا يغريهم تقدم، ولا تطور، ولا غير ذلك، فأنفسهم عزيزة بالله الذي كل الدنيا ملكه، ولينهم وتواضعهم إنّما يكون لأوليائه الصالحين.

ولهذا وصفهم ابن عباس رضي الله عنه فقال: "تراهم للمؤمنين: كالولد لوالده، وكالعبد لسيده، وهم في الغلظة على الكافر: كالسبع على فريسته"(٤٨).

ومن هذا يتضح أنّ التقوى تجعل المرء متواضعًا في شموخ واعتزاز؛ تواضعًا بلا خنوع وابتذال، متواضع لأخيه ووليه، متعززٌ على خصمه وعدوه (٤٩)، وإذا تواضع الإنسان كمل سؤدده، وعلا قدره، وتناهى فضله، وعظم في القلوب وقاره، وزاده الله شرفًا ورفعة؛ وإذا رفع الله عبدًا فمن ذا الذي سيخفضه(٥٠)؟

وأحسن أخلاق الفتى وأتمّها
تواضعه للناس وهو رفيع
وأقبح شيء أن يرى المرء نفسه
رفيعًا وعند العالمين وضيع (51)

الحزم:

كل عمل عظيم يحتاج تحقيقه إلى إرادة خالصة، وعزيمة صادقة، والتقوى حقيقتها الحزم على النفس وملذاتها، والأخذ بما فيه صالحها، وهذا يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات، فتخلو أعماله من الحيرة والتردد، وينتفي من حياته القلق والاضطراب؛ لأنّه بمجرد ما يترجح لديه خيرية الإقدام على أمر ما، أقدم عليه في غير ما خوف ولا هيبة ولا تردد، فلن يصيبه إلا ما كتبه له الله وقدره، قال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله: "من لم يصلح على تقدير الله لم يصلح على تدبير نفسه" (٥٢)، وبذلك تتسق نفسه وتسمو إرادته وتعلو همته ويرتاح ضميره ولا تذهب نفسه على ما فاته حسرات(٥٣)، ويتفرغ للعبادة بقلب قوي بربه، خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها(٥٤).

ومن هنا فإنّه لا يحزن على ماض ولا يغتم لحاضر ولا يؤلمه هم المستقبل، وبذلك يكون أسعد الناس حالًا وأطيبهم نفسًا وأصلحهم بالًا وأهدأهم خاطرًا (٥٥).

العفو:

التقوى بما فيها من خوف مستمر من الله تدفع القائد إلى مراقبة نفسه ذاتيًا وضبط أفعاله وانفعالاته. فالقائد التقي يكون عادةً أقدر على السيطرة على الهوى والغضب وحب الظهور، لأنه يعلم أن العبرة ليس بإرضاء النفس وإنما بالله الذي يطلع على خفايا الصدور. ومن صفات المتقين التي ذكرها تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فالتقوى تمنح القائد قوة داخلية على الانضباط والالتزام مهما كانت الضغوط. فهي سياج أخلاقي يحجزه عن تجاوز حدود الله أو ظلم الناس في الخلوة أو الجلوة.

وبالتالي الترقي إلى الصفح والعفو عن الزلل ليس من ضعف وهوان وإنّما بعد مقدرة وإمكان، قال تعالى: ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾ [الحجر: ٨٥]، وبهذا يحصل الصفح والحلم الذي حده ضبط النفس والخُلق عند هيجان الغضب، وهو تفضّل على المسيء وتآلف واستيعاب، وترفع عن مجاراة المخطئ، وسعة صدر ومروءة وحزم مع النفس وعزم وجلد واحتمال (٥٦)، وما أسمى الإمام الشافعي رحمه الله وما أبلغه حين جسد ما استشعره، وقال:

يخاطبني السفيه بكل قبحٍ
فأكره أن أكون له مُجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلمًا
كعود زاده الإحراق طيبا (57)

يصفح ويعفو عن من آذاه، متلذذًا بذلك ليقينه بعاقبته عند الله تعالى، يدل على ذلك ما جاء عن ميمون بن مهران: "أنّ جارية له جاءت بمرقة، فعثرت فصبت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يا مولاي، استعمل قول الله تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾، فقال: قد فعلت، فقالت: اعمل بما بعده ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾، قال: عفوت، فقالت: اعمل بما بعده ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾، فقال ميمون: أحسنت إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى"(٥٨).

الشورى:

القيادة الحقيقية مسؤولية والمتقي يعلم عظم هذه الأمانة ساعيًا بكل ما بوسعه لإقامتها حق القيام، لذا تجده حريص على عدم الاعتداد بنفسه فلا يتخذ القرارات المهمة لوحده، لأن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، واستبداده برأيه يجر إليه ما لا يحصى من الويلات، لذا كان من أهم ركائز المتقي في قيادته المشورة، "الرجوع إلى أهل الرأي والاختصاص

(٤٧) مدارج السالكين، لابن القيم، (٣١٠/٢-٣١١).
(٤٨) الوسيط، للواحدي، (٢٠٠/٢).
(٤٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٣٦/٢).
(٥٠) ينظر: الحمد، الإيمان بالقضاء والقدر، للحمد، (ص: ٩٩).
(٥١) غذاء الألباب، للسّفاريني، (٢٣٣/٢).
(٥٢) شعب الإيمان، للبيهقي، (٣٩١/١).
(٥٣) ينظر: ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، للإبراهيم وآخرين، (ص: ٥٤-٥٥).
(٥٤) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، (٢١٥/٢).
(٥٥) ينظر: عقيدة المؤمن، للجزائري، (ص: ٢٤٧).
(٥٦) ينظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي، (ص: ٢٥٦-٢٦٥).
(٥٧) الجوهر النفيس، للشافعي، (ص: ٢٠).
(٥٨) تنبيه الغافلين، للسمرقندي، (ص: ٢٠٤).

في الأمور التي لا يوجد فيها نص شرعي واضح؛ للوصول إلى الأنفع للأمة والأصلح لها"(٥٩).

ومشورة القائد لأهل العلم والرأي من دلائل الرشد. فإن القائد التقي يعلم أن رأيه قد يزل إن اعتمد على نفسه، فتجده يشاور أهل الخبرة بتواضع، وقد كان النبي ﷺ على عظيم منزلته أكثر الناس مشورة لأصحابه، فعندما أشار عليه الحباب بن المنذر رضي الله عنه بتغيير موقع جيش بدر قبِل مشورته فورًا، وهذه المرونة والحكمة وليدة قلب متق لله لا يستبد برأيه. وكذلك أبو بكر كان يشاور الصحابة وعمر خاصة في جل الأمور، وعمر كان له مجلس شورى من البدريين والفقهاء. إنهم يدركون قول الله: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى: ٣٨]، فلا يتكبرون عن الاستماع، فالقائد المتقي يهتدي بنور الله إلى سواء السبيل، فإن أخطأ اجتهد في تصحيحه بتقواه، وإن أصاب فبتوفيق الله له.

ذلك إن الشورى مدعاة لحصول الحكمة والسداد والإصابة، كما تؤثر في تماسك بناء الأمة، وتؤلف القلوب، وتشعر بالمسؤولية، وحق من حقوق الأمة لتقوم بدورها الحضاري خير قيام(٦٠).

العدل والاعتدال:

القيادة الحقة تستلزم العدالة والانصاف، والمتقين أشد الناس تمسكًا بذلك، يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء: ١٣٥].

فالتقوى تحجز الإنسان عن ظلم الآخرين لإنها تذكره دومًا برقابة الله وعواقب الجور، وقد ربط الله تعالى بين العدل والتقوى في قوله :﴿**ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ**﴾ [المائدة: ٨]، أي اعدلوا فإن العدل أقرب ما يكون لتحقيق التقوى، فـلا غرابة أن يكون "**الإمام العادل** "أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ذلك أن عدله نابع من تقواه وخشيته من حساب الله.

وقد أدرك الخلفاء الراشدون عظم ذلك؛ حيث يُروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :"**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزن عليكم**"، فكان شديد المحاسبة لنفسه، عظيم الورع في رعيته، حتى إنه خشي أن تُعثر دابة في العراق فيُسأل عنها يوم القيامة! وما ذلك إلا ثمر التقوى التي جعلته يستشعر المسؤولية أمام الله في كل صغيرة وكبيرة.

ومن الأحاديث التي توجه ولاة الأمور خاصةً إلى العدل وتقوى الله، ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ حين أرسل معاذًا واليًا على اليمن قال له: **وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**"، فهذا تحذير نبوي شديد اللهجة لأي قائد من مغبة الظلم، إذ دعوة المظلوم مستجابة مهما كانت منزلة الظالم، فلا رادع للقادة عن الظلم أقوى من استشعار تقوى الله والخوف من دعوة المظلوم، وهكذا يتضح أن التقوى ضمانة للعدل في القيادة؛ فمتى ما ضعف رصيد التقوى في قلب القائد، تجرأ على حقوق الناس واستطال بسلطانه، وحينها يحل الظلم ويختل النظام.

بينما التقوى تجعله عادلًا وسطًا في الأحوال والأخلاق، فيعدل مع من يُخالفه، وإن تعدوا حدودهم معه فلا يتعدى حدود الله فيهم، بل يَضبط ما يقوله، ويفعله، ويزنه بميزان العدل، مؤتمًّا بالكتاب الذي أنزله تعالى، وجعله هدى للناس فيما اختلفوا فيه(٦١)، قال تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -وكأنه يُعبر عن منهج المؤمن التقي المعتدل السويّ في منهجه وتفكيره-: "إني أقررّ أنّ الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية"(٦٢).

كما يحمله على الاعتدال في سائر الأحوال؛ ذلك أنّ العبد في هذه الحياة الدنيا يتقلب في أحوال عديدة؛ فقد يُبتلى بالفقر، وقد ينال نصيبًا وافرًا من الدنيا، وقد ينعم بالصحة، وقد يُبتلى بالأمراض، ولهذه الأمور وأمثالها أثر في الأخلاق إن انحرفت؛ فالفقر قد يقود إلى الذلة والخنوع، والغنى قد تتغير به أخلاق اللئيم بطرًا، وتسوء طرائقه أشرًا.

والأمراض قد يتغير بها الطبع، فلا تبقى الأخلاق على اعتدال، ولا يقدر معها المرء على احتمال، وكذلك الهموم التي تذهل اللب، وتشغل القلب، فلا تتبع الاحتمال ولا تقوى على صبر(٦٣).

لكن التقي حقيقة في مأمن من ذلك -بأمر الله تعالى-؛ إذ إنّه لا يُؤثر الهوى في حكمه، ولا النعمة تبطره، ولا المصيبة تُقنّطه، ولا تطيش به الولاية في زهو، ولا ينزل به العزل في حسرة، ولا يحمله الغنى على الأشر والبطر، ولا ينحط به الفقر إلى الذلة والخضوع(٦٤).

(٥٩) النظام السياسي في الإسلام، لآل سعود وآخرين، (ص: ١٣٤).
(٦٠) ينظر: القيم السياسية في الخطاب القرآني، للأطرش، (ص: ٥٢-٥٣).
(٦١) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٤٥/٣).
(٦٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٢٩/٣-٢٣٠).
(٦٣) ينظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي، (ص: ٢٤٦-٢٤٤).
(٦٤) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١١١-١١٢).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

التأييد والتمكين:

وحتى تتحقق الأهداف وتنال الغايات لا بد من الإعانة والتمكين، الأمر الذي هو أهم أهداف القيادة الناجحة، والمتقين أولى الناس بالإعانة والنصرة قال تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، فإنه تعالى وليّ من أطاعه واتَّقاه حق التقوى، كما جاء في الحديث القدسي: "**إنَّ اللَّهَ قالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**"(٦٥)، وهذا مما يبين عظم قدر المتقي عند المولى جل وعلا؛ يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: "في هذا تهديد شديد؛ لأنّ من حاربه الله تعالى أهلكه...؛ لأنّ من كره من أحب الله خالف الله، ومن خالفه عانده، ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت ذلك في جانب المعاداة ثبت في جانب الموالاة، فمن والى أولياء الله أكرمه الله"(٦٦).

ومما سبق يتبين دور التقوى في بناء القادة وشموخهم وقيامهم بالدور المنوط بهم، ولا غرو فالتقوى أساس السعادة وخيرية الدارين: إذ التقوى تورث البركة وسعة الرزق ورغد العيش وسعادة المرء في الحياتين، يقول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٦]. فطريق النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة مرتهن بتقوى الله تعالى في السر والعلن، فالتقوى سبب رئيس في إفاضة النعم ونمائها، وعودة أمجاد المسلمين ودوامها، وهي العاصم من الزلل، وهي المعين على الرشد والسداد.

وبهذا يتبين أن **التقوى هي جوهر بناء الشخصية القيادية؛** حيث تزود القائد بالبوصلة الإيمانية والأخلاقية التي لا غنى عنها، فلا كفاءة بلا أمانة، ولا عدل بلا خشية، ولا نجاح حقيقي بلا توفيق من الله يمنحه للمتقين، ومن يتق الله يعلمه الله ويجعل له مخرجًا ، وبها يصل إلى بر الأمان وهو مرضيٌ عند ربه وعند الناس، ولعل من أعظم الشواهد القرآنية على أثر التقوى في التمكين القيادي، ما جرى لنبي الله يوسف عليه السلام، حين اتقى الله، وصبر على الظلم والسجن، فأثنى الله عليه بقوله: ﴿**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف: ٩٠]، مما يدلّنا على أن التقوى أصل في بناء القيادة، وبها يتحقق التمكين الحقيقي الذي يرضي الله ويخدم الخلق، وفي زمننا المعاصر، ما أحوج المؤسسات والمجتمعات إلى قادة يتحلون بتقوى الله قولًا وفعلًا، لأن في ذلك ضمانًا لاستقامة المسار وعدالة الإجراءات وتحقيق الخير العام؛ فالتقوى ليست فضيلة شخصية فحسب، بل ركيزة قيادية لا تستقيم منظمة بدونها.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فبفضل من الله تعالى وإعانته وتوفيقه، تمت كتابة هذا الموضوع وقد تم الخلوص إلى أهم النتائج وأبرز التوصيات؛ وذلك كما يأتي:

أولاً: النتائج:

- التقوى تُعتبر العامل الأساسي الذي يُمكّن القائد من اتخاذ قرارات عادلة وصائبة، مما يساهم في النجاح والتقدم في القيادة.
- التقوى تمنح القائد القدرة على استشعار المصلحة العامة، مما يُمكّنه من اتخاذ القرارات التي تضمن العدالة والرفق في المجتمع.
- سلوك القائد المتقي يؤثر بشكل إيجابي على المجتمع، حيث يعزز من روح التعاون والعدالة ويُساهم في استقرار النظام المجتمعي.
- التقوى تضفي على القائد الإخلاص والصدق في اتخاذ قراراته، مما يجعله يحقق الأهداف المرجوة بطريقة تتوافق مع شريعة الله.
- التقوى تعزز من تحمل المسؤولية، مما يُساعد القائد على التعامل مع الأزمات واتخاذ قرارات رشيدة تلبي حاجات المجتمع.

ثانيًا: التوصيات:

- يجب تضمين قيم التقوى في المناهج التعليمية للمؤسسات، بحيث تُعتبر جزءً من تطوير القادة والمربين في المدارس والجامعات والمؤسسات المجتمعية والإدارية.
- يجب تعليم القادة والممارسين في المجالات الإدارية دور تقوى الله في اتخاذ قرارات سليمة وموثوقة فضلًا من عند الله.
- هناك حاجة كبيرة إلى إجراء دراسات بحثية تتناول العلاقة بين التقوى والقيادة في السياقات المعاصرة، من أجل ضمان تحقيق العدالة واستشعار حقيقة سلامة الاعتقاد في صلاح الأحوال.

(٦٥) أخرجه البخاري في صحيحه، ح (٦٥٠٢)، كتاب الرقاق، باب التواضع، (١٠٥/٨).

(٦٦) فتح الباري، لابن حجر، (٣٤٢/١١).

- من الضروري تشجيع القادة على التوسع في استخدام الشورى كأداة لتأصيل القيم الإسلامية في اتخاذ القرارات داخل المؤسسات والمنظمات.

- يجب تخصيص اهتمام خاص بتعليم الأخلاق الإسلامية كجزء أساسي من إعداد القادة، حيث أن القائد الناجح يجب أن يتسم بالعدالة، النزاهة، التواضع، والحكمة التي تُستمد من تقوى الله.

- أن تتضمن المناصب القيادية مشورة أهل الاختصاص والخبرة إلى جانب نخبة من زملاء العمل رؤوساء ومرؤوسين.

- توجيه القادة في المؤسسات إلى تعزيز التأصيل العقدي في التعامل مع الأزمات والتحديات التي تواجه المجتمعات، مما يساهم في تحقيق الحلول المستدامة والمبنية على العدالة والإخلاص.

فهرس المراجع والمصادر:

- أحكام أهل الذمة لابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري؛ شاكر بن توفيق العاروري، ط١، (الدمام: رمادي للنشر، ١٤١٨ه - ١٩٩٧م).

- الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادةً وقسماً علمياً، للطريقي، عبد الله بن إبراهيم؛ وآخرين، ط١، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧ه-١٩٩٧م).

- ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، الإبراهيم، موسى بن إبراهيم، د.ط، (د.م: دار عمار، د.ت).

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسننه وأيامه، للبخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: الناصر، محمد زهير، ط١، (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م).

- ديوان المتنبي، المتنبي، أحمد بن الحسين، د.ط، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م).

- ديوان المتنبي، المتنبي، أحمد بن الحسين، د.ط، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م).

- سنن ابن ماجه، لابن ماجه، محمد بن يزيد، تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد، د.ط، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧١ه- ١٩٥٢م).

- سنن أبي داود، لأبي داود، سليمان بن الأشعث، تحقيق: عبد الحميد، محمد محيي الدين، د.ط، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت).

- سنن الترمذي، للترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: شاكر، أحمد محمد؛ عبد الباقي، محمد فؤاد؛ عوض، إبراهيم عطوة، ط٢، (مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ه-١٩٧٥م).

- القيم السياسية في الخطاب القرآني، للأطرش، رضوان بن جمال، (ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية، عدد١: مارس٢٠١١م).

- لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ه- ١٩٩٤م).

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاريني، محمد بن أحمد، ط٢، (دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ١٤٠٢ه-١٩٨٢م).

- الماوردي، علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، د.ط، (د.م: دار مكتبة الحياة، ١٤٠٦ه- ١٩٨٦م).

- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد، ط١، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦ه-١٩٩٥م).

- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد، ط١، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦ه-١٩٩٥م).

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري، علي بن سلطان، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢ه-٢٠٠٢م).

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد، د.ط، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤ه-١٩٥٤م).

- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، عياض بن موسى، د.ط، (القاهرة: دار التراث، ١٣٩٨ه-١٩٧٨م).

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، محمد بن أبي بكر، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: الداودي، صفوان عدنان، ط١، (بيروت: دار القلم - الدار الشامية، ١٤١٢ه-١٩٩٢م).

- مكارم الأخلاق، لابن عثيمين، محمد بن صالح، ط١، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٧ه-١٩٩٦م).

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: سالم، محمد رشاد، ط١، (د.م: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م).

- النظام السياسي في الإسلام، لآل سعود، سعود بن سلمان، وآخرين، ط١٦، (الرياض: مدار الوطن للنشر، ١٤٣٦ه-٢٠١٥م).

- وصايا من القرآن والسنة، تحقيق: غنيمة، مرسي، هويدا بن محمد، أحمد محمد، د.ط، (المنيا: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

The guidance of the Prophet, may God bless him and grant him peace, in calling to God through the Hadiths of numbers

Dr. Asmaa bint Muhammad bin Abdullah Al-Wahibi
The General Administration of Education in Riyadh Region.

هدي النّبيّ ﷺ في الدَّعوة إلى الله تعالى مِن خلال أحاديث الأعداد.

د. أسماء بنت محمد بن عبد الله الوهيبي
الإدارة العامة للتعليم بمنطقة الرياض.

E-mail: asma-mw@hotmail.com

KEY WORDS:
the Prophet, the call, hadiths, numbers.

الكلمات المفتاحيّة:
النبيّ، الدّعوة، الأحاديث، الأعداد.

ABSTRACT:

Praise be to Allah, and may the peace, mercy and the blessings of Allah be upon the Messenger of Allah, his family, his companions, and those who follow him. After greetings.

The hadiths of the Prophet (PBUH) represent a unique rhetorical approach, combining brevity and clarity, and his style was influential in attracting hearts and minds. One of his most prominent preaching methods is the use of numbers, such as numbers three and seven, to clarify, limit and attract attention, which makes conveying information easier and clearer.

This study highlights the importance of the counting method in preaching, which highlights the perfection of the Prophet's (PBUH) eloquence and his keenness to convey the message while taking into account the diversity of the conditions of those being called and the differences in their natures. The study also relies on the deductive method (PBUH) to extract the Prophet's (PBUH) guidance in preaching from the hadiths of numbers.

The study concluded that it is necessary to qualify preachers and provide them with comprehensive preparation, benefiting from the Prophet's (PBUH) rhetorical methods that combine depth and simplicity.

مستخلص البحث:

أحاديث النبيّ ﷺ تمثل منهجًا بلاغيًا متفردًا، حيثُ جمع بين الإيجاز والبيان، وكان أسلوبه ﷺ مؤثّرًا في استمالة القلوب والعقول. ومن أبرز أساليبه الدعويّة استخدام الأعداد؛ مثل الرقمين ثلاثة وسبعة للتوضيح والحصر وإثارة الانتباه، وهذا ما يجعل إيصال المعلومة أسهل وأوضح.

إن هذه الدراسة لتسلّط الضوء على أهمية أسلوب العدّ في الدعوة إلى الله تعالى، والذي يبرز كمال بلاغة النبيّ ﷺ وحرصه على تبليغ الرسالة بمراعاة تنوّع أحوال المدعوّين واختلاف طبائعهم. كما تعتمد الدراسة على المنهج الاستنباطيّ لاستخلاص هدي النبيّ ﷺ في الدعوة من أحاديث الأعداد.

وقد خلصت الدراسة إلى ضرورة تأهيل الدّعاة وتأمين إعداد شامل لهم، مستفيدة من أساليب النبيّ ﷺ البلاغية التي تجمع بين العمق والبساطة.

المقدِّمة:

الحمد لله ربِّ البريَّة، والصَّلاة والسَّلام على معلِّم البشريَّة، أحسنِ الناس قولًا، وأعذبِهم منطقًا، وأفصحِهم بيانًا؛ صلى الله عليه وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ؛

يُعدّ الحديث النبوي الشريف، مِن جوامع الكَلِمِ الذي لا يعلوه في الرّوعة والفصاحة والبلاغة والبيان، إلّا القرآنُ الكريمُ(١).

وقد وصف الجاحظ كلام النبيِّ ﷺ بقوله: "هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، ونُزِّه عن التّكلُّف، وكان كما قال الله تعالى: قل يا محمد: **{وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦)}**(٢).. ولم يسمع الناس بكلام قطّ أعمَّ نفعًا، ولا أسهلَ مخرجًا، ولا أفصحَ معنىً، ولا أبينَ في فحوى، مِن كلامه ﷺ "(٣).

وقد أولى المسلمون عنايةً خاصةً بكلام النبي ﷺ، بدءًا بتدوين الحديث الشَّريف، واستنباط الأحكام منه والآداب، إلى غير ذلك مِن جوانب العناية(٤).

ولقد استعمل نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ مهارات التّواصل الدَّعوي؛ للنفاذ إلى عقل المدعوِّ وقلبه؛ واستمالة عاطفته ووجدانه، وإثارة انتباهه(٥)، ومِن ذلك: استعماله ﷺ لغة الأرقام؛ لإثارة الذهن، أو للحصر، أو للتقريب الذهنيّ، ومِن ذلك: استخدامه ☐ الأعداد.

وقد كان للرقمين ثلاثة وسبعة حظٌّ وافر في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يدلُّ على أهميتهما، وعلى ما لهما من دلالة وأسرار.

ومِن الواضح الجليّ؛ أنّ التركيب العدديَّ في البيان النبويّ يحمل قضايا متعدِّدة، ودلالاتٍ متنوّعة بتنوُّع المقامات والسياقات، وبتنوُّع أحوال المخاطبين مِن المدعوِّين، وباختلاف طبائعهم، وهذا يدلُّ على كمال بلاغته وفصاحته ﷺ، كما يدلُّ على شدَّة حرصه ﷺ على تبليغ دعوته كما أمره الله(٦).

أولًا: أهميَّة الدِّراسَة:

تَكْمُنُ أهميَّة الدِّراسَة في أنها تُبرز أسلوبًا مِن أعظم أساليب النبيِّ ﷺ في الدَّعوة إلى الله تعالى، وهو أسلوب العدِّ والتّقسيم، ذلك الأسلوب الذي يجعل إيصال المعلومة أوضحَ، وفهمها لدى المستمع أيسرَ.

ثانيًا: أسباب اختيار الدِّراسَة:

ارتبطت دوافع اختياري لهذا الموضوع بمجموعةٍ مِن الأسباب الذاتيَّة والموضوعيَّة، وهي:

١. أنه -وحسب علمي- لم يتناول أحدٌ مِن الباحثين والباحثات في علم الدَّعوة إلى الله تعالى أحاديث الأعداد بالبحث والدِّراسَة.

٢. الحرص على استنباط معالم الهدي النبوي في الدَّعوة الى الله تعالى، مِن خلال المصدر الثاني للدعوة إلى الله تعالى، وهو السنة النبويَّة الشريفة.

٣. رغبتي في الكشف عن العلاقة بين أحاديث الأعداد ودلائل صدق نبوته ﷺ؛ إذ إنّها مِن أوضح الأدلّة على ذلك.

ثالثًا: أهداف الدِّراسَة:

الهدف العامُّ: تسعى هذه الدِّراسَة إلى بيان قبسٍ مِن بلاغته ﷺ في الإيجاز المعجز؛ ليستفيد مِن ذلك الدُّعاة إلى الله تعالى المعاصرون.

الأهداف الخاصة:

١. إبراز وسائل النبي ﷺ وأساليبه في الدَّعوة إلى الله تعالى، مِن خلال أحاديث الأعداد.

٢. بيان أهمِّ صفات الدّعاة إلى الله تعالى، وكيفيَّة إعدادهم، مِن خلال أحاديث الأعداد.

٣. تحديد أصناف المدعوِّين، وأهمِّ صفاتهم، مِن خلال أحاديث الأعداد.

رابعًا: التعريف الإجرائي للدِّراسَة:

بيان هدي النبي ﷺ في الدَّعوة إلى الله تعالى، مِن خلال أحاديث الأعداد.

خامسًا: حدود الدِّراسَة:

سألتزم -بإذن الله تعالى- بما روي في الصحيحين، مِن أحاديث العددين (٣،٧)، والتي تبلغ في مجموعها (٩٣)(٧) حديثًا، واخترت منها خمسةً وثلاثين حديثًا فقط؛ لطبيعة الدِّراسَة التي تقتضي الإيجاز.

سادسًا: مَنهج الدِّراسَة:

اعتمدت في تناول موضوعَ الدِّراسَة على المنهج الاستنباطيّ، " الذي يقوم على تأمُّل أمورٍ جزئيَّة ثابتةٍ؛ لاستنتاج أحكامٍ منها"(٨).

التمهيد

أولًا: التعريف بمفردات البحث:

(١) ينظر: الخصائص الفنيَّة في الأدب النبوي، محمد الدبل، [الرياض، جامعة الإمام، (د. ط/ت)]، (ص ١٠، ١١).
(٢) سورة: (ص/٨٦).
(٣) البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر، [دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ط)، ١٤٢٣ ه]، (١٣/٢).
(٤) يُنظر: الخصائص الفنيَّة في الأدب النبوي، الدبل، (ص ١٠، ١١).
(٥) ينظر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم، بابكر، معتصم مصطفى، [د.ن، قطر، ط (١)، ٢٠٠٣م]، (ص٥).
(٦) يُنظر: البلاغة النبويَّة في الأربعين النوويَّة، دراسة تحليليَّة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد، الزويع، خالد بن عبد العزيز، [وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة أم درمان الإسلاميَّة، معهد وبحوث ودراسات العالم الإسلامي، (د.ط)، ١٤٣٠ه]، (ص٤٥). البلاغة الصوتيَّة في القرآن الكريم، شادي، محمد بن إبراهيم، [الشركة الإسلاميَّة للإنتاج والتوزيع (الرسالة)، (د.ب)، ط (١)، ١٤٠٩ه]، (ص١١).
(٧) خمسون (٥٠) حديثًا لأحاديث العدد (٣)، وثلاثة وأربعون (٤٣) حديثًا لأحاديث العدد (٧).
(٨) البحث العلمي، حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته، ومناقشته، الربيعة، عبد العزيز، [مكتبة الملك فهد، الرياض، ط (٢١)، ١٤١٨ه]، (١٧٨/١).

تعريف الهَدْي:

أولًا: تعريف الهَدْي لغة: (الهَدْي) الرشاد والدلالة، ويقال: هداه هديًا وهدايةً؛ أي: أرشده فهُدِيَ واهتدى[٩]، وجاء أن الهَدْي هو: السيرة والهيئة والطريقة، كما جاء في حديث ابن مسعود ﷺ: (.. **وأحسن الهَدْي هَدْي محمدٍ ﷺ**)[١٠]؛ أي حسن الطريقة والهداية، وقيل: فلان حسن الهَدْي؛ أي حسن المذهب في أموره كلها، وفي الحديث (**وأهدوا بهدي عمَّار**)[١١]؛ أي سيروا بسيرته، وتهيئوا بهيئته[١٢]. والهَدْي: (ما أهدي إلى مكَّة) من النعم.[١٣] والمتأمِّل للمعنى اللغويّ في الهَدْي يرى أنه يدور حول الطريقة.

ثانيًا: تعريف الهَدْي اصطلاحًا:

في القرآن الكريم: وردت كلمة الهَدْي في القرآن الكريم وفي السنة النبويَّة بمعانٍ كثيرة، حيث جاء في قوله تعالى: {**أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩)**}[١٤]، أي أولئك الأنبياء أكرمهم الله بالطريقة الحسنة؛ فاقتدِ بسيرتِهم، واصبر كما صبروا، حتى تستحقَّ مِن الثواب ما استحقُّوا بالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهَدْي الذي هديناهم.. اقتدِه يا محمَّدُ، أي: فاعمل وخذ به واسلكه؛ فإنه عمل لله تعالى فيه رضا، ومنهاج مَن سلكه اهتدى[١٥].

مما تقدَّم يتبين: أنّ مفهوم الهَدْي في القرآن الكريم، والذي تُعنى به هذه الدِّراسَة، يدور حول الطريقة والاقتداء بسيرة النبيِّ ﷺ العَطِرة، والأخذ بها والسَّير على نهجه ﷺ.

ب- في السنة النبويَّة:

مفهوم الهَدْي النبويّ: تُشير كلمة "الهَدْي" إلى السيرة والطريقة، فيُقال: فلان يهتدي بهَدْي فلانٍ، أي: يسير بسيرته، ويُقال: هو حسن الهَدْي: أي حسن الطريقة[١٦].

والهدي الرشاد والدلالة، وفي الحديث «**وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[١٧].

قول ﷺ «**خير الهُدَى هُدَى محمد**»: بضمِّ الهاء فيهما وفتح الدال، ومعناه: الدلالة، والهدى، هديان: هدى دلالة وإرشاد وبيان، وهو الذي يُضاف إلى الرسول ﷺ والقرآن الكريم، والعباد، قال الله تعالى: {**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)**}[١٨]، و{**فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)**}[١٩]، و{**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**}[٢٠]، و{**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)**}[٢١]، والهداية الثانية: بمعنى التأييد والعصمة والتوفيق، «خيرٌ الهَدْي هَدْيُ محمد»، أي: إنّ أحسن الطريق طريق محمَّد، يقال: فلان حسن الهَدْي، أي في السيرة، والأمور كلها[٢٢].

مما تقدَّم يتبيَّن: أنَّ مفهوم الهَدْي اصطلاحًا: سلوك النبيّ ﷺ في حياته؛ مِن أعمالٍ وأقوالٍ، وتوجيهاتٍ ونصائح. وأمّا هدي النبيّ ﷺ في الدَّعوة إلى الله تعالى؛ فمعناه فعل النبيّ ﷺ وطريقته في الدَّعوة إلى الله تعالى.

٢-تعريف الدَّعوة:

أولًا: تعريف الدَّعوة لغةً:

الدَّعوةُ في اللغةً: "الطلب، فيُقال: دعا بالشيء: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء: حَثَّه على قَصْده، يُقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدِّين، وإلى المذهب: حَثَّه على اعتقاده وساقه إليه"[٢٣]، فالدعوة: الدعاء إلى الشيء والحثُّ عليه، قال تعالى: {**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ**}[٢٤].

ثانيًا: الدَّعوة في الاصطلاح:

عُرِّفت بأنها: "العلم الذي يُعنى بكيفيَّة دعوة الناس إلى الله إيمانًا وتصديقًا، وإلى دِين الإسلام إجابةً وتحقيقًا؛ بمعرفة أصول ومنهج وفقه الدَّعوة"[٢٥].

وقيل إنها: إبلاغ الناس دعوة الإسلام، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ،

(٩) ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٨)، ١٤٢٦هـ]، (ص١٣٤٥).

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه، محمد بن إسماعيل، بإشراف ومراجعة: صالح آل الشيخ، [دار السلام، الرياض، ط (٤)، ١٤٢٩هـ]، كتاب: الأدب، باب: «الهدي الصالح»، (٥/ ٢٢٦٢)، رقم (٦٠٩٨)، (ص٥١٥).

(١١) المدخل إلى علم السنن، البيهقي، أحمد، اعتنى به: محمد عوامة، [دار اليسر، القاهرة، ط (١)، ١٤٣٧هـ]، (٥٤٤/٢).

(١٢) لسان العرب، ابن منظور، [دار صادر، بيروت، (د.ط/ت)]، (٣٥٣/١٥).

(١٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، [دار الفكر، (د.ب/ط)، ١٩٧٩م]، (٤٢/٦).

(١٤) سورة: (الأنعام/٨٩).

(١٥) يُنظر: جامع البيان في تأويل آي القران. الطبري، محمد بن جرير، تحقيق أحمد شاكر، [الرسالة، (د.ب)، ط (١)، ١٤٢٠هـ]، (١٣٨/٢٠).

(١٦) ينظر، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد، [المطبعة الخيريَّة، مصر، ط (١)، ١٣٠٦هـ]، (٤٠٦/١٠).

(١٧) أخرجه مسلم في صحيحه، أبي مسلم الخرساني، بإشراف ومراجعة: صالح آل الشيخ، [دار السلام، الرياض، ط (٤)، ١٤٢٩هـ]، كتاب: الجمعة، باب: «تخفيف الصلاة والخطبة»، رقم (٨٦٧)، (ص٨١٣).

(١٨) سورة: (الشورى/٥٢).

(١٩) سورة: (الصافات/٢٣).

(٢٠) سورة: (الإسراء/٩).

(٢١) سورة: (البقرة/٢).

(٢٢) ينظر: شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ المُسَمَّى إكمال المعلم بفوائد مُسلم، لِلقَاضِي عِيَاض، تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل، [دار الوفاء، مصر، ط (١)، ١٤١٩هـ]، (٢٦٩/٣).

(٢٣) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، [دار الدعوة، القاهرة، (د.ط/ت)]. مادة (دعا)، (٢٨٦/١).

(٢٤) سورة: (يونس/٢٥).

(٢٥) علم الدعوة إلى الله تعالى، حقيقته وأهميته، الشهراني، محمد بن سعد، بحث لنيل درجة الدكتوراه، قسم الدعوةِ والثقافةِ الإسلاميَّة بجامعة أم القرى، [مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط (٢)، ١٤٤٠هـ]، (ص٣٥).

بالأساليب والوسائل، التي تتناسب مع أحوال المدعوِّين(٢٦).

٣-الأحاديث:

أولًا: تعريف الأحاديث لغةً: جمع حديث، قال ابن منظور: "والحديثُ: الجديدُ مِنَ الأَشياء، وَالْحَدِيثُ: الخَبَرُ يأْتي عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَالْجَمْعُ: أَحاديثُ، كَقَطِيعٍ وأَقاطِيعَ"(٢٧).

ثانيًا: تعريف الأحاديث اصطلاحًا: تُطلَق على ما يرادف السنة النبويَّة، وعليه؛ فهو ما أُثِر عن النبيِّ ﷺ من أقوالٍ وأفعالٍ وتقريرات، أو صفة خَلقيَّة أو خُلقيَّة، مما يصلُح أن يكون دليلًا لحُكم شرعيٍّ(٢٨).

٤- الأعداد:

أولًا: تعريف الأعداد لغةً: الأعداد جمع عدد، قال الجوهري: "عددتُ الشيء إذا أحصيتُه، والاسم العدد والعديد"(٢٩)، وقال ابن منظور: "والعدد مقدار ما يعدُّ، ومبلغه، والجمع أعداد"(٣٠).

ثانيًا: تعريف العدد اصطلاحًا: العدُّ هو إحصاء شيء على سبيل التفصيل، والأعداد هي الكميَّة المتألفة مِن الوحدات(٣١).

وعليه؛ فالمراد بأحاديث الأعداد: ما ورد عن النبي ﷺ مشتملًا على الأعداد، كثلاثةٍ، وسبعةٍ، وغير ذلك.

ثانيًا: أهميَّة دراسة البيان النبويِّ للدُّعاة إلى الله تعالى:

تضمَّنت أحاديث النبيِّ ﷺ صنوف البلاغة، وألوان الفصاحة، وهذا الجمال الفنيُّ في بلاغته ﷺ ، إنما يرجع إلى سموِّ روحه، وقوة إيمانه، حيث أراد الله سبحانه أن يكون النبيُّ ﷺ بدعوته نقطة تحوُّلٍ في حياة البشريَّة وتاريخها؛ فقد بدأ في أمة تنقاد للبيان، وتخضع لسلطان الفصاحة؛ فلا عجب أن كان أبلغهم وأفصحهم ﷺ(٣٢)؛ فبلاغته ﷺ متعدِّدة الجوانب، منها ما يتَّصل بالأسلوب وسماته، ومنها ما يتَّصل بالتصوير البياني، ومنها ما يتَّصل بالجانب الأدبي والقصصي في بيانه ﷺ (٣٣).

والدُّعاة إلى الله تعالى هم أكثر النَّاس حاجةً لدراسة هذا البيان النبويِّ المبدع، والإفادة منه، ونقله للناس كافةً.

وفيما يلي نذكر أهميَّة دراسة البيان النبويِّ للدُّعاة إلى الله تعالى:

١. تعميق دراستنا للسان العربيِّ المبين، لا سيَّما أن المتكلِّم سيد الفصحاء وإمام البلغاء ﷺ، مما يُسهم في إثراء اللغة، وتقويم اللسان عند الدُّعاة إلى الله تعالى(٣٤).

٢. للبيان النبويِّ جمال لغويٌّ، وهذا الجمال اللغويُّ يتميَّز بوصف الحروف، وترتيب الكلمات، ودراسته تساعد الدُّعاة إلى الله تعالى على فهم الحديث النبويِّ، والوقوف على المعاني والجماليات الفنيَّة فيه(٣٥).

٣. الوقوف على تنوُّع الأساليب الدَّعويَّة في الحديث النبويِّ الشريف؛ فلكلِّ أسلوبٍ دلالته التي جعلت النصَّ النبويَّ أكثر دقَّةً في التعبير عن المراد(٣٦).

٤. البيان النبويُّ هو المصدر الثاني لاستخلاص السُّنن الكونيَّة بعد القرآن الكريم، ففيها مِن القصص والإخبار بالمغيبات والتطبيقات النبويَّة؛ ما يروي ظمأ الباحثين والدُّعاة إلى الله تعالى والمصلحين(٣٧).

٥. البيان النبويُّ الذي تأكَّدت نسبته إلى النبيِّ ﷺ، في أعلى الدرجات مِن سُلَّم البلاغة العالية، لا يفوقه غير كتاب الله تعالى في لغة الضَّاد(٣٨)، والدُّعاة إلى الله تعالى في أمسِّ الحاجة لدراسة الأحاديث النبويَّة دراسة بلاغيَّة، وبيان الدرر المنثور فيها.

الفصل الأول: وسائل النبيِّ ﷺ وأساليبه في الدَّعوة إلى الله تعالى، مِن خلال أحاديث الأعداد

المبحث الأول: وسائل الدَّعوة إلى الله تعالى مِن خلال أحاديث الأعداد:

أولًا: وسيلة سوق النبيِّ ﷺ للغة الأرقام:

هي وسيلةٌ استخدمها النبيُّ ﷺ في مواقف كثيرة، ولأغراض مختلفةٍ، وسأورد على سبيل المثال لا الحصر شيئًا منها:

١. وسيلة ذِكر النبيِّ ﷺ العدد للتنبيه على أمر مهمٍّ وخطير، وهو يتعلَّق بالعقيدة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ،**

(٢٦) ينظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، المرشد، علي صالح، [مكتبة لينه، مصر، ط (١)، ١٤٠٩ه]، (ص٢١).

(٢٧) لسان العرب، ابن منظور، [دار صادر، بيروت، ط(٣)،١٤١٤ه]، مادة (حدث).

(٢٨) ينظر: فتح المغيث بشرح ألفيَّة الحديث، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، [مكتبة السنة، مصر، ط(١)،١٤٢٤ه]، (١٣١/١). التعريفات، الجرجاني، (ص١٢٥). السنة قبل التدوين، الخطيب، محمد عجا γ بن محمد، [دار الفكر، بيروت، ط (٣) ١٤٠٠ه]، (٢١،٢٢).

(٢٩) الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، [دار العلم للملايين، بيروت، ط (٤)، ١٩٩٠م]، مادة (عدد).

(٣٠) لسان العرب، مادة (عدد).

(٣١) ينظر: التعريفات، الجرجاني، (ص١٤٨).

(٣٢) ينظر: الخصائص البلاغيَّة للبيان النبوى، الحمزاوي، [مكتبة الرشد، (د.ط)، ١٤٢٨ه]، (ص٣).

(٣٣) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة، الرافعي، مصطفى صادق، [مكتبة الإيمان، (د.ب)، ط (١)، ١٤١٧ه]، (ص ٢٣٦، ٢٣٧).

(٣٤) ينظر: دراسات في البيان النبوي، زنجبير، محمد رفعت، [دار اقرأ، دمشق، (د.ط)، ١٤٢٨ه]، (ص٦).

(٣٥) ينظر: المدخل إلى نظريَّة الأدب الإسلامي، خليل، عماد الدين، [مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٩٨٨م]، (ص٢٨، ٢٩). وينظر: البلاغة الصوتيَّة في الأحاديث النبويَّة، ليمونة حسيني، [كليَّة اللغة العربيَّة، جامعة الأزهر، مصر، (د.ط/ت)]، (ص ١٧٣٢).

(٣٦) ينظر: المرجع السابق، (ص١٧٣٢).

(٣٧) ينظر: السنن الكونيَّة والاجتماعيَّة في القرآن الكريم، الغلبزوري، توفيق بن أحمد، [كليَّة أصول الدين، جامعة القرويين، المملكة المغربيَّة، (د.ط/ت)]، (ص١٣).

(٣٨)ينظر: البيان النبوي، البيومي، محمد رجب [دار الوفاء، د.ب، ط (١)، ١٤٠٧ه]، (ص ٣٠٩).

وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٣٩)، و"الآية: العلامة الظاهرة التي تدلُّ على أمر خفيٍّ وراءها، وليس الغرض مِن ذكر هذه الثلاث حصر آيات النفاق فيها؛ فإنّها كثيرة، كالفجور في المخاصمة، وإنما الغرض التنبيه إلى أصولها؛ إذ التديُّن ينحصر أصله في ثلاثة (القول والعمل والنيَّة)، فنبّه إلى فساد القول بالكذب، وإلى فساد الفعل بالخيانة، وإلى فساد النيَّة بالإخلاف"(٤٠).

٢. وسيلة ذِكر النبيّ ﷺ العدد للتمثيل والتقريب الذهني، لا الحصر؛ فَعنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﵁ ، قَالَ: «**أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ القَسَمِ**(٤١)**، وَرَدِّ السَّلاَمِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَنَهَانَا عَنْ: آنِيَةِ الفِضَّةِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، وَالحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ**(٤٢)**، وَالقَسِّيِّ**(٤٣)**، وَالإِسْتَبْرَقِ**(٤٤)**»**(٤٥).

٣. وسيلة ذِكر النبيّ ﷺ العدد لضرب المثل: ففي الحديث السابق: قوله ﷺ: «يَأْكُلُ المُسْلِمُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ» (٤٦)، ضرب ﷺ مثلًا للمؤمن وزهده في الدنيا، والكافر وحرصه عليها؛ فكأنّ المؤمن لتقلُّله مِن الدنيا يأكل في مِعًى واحد، والكافر لشدَّة رغبته فيها، واستكثاره منها؛ يأكل في سبعة أمعاء (٤٧).

ثانيًا: وسيلة المسجد:

مِن وسائل الدَّعوة إلى الله تعالى: المسجد، وهو المؤسَّسة التعليميَّة والتربويَّة الأولى في الإسلام؛ التي أسهمت في نشر علوم الدِّين، واللغة العربيَّة (٤٨).

وقد ذكر النبي ﷺ في حديث «السَّبْعَةُ الذين يظلهم الله في ظلّ عَرْشه» (٤٩) أهمية المساجد؛ فذكر منهم: «وَرجل قلبه مُعَلّق فِي الْمَسَاجِد»، والمقصود بتعلق القلب بالمساجد أنه شَدِيدُ الْحُبِّ لَهَا، وَالْمُلَازَمَةِ لِلْجَمَاعَةِ فِيهَا، وليسَ معناهُ دوامُ القعودِ فِي المسجدِ (٥٠).

ثالثًا: وسيلة استثمار الفرص المتاحة للتعليم:

مِن أبرز وسائل الدَّعوة إلى الله تعالى في أحاديث الأعداد: **استثمار الفرص المتاحة للتعليم؛ تعليم العلم، وقراءة القرآن**، وهما مِن أهمِّ وسائل الدَّعوة إلى الله تعالى، وقد بيَّن ذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي يقول فيه □ «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِه، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**»(٥١).

فيستفاد مِن هذا الحديث أنّ تعلُّم العِلم وتعليمه، مِن أهمِّ وسائل استثمار الداعية إلى الله تعالى الفرص المتاحة للتعليم.

رابعًا: وسيلة القصة:

تُعدُّ القصة مِن وسائل الدَّعوة إلى الله تعالى، ولها أثرٌ فعّالٌ في جذب المدعوِّين إلى ساحة الدَّعوة، وحسبنا دليلًا على ذلك أنّ الله أمر نبيَّه محمدًا ﷺ، في محكم كتابه، أن يقصَّ على قومه القصص؛ ليكون لهم فيها عبرة وموعظة، وليتَّخذوا منها منطلقًا إلى التفكير السليم القويم، الذي يُنير بصيرتهم للتفكير السليم الذي يهديهم إلى الحقّ، حيث قال الله تعالى: **﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾**(٥٢)(٥٣).

وقد اعتنى النبيُّ ﷺ بوسيلة القصة، واشتملت السنة النبويَّة على العديد من قصصه ﷺ عن الأمم الماضية، "ولم تكن قصص القرآن الكريم والسنة النبويَّة مقتصرةً على أنباء

---

(٣٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: «علامة المنافق»، رقم (٣٣)، (ص٥).

(٤٠) ينظر: الأدب النبوي، الخولي، محمد بن عبد العزيز، [دار المعرفة، بيروت، ط (٤)، ١٤٢٣ه]، (ص٢٠).

(٤١) هو الوفاء بمقتضاه؛ فإن كان على سبيل اليمين كما إذا قال: والله لتفعلن كذا؛ فهو آكد مما إذا كان على سبيل التحليف كقوله: بالله افعل كذا؛ لأن في الأول إيجاب الكفارة على الحالف وفيه تغريم للمال وذلك إضرار به. إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، تقي الدين، تحقيق: أحمد شاكر، [دار عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٧ه]، (٢٩٦/٢).

(٤٢) الديباج: ثوبٌ مِن الحرير مصور، وهو أعجمي عُرب، ويقال: بكسر الدال وفتحها، ويجمع على "ديابيج" بياءين عند مَن لا يرى أصله الإدغام، وأن الياء مُبدلة فيه مِن الباء، وعند مَن رأى ذلك بجمع "دبابيج" بباءين مفردتين. يُنظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، أحمد إبراهيم، [دار الكلم الطيب، دمشق، ط (١)، ١٤١٧ه]، (٣٩١/٥).

(٤٣) القسي: قيل: هو القزي، والسين فيه مبدلة مِن الزاي، وقيل: هو ثياب مصنعة بالحرير تصنع بالقس. يُنظر: المصدر السابق، (٣٩١/٥).

(٤٤) والاستبرق: هو ثخن (غليظ) الديباج وهو فارس معرَّب. يُنظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، [دار عثمان بن عفان، الخُبر، ط (١)، ١٤١٦ه]، (١١٧/٥).

(٤٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: «الأمر باتباع الجنائز»، رقم (١٢٣٩)، (ص٩٧). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: اللِّباس وَالزينة، باب: «تحريم استعمالِ إناءِ الذهبِ وَالفضة على الرجالِ وَالنساء، وَخاتم الذَّهب وَالحرير على الرَّجُل، وإباحتهِ للنساءِ، وإباحةِ العلم ونحوه للرجل، مالم يرد على أربع أصابع»، رقم (٢٠٦٦)، (ص١٠٤٧).

(٤٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأطعمة، باب: «المؤمن يأكل في معي واحد»، رقم (٥٣٩٦)، (ص٤٦٦). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأطعمة، باب: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»، رقم (٢٠٦٣)، (ص١٠٤٦).

(٤٧) ينظر: منة المنعم في شرح صحيح مسلم، المباركفوري، صفي الرحمن، [دار السلام، الرياض، ط(١) ١٤٢٠ه]، (٣٨١/٣).

(٤٨) ينظر: وظيفة المسجد في المجتمع، الخزيم، صالح، [وزارة الشئون الإسلاميَّة، الرياض، ط (١)، ١٤١٩ه]، (ص٤٤).

(٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المحاربين مِن أهل الكفر والردة، باب: «فضل مَن ترك الفواحش»، رقم (٦٨٠٦)، (ص٥٦٨). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: «فضل إخفاء الصدقة»، رقم (١٠٣١)، (ص٨٤٠).

(٥٠) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، يحيى، [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (٢)، ١٣٩٢ه]، (١٢١/٧).

(٥١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الوصية، باب: «ما يلحق الإنسان مِن الثواب بعد وفاته»، رقم (١٦٣١)، (ص٩٦٣).

(٥٢) سورة: (الأعراف/١٧٦).

(٥٣) مِن فقه الداعية: (مراعاة أحوال المدعوين في ضوء الكتاب والسنة)، عبد المطلب، حسين بن محمد، [دار الهلال، مصر، ط (١٩)، ١٤١٩ه]، (ص١٧٣-١٧٤).

الصالحين وأخبارهم، بل شملت مع ذلك قصص المعرضين والفجَّار؛ للاعتبار بما أصابهم"[٥٤].

المبحث الثاني: أساليب[٥٥] الدَّعوة إلى الله تعالى من خلال أحاديث الأعداد:

أولًا: أسلوب الترغيب: مِن أساليب دعوة النبي ﷺ، من خلال أحاديث الأعداد، الترغيب في أمورٍ كثيرةٍ، منها **الترغيب في ثلاثة أمور؛ لما فيها من مضاعفة الأجر مرتين:** (فضيلة مَن آمن من أهل الكتاب بالنبيِّ ﷺ، العبد المملوك الذي يُحسِن في عبادة الله تعالى، ويؤدِّي حقَّ سيِّده، الرجل الذي تكون له أمة فيحسُن تأديبها وتعليمها ثم يُعتقها)، ففي حديثه ﷺ: **«ثلاثةٌ لهمْ أجْرَانِ: رَجُلٌ مِن أهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بنَبِيِّهِ وآمَنَ بمُحَمَّدٍ ﷺ..»**[٥٦]، حثَّ الرسولُ ﷺ ورغَّب في هذه الأعمال؛ لمضاعفة الأجر مرّتين، يقول النووي ﷺ:: عن الحديث: "فيه فضيلة مَن آمن مِن أهل الكتاب بنبيِّنا محمد ﷺ، وأنّ له أجرين لإيمانه بنبيِّه، وفيه ترغيب للعبد المملوك الذي يحسِن في عبادة ربِّه جلَّ في علاه، ويؤدِّي في الوقت ذاته حقَّ سيِّدِه، وينصح له، كما أن الحديث فيه ترغيب كذلك للرجل الذي تكون له أمَة؛ فيُحسِن تأديبها وتعليمها، ثم يُعتقها ويتزوَّجها"[٥٧]؛ ففي كلِّ هذه الأعمال الثلاثة حثٌّ وترغيبٌ في هذه الأعمال الصالحة؛ لمضاعفة الأجر مرتين[٥٨].

ثانيًا: الترهيب والتحذير: مِن أساليب الدَّعوة إلى الله تعالى التي تضمَّنتها أحاديث الأعداد: أسلوب الترهيب والتحذير، ومنه: **التحذِّيرُ من سَيِّئِ الصِّفاتِ وقَبيحِ الأعمالِ، كالمنِّ، والحلف الفاجر، والمسبل لإزاره**، قال ﷺ: **«ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ: المَنَّانُ الذي لا يُعْطِي شيئًا إلَّا مَنَّهُ، والْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الفاجِرِ[٥٩]، والْمُسْبِلُ إزارَهُ[٦٠]»**[٦١].

قال النووي ﷺ:: "مَعْنَى لَا يُكَلِّمُهُمْ: أَيْ لَا يُكلِّمهم تكليم أهل الخيرات، وبإظهار الرضا، بَلْ بِكَلَامِ أَهْلِ السُّخْطِ وَالْغَضَبِ"[٦٢].

ثالثًا: ذِكر العدد إجمالًا ثم تفصيلًا: أسلوب ذكر العدد إجمالًا ثم تفصيلًا مهمٌّ في الدَّعوة إلى الله تعالى، وهو ظاهر في قوله ﷺ: **«اجتنبوا السَّبع الموبقات»**[٦٣]، ثم فصَّل ﷺ هذه السبعة بقوله: **«الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ الشِّرك بالله وعقوق الوالدين»**[٦٤]، فقد أجمل أولًا ثم فسَّر ﷺ ما أجمل، ومِن المعلوم أنّ الإخبار بالإجمال يحصل به للنفس المعرفة بغاية المذكور، ثمّ تبقى متشوّقةً إلى معرفة معناه، فيكون ذلك أوقع في النفس، وأعظم في الفائدة[٦٥].

رابعًا: ذِكر العدد أولًا مُبهمًا ثم معلومًا: ومِن أساليب النبي ﷺ في الدَّعوة إلى الله تعالى -مِن خلال أحاديث الأعداد- ذِكر العدد أولًا مُبهمًا ثم معلومًا؛ ليفيد تعظيم ما سيُذكر[٦٦]، ولزيادة البيان، وحُسن الموقع عند السامع، لتعلّمها علمًا إجماليًّا ثم تفصيليًّا، وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة؛ كذِكر الثلاث في قوله ﷺ: **«ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ»**[٦٧]؛ فذكر العدد ثلاثة، ثم ذكر المعدود

---

(٥٤) القصة وسيلة دعويَّة، المسلم، عبد الله، [المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، مجلد (١٣)، العدد (١٣٦)، ١٩٩٩ه]، (ص٤٠).

(٥٥) معنى الأسلوب: هو الطريق والمذهب والفن، يُقال: سلكتُ أسلوب فلان في كذا، أي طريقته ومذهبه. ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، الزيات، إبراهيم بن مصطفى، وآخرون، [دار الدعوة، (د.ب/ط/ت)]، مادة (سلب)، (ص٤٤٣). ويُعرف الأسلوب في علم الدعوة؛ بأنه: الكيفيات التي يتم بها أداء الدعوة إلى الله تعالى. ينظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيميَّة: في الدعوة إلى الله، الحوشاني، عبد الله، [دار إشبيليا، الرياض، د.ط، ١٤١٧ه]، (٥٤٣/٢).

(٥٦)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: «تعليم الرجل أمتَهُ وأهلَهُ»، رقم (٩٧)، (ص١١). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: «وجوب الإيمان برسالة نبيِّنَا محمَّدٍ γ إلى جميع الناس»، رقم (١٥٤)، (ص٧٠٣).

(٥٧) شرح صحيح مسلم، النووي، (١٨٩/٢).

(٥٨) ينظر: فقه الدعوة إلى الله تعالى في صحيح البخاري، القريشي، (٥١٧/١).

(٥٩) ومنه: «الْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهَ بالحَلِف كاذبٌ» الْمُنَفِّقُ بِالتَّشْدِيدِ: مِنَ النفَاق، وَهُوَ ضِدُّ الكَساد، ويُقالُ: نَفَقَتِ السِلعةُ فَهِيَ نَافِقَةٌ، وأَنْفَقْتُهَا ونَفَّقْتُهَا، إذا جَعَلْتَها نَافِقَةً. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري ابن الأثير، المبارك بن محمد، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، [المكتبة العلميَّة، بيروت، د.ط، ١٣٩٩ه] (٩٨/٥).

(٦٠) «الْمُسْبِلُ إزارَه» هُوَ الَّذِي يُطَوِّل ثوبَه ويُرْسلُه إِلَى الأَرْض إِذَا مَشَى، وَإِنَّمَا يفَعَل ذَلِكَ كِبْرًا واخْتيالًا، وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ η «مَنْ جَرَّ سَبَلَهُ مِنَ الخُيَلاء لَمْ يَنظُر اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القيامةِ» السَّبَلُ بِالتَّحْرِيكِ: الثيابُ المُسْبَلة، كالرَّسَل، والنَشَر؛ فِي المُرْسَلة والمَنْشُورة، وَقِيلَ: إِنَّهَا أغلظُ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ تُتَّخذ مِنْ مُشَاَقَة الكَتَّان، وَمِنْهُ حَدِيثُ الْحَسَنِ «دخلتُ عَلَى الحجَّاج وَعَلَيْهِ ثيابٌ سَبَلَةٌ». المرجع السابق، (٣٣٩/٢).

(٦١) وفي رواية: «ثَلاثَةٌ لايُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ولا يَنْظُرُ إليهم ولا يُزَكِّيهِمْ ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ». أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: «غلظ تحريم إسبال الإزار، والمنُّ بالعطيَّة، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يُكلِّمهم الله تعالى يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»، رقم (١٠٦)، (ص٦٩٦).

(٦٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (١١٦/٢).

(٦٣) «اجتنبوا السبع الموبقات» أي ابتعدوا عنها، وهو أبلغ من "اتركوا" و«الموبقات» المهلكات من "وبق" بفتح الباء إذا هلك، ومنه قوله تعالى: ﴿جعلْنا بيْنهمْ مَوْبِقًا﴾ (الكهف/ ٥٢)، ووصف الكبائر بالمهلكات؛ لأنها سببٌ لإهلاك مرتكبها. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لاشين، موسى شاهين، [دار الشروق، د.ب، ط (١)، ١٤٢٣ه]، (٢٩١/١). «الْمُوبِقَاتِ» أَيِ الذنوبَ المُهْلِكَات. النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري، (١٤٦/٥).

(٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: «الشرك والسحر من الموبقات»، رقم (٥٧٦٤)، (ص٤٩٢). وكتاب: الحدود، باب: «رمي المحصنات»، رقم (٦٨٥٧)، (ص٥٧٢). وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب: «بيان الكبائر وأكبرها»، رقم (٨٩)، (ص٦٩٣).

(٦٥) ينظر: إكمال المعلم، الأبي، محمد الوشتاني، [دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط (١)، ١٤١٥ه]، (٢٣٢/١-٢٣٣).

(٦٦) ينظر: المصدر السابق، (٢٣١/١).

(٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: «مَن كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار مِن الإيمان»، رقم (٢١)، (ص٣).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

بعد ذلك[٦٨].

وقد ربط الإجمال هنا بجملة شرطيَّة، لينبئ عن أنّ حلاوة الإيمان لا يتحقَّق وجودها إلّا بوجود هذه الخصال مجتمعةً، ومعلومٌ أنّه إذا ما تحقَّقت جملة الشرط، تحقَّقت جملة الجواب، وهذا مِن شأنه الدَّعوة إلى حفز الهِمَم واستنهاضها، لتحقيق هذه الشروط التي تنبئ عنها التفصيل[٦٩]؛ فالأمر ليس مقصورًا على هذه الخصال الثلاث في الحصول على حلاوة الإيمان ولذَّته؛ لكثرة الطاعات الأخرى التي مِن خلالها يتذوَّق المسلم طعم الإيمان، بدليل حديث: «**ذاق طعم الإيمان مَن رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا**»[٧٠][٧١].

وقد بُني الشرط الثاني مِن جملة التفصيل على أسلوب القصر الإضافي[٧٢]، في قوله ﷺ: «**أن يحب المرء لا يحبه إلا لله**»، وقصر النبي ﷺ الحبَّ الحقيقي للمسلم على أن يكون لله تعالى وحده؛ هو قصر صفةٍ على موصوفٍ، أي: لا يحبُّه إلا الله تعالى، وليس مِن أجل مصلحةٍ دنيويَّةٍ؛ فمهما تعدَّدت أساليب الدَّعوة إلى الله تعالى، فأسلوب سَوق العدد مِن النبيِّ ﷺ له تأثيره في مجال الدَّعوة إلى الله؛ فيجب على الداعي إلى الله أن يمتثل أمر الله تعالى، في وصول الدَّعوة إلى الناس؛ بالأساليب الممكنة كافةً.

خامسًا: أسلوب القصر: مِن الأساليب الدَّعويَّة البلاغيَّة التي بُني عليها الإجمال والتفصيل الوارد في سياق التركيب العددي؛ أسلوب القصر، ومِن أبرز طرقه: "النفي والاستثناء"، ومِن أمثلة ذلك في البيان النبوي الحديث الآتي:

١. في حديثه ﷺ: «يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ رَجُلٍ، تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ -أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ-، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ -أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ-؛ فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا..»[٧٣]، أجاب عن أسئلة المدعوّين بأسلوب دعويٍّ أخَّاذ، مع مراعاة أحوالهم، واستخدم النبيُّ ﷺ في ذلك أسلوب القصر في التركيب العدديّ، بقوله ﷺ: «**إنَّ المسألة لا تحلُّ إلا لأحد ثلاثة**»[٧٤].

سادسًا: أسلوب الاستثناء أو الحصر: في حديثه ﷺ «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ**»[٧٥]؛ فقوله ﷺ: «إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ»، يُسمَّى أسلوب استثناء أو حصر؛ لأنّه استثناءٌ بعد النفي، والاستثناء بعد النفي يدلُّ على الحصر، وقوله □ في أولها «لَا يَحِلُّ» أتى على النفي، ومجيء النفي يدلُّ على النهي، بل مجيء النفي أبلغ مِن مجرَّد النهي، يعني كأنه صار حقيقةً ماضيةً، أنه لا يحلُّ، بحيث إن النهي عنه قد تقرَّر، وإنما ينفي وجوده في الشريعة أصلًا، وله نظائر، كقوله تعالى: {**لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)**}[٧٦]، وأشباه ذلك مما يعدل فيه مِن النهي إلى النفي للمبالغة في النهي، وهذه قاعدةٌ معروفةٌ في اللغة، وفي أصول الفقه[٧٧].

سابعًا: أسلوب الإجمال الوارد في سياق التركيب العدديّ من خلال الجملة الإنشائيَّة: كما في قوله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ:** «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ...**»[٧٨].

يقول الإمام العينيُّ ﷺ:: "التنصيص على عددٍ لا يُنافي أكثر مِن ذلك، وأمَّا تعيين السّبع هنا فلاحتمال أن يكون أعلم الشّارع بها في ذلك الوقت، ثم أوحى إليه بعد ذلك غيرها، أو يكون السّبع هي التي دعت إليها الحاجة في ذلك الوقت،

ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: «بيان خصال مَن اتصف بهنّ وجد حلاوة الإيمان»، رقم (٤٣)، (ص٦٨٧).

(٦٨) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمَّد إسحاق، [دار السلام، الرياض، ط(١)،١٤٣٢ه]، (٢٥٢/٢).

(٦٩) ينظر: التحبير لإيضاح معاني التيسير، الصنعاني، محمد، تحقيق وتعليق: محَمَّد حَلَّاق، [مكتبة الرشد، الرياض، ط (١)، ١٤٣٣ه]، (١/ ١٨٠). الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الهَرَري، محمد، مراجعة: لجنة مِن العلماء برئاسة هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي، [دار المنهاج، مكة المكرمة، ط (١)، ١٤٣٠ه]، (٣٦٠/٢).

(٧٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: «الدَّليل على أنَّ من رضي بالله ربًا»، رقم (٣٤)، (ص٦٨٧).

(٧١) يُنظر: شرح صحيح مسلم، النووي، (٣/٢).

(٧٢) والقصر الإضافي المعنيّ هنا، هو: أن يختصَّ المقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر مُعَيَّن، لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا مسافر؛ فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره، كمحمود مثلًا، وليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سواه؛ إذ الواقع يشهد ببطلانه. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، محمد بن عبد الرحمن، [دار الجيل، بيروت، ط (٣)، (١٢/٣). حاشيَّة الدسوقي على مختصر المعاني، الدسوقي، محمد، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (٢٢٧/٢).

(٧٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة باب: «مَن تحلُّ له المسألة»، رقم (١٠٤٤)، (ص٨٤٢).

(٧٤) ينظر: نيل الأوطار، الشوكاني، محمد، تحقيق: عصام الصبابطي، [دار الحديث، مصر، ط (١)، ١٤١٣ه]، (١٩٩/٤).

(٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الديات، باب: «باب قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾ (المائدة/٤٧)»، رقم (٦٨٧٨)، (ص٥٧٣). ومسلم في صحيحه، كتاب: القسامةِ والمحاربين والقصاص والديات، باب: «ما يُباح به دم المسلم»، رقم (١٦٧٦)، (ص٩٧٤).

(٧٦) سورة: (الواقعة/٧٠).

(٧٧) شرح الأربعين النوويَّة، آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز، [دار العاصمة، الرياض، ط (١)، ١٤٣١ه]، (٣/١٥).

(٧٨)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب رمي المحصنات، رقم (٦٨٥٧).

وكذلك القول في كل حديث خصَّ عددًا مِن الكبائر"[٧٩].

ثامنًا: أسلوب ذِكر العدد للمبالغة؛ فيُراد به التكثير لا التحديد: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ،: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَأْكُلُ الْمُسْلِمُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**»[٨٠].

وسبب الحديث -وإن كان خاصًّا- فليس مخصصًا لعمومه؛ فالعموم باقٍ على حاله[٨١]، "وقيل لفظ هذا الحديث خرج مخرج العموم ومعناه الخصوص"[٨٢].

أما "قوْله ﷺ: (فِي سَبْعَة أمعاء) اخْتُلف فِي المُرَاد بهَا، فَقيل: هُوَ على ظاهره، وَقيل: للْمُبَالَغَة وَلَيْسَت حَقِيقَة الْعدَد مُرَادة، وَإِنَّمَا خرج مخرج الْغَالِب، وَقيل: تَخْصِيص السَّبْعَة للْمُبَالَغَة فِي التكثير، كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: {**وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ**}[٨٣]"[٨٤]، والمعنى أنّ مِن شأن المؤمن التقلّل مِن الأكل، لاشتغاله بأسباب العبادة، ولعِلمه بأنّ مقصود الشرع مِن الأكل ما يسدُّ الجوع، ويُمسِك الرّمق، ويُعيْن على العبادة، ولخشيته أيضًا مِن حساب ما زاد على ذلك، والكافر بخلاف ذلك كلّه، فإنَّه لا يقف مع مقصود الشرع؛ بل هو تابعٌ لشهوة نفسه، مُسترسِل فيها، غير خائف مِن تَبِعات الحرام؛ فصار أكل المؤمن لما ذكرته إذا نسب إلى أكل الكافر كأنه بقدر السّبع منه، ولا يلزم مِن هذا اطّراده في حقّ كلِّ مؤمنٍ وكافرٍ؛ فقد يكون في المؤمنين مَن يأكل كثيرًا، إمَّا بحسب العادة، وإمَّا لعارضٍ يعرض له؛ مِن مرضٍ باطنٍ، أو لغير ذلك، ويكون في الكفّار مَن يأكل قليلًا؛ إمَّا لمراعاة الصحة على رأي الأطباء، وإمَّا لعارضٍ كضعف المعدة"[٨٥].

تاسعًا: أسلوب التشبيه[٨٦]: ففي حديثه ﷺ «**ثلاث مَن كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان**»؛ شبه ﷺ لذَّة الإيمان في القلب بالحلاوة الحسيَّة، بل ربما يغلب عليها حتى يدفع بها أشدَّ المرارات، وهذا ممّا يعلم به مَن شرح الله صدره للإسلام، حيث يحسب أنّ مجالس الذِّكر رياض الجنة، وأنّ العَود إلى الكفر إلقاء النار[٨٧].

عاشرًا: أسلوب الإجمال مع التفصيل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ**»[٨٨].

جاء هذا الحديث بإجمالين وتفصيلين، جمعت بينهما المقابلة في قوله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا**»، وبدأ الإجمال الأول بجملة اسميَّة مؤكدة بـ(إنّ)، توسّطها فعل مضارع، فأفاد مع الثبوت والدوام تجدد المطلوب وحدوثه، أي: إن هذا الأمر بالرضا ثابت ودائم متجدِّد في كلِّ وقت وحين، وجملة: «**يرضى لكم**» في قوله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا**»؛ أي: شرع هذه الثلاثة، وأمر بها، وجعلها سببًا لكلِّ ما عنده مِن الكرامة في الدنيا والآخرة، وقوله ﷺ: «**ويكره لكم ثلاثًا**»؛ أي: نهى عنها وحرَّمها، وجعلها سبب إهانته، وعقوبته في الدنيا والآخرة[٨٩].

حادي عشر: أسلوب التّشويق: وهو أحد الأساليب البلاغيَّة التي استخدمها النبيُّ ﷺ في أحاديثه عامةً، وأحاديث الأعداد خاصةً.

وقد لخَّص الإمام الجرجانيُّ: أهميَّة هذا الأسلوب البلاغي بقوله: "ومِن المركوز في الطّبع أنّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له، أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيلُه أحلى، وبالمزيَّة أولى؛ فكان مَوقِعُه مِن النفس أجلَّ وألطف"[٩٠]؛ فالحاجة إلى أسلوب التشويق ماسّةٌ في توجيه العمليَّة الدَّعويَّة التي تهتمُّ بالإنسان بجميع جوانبه؛ النفسيَّة، والعاطفيَّة، والعقليَّة، وتهدف إلى إكساب المدعوّ مهارات فكريَّة تتَّسم بالإيجابيَّة، وهذه الإيجابيات لا تتحقَّق دون مُشوّقات تزيد الرغبة فيها، وتحثُّ على القيام بها[٩١].

ومِن أمثلة أسلوب التشويق في أحاديث الأعداد ما عن أبي سَعِيدِ الأنصاريُّ ﷺ،: قال: **كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فقالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}[٩٢]؟ ثُمَّ قالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هي أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بيَدِي، فَلَمَّا أرادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ له: أَلَمْ تَقُلْ: لَأُعَلِّمَنَّكَ**

---

[٧٩] عمدة القاري، العيني، (٦٢/١٤).

[٨٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معى واحد، رقم (٥٣٩٦).

[٨١] ينظر: التمهيد، لابن عبد البر، يوسف محمد، تحقيق: مصطفى العلوي، [وزارة الأوقاف، المغرب، (د.ط)، ١٣٨٧ه]، (٢٦٤/٢١).

[٨٢] الاستذكار، القرطبي، يوسف محمد، تحقيق: سالم عطا، [دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط (١)، ١٤٢١ه]، (٣٤٨/٨).

[٨٣] سورة: (لقمان/٢٧).

[٨٤] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، (٤٢/٢١).

[٨٥] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، (٥٣٩/٩).

[٨٦] والتشبيه لغة: التمثيل، والتشبيه، اصطلاحًا: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، بقصد اشتراكهما في صفة أو أكثر. ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي، أحمد، توثيق: يوسف الصميلي، [المكتبة العصريَّة، بيروت، (د.ط/ت)]، (ص٢١٩). وقد عرفه ابن رشيق تعريفًا دقيقًا؛ فقال: "صفة الشيء بما قاربه وشاكله، ومِن جهةٍ واحدةٍ أو جهاتٍ كثيرةٍ، لا مِن جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كليَّة لكان إيّاه، ألا ترى قولهم: خدٌّ كالورد، إنما أرادوا حُمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك مِن صفرة وسطه، وخضرة كمائمه". العمدة في محاسن الشعر وآدابه، القيرواني، علي الحسن بن رشيق، تحقيق: محمد عبد الحميد، [دار الجيل، د.ن، ط (٥)، ١٤٠١ه]، (٢٨٦/١).

[٨٧] ينظر: شرح السيوطي على سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، [دار البشائر، لبنان، ط (٢)،١٤٠٦ه]، (٩٥/٨).

[٨٨] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأحكام باب: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا»، رقم (١٧١٥)، (ص٩٨٢).

[٨٩] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، (٧٨/١٦).

[٩٠] أسرار البلاغة، الجرجاني، عبدالقاهر، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، [دار المدني، جدة، (د.ط/ت)]، (ص١٣٩).

[٩١] ينظر: أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، جلو، الحسين بن جرنو، [دار العلوم الإنسانيَّة، د.ب، ط (١)، ١٤١٤ه]، (ص٢٥).

[٩٢] سورة: (الأنفال/٢٤).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

سُورَةً هي أعْظَمُ سُورَةٍ في القُرْآنِ؟ قالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)} [٩٣]**، هي السَّبْعُ المَثانِي**[٩٤]**، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ»**[٩٥]، قال العينيُّ ﷺ:: "قوله: (أعظم سورة أي في الثواب على قراءتها؛ وذلك لما يجمع هذه السورة مِن الثناء والدعاء والسؤال"[٩٦].

الفصل الثالث: أهميَّة الإعداد العلمي للدُّعاة إلى الله تعالى، وأهمّ صفاتهم، مِن خلال أحاديث الأعداد

المبحث الأول: أهميَّة الإعداد العلمي للدُّعاة إلى الله تعالى، مِن خلال أحاديث الأعداد:

المطلب الأول: إعداد الدعاة وتأهيلهم في الجانب العقدي:

فيما يتّصل بموضوع بحثي عن هدي النبيِّ ﷺ في الدَّعوة إلى الله تعالى، في الجوانب العقديَّة، مِن خلال أحاديث الأعداد؛ فقد اعتنى نبيُّنا ﷺ بالإعداد العلمي للدعاة إلى الله تعالى، وفي تثبيت عقيدة المسلم والعناية بها في جوانب عدَّة، أذكر بعضًا منها على النحو الآتي:

أولًا: التحذير مِن الشرك بالله تعالى، واعتباره أوّل الموبقات التي تُهلِك صاحبها في الدنيا والآخرة، فقد قال ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ...»، ثم فصَّل ﷺ هذه السبعة بقوله: «**الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ...**»[٩٧].

فأعظم "الموبقات" وأشدُّها جرمًا وأكبرها قبحًا: الشّرك بالله تعالى؛ لأنّه يُحبط العمل ويخلّد صاحبه في النار؛ إذا مات عليه، لقوله تعالى: **{إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}**[٩٨]، ثم تأتي الكبائر[٩٩] بعده في الجُرم وعِظم الذنب، والكبائر لا تُحصر، ولكن يجمعها أنَّ لكلِّ ذنب ترتَّب عَلَيْهِ حَدٌّ أَوْ تُوُعِّدَ عَلَيْهَا بِالنَّارِ، أَوِ اللَّعْنَةِ، أَوِ الْغَضَبِ، أو العذاب، أو نفي الإيمان، أو نحو ذلك، فهو مِن الكبائر[١٠٠]، وأشدُّ هذه الكبائر إثمًا وعقابًا: السّبع الموبقات المذكورة في هذا الحديث[١٠١]. لذا فالداعية إلى الله تعالى مُطالبٌ بتحذير المدعوِّ عن اقتراف الذنوب عامَّةً، والموبقات السّبع خاصَّةً.

ثانيًا: التَّوسُّلُ إليه تعالَى بالأعمالِ الصَّالحةِ هو السبيل إلى نجاة الإنسان مِن كلِّ كرب، وقد جاء في هذا مِن أحاديث الأعداد حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، قال ج: «**انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ**»[١٠٢].

قال ابن حجر ﷺ:: "وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ الدُّعَاءِ فِي الْكَرْبِ وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِذِكْرِ صَالِحِ الْعَمَلِ، وَاسْتِنْجَازُ وَعْدِهِ بِسُؤَالِهِ"[١٠٣].

ثالثًا: تحريم التطيُّر، والتشاؤم، وذمُّ مَن كان له التشاؤم عادةً متأصلةً فيه؛ فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ: قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الفَرَسِ، وَالمَرْأَةِ، وَالدَّارِ**»[١٠٤].

كان العرب -في الجاهليَّة- يتطيَّرون، وكان الشؤم عادة متأصلة فيهم، لا ينفكُّون عنها؛ فنهاهم النبيُّ ﷺ عن ذلك، فأبوا، ولم يستطيعوا الانفكاك عنها؛ لأنّ هذه العادة جرت فيهم مجرى الدّم مِن العروق؛ فالمدعوُّ المخاطَب بهذا الحديث هم أهل الجاهليَّة، وقد ذكر ابن حجر: أن الرسول ﷺ لم يقرَّ الشؤم ولم يؤكده، بل نفاه في أحاديث أخرى، ولكنه ﷺ يُعالج أمرًا واقعًا متأصلًا عند أهل الجاهليَّة؛ فأراد أن يُضيِّق عليهم هذا الواقع وهذه العادة؛ فحصر الشؤم في هذه الثلاثة؛ لأنها أكثر الأشياء -دُون غيرها- ملازمةً للإنسان في حياته، لا يمكن الاستغناء عنها[١٠٥].

ويُبيّن النبي ﷺ أنّه إن كان هناك مِن شؤمٍ على سبيل الفرض والتقدير، أي: على فرض أنه ممكن باعتبار عقيدة المخاطبين مِن الجاهليين وعادتهم؛ فليكن في هذه الثلاثة دُون غيرها، ويؤيد هذا المعنى أحاديث أخرى، منها: «**إن كان الشؤم في شيءٍ ففي الدار، والمرأة، والفرس**»[١٠٦]، وحديث: «**لا عدوى ولا طيرة، وإنما الشؤمُ في ثلاثةٍ:**

---

[٩٣] سورة: (الفاتحة/٢).

[٩٤] معنى مثاني: أنها تثنى على مرور الوقت، أي تكرر قراءتها في الصلاة في كل ركعة، فلا تنقطع، وتدرس. ينظر: شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن، (١٦٣٩/٥). وقيل: لأنّ الفاتحة تكررت، أو مِن الثناء، لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى، وفيه نظر، وقيل: سميت مثاني لأنها تثنى في الصلاة في كل ركعة. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤٧٤/٧).

[٩٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب قوله تعالى: ُّثنز ثم ثن ثى ثي فى َّ [الحجر: ٨٠]، رقم (٤٧٠٣)، (ص٣٩٢).

[٩٦] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، (٢٤٨/١٨).

[٩٧] سبق تخريجه، (ص ١٠).

[٩٨] سورة: (المائدة/٧٢).

[٩٩] والْكَبِيرَةِ كُلُّ ذَنْبٍ كَبُرَ وَعَظُمَ عِظَمًا يَصِحُّ مَعَهُ أَنْ يُطْلَقَ عليه اسم الكبيرة وَوُصِفَ بِكَوْنِهِ عَظِيمًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، ثُمَّ لَهَا أَمَارَاتٌ، مِنْهَا إِيجَابُ الحد، ومنها الإبعاد عَلَيْهَا بِالْعَذَابِ بِالنَّارِ وَنَحْوِهَا فِي الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ، وَمِنْهَا وَصْفُ فَاعِلِهَا بِالْفِسْقِ نَصًّا...". ينظر: المنهاج، النووي، (٨٢/٢).

[١٠٠] ينظر: شرح العقيدة الطحاويَّة، أبي العز، محمد الحنفي، تحقيق: جماعة مِن العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، [دار السلام، مصر، ط (١)، ١٤٢٦هـ]، (ص٣٧٠).

[١٠١] ينظر: فقه الدعوة إلى الله تعالى في صحيح البخاري، القحطاني، (١٣١/١).

[١٠٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإجارة، باب: «مَن استأجرَ أجيرًا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاده، أو مَن عمل في مال غيره فاستفضل»، رقم (٢٢٧٢)، (ص١٧٦).

[١٠٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، [دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ]، (٥٠٩/٦-٥١٠).

[١٠٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: «ما يذكر مِن شؤم الفرس»، حديث رقم (٢٨٥٨)، (٢٣٠).

[١٠٥] ينظر: فتح الباري، لابن حجر، (٧٢/٦-٧٤)، عمدة القاري، العيني، (ص١٥١).

[١٠٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد، باب: «ما يُذكرُ مِن شؤم الفرس»، رقم (٢٨٥٨)، (ص٢٣٠).

المرأة والفرس، والدار»[١٠٧].

المطلب الثّاني: إعداد الدّعاة وتأهيلهم في الجانب الشرعي:

ينبغي أن يكون الداعية إلى الله تعالى مؤهَّلاً في الجانب الفقهي والشرعي، بمعرفة الأحكام الشرعية، ومِن تلك الأحكام التي تضمنتها أحاديث الأعداد ما يأتي:

أولًا: تحريم إراقة دماء المسلمين؛ لأنّ دماءهم معصومةٌ بالإسلام؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﵁ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ:...**»[١٠٨]؛ فلا يحلُّ دم المسلم إلا بارتكاب واحدٍ مِن ثلاث خصالٍ: الزاني المحصَن ذكرًا كان أو أنثى، والقاتل للنفس المعصومة، يُقتل بشروط القتل[١٠٩]، والمرتدّ عن الدّين المفارق لجماعة المسلمين، بترك الإسلام وشعائره، سواءً اعتنق الديانات والملل الأخرى أم لا، إذ يكفي أنه جاهر بترك الإسلام[١١٠].

ثانيًا: وجوب غسل الإناء الذي يلغ[١١١] **فيه الكلب، وتنظيفه:** ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة ﵁: قال رسول الله ﷺ: «**إذا شَرِبَ الكَلْبُ في إناءِ أحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ**»[١١٢].

في هذا الحديث يبين رسول الله حُكم الإناء الذي يلغُ فيه الكلب، وأنه ينبغي تنظيفه؛ وذلك لقذارته ونجاسته؛ هذا الحديث فيه حثٌّ على النظافة، والبُعد عن القذارة؛ فالشريعة الإسلاميَّة جاءت بالدَّعوة إلى ضرورة تطهير الإناء إذا شرب الكلب فيه، وتعقيمه بالتراب؛ فمِن معجزات النبيِّ ﷺ التي يثبتها العلم في العصر الحاضر، أنّ في التراب ما يقطع جرثومة لعاب الكلب مِن الإناء الذي شرب فيه[١١٣].

فينبغي للداعية إلى الله تعالى إيضاح ذلك للمدعوّين؛ خاصةً أنّ الحاجة في عصرنا الحاضر تدعو لذلك؛ فقد كثُر اقتناء المسلمين للكلاب، وتربيتها في البيوت، نسأل الله السلامة والعافية.

المطلب الثّالث: إعداد الدعاة وتأهيلهم في الجانب الأخلاقي:

مِن الجوانب المهمة في تأهيل الدعاة وإعدادهم الإعداد السليم: الاهتمام بالجانب الأخلاقي، وقد تضمنت أحاديث الأعداد العديد مِن الأخلاق التي حث فيها النبي ﷺ صحابته ﵃ عليها، ومنها على سبيل المثال ما يأتي:

أولًا: الوفاء بالعهد، وتجنُّب الخيانة والغدر: عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: قَالَ اللَّه: «**ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ**»[١١٤].

قال ابن التين ﵀: "*هُوَ خَصْمٌ لِجَمِيعِ الظَّالِمِينَ، إِلَّا أَنَّهُ أَرَادَ التَّشْدِيدَ عَلَى هَؤُلَاءِ بِالتَّصْرِيحِ، وَالْخَصْمُ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَعَلَى الِاثْنَيْنِ وَعَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ*"[١١٥].

والغادر يحمل لواء غدره يوم القيامة؛ خزيًا وعارًا بين الخلائق، ويكفيه أنّ الله خصمه يوم القيامة، روى البخاري ومسلم مِن حديث أبي سعيد الخدري ﵁: أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الغادرَ يُنْصَبُ له لِواءٌ يَومَ القِيامَةِ؛ فيُقال: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**»[١١٦].

فالله -سبحانه- يُعامل الغادر بعكس مقصودة؛ فلا يَتمُّ له أمر؛ فالجزاء مِن جنس العمل، وهنا يجدر أن أشير إلى أنّه لمّا حلف محمد الأمين للمأمون في بيت الله الحرام، وهما وليّا عهد، طالبه جعفر بن يحيى أن يقول: خذلني الله إن خذلته، فقال ذلك ثلاث مرات، فقال الفضل بن الربيع: قال لي الأمين في ذلك الوقت عند خروجه مِن بيت الله: يا أبا العباس أجد نفسي أنّ أمري لا يتمُّ، فقلت له: ولم ذلك، أعزَّ الله الأمير؟ قال: لأني كنتُ أحلفُ وأنا أنوي الغدر، وكان كذلك لم يتمَّ أمره[١١٧].

ثانيًا: مِن الأخلاق التي حثَّ عليها دِيننا الإسلامي، وأمرنا بالتأدُّب بها: أدب الاستئذان: يستأذن ﷺ الزائر ثلاث مرات،

[١٠٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: «الطيرةِ»، حديث رقم (٥٧٥٣)، (ص٤٩١). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: «الطيرة والفألِ، وما يكونُ فيه الشؤم»، رقم (٢٢٢٥)، (ص١٠٧٣)، واللفظ له.

[١٠٨] سبق تخريجه (ص ١٢).

[١٠٩] وللقتل أربعة شروط، وهي كما يلي:
١- أن يكون القاتل متعمدًا. ٢- أن يكون القتل عدوانًا (لا بحقٍّ). ٣- أن يكون القتل مباشرة لا تسببًا. ٤- أن يكون القتل قد حدث في دار الإسلام. ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، علاء الدين بن مسعود، [دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط (٢)، ١٤٠٦ه]، (٦/ ٢٨٥). لوامع الدرر في هتك أستار المختصر، الشنقيطي، محمد بن سالم، [دار الرضوان، موريتانيا، ط (١)، ١٤٣٦ه]، (١٣/ ٣٢٤). الوسيط في المذهب، الغزالي، أبو حامد محمد، تحقيق: أحمد إبراهيم، محمد تامر، [دار السلام، القاهرة، ط (١)، ١٤١٧ه]، (٣٠٨/٦). روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، تحقيق: خليل شيحا، [دار المعرفة، بيروت، ط (١)، ١٤٢٧ه]، (١٥٨/٣). الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات، الحنبيلي، عثمان بن عبد اللَّه، تحقيق: عبد السلام آل عبد الكريم، [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١)، ١٤٢٤ه]، (٦٩٩/٤).

[١١٠] الأحاديث الأربعين النوويَّة مع ما زاد عليها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد، المحسن، عبد الله بن صالح، [الجامعة الإسلاميَّة، المدينة المنورة، ط (٣)، ١٤٠٤ه]، (ص ٢٩).

[١١١] وَلَغَ: «إِذَا وَلَغَ الكلبُ فِي إِنَاءِ أحدِكم» أي شَرِب منه بِلسانه، يقال: وَلَغَ وَلِغَ يَلَغُ ويَلِغُ وَلْغًا ووُلُوغًا. وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ الوُلوغ فِي السِباع. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري، (٢٢٦/٥).

[١١٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الوضوء، باب: «إذا شرِبَ الكَلْبُ في إناءِ أحَدِكُمْ فليغسلهُ سبْعًا»، رقم (١٧٢)، (ص١٧). وفي رواية مسلم قال ج: «إذا ولغ الكلبُ في إناءِ أحدكم فليُرِقْهُ ثم ليَغْسِلْهُ سبعَ مراتٍ». أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: «حكم ولوغ الكلب»، رقم (٢٧٩)، (ص٧٢٦).

[١١٣] فقه الدعوة إلى الله تعالى في صحيح البخاري، القريشي، (٢٢٨/٢-٢٢٩).

[١١٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإجارة، باب: «إِثْمِ مَنْ باع حرًا»، رقم (٢٢٢٧)، (ص١٧٣).

[١١٥] فتح الباري، لابن حجر، (٤١٧/٤).

[١١٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: «ما يُدعى النَّاسُ بآبائهم»، رقم (٦١٧٧)، (ص٥٢١).

[١١٧] المستطرف في كل فن مستطرف، أبو الفتح، شهاب الدين محمد، [عالم الكتب، بيروت، ط (١)، ١٤١٩ه]، (ص٢١٨).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

فإن أُذِن له وإلا انصرف، إن لم يؤذن للزائر فعليه أن يرجع. فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ أَبَا مُوسَى، أَتَى بَابَ عُمَرَ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: وَاحِدَةٌ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ الثانية، فَقَالَ عُمَرُ: ثِنْتَانِ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ عُمَرُ: ثَلَاثٌ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَتْبَعَهُ فَرَدَّهُ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ هَذَا شَيْئًا حَفِظْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهَا، وَإِلَّا، فَلَأَجْعَلَنَّكَ عِظَةً، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَتَانَا فَقَالَ: أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ...**»(١١٨).

المبحث الثاني: أهم صفات الدُّعاة إلى الله تعالى، مِن خلال أحاديث الأعداد:

١. الإخلاص لله تعالى، كما في حديث الثلاثة الذين أُطبقت عليهم الصخرة: فيتواصى الداعية إلى الله تعالى ويُذكِّر المدعوِّين بالإخلاص لله تعالى في كلِّ العبادات، وأن يجعل له خبيئةً عند الله تعالى، طلبًا لرضاه وجنته سبحانه، وتكون سببًا في نجاته -بإذن الله- مِن مصائب الدنيا والآخرة.

قال ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَه**»(١١٩)؛ فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يكون مخلصًا لله ﷻ، لا يُريد رياءً ولا سمعةً، ولا ثناء الناسِ ولا حمدهم، بل يريد وجه الله سبحانه(١٢٠).

٢. تعظيم أمر الصلاة، والمواظبة عليها جماعة: ففي حديث أم المؤمنين عائشة ﷺ: «**لَمَّا ثَقُلَ النبي ﷺ واشْتَدَّ به وجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أزْوَاجَهُ أنْ يُمَرَّضَ في بَيْتِي، فأذِنَّ له... حتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إلَيْنَا بيَدِهِ: أنْ قدْ فَعَلْتُنَّ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَ إلى النَّاسِ فَصَلَّى بهِمْ وخَطَبَهُمْ... وكانت عائشة ل تُحدث: أن النبي ﷺ قال بعد ما دخل بيته، واشتد وجعه: هريقوا علي سبع قِرب...**»(١٢١)، فيه بيانٌ وتأكيدٌ لأهمِّ صفةٍ يجب أن يتَّصف بها الداعي إلى الله تعالى، ألا وهي المحافظة على الصلاة جماعةً مع المسلمين، واستحباب تكلُّف المريض الخروج للجماعة، يقول ابن حجر ﷺ: "فيه تأكيدُ أمر الجماعة، والأخذُ فيها بالأشدِّ، وإن كان المرض يُرخِّص في تركها"(١٢٢).

٣. العدل: ففي الحديث السابق الذي روته أمُّنا عائشة ﷺ: «**لَمَّا ثَقُلَ النبيُّ ﷺ واشْتَدَّ به وجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أزْوَاجَهُ أنْ يُمَرَّضَ في بَيْتِي، فأذِنَّ له**»؛ في هذا الحديث استأذن رسول الله ﷺ أن يُمرضَ في بيت عائشة ﷺ، واستئذانه لنسائه ﷺ يدلُّ على عدله وحُسن عشرته، وكرم أخلاقه، وتطيُّبه لنفوسهنَّ(١٢٣).

٤. الأناة: وذلك في دعوته عامةً، وفي خطابه للمدعوِّ خاصةً؛ عن أنسٍ ﷺ: "**أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا**»(١٢٤)؛ فقد تضمَّن الحديث الشريف أهميَّة اتِّصاف الداعية إلى الله تعالى بصفة الأناة، وأهميَّة التأنِّي مع المدعوِّ في الكلام معه؛ يقول ابن عثيمين ﷺ: "إنه ينبغي للإنسان -الداعية إلى الله- إذا تكلَّم وخاطب الناس، أن يُكلِّمهم بكلام بيِّن، لا يستعجل في إلقاء الكلمات، ولا يدغم شيئًا في شيء"(١٢٥).

الفصل الرابع: أصناف المدعوِّين إلى الله تعالى، وأهمُّ صفاتهم، مِن خلال أحاديث الأعداد

المبحث الأوَّل: أصناف المدعوِّين إلى الله تعالى، مِن خلال أحاديث الأعداد:

- **الصنف الأول:** مَن عُرضت عليهم الدَّعوة واستجابوا لها، وهم المؤمنون.
- **الصنف الثاني:** مَن لم يقبلوا الدَّعوة، وأعلنوا بكلِّ صراحة ووضوح أنهم رافضون لها، وهم الكفار.
- **والصنف الثالث:** مَن أعلنوا في الظاهر قبول الدَّعوة إلى الله تعالى ورضاهم بها، وفي حقيقة الأمر معادون لها، يعملون بكلِّ الوسائل على التخلُّص منها، وهم المنافقون.

وفيما يتَّصل بموضوع بحثي هذا؛ فإنني أجد أنّ النبيَّ ﷺ -مِن خلال أحاديثه- قد أشار إلى صنفين فقط مِن أصناف المدعوِّين، وهم المؤمنون والمنافقون، ولعلَّ السبب يرجع إلى أنّ جُلَّ هذه الأحاديث -إن لم تكن كلها- قد قالها النبيُّ ﷺ في المرحلة المدنيَّة، وفي هذه المرحلة كان الخطاب المفتتح بالأعداد خاصةً، موجهًا للمجتمع المستجيب للدعوة إلى الله تعالى، سواءً أكانت الاستجابة حقيقيَّةً، كما هو الحال في المؤمنين، أم كانت استجابة ظاهريَّة، كما هو الحال في المنافقين.

المبحث الثاني: أهم صفات المدعوِّين، مِن خلال أحاديث الأعداد:

المطلب الأول: أهم صفات الصنف الأول مِن المدعوِّين (المؤمنين) مِن خلال أحاديث الأعداد:

١. الإخلاص لله تعالى، والاجتهاد في إخفاء الصدقة؛ بُعدًا عن رذيلة الرياء(١٢٦)، وطلبًا لفضيلة الإخلاص، كما في

---

(١١٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الآداب، باب: «الاستئذان»، رقم (٢١٥٣)، (ص١٠٦١).

(١١٩) سبق تخريجه، (ص ٩).

(١٢٠) ينظر: الدعوة إلى الله، أخلاق الدعاة، ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط (٤)، ١٤٢٣هـ]، (ص٤٣).

(١٢١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الوضوء، باب: «الغُسل والوضوء في المخضب...»، رقم (١٩٨)، (ص١٩).

(١٢٢) فتح الباري، لابن حجر، (١٨٣/٢).

(١٢٣) ينظر: المفهم، للقرطبي، (٥١/٢). شرح النووي لصحيح مسلم، (١٣٩/٤).

(١٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: «مَنْ أعادَ الحَدِيثَ ثَلَاثًا لِيُفهم»، رقم (٩٥)، (ص١١).

(١٢٥) ينظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، محمد بن صالح، [دار الوطن، الرياض، ط (١)، ١٤١٦هـ]، (٦٩/٧).

(١٢٦) الرياء بكسر الراء مشتقٌّ مِن الرؤية، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدون صاحبها، والسُّمعة بضم المهملة وسكون الميم مشتقَّة مِن سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء، لكنها تتعلّق بحاسَّة السمع، والرياء بحاسَّة البصر، والمعنى طلب المنزلة في قلوب

حديث: (السّبعة الذين يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه)، وما اتّصف المدعوُّ في هذا الحديث بهذه الصفة إلّا حرصًا منه على إرضاء الله تعالى؛ لقبول عمله، وعدم تدنيسه بما يُوجِب حبوطه وبطلانه.

٢. مجاهدة النفس، ومخالفة الهوى، ويجمع ذلك الحديث السابق في قوله ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[١٢٧]، قال ابن رجب ﷺ:: "هذه السبعة اختلفت أعمالهم فِي الصورة، وجمعها معنىً واحد، وَهُوَ مجاهدتهم لأنفسهم، ومخالفتهم لأهوائها، وذلك يحتاج إلى رياضةٍ شديدةٍ، وصبرٍ عَلَى الامتناع مِمَّا يدعو إليه داعي الشهوة، وفي تجشُّم ذَلِكَ مشقَّة شديدة عَلَى النفس، ويحصل لها بِهِ تألُّم عظيم، فإنّ القلب يكاد يحترق مِن حرّ نار الشهوة، إذا لَمْ يطفأ ببلوغ الغرض مِن ذَلِكَ، فلا جرم كَانَ ثواب الصبر عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ إذا اشتدَّ الحرُّ فِي الموقف، ولم يكن للناس ظلٌّ يُظِلّهم ويقيهم حرَّ الشمس يومئذ، وكان هؤلاء السبعة فِي ظلّ الله لأ، فَلَمْ يجدوا لحرّ الموقف ألمـًا؛ جزاءً لصبرهم عَلَى حرّ نار الشهوة أو الغضب فِي الدنيا"[١٢٨].

٣. محبَّة الله تعالى، ومحبَّة رسوله ﷺ، والمحبَّة في الله تعالى، كما في حديث: « ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجدَ حلاوة الإيمان»، فتقضي محبَّة الله تعالى ورسوله ﷺ على ما سواهما، وفي هذا يقول ﷺ: «أَنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أَحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا...»، قال النوويُّ ﷺ: "هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ"، وقَالَ الْعُلَمَاءُ ﷺ: "مَعْنَى حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ اسْتِلْذَاذُ الطاعات وتحمُّل المشقات في رضا اللَّهِ لأ وَرَسُولِهِ ج، وَإِيثَارُ ذَلِكَ عَلَى عَرَضِ الدُّنْيَا وَمَحَبَّةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ﷻ بِفِعْلِ طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مُخَالَفَتِهِ، وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"[١٢٩].

المطلب الثاني: أهمُّ صفات الصنف الثاني مِن المدعوّين (المنافقين)، مِن خلال أحاديث الأعداد:

١. الكذب، والخيانة، وعدم الوفاء بالوعد، ثبت في حديثه ﷺ «**آيةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وعَدَ أخْلَفَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[١٣٠]، ففي حديث عبد الله ابن عمرو ﷺ:: ذكر النبي ﷺ أربع صفات: «**أربَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[١٣١]. في الحديثين السابقين تَنبيهٌ مِن النبي ﷺ على صِفاتِ النِّفاقِ المذمومةِ، للتَّخويفِ والتَّحذيرِ مِن الوُقوعِ فيها، وهي: الكذب، والخيانة، وإخلاف الوعد، والغدر، والفُجورُ في الخُصومةِ.

٢. التولي يوم الزحف: مِن الأفعال التي حذر النبي ﷺ مِن اقترافها: "الفرار عن القتال يوم ازدحام الطائفتين، ويقال: التولي الإعراض عن الحرب والفرار مِن الكفار إذا كان بإزاء كل مسلم كافران، وإن كان بإزاء كل مسلم أكثر مِن كافرين يجوز الفرار، والزحف الجماعة الذين يزحفون إلى العدو، أي يمسون إليهم بمشقة"[١٣٢].

٣. قَذْفُ المُحْصَنَاتِ[١٣٣] المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ؛ مِن صفات المنافقون في أحاديث الأعداد؛ التي حذر النبي ﷺ المؤمنين مِن الاتصاف بها؛ قذف العفيفات مِن المؤمنات.

المبحث الأول: كيفيَّة استفادة الدُّعاة إلى الله تعالى مِن هدي النبي ﷺ، في الدَّعوة إلى الله تعالى، مِن خلال أحاديث الأعداد، في الواقع المعاصر:

المطلب الأول: كيفيَّة استفادة الدُّعاة إلى الله تعالى مِن هدي النبي ﷺ في جانب الإعداد العلمي للدُّعاة إلى الله تعالى.

أولاً: في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ:، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: «**صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ**»[١٣٤]، يُبيّن الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ:، أن رسول الله ﷺ أوصاه بثلاثٍ، وفيه دليلٌ على تأكيد هذه الأمور بالقصد إلى الوصيَّة بها[١٣٥].

ومِن خلال ما تقدم يُمكن للدَّاعي إلى الله تعالى في العصر الحاضر أن يستفيد مِن الحديث السابق في الإعداد العلمي للدُّعاة في الجانب العقدي والشرعي:

- أنّ المسلم بحاجةٍ إلى هذه الأعمال الصالحة؛ لزيادة الإيمان، وتعميق صلته بالله ﷻ.
- إعداد الدُّعاة إلى الله تعالى في الجانب الإيماني؛ فالداعية بحاجةٍ إلى هذه الأعمال الصالحة؛ لزيادة الإيمان، وتعميق صلته بالله ﷻ.

الناس بأن يُريهم الخصال المحمودة، والمرائي هو العامل، وقال ابن عبد السلام: الرياء أن يعمل لغير الله تعالى، والسمعة أن يخفي عمله لله تعالى، ثم يحدث به الناس. فتح الباري، لابن حجر، (٣٣٦/١١).

[١٢٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم (١٤٢٣).

[١٢٨] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: محمود بن عبد المقصود، مجدي بن عبد الخالق، [مكتب تحقيق دار الحرمين، القاهرة، ط (١)، ١٤١٧هـ]، (٤٦/٦).

[١٢٩] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (١٣/٢).

[١٣٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، رقم (٦٠٩٥).

[١٣١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد، باب: «تحريم الرياء»، رقم (٢٩٨٧)، (ص١١٩٥).

[١٣٢] عمدة القاري، العيني، (٦٢/١٤).

[١٣٣] القذف الرمي البعيد، استعير للشتم والعيب، والمحصنات: جمع محصنة، بفتح الصاد، اسم مفعول أي: التي أحصنها الله تعالى وحفظها مِن الزنا، وبكسرها، اسم فاعل، أي: التي حفظت فرجها مِن الزنا. عمدة القاري، العيني، (٦٢/١٤).

[١٣٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصوم باب: «صيام أيام البيض ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة»، رقم (١٩٨١)، (ص١٥٥).

[١٣٥] إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، [مطبعة السنة المحمديَّة، مصر، (د.ط/ت)]، (٣٢/٢).

- معرفة السنن المؤكدة التي ينبغي للمسلم المحافظة عليها، والحذر من هجرها.

ثانيًا: حديثه ﷺ «**إِنَّ ثَلَاثَةً مِن بَنِي إِسرائِيلَ: أَبْرَصَ، وأَقْرَعَ، وأَعْمَى، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهم، فبعثَ إليهم مَلَكًا..**»(١٣٦)، في هذا الحديث الشريف "يخبر النبي ﷺ عن هؤلاء الثلاثة الذين أُصيب كلٌّ منهم بعاهةٍ في الجسم، وفقرٍ من المال، ثم إنّ الله ﷻ أراد أن يختبرهم؛ فأزال ما أصابهم مِن العاهات، وأدرَّ عليهم مِن الأموال، ثم أرسل إلى كلّ واحد منهم الملَك بهيئته الأولى؛ مِن: المرض والقرَع والعمى والفقر، يستجديه شيئًا يسيرًا، وهنا تكشّفت سرائرهم، وتجلّت حقائقهم؛ فالأعمى اعترف بنعمة الله تعالى عليه، ونسبَها إلى مَن أنعم عليه بها، فأدّى حقَّ الله تعالى فيها؛ فاستحقَّ الرِّضا مِن الله سبحانه، وكفرَ الآخران بنعمة الله ﷻ عليهما، وجحدا فضله؛ فاستحقَّا السَّخَط بذلك"(١٣٧).

ويُمكن للدَّاعي إلى الله تعالى في العصر الحاضر أن يستفيد مِن هذا الحديث في الإعداد العلمي للدُّعاة في الجانب العقدي والشرعي، مِن خلال الآتي:

- الداعية إلى الله تعالى يردُّ الفضل إلى الله تعالى، ويعلم أن ذلك سبيل الحفاظ على النعمة.
- الداعية إلى الله تعالى يحرص على أن يتبرَّأ مِن حوله وقوته، ويغرس ذلك في نفوس المدعوِّين، ويُبيّن لهم أنَّ ما بهم من نعمة فمن الله وحده جلَّ في علاه، سواءً كان بواسطة خلقٍ مِن خلقه، أو بلا واسطةٍ، كما قال تعالى: **{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)}**(١٣٨)؛ فإذا علم ذلك عظُم عنده حقُّ الله تعالى عليه؛ لما يرى فيه مِن النِّعم الباطنة، والنِّعم الظاهرة التي لا تُحصى، كما قال تعالى: **{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}**(١٣٩)؛ فيلزمه إذًا شُكر نعمه جلَّ في علاه وجوبًا، بالجنان واللسان والأركان(١٤٠).

ثالثًا: حديثه ﷺ «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ..»، يُستفاد مِنه في الإعداد العلمي للدُّعاة في موضوعات الدَّعوة فهو يتعلَّق بالعقيدة، ويتعلَّق بشروط تذوُّق حقيقة الإيمان. ويُستفاد مِن دراسة أحاديث الأعداد في إعداد الدُّعاة إلى الله تعالى في مجال الإعداد البلاغي لهم، وفيما يتَّصل بضرورة الاهتمام بفقه الأولويات؛ فعلى سبيل المثال ذكر النبي ﷺ في حديث: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ..**» محبَّة الله ورسوله ﷺ أولًا، ثمَّ محبَّة سائر الناس، ثم كراهيَّة الكفر.

رابعًا: يقول ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لهمْ أجْرَانِ: رَجُلٌ مِن أهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بنَبِيِّهِ وآمَنَ بمُحَمَّدٍ ﷺ..**».

يُستفاد مِن هذا الحديث في الإعداد العلمي للدعاة في جانب العقيدة؛ بعدم التفرقة بين أنبياء الله تعالى ورسله في الإيمان. وذكر ابن حجر ؒ: أنّ الحديث يدلُّ على فضل مَن آمن مِن أهل الكتاب بنبيّه، ثمّ آمن بنبيّنا محمَّدٍ ﷺ، وأنَّ له أجرين..(١٤١).

خامسًا: يُستفاد مِن أحاديث الأعداد في إعداد الدُّعاة إلى الله في الجانب الشرعي في الموضوعات عامة، وفي موضوع الصلاة خاصة؛ وذلك بتعريف المدعوين بأحكامها، وأهمية السجود على الأعضاء السبعة، والتأكيد عليهم بضرورة السجود عليها؛ يقول ﷺ «**أُمِرْتُ أنْ أسْجُدَ علَى سَبْعَةِ أعْظُمٍ علَى الجَبْهَةِ، وأَشَارَ بيَدِهِ علَى أنْفِهِ واليَدَيْنِ والرُّكْبَتَيْنِ، وأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ ولَا نَكْفِتَ الثِّيَابَ والشَّعَرَ**»(١٤٢)، فـ"ينبغي للساجد أن يضع كفيه على الأرض ويرفع مرفقيه عن الأرض وعن جنبيه رفعًا بليغًا، بحيث يظهر باطن إبطيه إذا لم يكن مستورًا، وهذا أدبٌ متفق على استحبابه؛ فلو تركه كان مسيئًا مرتكبًا، والنهي للتنزيه؛ وصلاته صحيحة.. وقال العلماء ؒ: والحكمة في هذا أنه أشبه بالتواضع وأبلغ في تمكين الجبهة والأنف مِن الأرض، وأبعد مِن هيئات الكسالى، فإن المتبسط كشبه، الكلب ويشعر حاله بالتهاون بالصلاة وقلة الاعتناء بها والإقبال عليها"(١٤٣).

فالداعية يُحدد للمدعوّين أعضاء السجودِ التي يجب أن يسجد عليها المصلي، وهي: الجبهةُ مع الأنف، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين.

سادسًا: يمكن للداعية إلى الله تعالى الاستفادة مِن أحاديث الأعداد في الجانب الشرعي؛ بالتفقه في دِين الله، ومعرفة حكم الشرع فيها، ومِن ذلك:

- عدم جواز قراءة القرآن الكريم في الصلاة بغير اللغة العربيَّة المنزلة بالأحرف السبعة المشهورة عن العلماء(١٤٤)، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ هذا القُرْآنَ أُنْزِلَ**

---

(١٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: «حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل»، حديث رقم (٣٤٦٤)، (ص٢٨٢).

(١٣٧) الملخص في شرح كتاب التوحيد، الفوزان، صالح بن فوزان، [دار العاصمة الرياض، ط (١)، ١٤٢٢هـ]، (ص٥٩).

(١٣٨) سورة: (النحل/٥٣).

(١٣٩) سورة: (النحل/١٨).

(١٤٠) ينظر: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، محسن، حامد بن محمد، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، [دار المؤيد، ط (١)، ١٤١٧هـ]، (ص٤١٤).

(١٤١) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (١٩١/١).

(١٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: «السُّجُودِ على الأنفِ»، رقم (٨١٢)، (ص٦٤). ومسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: «أعضاءِ السُّجُودِ، والنهي عن كفِّ الشعر والثوب...»، رقم (٤٩٠)، (ص٧٥٥). واللفظ له.

(١٤٣) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، (٢٠٩/٤).

(١٤٤) المقصود بسبعة أحرف أي: سبع لغات لسبع قبائل مِن العرب، أي: نزل على سبع لغات متفرّقة في القرآن الكريم؛ فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة تميم، وبعضه بلغة أزد وربيعة، وبعضه بلغة هوازن وسعد بن بكر، وكذلك سائر اللغات ومعانيها. ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، [الهيئة المصريَّة العامة للمكتبات، مصر، د.ط، ١٣٩٤هـ]، (١٦٤/١).

عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا ما تَيَسَّرَ منه»(١٤٥)، وحكمة الله جلَّ في علاه مِن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرفٍ: التوسعة على عباده، والتخفيف عنهم؛ وذلك لاختلاف لغاتهم عن العرب الذين أُرسل لهم النبي ﷺ، واستصعاب مفارقة كل فريق منهم الطبع والعادة في الكلام إلى غيره؛ فخفَّف عنهم وسهَّل عليهم، بأن أقرّهم على مألوف طبعهم وعادتهم في كلامهم(١٤٦).

والمثبتة في مصحف الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ، والتي جمع الأمصار عليها(١٤٧)؛ فالقرآن توقيفيٌّ نزل بالعربيَّة الفصحى المتعبَّد بها(١٤٨).

- **تحريم إحداد(١٤٩) المرآة على غير زوجها فوق ثلاث ليالٍ:** فعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، تُحِدُّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**»(١٥٠).

المطلب الثاني: كيفيَّة استفادة الدُّعاة إلى الله تعالى مِن هدي النبي ﷺ في جانب الأساليب:

- أن يمتثل منهج النبيِّ ﷺ في الترغيب والترهيب؛ فيُرغب المدعوَّ إلى الاستجابة، وقبول الحقِّ بكلِّ ما يستطيع، ويخوِّف المدعوَّ ويحذِّره مِن عدم الاستجابة، ومِن رفض الحقّ، لكي ينال الداعية رضا الله، ورضا رسوله ﷺ.
- يتأسى الداعية بالنبي ﷺ؛ فقد استخدم النبيُّ ﷺ أسلوب التشويق مِن خلال أحاديث الأعداد، حيث شوَّق الصحابيَّ الجليل أبا سعيد بن المـُعلَّى ﷺ عندما قال له: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هي أعْظَمُ السُّوَرِ في القُرْآنِ قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**»؛ فأعلمه النبيُّ ﷺ أعظم سورة، وهي الفاتحة، بعد أن شوّقه إلى معرفتها، وذلك أسلوب نافع يشدُّ المدعوَّ بشوق لمعرفة مُراد الداعية إلى الله تعالى.
- توظيف حديث النبي ﷺ «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ**..» في أساليب الدَّعوة إلى الله تعالى، فيما يتَّصل بجانب التشويق والإيجاز والتقسيم والتصنيف.

المطلب الثالث: كيفيَّة استفادة الدُّعاة إلى الله تعالى مِن هدي النبي ﷺ في جانب الوسائل:

- استعمل ﷺ وسيلة القصة؛ كما في حديث: «الأقرع والأبرص والأعمى».

المطلب الرابع: كيفيَّة استفادة الدُّعاة إلى الله تعالى مِن هدي النبي ﷺ في جانب صفات الدُّعاة والمدعوين:

- يمكن توظيف حديث ﷺ «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلاوَةَ الإيمَانِ**» في جانب صفات الدُّعاة عن أهم صفة للداعي والمدعو في أحاديث الأعداد؛ كراهيَّة الكفر ككراهيَّة أن يُلقى الإنسان في النار، وقد جاء في هذا قول ﷺ «.. **وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ**»؛ فكانت الصِّفة الثالثة في هذا الحديث هي كراهية الكفر.
- كذلك في جانب صفات الدُّعاة عن أثر المحبَّة بين الداعي والمدعوِّ في استجابة المدعوِّ للدَّعوة إلى الله تعالى، كما في حديث السبعة الذين يُظلهم الله في ظله.. وذكر منهم: «**اثنانِ تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه**».

المبحث الثاني: كيفيَّة استفادة المؤسسات الدَّعويَّة مِن هدي النبي ﷺ في الدَّعوة إلى الله تعالى، مِن خلال أحاديث الأعداد:

لا شكَّ أنَّ المؤسسات الدَّعويَّة لها الأثر البيّن، واليد الطولى في الدَّعوة إلى الله تعالى، بين المسلمين، وغير المسلمين، خاصةً في العصر الحاضر، على الرغم مِن تعدُّدهم وتنوُّعهم، إلا أنّ المجتمع في أمسِّ الحاجة إليهم؛ لأن البشريَّة تحتاج إلى مَن يرشدها إلى سعادة الدارين.

قال ابن القيم ﷺ: "حاجة الناس إلى الشريعة ضروريَّة فوق حاجتهم إلى كلِّ شيء.. وقد فطر الله تعالى بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم، وجعل لكلِّ قومٍ عادةً وعرفًا في استخراج ما يهجم عليهم مِن الأدواء، حتى أن كثيرًا مِن أصول الطبِّ إنما أُخذت عن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم، وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد الاختياريَّة؛ فمبناها على

(١٤٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: استتابة المرتدين، باب: «ما جاء في المتأولين»، حديث رقم (٦٩٣٦)، (ص٥٧٨). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن الكريم وما يتعلّق به، باب: «بيان أنَّ هذا القُرْآنَ أُنْزِلَ علَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وبيان معناها»، حديث رقم (٨١٨)، (ص٨٠٥-٨٠٦).

(١٤٦) ينظر: المنتقى شرح الموطأ، الباجي، سليمان، [مكتبة السعادة، مصر، ط (١)، ١٣٣٢ه]، (٣٤٧/١). الأحرف السبعة للقرآن الكريم، الداني، عثمان، تحقيق: عبد المهيمن طحان، [مكتبة المنارة، مكة، ط (١)، ١٤٠٨ه]، (ص٣١).

(١٤٧) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (ص١٤٨).

(١٤٨) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيميَّة، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: ناصر العقل، [دار عالم الكتب، بيروت، ط (٧)، ١٤١٩ه]، (٥٢٠/١).

(١٤٩) الإحداد: الامتناع من الزينة والطيب، ويقال: منه أَحَدَّتِ المَرْأة وحدَّت، ومنه سمّى الحديد حديدًا للامتناع به أو لامتناعه على مَن يحاوله. يُنظر: حلية الفقهاء، الرازي، أحمد القزويني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، [الشركة المتحدة، بيروت، ط (١)، ١٤٠٣ه]، (ص١٨٦). تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، الحَمِيدي، محمد بن فتوح بن عبد الله، تحقيق: زبيدة محمد سعيد، [مكتبة السنة، القاهرة، ط (١)، ١٤١٥ه]، (ص٥٥٦). التنبيه على الألفاظ في الغريبين، السلامي، محمد، تحقيق: حسين باناجه، [كنوز إشبيليا، الرياض، ط (١)، ١٤٢٩ ه]، (ص٢١٥).

(١٥٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: «إحداد المرأة على غير زوجه»، حديث رقم (١٢٨١)، (ص١٠٠). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: «وجوب الإحداد في عدة الوفاة، وتحريمه في غير ذلك، إلا ثلاثة أيام»، حديث رقم (١٤٨٦/١٤٩١)، (ص ٩٣٣-٩٣٤).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الوحي المحض.. فليس الناس قطّ إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، والقيام به، والدَّعوة إليه، والصبر عليه"(١٥١).

وعليه؛ فالحاجة إلى الشريعة الإسلاميَّة ماسَّة جدًّا، خاصةً عن طريق المؤسسات الدَّعويَّة، ويمكن للمؤسسات الدَّعويَّة أن تستفيد مِن هدي النبيِّ ﷺ في استخدام لغة الأرقام كوسيلةٍ مِن وسائل الدَّعوة إلى الله ﷻ.

الخاتمة:

أحمدُ الله وأشكره، وأثني عليه ثناءً لا أحصيه؛ فهو المستحقُّ للحمد بما أنعم وتفضّل، ومِن إنعامه عليَّ أن وفقني لإتمام هذا البحث وإنجازه.

وبعد هذا الجهد المتواضع أضعُ عددًا مِن النتائج؛ فإن وُفّقت فبتوفيق الله تعالى وتسديده، وإن كانت الأخرى؛ فحسبي أنّي بذلتُ وسعيت، واجتهدتُ، وأستغفر الله مِن الزلل والخطأ.

نتائج البحث:

أولًا: اختلاف الأعداد وتنوُّعها كان مراعاةً مِن الرسول ﷺ لأحوال المخاطبين وأحوال السائلين، وقد وردت رواياتها في أزمنة متفرّقة، وأحوال مختلفة ومتباينة، بعضها يجيب عن سؤال، وبعضها يكشف عن حالة معينة تحتاج إلى توضيح وتصحيح، وبعضها بحسب ما يتجدَّد له مِن العلم بعد ذلك، فيخبر به ﷺ.

ثانيًا: يُقدَّم العدد ويؤتى به في أول الكلام، عندما يكون الغرض توضيح العدد، وعندما يكون الغرض منصبًّا على توضيح المعدود يؤتى بالمعدود أولًا.

ثالثًا: تنوُّع مجيء المعدود بين سياق التعظيم مرة، ومقام التقبيح مرة أخرى.

رابعًا: مجيء إجماليين وتفصيلين في حديث نبويٍّ واحد، وبناء تفصيل على تفصيل في سياق واحد.

خامسًا: يُعدُّ أسلوب الإجمال والتفصيل الوارد في سياق التركيب العددي طريقةً مِن طرق الدَّعوة إلى الله تعالى، ومِن أساليب التعليم النافعة.

سادسًا: تنوَّع أسلوب الإجمال في التركيب العددي بين الخبر والإنشاء.

سابعًا: تعرَّض البحث لدفع ما يُوهِم التعارض العددي في بعض الأحاديث، وكذلك مُشكِل بعض الأحاديث وغريبها.

ثامنًا: تبيَّن من دراسة هدي النبيِّ ﷺ، في الدَّعوة إلى الله تعالى، من خلال أحاديث الأعداد، أهميَّة تأهيل الدُّعاة إلى الله تعالى، وإعدادهم الإعداد المتكامل والشامل.

تاسعًا: الداعية إلى الله تعالى هو الركن الأساس في الدَّعوة إليه سبحانه، ولكي تؤتي الدَّعوة إلى الله تعالى ثمارها؛ فلا بدَّ أن يتحلَّى الداعية بصفات مُستمدَّة مِن كتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ، وقد تضمَّنت "أحاديث الأعداد" جملةً مِن تلك الصفات؛ كالإخلاص، والعدل، والأناة، وغيرها.

عاشرًا: اجتهدت الباحثة قدرَ الطاقة في الربط بين جمل التفصيل، وإظهار وجوه التناسب بينها، وبيان مفهوم العدد في الأحاديث.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم:**

١. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، [الهيئة المصريَّة العامة للمكتبات، مصر، د.ط، ١٣٩٤هـ].

٢. الأحاديث الأربعين النوويَّة مع ما زاد عليها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد، المحسن، عبد الله بن صالح، [الجامعة الإسلاميَّة، المدينة المنورة، ط (٣)، ١٤٠٤هـ].

٣. الأحرف السبعة للقرآن الكريم، الداني، عثمان، تحقيق: عبد المهيمن طحان، [مكتبة المنارة، مكة، ط (١)، ١٤٠٨هـ].

٤. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، [مطبعة السنة المحمديَّة، مصر، (د.ط/ت)].

٥. الأدب النبوي، الخولي، محمد بن عبد العزيز، [دار المعرفة، بيروت، ط (٤)، ١٤٢٣هـ].

٦. أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، جلو، الحسين بن جرنو، [دار العلوم الإنسانيَّة، د.ب، ط (١)، ١٤١٤هـ].

٧. الاستذكار، القرطبي، يوسف محمد، تحقيق: سالم عطا، [دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط (١)، ١٤٢١هـ].

٨. أسرار البلاغة، الجرجاني، عبدالقاهر، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، [دار المدني، جدة، (د.ط/ت)].

٩. إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة، الرافعي، مصطفى صادق، [مكتبة الإيمان، (د.ب)، ط (١)، ١٤١٧هـ].

١٠. إعلام الساجد بأحكام المساجد، الزركشي، محمد، تحقيق: أبو الوفاء المراغي، [المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، القاهرة، ط (٤)، ١٤١٦هـ].

١١. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيميَّة، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: ناصر العقل، [دار عالم الكتب، بيروت، ط (٧)، ١٤١٩هـ].

١٢. انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري، ابن حجر، أحمد، تحقيق: حمدي السامرائي، [مكتبة الرشد، الرياض، ط (١)، ١٤١٣هـ].

١٣. الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، محمد بن عبد الرحمن، [دار الجيل، بيروت، ط (٣)].

١٤. البحث العلمي، حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته، ومناقشته، الربيعة، عبد العزيز، [مكتبة

(١٥١) ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، [دار الكتب العلميَّة، بيروت، (د.ط/ت)]، (٢/٢).

الملك فهد، الرياض، ط (٢١)، ١٤١٨هـ].
١٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، علاء الدين بن مسعود، [دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط (٢)، ١٤٠٦هـ].
١٦. البلاغة الصوتيَّة في الأحاديث النبويَّة، ليمونة حسيني، [كليَّة اللغة العربيَّة، جامعة الأزهر، مصر، (د.ط/ت)].
١٧. البيان النبوي، البيومي، محمد رجب [دار الوفاء، د.ب، ط (١)، ١٤٠٧هـ].
١٨. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد، [المطبعة الخيريَّة، مصر، ط (١)، ١٣٠٦هـ].
١٩. التحبير لإيضاح معاني التيسير، الصنعاني، محمد، تحقيق وتعليق: محَمَّد حَلّاق، [مكتبة الرشد، الرياض، ط (١)، ١٤٣٣هـ].
٢٠. تفسير التستري، التُستري، جمعها: أبو بكر البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، [دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط (١)، ١٤٢٣هـ].
٢١. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، الحَمِيدي، محمد بن فتوح بن عبد الله، تحقيق: زبيدة محمد سعيد، [مكتبة السنة، القاهرة، ط (١)، ١٤١٥هـ].
٢٢. التمهيد، لابن عبد البر، يوسف محمد، تحقيق: مصطفى العلوي، [وزارة الأوقاف، المغرب، (د.ط)، ١٣٨٧هـ].
٢٣. التنبيه على الألفاظ في الغريبين، السلامي، محمد، تحقيق: حسين باناجه، [كنوز إشبيليا، الرياض، ط (١)، ١٤٢٩ هـ].
٢٤. التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمَّد إسحاق، [دار السلام، الرياض، ط(١)،١٤٣٢هـ].
٢٥. جامع البيان في تأويل آي القران. الطبري، محمد بن جرير، تحقيق أحمد شاكر، [الرسالة، (د.ب)، ط (١)، ١٤٢٠هـ].
٢٦. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي، أحمد، توثيق: يوسف الصميلي، [المكتبة العصريَّة، بيروت، (د.ط/ت)].
٢٧. حلية الفقهاء، الرازي، أحمد القزويني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، [الشركة المتحدة، بيروت، ط (١)، ١٤٠٣هـ].
٢٨. الخصائص البلاغيَّة للبيان النبوى، الحمزاوي، [مكتبة الرشد، (د.ط)، ١٤٢٨هـ].
٢٩. دراسات في البيان النبوي، زنجبير، محمد رفعت، [دار اقرأ، دمشق، (د.ط)، ١٤٢٨هـ].
٣٠. الدعوة إلى الله، أخلاق الدعاة، ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط (٤)، ١٤٢٣هـ].
٣١. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، [دار عثمان بن عفان، الخُبر، ط (١)، ١٤١٦هـ].
٣٢. السنن الكونيَّة والاجتماعيَّة في القرآن الكريم، الغلبزوري، توفيق بن أحمد، [كليَّة أصول الدين، جامعة القرويين، المملكة المغربيَّة، (د.ط/ت)].
٣٣. شرح الأربعين النوويَّة، آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز، [دار العاصمة، الرياض، ط (١)، ١٤٣١هـ].
٣٤. شرح السيوطي على سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، [دار البشائر، لبنان، ط (٢)،١٤٠٦ هـ].
٣٥. شرح العقيدة الطحاويَّة، أبي العز، محمد الحنفي، تحقيق: جماعة مِن العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، [دار السلام، مصر، ط (١)، ١٤٢٦هـ].
٣٦. شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، محمد بن صالح، [دار الوطن، الرياض، ط (١)، ١٤١٦هـ].
٣٧. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ المُسَمَّى إكمال المعلم بفوائد مُسلم، لِلقَاضِي عِيَاض، تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل، [دار الوفاء، مصر، ط (١)، ١٤١٩هـ].
٣٨. الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، [دار العلم للملايين، بيروت، ط (٤)، ١٩٩٠م].
٣٩. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، بإشراف ومراجعة: صالح آل الشيخ، [دار السلام، الرياض، ط (٤)، ١٤٢٩هـ].
٤٠. صحيح مسلم، أبي مسلم الخرساني، بإشراف ومراجعة: صالح آل الشيخ، [دار السلام، الرياض، ط (٤)، ١٤٢٩هـ].
٤١. علم الدعوة إلى الله تعالى، حقيقته وأهميته، الشهراني، محمد بن سعد، بحث لنيل درجة الدكتوراه، قسم الدعوةِ والثقافةِ الإسلاميَّة بجامعة أم القرى، [مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط (٢)، ١٤٤٠هـ].
٤٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود أحمد، [دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط/ت)].
٤٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، القيرواني، علي الحسن بن رشيق، تحقيق: محمد عبد الحميد، [دار الجيل، د.ن، ط (٥)، ١٤٠١هـ].
٤٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، [دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ].
٤٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: محمود بن عبد المقصود، مجدي بن عبد الخالق، [مكتب تحقيق دار الحرمين، القاهرة، ط (١)، ١٤١٧هـ].
٤٦. فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، محسن، حامد بن محمد، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، [دار المؤيد، ط (١)، ١٤١٧هـ].
٤٧. فتح المغيث بشرح ألفيَّة الحديث، السخاوي، محمد بن

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

عبد الرحمن، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، [مكتبة السنة، مصر، ط(١)،١٤٢٤هـ].
٤٨. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لاشين، موسى شاهين، [دار الشروق، د.ب، ط (١)، ١٤٢٣هـ].
٤٩. فقه الدعوة إلى الله في صحيح البخاري القريشي، خالد، [الرياض، د.ن، ط (١)، ١٤١٨هـ].
٥٠. الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات، الحنبيلي، عثمان بن عبد الله، تحقيق: عبد السلام آل عبد الكريم، [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١)، ١٤٢٤هـ].
٥١. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٨)، ١٤٢٦هـ].
٥٢. القصة وسيلة دعويَّة، المسلم، عبد الله، [المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، مجلد (١٣)، العدد (١٣٦)، ١٩٩٩هـ].
٥٣. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، الكوراني، أحمد، تحقيق: أحمد عناية، [دار إحياء التراث العربي، بيروت ط (١)، ١٤٢٩هـ].
٥٤. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الهَرَري، محمد، مراجعة: لجنة مِن العلماء برئاسة هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي، [دار المنهاج، مكة المكرمة، ط (١)، ١٤٣٠هـ].
٥٥. لسان العرب، ابن منظور، [دار صادر، بيروت، (د.ط/ت)].
٥٦. لوامع الدرر في هتك أستار المختصر، الشنقيطي، محمد بن سالم، [دار الرضوان، موريتانيا، ط (١)، ١٤٣٦هـ].
٥٧. المدخل إلى علم السنن، البيهقي، أحمد، اعتنى به: محمد عوامة، [دار اليسر، القاهرة، ط (١)، ١٤٣٧هـ].
٥٨. المدخل إلى نظريَّة الأدب الإسلامي، خليل، عماد الدين، [مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٩٨٨م].
٥٩. المستطرف في كل فن مستطرف، أبو الفتح، شهاب الدين محمد، [عالم الكتب، بيروت، ط (١)، ١٤١٩هـ].
٦٠. مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، المرشد، علي صالح، [مكتبة لينه، مصر، ط (١)، ١٤٠٩هـ].
٦١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، الزيات، إبراهيم بن مصطفى، وآخرون، [دار الدعوة، (د.ب/ط/ت)].
٦٢. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، [دار الدعوة، القاهرة، (د.ط/ت)].
٦٣. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، [دار الفكر، (د.ب/ط)، ١٩٧٩م].
٦٤. المفاتيح في شرح المصابيح، الزَّيْدَانيُّ، الحسين، تحقيق ودراسة: لجنة مختصَّة مِن المحقِّقين بإشراف: نور الدين طالب، [دار النوادر، وهو مِن إصدارات إدارة الثقافة الإسلاميَّة، ط (١)، ١٤٣٣هـ].
٦٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، [دار الكتب العلميَّة، بيروت، (د.ط/ت)].
٦٦. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، أحمد إبراهيم، [دار الكلم الطيب، دمشق، ط (١)، ١٤١٧هـ].
٦٧. الملخص في شرح كتاب التوحيد، الفوزان، صالح بن فوزان، [دار العاصمة الرياض، ط (١)، ١٤٢٢هـ].
٦٨. مِن فقه الداعية: (مراعاة أحوال المدعوين في ضوء الكتاب والسنة)، عبد المطلب، حسين بن محمد، [دار الهلال، مصر، ط (١٩)، ١٤١٩هـ].
٦٩. منة المنعم في شرح صحيح مسلم، المباركفوري، صفي الرحمن، [دار السلام، الرياض، ط(١)١٤٢٠هـ].
٧٠. المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، يحيى، [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (٢)، ١٣٩٢هـ].
٧١. منهج شيخ الإسلام ابن تيميَّة: في الدعوة إلى الله، الحوشاني، عبد الله، [دار إشبيليا، الرياض، د.ط، ١٤١٧هـ].
٧٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري ابن الأثير، المبارك بن محمد، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، [المكتبة العلميَّة، بيروت، د.ط، ١٣٩٩هـ].
٧٣. نيل الأوطار، الشوكاني، محمد، تحقيق: عصام الصبابطي، [دار الحديث، مصر، ط (١)، ١٤١٣هـ].
٧٤. الوسيط في المذهب، الغزالي، أبو حامد محمد، تحقيق: أحمد إبراهيم، محمد تامر، [دار السلام، القاهرة، ط (١)، ١٤١٧هـ].
٧٥. وظيفة المسجد في المجتمع، الخزيم، صالح، [وزارة الشئون الإسلاميَّة، الرياض، ط (١)، ١٤١٩هـ].

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

الموهبة لدى المفسِّر (دراسة تأصيلية تطبيقية).

د. أفنان بنت عبد العزيز بن عثمان الركبان

دكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية.

Talent in the Interpreter (A Foundational and Applied Study).

Dr. Afnan Abdulaziz Othman Alrakban

PhD In Interpretation and Sciences of the Qur'an, from the College of Sharia and Islamic Studies, King Faisal University, Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: Fn-1415@hotmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

الموهبة، المفسِّر، التفسير، القرآن الكريم.

KEY WORDS:

Talent, Interpreter, Interpretation, The Holy Quran.

مستخلص البحث:

تناول هذا البحث موضوع الموهبة باعتبارها شرطًا لدى المفسِّر للقرآن الكريم، وذلك بتأصيل معناها، وأدِلَّتها، وأسباب حصولها، ومكانتها في التفسير، ثم إبراز النماذج التطبيقية لصور الموهبة لدى المفسِّر في أمهات كتب التفسير، ومِن أهم النتائج التي توصَّل إليها البحث: أنَّ الموهبة لدى المفسِّر لها مكانة عظيمة وأثرًا كبيرًا في التفسير، وللمفسِّرين الموهوبين من كل جيل الدور الأكبر والأبرز في الكشف عن معاني القرآن ودلالاته، وقد كشف البحث عن بعض مواهب المفسِّرين الذين فتح الله على قلوبهم، وألهمهم الفهم الدقيق لمعاني كلامه الكريم حتى أجمعت الأمة على رسوخ قدمهم وعلو كعبهم في هذا المضمار، ومنهم: الطبري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير، وابن عاشور.

ABSTRACT:

This study addresses the concept of talent as a prerequisite for the interpreter of the Quran, by establishing its meaning, evidence, causes of acquisition, and its significance in interpretation. It also highlights practical examples of the manifestations of talent among interpreters in major tafseer books. Among the key findings of the research are that talent in the Quranic interpreter holds a great position and has a significant impact on interpretation. Gifted interpreters from each generation have played the most prominent role in uncovering the meanings and implications of the Quran. The study reveals some of the talents of interpreters whom Allah opened their hearts and inspired them with a profound understanding of His noble words, to the point that the entire Muslim community has agreed upon the solid foundation of their scholarship and their excellence in this field. Notable among them are: Al-Tabari, Ibn Atiyyah, Al-Razi, Al-Qurtubi, Abu Hayyan, Ibn Kathir, and Ibn Ashur.

المقدمة:

الحمد لله الكريم الوهَّاب، حمدًا يكافئ نعمه ومزيده، والصلاة والسلام على سيد الخلق وأشرف المرسلين وخيرته مِن خلقه الصادق الأمين، وعلى آله وصحابته الغر الميامين، والتابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فإنَّ علم التفسير هو أجلّ العلوم وأعظمها؛ لِتعلُّقه بالقرآن الكريم، وهو قُطْب الرَّحَى في الرسالة الخاتمة التي جاء بها النبي ﷺ للناس كافَّة، معجزة تُحيي الفطر السليمة وتُنميها، وتُخاطِب العقول الرشيدة وتُقنعها.

هذا، ولا ينبري لتفسير القرآن الكريم إلَّا مَن اتَّقدت قريحته، وقويت آلته، وصقلت دربته، ووفَّقه الله جلَّ شأنه لمعرفة معاني كلامه ﷻ واستخراج دُرَره، كشأن أئمة التفسير الذي أجمع على رسوخ قدمهم، وعلو كعبهم، ومِن هؤلاء الكبار: الطبري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير، وابن عاشور.

وفي هذه الدراسة أردتُ البحث عن الموهبة لدى المفسِّر، أشفع فيها التطبيق مع التنظير مِن أمهات كتب التفسير.

أهمية الموضوع:

برزت أهمية الموضوع في الأمور الآتية:

١. يُعدّ موضوع شروط المفسِّر مِن الموضوعات المهمَّة في مجال الدراسات القرآنية، ولا أدلّ على ذلك مِن ذِكر الأئمة لهذا الشرط في ثنايا كتبهم الجليلة.

٢. الحث على زيادة التأمُّل، والتدبُّر لكتاب الله تعالى، وإظهار إعجازه على الوجه المبهر.

٣. إزالة اللَّبس الحاصل بسبب الخلط بين الموهبة والتفسير الصوفي المذموم، مِن خلال إيضاح معالم الموهبة المنضبطة بالكتاب والسُّنَّة.

٤. تيسير فهم واستخراج المعاني الدقيقة للآيات القرآنية، وذلك بمعرفة الأسباب التي تحصل بها موهبة المفسِّر في استنباط الدقائق والأسرار القرآنية.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعتني لدراسة هذا الموضوع ما يأتي:

١. أنَّ هذا البحث يُعد خطوة في تأصيل هذا الموضوع وتحريره، وفي تيسير فهم واستخراج الدقائق واللطائف والأسرار القرآنية.

٢. نُدرة الأبحاث والدراسات في تأصيل هذا الموضوع وإبراز تطبيقاته، وذلك بحسب ما بذلتُ من جهدٍ في الاطلاع على الكتابات في هذا الموضوع، فأحببتُ أنْ أُضيف بهذا العمل إلى المكتبة القرآنية جديدًا ينتفع به.

الدراسات السابقة:

على الرغم مِن أصالة هذه الموضوع، وجلالة المفسِّرين الموهوبين مِن المتقدِّمين والمتأخِّرين، إلَّا أنَّني لم أجد سوى دراسةٍ واحدةٍ حول هذا الموضوع، وفيما يأتي بيانها والفرق بينها وبين هذا البحث:

عنوان الدراسة: الموهبة وأثرها في التفسير، الباحث: حذيفة عبد الرحيم طحان، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م.

قام الباحث وفقه الله تعالى في هذه الرسالة العلمية القيِّمة بدراسة موضوع الموهبة وأثرها في التفسير، وقد انتفعتُ بهذه الرسالة في تأصيل موضوع الموهبة لدى المفسِّر، إلَّا أنَّ الجانب التطبيقي في هذه الرسالة محدود جدًا، وهو الذي يُمثِّل المبحث الثاني من بحثي هذا، حيث إنَّ الباحث لم يذكر سوى نموذجين تطبيقيين على موهبة المفسِّرين في كتب التفسير، وهما: ابن كثير، والشنقيطي، فذَكَر نموذجًا مطوَّلًا لكل منهما؛ ولعلَّ ذلك مِن أجل إعطاء مساحة أخرى في رسالته للحديث عن أثر فقدان الموهبة في المفسِّر، وذِكر نماذج من تفاسير المحرومين من الموهبة، فهذه الرسالة وإنْ اتَّفقت مع بحثي هذا في تأصيل الموضوع، إلَّا أنَّها اختلفت عنها في إبراز النماذج التطبيقية لصور الموهبة لدى المفسِّر في أمهات كتب التفسير.

أهداف البحث:

هدفُ البحث هو التوصُّل إلى الأمور الآتية:

١. تأصيل اشتراط الموهبة لدى المفسِّر، بتحرير معناها، وأدِلَّتها، وأسباب حصولها، ومكانتها في التفسير.

٢. تجلية المنهج العلمي الرصين لدى المفسِّرين في التعامل مع كتاب الله تعالى.

٣. التحذير مِن خطورة التهاون في المنهج العلمي الرصين لِمَن يُفسِّر القرآن الكريم، فمِن أهم أسباب الدخيل في الرأي هو عدم توافر تلك الشروط فيمن يتصدَّى للتفسير.

٤. الكشف عن تَعدُّد مواهب المفسِّرين ونبوغهم على الرغم مِن تَعدُّد اتجاهات التفسير وألوانه المتنوعة في تلك الاتجاهات.

منهج الدراسة:

اتَّبعتُ في بحثي المناهج الآتية:

أوَّلًا: المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبُّع أقوال العلماء الذين ذكروا شرط الموهبة في شروط المفسِّر، للوصول إلى تحرير معناها بدقَّة، وأدِلَّتها، وأسباب حصولها، ومكانتها في التفسير، واستخراج النماذج التطبيقية الدالَّة على موهبة المفسِّر في صنعة التفسير.

ثانياً: المنهج التحليلي: وذلك بتحليل النماذج التطبيقية الدالَّة على موهبة المفسِّر في صنعة التفسير.

ثالثاً: المنهج الاستنباطي: وذلك بتلمُّس صور الموهبة لدى المفسِّر التي جاءت في أمهات كتب التفسير.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، وهي كما يأتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: مفهوم الموهبة لدى المفسِّر، وأدلّتها، وأسباب حصولها، ومكانتها في التفسير.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الموهبة لدى المفسِّر.

المطلب الثاني: أدلّة الموهبة في التفسير.

المطلب الثالث: أسباب حصول الموهبة لدى المفسِّر.

المطلب الرابع: مكانة الموهبة في التفسير.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لصور الموهبة لدى المفسِّر في كتب التفسير.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم الموهبة لدى المفسِّر، وأدلّتها، وأسباب حصولها، ومكانتها في التفسير.

المطلب الأول: مفهوم الموهبة لدى المفسِّر.

سأُبيّن في هذا المطلب معنى الموهبة في اللغة، وفي اصطلاح علماء علوم القرآن الكريم، ثم أذكر تعريفًا للموهبة من حيث كونها شرط لدى المفسِّر.

أوَّلًا: الموهبة في اللغة:

الموهبة لغةً هي: العَطِيَّة الخاليةُ عن الأعواض والأغراض، يُقال: وَهَب لكَ الشيء يَهِبُه وَهْبًا، ووَهَبًا بالتحريك، وهِبَةً، والاسمُ: المَوهِبُ والموهِبةُ بكسر الهاء فيهما، ووَهبْتُ له هِبةً، ومَوهِبةً، ووَهْبًا، ووَهَبًا: إذا أعطيته(١).

ومِن أسمائه تعالى: الوَهّاب، وهو المُنْعِم على العباد، وهو في صفته تعالى يَدُلُّ على البذل الشامل، والعطاء الدائم، بلا تَكلّفٍ، ولا غَرَضٍ، ولا عِوَضٍ(٢).

ثانيًا: الموهبة في اصطلاح علماء علوم القرآن الكريم:

اشترط العلماء في المفسِّر الذي يريد أن يُفسِّر القرآن الكريم تفسيرًا صحيحًا مقبولًا أن يكون مُلِمًّا بجُملةٍ من العلوم التي تُؤهله لتفسير القرآن الكريم، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسِّر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله تعالى بدون علم، فإذا توافرت لديه هذه العلوم وتكاملت فيه خَرَج عن ك ونه مفسِّرًا للقرآن بمجرد الرأي ومحض الهوى، ومِن أول مَن بيَّن هذه العلوم: الراغب الأصفهاني، فقد ذكرها تحت عنوان: (فصل في بيان الآلات التي يحتاج إليها المفسِّر)، وجعلها عشرة علوم، وهي: علم اللغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، والآثار، والسنن، وأصول الفقه، وعلم الفقه، وعلم الكلام، وعلم الموهبة(٣).

ثم عرَّف الراغب علم الموهبة، بقوله: "**وذلك علم يُورثه الله مَن عَمِلَ بما عَلِمَ**، وقال أمير المؤمنين علي ﵁: قالت الحكمة: مَن أرادني فليعمل بأحسن ما علم، ثم تلا: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}[الزمر:١٨]، وما رُوي عنه ﵁ حيث سُئل: هل عندك علم عن النبي ﷺ لم يقع إلى غيرك؟ قال: لا، إلَّا كتاب الله وما في صحيفتي، وفهم يؤتيه الله من يشاء(٤)، وهذا هو التذكُّر الذي رجَّانا تعالى إدراكه بفعل الصالحات، حيث قال: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل:٩٠]، وهو الهداية المزيدة للمهتدي في قوله: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} [محمد:١٧]، ... فجُملة العلوم التي هي كالآلة للمفسِّر ولا تتم صناعة إلَّا بها، هي هذه العشرة ...، فمَنْ تكاملت فيه هذه العشرة واستعملها خَرَجَ عن كونه مفسِّرًا للقرآن برأيه"(٥).

وكذلك عدَّ السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) هذا الشرط مِن الشروط الواجب توافرها لدى مفسِّر كتاب الله الكريم، فقال في النوع الثامن والسبعين، تحت عنوان: (في معرفة شروط المفسِّر وآدابه): "الخامس عشر: علم الموهبة، **وهو علمٌ يُوَرِّثُه الله تعالى لِمَن عَمِلَ بما عَلِمَ**، وإليه الإشارة بحديث: (مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)(٦)"(٧).

ثم قال السيوطي: "ولعلَّك تستشكلُ علم الموهبة، وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان، وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكابُ الأسباب الموجِبة له من العمل والزهد، قال في البرهان: اعلم أنَّه لا يَحصُل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره، وفي قلبه بدعةٌ، أو كِبْرٌ، أو هَوًى، أو حُبُّ الدنيا، أو وهو مُصِرٌّ على ذَنْبٍ أو غيرُ متحقّقٍ بالإيمان، أو ضعيف التحقيقِ، أو يَعتَمِدُ على قول مفسِّرٍ ليس عنده علمٌ، أو راجعٌ إلى معقولِهِ،

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، باب الهاء والباء، مادة (وهب) (٢٤/٦)، ومقاييس اللغة، ابن فارس، باب الواو والهاء وما يثلثهما، مادة (وهب) (١٤٧/٦)، ولسان العرب، ابن منظور، مادة (وهب) (٨٠٣/١).

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله، الزجاجي (ص١٢٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب الواو مع الهاء، مادة (وهب) (٢٣١/٥)، وتاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، مادة (وهب) (٣٦٤/٤).

(٣) انظر: مقدمة جامع التفاسير، الراغب الأصفهاني (ص٩٣-٩٦).

(٤) هذا الحديث الذي استشهد به الراغب عن علي ﵁: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كتابة العلم (٣٣/١) حديث رقم (١١١) بسنده عن أبي جُحَيْفَة، قال: "قلتُ لِعَلِيٍّ: هل عندكم كتابٌ؟ قال: لا، إلَّا كتابُ الله، أو فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أو ما في هذه الصَّحيفة، قال: قلتُ: فما في هذه الصَّحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يُقتَلُ مسلمٌ بكافرٍ".

(٥) مقدمة جامع التفاسير (ص٩٥-٩٦).

(٦) أخرجه أبو نُعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٥/١٠) من حديث أنس ﵁ وحكم على إسناده بالوضع، حيث قال: "ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه"، وقد ذكره ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢٩٠/٦) في فصل الأحاديث التي لم يجد لها إسنادًا في كتاب إحياء علوم الدين، وانظره في: إحياء علوم الدين، الغزالي، كتاب العلم (٧١/١)، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، كتاب الفضائل، باب في فضائل العلم وما ورد فيه مما لا يصح (ص٢٨٦) حديث رقم (٤٣) وقال: "رواه أبو نُعيم، وهو ضعيف".

(٧) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢١٥/٤).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

وهذه كُلُّها حُجُبٌ وموانِعُ بعضُها آكَدُ من بعضٍ(٨)، قلتُ: وفي هذا المعنى قوله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف:١٤٦]، قال سفيان بن عيينة: يقول أنزع عنهم فهم القرآن(٩)"(١٠).

وإلى هذا ذهب كثير من العلماء والباحثين في كتب علوم القرآن والتفسير، فاشترطوا علم الموهبة ضمن العلوم التي لا بدَّ منها للمفسِّر، وعرَّفوه بمثل ما عرَّفه السابقون بأنه: **علم يورثه الله تعالى لمن عمِلَ بما علِم**(١١).

ثالثًا: تعريف الموهبة لدى المفسِّر:

بعد أن تبيَّن المراد بعلم الموهبة في اصطلاح علماء علوم القرآن، وهو يُعَدُ من العلوم الأساسيَّة التي شدَّد عليها أهل العلم، وجعلوها من أهم مفاتيح التدبُّر في آي الذكر الحكيم، يجدر بي أن أعرضُ تعريفًا للموهبة من حيث كونها شرط لدى المفسِّر كما أشار إليه أحد الباحثين المعاصرين، بقوله: هو **"فتح وإلهام وتوفيق من الكريم الرحمن، لعبد استقام في نفسه، والتزم بالطرق السديدة في التفسير"**(١٢)، وهذا التعريف يتكوَّن مِن مقدِمتَيْن ونتيجة، بيانهم على النحو الآتي:

أمَّا المقدمتان فهما: **الأولى: استقامة العبد في نفسه:** والمراد بها ما قاله الزركشي في (البرهان في علوم القرآن): "لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقةً، ولا يظهر له أسرارُ العلمِ من غيبِ المعرفة، وفي قلبه بدعةٌ، أو إصرارٌ على ذنبٍ، أو في قلبه كِبْرٌ، أو هَوًى، أو حُبُّ الدنيا، أو يكون غير مُتحقِّق الإيمانِ، أو ضعيفَ التحقيقِ، أو معتمدًا على قول مُفسِّرٍ ليس عنده إلَّا علمٌ بظاهرٍ، أو يكون راجعًا إلى معقولِه، وهذه كُلُّها حُجُبٌ وموانع وبعضها آكد من بعض.

إذا كان العبدُ مُصغِيًا إلى كلام ربِّه، مُلْقِيَ السمعِ وهو شهيدُ القلبِ لمعاني صفات مُخاطِبِه، ناظرًا إلى قدرته، تاركًا للمعهود مِن علمِهِ ومعقولِه، مُتبرِّئًا مِن حولِه وقوَّتِهِ، مُعظِّمًا للمُتكلِّمِ، مُفتقِرًا إلى التفهُّمِ، بحالٍ مستقيمٍ، وقلبٍ سليمٍ، وقُوَّةِ عِلْمٍ، وتَمَكُّنِ سَمْعٍ لِفهمِ الخطابِ، وشهادةِ غَيْبِ الجَوابِ، بدعاءٍ وتضرُّعٍ وابْتِئاسٍ وتَمَسْكُنٍ وانتظارٍ للفتحِ عليه مِن عند الفتَّاح العليم"(١٣).

وقد نَقَل السيوطي عن أبي طالب الطبري، وهو يتحدَّث عن أدوات المفسِّر قوله: اعلم أنَّ مِن شرطِه: صِحَّةَ الاعتقاد أوَّلًا، ولُزُوم سُنَّة الدِّين، فإنَّ مَنْ كان مغموصًا عليه في دينه لا يُؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين، ثم لا يُؤتمن من الدين على الإخبار عن عالمٍ، فكيف يُؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى، ولأنه لا يُؤمَنُ إنْ كان متَّهمًا بالإلحاد أن يبغي الفتنة، ويغوي الناس بليِّه وخداعه، كدأب الباطنية وغُلاة الرافضة، وإنْ كان متَّهمًا بِهَوًى لم يُؤمن أن يَحْمِلَهُ هَوَاهُ على ما يُوافق بدعتِهِ، كدأب القَدَرِيَّة، ومِن شرطه: صِحَّةَ المَقْصِدِ فيما يقول؛ لِيَلقى التَّسديد، فقد قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:٦٩]، وإنَّما يَخْلُصُ له القَصْدُ إذا زَهِدَ في الدنيا؛ لأنَّه إذا رَغِبَ فيها لم يُؤْمَنُ أنْ يتوسل به إلى عرض يَصُدُّهُ عن صَوَابِ قَصدِهِ، ويُفْسِدُ عليه صِحَّةَ عَمَلِه(١٤).

الثانية: الالتزام بالطرق السديدة في التفسير، وهي ما قرَّره الأئمة والعلماء من الأصول والمصادر التي يُستمَد منها تفسير القرآن الكريم، وعدُّوا الخروج عن هذه الأصول والمصادر زيغ وضلال وحرمان من الفهم، وهو من القول في القرآن بالرأي المنهي عنه، وفيما يأتي بيانها على وجه الاختصار(١٥):

١. **تفسير القرآن بالقرآن**، وهذا أصحّ وأجلّ طرق التفسير ومصادره، فالذي أَنزل القرآن الكريم جلَّ جلاله أعلمُ بمراده، قال ابن تيمية: "فإنْ قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إنَّ أصحَّ الطرق في ذلك أن يُفَسَّر القرآنُ بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اُخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر"(١٦).

٢. **تفسير القرآن بالسُّنَّة النبوية**، وهي المصدر الثاني من مصادر التفسير، ولا خلاف في ذلك؛ فإنَّ الله تعالى أَمَرَ رسوله محمدًا ﷺ أن يُبيّن كتابه للناس كما قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:٤٤]، قال ابن تيمية: "وقد اتَّفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة الدين، أنَّ السُّنَّة تُفَسِّر القرآن وتُبيِّنه وتُدل عليه وتُعَبِّر عن مُجمله"(١٧)، وقال في موضع آخر: "فإنْ أَعْيَاكَ ذلك -يعني تفسير القرآن بالقرآن- فعليك بالسنة، فإنَّها شارحة للقرآن وموضحة له"(١٨).

٣. **تفسير القرآن بأقوال الصحابة الكرام ﭫ**، وهو المصدر الثالث من مصادر التفسير، وأقوالهم ﭫ في التفسير مقدَّمةٌ على أقوال غيرهم، فهم أعلمُ الأمة بكتاب الله تعالى، وخيرُها عملًا به، قال ابن تيمية: "وحينئذٍ، إذا لم نجد التفسير في

(٨) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١٨٠/٢-١٨١).
(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤٤٣/١٠)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (١٥٦٧/٥).
(١٠) الإتقان في علوم القرآن (٢١٦/٤).
(١١) انظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي (٤٤٣/٧)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٧/١)، ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (٥١/٢)، والتفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي (١٩١/١)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة (ص٣٥).
(١٢) الموهبة وأثرها في التفسير، حذيفة عبد الرحيم طحان (ص٢٢).
(١٣) البرهان في علوم القرآن (١٨٠/٢-١٨١).
(١٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٢٠٠/٤-٢٠١).
(١٥) انظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية (ص٣٩-٥٠)، والبرهان في علوم القرآن (١٧٥/٢)، والإتقان في علوم القرآن (٢٠٠/٤)، وفصول في أصول التفسير، أ.د. مساعد الطيار (ص٣٦-٦٨)، والمهذب في أصول التفسير، أ.د. إبراهيم الحميضي (ص٣٩-١٠٤).
(١٦) مقدمة في أصول التفسير (ص٣٩).
(١٧) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٣٢/١٧).
(١٨) مقدمة في أصول التفسير (ص٣٩).

القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك؛ لِمَا شاهدوه من القرائن، والأحوال التي اختصوا بها، ولِمَا لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم"[١٩]، وتفسير الصحابة ﷺ له أقسام يختلف حكمُه باختلافها، فإذا كان ممَّا لا مجال للرأي فيه كأسباب النزول، والإخبار عن المُغيَّبات، فهذا له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، ويجب الأخذ به، وإذا كان تفسيرهم من باب الإسرائيليات، فإنَّه يأخذ حكمها، وهو على ثلاثة أقسام، الأول: ما علمنا صحته ممَّا بأيدينا، ممَّا يشهد له بالصدق، فهو صحيح مقبول، والثاني: ما علمنا كذبه ومخالفته لما عندنا، فهو مردود، ولا تجوز روايته إلا لبيان بُطلانه، والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نصدقه ولا نكذبه وتجوز حكايته، وإذا كان تفسير الصحابة ﷺ من باب الاجتهاد، فينظر فيه: فإن أجمعوا عليه فهو حجة يجب قبوله، وإن اختلفوا رُجّح بين أقوالهم[٢٠].

٤. تفسير القرآن بأقوال التابعين، وهو المصدر الرابع من مصادر التفسير، وأقوالهم في التفسير مقدَّمةٌ على أقوال مَنْ جاء بعدهم، قال ابن تيمية: "إذا لم تَجِد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثيرٌ من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر؛ فإنَّه كان آيةً في التفسير"[٢١]، وقد اختلف العلماء في حكم الأخذ بأقوال التابعين في التفسير على قولين: الأول: أنَّها ليست حجة؛ لأنَّه ليس لهم سماع عن النبي ﷺ بخلاف الصحابة ﷺ، ولأنَّهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن، فيجوز عليهم الخطأ، ولأنَّ عدالتهم غير منصوص عليها، كما هو الحال في الصحابة ﷺ، والقول الثاني: أنَّ أقوالهم حجة في التفسير، إذا لم يَرِدْ تفسير الآية عن النبي ﷺ أو الصحابة ﷺ، وعليه عَمَلُ أكثر المفسّرين؛ لأنَّ التابعين تلقَّوا التفسير عن الصحابة، وتتلمذوا عليهم، وسألوهم عمَّا أشكل عليهم فَهْمُهُ من القرآن، والأَوْلى: القول بالتفصيل، فما أجمعوا عليه وجب الأخذ به، وما اختلفوا فيه لم يكن قولُ بعضهم حجةً على بعض، بل يُرجَّح بين أقوالهم[٢٢].

٥. تفسير القرآن باللغة العربية، وهو من المصادر المهمة لتفسير القرآن الكريم، فإنَّ الله تعالى أنزله بلسان عربي مبين كما قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف:٢]، ولذلك رجع إليها الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في جميع العصور، فالواجب على مَنْ أراد تفسير كتاب الله تعالى أن يكون عارفًا بلغة العرب، مفرداتها وتراكيبها وغريبها وإعرابها، وقد رُوي عن مجاهد بن جبر أنَّه قال: "لا يحلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب"[٢٣]، وقال الإمام مالك بن أنس: "لا أُوتى برجل غير عالم بلغات العرب يُفسِّر كتاب الله إلَّا جعلته نكالًا"[٢٤]، وينبغي التنبيه هنا إلى: أنَّه لا يجوز أن يُفسَّر القرآن بمجرَّد اللغة العربية، دون النظر في المروي عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ والتابعين، وما ثبت من أسباب النزول، وما يدل عليه سياقُ الآيات، قال الغزالي: "فمن لم يَحْكُمْ بظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرَّد فهم العربية، كَثُرَ غَلَطُه، ودخل في زُمْرَةِ مَنْ يُفسِّر بالرأي، فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولًا؛ ليتَّقِيَ به مواضعَ الغلط، ثم بعد ذلك يتَّسِع التفهم والاستنباط، والغرائبُ التي لا تُفهم إلَّا بالسماع كثيرة..."[٢٥].

٦. تفسير القرآن بالرأي المحمود والاجتهاد السديد، وهي النتيجة التي تعقب المُقدِّمتَيْن، فمَنْ توفَّر فيه شرط الاستقامة في نفسه، والالتزام بأصول التفسير ومصادره، ثم عرضت له آية في كتاب الله تعالى فبحث عن معناها في كتاب الله تعالى، ثم في كلام خير خلق الله ﷺ، ثم في كلام صحب رسول الله ﷺ، ثم في كلام تلاميذهم من التابعين الكرام، ولم يأل وسعه في البحث ولم يجد، فاستعمل رأيه واجتهد، فسيُفتَح عليه ويُفاض على قلبه ويكشف عن بصيرته، فما تزال بركات هذا الكتاب الجليل على كل جيل.

وهذا النوع من التفسير بالرأي المبني على أدوات الاجتهاد الصحيحة، والصادر عمَّن لديه الأهليةُ لتفسير القرآن الكريم، لا خلاف في قبوله، فهو نتيجة التدبُّر الذي حثَّ الله تعالى عليه في قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} [النساء:٨٢]، وقوله تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} [ص:٢٩]، وهو نتيجة الاستنباط الذي اختصَّ الله به أهل العلم الموهوبين، وأَمَرنا بردِّ ما أشكل علينا إليهم، قال تعالى: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا} [النساء:٨٣]، وأمَّا التفسير بالرأي المذموم المبني على مجرَّد الرأي والهوى، والمخالِف للآثار، وضوابط الاجتهاد الصحيحة، فهو مجمَعٌ عليه تحريمه وردِّه[٢٦].

---

(١٩) مقدمة في أصول التفسير (ص٤٠).
(٢٠) انظر: مقدمة في أصول التفسير (ص٤٢)، وفصول في أصول التفسير (ص٥٠-٥١)، والمهذب في أصول التفسير (ص٧١-٧٤).
(٢١) مقدمة في أصول التفسير (ص٤٤).
(٢٢) انظر: مقدمة في أصول التفسير (ص٤٦)، وفصول في أصول التفسير (ص٥٦-٥٧)، والمهذب في أصول التفسير (ص٨٠-٨١).
(٢٣) البرهان في علوم القرآن (٢٩٢/١).
(٢٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، كتاب تعظيم القرآن، فصل في ترك التفسير بالظن (٤٢٦/٢) برقم (٢٢٨٧)، وانظر: البرهان في علوم القرآن (١٦٠/٢).
(٢٥) إحياء علوم الدين (٢٩١/١).
(٢٦) انظر: مقدمة في أصول التفسير (ص٤٦)، والبرهان في علوم القرآن (١٦١/٢)، وفصول في أصول التفسير (ص٦٦).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

وهذه باختصار الطرق السديدة التي اتَّفق عليها الأئمة والعلماء لِمَن تصدَّى لتفسير كلام الله تعالى وبيان معانيه، والخروج عنها زيغ وضلال وحرمان من التوفيق والإلهام، فإنْ تحقَّق هذان الأمران في العبد، وأشكل عليه أمر لا بد وأنْ يفتح عليه، ويلهم الصواب والرأي السديد؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا} [الطلاق:٢]، قال الربيع بن خُثَيْم: "يجعل له مخرجًا مِن كلِّ شيءٍ ضاق على الناس"(٢٧).

وينبغي التنبيه هنا إلى: أنَّ الموهبة في التفسير بهذا المعنى، تُخالف ما عليه أهل التصوُّف من تسمية علومهم ومكاشفاتهم بالعلم اللَّدُنِّي والوهب الرَّباني من غير طريق التقوى والعلم، بل هي مباشرة من الله عن طريق الإلهام، كما يقول ابن عجيبة الصوفي: "العلم اللَّدُنِّي: هو الذي يفيض على القلب من غير اكتساب ولا تعلم، ... وذلك بعد تطهير القلب من النقائص والرذائل، وتفرغه من العلائق والشواغل، فإذا كمل تطهير القلب، وانجذب إلى حضرة الرب، فاضت عليه العلوم اللَّدُنِّية، والأسرار الربانية"(٢٨).

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الخطأ والشطط، فالعلم اللَّدُنِّي والكشف والوهب لا يُسلَّم لها في جميع ما تأتي به؛ لأنَّها ليست معصومة ولم تأت بالطريقة الشرعية المكتسبة، والتي لا يكفي معها طهارة القلب وصفاء النفس، بل بعلمٍ يُكتسب مع عبودية تامَّة لله تعالى على منهاج رسوله ﷺ، قال ابن تيمية: "وأمَّا العِلْمُ اللَّدُنِّي فلا ريبَ أنَّ الله يفتحُ على قلوبِ أوليائه المتَّقين وعباده الصالحين بسببِ طهارة قلوبهم مِمَّا يَكرَهُهُ واتِّباعِهِم ما يُحِبُّه ما لا يَفْتَحُ به على غيرهم، ... والناسُ في هذا البابِ على ثلاثةِ أقسامٍ، طَرَفانِ ووَسَطٌ، فقومٌ: يَزعُمُون أنَّ مجرَّد الزُّهد وتصفيةِ القلبِ ورياضةِ النَّفسِ تُوجِبُ حُصُولَ العِلْمِ بلا سببٍ آخر، وقومٌ يقولون: لا أَثَرَ لذلك، بل المُوجِبُ للعلمِ العلمُ بالأدلَّةِ الشرعيةِ أو العقليةِ، وأمَّا الوسط: فهو أنَّ ذلك مِن أعظمِ الأسبابِ مُعَاوِنَةً على نيلِ العِلْمِ؛ بل هو شرطٌ في حصول كثيرٍ مِن العلم وليس هو وحده كافيًا"(٢٩).

وقال ابن القيم: "والعلم اللَّدنِّيُّ ثمرة العبوديّة والمتابعة، والصِّدق مع الله، والإخلاص له، وبذلِ الجهد في تلقِّي العلم من مشكاة رسوله، وكمالِ الانقياد له، فيُفتَحُ له من فهم الكتاب والسُّنَّة بأمرٍ يخصُّه به، كما قال عليُّ بن أبي طالبٍ ﷺ وقد سُئِل هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيءٍ دون النّاس؟ فقال: لا والّذي فَلَقَ الحبّةَ، وبرأ النّسمةَ، إلّا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه(٣٠)، فهذا هو العلم اللّدنِّيُّ الحقيقيُّ، وأمَّا عِلمُ مَنْ أعرَضَ عن الكتاب والسُّنَّة، ولم يتقيَّد بهما، فهو مِن لَدُن النفس والهوى والشيطان"(٣١)، وقد ردَّ ابن القيم على تعريف الصوفية للعِلْم اللَّدُنِي بأنَّه: العِلْم الذي يقذِفُهُ الله في القلب إلهامًا بلا سببٍ من العبد، ولا استدلالٍ، بقوله: "ونحنُ نقولُ: إنَّ العِلْمَ الحاصِلَ بالشواهدِ والأدلَّةِ: هو العِلْمُ الحقيقيُّ، وأمَّا ما يدَّعِي حُصُولَهُ بغيرِ شاهدٍ ولا دليلٍ: فلا وُثُوقَ به، وليسَ بعلمٍ"(٣٢).

المطلب الثاني: أدلّة الموهبة في التفسير.

سأذكرُ في هذا المطلب أدلة الموهبة من الآيات الكريمة، مع توجيه المفسِّرين لها، والآثار الواردة عن النبي ﷺ، والسلف الصالح بإيجاز:

الدليل الأول: وهو الأصل في الدلالة على الموهبة، قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:٦٩]؛ فقد حَوَت هذه الآية الكريمة الدلالة على مفهوم الموهبة بعناصرها الأساسية الثلاثة وفق التعريف السابق، وهي: الاستقامة في النفس، والاستقامة على الطرق السديدة في التفسير، وما يترتَّب على هذين الأمرين من تسديد وفتح وإلهام، وبيان ذلك: أنَّه لا بدَّ للحصول على الموهبة من مجاهدة للنفس بتقوى الله عز وجل، والإقبال عليه بالطاعات، والابتعاد عن المعاصي والمنكرات، فتحصل الاستقامة في النفس فتتزكى وتطهر، ثم المجاهدة بكسب العلوم الشرعية التي تساعد المرء على سلوك الطريق الصحيح لفهم كتاب الله تعالى وتأويله، فتحصل الاستقامة على الطرق السديدة في تفسير كلام الله تعالى، وتكون نتيجة ذلك توفيق وهداية وإلهام وتسديد من الله العليم الخبير.

وقد اتَّفق المفسِّرون أنَّ هذه الآية التي ذكر فيها الجهاد نزلت قبل أن يفرض الجهاد بسنين(٣٣)، قال ابن عطية: "فهي -أي: الآية- قبل الجهاد العُرفي، وإنَّما هو جهاد عامٌّ في دين الله وطلب مرضاته"(٣٤)، وقال النسفي: "أطلق المجاهدة ولم يُقيّدها بمفعول؛ ليتناول كل ما تجب مجاهدته، من النفس، والشيطان، وأعداء الدين"(٣٥)، وأنكر ابن جُزي على مَنْ قال إنَّ الجهاد هنا هو القتال، فقال: "وذلك ضعيف؛ لأنَّ القتال لم يكن مأمورًا به حين نزول الآية"(٣٦).

(٢٧) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٤/١٢)، وانظر: الموهبة وأثرها في التفسير (ص٢٦-٢٧).
(٢٨) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة (٢٨٨/٣).
(٢٩) مجموع الفتاوى (٢٤٥/١٣-٢٤٦).
(٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير (٦٩/٤) حديث رقم (٣٠٤٧).
(٣١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم (٤٤٦/٢).
(٣٢) مدارج السالكين (٣٩٩/٣).
(٣٣) انظر: موسوعة التفسير المأثور، إعداد مركز الدراسات والمعلومات القرآنية (٣٩١/١٧).
(٣٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٣٢٦/٤).
(٣٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (٦٨٧/٢).
(٣٦) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (١٢٩/٢).

ولا ريب أنَّ مجاهدة النفس وتطويعها لأمر الله وابتغاء مرضاته، وإلزامها بالتحصُّن بالعلم الشرعي، من أصعب أنواع الجهاد وأشقّه على العبد المؤمن، قال رسول الله ﷺ: (المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ) (٣٧)، ومِن أهم ما يفسد نفس المؤمن، ويحرمها التوفيق، ويفتح عليها باب الخذلان هو أن يتركها سائرة وراء هواها وشهواتها وملذاتها، دون مجاهدة وتوجيه لما فيه صلاحها في الدنيا والآخرة.

الدليل الثاني: قوله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال:٢٩]، وفي هذه الآية دليل على صحة اشتراط الاستقامة في النفس للحصول على الموهبة؛ حيث علَّق الله تعالى شرط الحصول على الفرقان بالتقوى، فقال مخاطبًا أهل الإيمان: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً} [الأنفال:٢٩]، قال الطبري: "إن تتَّقوا اللهَ بطاعتِه وأداءِ فرائضِه، واجتنابِ معاصيه، وتركِ خيانتِه وخيانةِ رسولِه وخيانةِ أماناتِكم، يجعل لكم فرقانًا" (٣٨).

وقد ذكر المفسِّرون أقوالًا متقاربة في معنى الفرقان، منها: النصر، والنجاة، والمخرج، والفَصْل بين الحق والباطل، والبيان، وغيرها (٣٩)، علَّق الطبري بعد سردها بقوله: "وكلُّ ذلك متقاربُ المعنى وإن اختَلَفت العبارات عنها" (٤٠).

وقال ابن كثير في تفسيرها: "فإنَّ مَنْ اتقى الله بفعل أوامره، وترك زواجره، وُفِّق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة" (٤١)، ودلالة هذه الآية على مفهوم الموهبة بيّن واضح؛ فإنَّ الفرقان الذي هو بمعنى الفتح والإلهام والتوفيق والسداد لإصابة الحق في الأمور المشتبهة، لا يحصل للمرء بدون تقوى الله ومراقبة للنفس، وبدونهما يوكل المرء إلى نفسه، ويتخلَّى الله عنه، فيتخبط بضلاله (٤٢).

الدليل الثالث: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الحديد:٢٨]، قال مجاهد في تفسيرها: "هو الهدى والبيان، أي: يجعل لكم سبيلًا واضحًا في الدِّين تهتدون به" (٤٣)، فهذا الهدى والنور الذي يُضيء للمسلم دربه، ويُبصِّره فيما يُشكِل عليه لا يمكن الحصول عليه بغير تقوى، وإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا، فمَن اتصل بالله ﷻ قذف في قلبه نورًا يرى به الحق حقًّا، والباطل باطلًا.

المطلب الثالث: أسباب حصول الموهبة لدى المفسِّر.

تقدَّمت الإشارة عند التعريف بالموهبة لدى المفسِّر إلى بعض أسباب حصولها، وهي في مُجملها تعود إلى ثلاثة أسباب رئيسة، أذكرها بإيجاز في الآتي:

السبب الأول: الإيمان بالله ﷻ، فلا بدَّ منه لينجو العبد من الكفر، الذي هو أعظم ختم على قلب الإنسان، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُون (٦) خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيم (٧)} [البقرة:٦-٧]، كما أخبر ربنا أنَّ قلوب الكفار مغطَّاة بما كسبوه من الأوزار، فقال تعالى: {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُون} [المطففين:١٤]، أي: غَلَبت الذنوب على قلوبهم وغَمَرتها، وأحاطتْ بها فَغَطَّتْها (٤٤)، فحقيق بمَن ران على قلبه بالذنوب والكفران أن يُحرم من المواهب الربانية (٤٥).

السبب الثاني: لا بدَّ من تحقيق التقوى بعد الإيمان، فإنَّ الموهبة لدى المفسِر هي ثمرة من ثمرات تقواه، والتقوى لها معنيان: معنى نفسي، وهو: خشية الله ومراقبته في السر والعلن، وهذا هو ما أراده النبي ﷺ حينما قال: "(التقوى هاهنا) ويُشير إلى صدره ثلاث مرَّاتٍ" (٤٦)، ومعنى ظاهري، وهو: الاستقامة على الدين، وذلك بامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، وقد تسمو بصاحبها، فتصل به إلى حد فعل النوافل والمستحبات أيضًا، واتباع مكارم الأخلاق، وتوقّي الشبهات، خشية الوقوع في المآثم والمحرمات، والتقوى بمعنييها لا بدَّ منها لمن يتصدَّى لتفسير كتاب الله تعالى، وفي هذا المعنى قوله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً} [الأنفال:٢٩] (٤٧) كمَّا سبق بيانه في أدلة الموهبة، ولا ريب أنَّ مِن دون التقوى يُحرَم المرء الفهم، ويُطمَس على بصيرته، وتشتبه عليه الأمور.

السبب الثالث: الاستقامة، والمراد بها: المواظبة التامَّة على الإيمان والتقوى، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي

---

(٣٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، تتمة مسند الأنصار، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري ﵁ (٣٨١/٣٩) حديث رقم (٢٣٩٥٨)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٨٩/٢-٩٠) حديث رقم (٥٤٩) وقال: "هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات".
(٣٨) جامع البيان (١٢٧/١١).
(٣٩) انظر: موسوعة التفسير المأثور (٢٥/١٠-٢٧).
(٤٠) جامع البيان (١٢٨/١١).
(٤١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤٣/٤).
(٤٢) انظر: الموهبة وأثرها في التفسير (ص٣٦).
(٤٣) معالم التنزيل، البغوي (٣٦/٥).
(٤٤) انظر: جامع البيان ط دار هجر (١٩٩/٢٤).
(٤٥) انظر: الموهبة وأثرها في التفسير (ص٤٨).
(٤٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، من حديث أبي هريرة ﵁ (١٩٨٦/٤) حديث رقم (٢٥٦٤).
(٤٧) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص٣٦).

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُون (٣١)} [فصلت:٣٠-٣١]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف:١٣]، وثبت في الصحيح عن سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ أنَّه قال: "قلتُ: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسألُ عنه أحدًا بعدك، قال: (قُل آمنتُ بالله فاستقِم)"[٤٨]، قال ابن القيم: "الاستقامة كلمةٌ جامعةٌ، آخِذةٌ بمجامعِ الدِّين، وهي القيامُ بين يَدَي الله على حقيقةِ الصِّدقِ، والوفاءِ بالعهدِ، والاستقامةُ تتعلَّقُ بالأقوالِ، والأفعالِ، والأحوالِ، والنِّيَّاتِ، فالاستقامة فيها: وُقُوعُها لله، وبالله، وعلى أمرِ الله"[٤٩].

هذه هي أبرز أسباب حصول الموهبة لدى المفسِّر، فإذا تحقَّق بها وَهَبَهُ الله ﷻ من المواهب في التفسير ما لا يخطر على قلبه[٥٠].

المطلب الرابع: مكانة الموهبة في التفسير.

لا شكَّ إنَّ للموهبة مكانة عظيمة وأثرًا كبيرًا في تفسير القرآن الكريم، وللمفسِّرين الموهوبين من كل جيل الدور الأكبر والأبرز في الكشف عن معاني القرآن ودلالاته، واستنباط حكمه وأحكامه، وإظهار وجوه إعجازه، وذلك أنَّ المشتغل بالقرآن الكريم إتقانًا وحفظًا وفهمًا وعملًا وتفسيرًا، من أهل الله الكريم وخاصّته، كما قال رسول الله ﷺ: (إنَّ لله أهلَيْن مِن الناس، فقيل: مَنْ أهل الله منهم؟ قال: أهلُ القرآن هم أهل الله وخاصّته)[٥١]، وهذا الحديث الشريف يُبيِّن ما ينبغي أن يكون في المفسِّر لكلام الله تعالى من الوهب من الله الكريم الوهَّاب، ولا يتم ذلك إلَّا إذا كان من أهل الله وخاصته؛ لأنَّ إضافة أهل القرآن إلى الله تعالى هي إضافة تكريم وتشريف، وتقتضي أمرَيْن لازِمَيْن لتلك الإضافة الكريمة، الأوَّل: تقوى المفسِّر لربه جل وعلا، وهي تقتضي اكتمال شروط التفسير فيمن يتأهَّل لتفسير كلام الله تعالى، فيفتح عليه ويسدده، فإنَّه ليس بين الخالق وبين عباده المخلوقين نَسَب إلَّا التقوى، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات:١٣]، فإذا تحققت التقوى في أهل القرآن الكريم فهم أَوْلَى بولاية الله ﷻ، وهذه الفضيلة تقتضي حصول صِلَة لطيفة بينهم وبين وليِّهم جل وعلا، وهذا هو الأمر الثاني: وذلك أنَّ المعروف من حال أفراد الأهل أنَّ صلتهم فيما بينهم تقتضي تمام معرفتهم بأحوال بعضهم، كما تقتضي كمال فهم المراد فيما بينهم من كلامهم، فيفهمون الفهم التام فيما بينهم بالإشارات كما يفهمون بالعبارات، ويعرفون من دلالة حالهم وقرائن أحوالهم ما يفهمونه تمامًا من صريح مقالهم، هذا بين أفراد الأهل من الخلق، فكيف سيكون الحال بين أولياء الله وخاصَّته وبين مولاهم الكريم، سيكون لهم من الفهم فيما بينهم ما لا يطلع عليه غيرهم، فيفهمون مِن كلام مَن وهبهم وأكرمهم ما لا يحصل لسواهم[٥٢].

هذا وقد برز في كل جيل علماء أفذاذ موهوبون ملهمون فاقوا أقرانهم، وكان لهم الفضل على مَنْ بعدهم، فمع بدء نزول القرآن وبدء اختلاف الأفهام في جيل الصحابة الكرام، برز أولئك الموهوبون الملهمون بآرائهم وأقوالهم في التفسير، ويجدر بي هنا الوقوف على هذا الجيل الأول في مرحلته الأولى، حيث ظهرت فيه مكانة الموهبة وأهميتها؛ لأنَّ المشرِّع ما زال موجودًا، والوحي لا يزال يتنزَّل، ويقرّ هؤلاء الصحابة الموهوبين فيما ذهبوا إليه من رأي، وبما فتح عليهم من فهم، فهذا هو الصحابي الجليل: عمر بن الخطاب ﷺ، حين نزل قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:٣]، فَرِح الصحابة ﷺ وبكى عمر ﷺ، فقال له النبي ﷺ: (ما يُبْكِيك؟) قال: أبكاني أنَّا كُنَّا في زيادةٍ مِن ديننا، فأمَّا إذا كَمُل، فإنّه لم يكمل شيء قط إلَّا نقص [٥٣]، فقال ﷺ: (صَدَقْتَ) [٥٤]، فعمر بن الخطاب ﷺ أدرك المعنى المراد

(٤٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام (٦٥/١) حديث رقم (٣٨).

(٤٩) مدارج السالكين (١٠٦/٢).

(٥٠) انظر: الموهبة وأثرها في التفسير (ص٤٨-٥٢).

(٥١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك ﷺ (٢٩٦/١٩-٢٩٧) حديث رقم (١٢٢٧٩)، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه المسند: "إسناده حسن من أجل عبد الرحمن بن بديل العقيلي، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح"، وأخرجه ابن ماجه في سننه، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، من حديث أنس بن مالك ﷺ (١٤٦/١) حديث رقم (٢١٥)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، كتاب اتباع السنة، باب في فضل من تعلم القرآن وعلمه (٢٩/١) حديث رقم (٧٧): "هذا إسناد صحيح، رجاله موثوقون".

(٥٢) انظر: الموهبة وأثرها في التفسير (ص٧٩-٨١).

(٥٣) وقد علَّق محمود شاكر في تحقيقه لجامع البيان ط دار التربية والتراث (٥١٩/٩) على قول عمر ﷺ في النقصان تعليقًا جميلًا، حيث قال: "إنَّما عنى بنقصان الدين: أهل الدين، فإنهم إذا تطاول عليهم الأمد، قست قلوبهم، وقلّ تمسك بعضهم بما أُمِر به، ومعاذ الله أنْ يعني عمر: نقصان الدين نفسه"، وفي رواية: أنَّ الذي بكى هو أبو بكر ﷺ، فعلى فرض صحتها لا ينافي بكاء عمر ﷺ أيضًا إذ يجوز أن كلاهما وقع منه ذلك، انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١١٤/٤).

(٥٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٧/١٩) برقم (٣٧١٢٧)، والطبري في جامع البيان ط دار هجر (٨١/٨)، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢٦/٣) وقال: "ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت: (إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، فَطُوبَى للغُرَبَاء) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، من حديث أبي هريرة ﷺ (١٣٠/١) حديث رقم (١٤٥)، والحديث الذي أخرجه ابن أبي شيبة ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة (٧٨٢/١٢) وقال: "فعلّة الحديث الإرسال، وفيه نكارة؛ لتفرده بهذا السياق دون سائر الأحاديث الصحيحة".

وهو نعي رسول الله ﷺ، وأقرّه النبي ﷺ على فهمه هذا، وأمَّا باقي الصحابة ﵃ فقد فَرِحُوا بنزول الآية؛ لِظنّهم أنها مجرَّد إخبار وبشرى بكمال الدين، فالمعنى الخفي الذي فطن إليه عمر ﵁ إنَّما هو راجع إلى الموهبة التي وهبه الله تعالى إياها، وحدّة الذهن، ونفاذ البصيرة.

كما ظهرت مكانة الموهبة وأهميتها في سيرة الصحابي الجليل: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ابن عم رسول الله ﷺ، وحَبْرُ هذه الأُمة، ومُفسِّر كتابِ الله تعالى وترجمانه، وقد دعا له رسول الله ﷺ فقال: (اللَّهُمَّ عَلِّمه الكتاب)(٥٥)، وفي رواية: (اللَّهُمَّ فقِّه في الدِّين، وعَلِّمه التأويل)(٥٦)، وكان عمر بن الخطاب ﵁ يُجلِسه في مجلسه مع كبار الصحابة ﵃ ويدنيه منه، كما ثبت ذلك في الصحيح عنه أنَّه قال: "كان عُمَرُ يُدخِلني مع أشياخِ بدرٍ، فكأنَّ بعضهم وَجَدَ في نفسِهِ، فقال: لِمَ تُدخِلُ هذا معنا، ولنا أبناءٌ مثلُهُ؟ فقال عُمَرُ: إنَّه مِن حيثُ عَلِمْتُم، فَدَعَا ذاتَ يومٍ، فأدْخَلَهُ معهم، فما رُئِيتُ أنَّه دَعَانِي يومئذٍ إلَّا لِيُرِيَهُم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر:١]؟ فقال بعضهم: أُمِرْنَا نَحْمَدُ الله ونستغفِرُهُ إذا نُصِرنا وفُتِحَ علينا، وسَكَتَ بعضُهُم فلَمْ يَقُل شيئًا، فقال لي: أكَذاكَ تقولُ يا ابن عبَّاسٍ؟ فقلتُ: لا، قال: فما تقولُ؟ قُلتُ: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعْلَمَهُ له، قال: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}: وذلك علامةُ أجَلِكَ {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر:٣]، فقالَ عُمَرُ: ما أعلمُ منها إلَّا ما تقولُ"(٥٧)، فالمعنى الظاهر والمتبادر مِن دلالة الألفاظ لهذه السورة لا يُفيد إلَّا بيان نعمة الله على النبي ﷺ بِسَوْق الفتح والنصر له، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وأمره بالتسبيح بحمد الله للشكر على هذه النعمة العظيمة، وأمَّا المعنى الخفي، فهو الدلالة على اقتراب أَجَل النبي ﷺ؛ لأنَّ لقاءه بحيث يفترض أن ينتهي بانتهاء رسالته، وقد دلَّت السورة بمعناها الخفي على هذا الانتهاء، وهذا يدل على ما وَهَب الله تعالى ابن عباس رضي الله عنهما مِن قريحة وقَّادة، وعقل راجح، ورأي صائب، وإيمان راسخ، ودين متين.

وهكذا فإنَّ الكلام يطول في الحديث عن هؤلاء العلماء الموهوبين وأثرهم في تفسير القرآن الكريم، ولكن أحببتُ أنْ أُبيّن مكانة الموهبة بأمثلة واقعية من جيل الصحابة الكرام ﵃، ولا يزال العالِم الموهوب في كل زمان يفوق أقرانه ويخلد التاريخ ذكره ويكتب له القبول، كما سيأتي أمثلة ذلك في المبحث الثاني بعون الله تعالى.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لصور الموهبة لدى المفسِّر في كتب التفسير.

إنَّ مِن عظيم فضل الله تعالى على أُمَّته أنْ جَعل فيها مفسِّرين موهوبين يُبيِّنون معاني كتابه الكريم، ويكشفون عن أسرار آياته وفقًا لعلم راسخ وفهم عميق، وقد تعدَّدت مواهب المفسِّرين في تفاسيرهم مع تنوُّع اتجاهات التفسير وألوانه، فمنهم مَن تميَّز بذكر آثار السلف بالأسانيد وهو التفسير المأثور، ومنهم مَن كانت موهبته في استنباط الأحكام الفقهية، ومنهم مَن برع في التفسير اللُّغوي والبياني، ومنهم مَن كان إمامًا في العلوم العقلية والكلامية، ونحو ذلك من اتجاهات التفسير وألوانه المتعدِّدة، وفي هذا المبحث أقوم ببيان أبرز النماذج التطبيقية لصور الموهبة لدى المفسِّر في أمهات كتب التفسير، وذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ومؤلفه هو: الإمام الحافظ المجتهد المفسِّر الفقيه المؤرِّخ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)(٥٨)، وتفسيره يُعَدّ مِن أنفس كتب التفسير، وأوسعها، وأنفعها، وقد أثنى عليه العلماء قديمًا وحديثًا، وأفادوا منه، ونهلوا من معينه، قال ابن تيمية: "وأمَّا التفاسير التي في أيدي الناس فأصحّها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنَّه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتَّهمين"(٥٩)، وقال السيوطي: "وكتابه -يعني تفسير الطبري- أجلّ التفاسير وأعظمها، ... فإنَّه يتعرَّض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط"(٦٠)، فمِن ميزات هذا الكتاب: عنايته بذكر آثار السلف من الصحابة ﵃ والتابعين وأتباعهم بالأسانيد، وذِكر أقوال المفسِّرين والاستدلال لها والترجيح بينها، فهو لا يقتصر على مجرَّد الرواية، بل يتعرَّض لتوجيه الأقوال ويُرجّح بعضها على بعض، ويتعرَّض لناحية الإعراب، واستنباط الأحكام وغير ذلك(٦١)، ومِن أبرز صور الموهبة لدى الطبري في تفسيره:

أوَّلًا: ترتيب الأقوال وطريقة عرضها، وهو يُعد إمامًا في هذا الباب، والناظر في تفسيره يلمس بوضوح حجم إبداعه وموهبته في طريقة ترتيب الأقوال وسردها، متَّبعًا في ذلك نسقًا واحدًا من أول تفسيره إلى آخره، فإذا أراد أن يُفسِّر الآية من القرآن، يقول: القول في تأويل قوله تعالى: فيذكر

---

(٥٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: (اللهم علّمه الكتاب)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٢٦/١) حديث رقم (٧٥).

(٥٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنهما (٢٢٥/٤) حديث رقم (٢٣٩٧)، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه المسند: "إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجل الشيخين غير عبد الله بن عثمان بن خثيم، فمِن رجال مسلم، وهو صدوق".

(٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ} [النصر:٣]، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (١٧٩/٦) حديث رقم (٤٩٧٠).

(٥٨) انظر: طبقات المفسرين العشرين، السيوطي (ص٩٥).

(٥٩) مجموع الفتاوى (٣٨٥/١٣).

(٦٠) الإتقان في علوم القرآن (٢٤٢/٤).

(٦١) انظر: التفسير والمفسرون (١٥١/١).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الآية، ثم يُفسِّرها ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة ﷺ أو التابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية، وإذا كان في الآية قولان أو أكثر، فإنَّه يعرض لكل ما قيل فيها، ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة ﷺ أو التابعين(٦٢).

ثانيًا: الإنكار على التفسير بمجرَّد الرأي، والتفسير الخارج عن قول السلف وأهل العلم، فقد سلك الطبري في تفسيره مسلكًا إبداعيًا ناقدًا لأصحاب الرأي المجرَّد المستقلّين في التفكير، ومشدِّدًا على ضرورة الرجوع إلى العلم المنسوب إلى الصحابة ﷺ أو التابعين، والمنقول عنهم نقلًا صحيحًا مستفيضًا، فعلى سبيل المثال: عند تفسير قوله تعالى: {ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف:٤٩]، ذَكر ما ورد عن السلف في تفسيرها، مع توجيهه للأقوال، وتعرّضه للقراءات بقدر ما يحتاج إليه تفسير الآية، ثم عرَّج بعد ذلك على مَن يفسِّر القرآن برأيه، وبدون اعتماد منه على شيء إلَّا على مجرد اللُّغة، فَفَنَّد قوله، وأبطلَ رأيه، فقال ما نصّه: "... وكان بعضُ مَن لا علمَ له بأقوالِ السلفِ مِن أهلِ التأويلِ، ممَّن يُفَسِّرُ القرآنَ برأيه على مذهبِ كلامِ العربِ، يُوَجِّهُ معنى قولِه: {وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}إلى: وفيه يَنْجُون من الجَدْبِ والقَحْطِ بالغَيْثِ، ويَزْعُمُ أنَّه مِن العَصَرِ، والعَصَرُ التي بمعنى: المَنْجاةِ، ... وذلك تأويل يَكْفِي مِن الشهادةِ على خطئِه خلافُه قولَ جميع أهلِ العلمِ من الصحابةِ والتابعين"(٦٣).

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} [الفرقان:٧٧]، ذَكر ما ورد عن السلف في تفسيرها، ثم عرَّج على مَن يفسِّر القرآن من غير علم له بأقوال أهل العلم، فنَفَى قوله وأبعَدَه، حيث قال: "وقد كان بعضُ مَن لا علمَ له بأقوالِ أهلِ العلمِ يقولُ في تأويلِ ذلك: قل ما يَعبأُ بكم ربي لولا دُعاؤُكم ما تَدْعُون مِن دونه مِن الآلهةِ والأندادِ، وهذا قولٌ لا معنى للتشاغلِ به؛ لخروجِه عن أقوالِ أهلِ العلمِ مِن أهلِ التأويلِ"(٦٤).

والكلام عن موهبة الطبري في تفسيره ممَّا يطول المقام في بيانها واستعراضها، قال أبو حامد الأسفراييني: "لو سافر رجلٌ إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرًا"(٦٥).

١. المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ومؤلفه هو: القاضي أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي الأندلسي المالكي (ت:٥٤٢هـ)(٦٦)، قال ابن الزبير: "كان فقيهًا جليلًا، عارفًا بالأحكام والحديث والتفسير، نحويًا لُغويًا أديبًا بارعًا...، غايةً في تَوَقُّد الذهن وحسن الفهم وجلالة التَّصَرُّف"(٦٧)، وتفسيره مِن أهم وأنفع كتب التفسير وأكثرها تحريرًا، وهو يتميَّز بذكر أقوال السلف والعناية بالترجيح ومناقشة الأقوال، ومِن أبرز صور الموهبة لدى ابن عطية في تفسيره هي:

ترجيحاته وتعقُّباته التي تتَّسم بحُسن انتقاء الأقوال، مع جمال العبارة وسداد النظرة، ومثال ذلك: عند تفسيره لكلمة (الْمَحْرُوم) في قوله تعالى: {لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [المعارج:٢٥]، وبعد أنْ أورد بعض أقوال أهل العلم في تفسير هذه الكلمة، منها: أنَّ المحروم: الذي قد ثبت فَقْره ولم تنجح سعايته لدنياه، ومنها: أنَّ المحروم مَن احترق زرعه، ومنها: أنَّ المحروم مَن ماتت ماشيته، وجَّه ابن عطية هذه الأقوال توجيهًا سليمًا خلا مِن كلِّ تعارض، فقال: "هذه أنواع الحرمان لا أنَّ الاسم يستلزم هذا خاصَّة"(٦٨)، فجَعل ابن عطية لفظ المحروم لفظًا عامًّا يندرج تحته هذه الأقوال وغيرها ممَّن يشمله الوصف المذكور، ثمَّ إنَّ مِن موهبته وفطنته أنَّه أورد قول عمر بن عبد العزيز: لمَّا قال: إنَّ المحروم هو الكلب، وهو تفسير مُستغرَب في الظَّاهر، لكن وجَّهه إلى ما يتَّفق مع المعنى العام فقال: "أراد -والله أعلم- أنْ يُعطي مثالًا مِن الحيوان ذي الكبد الرَّطبة لِمَا فيه مِن الأجر حسب الحديث المأثور"(٦٩)، ثمَّ ازداد تعجُّب ابن عطية حين أورد قول الشعبي: "أعياني أنْ أعلم ما المحروم"(٧٠)، ثمَّ تعقَّبه بهذا القول البديع الملهم: "يرحم الله الشَّعبي، فإنَّه في هذه المسألة محروم، ولو أخذه اسم جنس فيمَن عسرت مطالبه، بان له، وإنَّما كان يطلب نوعًا مخصوصًا كالسَّائل"(٧١)، وهذا نموذج واحد من بحر مواهب ابن عطية في تفسيره، والأمثلة غيرها كثيرة ومتنوعة، تُظهر عُمق موهبة هذا المفسِّر وبراعته في التفسير.

٢. مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، ومؤلفه هو: أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، الملقَّب بفخر الدين،

---

(٦٢) انظر: جامع البيان (١٣٥/١-١٤١).
(٦٣) جامع البيان (١٩٧/١٣).
(٦٤) جامع البيان (٥٤١/١٧).
(٦٥) نقلها عنه: الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥٥٠/٢).
(٦٦) انظر: طبقات المفسرين العشرين (ص٦٠-٦١).
(٦٧) نقلها عنه: السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٧٣/٢).
(٦٨) المحرر الوجيز (٣٦٨/٥).
(٦٩) المحرر الوجيز (٣٦٨/٥)، والمراد بالحديث المأثور: هو ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "(بَيْنَا رجلٌ يمشي فاشتدَّ عليه العطش، فنَزَل بئرًا، فشربَ منها، ثم خَرَج، فإذا هو بكَلْبٍ يَلْهَثُ، يأكُلُ الثَّرَى مِن العطش، فقال: لقد بَلَغَ هذا مِثْلُ الذي بَلَغ بي، فملأَ خُفَّهُ ثم أمسكَهُ بِفِيهِ، ثم رَقِيَ فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ له فَغَفَرَ له)، قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم أجرًا؟ قال: (في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ)"، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشرب والمساقاة، باب فضل سقي الماء (١١١/٣) حديث رقم (٢٣٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (١٧٦١/٤) حديث رقم (٢٢٤٤).
(٧٠) المحرر الوجيز (٣٦٨/٥).
(٧١) المحرر الوجيز (٣٦٨/٥).

والمعروف بابن الخطيب (ت:٦٠٦هـ)(٧٢)، كان فريد عصره ومتكلِّم زمانه، جمع كثيرًا من العلوم ونبغ فيها، فكان إمامًا في التفسير، وأصول الفقه، والكلام، والعلوم العقلية، وعلوم اللغة، وغيرها، واسم تفسيره يُنبئك عن سعة موهبته في علم التفسير، وعُمق فهمه للقرآن الكريم، ومِن أبرز صور الموهبة لدى الرازي في تفسيره:

أوَّلًا: كثرة استنباط الفوائد واستخراج الفرائد، وإعطاء مساحة للرأي المحمود في التفسير، وهو يَنتقِدُ الذين يُغيِّبون عَمَل العقل عن استنباط الفوائد والغوص في أسرار الآيات الكريمة، فيقول: "اعْلَم أنَّه مَرَّ على لساني في بعض الأوقات أنَّ هذه السورة الكريمة -يعني سورة الفاتحة- يمكن أنْ يُستَنبطَ مِن فوائِدِها ونَفَائِسِها عشرةُ آلافِ مسألةٍ، فاستَبْعَد هذا بعضُ الحُسَّادِ، وقومٌ مِن أهل الجَهْل والغَيِّ والعِنَادِ، وحَمَلُوا ذلك على ما أَلِفُوهُ مِن أنفسِهِم مِن التَّعَلُّقاتِ الفارِغَةِ عن المعاني، والكلماتِ الخاليةِ عن تحقيقِ المَعَاقِدِ والمَبَانِي، فَلَمَّا شَرَعتُ في تصنيفِ هذا الكتاب، قَدَّمتُ هذه المُقَدِّمَةَ لِتَصِيرَ كالتَّنبيه على أنَّ ما ذَكرناهُ أَمْرٌ مَمكِنُ الحُصُولِ، قَرِيبُ الوُصُولِ"(٧٣)، وقد تمكَّن الرازي من تفسير سورة الفاتحة وحدها في مجلد كامل(٧٤)، وهذا يدل على ما وهبه الله تعالى من قدرة فائقة على الفهم والتحليل والاستنباط، وعقل متَّقد وعِلْم غزير.

ثانيًا: بيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره، فقد ظهرت موهبة الرازي في الكشف عن أوجه المناسبات بين الآيات والسور في تفسيره بجلاء، وهو يُعِدّ ترتيب القرآن ونظم آياته مِن وجوه الإعجاز، حيث قال: "ومَن تأمَّل في لطائف نظم هذه السورة -يعني سورة البقرة- وفي بدائع ترتيبها، عَلِمَ أنَّ القرآن كما أنَّه مُعجِزٌ بحسب فصاحةِ ألفاظِهِ وشَرَفِ معانيه، فهو أيضًا مُعجِزٌ بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعلَّ الذين قالوا: إنَّه مُعجِزٌ بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلَّا أنِّي رأيتُ جمهور المفسِّرين مُعرِضِين عن هذه اللطائفِ غير مُتنبِّهين لهذه الأمور"(٧٥)، والناظر في تفسيره يلحظ اهتمامه البالغ بعلم المناسبات وسعة موهبته في الكشف عنها، ومثال ذلك: في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء:٥٨]، قال الرازي: "اعْلَم أنَّ الأمانةَ عبارةٌ عمَّا إذا وَجَبَ لغيرِكَ عليكَ حقٌّ فأدَّيتَ ذلك الحق إليه فهذا هو الأمانة، والحُكْمُ بالحقِّ عبارةٌ عمَّا إذا وَجَب لإنسانٍ على غيرِهِ حقٌّ فأَمَرتَ مَنْ وَجَبَ عليه ذلك الحقُّ بأنْ يدفَعَهُ إلى مَنْ لهُ ذلك الحقُّ، ولمَّا كان الترتيبُ الصحيحُ أنْ يبدأ الإنسانُ بنفسهِ في جلبِ المنافع ودفع المَضَارِّ ثم يَشتغِلُ بغيرِهِ، لا جَرَمَ أنَّه تعالى ذَكَرَ الأمرَ بالأمانة أوَّلًا، ثم بَعدَهُ ذَكَرَ الأمرَ بالحُكْمِ بالحقِّ، فما أحسنَ هذا التَّرتِيبَ، لأنَّ أكثرَ لطائفِ القرآنِ مُودَعَةٌ في التَّرتِيباتِ والرَّوابطِ"(٧٦)، والأمثلة التي تكشف عن موهبته البارزة في ذكر المناسبات، والربط بين الآيات، والكشف عن أسرار الترتيب كثيرة جدًا في تفسيره.

٣. الجامع لأحكام القرآن والمُبيِّنُ لِمَا تضمَّنه من السُّنَّة وآي الفرقان، ومؤلفه هو: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي المالكي (ت:٦٧١هـ)(٧٧)، قال عنه الذهبي: "إمامٌ متفنِّن متبحِّر في العلم، له تصانيف مفيدة تدلُّ على كثرة اطلاعه ووُفُور فضله...، وقد سارت بتفسيره العظيم الرُّكْبانُ؛ وهو كامل في معناه"(٧٨)، ومِن أبرز صور الموهبة لدى القرطبي في تفسيره هي:

استنباط الأحكام الفقهية من الآيات الكريمة، وذكر أقوال الفقهاء فيها، ويجعل ذلك في مسائل تحت كل آية، ومِن أبرز أمثلة موهبة القرطبي في تفسير آيات الأحكام هو: تفسيره لآية الدَّيْن في سورة البقرة، وهي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...} [البقرة:٢٨٢]، حيث ذَكَر القرطبي في تفسير هذه الآية اثنتان وخمسين مسألة، منها ما يتعلَّق بكيفية التعامل مع الديون، وأهمية الكتابة والشهادات في المعاملات المالية، وضوابط الأجل، وغيرها(٧٩)، ممَّا برزت فيها موهبته الفقهية وبراعته في استنباط الأحكام من الآيات القرآنية، والأمثلة غيرها في تفسيره عديدة ووفيرة.

٤. البحر المحيط في التفسير، ومؤلفه هو: أبو حيَّان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان الأندلسي الغرناطي، أثير الدين (ت:٧٤٥هـ) (٨٠)، كان إمامًا بارعًا في اللُّغة والنحو والقراءات والتفسير، ومِن أبرز صور الموهبة لدى أبي حيان في تفسيره هي:

بيان وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم، واستنباط أسرار التعبير من الآيات القرآنية، فإنَّ ذلك يحتاج إلى فهم عميق لكتاب الله تعالى، وبراعة في اللُّغة والنحو والبلاغة، وقد وَهَب الله ﷻ أبا حيان جميع هذه الأمور، ممَّا جعل له عناية باستخراج أسرار التعبير في كثيرٍ مِن الآيات، ومن ذلك: في قوله تعالى: {مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} [النحل:١٠٦]، قال أبو حيان: "والظَّاهِرُ أنَّ (مَنْ) شرطية في موضع رفعٍ على الابتداء، وهو استئنافُ إخبارٍ لا تَعَلُّقَ له بما قبله مِن جهة الإعراب، ولَمَّا

(٧٢) انظر: طبقات المفسرين العشرين (ص١١٥).
(٧٣) مفاتيح الغيب (٢١/١).
(٧٤) انظر: مفاتيح الغيب (٢١/١-٢٤٥).
(٧٥) مفاتيح الغيب (١٠٦/٧).
(٧٦) مفاتيح الغيب (١١٠/١٠).
(٧٧) انظر: طبقات المفسرين العشرين (ص٩٢).
(٧٨) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (٢٢٩/١٥-٢٣٠).
(٧٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٧٧/٣-٤٠٦).
(٨٠) انظر: بغية الوعاة (٢٨٠/١).

كان الكُفْر يكونُ باللّفظِ وبالاعتقادِ، استثنى مِن الكافرينَ مَنْ كَفَرَ باللّفظِ وقلبُهُ مُطمَئِنٌّ بالإيمانِ، ورَخَّصَ له في النُّطقِ بكلمةِ الكُفْرِ إذ كان قلبُهُ مُؤمِنًا، وذلك مع الإكراه، والمعنى: إلَّا مَنْ أُكْرِهَ على الكُفْرِ، تَلَفَّظَ بكلمةِ الكُفْرِ وقلبُهُ مُطمَئِنٌّ بالإيمانِ"[٨١]، والأمثلة الدالة على موهبة أبي حيان في بيان وجوه الإعراب، والصناعة النحوية في تفسيره عمومًا، أكثر مِن أنْ تُحصى في هذا البحث.

٥. تفسير القرآن العظيم، ومؤلفه هو: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي الشافعي، عماد الدين (ت:٧٧٤هـ) [٨٢]، الإمام الحافظ المفسّر المحدّث الفقيه المؤرّخ، تفسيره من أنفس كتب التفسير وأشهرها، وقد أثنى عليه العلماء، فقال السيوطي: "لهُ التفسير الذي لم يُؤَلَّف على نمطه مثلُه"[٨٣]، ومِن أبرز صور الموهبة لدى ابن كثير في تفسيره هي:

التزامه بطرق التفسير السديدة[٨٤]**، فإنَّ مِن موهبته سداد طريقته في حمل كلام الله ﷻ على محمله الحق، والإعراض عمَّا تكلفَه أهل الأباطيل**، وقد تجلَّى هذا في مقدمة تفسيره، حيث رَسَم فيها منهجه وحدَّد أصوله، وهذه الأصول هي التي وضعها شيخه ابن تيمية مِن قبل، وأوّلها: تفسير القرآن بالقرآن: فقد طبَّق ابن كثير هذا المنهج في تفسيره خير تطبيق، فتجده قد جَمَع الآيات المتعلّقة في الموضوع الواحد، مثل: تفسيره لقوله تعالى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُون (٥٦)} [المؤمنون:٥٥-٥٦]، قال ابن كثير: "يعني: أيظنّ هؤلاء المغرورون أنَّ ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا؟ كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم: {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِين} [سبأ:٣٥]، لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم، بل إنَّما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاءً؛ ولهذا قال: {بَل لا يَشْعُرُون} [المؤمنون:٥٦]، كما قال تعالى: {فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُون} [التوبة:٥٥]، وقال تعالى: {إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا} [آل عمران:١٧٨]، وقال تعالى: {فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُون (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين (٥٥)} [القلم:٤٤-٤٥]، وقال: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيد (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦)} [المدثر:١١-١٦]، وقال تعالى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُون} [سبأ:٣٧]، والآيات في هذا كثيرة"[٨٥]، فتفسير ابن كثير لهذه الآية التي جمع فيها الآيات المماثلة لها في وحدة الموضوع، يُظهر براعته وموهبته الفائقة في الالتزام بأصول التفسير ومصادره الأصيلة، وأمَّا الأصل الثاني: وهو تفسير القرآن بالسنة، فإنَّ أمثلته في تفسير ابن كثير لا حصر لها، أذكرُ منها: استيعابه الأحاديث الواردة في عذاب القبر ونعيمه عند تفسير قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ} [إبراهيم:٢٧][٨٦]، واستيعابه أحاديث الإسراء والمعراج عند تفسير قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [الإسراء:١]، حيث ذَكر فيها ما يزيد على خمسين حديثًا[٨٧].

٦. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، ومؤلفه هو: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)[٨٨]، وتفسيره مِن أجود التفاسير المعاصرة وأنفسها، فهو موسوعة علميَّة تفسيريَّة لُغويَّة، اجتهد المؤلف في استقصاء مباحثه وتحرير مسائله، وأطال النَّفس في ذلك، فأجاد وأفاد، وظَهر ذلك جليًّا في مقدمته التي تميَّزت بالثقة فيما وهبهُ الله تعالى مِن علم وحِكمة، حيث قال: "وطَمِعْتُ أنْ أكُونَ مِمَّنْ أُوتِيَ الحِكمَةَ فهو يَقضِي بها ويُعلِّمها النَّاس، هُنالك عَقَدتُ العَزْمَ على تَحقيقِ ما كنتُ أضمَرتُهُ، واستَعنتُ بالله تعالى واستَخَرتُهُ، وعَلِمتُ أنَّ ما يَهُولُ مِن تَوَقُّعِ كَلَلٍ أو غَلَطٍ، لا ينبغي أنْ يَحُولَ بيني وبين نَسْجِ هذا النَّمَطِ، إذا بَذَلْتُ الوُسْعَ مِن الاجتهادِ، وتَوَخَّيتُ طُرُقَ الصَّوَابِ والسَّدَادِ، أقدَمْتُ على هذا المُهِمِّ إقدامَ الشُّجَاعِ على وادِي السِّبَاعِ"[٨٩]، فهو بهذه المقدمة قد وثق بما لديه مِن علم وأقدمَ على تفسير كتاب الله تعالى إقدام الشُّجاع، فرُزِق الموهبة في التفسير بسلوكه طريق الاجتهاد وطريق الصواب والسداد.

كما تمثّلت الموهبة لديه في التزامه بالجديد الذي لم يُسبَق إليه في التفسير، وقد تجلَّى ذلك في مقدمته حيث قال: "فجَعَلتُ حقًّا عَلَيَّ أنْ أُبْدِي في تفسير القرآن نُكَتًا لم أرَ مَنْ سَبَقنِي إليها، وأنْ أقِفَ مَوقِفَ الحَكَمِ بين طوائفِ المفسّرين، تارَةً لها، وآونَةً عليها، فإنَّ الاقتِصارَ على الحديث المُعَادِ، تعطيلٌ لِفَيضِ القرآن الذي مالهُ مِن نَفَادٍ، ... وقد مَيَّزتُ ما يفتحُ الله لي مِن فهمٍ في معاني كتابه، وما أجلبُهُ مِن المسائل

---

(٨١) البحر المحيط في التفسير (٥٩٨/٦).
(٨٢) انظر: طبقات المفسرين، الداودي (١١١/١-١١٣).
(٨٣) طبقات الحفاظ، السيوطي (ص٥٣٤).
(٨٤) سبق بيان طرق التفسير السديدة في تعريف الموهبة لدى المفسّر.
(٨٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤٧٩/٥).
(٨٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤٩٤/٤-٥٠٨).
(٨٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/٥-٤٥).
(٨٨) انظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض (٥٤١/٢-٥٤٢).
(٨٩) التحرير والتنوير (٦/١).

العلميَّة، ممَّا لا يذكرهُ المفسِّرون"(٩٠)، ومِن أبرز صور الموهبة لدى ابن عاشور في تفسيره هي:

استنباطه دقائق البلاغة ونُكَتها، وبيان وجوه الإعجاز، وأساليب الاستعمال في القرآن الكريم، وقد نصَّ على ذلك في مقدمته بقوله: "... ولكنَّ فَنًا مِن فُنُونِ القرآنِ لا تخلو عن دقائقِهِ ونُكَتِهِ آيةٌ مِن آياتِ القرآنِ، وهو فَنُّ دقائقِ البلاغةِ، هو الذي لم يَخُصَّهُ أحدٌ مِن المفسِّرين بكتابٍ كما خَصُّوا الأفانينَ الأُخرى؛ مِن أجل ذلك التزمتُ أنْ لا أُغفِلَ التَّنبِيه على ما يَلُوحُ لي مِن هذا الفنِّ العظيم في آيةٍ مِن آيِ القرآن كُلَّما أُلْهِمْتُهُ بحسبِ مَبْلَغِ الفَهمِ وطاقةِ التَّدبُّر، وقد اهتمَمْتُ في تفسيري هذا ببيانِ وُجُوهِ الإعجازِ ونُكَتِ البلاغةِ العربيَّةِ وأساليب الاستعمال"(٩١)، والأمثلة على موهبته في هذا الجانب كثيرة، منها: في تفسير قوله تعالى: {إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُون (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُون (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِين (٢٧)} [يس:٢٥-٢٧]، قال ابن عاشور: "وإذ لم يَقُصَّ في المَثَلِ أنَّه غادرَ مقامَهُ الذي قام فيه بالموعظةِ كان ذلك إشارةً إلى أنَّه ماتَ في مقامِهِ ذلك، ويُفهَمُ منه أنَّه ماتَ قتيلًا في ذلك الوقتِ أو بأثرِهِ، وإنَّما سَلَكَ في هذا المعنى طريقَ الكِنايَةِ ولم يُصرِّحْ بأنَّهم قَتَلُوهُ؛ إغماضًا لهذا المعنى عن المشركين كَيْلَا يَسُرَّهم أنَّ قومَهُ قَتَلُوهُ فيَجعلُوهُ مِن جُملةِ ما ضُرِبَ به المَثَلُ لهم وللرسولِ ﷺ فيَطمَعُوا فيه أنَّهم يَقتُلُونَ الرسول ﷺ، فهذه الكِنايةُ لا يَفهَمُها إلَّا أهلُ الإسلامِ الذين تَقرَّر عندهم التَّلازُمُ بين الشهادةِ في سبيل الله ودخولِ الجنَّة، أمَّا المشركون فيَحسَبُون أنَّ ذلك في الآخرة، وقد تكون في الكلامِ البَلِيغِ خصائصُ يَختَصُّ بِنَفعِها بعضُ السَّامعين...، وأُدخِلَت الباءُ على مفعول {يَعْلَمُون}؛ لِتَضمِينه معنى: يُخبِرُون، لأنَّه لا مَطْمَعَ في أنْ يَحصُلَ لهم عِلْمُ ذلك بالنَّظَرِ والاستدلالِ"(٩٢)، ففي هذا المثال برزَت موهبة ابن عاشور في إبراز الصورة البيانية في هذه الآيات، وبيان المعنى المراد منها؛ وذلك أنَّه ليس في ظاهر هذه الآيات ما يدل على أنَّ الرجل المذكور في سورة يس قُتِل، ولا تفصيل عن حاله، أو سؤال عن ما يتمنَّاه، وهذه الأمور وإنْ كانت غير ظاهِرة بشكل مباشر، إلَّا أنَّ القرآن الكريم أشار إليها بأسلوب بلاغي، قد بيَّنهُ وكشَفَهُ هذا المفسِّر الموهوب ابن عاشور.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبه يُستعان على قضاء الحاجات، أحمده سبحانه الذي وفَّقني لإنجاز هذا البحث، حتى وصلت به غايته، ويحسنُ بي وقد انتهيت مِن هذه الدراسة أنْ أذكرَ أهم نتائجها وتوصياتها.

أمَّا النتائج فهي ما يأتي:

١. إثبات تأصيل مفهوم الموهبة باعتبارها شرطًا من شروط المفسِّر، وهي: فتح وإلهام وتوفيق من الكريم الرحمن، لعبد استقام في نفسه، والتزم بالطرق السديدة في التفسير.

٢. تعود أسباب حصول الموهبة لدى المفسِّر إلى ثلاثة أسباب رئيسة، وهي: الإيمان بالله ﷻ، وتحقيق التقوى، والاستقامة.

٣. الموهبة لدى المفسِّر لها مكانة عظيمة وأثرًا كبيرًا في التفسير، وللمفسِّرين الموهوبين من كل جيل الدور الأكبر والأبرز في الكشف عن معاني القرآن ودلالاته.

٤. كشف البحث عن بعض مواهب المفسِّرين الذين فتح الله على قلوبهم، وألهمهم الفهم الدقيق لمعاني كلامه الكريم حتى أجمعت الأمة على رسوخ قدمهم وعلو كعبهم في هذا المضمار، ومنهم: الطبري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير، وابن عاشور.

وأمَّا التوصيات: فأُوصِي بدراسة موهبة كل مفسِّر مِن المفسِّرين بتوسُّع في بحثٍ مستقل، سواء مِن المفسِّرين المذكورين في هذا البحث أو مِن غيرهم.

والحمد لله أوَّلًا وآخرًا، وصلَّى الله على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

قائمة المصادر والمراجع:

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.

٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت، من غير تاريخ طبعة.

٣. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ)، مكتبة السنة، الطبعة: الرابعة، من غير تاريخ طبعة.

٤. اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي (ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٦. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

(٩٠) التحرير والتنوير (٧/١).
(٩١) التحرير والتنوير (٨/١).
(٩٢) التحرير والتنوير (٣٧٠/٢٢-٣٧١).

٧. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان، صيدا، من غير تاريخ طبعة.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٣٨٥هـ.

١٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: د بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١١. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: د بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

١٣. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

١٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٥. تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

١٦. التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، من غير رقم طبعة ولا تاريخ.

١٧. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت:٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠ هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ورجعتُ أيضًا إلى: طبعة دار التربية والتراث - مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر.

١٩. الجامع لأحكام القرآن والمُبيِّنُ لِمَا تضمَّنه من السُّنَّة وآي الفرقان، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٢٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت: ١٢٧٠ هـ)، ضبط وتصحيح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٢٢. الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت: ١١٥٠ هـ) تحقيق: مجموعة رسائل جامعية ماجستير، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٢٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٤. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٢٥. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (ت: ٢٧٣ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٦. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٧. صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

٢٨. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

٢٩. طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، من غير تاريخ طبعة.
٣٠. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
٣١. طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
٣٢. طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي (ت ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، من غير رقم طبعة ولا تاريخ.
٣٣. فصول في أصول التفسير، أ.د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ.
٣٤. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، من غير رقم طبعة ولا تاريخ.
٣٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت:٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٣٦. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٣٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٣٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠ هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٤٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٤١. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.
٤٢. المصنف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ)، تحقيق: سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
٤٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٤٤. معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
٤٥. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٤٦. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٧. مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.
٤٨. مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت ٧٢٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ ١٩٨٠م.
٤٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، من غير تاريخ طبعة.
٥٠. المهذب في أصول التفسير، أ.د. إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية- الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٤٢هـ.
٥١. موسوعة التفسير المأثور، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي- دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩هـ.
٥٢. الموهبة وأثرها في التفسير، حذيفة عبد الرحيم طحان، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م.
٥٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

الركود الثقافي وأثره على الفرد والمجتمع دراسة تحليلية نقدية.

أ.د. إيمان بنت صالح بن سالم العلواني

استاذ بقسم العقيدة - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى مكة المكرمة.

Cultural Stagnation and its Impact on the Individual and Community. A Critical Analytical Study.

Prof. Eiman Saleh Salem Al-Elwani

Professor in the Department of Aqidah، College of Da'wa and Islamic Theology ،Umm Al-Qura University، Makkah Almukarrama.

E-mail: eselwani@uqu.edu.sa

الكلمات المفتاحيّة:

الركود – الثقافة – العزلة – التطرف – الفكر.

KEY WORDS:

Stagnation- Culture- Isolation- Extremism- Thought.

مستخلص البحث:

يجيب بحث" **الركود الثقافي وأثره على الفرد والمجتمع دراسة تحليلية نقدية**" عن التساؤلات الآتية: ما هو الركود الثقافي؟ وماهي صوره، وأسبابه، وآثاره؟ ويهدف إلى: بيان معنى الركود الثقافي، والحديث عن صوره، وتوضيح أسبابه، وآثاره، من خلال منهجين: تحليلي ونقدي، وبخطة مقسمة إلى مقدمة، وتمهيد، ومباحث: الأول: تعريف الركود الثقافي وصوره. والثاني: أسباب الركود الثقافي. والثالث: آثار الركود الثقافي على الفرد والمجتمع، وخاتمة: وفيها نتائج أهمها:

١. يراد بالركود الثقافي: الانخفاض الكبير في النشاط الفكري العام في دولة ما، وخلال وقت محدد.

٢. تنوعت أسباب الركود الثقافي في المجتمعات إلى أسباب: علمية، واجتماعية، ونفسية.

٣. للشريعة الإسلامية مواقف جادة في مواجهة آثار الركود الثقافي.

وتوصيات هي: حثّ وسائل الإعلام بتفعيل دورهم بإبراز أهمية التعاون بين مختلف الثقافات، في حدود ما هو مقبول وبناء، وعمل أبحاث تفصيلية في موقف الشريعة الإسلامية من آثار الركود الثقافي، ونشرها على مستوى عالمي؛ لإظهار جهود المسلمين في مواجهة ما يعوق تقدم أوطانهم.

ABSTRACT:

The research “Cultural Stagnation and its Impact on the Individual and Community. A Critical Analytical Study” answers the following questions: What is cultural stagnation? What are its forms, causes and effects? It aims to illustrate the meaning of cultural stagnation, discus its forms, and clarify its causes and effects, through two approaches: analytical and critical. Its plan is divided into an introduction, a preface and topics: First: Identifying cultural stagnation and its forms; Second: Causes of cultural stagnation; Third: Effects of cultural stagnation on the individual and community; and a conclusion containing the most important findings:

1. Cultural stagnation means a significant decline in general intellectual activity in a country during a specific time.
2. The causes of cultural stagnation in communities varied in terms of: scientific, social and psychological.
3. Islamic law has serious positions in confronting the effects of cultural stagnation.

Recommendations: Urging the media to activate their role by highlighting the importance of cooperation between different cultures within acceptable and constructive limits, and Doing detailed researches into the position of Islamic law about the effects of cultural stagnation, and publishing them globally to illustrate the efforts of Muslims in confronting what hinders their countries' progress.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله، إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين، ومالك يوم الدين، وأشهد أنَّ محمدا عبد الله ورسوله، أمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، قائد الغر المحجلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد.

فإنَّ الثقافة تعد جزءًا من التحوّل الوطني الذي تسير عليه بلادنا بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود ووليّ العهد صاحب السموّ الملكيّ الأمير محمد بن سلمان ـحفظهما الله- حيث تعمل وزارة الثقافة على المساهمة في تحقيق برنامج التحوّل الذي تعيشه المملكة العربيّة السعوديّة ضمن رؤية ٢٠٣٠، ويتمثّل هدفها في المساهمة في بناء مجتمعٍ حيوي، واقتصادٍ مزدهر، ووطنٍ طموح، بآليّاتٍ مُحكمةٍ، وأساليبَ علميّةٍ مدروسةٍ تُمكّنُ القطاعَ الثقافيَّ في المملكة من السير مع الرؤية، وترسيخ أقدامه في المجتمع .

كما أنَّها تساهم في بناء شخصيّات أفراد المجتمع، وتنمية وتقوية قدراتهم الشخصيّة من خلال تحفيز الإبداع، ممّا يزيد من معدّلات قدراتهم الاجتماعيّة في التفاهم والتكيّف مع مختلف الحضارات، مع دعم الجوانب المعرفيّة والفكرية والأخلاقية فيهم، فهي تكوين إنساني يجدد الحياة في أبعاد التنوع الفكري.

ولأجل تأثير الركود الثقافي على الفرد والمجتمع، كان للشريعة الإسلامية دورًا في مواجهة هذه الآثار بتهذيب الأفراد، وإصلاح الجماعات، ومخاطبة العقول السليمة؛ لتطوير وتنمية أوطانهم، ومن هنا كان هذا البحث المعنون بـ **" الركود الثقافي وأثره على الفرد والمجتمع دراسة تحليلية نقدية"**.

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

س/ ما تعريف الركود الثقافي؟

س / ما صور الركود الثقافي؟

س/ ما أسباب الركود الثقافي؟

س/ ما آثار الركود الثقافي على الفرد والمجتمع؟

حدود البحث:

الحد الموضوعي، وذلك من خلال الحديث عن معنى الركود الثقافي، وصوره، وأسبابه، وآثاره على الفرد والمجتمع، وموقف الشريعة الإسلامية من هذه الآثار.

هدف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- بيان معنى الركود الثقافي.
- الحديث عن صور الركود الثقافي.
- توضيح أسباب الركود الثقافي.
- بيان آثار الركود الثقافي على الفرد والمجتمع.

سبب اختيار البحث:

١. لتعدد المفاهيم المطروحة لمعنى الركود الثقافي، وكثرة تعريفاته.

٢. لتنوع صور وأسباب الركود الثقافي في المجتمعات.

٣. لخطورة الركود الثقافي وأثره في مهاجمة الرأي المخالف، وتفكيك الوحدة على الصعيد الفردي والمجتمعي.

٤. لإظهار موقف الشريعة الإسلامية من كل ما يقف أمام نهضة الأمم، وتحقيق التنمية المستدامة للمجتمعات عامة، وتحقيق التنمية المستدامة للمملكة العربية السعودية من خلال رؤية ٢٠٣٠ بصورة خاصة.

الدراسات السابقة:

لم تجد الباحثة من كتب في هذا الموضوع بنصه، ولكن وجدت دراسة واحدة مشابهة إلى حد ما لهذه الدراسة وهي بعنوان: الأزمة الثقافية بالمجتمعات العربية من منظور المفكرين العرب، لحنان بوطورة، وهي بحث منشور في مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد ٣، العدد ٢، بالجزائر ٢٠٢٣م، وما عدا ذلك فهي مقالات متناثرة على الشبكة العنكبوتية، ودراسات عن الثقافة بصورة عامة!

منهجي في البحث:

المنهج التحليلي: وبه سأعرض معنى الركود الثقافي بتسليط الضوء على معناه، وصوره، وأسبابه.

المنهج النقدي: وبه سأقوم بعرض آثار الركود الثقافي على الفرد والمجتمع، ونقدها في ضوء الشريعة الإسلامية.

التمهيد:

القسم الأول: تعريف الثقافة لغة واصطلاحا:

ـالثقافة لغة: هي كلمة عربية الأصل [(١)]، وهي مشتقة من مصدر الفعل" ثقف" الثاء، والقاف، والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع وهو إقامة درء الشيء. ويقال: ثقفت القناة إذا أقمت عوجها، ويقال: ثقفت به إذا ظفرت به

---

(١) أما الكلمة المقابلة في اللغة الإنجليزية هي (Culture) وفق قاموس أوكسفورد، وهي تعبر عن كل مظاهر الإنجاز الفكري البشري مجتمعةً. بمعنى آخر، تمثّل الثقافة الجانب غير المادي من الحضارة الإنسانية، كما تمتد جذور الكلمة إلى اللاتينية لتعبر عن التهذيب والاعتناء، كما تشمل النمو والتطور. ينظر: دور الثقافة في تطوير المجتمع وتوجيهه، لساجدة الوريكات، (ص١٢٢٧).

(٢)وثقف بمعنى فهم، لذا تشير كلمة ثقافة إلى عدد من المعاني منها: الحذق والفهم، والفطنة، والتهذيب، والذكاء (٣).

وكذلك تأتي بمعنى الوجود والمعرفة من قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ...﴾، [البقرة:١٩١] بمعنى: حيث وجدتموهم أو عرفتموهم، كما لا تدل على نوعية هذه المعرفة، أو مصادر استقائها، إنما هي المعرفة كيفما جاءت (٤).

-الثقافة اصطلاحًا: يعتبر المعنى الفضفاض لكلمة (ثَقَافة) من العناصر التي ساهمت في تعقيد المصطلح، وتعدد دلالاته، لنجد أنفسنا أمام مئات التعاريف لذات المصطلح، تتفق فيما بينها في بعض النقاط، وتختلف في نقاط أخر؛ لذا فقد حاول الباحثون إيجاد تعريف شامل للثقافة، لكن تلك الجهود لم تصل إلى مرادها!

وربما كان من أقدم التعريفات التي حاولت الإحاطة بالجوانب المتعددة للثقافة وأكثرها ذيوعًا، نظرًا لقيمتها التاريخية، تعريف" ادوارد تايلور" الذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه الذي جاء بعنوان: "الثقافة البدائية" Primitive Culture والذي يذهب فيه إلى أنَّ الثقافة هي: ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاق، والقانون، والعرف، وغير ذلك من العادات التي يكتسبها الفرد باعتباره عضوًا في مجتمع معين، أو منتميًا إلى جماعة معينة (٥).

ويقرر" كوفيرون" بأنَّ الثقافة تشمل القيم التي وضعها الإنسان؛ بما فيها المنتجات المادية التي تنتقل من جيل إلى جيل، وهي بذلك تتضمن الأنماط الظاهرة، والباطنة للسلوك المكتسب؛ عن طريق الرموز التي تتكون في مجتمع معين من علوم، ومعتقدات، وفنون، وقيم، وقوانيين، وعادات، وتقاليد تتوارث من جيل إلى آخر (٦).

ومن الواضح أنَّ هذا التعريف يتفق مع السابق في التركيز على هذه الصيغة التركيبية للثقافة، بينما يختلف عنه في إدخال الجانب المادي، ولكنه ربما يكون أكثر وضوحًا وشمولاً، من حيث دخوله المباشر إلى تصنيف العناصر المكونة لهذا المفهوم: فكرية، وسلوكية، ومادية.

واستخدمت الثقافة في العصر الحديث للدلالة على الرقي الفكري، والأدبي، والاجتماعي للأفراد، والجماعات فهي ليست مجموعة من الأفكار فحسب؛ ولكنها نظرية في السلوك ترسم طابع الشعوب، وتُجسد ممارستها للعقائد، والقيم، واللغة، والمبادئ، والمقدسات، والقوانين، والتجارب.

كما يرى المؤلفون، أنَّ الانتقال من المعنى الفردي للثقافة إلى المعنى الاجتماعي، هو العنصر الأهم في توسيع سياقات استخدام هذه المفردة، وأنَّ هذا الانتقال والتوسع بدأ مع نهايات القرن الثامن عشر، وبدايات القرن التاسع عشر، واستمر بشكل كبير وواسع حتى منتصف القرن العشرين، حيث تبلورت معظم استخدامات المصطلح لتشمل مئات الفئات التي تضاف لها كلمة الثقافة (٧).

والذي تراه الباحثة أنَّ الثقافة كلمة متفق عليها في اللغة، لكنها كمصطلح من أكثر المصطلحات إثارة للجدل بين الباحثين؛ لأن كل باحث يعرفها بحسب اتجاهه، وتفكيره، ولكن كمفهوم للثقافة أرجح تعريف تايلور؛ لشموله الركائز السبع الأساسية وهي: المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والعرف، والمكتسبات؛ فهذه الركائز لا تتنازل عن أدوارها في كافة الثقافات، وينتج عنها سلوك على مستوى الأفراد والجماعات، وقد يمتد هذا السلوك لفترات زمنية تمتد بين الأجيال وتسمى بـ "الموروث الثقافي"(٨).

القسم الثاني: أهمية الثقافة في تنمية المجتمعات:

تعد الثقافة نشاطًا إنسانيًا يتفاعل بوعي مع ذاته، وواقعه الذي يعيش فيه، ومدى قدرته على التأثير، وإخضاعه لمصلحته، وخدمة تطلعاته، وطموحاته، فهي ليست نقلًا آليًا لأفكار السابقين، ولكنها خلق، وإبداع، وتطوير، إذ تعد علاقة نشطة متبادلة(٩).

تقول الباحثة ساجدة عبد الحليم: (تظل الثقافة على الدوام تمد شخصية كل أمة بما يميزها، ويمنحها في الوقت نفسه القوة، والبقاء، والاستمرارية، أما الجوانب المادية للثقافة هي كل شيء يساهم في بناء الحضارة: كالمباني، والمنشآت الصناعية والتجارية، ووسائل النقل، والمواصلات، والمنازل وغيرها من الأشياء الأخرى التي يستعملها الإنسان في حياته؛ كما أنَّ الثقافة تتميز بالعمومية؛ فهي ملك لجميع البشر؛ لذلك تشكل الثقافة روح الحضارة، بينما تشكل الجوانب المادية لها مادتها الطبيعية) (١٠).

وتظهر أهمية الثقافة السليمة في تحقيق التنمية المستدامة الاجتماعية من عدة جوانب أهمها:

---

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٣٨٢/١-٣٨٣).
(٣) ينظر: العين، للفراهيدي، (١٣٩/٥).
(١) ينظر: مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، (ص٧٩).
(٢) E. Taylor. Primitive Culture London : John Murray 1871 وينظر: مشكلة المفاهيم النقد المعرفي والمثاقفة، لمحمد مفتاح، (ص٨).
(٣) ينظر: دور الثقافة في تطوير المجتمع وتوجيهه، لساجدة الوريكات، (ص١٢٢٣).
(٤) ينظر: المصدر السابق، (ص١٢٢٤).
(٥) ومن هذا المفهوم الذي تم ترجيحه تم بناء هذا البحث، فالباحثة لا تقصد بكلمة ثقافة " الدين" فقط، بل يتعدى هذا المفهوم ليشمل الركائز السبع.
(٦) ينظر: في بعض المفاهيم والأفكار، لشاكر اليساوي، (ص٧١-٧٢).
(١) دور الثقافة في تطوير المجتمع وتوجيهه، (ص١٢٣٣).

-نشر التعليم: إذ يجب أن يهدف التعليم إلى تنمية الإلمام بالثقافة من خلال فهم التاريخ المحلي، وتزويد الشباب بالمهارات اللازمة للعيش في عالم متعدد الثقافات، فالتعليم الجيد يمثل أحد أهم أهداف التنمية المستدامة، كما يرتبط بتعزيز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل تحقيق التعليم النوعي، وهو ما يعرف بالثقافة العلمية الفكرية القادرة على عملية تأهيل المجتمع (١١).

-تحقيق الأمن المجتمعي: إذ تساهم الثقافة في تقليل الحروب، ونشر التسامح، والتفاهم المتبادل، والسلام داخليًا بمظاهر التماسك المجتمعي، وخارجيًا في تعزيز المجال الدبلوماسي، وتعزيز العلاقات الدولية.

-المساواة المجتمعية: تساعد الثقافة على فرض المساواة بين أفراد المجتمع، وإيجاد فرص عمل للجميع، وزيادة تمكين أواصر التعاون بينهم، وإذابة الأنظمة الطبقية في المجتمع من خلال المحاضرات، والندوات، والرحلات العلمية، والجمعيات، ووسائل الإعلام المختلفة...وغيرها (١٢).

-تكوين أفراد المجتمع وبناؤهم: فالثقافة مهمة في بناء أفراد المجتمع سلوكيًا واجتماعيًا، فهي كما تعطي الفرد القدرة على التصرف في أي موقف، تهيئ له أسباب التفكير للنجاح، والتمكين، مع تحقيق حاجاته وتطويرها؛ مما تساهم في تهيئة العيش الكريم للأفراد مع إكسابهم الشعور بالوحدة المتماسكة (١٣).

إذن فالثقافة السوية تعد جزءً من حركة المجتمع، ودائما تسعى لتنشيط الحراك الاجتماعي من أجل خدمة الأفراد، وحينها يتحقق في وصفها قول إليوت بأنها: (ذلك الشيء الذي يجعل الحياة جديرة بأن تعاش) (١٤).

المبحث الأول

تعريف الركود الثقافي وصوره:

المطلب الأول

تعريف الركود الثقافي:

أولا: تعريف الركود لغةً واصطلاحًا:

-الركود لغة: من الفعل الثلاثي ركد، ومنه رَكَدَ الماء في الْمُسْتَنْقَعِ: أي رَكَنَ، وسَكَنَ. ورَكَدَتِ الريح بعد إعصار شَدِيدٍ: أي هَدَأَتْ. ورَكَدَتِ السوق: كسدت حركتها التجارية (١٥).

-الركود اصطلاحًا: كثيرا ما يطلق مصطلح الركود على انخفاض الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي لربعين متتاليين- أي ستة أشهر- في أي دولة، ويعرف بـ "الركود الاقتصادي" ويعبر عنه أحيانًا بـ " الأزمة الاقتصادية"، ووفقا للمكتب الوطني للبحوث الاقتصادية الأمريكي فقد عرف الركود الاقتصادي بأنه: التراجع الكبير في النشاط الاقتصادي الذي يستمر لأكثر من بضعة أشهر على خلاف الكساد الاقتصادي الذي يستمر لعدة سنوات (١٦).

وقد توسع استخدام كلمة" ركود" في عدة مجالات حياتية، فكما يقال ركود اقتصادي فهناك ركود لغوي، وركود اجتماعي، وركود بيئي، وركود ثقافي.. الخ

ثانيًا: تعريف الركود الثقافي:

يشير مفهوم الركود الثقافي أو " الأزمة الثقافية " إلى الانخفاض الكبير في مستوى النشاط الثقافي العام في دولة ما، في مرحلة زمنية محددة، وهذا الانخفاض يؤثر على حياة أفراد المجتمعات بصورة سلبية، مما يظهر في سلوكياتهم: كالانعزال، والتقوقع، والهروب من المسؤولية، كما يظهر على مستوى المجتمع في شكل عجز عن إنتاج الأفكار، والقدرة على حل المشكلات، والخلل في مستوى الالتزام المجتمعي، وعدم التعايش السوي مع باقي الثقافات المغايرة داخل المجتمع وخارجه.

المطلب الثاني

صور الركود الثقافي:

أولاً: الانعزال الثقافي

تنوعت تعريفات العزلة، وقد ذكر الأصفهاني شيئًا من هذه التعريفات فقال: (الاعتزال: تجنب الشيء... بالبدن كان ذلك أو بالقلب) (١٧)، وعرفها كذلك بقوله: (الخروج من مخالطة الخلق بالانزواء) (١٨).

وكما تعددت تعريفات هذا المصطلح تعددت أنواعه وحالاته، ولكن المراد في هذا الموضع هي العزلة الثقافية، والتي تعني انطواء المجتمع على نفسه؛ ويرجع ذلك إلى عوامل كثيرة منها: عدم الاحتكاك الثقافي نتيجة عدم الاتصال بالمجتمعات الأخرى، ويكون ذلك بسبب الرغبة في المحافظة علي التقاليد الخاصة في المجتمع، والاعتزاز بها كتراث له ميزاته القومية، أو راجعًا لأسباب سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية تراها الدولة ضرورية لمدى طويل أو قصير، فهناك دول تحول دون انفتاح ثقافتها على ثقافة المجتمعات الأخرى، وإنتاجها المادي، والفكري (١٩).

ولكن مهما حاول المجتمع أن ينعزل ثقافيًا عن باقي المجتمعات، إلا أنه لا يستطيع الانغلاق على نفسه لفترة طويلة؛ وذلك لأنَّ كل الثقافات تتأثر وتؤثر في بعضها

(٢) ينظر: بين إشكالية التأصيل وواقع التفعيل قراءة في حال الثقافة العلمية العربية، لخضر الشيباني، (ص٢٠٥).
(٣) ينظر: أهمية الثقافة في تحقيق التنمية المستدامة، لحفصة كوبيبي، (ص٣٣٥).
(٤) ينظر: دور الثقافة في تطوير المجتمع وتوجيهه، لساجدة الوريكات، (ص١٢٢٧).
(٥) ينظر: في بعض المفاهيم والأفكار، لشاكر اليساوي، (ص٧٢).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤٣٣/٢).
(٢) ينظر: أثر الركود الاقتصادي في الفقر، لعزة حجازي، (ص٨٦-٨٧).
(٣) المفردات في غريب القرآن، (ص٣٣٤).
(٤) المصدر السابق، (ص٨٣٣).
(٥) ينظر: أصول التربية، لطارق عامر، (ص١٠٤).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

البعض ولو بعد حين، وكذلك لا توجد ثقافة جامدة يستعصي عليها التغيير (٢٠)، فكل الثقافات في حركة مستمرة تتأثر بقوى خارجية وداخلية على السواء؛ كما أنَّ العزلة الثقافية – غالبًا- لها آثار سيئة على المجتمعات؛ إذ يمكن أن تؤدي إلى عدم فهم الثقافات الأخرى، مما تساهم في تنشئة القوالب النمطية السلبية والتحيز، والتمييز. فتحدّ من تبادل الأفكار، والمعارف، والموارد، مما يعوق تقدم المجتمع وتطوره. بالإضافة إلى ذلك، من الممكن أن تؤدي إلى نقص التعاطف مع المخالفين، مما يبني الانقسامات، والنزاعات داخل المجتمع وخارجه، بما يؤثر على التماسك المجتمعي، والازدهار الاقتصادي، والرفاهية العامة للفرد والمجتمع (٢١).

ثانيًا: التطرف الفكري:

التطرف عامةً هو مصطلح يشير إلى كل ما هو بعيد عن الاعتدال، زيادةً أو نقصاناً، إفراطاً أو تفريطاً، ويختلف هذا المفهوم بين مجتمع وآخر فهو مفهوم نسبي؛ وذلك بسبب اختلاف القيم، والعادات، والثقافات السائدة بشكل عام؛ لذا نجد تعدداً واضحاً في مفاهيم التطرف إلى درجة أصبح من الصَّعب تحديد أبعاده، وأطره بشكل واضح؛ لأنَّ ما يراه مجتمع ما سلوكاً متطرفاً قد يكون مقبولاً وسائدًا في مجتمع آخر.

كما استُخدِم مفهوم التطرف الفكري للإشارة إلى الخروج عن القاعدة الفكرية، والقيم، والمعايير السائدة في مجتمع ما، وزمان محدد، وتبنِّي أفكار ومواقف معيَّنة مُخالفة له، ويُدافَع عنها بشراسة، قد يصل إلى درجة العنف، وممارسة الأعمال الإرهابية سواء بشكل فردي، أو جماعي؛ وذلك بهدف تطبيع المجتمع بهذه الأفكار، وفرضها بالقوة عليه.

فالإنسان المتطرف لديه رؤية أحادية الجانب، ويرى أنَّه من الواجب إلغاء ومحاربة أيَّة فكرة مختلفة عن تفكيره، أو تتعارض معه، فهو غير مستعد للتنازل عن آرائه التي يحملها، أو حتى مناقشة الآخرين بحقيقة تلك الأفكار ومصداقيتها.

وقد حاول المفكرون تعريف مفهوم التطرف الفكري، فعرّفه محمد هاشم آغا بأنه: (قناعات عقلية لجماعات، أو أفراد، بامتلاك الصواب دون غيرهم باستخدام أساليب متنوعة كالتهديد، والعنف، والإذعان، وقبول الشروط، والإملاءات لاتخاذ المواقف التي تتمشى مع عقيدتهم) (٢٢).

وعرَّفه راشد المبارك بأنه: (الشطط في فهم مذهب، أو معتقد، أو فلسفة، أو فكر، والغلوّ في التُّعصب لذلك الفهم، وتحويله إلى حاكم لسلوك الفرد أو الجماعة التي تتصف به، والاندفاع إلى محاولة فرض هذا الفهم والتوجُّه على الآخر بكل الوسائل ومنها العنف والإكراه) (٢٣).

إذاً يمكن القول إنَّ التطرف الفكري هو الميل لأحد الطرفين بفكرة والتمسك بها، بما يترتب على ذلك سلوكيات ضارة بالفرد والمجتمع في مختلف النواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي يعيشها صاحب هذا الفكر المتطرف، وينطلق التطرف من تنزيه الذات الإنسانية، والنظرة العدائية تجاه الآخر (٢٤).

أما بالنسبة للمجتمع الإسلامي، فإنَّ الشريعة تدعو إلى الوسطية التي لا إفراط فيها ولا تفريط. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...﴾، [البقرة:١٤٣].

يقول الشّاطبي: (الشريعة جارية في التّكليف بمقتضاها على الطّريق الأوسط، الأعدل، الآخذ من الطّرفين بقسط لا مَيل فيه، الدّاخل تحت كسب العبد، من غير مشقة عليه، ولا انحلال، بل هو تكليف جَار على موازنة تقتضي في جميع المكلّفين غاية الاعتدال) (٢٥).

وميزان الشرع دائمًا يرجح المصالح، ويدرأ المفاسد، يقول ابن القيم: (الشريعة مصلحة كلها، وعدل كلها، ورحمة كلها، فما خرج عن المصلحة إلى المفسدة، وعن العدل إلى الجور، وعن الحكمة إلى العبث، وعن الرحمة إلى ضدها، فليس من الشريعة) (٢٦).

المبحث الثاني

أسباب الركود الثقافي:

المطلب الأول

إهمال القراءة بأنواعها:

يراد بالقراءة في اللغة عدة معان، منها: الجمع (٢٧)، والدراسة، والتفقه(٢٨)، وقرأ الكتاب: تتبع كلماته نظرًا سواء نطق، أو لم ينطق بها (٢٩).

وفي الاصطلاح عرفت القراءة بعدة تعريفات منها: عملية عقلية معقدة تشمل الإدراك، والتذكر، والاستنتاج والربط، ثم التحليل، والمناقشة (٣٠).

(٦) لا أقصد بالثقافة هنا الدين الإسلامي أو المعتقدات الإسلامية إنما قصدت بذلك أساسيات الثقافة الأخرى التي تخضع للتغيير والتطور على وجه العموم.
(١) ينظر: التنوع البشري الخلاق، تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية، (ص٥٥).
(٢) رؤية تربوية للخروج من أزمة التطرف الفكري في المجتمع الفلسطيني بمحافظات غزة، (ص٧٨٣).
(٣) التطرف خبز عالمي، (ص٢١).
(٤) ينظر: مقالة بعنوان: "ما معنى الركود الثقافي وما علاقته بالتطرف" على هذا الرابط: https://2u.pw/frBJWCs
(٥) الموافقات، (١٦٣/٢).
(٦) أعلام الموقعين، (٣/ ١١).
(١) ينظر: مختار الصحاح، للرازي، (٥٦٠/١).
(٢) ينظر: المحيط في اللغة، لابن عباد، (٤٩٦/١).
(٣) ينظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، (٧٢٢/٢).
(٤) القراءة أولا، لمحمد سالم، (ص٣٤).

ومنهم من توسع قليلاً عن المفهوم العقلي فعرفها بأنها: عملية عقلية وحسية، تهدف إلى استخلاص المعاني والمعلومات، من الكلمات المقروءة، وتوظيفها توظيفًا إيجابيًا (٣١). وآخرون يرونها: عملية حيوية كاملة، تشترك فيها قوى إنسانية متعددة، تحتاج لجهود بدنية، وعقلية، ونفسية (٣٢).

وقد جمعت الباحثة فاطمة السلاطين أنواع القراءة، وقسمتها بعدة اعتبارات: من حيث الأداء، والغرض، والفائدة (٣٣).

وكما اتفق كثير من التربويين على أنَّ بين القراءة والتفكير علاقة قوية، وهي علاقة تأثر وتأثير (٣٤)." فالقراءة إمتاع عقلي، وغذاء وجداني؛ لإبداع المعرفة، يسعى إليها الإنسان بهدف الارتقاء بأساليب تفكيره في جميع مجالات الحياة"(٣٥)، وإهمالها بأنواعها يعوق من عملية تطور الفكر البشري ورفعته، مما يخل بمهارات تفكيرهم المعرفية، ويقلل مستوى كفاءتهم العقلية (٣٦).

المطلب الثاني

إهمال التفكير المنطقي:

يُعرف التفكير المنطقي بأنه: التفكير الذي نمارسه عندما نحاول أن نتبين الأسباب والعلل التي تكمن وراء حدوث الأشياء، أو المشكلات بناءً على الأدلة المتاحة، فهو عملية تحليل للموقف الحالي، أو للمشكلة؛ بهدف التوصّل إلى أنسب حل مقبول (٣٧).

فالتفكير المنطقي يقلل من عدد الأخطاء والخسائر، كما أنه يساهم في تحسين الشخصية عندما يتم التفكير في الحقائق الصعبة بعيدًا عن جعل المشاعر تؤثر على اتخاذ القرار، كما يساهم التفكير المنطقي في تسهيل الحياة مما عليه في الوقت الراهن، مع إمكانية ربط الأحداث والأسباب والبيانات بطريقة ناجحة وفعالة، والتخطيط الأفضل للمستقبل فيما يتعلق بجميع جوانب الحياة (٣٨).

وإذ يعتبر علم المنطق علم واسع في جميع المجالات الحياتية، واستخدام مهاراته تساعد على تحسين قدرة الفرد الثقافية، فإهماله يجعل الفرد يعيش في انفصال عن ثقافات المجتمعات المحيطة به، خاصة إن لم يتخل الفرد عن إصدار الأحكام من خلال تجاربه السابقة، وانطباعاته الشخصية؛ وذلك لأن طبيعة الإنسان تجعله مرتاحًا عند تقديم حجج تتناسب مع معتقداته، أو معتقدات مجتمعة في المقابل قد يتجاهل واقعه، أو واقع المجتمعات المحيطة بمجتمعه.

المطلب الثالث

الحروب والأزمات المختلفة:

تعرضت كثير من الشعوب إلى الحروب التي تُنتج الاستعمار الذي حاول مسح الهوية الثقافية للمجتمعات المستعمَرة، حيث يسعى الاستعمار إلى إيجاد أنماط معينة من التعليم والمناهج المقررة على أبناء الدول المستعمَرة؛ لتبني جيلاً يوالي ثقافة المستعمِر، ويطمس ثقافة المستعمَر الاصيلة، فعلى سبيل المثال: ما حدث بالجزائر بسبب الاستعمار الفرنسي الذي حاول طمس كل ماله علاقة بالتراث الوطني من أسماء العلماء، والأدباء، والفلاسفة، وحتى أسماء الشوارع والمدن، وكان يُصوّر الشخصية الجزائرية في المقررات المدرسية بأنها تابعة؛ من أجل تلقين الأجيال الصاعدة كيف يحتقر الجزائري ثقافته وينفصل عنها، ويخجل من نشرها، والاعتزاز بها(٣٩) .

في حين سعى إلى تعليم المستوطنين، والفرنسيين اللغة العربية الفصحى، والعامية الجزائرية؛ من أجل التحكم في الحياة الثقافية بالجزائر، إذ كان المتصرف المدني" بريسون" يؤكد على ضرورة تعلم اللغة العربية كآلية لنجاح الاستعمار، ويحرّم ذلك على الجزائريين، ومنه فالاستعمار في أي بلد يحلّ به يتجاوز الهدف الاقتصادي إلى هدف فكري، وثقافي (٤٠). يقول فرانزفانون: (مادام الوضع الاستعماري قائمًا فإنَّ الثقافة تنضب وتحتضر؛ لأنها تكون محرومة من ركيزتيها الأمة والدولة، وعلى ذلك فإنَّ التحرير الوطني، أو القومي، أو انبعاث الدولة هو شرط وجود الثقافة) (٤١).

المطلب الرابع

التعصب الفكري والعرقي:

يرى الباحث حامد عبد السلام زهران أنَّ التعصب بصورة عامة هو: اتجاه نفسي مشحون بعقيدة، أو حكم مسبق، مع أو في الأغلب والأعم ضد جماعة، أو شي، أو موضوع، ولا يقوم على سند منطقي، أو معرفة كافية، أو حقيقة علمية، بل ربما يستند إلى أساطير وخرافات، كما أنَّ أصحابه يحاولون تبريره، ومن الصعب تعديله؛ لأنه يجعل الإنسان يرى ما يحب أن يراه فقط، ولا يرى مالا يحب أن يراه، فهو يعمي، ويصم، ويشوه إدراك الواقع، ويُعِدّ الفرد

(٥) مقال بعنوان: " أهداف القراءة وعملياتها"، لبدر الحسين، على هذا الرابط:https://2u.pw/5ereKtu
(٦) الإضاءة في أهمية الكتاب والقراءة، لخالد النصار، (ص٣٧).
(٧) ينظر: حقيقة القراءة وآثارها الثقافية، (ص٢٦-٣٦).
(٨) ينظر: تعليم القراءة وتنمية التفكير، لعبد الله الكندري، (ص٥٦).
(٩) ينظر: الطفل ومهارات القراءة، لأحمد العلي، (ص١١٧).
(١٠) للاستزادة ينظر: حقيقة القراءة وآثارها الثقافية، لفاطمة السلاطين، (ص٦٦-٧٣).
(١١) ينظر: الطريق إلى التفكير المنطقي، لوليم شاتر، (ص١٧-١٨).
(١٢) ينظر: المصدر السابق، (ص١٨-١٩).
(١) ينظر: مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، لمحمد السويدي، (ص٣٨).
(٢) أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، لأبي القاسم سعد الله، (ص٢٥، ٣٢).
(٣) غرامشي وقضايا المجتمع المدني، لجيوفيري نويل سميث، وكينتين هور، (ص٣٧٨).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

أو الجماعة للشعور، والتفكير، والإدراك، والسلوك بطرق تتفق مع اتجاه المتعصب [٤٢].

فالتعصب هو أحكام تقرر وتصدر قبل دراسة الأدلة والبراهين المؤدية إليها [٤٣]. كما أنه قد يجعل الشخص يرفض الكفؤ؛ لأنه من المدينة، أو القبيلة الفلانية. وهو يؤدي إلى مقاومة التغيير بالنسبة لمعتقد فردي، أو مجموعة من المعتقدات، أو العادات، وهذا ما يسبب الركود الثقافي الذي يعوق صاحبه عن مواجهة المتطلبات الموضوعية، وعجزه كليًا أو نسبيًا عن تغيير سلوكه، أو اتجاهاته حينما تتطلب الظروف ذلك. فالتعصب ورفض الآخرين ليست نتاج قراءات دينية، أو اجتهادات فكرية فقط نتجت عن التمسك بالآراء؛ بل نتاج شخصية أحادية العقل [٤٤].

المطلب الخامس

إبداء الأحكام اعتمادًا على آراء الآخرين:

من أسباب الركود الثقافي هو اعتماد بعض الأفراد على ممارسة التفكير بجميع أشكاله بالاعتماد على مفاهيم وتعاريف سابقة، مما يجعلهم يصدرون أحكامًا مطلقة، ويطبقونها على أنفسهم وعلى الآخرين! دون النظر إلى صحة هذه الأحكام أو عدم صحتها [٤٥]، وتفسر شخصية أصحاب هذا المنهج بالشخصية الاعتمادية غير المُستقلة التي تميل إلى الخضوع للآخرين، ولا تُعبِّر عن رغباتها، وحاجاتها إلَّا نادراً، وتعدُّ نفسها غير جديرةٍ بتحمُّل المسؤولية حتى في إصدار الأحكام.

فلدى كل إنسان تفكيره الخاص الذي يتميز فيه عن غيره من البشر، وكذلك لديه انطباعات شخصية - عمن حوله- ذات تأثير كبير على الأحكام الصادرة منه، مع أنه من الواجب على كل فرد أن يتدرب على مهارات التفكير من إدراك، وتذكر، وتحليل، واستنباط، واستنتاج؛ ليصدر حكمه بعيدًا عن الاعتماد على الآخرين، ويعيد صياغة المعطيات في إطار المعنى الشخصي، ثم يقيّم الحكم [٤٦].

المطلب السادس

الخلط بين المشاعر والأفكار:

يُعَدّ التفكير عملية أساسية يتناول العلاقات بين الأشياء، والمعلومات بعضها مع بعض، والبنائي منه هو الذي يربط الغايات بالوسائل، والظروف الراهنة بالمعارف السابقة، بهدف حل المشكلات، والفرد الذي يتصف بجودة تفكيره هو الذي يرحب بالمواقف المشكلة بصورة ناقدة مع النظر في الاحتمالات البديلة، والأدلة المتعددة بتحليل جميع الاحتمالات [٤٧].

أما المشاعر فتعرَّف على أنها: ردود فعل مباشرة، مثل: الأحاسيس الجسدية التي لا يستطيع الإنسان تجاهلها، لا بإيقافها، أو بمنع حدوثها، فبالرغم من اختلاط مفهومي المشاعر والأفكار عند بعض الأشخاص إلا أنهما يختلفان تمام الاختلاف، ففي حين أنّ المشاعر هي ردود فعل طبيعية لا يمكن التحكم بها، نجد أنَّ الأفكار هي حُكم العقل فيما يحدث لنا، فالأفكار تخضع للحكم العقلي بالصواب والخطأ، أي يمكن مناقشتها لنقبلها أو نرفضها.

ولكن المشاعر فإننا نقبلها ونعبر عنها، ونبحث عن الأفكار التي وراءها. وهي مهما كانت قوية تنتهي، ويساعد التعبير عنها في اختفائها. أما ما يجعلها تستمر فهي الأفكار التي وراءها، لذا عندما نعامل المشاعر كالأفكار، ونحكم عليها بالصواب والخطأ قد يؤدي ذلك إلى عدم الاعتراف بها، والتعبير عنها. والنتيجة: تظل حبيسة بداخلنا، وتصيبنا بالأمراض النفسية، والعضوية. وعندما نعامل الأفكار كالمشاعر نقبل بعض الأفكار الخاطئة دون مناقشة باعتبارها مشاعر، وفي هذه الحالة يحدث الخلط بين المشاعر والأفكار فتحدث المعضلة؛ لذا يجب التدرب على إدارة الأفكار المولِّدة للمشاعر التي نشعر بها [٤٨]؛ لأنَّ المشاعر غالبًا ما تعترض الأفكار الحيادية خاصة عندما يحاول الأفراد حل مشكلة تعترضهم، فتشكل بذلك سببًا من أسباب الركود الثقافي في المجتمعات [٤٩].

المبحث الثالث

آثار الركود الثقافي على الفرد والمجتمع:

المطلب الأول

نشوء الجماعات المتطرفة:

تساهم بعض الأيدولوجيات في نشوء الجماعات المتطرفة التي تدفعها لإحداث النزاعات، ورفض التغيير في المجتمع سواء كانت تلك المعتقدات مبنية على الدين، أو الثقافة، أو السياسة.. الخ.

فالأيديلوجية هي مجموعة من المعتقدات، والأفكار، والتصورات، والقيم المشتركة لجماعة من الناس، سواء طائفة، أو طبقة، أو حزب، أو أمة. وأيدولوجيا الجماعة تعني: سجل الأطر الفكرية، والثقافية، والسياسية، والمنهجية التي تميزها، وهي مقتبسة من مستودع التصورات الجماعية الذي هو ثقافة المجتمع الكلي، أو هي

(٤) ينظر: علم النفس الاجتماعي، (ص٢١٥).
(٥) ينظر: أضواء على التعصب، لأديب إسحاق وآخرون، (ص١٣).
(٦) ينظر: مقال بعنوان" الشخصية أحادية العقل" لعباس شلال، نشر على هذا الرابط:https://short-link.me/xgcq
(٧) وهذا من أشكال التطرف الذي يسبب خطأ في سير عملية التفكير الفعال، ينظر: قبعات التفكير الست، لديبونو، (ص٧٩-٨٦).

(١) ينظر: الأسس النفسية لتعليم التفكير، لشرفاوي، (ص١٢٦-١٢٧).
(٢) ينظر: قراءات في مهارات التفكير، لفيصل يونس، (ص٢٧).
(٣) ينظر: مهارات الحياة، لأوسم وصفي، (ص٦٦ وما بعدها).
(٤) ينظر: الطريق إلى التفكير المنطقي، لوليم شاتر، (ص١٠٤-١٠٥).

مستعارة من الثقافات الأخرى، كما أنها محددة بزمان، ومكان معينين لا تتعداهما، ومن الممكن أن تكون هذه الأيدلوجية أداة لنشر الوعي الزائف فتؤدي إلى طمس الواقع الحقيقي بسبب الجمود الفكري الذي يصيب أصحابها، فيؤدي إلى عجزهم عن استيعاب الاخر، وعدم مرونتهم في المجادلة بالتي هي أحسن، فتنشأ الجماعات المتطرفة نتيجة هذا الركود الثقافي (٥٠).

خاصة أنَّ كثيرًا من الجماعات المتطرفة تعتمد في مناهجها على الشحن العاطفي، وتربي أتباعها على أمور عاطفية، وغايات دنيوية: سياسية، واقتصادية.. الخ، وتحشو أذهانهم بالأفكار، والمفاهيم التي لم توصل التأصيل الشرعي الصحيح، مما قد تؤدي إلى التصادم مع المخالفين بلا حكمة رشيدة، ولا رأي سديد، وفي الوقت نفسه تقصر في أعظم الواجبات، فتنسى الغايات الكبرى في الدعوة، من غرس العقيدة السليمة، والفقه في دين الله تعالى، والحرص على الجماعة، وتحقيق الأمن، والتجرد من الهوى، والعصبية، والجهل بفقه التعامل مع المخالفين (٥١).

وقد جاءت نصوص الشرعية تدين التطرف وتدعو إلى تحقيق الأمن الفكري في المجتمعات الذي تعد سلامته سبباً في أمن المجتمع واستقراره، كما دعت إلى صيانة هذا الفكر من الانحراف، وتحصينه بالعقيدة الصحيحة التي توجه سلوك أفراده نحو الخير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، [الأنعام:٨٢]. لذا اتخذت الشريعة منهجًا متكاملاً لتهذيب النفس البشرية، ومحاربة الجماعات المتطرفة، بما يضمن توازن المتطلبات الإنسانية، والفكرية (٥٢).

المطلب الثاني

نشوء الكراهية والعنصرية المجتمعية:

يساهم الركود الثقافي في نشوء عقدة الكراهية والعنصرية التي تقوم على التفرقة بين الأجناس، والشعوب بحسب أصولها وألوانها، ويترتب على هذه التفرقة حقوقًا ومزايًا(٥٣)، تؤججها عدة مصادر، مثل: التفاعلات، والضغوط، والتغييرات التي تظهر بسبب: العلم، والتقنية، والانفتاح المعرفي، كل ذلك أدى إلى ظهور دعوة لحماية الهويات القومية، أو الثقافية، فالعنصرية تحامل، وعداوة سافرة ضد الغير، وهي ليست ظاهرة هامشية ترتبط بعصر محدد، أو بظروف محددة، ولكنها تظهر ردًا على أزمات الهوية الاجتماعية، ولا يمكن حلّ المشكلات المرتبطة بها بالإجراءات القانونية وحدها؛ لأنَّ القضاء عليها يجب أن ينقض جذورها من الأساس، لذا كان للشريعة الإسلامية دورًا كبيرًا في محاربة ثقافة الكراهية، والعنصرية، وتوجهاتها المرفوضة من التفرقة، والتحامل، وفقدان احترام الآخر، والعادات المنبوذة، كما دعمت السياسات التي تساعد على مواجهة هذه القضية من خلال الحوار الحر بالتعبير عن القيم البديلة في البرامج الثقافية، والمناهج المدرسية، وأنشطة المجتمع المدني(٥٤).

فالباري ﷻ جعل اختلاف الناس، وتعدد صورهم، وأشكالهم من آياته التي يجب أن نؤمن بها، فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾، [الروم:٢٢].

وفي هذا الاختلاف دعوة لنبذ العنصرية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، [الحجرات :١٣]، قال ابن كثير:(فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء- عليهما السلام- سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله تعالى، ومتابعة رسوله) (٥٥).

المطلب الثالث

التمحور حول الذات:

من آثار الركود الثقافي جعل الإنسان يتمركز حول ذاته، ولا يرى المواقف إلا بدلالة تأثيرها عليه شخصيًا، على اعتبار أنَّ الغرض من التفكير الشخصي يكمن في إفادة المرء نفسه في مواجهته مع الحياة(٥٦).

فالبشر منذ نشأتهم، كانوا قادرين على تبادل الاكتشافات، والمبتكرات، والخبرات، والمعارف، وقد تطورت المجتمعات من خلال تعاون الشعوب مع الثقافات المختلفة، أما تمحور الأفراد حول ذواتهم ورفضهم الثقافات الأخرى يعوق العمل على دعم التعايش المجتمعي من خلال عقد اتفاقات اجتماعية يتم التفاوض عليها في إطار أخلاقيات عالمية. ليصبح التعايش ممكنًا، والصراع مقيدًا في حدود ما هو مقبول وبناء، إذا ما استطاع الأفراد التقيد بالتزامات، وقيم، ومبادئ مشتركة، تتوقف كفاءتها على قدرة الناس عن الترفع عن مصالحهم الذاتية، وموافقتهم على الاشتراك في المصلحة العامة الكامنة في قبول مجموعة من الحقوق، والمسؤوليات المشتركة (٥٧).

---

(١) ينظر: في بعض المفاهيم والأفكار، لشاكر اليساوي، (ص٦٧-٦٨).

(٢) ينظر: دور المناهج في تنمية فكر طلاب كلية الشريعة بالجامعة الأردنية لمكافحة التطرف، لقيس المعايطة، (١/ ٣٨٨).

(٣) ينظر: فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، لأحمد الأسمر، (ص٢٧٧).

(٤) ينظر: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لأحمد بدوي، (ص٣٤٤).

(٥) ينظر: التنوع البشري الخلاق، تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية، (ص٦٦- ٦٨).

(١) تفسير القرآن العظيم، (٧/ ٣٦٠).

(٢) وهذه من أخطاء التفكير، ينظر: قبعات التفكير الست، لديبونو، (ص٧٩-٨٦).

(٣) ينظر: التنوع البشري الخلاق، تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية، (ص٣٤).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المطلب الرابع

رفض الحوار مع المخالف:

الحوار الثقافي وسيلة لتحقيق التقارب بين الثقافات المختلفة وتفادي الخلافات المؤدية للنزاعات والحروب والتطرف، فهو يقرب وجهات النظر المتباعدة، ويحقق التواصل والتفاهم بين الجماعات المتعايشة في مكان واحد، أو في أمكنة مختلفة؛ وغيابه يؤدي إلى تفكيك وحدة المجتمع؛ ويعود السبب في ذلك إلى أنَّ لكل ثقافة نمط حياة، وعادات، وتقاليد تساهم في تكوين إطار خاص لثقافتها، وانغلاقها على نفسها، يؤدي إلى تفكيك الإطار المشترك وهو المجتمع، أو الدولة.

كما يكرّس الحوار الاعتراف بالثقافات الموجودة في المجتمع، والتعرف على عادتها، وقيمها، وتقاليدها، وتحقيق المساواة، والحريات، والاحترام المتبادل بين الثقافات المختلفة داخل المجتمع؛ إذ يمثّل الحوار الثقافي شرطاً أساسياً في تحقيق النضج الفكري، وقبول التنوع الذي يؤدي إلى الابتعاد عن الجمود، وفتح قنوات التواصل بين أفراد المجتمع، والمصالحة والسّلام بين الأمم، وتعزيز التفاهم والاحترام بينهم.

ولكن من آثار الركود الثقافي تدمير الحوار داخل المجتمع، وقضّ دعائمه، وإضعاف أهدافه مما يؤثر على نقض القيم المشتركة بين الديانات، ورفض مبادئ التسامح، وإحداث الصراعات، والمواجهات الصدامية بين المجتمعات، وعدم تقبل الاختلاف الذي يشكل محدداً للتماسك المجتمعي (٥٨)؛ لهذا السبب عنيت الشريعة الإسلامية في مصنفاتها بذكر آداب الحوار مع المخالف (٥٩).

المطلب الخامس

عدم تقبل التنوع الثقافي المجتمعي:

التنوع الثقافي عامل أساسي للفهم المتبادل، والتعايش السلمي، وحماية تراث جميع الشعوب التي قد يتعرض تراثها لمحاولات التشويه، والتزوير، والتدمير، وكما لا توجد ثقافة مغلقة على نفسها، تتأثر بغيرها، وتؤثر في غيرها، كذلك يعتريها التغيير من قوى داخلية وخارجية على حد سواء، وقد تكون هذه القوى متجانسة مع رؤيتها ورسالتها، وقد تكون مغايرة لها فتنجم عنها الصراعات، والممارسات غير المشروعة (٦٠).

وبما أن الإنسان بطبعه فُطر على العيش مع الجماعة، فهو لا يقدر أن يكون وحيدًا بمعزل عنهم، وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله: (إنّك تسمع في كتب الحكماء قولهم: "إنّ الإنسان مدنيّ الطبع"، يذكرونه في إثبات النّبوّات وغيرها، والنسبة فيه إلى المدينة، وهي عندهم كناية عن الاجتماع البشريّ، ومعنى هذا القول: أنّه لا تمكّن حياة المنفرد من البشر، ولا يتمّ وجودُه إلّا مع أبناء جنسه، وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته، فهو محْتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبدًا بطبعه، وتلك المعاونةُ لا بدّ فيها من المفاوضة أوّلا، ثمّ المشاركة وما بعدها) (٦١).

يقول الإمام ابن عاشور: (والله بنى نِظَامَ هذا العَالِمِ على تعاون الناس بعضهم مع بعض؛ لأن الإنسان مدني بالطبع، فإذا لم يَأْمَن أفرادُ الإنسانِ بعضُهم بعضًا تنكّر بعضُهم لبعض، وتبادروا الإضرار والإهلاك ليفوز كل واحد بكيد الآخر قبل أن يقع فيه، فيفضي ذلك إلى فساد كبير في العالَم، والله لا يحب الفساد..) (٦٢).

والذي يوطد العلاقات الاجتماعية من خلال التعايش والمشاركة تقبل التنوع المجتمعي(٦٣)؛ لذا اعترف الإسلام بالاختلاف، وأقرّ بالتنوع الثقافي الناتج عنه؛ لأن تعدد الثقافات الإنسانية، واختلاف الناس في الدين أمر من مقاصد الخلق، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾، وقال أيضًا: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، [هود:١١٨-١١٩]، فالاختلاف أمر قدري، والقصد من التعدد، والتنوع الثقافي في أدنى مراحله هو التلاقي، والتعارف، وتبادل الأفكار، والخبرات التي تطورها أنماط الحياة المختلفة. وذلك مما يزيد من عمق مكونات كل ثقافة بما تولده من الثقافات الأخرى، وبتواصل الاحتكاك السلمي بين الثقافات يتعلم أفراد البشر التسامح، وتصحح تلك الأفكار الخاطئة تجاه الآخرين (٦٤).

أما قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فاللام ليست للغاية؛ إذ من المعلوم أن الله خلقهم لعبادته وطاعته، وإنما اللام للعاقبة والصّيْرورة؛ أي لثمرة الاختلاف خلقهم، وثمرته أن يكونوا فريقين: فريقاً في الجنة، وفريقاً في السعير (٦٥).

وقدّ تُحْملُ على التعليل من وجه آخر، أي خلقوا مستعدين للاختلاف، والتفرّق في علومهم، ومعارفهم، وآرائهم، ومشاعرهم، وما يتبع ذلك من إراداتهم، واختيارهم في أعمالهم، ومن ذلك: الطاعة والمعصية (٦٦).

---

(٤) مقال بعنوان:" الحوار الثقافي وأثره على التماسك الاجتماعي"، للشرقاوي، نشر على هذا الرابط:https://cutt.us/iucgM

(٥) للاستزادة ينظر:" أدب الحوار مع المخالف في الكتاب والسنة"، لنبيل جداية، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر دور الشريعة والقانون والإعلام في مكافحة الإرهاب، بجامعة الزرقاء لعام٢٠١٦م.

(١) ينظر: التنوع البشري الخلاق، تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية، (ص٥٥).

(٢) مقدمة ابن خلدون، (٣٤١/٢).

(٣) التحرير والتنوير، (٣٣٥/٢٢-٣٣٦).

(٤) مقال بعنوان:" الحوار الثقافي وأثره على التماسك الاجتماعي"، للشرقاوي، نشر على هذا الرابط:https://cutt.us/iucgM

(٥) ينظر: الحوار مع أصحاب الأديان، لأحمد بن سيف الدين، (ص١٧-١٨).

(٦) ينظر: تفسير القاسمي، (١٨٢/٩).

(٧) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (١٩٤/١٢).

وفي ضوء ما سبق فإنَّ الناس في حاجة للعيش، والعمل بسلام عن طريق الاحترام المتبادل بين الثقافات، بعيدًا عن بعض الأفراد الذين يستخدمون التنفير متذرعين بالعادات الاجتماعية، والتقاليد المحلية، والممارسات البغيضة التي لا تستحق إلا الإدانة، بسبب أفكارهم المنحرفة، وأراءهم المتطرفة التي تجعل من المجتمع أرض لصراع الثقافات.

وهذا ما يفعله الركود الثقافي من رفض التنوع والتعددية، وعدم قبول الثروات المتراكمة من الخبرات البشرية، التي يمكن لأي ثقافة أن تستفيد منها، فتكشف خصائصها الذاتية، وسماتها المميزة.

فاحترام التنوع الثقافي في المجتمع له أهمية بالغة في المعاملات داخل الدولة وخارجها، إذ قد تصبح هذه العلاقات مشكلة في طريق تنمية المجتمع وازدهاره، خاصة مع تحول السكان، وتغير أوضاعهم تمسك بعضهم بالسمات الثقافية التي تتجسد في تراثهم لمقاومة ما يعتبرونه مهددا لوحدتهم، وبقاء جماعتهم (٦٧).

يقول محمد علي جبارة: (...إذ يظل بعض الناس أسير لون واحد، أو مدرسة واحدة، أو اتجاه أوحد في التفاعل الثقافي...ولعل التقدير الظرفي الراهن يدعو إلى تعددية المشارب الثقافية في اتزان متناغم ولا يحتمل هذا اللواذ بركن واحد حتى في أدق التخصصات) (٦٨).

وإذا كان الإنسان بطبعه يؤْثِر الاجتماع على العزلة، فينبغي عليه أن يعرف، ويتقن فقه التعامل مع المخالف، حتى يَسْلم من أن يَجْهل، أو يُجهل عليه، والأصل في المسلم معاملة الناس جميعاً بحُسن الأخلاق، فهذا مبدأ شرعي، كما قال النبي ﷺ في وصيته لمعاذ ﵁: (وخالق الناس بخلق حسن) (٦٩)، قال ابن عثيمين: (والمعنى: عاملِ الناس بالأخلاق الحسنة بالقول وبالفعل) (٧٠).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين ثم الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين قائد الغر المحجلين وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد

فمن خلال هذا البحث المصغر والذي كان بعنوان:" **الركود الثقافي وأثره على الفرد والمجتمع دراسة تحليلية نقدية** " توصلت إلى نتائج عدة أهمها:

١. الثقافة عملية صناعة وعي مشترك داخل المجتمعات، وتجاهلها يسبب ركودًا ثقافيًا يمس مواردها البشرية، والمادية فيؤثر على تطورها، وتقدمها.

٢. يراد بالركود الثقافي: الانخفاض الكبير في النشاط الفكري العام في دولة ما، وخلال وقت محدد.

٣. يعد الانعزال الثقافي، والتطرف الفكري من صور الركود الثقافي في المجتمع.

٤. تنوعت أسباب الركود الثقافي في المجتمعات إلى أسباب علمية، واجتماعية، ونفسية.

٥. يساهم الركود الثقافي في تعطيل العقل مما يجعل المجتمع بيئة خصبة لأصحاب الفكر المتطرف.

٦. حاجة البشرية للعيش بأمان، يقوم على الاحترام المتبادل بين الثقافات المختلفة.

٧. التعايش مع الآخر في الشريعة الإسلامية لا يلغي الفارق والاختلاف الديني والثقافي، ولكنه يؤسس لبناء علاقات إنسانية جيدة.

٨. للشريعة الإسلامية مواقف جادة في مواجهة الآثار الخطيرة التي نتجت عن الركود الثقافي.

وكذلك توصيات منها:

١. حث وسائل الإعلام في تفعيل دورهم لتوعية المجتمع حول أهمية التعاون بين مختلف الشعوب ذات الاهتمامات المختلفة، والثقافات المتباينة ليصبح ممّكنا في حدود ما هو مقبول وبناء.

٢. عمل أبحاث تفصيلية في موقف الشريعة الإسلامية من آثار الركود الثقافي في المجتمعات، ونشرها على مستوى عالمي؛ لإبراز جهود علماء المسلمين في مواجهة كل ما يعوق تقدم أوطانهم.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة:

- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، لأبي القاسم سعد الله، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- الإضاءة في أهمية الكتاب والقراءة، لخالد النصار، دار العاصمة، السعودية، ١٤٢١هـ.
- أضواء على التعصب، لأديب إسحاق وآخرون، دار أمواج، بيروت، ١٩٩٣م.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- بين إشكالية التأصيل وواقع التفعيل قراءة في حال الثقافة العلمية العربية، لخضر الشيباني، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ٢٠١٨م.
- التحرير والتنوير، لابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

(٨) ينظر: التنوع البشري الخلاق، تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية، (ص٥٦-٥٧).
(٩) الركود الثقافي محاولة نقدية، (ص٨٠/ع ٢-٣).

(١) رواه الترمذي (حديث رقم١٩٨٧)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس.
(٢) شرح الأربعين النووية، (ص١٩٦).

- التطرف خبز عالمي، لراشد المبارك، دار القلم، دمشق،٢٠٠٦م
- التنوع البشري الخلاق، تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية، نشر المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م.
- شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض، ط٣، ٢٠٠٤م.
- الطريق إلى التفكير المنطقي، لوليم شاتر، ترجمة: عطية محمود هنا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٦١م.
- الطفل ومهارات القراءة، لأحمد العلي، دار الكتاب الحديث، القاهرة،٢٠٠٣م.
- علم النفس الاجتماعي، لحامد زهران، عالم الكتب، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٣م.
- غرامشي وقضايا المجتمع المدني، لجيوفيري نويل سميث، وكينتين هور، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط١.
- فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، لأحمد الأسمر، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٨ م.
- في بعض المفاهيم والأفكار، لشاكر اليساوي، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٦م.
- قبعات التفكير الست، لإدوارد ديبونو، ترجمة: خليل الجيوسي، نشر المجتمع الثقافي، أبو ظبي،٢٠٠١م.
- قراءات في مهارات التفكير، لفيصل يونس، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٩٧م.
- كتاب العين، للفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، مؤسسة دار الهجرة للنشر، إيران، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- المحيط في اللغة، لابن عباد، تحقيق: محمد آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- مختار الصحاح، للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ.
- مشكاة المفاهيم النقد المعرفي والمثاقفة، لمحمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.
- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، نشر مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥م.
- مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، لمحمد السويدي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- مهارات الحياة، لأوسم وصفي، نشر شركة الطباعة المصرية، ٢٠١١م.
- الموافقات، للشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

ثانيًا: الأبحاث المحكمة:

- أثر الركود الاقتصادي في الفقر، لعزة حجازي، مجلة بحوث اقتصادية عربية، القاهرة، العدد٥١، ٢٠١٠م.
- الأزمة الثقافية بالمجتمعات العربية من منظور المفكرين العرب، لحنان بوطورة، بحث منشور في مركز فاعلون، بالجزائر، المجلد ٣، العدد ٢، ٢٠٢٣م.
- الأسس النفسية لتعليم التفكير، لشرفاوي عبو، مجلة دراسات بجامعة طاهري، الجزائر، المجلد٧، العدد١، ٢٠١٨م.
- أصول التربية، لطارق عبد الرؤف عامر، المنشور على:https://2u.pw/VtONLI4
- أهمية الثقافة في تحقيق التنمية المستدامة، لحفصة كوبيبي، مجلة المالية للأسواق، بجامعة عبد الحميد باديس، الجزائر، المجلد٨، العدد٢، ٢٠٢١م.
- تعليم القراءة وتنمية التفكير، لعبد الله الكندري، وسمير صلاح يونس، بحث منشور في المؤتمر العلمي الرابع للجمعية المصرية للقراءة والمعرفة بالقاهرة، المجلد٢، ٢٠٠٤م.
- حقيقة القراءة وآثارها الثقافية، لفاطمة السلاطين، بحث تكميلي بقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٥هـ.
- دور الثقافة في تطوير المجتمع وتوجيهه، لساجدة الوريكات، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد٥٠، نشر ٢٠٢٢م على موقع المجلة www.ajsp.net .
- دور المناهج في تنمية فكر طلاب كلية الشريعة بالجامعة الأردنية لمكافحة التطرف، لقيس المعايطة، مجلة كلية التربية بجامعة الأزهر، العدد١٦٩، المجلد٣٥، ٢٠١٦م.
- الركود الثقافي محاولة نقدية، لمحمد جبارة، مجلة ندوة الطالب بجامعة أم القرى، العدد ١٥، ١٩٩٣م.
- رؤية تربوية للخروج من أزمة التطرف الفكري في المجتمع الفلسطيني بمحافظات غزة، لمحمد آغا، مجلة جامعة الأزهر بغزة، المجلد١٢، العدد٢، ٢٠١٠م.

ثالثًا: المقالات الإلكترونية:

- مقال بعنوان:" الحوار الثقافي وأثره على التماسك الاجتماعي "، لخالد الشرقاوي، نشر على هذا الرابط: https://cutt.us/iucgM
- مقال بعنوان:" أهداف القراءة وعملياتها"، لبدر الحسين، نشر على هذا الرابط:https://2u.pw/5ereKtu
- مقال بعنوان: "ما معنى الركود الثقافي وما علاقته بالتطرف" نشر على هذا الرابط: https://2u.pw/frBJWCs

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

تحديات الإعلام الدعوي ودوره في تنمية الوعي الديني ومواجهة الشائعات دراسة ميدانية من وجهة نظر الإعلاميين والدعاة في المملكة العربية السعودية.

د. علياء بنت علي بن بكر فلمبان

أستاذ مشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية الدعوة وأصول الدين - بجامعة أم القرى.

The challenges of the media and its role in increasing religious awareness and confronting rumours A study from the point of view of media professionals and preachers in the Kingdom of Saudi Arabia.

Dr. Alyaa ali bakur felemban

Associate Professor in the Department of Da'wah and Islamic Culture, College of Da'wah and Fundamentals of Religion -Umm Al-Qura University.

E-mail: Alyaa.uqu@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

الإعلام الدعوي، الوعي الديني، الشائعات.

KEY WORDS:

challenges, advocacy media, religious awareness, rumours.

مستخلص البحث:

طرح البحث أهمية الإعلام وحاجة المجتمعات له، وحاجة الأمة الإسلامية إلى الداعية الإعلامي، وبيّن دور الإعلام في معالجة القضايا المتصلة بالدعوة إلى الله فيما يتعلق بالداعية والمدعو وموضوعات الدعوة والوسائل والأساليب، كما يسلط البحث الضوء على أهمية تنمية الإعلام الدعوي للوازع الديني لدى المسلمين من النواحي: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وكذلك أهمية مواجهة الشائعات والتصدي لها، كما يكشف البحث عن أهم التحديات التي تواجه الإعلام الديني، مع وضع بعض الحلول لهذه التحديات، ومن من أهم تحديات الأعلام الدعوي ، التحدي الذي حصل على أعلى نسبة من (الموافقة بشدة) جاء نصه: وجود منافسات قوية من الإعلام الآخر الذي من شأنه أن يسعى لتغييب الفضائل ونشر الرذائل بأساليب متعددة، ومن أهم الحلول الحل الذي حصل على أعلى نسبة ٩٦,٩٪ جاء في نصه: تنظيم الندوات والمحاضرات والمؤتمرات التي تعني بالجوانب الإعلامية حيث يتم التعاون بين متخصصين في مجال الإعلام ومتخصصين في مجال الدعوة.

ABSTRACT:

The research presented the importance of the media and the need of societies for it, and the need of the Islamic nation for the media preacher, and explained the role of the media in addressing issues related to the call to God with regard to the preacher, the one being called, the topics of the call, and the means and methods. The research also highlights the importance of developing the advocacy media for the religious motives of Muslims, as well as the importance of confronting and confronting rumors. The research also reveals the most important challenges facing the religious media, while developing some solutions to these challenges.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا الأمين، الذي أرسله ربه بالحق هادياً وبشيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، فكشف الغمة، وأزاح عن كاهل البشرية الظلمة.

أما بعد ...

فقد شكّل الإعلام بصورته المعاصرة، وبتعدد مصادره وروافده تطورا خطيرا، ومَلمَحاً عظيما من ملامح هذا العصر، لقدرته على التأثير بما توفر له من وسائل وأساليب تقنية فنية مؤثرة

مشكلة البحث:

يمر الإعلام الإسلامي عامة والإعلام الدعوي خاصة بجملة من التحديات والإشكاليات الإعلامية، والتي كان من المحتم على الدعاة أن يجدوا لها حلولا تساعدهم في نشر الدعوة إلى الله بكل سلاسة عبر هذه الوسائل الإعلامية المختلفة، مواكبين في ذلك التطورات المتسارعة في التكنلوجيا لاستغلالها في تطوير الوسائل والأساليب الدعوية وفق الضوابط الشرعية.

أسئلة البحث:

١. ما المراد بالإعلام الدعوي، وما أهميته في نشر الدعوة إلى الله؟

٢. ما الصلة الوثيقة بين الإعلام الدعوي وأركان الدعوة؟

٣. وما الدور الذي يقوم به الإعلام الدعوي في معالجة قضايا الدعوة المعاصرة؟

٤. ما لطرق المثلى التي يقوم بها الإعلام الدعوي لتنمية الوازع الديني ومواجهة الشائعات؟

٥. ما أبرز التحديات التي تواجه الإعلام الدعوي؟

٦. ما أبرز الحلول لمعالجة التحديات التي تواجه الإعلام الدعوي؟

أهمية الدراسة:

لوسائل الإعلام والاتصال أهمية كبيرة في نشر الدعوة الإسلامية، لأنها تمنحها سرعة أكبر في الذيوع والانتشار والإيصال، فالإعلام بالدعوة الإسلامية من خلال وسائل الاتصال الجماهيري أمر مطلوب شرعاً، ونشر الدعوة الإسلامية يعد لبّا من لباب الدعوة، وجزءاً هاماً من أجزائها، بما في ذلك تطويع التكنلوجيا لنشر الكلمة الطيبة، ودفع الباطل والشائعات المغرضة، والإسهام في معالجة القضايا الدعوية المختلفة، وتنمية الوعي الديني، بشتى الوسائل والأساليب المتماشية مع تطورات العصر المتسارعة.

أهداف الدراسة:

١. تسليط الضوء على مفهوم الإعلام والدعوة، وبيان أهميته في نشر الدعوة إلى الله.

٢. بيان الصلة الوثيقة بين الإعلام الدعوي وأركان الدعوة

٣. توعية المجتمع بأهمية الإعلام في معالجة القضايا الدعوية والمستجدات المعاصرة.

٤. إبراز وظيفة الإعلام الإسلامي وجهوده في تنمية الوعي الديني.

٥. دور وسائل الإعلام في مواجهة الشائعات ودحضها.

٦. بيان أبرز التحديات التي تواجه الإعلام الإسلامي وإيجاد الحلول لهذه التحديات.

مجتمع الدراسة:

الإعلاميين والدعاة.

الدراسات السابقة:

١. مفهوم التفاعل الدعوي عبر الإعلام الجديد، معاذ إبراهيم عتيلي، محمد أشعري، كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية ٢٠١٢م: يتحدث البحث عن تصور مقترح لأسس التفاعل الدعوي عبر مواقع الانترنت، والشبكات الاجتماعية، والعقبات التي تعترض التفاعل في الدعوة عبر المواقع الالكترونية.

٢. تحديات الإعلام الدعوي في ظل العولمة، دراسة نظرية، سعد بكوش، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الوادي بالجزائر، ٢٠١٤م: يتناول البحث دراسة نظرية لموضوع الإعلام الدعوي من حيث الأهمية والمفهوم والماهية، والأسس والضوابط، بالإضافة إلى وسائله قديما وحديثا.

منهج البحث:

المنهج التحليلي، وذلك بتحليل أداة الاستبيان.

التمهيد:

أولا: الإعلام لغة:

مصدر من "أَعْلَمَ" المزيد بالهمزة، لإفادة التعدية، والأصل "عَلِمَ"، الذي يدل على أثر في الشيء يميزه عن غيره، ومن ذلك أُخذت العلامة، والإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم(١).

الإعلام اصطلاحا:

يقول د. إبراهيم إمام: (أنه تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة، التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، ١٠٩/٤ (مادة أعلم)، وانظر: معجم ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، ص٥٠٩.

المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجمهور واتجاهاته وميوله)(٢).

الدعوة لغة:

الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، دعوت فلانا: أي صحت به واستدعيته، والدعوة: المرة الواحدة، ومنه الدعاء: وهو الرغبة إلى الله، وادّعى كذا: زعم أن له حقا أو باطلا، والاسم منه الدعوة، ودعا الرجل دعوا ودعاءً: ناداه، والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، وأُدخلت الهاء فيه للمبالغة (٣).

الدعوة اصطلاحا:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه)(٤).

الإعلام الدعوي:

كل ما يوجهه الإعلام بأي صورة من صوره مكتوبة أو مرئية أو مسموعة، بهدف التعريف بالإسلام وأحكامه ومقتضياته، وتذكير الناس بشعائره ومبادئه، والدفاع عن قضاياه وثوابته، وفق منهج وسطي معتدل.

ثانيا: أهمية الإعلام ودوره في نشر الدعوة:

لا يخفى على كل ذي لب وبصيرة تقدم وسائل الإعلام بطريقة هائلة، حيث أصبح الخبر يُنقل مكتوبا أو مسموعا أو مرئيا في لمح البصر، من أقصى العالم إلى أقصاه، بطرائق وأساليب أكثر احترافية من ذي قبل، تجذب الجمهور وتستميل عواطفهم، وتتحكم صيغة الخبر في تكوين الرأي العام للمجتمع(٥)، ومن هنا بزغت أهمية الإعلام في الدعوة إلى الله والتي تتجلى من خلال النقاط التالية:

١. حاجة الدعوة الإسلامية إلى وسيلة حيوية ومتجددة تتماشى مع تطورات العصر، لتحقيق المراد من التبليغ والتأثير، كوسائل الإعلام باختلاف أنواعها، فالإعلام الدعوي في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم على وسائل تتناسب مع عصرهم وهي المتاحة لديهم، ولا يعني ذلك أن نقف عند تلك الوسائل القديمة فقط ولا نجددها، بل يتحتم على رجال الدعوة مسايرة تطورات كل عصر، واستثمار الوسائل المتاحة في كل عصر.

٢. حاجة المجتمعات عامة، والمجتمعات الإسلامية خاصة إلى إنقاذها من التردي والضياع، والتفلّت الديني، والتدهور الأخلاقي، الذي نراه مستفحلا يوما بعد يوم، ووسائل الإعلام متمثلة في الإعلاميين والدعاة هم خير من يوجّه ويثقف وينشر الدعوة الإسلامية الأصيلة، وينمي الوازع الديني على مستوى الأفراد والجماعات.

ومن الخطأ أن نعزل أنفسنا، وينأى أهل الدعوة بأنفسهم عن وسائل الاتصال الجماهيرية، بل لابد أن نعيد النظر إذا أردنا أن نصل إلى المدعوين الحقيقيين المعنيين بأمر الدعوة، ذلك ببساطة لأننا لا ندركهم في المساجد ولا حلقات القرآن ولا معاهد الفكر الإسلامي، وإنما نجدهم حيث توجد قنوات الاتصال الحديثة(٦).

٣. حاجة الإعلام عامة، والإعلام الإسلامي خاصة إلى برامج ومواد تزاحم المواد السخيفة، وبرامج التسلية الهابطة التي تبث على مدار الساعة، إذ أن من مآسي وسائل الإعلام في عصرنا أنها لا تستورد إلا التافه من الأمور، فهي تحتاج إلى تقويم واستثمار لنشر الدعوة الإسلامية.

المبحث الأول: دور الإعلام في معالجة القضايا الدعوية.

في عصرنا الحاضر أصبحت وسائل الإعلام هي مركز الظهور والهيمنة لدى غالب أفراد المجتمع على اختلاف فئاتهم العمرية.

وفي الآونة الأخيرة شهدت تلك القنوات تغيرات حادة ومتسارعة ارتقت ببعضها إلى الأفضل، وهوت بالبعض الآخر إلى الحضيض، كما ظهرت في الساحة وسائل إعلامية دعوية متخصصة، ترتكز أهدافها على الدعوة إلى الله تعالى، ونبذ كل ما يضاد الشريعة الإسلامية السمحة، وتسلِّط الضوء على القضايا الدعوية المعاصرة، وتحاول إيجاد حلولٍ لها، وبطبيعة الحال فإن هذا النوع من الإعلام له إطار خاص يتميز به عن غيره، كما أن له ضوابط تحكم له الممارسات الفعلية الإعلامية.

ومن هنا تحتم تسليط الضوء، على الصلة الوثيقة بين الإعلام الدعوي وأركان الدعوة، وتظهر هذه الصلة من خلال دور الإعلام في معالجة القضايا الدعوية المتعلقة بأركان الدعوة الأربع: الداعية، المدعو، موضوعات الدعوة، الوسائل

---

(٢) أصول الإعلام الإسلامي، د. إبراهيم إمام، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٠٥ه، ص١٤.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢٧٩/٢. (مادة دعا)، وانظر: الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ، ٢٣٣٧/٦، (مادة دعا)، وانظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ، ٣٢٧/٤، (مادة الدعاء)، وانظر: لسان العرب لابن منظور، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ٩٨٦/١، (مادة دعا).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ، ١٥٧/١٥-١٥٨.

(٥) الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، د. عبد الوهاب كحيل، مطابع عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٦٧.

(٦) انظر: الإعلام والدعوة، د. عوض إبراهيم عوض، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٨م، ص١٥٠.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

والأساليب، ومن ثمّ كان ذلك في مطلبين أساسيين في هذا المبحث:

المطلب الأول: دور الإعلام في معالجة القضايا المتعلقة بالداعية والمدعو.

أولا: دور الإعلام في معالجة القضايا المتعلقة بالداعية: إذا افترضنا ان الإعلام وسيلة مهمة من وسائل الدعوة فإن القائم بالإعلام يقوم مقام الداعية، حيث أن كليهما يتعامل مع جماهير الناس مما يقتضي تحليهما ببعض الصفات الدقيقة والمهمة، ويتجلى دور الإعلام في معالجة قضايا الداعية من خلال:

١. الاهتمام بإعداد الداعية الإعلامي إعداداً جيدا، يبدأ من عقيدته الصافية، لأنه إذا تمكنت العقيدة من رجل الإعلام الداعية فإنها ستكون المعيار الذي يحتكم إليه في تفكيره، كما أن العقيدة إذا استقرت في قلب الداعية الإعلامي، فستملأ قلبه جرأة وحماسةً للإعلام بالإسلام والدعوة إليه، وسيوصل هذه المعاني الدقيقة لجمهور المدعوين بكل حب وإقدام[٧].

٢. التركيز على الإعداد العلمي الشرعي للإعلامي والداعية، ونقصد به تهيئة الداعية الإعلامي علميا، إذ أن من أسباب فشل الدعوة أن يدعو الداعية إلى الله عن جهل، فيحرم حلالا ويحلل حراما، والإعداد العلمي الجيد ينعكس أثره على نجاح الداعية وعلى ثقافته وطريقة تفكيره.

٣. تهذيب نفس الداعية الإعلامي بالعبادات، وغرس أهميتها في حياته، بحيث تصحح سلوكياته، وتجعله إنسانا مهذبا موازنا بين متطلبات الروح والجسد، مقبلا على العبادة محبا لها، مقنعاً المدعوين بأهميتها في حياتهم كمسلمين[٨]

إذ أن العبادة هي الهدف الأسمى الذي خلق الله الخلق لأجله، **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** سورة الذاريات (٥٦).

٤. تحلي الداعية الإعلامي بالأخلاق الرفيعة حتى يستطيع أن يؤثر في المدعوين، وتجد دعوته صدى في أوساطهم، لقول الحق تبارك وتعالى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}** سورة آل عمران (١٥٩) ، وليكون أيضا قدوة لهم في حسن أخلاقه.

٥. إكساب الداعية الإعلامي مهارات متعددة كمهارة الحوار الجيد، وحسن الإنصات، والإلقاء، وسرعة البديهة، وفن الردود، وغيرها من المهارات، بحيث يتعامل بحذق وفطنة مع جمهوره الكبير، ويُعامل كل فئة بما يناسبها من أسلوب ومهارة، تارة بالحكمة، وتارة بالموعظة الحسنة، وتارة بالجدال بالتي هي أحسن، يقول الحق تبارك وتعالى: **{ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** سورة النحل (١٢٥)

٦. اتباع منهج الوسطية والاعتدال في الطرح، والبعد عن الغلو والتطرف، **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}** سورة البقرة (١٤٣)، فالداعية الإعلامي يطوّع هذا المنبر المهم ويجعله مكانا للتصدي لهذه الأفكار التي يُلصقها البعض بالإسلام، والدعاة الإعلاميون هم أقدر الناس للتأثير في الجماهير من جهتين:

الأولى: أن يكونوا قدوة لغيرهم، ويجعلون الوسطية منهجا لهم، الثانية: أن يؤثروا من خلال هذه الوسائل في الجماهير للتصدي للخطاب الديني المتطرف.

ثانيا: دور الإعلام في معالجة القضايا المتعلقة بالمدعو: نقصد بالمدعو هنا أي جمهور الإعلام، وعادة ما يكون هذا الجمهور مختلف ومتباين ما بين صغير وكبير، وغني وفقير، وعاطفي وعقلاني، ومتعام وجاهل.. وغيرها من المفارقات، مما يجعل المسئولية كبيرة على الإعلام في مخاطبة الجماهير المتباينة كلٌّ بما يناسبه.

ويتجلى دور الإعلام في معالجة قضايا المدعو من خلال:

١. تنظيم حياة المدعوين على أسس سليمة مستمدة من الدين الإسلامي والعقيدة الصافية، إذ أن من أهم وظائف الإعلام تعليم الناس الأخلاق الإسلامية، وبث القيم والعادات والتقاليد والمبادئ الإسلامية الصحيحة الأصيلة المنبثقة من عقيدتهم الغراء، تلك المبادئ التي تسعد الناس جميعا في حياتهم، وتؤدي إلى نشر الأمن والسلام والسعادة بين البشر[٩].

٢. مراعاة أحوال المدعوين، حيث أن بيئة المدعوين في الإعلام على جانبين: الأول: بيئته الأصلية في مجتمعه، والثاني: بيئته الالكترونية خلف الشاشة أو في مواقع التواصل الاجتماعي، ومن المهم مراعاة كلا الجانبين عند الدعوة إلى الله، فنراعي الناحية العقدية أو العلمية أو المادية أو الاجتماعية، ومن ثمّ مراعاة حسن عرض الدعوة بما يناسب كل فئة، وكثيرا ما باءت الجهود الدعوية بالفشل بسبب سوء عرض الدعوة في الإعلام، وعدم مراعاة أحوال المدعوين المناسبة لهم[١٠].

٣. إرضاء أذواق واهتمامات المدعوين المختلفة بالتنويع بين البرامج، واستثمار بعض البرامج التي يميل لها أغلب جمهور الإعلام لعرض الدعوة الإسلامية فيها بطريقة غير مباشرة، فمثلا برامج التسلية والترفيه لها النصيب الوافر من اهتمامات جمهور الإعلام مرئيا كان أو مسموعا أو مقروءا،

---

[٧] انظر: مقومات رجل الإعلام الإسلامي، تيسير محجوب الفتياني، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص١٠٤.
[٨] المرجع السابق ص ١٢٦.
[٩] انظر: الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، د. عبد الوهاب كحيل، ص٩٦.
[١٠] انظر: الدعوة إلى الله في المواقع النسائية في شبكة المعلومات العالمية، د. لولوة بنت سليمان الغنام، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص١٣٤،١٣٣.

لذا كان من دور الإعلام الإسلامي أن يزاحم تلك البرامج مع ما يتوافق مع قيمنا وأخلاقنا وعقيدتنا.

٤. من المدعوين فئة غير المسلمين، كالملحدين وأهل الكتاب والمشركين وغيرهم، فيُراعي الإعلام طرح الدعوة الإسلامية وعرضها عرضا محببا، مسلطا الضوء على مميزات الدين الإسلامي، مع وجوب احترام الديانات المختلفة وعدم مهاجمتها أو سبها أو تجريح أهلها.

المطلب الثاني: دور الإعلام في معالجة القضايا المتعلقة بموضوعات الدعوة والوسائل والأساليب.

أولا: دور الإعلام في معالجة القضايا المتعلقة بموضوعات الدعوة: نقصد بموضوعات الدعوة أهم المضامين التي يقدمها الإعلام للجمهور، وهي لا تخرج عن ثلاثة مضامين مهمة وشاملة ووافية لكل ما يحتاجه المسلم في أمور دينه ودنياه: مسائل العقيدة، أحكام الشريعة، مكارم الأخلاق، وبيانها وتفصيلها كالآتي:

١. من أهم مضامين الإعلام: التنبيه لأهمية العقيدة الإسلامية، حيث أن المتأمل في الواقع المعاصر اليوم يلحظ احتياج الناس إلى تصحيح مسارهم، وتخليصهم مما علق بعقائدهم من شرك وبدع وخرافات وأوهام وضلالات، لا سيما وأن بعض المربين قد تعاملوا مع العقيدة على أنها من موروثات الآباء والأجداد ولا حاجة لغرسها مجددا في نفوس الأبناء وتجلية ما يشوبها من شوائب، وعلى صعيد آخر، نجد أن فئة أخرى قد تأثرت بالنزعة المادية والإلحادية، والمذاهب والتيارات الفكرية المنحرفة، والأنظمة الرافضة للأديان السماوية، فكان على الإعلام أن يبين فشل هذه المذاهب والنظريات في وضع حلول للمشكلات والنكبات التي يعاني منها العالم اليوم، لأن الاتجاهات من صنع البشر ويغلب عليها النقص والزلل.

٢. أمر الله باتباع شريعته، **{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** سورة الجاثية (١٨)، وكثير من المسلمين اليوم يجهلون شرائعهم، أو يحرفونها، أو يجهلون مقاصدها، أو يحرفون مصادرها الأصلية، والإعلام خير وسيلة لإجلاء الصورة الصحيحة للشرائع الإسلامية، يقول أبو إسحاق الشاطبي: (إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا، وإن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق)[١١].

٣. الأخلاق من شأنها أن ترفع قوما وتخفض آخرين، لذلك كان من أعظم مهام الإعلام نشر السلوك القويم، والقيم الإسلامية الرافعة، فهي جزء لا يتجزأ من العقيدة والشريعة، بل أن الشريعة الإسلامية الغراء تدعو إلى تزكية النفوس وتطهيرها، والمجتمع اليوم بحاجة إلى أن التذكير بأهمية الأخلاق الفاضلة.

ثانيا: دور الإعلام في معالجة القضايا المتعلقة بالوسائل والأساليب: الإعلام مؤهل دائما لتطوير وسائله وأساليبه وفنونه بحيث تكون مؤثرة وأكثر فاعلية، وعندما يكون هذا الإعلام مهتما بعرض الدعوة الإسلامية فحينئذ يجب يكون الأمر مؤطرا بإطار الشريعة، ووفق الضوابط الإسلامية، هذا التطوير في الوسائل والأساليب مدعاة لقبول الدعوة عند المدعوين، وتأثيرها في نفوسهم، ويتحقق دور الإعلام في قضايا الدعوة المتعلقة بجانب الوسائل والأساليب في الآتي:

١. تنويع الأساليب الفنية لتقديم الدعوة الإسلامية، لأن هذا من شأنه أن يؤثر في مختلف شرائح المجتمع، ولنا في المنهج القرآني والنبوي الشريف أسوة حسنة، فلم يترك أسلوبا إلا وانتهجه رجاء هداية القوم، وقد وجه القرآن إلى سلوك هذه الأساليب الفنية في القرآن الكريم، قال تعالى: **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** سورة النحل (١٢٥)

٢. عرض الدعوة الإسلامية في شتى الوسائل المختلفة، مثل الصحافة والإذاعة والتلفاز والمسرح والمواقع الالكترونية وشبكات التواصل الاجتماعية، لأن لكل وسيلة من هذه الوسائل جمهورها المستقل الذي يتابعها.

٣. الاستفادة من معطيات العصر الحاضر، وتقنياته واتصالاته، ونتاجه المتعدد، وانتقاء المفيد من ذلك في مواكبة العصر ومستجداته، مع مراعاة انضباط هذه الوسائل والأساليب بالضوابط الشرعية.

٤. مراعاة المصالح والمفاسد في استخدام الوسائل والأساليب أثناء عرض الدعوة الإسلامية، فيجب ألا تترتب مفسدة على استخدام الوسيلة أو الأسلوب، أكثر من المصلحة التي كان يُراد تحقيقها، فإذا أدت إلى مفسدة انتفت الفائدة المرجوة منها، وأصبحت هي بنفسها وسيلة إفساد، ومن ذلك قوله تعالى: **{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}** سورة الأنعام (١٠٨)، يقول الشيخ السعدي_رحمه الله_: (في الآية دليل للقاعدة الشرعية وهي: أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم وإن كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضي إلى الشر)[١٢].

المبحث الثاني: دور الإعلام في تنمية الوعي الديني، ومواجهة الشائعات.

بما أن الإعلام هو نشر الحقائق والآراء بطريقة موضوعية، فإن له أهدافا كثيرة منها: الإخبار، والتثقيف، والتنوير، والإرشاد، والدعوة، وبالتالي فإنه يجب أن يكون كل ما

---

(١١) الموافقات فيث أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: الشيخ عبد الله درّاز، دار المعرفة، بيروت، ٦/٢-٨.

(١٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٢٦٨.

يصدر عن أجهزة الإعلام في الدول الإسلامية مليئا بالمنهج الإسلامي قلباً وقالباً، وتنمية الوعي الديني، ومواجهة الشائعات، هو اتباع للمنهج الإسلامي القويم(١٣).

ويتضح دور الإعلام الدعوي في تنمية الوعي الديني ومواجهة الشائعات في مطلبين هما:

المطلب الأول: دور الإعلام في تنمية الوعي الديني.

من أبرز خصائص الإعلام الدعوي، أنه إعلام هادف يهدف إلى تحقيق الخير للمجتمع الإنساني عامة، وللمجتمع الإسلامي خاصة، ولذلك فإن المادة الإعلامية فيه لا بد وأن تكون هادفة إلى تحقيق غاية إنسانية صالحة، لا أن تكون مجرد عرض لفكرٍ فاسد، أو أن تكون مجرد لغو لا يضر ولا ينفع(١٤).

والإعلام الدعوي القويم يعني بتأصيل الدين في أبناء المجتمع، ويجسد لهم القيم السامية، ويتخذ من هذه القيم معايير لأحكامه السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وتبنى شخصية الفرد من خلال ترسيخ هذه القيم في النفوس، ومن ثم يزيد الوعي الديني في المجتمع، فيصبح مجتمعا مثاليا، تقل فيه الجرائم، ويعمه السلام والرخاء والأمان١٥.

وهكذا نجد أن الإعلام الدعوي يجب أن يُطوّع لخدمة الدين بنشر الوعي الديني في شتى مجالات الحياة:

١. **المجال الاجتماعي:** إن المتأمل لأحوال المجتمعات الإنسانية في القديم والحديث يلاحظ عليها صفة مشتركة، هي صفة التغير الذي يصيبه من خلال سلوك أفراده وأحوالهم، فما يستقر في المجتمع في وقت من الأوقات لا تجده في نفس المجتمع في فترة زمنية لا حقة أو سابقة، هذه الظاهرة هي ما سماها علماء الاجتماع بالتغير الاجتماعي(١٦).

هذا التغير الاجتماعي يتأثر تأثرا كبيرا بالإعلام المرئي أو المسموع أو المقروء، وهذا ليس بالأمر السيء، لأننا كمسلمين واعين نطالب بالتغيير، يقول الحق تبارك وتعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** سورة الرعد (١١)، فالتغيير ليس من علامات الضعف أو النقص، إنما هو قانون الحياة، والدين الإسلامي يقر التغيير في المجتمعات كحقيقة واقعية لا مناص منها، على أن يكون هذا التغيير للأفضل، بحيث تتبنى هذه الوسائل توجيه المجتمعات لما فيه خير لها، مثل:

- ربط الدين بواقع الحياة الاجتماعية، بحيث يعيش المسلمون في مجتمع واعٍ بأوامر الدين القويم، ويجعلون هذا الدين منهاج حياتهم في جميع شئونهم الاجتماعية، كمعاملات الزواج، وتربية الأبناء، وتنظيم علاقات المسلم بأخيه المسلم.

- غرس القيم والفضائل والآداب الإسلامية في نفوس أبناء المجتمع، والتأكيد على أن الإسلام قد سبق المجتمعات الغربية في هذه الفضائل، إذ هي من صلب دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول عيه الصلاة والسلام: **(إِنّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ)**(١٧).

- الإسهام في تحقيق أهداف خطط التنمية الاجتماعية، وفي إحدى الدراسات تخير الباحث مجموعة من الاتجاهات المرتبطة بخطط التنمية،(١٨) تشتمل قيم الولاء والانتماء، وتأييد التعليم الفني، وأوجه الإنفاق وأنماط الاستهلاك، وقيم الاعتماد على الذات وتطويرها، وتوصل إلى أن وسائل الإعلام تُحدث تأثيرا إيجابيا في دعم ومساندة هذه الاتجاهات الاجتماعية التي تسهم في تحقيق أهداف التنمية.

٢. **المجال السياسي:** تؤثر وسائل الإعلام تأثيرا جوهريا بارزا على تكوين الرأي العام في مختلف الظروف والأوضاع والمشاكل السياسية، وتشكيل اتجاهاته، أو تغيره حسب النظام السياسي.

والإسلام قد رسم للأمة الإسلامية منهجاً واضحاً بيّناً في كثير من الشئون السياسية، كالعلاقة بين الراعي والرعية، وحقوق وواجبات كلا منهما، وكذلك العلاقات السلمية والحربية بين الدول والشعوب، وغير ذلك مما تشمله السياسة الشرعية الأصيلة، لأجل ذلك كان لوسائل الإعلام أن تتبنى تثقيف المسلمين بتفاصيل السياسة الشرعية وفقا لمنهج الدين الإسلامي الحنيف، الذي يتسم بالوسطية والعدالة والوضوح، ومن طرق تنمية الوعي الديني في المجال السياسي:

- نشر قيم المرونة والسعة والوسطية والعدالة والرحمة كمعايير للأحكام السياسية التي تميزت بها السياسة الشرعية، وإقامة هذه المعايير على أساس قوي من التوحيد والانصياع لله وحده جل في علاه، ثم الطاعة التامة لولي الأمر لأنها مقرونة بطاعة الله ورسوله، يقول الحق تبارك وتعالى: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ}** سورة النساء (٥٩).

---

(١٣) انظر: الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، د. عبد الوهاب كحيل، ٢٢٠-٢٢١.

(١٤) انظر: أثر الإعلام المعاصر في العقيدة والتربية والسلوك، محيي الدين خير الله العوير، دار النهضة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٢٤.

(١٥) انظر: أصول الإعلام الإسلامي، د. إبراهيم إمام، ص٤٦-٤٧.

(١٦) انظر: التلفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية، د. سعيد بن مبارك آل زعير، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ص٢٣.

(١٧) حديث صحيح، أخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم (٢٧٣)، (١١٨/١) باب حسن الخلق، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٥/١): حديث صحيح، الأدب المفرد للإمام البخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٨) انظر: التلفزيون وقضايا التغير الاجتماعي في المجتمع السعودي، دراسة تطبيقية على عينة من الأسر السعودية والعاملين بمركز تلفزيون جدة، د. شريقي الجابري، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص١٤٢.

- مطالبة الشعوب للعودة إلى المنهج الإسلامي القويم في معالجة المشكلات والأزمات السياسية، لأنه منهج يلتزم بالعدل والميزان القسط مهما اختلفت الظروف والأحوال.

٣. المجال الاقتصادي: من الأمور التي أضحت لنا اعتيادية هو ترويج وسائل الإعلام لسلع لا يحتاجها الناس، أو تلميعها ورفع مستواها لمرتبة لا ترتقي لها السلعة، كل ذلك تحت مسمى الدعاية والإعلان، وكان لذلك تأثير بالغ في إهدار الأموال، وعدم تقنين الاستهلاك، من هذا المنطلق كان لزاما على وسائل الإعلام أن توجه البوصلة نحو ما فيه ارتقاء للاقتصاد الإسلامي وفق الضوابط الشرعية الأصيلة، المنبثقة من جملة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في رسم طريق واضح للاقتصاد الإسلامي، من تلك الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: **(لا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَناجَشُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا)**(١٩)، إذ بين صلى الله عليه وسلم أن علاقة الأخوة الدينية المؤطرة بإطار أخلاقي ينبغي أن تُستحضر عند المعاملات الاقتصادية من بيع وشراء.

ومن طرق تنمية الوعي الديني في المجال الاقتصادي:

- مناقشة الحالات والقضايا والتحليلات الاقتصادية من خلال وجهة نظر الإسلام، ووضع حلول للمشكلات والأزمات الاقتصادية مستقاة من الشريعة الإسلامية، وتذكير المسلمين بأهم أسس تحسين الاقتصاد، كالتذكير بدفع الزكاة، يقول الحق تبارك وتعالى: **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا}** سورة التوبة (١٠٣).

- الإعلام بالأمور المحرمة والتي من شأنها أن تؤثر سلبا في اقتصاد البلاد، كتحريم الخمور والمخدرات وكل ما من شأنه أن يضر بالمسلم اقتصاديا، ويكون سببا في إهدار المال، وعلى الإعلاميين اختيار الوسائل المناسبة والأساليب المناسبة للإعلام بالمنع والتحريم، ولنا في الشريعة الإسلامية أسوة حسنة، حين أَعلَمَ المسلمين بتحريم الخمر بأسلوب متدرج يُراعي النفوس الضعيفة التي كانت متشربة بحب الخمر، فلما نزل التحريم الكلي للخمر، كان لكلمة (فاجتنبوه) الواردة في قوله تعالى: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** سورة المائدة (٩٠)، كان لهذه الكلمة البسيطة أثر السحر في انصياع المسلمين ووقوفهم عند حدود التحريم.

- دعم المشاريع الصغيرة، ومساندة أصحاب الصناعات البسيطة، على أن يتوخى الإعلامي الحذر من أن يقع في شراك التدليس، والإعلانات المضللة، وما يتبع ذلك من غبن المستفيد، واستنزافه اقتصاديا.

المطلب الثاني: دور الإعلام في مواجهة الشائعات.

تلعب الشائعات دورا كبيرا في تكوين الرأي العام في قضية ما، ويلعب الإعلام بشتى وسائله دورا لا بأس به في الترويج لهذه الشائعات بطريقة مقصودة، أو بغير قصد، كما تعمل الشائعة على تبعا لنشرها على نشر البلبلة بين الناس، وخلق نوع من الذعر أو الصدمة أو الذهول أو الارتباك لا سيما في أوقات الأزمات، وحينها لا يمكن دحض هذه الشائعات ومحاربتها إلا بنفس السلاح، وهو سلاح الإعلام، أي بنشر المعلومات الصحيحة التي تزيل الغموض وتوضح الحقائق(٢٠).

وفي أزمة كورونا التي مر بها العالم أجمع، ازداد خطر الشائعات بسبب سرعة انتشارها بين البشر، في ظل وسائل الإعلام والتقنيات الحديثة، إذ أصبح زر الإرسال هو الفاصل بين المتلقي والمرسل، فلا حواجز تمنع ذيوع هذه الشائعات، حيث كان دورها الرئيسي هو تفكيك المجتمعات، وزرع الخوف بين الناس، ومهما كان الفرد منطقيا وحريصا على عدم تصديق هذه الشائعات، إلا أن وسائل الإعلام لها تأثير على الشائعات، حيث تُنشَر الشائعات فيها مقرونة بحقائق مزيفة، حتى وصلت لدرجة أنها تنقلها عبر المقاطع المصورة، فتكون أقرب للحقيقة(٢١).

ومن أسوأ الشائعات: الشائعات الدينية، والفتاوى المكذوبة، والأحاديث الموضوعة، وقد انتشرت مع سهولة النشر في مواقع التواصل الاجتماعية وغيرها، وبعض هذه الفتاوى يراد من نشرها إثارة الرأي العام، وزعزعة الثوابت الدينية لدى أفراد الأمة الإسلامية.

لذا كمان من المحتم على الإعلام الدعوي أن يقوم بدوره الإيجابي تجاه هذه الشائعات، استنادا لقول الحق تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}** سورة الحجرات (٦)، وهذا الدور الإعلامي يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

١. تثبت رجال الإعلام الإسلامي من مصادر الشائعة قدر الإمكان، حتى يتمكنوا من تفنيدها عن علم وقوة.

٢. السرعة في الرد على الشائعة عبر وسائل الإعلام المختلفة، لأن التأخر في نفيها يعني إثباتها وتأكيدها، ويكون ذلك بأساليب لبقة وغير مباشرة، ودون ذكر موضوع الشائعة الأصلي، ودون ذكر مصدرها، أو الكشف عن مروجيها.

٣. يجب أن تستعين وسائل الإعلام في الرد على الشائعة وتكذيبها ونفيها، بشخصيات مسئولة تتسم بالمصداقية لدى الجمهور، وتكون لها علاقة بتخصص الشائعة.

---

(١٩) رواه مسلم في صحيحه، حديث رقم (٢٥٦٣)، (٤/٩٨٣)، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢٠) انظر: الشائعات في المواقع الإخبارية الأردنية وتأثيرها في نشر الأخبار من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، أ. رضا عيد حمودة إكحيل، رسالة ماجستير من قسم الإعلام بكلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، ص ٤٦.

(٢١) انظر: مقال بعنوان: شائعات كورونا تفكك المجتمعات، أ. سلطان حميد الجسمي، مقال منشور في جريدة الخليج الالكترونية، السبت ٣ ربيع الأول ١٤٤٣هـ، الموافق ٩ أكتوبر ٢٠٢١م.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

٤. التحقق قبل نشر الأخبار، ونشر الأخبار الدقيقة والموضوعية والشاملة، فالشائعات تنتشر إذا فُقِد الخبر، وتموت بظهور الخبر اليقين.

٥. الاهتمام بإنشاء مركز للسيطرة على الشائعات، وظيفته البحث عن الشائعات الإعلامية، وتفنيدها، والبحث عن مصادرها ومروجيها، ونفيها على أساس علمي مدروس(٢٢).

٦. معاقبة الجهة المسؤولة كل من يقوم بنشر الشائعات، وتطبيق القوانين الصارمة، وعدم التساهل في إيقاعها، حتى يتم ردع كل من تسول له نفسه نشر الشائعات عبر أي وسيلة من وسائل الإعلام، وإعلان العقوبة على نفس الوسيلة الإعلامية التي تم نشر الشائعة بها.

٧. تعزيز الوعي الديني، وبناء حصانة دينية قوية، وذلك بنشر الدين الوسطي الصحيح، دفعا للشائعات الدينية والأحاديث الموضوعة، والفتاوى المغلوطة، التي من شانها أن تشوّه سمعة الدين الإسلامي المعتدل.

المبحث الثالث: تحديات الإعلام الإسلامي، وسبل العلاج. (الدراسة الميدانية)

إجراءات الدراسة الميدانية:

١. تم إنشاء الاستبانة استنادا على هدف الدراسة الوارد ذكره في الجانب النظري، والذي ينص على: بيان أبرز التحديات التي تواجه الإعلام الإسلامي وإيجاد الحلول لهذه التحديات.

٢. الهدف من إنشاء الاستبانة: رصد واقع التحديات من وجهة نظر فئتي: الإعلاميين والدعاة، لأنهما الفئتين المعنيتين بالدراسة.

٣. تم تحديد عينة الدراسة، وتشمل: فئتي الإعلاميين والدعويين، وقد أجاب على الاستبانة ٦٠٪ من الدعاة، و٤٠٪ من الإعلاميين.

٤. تم تحديد حدود الدراسة الزمانية والمكانية: أما الزمانية فهي عام ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠٢١م، والمكانية مدينة مكة المكرمة.

٥. تم الجمع بين الأسئلة المغلقة التي تتطلب إجابة واحدة محددة، وبين الأسئلة المفتوحة التي تترك للمجيبين حرية التعبير من خلال مساحة حرة.

٦. تم تقسيم الاستبانة إلى ثلاثة أقسام: البيانات الأولية، المحور الأول: تحديات الإعلام الإسلامي، المحور الثاني: حلول لهذه التحديات، أو سبل للعلاج.

٧. تم التأكد من صحة سير تصميم الاستبانة وعرضها على اثنين من المحكمين الأفاضل[٢٣]، كما تم التأكد من الوقت المطلوب من المجيب لتعبئة الاستبانة خلال ٣ دقائق.

٨. تم توزيع الاستبانة في صورتها النهائية على ١٣٠ إعلاميا وداعية، كما تم تحليلها والتعليق عليها.

وفيما يلي تحلي محاور الاستبانة والتعليق عليها:

المطلب الأول: تحديات الإعلام الدعوي. (نتائج الدراسة الميدانية)

المحور الأول: أبرز تحديات الإعلام الدعوي من وجهة نظرك هي:

م	العبارة	أوافق		أوافق بشدة		أرفض		أرفض بشدة	
		التكرار	النسب	التكرار	النسب	التكرار	النسب	التكرار	النسب
١	ضعف استثمار الدعاة لوسائل الإعلام الحديثة في نشر الدعوة وتنمية الوازع الديني.	٧١	٪٥٢,٢	٣٥	٪٢٥,٧	٢٠	٪١٤,٧	١٠	٪٧,٤
٢	الطريقة الرتيبة والبرامج والكتب التقليدية المملة لعرض الموضوعات الدينية.	٦٨	٪٥٠	٤٢	٪٣٠,٩	١٦	٪١١,٨	١٠	٪٧,٤
٣	الصراع الإعلامي بين الدعاة والإعلاميين وعدم الاستفادة من بعضهم، وتوحيد جهودهم لخدمة الدين.	٤٨	٪٣٥,٣	٦٧	٪٤٩,٣	١٦	٪١١,٨	٥	٪٣,٧
٤	شيوع ظاهرة انفصال العلم عن العمل، والفكرة عن التطبيق عند كثير ممن يعتلون المنابر الإعلامية للدعوة.	٦٠	٪٤٤,١	٤٥	٪٣٣,١	٢٤	٪١٧,٦	٧	٪٥,١
٥	نقص الكوادر المدربة في تأصيل الإعلام الإسلامي.	٥٠	٪٣٦,٨	٨٠	٪٥٨,٨	٤	٪٢,٩	٢	٪١,٥
٦	وجود منافسات قوية من الإعلام الآخر الذي من شأنه أن يسعى لتغييب الفضائل ونشر الرذائل بأساليب متعددة.	٢٨	٪٢٠,٦	١٠٠	٪٧٣,٥	٤	٪٢,٩	٤	٪٢,٩

(٢٢) انظر: الشائعات في المواقع الإخبارية الأردنية وتأثيرها في نشر الأخبار من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، ص ٥٥، ٥٦.

(٢٣) تم تحكيمها من قبل:

١- د. زلفى أحمد محمد الخراط، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم.

٢- د. شيخة محمد العتيبي، أستاذ مشارك في قسم الحسبة والرقابة بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب.

وفي سؤال مفتوح عن أي تحديات أخرى، كانت هذه أبرز الإجابات:

١. عدم وجود الإعلام الهادف والشمولي واقتصاره على الوعظي والتربوي.

٢. الانهزامية النفسية عند بعض الدعاة، وضعف الثقة بالنفس.

٣. تشويه صور الدعوة والدعاة والاعلام المحافظ.

٤. العيش تحت تأثير القوة الغالبة (الإعلام غير القيمي) وعدم تخيل أن المبادرة المتواضعة القيمية سيكون لها قبول في هذا الكم الهائل من الإعلام الرقمي.

٥. كثرة وسهولة توفر المغريات والصوارف ومعاول الهدم في الإعلام والتي أصبحت تصل إلى الكل بدون اختيار على جميع مستويات العقليات والأعمار.

مناقشة نتائج المحور الأول:

من خلال النتائج السابقة يتبين لنا أن للإعلام الدعوي تحديات عظيمة تحول دون قيامه بدوره في نشر الدعوة ومعالجة القضايا الدعوية، وتؤخره عن تحقيق هذا الهدف.

من هذه التحديات ما حصل على أعلى نسبة من (الموافقة بشدة) جاء نص التحدي: وجود منافسات قوية من الإعلام الآخر الذي من شأنه أن يسعى لتغييب الفضائل ونشر الرذائل بأساليب متعددة، حيث حصل على نسبة ٧٣,٥٪ وهي نسبة عالية تدل على خطر هذا التحدي واستفحاله في المجتمعات الإسلامية، حيث زينت وسائل الإعلام جميع القيم الهابطة، والمبادئ التافهة، وقامت بتشويه القدوة الصالحة، وتسليط الضوء على شخصيات تافهة، ليقدموها كقدوة للمجتمع.

هذه النتيجة ليست جديدة، بل جاءت متطابقة مع دراسة سابقة عام ١٩٩٧م في المجتمع المصري كان من نتائجها: تعمل وسائل الإعلام على تقوية نماذج البشر السلبية، وإضعاف النماذج الإيجابية، مما أدى إلى فقدان المجتمع إلى معاييره، أو إلى القيم التي توجه سلوكيات الفرد[٢٤].

ومن هذه التحديات أيضا ما حصل على أقل نسبة تأييد ٧,٤٪ وهي (أرفض بشدة) جاء نص التحدي: ضعف استثمار الدعاة لوسائل الإعلام الحديثة في نشر الدعوة وتنمية الوازع الديني، وتعزو الباحثة السبب في ذلك إلى أن هناك استيعاب من قبل الدعاة بأهمية استثمار وسائل الإعلام لتطويعها في الدعوة الإسلامية وحل القضايا الدعوية، فالانفتاح الذي نعيشه في ظل تعدد وسائل الإعلام المختلفة، جعل الدعاة يستشعرون هذه الأهمية.

هذا الشعور بالمسئولية جاء متوافقا لنتيجة إحدى الدراسات عام ٢٠١٨م: (من خلال البحث الدؤوب عن قنوات وأساليب تتناسب مع الدعوة في عصرنا الحاضر، نرى أن الحل يكم في استخدام وتوظيف قنوات الاتصال الجماهيرية الحديثة نفسها التي أصبحت بفضل الله ثم التطور التقني وعاء مهما ومفيدا أكثر من غيرها لحمل رايات التبشير والدعوة بقيم الخير والفضيلة)[٢٥].

المطلب الثاني: سبل علاج التحديات. (نتائج الدراسة الميدانية).

المحور الثاني: أبرز الحلول لتحديات الإعلام الإسلامي من وجهة نظرك:

م	العبارة	أوافق		أوافق بشدة		أرفض		أرفض بشدة	
		التكرار	النسب	التكرار	النسب	التكرار	النسب	التكرار	النسب
١	التنويع في أساليب طرح وتقديم البرامج الدعوية.	٢٨	٢٠,٦٪	١٠٢	٧٥٪	٣	٢,٢٪	٣	٢,٢٪
٢	تضافر جهود الدعاة وتوحيد أهدافهم واستغلال وسائل الإعلام الحديثة وتطويعها لخدمة الدين.	٢٦	١٩,١٪	١٠٠	٧٣,٥٪	٨	٥,٩٪	٢	١,٥٪
٣	إعداد برامج خاصة لرفع مستوى الوعي الإعلامي.	٢٨	٢٠,٦٪	١٠٤	٧٦,٥٪	٢	١,٥٪	٢	١,٥٪
٤	الاهتمام بدراسات الإعلام الإسلامي وتطبيقاتها العملية ووسائل تطويرها.	٢٩	٢١,٣٪	١٠١	٧٤,٣٪	٤	٢,٩٪	٢	١,٥٪
٥	تنظيم الندوات والمحاضرات والمؤتمرات التي تعني بالجوانب الإعلامية حيث يتم التعاون بين متخصصين في مجال الإعلام ومتخصصين في مجال الدعوة.	٣٤	٢٥٪	٩٥	٦٩,٩٪	٤	٢,٩٪	٣	٢,٢٪
	التصدي للحملات الإعلامية المغرضة التي من شأنها التقليل من شأن الإعلام الإسلامي.	١٩	١٤٪	١٠٤	٧٦,٥٪	٨	٥,٩٪	٥	٣,٧٪

(٢٤) انظر: الشخصية المصرية في الأمثال الشعبية، عزة عزت، دار الهلال للنشر والتوزيع، القاهرة، سبتمبر ١٩٩٧م، ص ٥٤.

(٢٥) الإعلام والدعوة، د. عوض إبراهيم عوض، ص١٤٤.

وفي سؤال مفتوح عن أي حلول أخرى، كانت هذه أبرز الإجابات:

١. الرقابة الممنهجة على بعض وسائل التواصل التي تهدم الفضيلة وتسيء للقيم وتحديد العقوبات الواضحة.

٢. وجود الجمعيات التطوعية ونشرها بكثرة في مجال دعم الإعلام للدعوة من خلال الوقوف على حاجات الدعوة والمدعوين.

٣. إنشاء أكاديميات لتطوير وتدريب الدعاة على أحدث الوسائل والتقنيات الحديثة.

٤. إزالة الخوف والرهبة والحياء من استخدام وسائل الإعلام في الدعوة.

٥. تجهيز المادة العلمية أولًا، ثم صبغها بالمهارات الإعلامية، ثم تأهيل الدعاة لطرحها إعلاميًا.

٦. استحداث مقرر الإعلام الإسلامي ضمن برامج البكالوريوس والدراسات العليا لأقسام العلوم الشرعية والدعوية.

مناقشة نتائج المحور الثاني:

من خلال النتائج السابقة يتبين لنا وجود مجموعة من الحلول لتجاوز التحديات والعقبات التي تعرقل أو تؤخر وسائل الإعلام عن نشر الدعوة،

من هذه الحلول ما قد حصل على أعلى نسبة ٩٦,٩٪ وهو الحل الذي نصه: تنظيم الندوات والمحاضرات والمؤتمرات التي تعني بالجوانب الإعلامية حيث يتم التعاون بين متخصصين في مجال الإعلام ومتخصصين في مجال الدعوة.

وتعزو الباحثة هذه النسبة العالية لحاجة الدعاة إلى الوعي بأهمية الإعلام كوسيلة علمية حيوية لنشر الدعوة الإسلامية، لأن هذه الوسائل تتميز بقدرة عالية على شحن الطاقات فكريا، وتسهم في صناعة الدعاة المؤمنين، المستقيمين المفكرين، المثقفين والجادين في وضع الحلول العملية.

وينقص دعاتنا اليوم رفع مستوى الوعي بالحاجة الماسة بوسائل الإعلام، عن طريق برامج مرئية، أو مسموعة، أو مكتوبة[٢٦]، وكذلك عن طريق الندوات والمؤتمرات، التي من شأنها أن ترفع الوعي الإعلامي.

كما حصل أحد الحلول على أقل نسبة ٣,٧ وهو ما ينص على: التصدي للحملات الإعلامية المغرضة التي من شأنها التقليل من شأن الإعلام الإسلامي.

وتعزو الباحثة السبب في ذلك إلى أن الكثير يرون أن إماتة الباطل تكون بالسكوت عنه، فلا يمكننا حقيقة الرد على كل حملة مغرضة ضد الإسلام، فقد يكون التجاهل في مثل هذه الحالات أولى، كما أن تقديم الحلول الأهم فالمهم، وترتيب الأولويات، من الحكمة في التعامل مع التحديات، والله سبحانه وتعالى يقول: {**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**} سورة البقرة (٢٦٩)

الخاتمة:

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، على تيسيرك لي إتمام البحث، والمشاركة في هذا المؤتمر الرائد علميا واجتماعيا وقبل ذلك شرعيا، فاجعله بكرمك ورحمتك في ميزان حسناتي.

النتائج:

من أهم النتائج التي توصلت لها الباحثة:

١. تكمن أهمية وسائل الإعلام في حاجة الدعوة الإسلامية إلى وسائل حيوية ومتطورة ومتجددة لنشره وفق ضوابط شرعية واضحة.

٢. يتحتم تسليط الضوء على دور الإعلام في القضايا الدعوية المتعلقة بأركان الدعوة الأربع: الداعية، المدعو، موضوعات الدعوة، الوسائل والأساليب.

٣. الإعلام الإسلامي يجب أن يُطوّع لخدمة الدين بنشر الوعي الديني في شتى مجالات الحياة: الاجتماعي، السياسي، الاقتصادي.

٤. لا يمكن دحض الشائعات ومحاربتها إلا بنفس السلاح، وهو سلاح الإعلام الإسلامي، وذلك بنشر المعلومات الصحيحة التي تزيل الغموض وتوضح الحقائق.

٥. للإعلام الإسلامي تحديات تحدّ من تقدمه، يجب اجتيازها عن طريق وضع حلول عملية، وعلاجات مفيدة، تساعد على تجاوز العقبات.

٦. من أهم تحديات الأعلام الدعوي حيث أنه حصل على أعلى نسبة من (الموافقة بشدة) جاء نص التحدي: وجود منافسات قوية من الإعلام الآخر الذي من شأنه أن يسعى لتغييب الفضائل ونشر الرذائل بأساليب متعددة.

٧. من أهم الحلول ما قد حصل على أعلى نسبة ٩٦,٩٪ وهو الحل الذي نصه: تنظيم الندوات والمحاضرات والمؤتمرات التي تعني بالجوانب الإعلامية حيث يتم التعاون بين متخصصين في مجال الإعلام ومتخصصين في مجال الدعوة.

التوصيات:

١. توصي الباحثة بتضافر الجهود، وتعاون المتخصصين من الإعلاميين والدعاة فيما بينهم، لإنتاج برامج دعوية متميزة وجاذبة لجميع فئات المجتمع.

(٢٦) انظر: وسائل الإعلام أدوار محورية في تنمية فكر المجتمع، صلاح الشريف، مقال منشور في جريدة الرياض، الأربعاء ٢ رمضان ١٤٤٢هـ/١٤ ابريل ٢٠٢١م.

٢. كما توصي الباحثة بإنتاج أبحاث علمية تجمع بين الدعوة والإعلام، لأنهما جزء لا يتجزأ من بعضهما البعض.

٣. عقد المؤتمرات والندوات والملتقيات التي تجمع بين العلوم الإنسانية وبين الإعلام، لبيان العلاقة الوطيدة بين الإعلام والدعوة إلى الله وسائر العلوم الدينية.

المراجع:

١. أثر الإعلام المعاصر في العقيدة والتربية والسلوك، محيي الدين خير الله العوير، دار النهضة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢. الأدب المفرد للإمام البخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣. الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، د. عبد الوهاب كحيل، مطابع عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٤. أصول الإعلام الإسلامي، د. إبراهيم إمام، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ.

٥. الإعلام والدعوة، د. عوض إبراهيم عوض، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٨م.

٦. التلفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية، د. سعيد بن مبارك آل زعير، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، ط١.

٧. التلفزيون وقضايا التغير الاجتماعي في المجتمع السعودي، دراسة تطبيقية على عينة من الأسر السعودية والعاملين بمركز تلفزيون جدة، د. شريقي الجابري، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٩. الدعوة إلى الله في المواقع النسائية في شبكة المعلومات العالمية، د. لولوة بنت سليمان الغنام، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٠. الشائعات في المواقع الإخبارية الأردنية وتأثيرها في نشر الأخبار من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، أ. رضا عيد حمودة إكحيل، رسالة ماجستير من قسم الإعلام بكلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن.

١١. الشخصية المصرية في الأمثال الشعبية، عزة عزت، دار الهلال للنشر والتوزيع، القاهرة، سبتمبر ١٩٩٧م.

١٢. الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم، بيروت، ط٣.

١٣. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤. القاموس المحيط للفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٥. لسان العرب لابن منظور، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.

١٦. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، طع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.

١٧. معجم الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت.

١٨. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية.

١٩. مقال بعنوان: شائعات كورونا تفكك المجتمعات، أ. سلطان حميد الجسمي، مقال منشور في جريدة الخليج الالكترونية، السبت ٣ ربيع الأول ١٤٤٣هـ، الموافق ٩ أكتوبر ٢٠٢١م.

٢٠. مقال بعنوان: وسائل الإعلام أدوار محورية في تنمية فكر المجتمع، صلاح الشريف، مقال منشور في جريدة الرياض، الأربعاء ٢ رمضان ١٤٤٢هـ/١٤ ابريل ٢٠٢١م.

٢١. مقومات رجل الإعلام الإسلامي، تيسير محجوب الفتياني، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٢٢. الموافقات فيث أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: الشيخ عبد الله درّاز، دار المعرفة، بيروت.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة
International Journal of Sharia and Islamic Studies
مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

دور العلوم الشرعية في مواجهة التجهيل الفكري وتحقيق الوعي الفكري.

أ. ريم بن عبد الرحمن مسفر الغامدي
باحثة دكتوراه في تخصص الثقافة الاسلامية - جامعة أم القرى.

The Role of Sharia Sciences in Combating Intellectual Ignorance and Achieving Intellectual Security.

Reem Abdulrahman Mesfer Al-Ghamdi
PhD candidate in Islamic Culture - Umm Al-Qura University.
E-mail: room_1441@hotmail.com

الكلمات المفتاحيّة:
العلوم الشرعية، التجهيل الفكري، الوعي الفكري، الفكر المتطرف، الوسطية، الاعتدال، الأمن الفكري، المؤسسات التعليمية، الجامعات السعودية.

KEY WORDS:
Sharia Sciences, Intellectual Ignorance, Intellectual Awareness, Extremist Ideology, Moderation, Balance, Intellectual Security, Educational Institutions, Saudi Universities.

مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان دور العلوم الشرعية في مواجهة التجهيل الفكري وتعزيز الوعي الفكري، وذلك من خلال تحليل العلاقة بين المعرفة الشرعية والأمن الفكري، وبيان كيفية توظيف العلوم الشرعية في تصحيح المفاهيم المغلوطة، ومكافحة الفكر التجهيلي المتطرف، وتعزيز التفكير النقدي.

كما تناول البحث مفهوم التجهيل الفكري، وأبرز مظاهره وأخطاره على المجتمعات، ثم استعرض دور العلوم الشرعية في تعزيز الوعي الفكري، من خلال منهجية علمية رصينة تشمل دراسة النصوص الشرعية وفق أصول الفقه ومقاصد الشريعة الإسلامية، كما ناقش البحث آليات التصدي للتجهيل الفكري، عبر المؤسسات التعليمية والدعوية، ودور العلماء في تصحيح المفاهيم المغلوطة وإبراز وسطية الإسلام.

واستعرض البحث نماذج عملية من الجهود العلمية والمؤسسية لتعزيز الوعي الفكري، مثل دور الجامعات السعودية في نشر الفكر المتزن والمعتدل والتصدي للغلو والتشدد الديني، وتجربة المراكز الفكرية في المملكة العربية السعودية في مكافحة التطرف الفكري والإرهاب والغلو الديني، بالإضافة إلى جهودها في نشر ثقافة الوسطية والاعتدال.

خلص البحث إلى أن العلوم الشرعية تُشكل ركيزة أساسية في تحقيق الوعي الفكري والأمن المعرفي، وذلك عبر تعزيز الفكر الناقد، وترسيخ قيم الوسطية والاعتدال في الدين ، والتصدي للفكر التجهيلي المتطرف الذي يهدف الى تحريف نصوص الشرع وتأويلها على غير مرادها بهدف التضليل , وأوصى بضرورة دعم المناهج الدراسية ببرامج تعزز التفكير النقدي، وتكثيف الجهود الإعلامية لنشر الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، وبيان الأساليب الممنهجة في تغييب حقائق الدين الإسلامي الصحيح , وتعزيز الشراكة بين المؤسسات التعليمية والدعوية في هذا المجال.

ABSTRACT:

The research presented the importance of the media and the need of societies for it, and the need of the Islamic nation for the media preacher, and explained the role of the media in addressing issues related to the call to God with regard to the preacher, the one being called, the topics of the call, and the means and methods. The research also highlights the importance of developing the advocacy media for the religious motives of This research aims to highlight the role of Sharia sciences in combating intellectual ignorance and enhancing intellectual awareness by analyzing the relationship between Islamic knowledge and intellectual security and explaining how Sharia sciences can be employed to correct misconceptions, counter extremist ignorance, and promote critical thinking.

The study also explores the concept of intellectual ignorance, its key manifestations, and its dangers to societies. It then examines the role of Sharia sciences in fostering intellectual awareness through a rigorous scientific methodology that includes the study of Islamic texts in accordance with the principles of jurisprudence (Usul al-Fiqh) and the objectives of Islamic law (Maqasid al-Sharia). Furthermore, the research discusses mechanisms for combating intellectual ignorance through educational and religious institutions and the role of scholars in correcting misconceptions and emphasizing the moderation of Islam.

Additionally, the study presents practical examples of scientific and institutional efforts to promote intellectual awareness, such as the role of Saudi universities in spreading balanced and moderate thought and countering religious extremism and fanaticism. It also examines the experience of intellectual centers in Saudi Arabia in combating intellectual extremism, terrorism, and religious radicalism, as well as their efforts in promoting a culture of moderation and balance.

The research concludes that Sharia sciences serve as a fundamental pillar in achieving intellectual awareness and knowledge security by promoting critical thinking, reinforcing the values of moderation in religion, and countering extremist ignorance that seeks to distort and misinterpret religious texts for misleading purposes. It recommends supporting educational curricula with programs that enhance critical thinking, intensifying media efforts to spread the correct understanding of Islamic texts, exposing systematic methods used to distort the true teachings of Islam, and strengthening cooperation between educational and religious institutions in this field.

Muslims, as well as the importance of confronting and confronting rumors. The research also reveals the most important challenges facing the religious media, while developing some solutions to these challenges.

المقدمة:

الحمد لله الذي انزل كتابه هداية للعالمين، ورحمة للمؤمنين، وتبصرة للمتقين، وشفاء لما في صدور الناس أجمعين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

يُعد الوعي الفكري من الركائز الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات المستقرة والأمنه، حيث يساهم في بناء الأفراد القادرين على التميز بين الحقائق والأوهام والتفريق بين الحق والباطل ، والمساهمة في نهضة أوطانهم بعيداً عن التضليل والتطرف والغلو والتشدد , في المقابل يُشكل التجهيل الفكري تحديًا خطيرًا يؤثر على استقرار أمن المجتمعات الإسلامية فكرياً ومعرفياً من خلال نشر المفاهيم المغلوطة ، والتأويلات الخاطئة، والانحرافات الفكرية التي تُستغل لتحقيق أجندات مختلفة تعزز لتطرف والإرهاب وتغذي خطاب الكراهية لإحداث الفتنة والتفرقة والطائفية .

وتأتي العلوم الشرعية فتلعب دورًا مهماً رئيسيًا في التصدي لهذه الظواهر، حيث تستند إلى المنهج العلمي الموثوق في فهم النصوص الشرعية وتفسيرها وفق أصول ثابتة، مما يساعد في تصحيح المفاهيم الخاطئة ورد الأفكار المتطرفة والبدعية والشاذة، وتعزيز الفكر المعتدل والمتزن لذل يسعى هذا البحث إلى بيان دور العلوم الشرعية في مواجهة التجهيل الفكري، وتعزيز الوعي الفكري، مع التركيز على آليات التطبيق في الواقع المعاصر.

أهمية البحث:

١.تصحيح المفاهيم المغلوطة: يساهم البحث في توضيح الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، والتصدي للتفسيرات الخاطئة التي تؤدي إلى التجهيل الفكري والتضليل المعرفي المؤدي الى التطرف.

٢.تعزيز الأمن والوعي الفكري: يبرز البحث دور العلوم الشرعية في حماية وحصانة افراد المجتمع من الانحرافات الفكرية، ونشر ثقافة الوسطية والاعتدال لمواجهة التطرف والتجهيل.

٣.دعم المؤسسات التعليمية والدعوية: يسلط البحث الضوء على أهمية تكامل الجهود بين الجامعات والمراكز الفكرية والمؤسسات الدينية في تعزيز الوعي الفكري ونشر الفكر المعتدل والوسطي.

٤.مواكبة التحديات الفكرية المعاصرة: يساعد البحث في تقديم حلول علمية لمواجهة التحديات الفكرية التي يفرضها العصر الحديث، مثل نشر المعلومات المغلوطة عبر الإعلام الرقمي والتأثيرات الفكرية المتطرفة وأساليب التجهيل الفكرية والمعرفية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. بيان مفهوم التجهيل الفكري وأخطاره على المجتمع.

٢. توضيح العلاقة بين العلوم الشرعية والوعي الفكري.

٣. استعراض آليات العلوم الشرعية في مواجهة الفكر التجهيلي المتطرف.

٤. تقديم نماذج عملية من جهود المؤسسات التعليمية والدعوية في تعزيز الوعي الفكري وتحقيق الأمن المعرفي.

حدود البحث:

اقتصر البحث على الوقت الحديث وجهود المملكة العربية السعودية في مواجهة التجهيل الفكري وتحقيق الوعي الفكري والأمن المعرفي من خلال أهمية دراسة العلوم الشرعية والحث عليها في المؤسسات العلمية والدعوية.

منهج البحث:

أتبعت المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستقرائي.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في المنصات العلمية للبحث العلمي لم أتوقف على دراسة علمية متخصصة في بيان دور العلوم الشرعية في مواجهة التجهيل الفكري وتحقيق الوعي الفكري إلا أني وجدت دراسات متصلة بموضوعات البحث الحالي , كما ان هذا البحث يعتبر بحثاً مستلاً من رسالتي العلمية الحالية لاجتياز مرحلة الدكتوراة من كلية الدعوة وأصول الدين , قسم الدعوة والثقافة الإسلامية, في تخصص الثقافة الإسلامية من جامعة أم القرى والتي عنوانها " التجهيل الفكري وآثاره الثقافية دراسة تحليليه" , اما الدراسات المتصلة بعنوان البحث الحالي فهي كما يلي :

١/الوعي الفكري بعمليات استقطاب الشباب من قبل الجامعات الدينية المتطرفة، للباحث حمد بن محمد معيض الحارثي، رسالة دكتوراة، من جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، عام ٢٠١٨م.

٢/ التجهيل عند جماعة الاخوان المسلمين دراسة وصفية تحليلية، للباحث مشاعل بنت عبد الله الواصل، رسالة دكتوراة، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٤٥هـ

٣/ دور الجامعات السعودية في التصدي لمناهج الجماعات الحركية والتكفيرية، للباحث عادل بن محمد عبدالله الحجيلان، رسالة دكتوراة، من الجامعة الإسلامية، عام ١٤٤٠هـ.

مخطط البحث:

يتكون مخطط البحث من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، وبيان ذلك يكون على النحو الاتي:

المقدمة، وتشتمل على أهمية موضوع البحث، وأهدافه، وحدود البحث، والدراسات السابقة، مخطط البحث ومنهجه.

المبحث الأول: مفهوم التجهيل الفكري وأخطاره على المجتمع.

المطلب الأول: تعريف التجهيل الفكري.

المطلب الثاني: مظاهر التجهيل الفكري.

المطلب الثالث: أخطار التجهيل الفكري على المجتمع وأثره.

المبحث الثاني: العلاقة بين العلوم الشرعية والوعي الفكري.

المطلب الأول: ماهية العلوم الشرعية وأهميتها.

المطلب الثاني: مفهوم الوعي الفكري في ضوء العلوم الشرعية.

المطلب الثالث: دور العلوم الشرعية تحقيق الوعي الفكري وتعزيز الأمن المعرفي.

المبحث الثالث: آليات العلوم الشرعية في مواجهة التجهيل الفكري وتعزيز الوعي الفكري.

المطلب الأول: الاعتماد على نصوص القران الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثاني: المنهجية العلمية في دراسة النصوص الشرعية.

المطلب الثالث: التفسير المنهجي لدراسة نصوص القران الكريم والسنه النبوية.

المبحث الرابع: نماذج تطبيقية من الجهود العلمية الشرعية في تعزيز الوعي الفكري.

المطلب الأول: تجربة الجامعات السعودية في تعزيز الوعي الفكري.

المطلب الثاني: جهود المؤسسات الفكرية في المملكة العربية السعودية في تعزيز الوعي الفكري.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات

فهرس المصادر والمراجع

المبحث الأول: مفهوم التجهيل الفكري وأخطاره على المجتمع.

المطلب الأول: تعريف التجهيل الفكري.

التجهيل في اللغة: أصل لفظة التجهيل مشتقة من الفعل الثلاث (جَهْل) وهو ضد العلم والمعرفة والوعي[١] ، وقيل الجهل عدم المعرفة وفراغ الباطن مما يفيد لأن الجاهل خالي من الذهن من المعلومات والمعارف[٢] ، وقد ذكر ابم حزم رحمة الله أن الجهل يغيب حقيقة العلم وجوهرة عن النفس الإنسانية[٣] ، وقال الرازي رحمة الله: " التجهيل النسبة إلى الجهل واستجهله: أعده جاهل واستخفه أيضا "[٤] ، وعلى ذلك يكون التجهيل أداه مضادة للتعليم وتتصادم مع الوعي.

أما تعريف التجهيل في الاصطلاح فهو في الأصل قائم على الجهل ومشتق منه، وقد أستعمل هذه اللفظة أبن تيمية رحمة الله في بيان طريق اهل التجهيل في معاني أسماء الله وصفاته وقد ذكر أن أهل هذا الطريق ينفعون معرفه هذه المعاني عن الرسول صلى الله عليه سلم وعن الصحابة الكرام فهم يجهلون العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صحابته في بيان معاني أسماء الله وصفاته[٥] , وقيل في تعريف التجهيل أنه : " عملية تشوية فكري بخصوص آراء الافراد , وأحاسيسهم وجهلهم بما يريدون , وهو صرع بين الواقع والطموح , مما يدفعه إلى تغيير مبادئه وقيمه بذريعة الحاجة إلى التغيير "[٦] , وقيل في تعريفه أيضاً : " إدخال معلومات خاطئة عن طريق النمذجة والتقليد والمحاكاة من خلال التنشئة الاجتماعية , والمشاهدات , والمعايشة الاجتماعية , وتوظيفها فكرياً بشكل سلبي في إشاعة الثقافات الهامشية , وإحلال الثقافات الدخيلة بدل الثقافة الأصلية "[٧] , وكذلك : " تعمد التشكيك في العلماء الراسخين في العلم , ورمي التهم عليهم "[٨] , وعلى ما سبق ترى الباحثة أن مفهوم التجهيل يعني عملية تلقين الأفراد بعض من العارف والعلوم غير صحيحة مع إخفاء بعضها أو التعتيم على معارف وعلوم حقيقية تجهيلا متعمداً للمتلقي بغرض إحكام السيطرة عليه ليسهل استمالته فكرياً ومن ثم تضليله معرفياً , وهنا يكن الاختلاف الجوهري بين عملية التعليم التي تهدف الى الوعي المعرفي , وبين عملية التجهيل التي تهدف إلى التضليل المعرفي , ومن المصطلحات التي تترادف مع التجهيل الفكري وتتفق معها في المعنى دون اللفظ : تزييف الوعي , تغييب الحقائق , تسيير الاتجاهات , سوق المعرفة .

المطلب الثاني: مظاهر التجهيل الفكري.

تعددت مظاهر التجهيل الفكري واختلفت أساليبها مما أثر على إدراكها لدى الأفراد في المجتمعات وبالأخص مظاهر التجهيل المتعلق بالعقيدة والتوحيد والايمان مما أدى

---

[١] _ مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥ , ١٤٢٠هـ، (ص :٦٣).

[٢] _ ينظر: المعجم الإشتقاقي، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١ , ٢٠١٠م، (ص: ٢٤٣).

[٣] _ الإحكام في أصول الأحكام، على بم حزم الظاهري، دار الحديث، القاهرة، ط٢ , ج١ , ١٤٠٣هـ، (ص: ٤٦).

[٤] _ مختار الصحاح، مرجع سابق، (ص: ٦٣).

[٥] _ الانتصار لأهل الأثر والرد على المنطقيين، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن قائد، دار عطاءات العلم، الرياض، ط٣ , ٢٠١٩ م، (ص: ٩٨).

[٦] _ النظرية الاجتماعية والبنية الاجتماعية، مرتون، نيويورك , ١٩٦٨م، بدون مترجم، (ص: ٣٤١).

[٧] _ العلاج الطبيعي المعرفي: اضطرابات الشخصية، باندورا، ورقة علمية مقدمة بالمؤتمر الوطني العراقي , ٢٠٠٥ م، (ص :٣٦).

[٨] _ الحركات الإسلامية المعاصرة في المجتمعات الإسلامية دراسة وصفية، فايز الحربي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، قسم الدراسات الإسلامية , ٢٠١٩م، (ص: ٨٩).

الى التشويش على الافراد في تلقي المعارف والعلوم الصحيحة والشرعية وتحريف معاني نصوص القران والسنة على غير مرادها مما ساهم في تضليل المتلقي معرفياً ومن ثم تضليله فكرياً، وذلك يعود إلى الأساليب التجهيلية التي يتبعها أصحاب الأجندات الخارجية بهدف استمالة الأفراد فكرياً لتعزيز التطرف والغلو والإرهاب، فمن أساليب التجهيل الفكري ما يلي:

- **التشكيك:** وهذا الأسلوب المُتبَع من قبل الجهات المُجَهِله والمتطرفة يدخل الأفراد في دائرة التيه الفكري والوهم المعرفي حول كثير من الموضوعات المتعلقة بالدين والعقيدة والايمان وفلا يخرج منها إلا مُحَملاً بالمعلومات المغلوطة والغير صحيحة التي لا تتصل بالحقيقة فيبني أفكاره وعقيدته على أسس غير صحيحة، ومنه إثارة الشكوك حول صحة مصادر الشريعة الإسلامية ونصوص القران الكريم والسنة النبوية والطعن في نقلتها وإثارة الشبهات حولها.
- **التحريف:** فتحريف الحقائق العلمية والشرعية بتغييرها أو تبديلها، أو صرفها على غير مرادها، أو العدول عنها، أو أزالتها أو الميل عنها يعتبر أسلوب من أساليب التجهيل تهدف الى الاستمالة الفكرية والتضليل المعرفي، وقد ذم الله سبحانه وتعالى هذا الأسلوب في قوله تعالى: "يحرفون الكلم عن مواضعه " النساء: ٤٦.
- **الإيهام:** هو الشيء المخفي عن العقول والأذهان ومنه الالتباس في المعارف والعلوم الشرعية لخلق حالة من الوهم المعرفي لدى المتلقي، وذلك من خلال تعزيز الاسلوبين التي ذكرتها سابقا أسلوب التشكيك الذي يعزز للوهم المعرفي وأسلوب التحريف الذي يقوم عليه الوهم المعرفي.
- **الاختلاق:** وهو خلق المعرفة وافتعالها أو إحداثها، ومنه يظهر معنى البدعة وهو الإتيان بشيء جديد والإحداث في الدين، ويحمل معنى الاختلاق على الكذب والتزييف والادعاء والاتهام والبهتان، والاختلاق مغاير للحقيقة ولا يمت لها بصلة، يقول الفراء رحمه الله: "والعرب تقول: حدثنا فلان بأحاديث الخَلق، وهي الخرافات من الأحاديث المُفْتَعَلَة "[٩] ، أي مختلقة ومكذوبة.
- **التدليس:** وهو كتم الحقيقة العلمية والمعرفية الصحيحة والثابتة ومحاولة خلطها ومزجها بمعارف ومعلومات غير صحيحة فيقال: دلس عليه أي: أخفى عنه الحقيقة أو كذب عليه[١٠] ، فيقوم التدليس على المخادعة والمكر والكذب ويستعملها الجهات المتطرفة لتحقيق الاستمالة الفكرية ومن ثم تضليل الافراد معرفياً وفكرياً.

اما مظاهر التجهيل الفكري فتتمثل فيما يلي:

١. **نشر المعلومات المغلوطة والتحريف الفكري** ومنها تداول الأخبار الكاذبة والشائعات دون التحقق من صحتها، كذلك التلاعب بالنصوص الدينية والتاريخية لتحريف معانيها بما يخدم أجندات الجهات المُجَهلة والمتطرفة وذلك من خلال تقديم تفسيرات خاطئة للنصوص الشرعية بهدف التضليل المعرفي ومن ثم التضليل الفكري[١١] .

٢. **إضعاف الوعي الفكري والتعليم الإبداعي ونشر ثقافة التلقين والتقليد الاعمى**، ويكون من خلال تهميش التفكير النقدي والتحليلي لصالح التلقي السلبي دون تمحيص أو نقاش، فيمنع حرية البحث عن مصادر المعلومات ونقدها وتمحيصها والاستفسار بحجة التسليم المطلق دون فحص للأدلة، أيضا نشر ثقافة التعصب للرأي الأحادي ورفض التنوع الفكري الإيجابي والبناء.

٣. **استغلال الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي في التضليل المعرفي** عبر الترويج للسردية الفكرية، ومحاولة توظيف الإعلام في توجيه العقول وسوقها نحو أفكار سلبية ومتطرفة دون عرض آراء أخرى لنقدها تمحيصها وبيان مخالفاتها وعوارها، كذلك صناعة محتوى يُخدم توجهات فكرية متطرفة أو متحيزة دون أسس علمية ثابتة وصحيحة مما يعزز التجهيل الفكري والتضليل المعرفي، وأيضا ًنشر التجهيل الإلكتروني عبر منصات التواصل الاجتماعي حيث تنتشر المعلومات السطحية والمضللة بسرعة[١٢].

٤. **تغييب الهوية الثقافية والفكرية والوطنية**، وذلك من خلال محاربة اللغة العربية والعلوم الشرعية واستبدالها بثقافات دخيلة تؤدي إلى فقدان الهوية الإسلامية والعربية، أيضا تشويه التاريخ الإسلامي والعربي والسعودي وتشكيك الشباب في القيم والموروثات الدينية والعادات الثقافية، كذلك نشر أنماط فكرية دخيلة وغريبة ومتطرفة تحارب القيم الإسلامية الصحيحة وتتصادم مع منظومة الاخلاق في الإسلام، وتعارض مع مفاهيم الولاء الديني والانتماء الوطني.

٥. **تعزيز التطرف والغلو أو الانحلال والانحراف** إما الانحراف نحو التطرف والتشدد الفكري من خلال نشر خطابات الكراهية والتكفير والتشدد والغلو من أجل تفكيك وحدة الصف، أو الانحلال الأخلاقي والسلوكي والفكري

---

[٩]_ معاني القران، أبو زكريا الفراء، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١ , ج٢ , ٢٠١٦م، (ص: ٣٨٩).

[١٠]_ المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ج١ , (ص: ١٩٨).

[١١]_ ينظر: أساليب مواجهة الشائعات، منشورات مجلة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، (ص: ١٨ , ١٩)، بتصرف.

[١٢]_ ينظر: دور الإعلام في مواجهة استخدام الجماعات المتطرفة للقوة الناعمة، سلطان الحارثي، رسالة ماجستير، جامعة نايف للعلوم العربية والأمنية , ٢٠١٩م، (ص: ١٢٩)، بتصرف.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

عبر الترويج لأفكار تحررية متطرفة تسعى لتشوية الدين، والعلوم الشرعية، والقيم الإسلامية، والإنسانية.

٦.إضعاف المؤسسات والنخب العلمية والتعليمية والدينية وذلك من خلال تهميش العلماء والمفكرين ورميهم بالتهم والتشكيك في علمهم، والتقليل من شأن البحث العلمي والشرعي الرصين، ايضاً نشر مناهج تعليمية تبتعد عن تعزيز التفكير النقدي والفهم العميق وتروج للبدع والخرافة والجهل والتطرف، كما يعد التقليل من دور المؤسسات الشرعية والدعوية في التوجيه الفكري السليم من أبرز مظاهر التجهيل الفكري التي تتبعها الجهات المُجهلة والمتطرفة لإبعاد الناس عن تلقي العلم والمعرفة والتعليم.

المطلب الثالث: أخطار التجهيل الفكري على الفرد والمجتمع وأثره.

يُعد التجهيل الفكري من أخطر الظواهر التي تهدد استقرار الأفراد والمجتمعات، حيث يؤدي إلى إضعاف الوعي والعلم والتعليم، ونشر التضليل والجهل والخرافة، ويستحدث بيئات حاضنة للتطرف والغلو والانحراف، وعندما يُستهدف الفكر بالتحريف أو التزييف او التشكيك أو الوهم، فإن ذلك ينعكس سلبًا على الجوانب الدينية والإيمانية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وفيما يلي بيان لأبرز الأخطار المترتبة على التجهيل الفكري على مستوى الفرد والمجتمع نذكرها بإيجاز على النحو الاتي:

أولًا: أخطار التجهيل الفكري على الفرد

١.ضعف الوعي واتخاذ قرارات خاطئة وغير سليمة حيث يؤدي التجهيل الفكري إلى غياب الوعي الصحيح بالكلية، مما يجعل الفرد عرضة للاتباع الأعمى والتقليد دون إدراك للحقائق وتمحيصها ونقدها ومما يؤثر ذلك على اتخاذ القرارات الشخصية والاجتماعية، حيث يتبنى الفرد آراءً دون دليل مثبت وصحيح، أو يُخدع بسهولة بالمعلومات المضللة.

٢.الوقوع في التطرف الفكري والتشدد الديني أو الانحلال الأخلاقي والانحراف السلوكي، حيث يؤدي التجهيل إلى فهم خاطئ للنصوص الدينية، مما يجعل البعض يتبنى الفكر المتشدد والمتطرف، مما يقود إلى العنف والصدام مع المجتمع، وعلى الجانب الآخر، قد يتسبب في الانحلال الأخلاقي والفكري بسبب غياب الوعي الديني السليم والمعتدل، مما يؤدي إلى التفريط في القيم والتقاليد الإسلامية وأصول المواطنة الصالحة.

٣.سهولة التلاعب به من قبل التيارات الحركية المتطرفة، فالأفراد الذين يفتقرون إلى الوعي الصحيح يصبحون أكثر عرضة للاستغلال من قبل الجماعات المتطرفة أو الأيديولوجيات الهدامة، حيث يمكن التلاعب بهم عبر الإعلام الموجه أو وسائل التواصل الاجتماعي، من خلال نشر الشائعات والمغالطات الفكرية مالم يكن لديه بناء معرفي قائم على العلوم الشرعية الصحيحة.

٤.انخفاض مستوى الإبداع والتفكير النقدي، فالتجهيل الفكري يحد من قدرة الفرد على التفكير الناقد والتحليل المنطقي، ويحثه على التلقين والتقليد الأعمى بدلاً من البحث والتحقق والتثبت من صحة المعلومات التي تلقاها، فهذا يؤدي إلى إضعاف الابتكار والتجديد، مما يجعل الفرد غير قادر على المساهمة الفعالة في مجتمعه.

٥.الاضطرابات النفسية والاجتماعية حيث يؤدي الصراع الفكري الناتج عن الجهل السابق إلى اضطرابات نفسية مثل القلق، والتوتر، وفقدان الهوية والشغف، مما يشعر الفرد بفقدان الانتماء لمجتمعه ووطنه بسبب المفاهيم المغلوطة والمزيفة التي اكتسبها من الجهات المُجهلة والمُضللة، مما يجعله أكثر عرضة للعزلة الاجتماعية.

ثانيًا: أخطار التجهيل الفكري على المجتمع.

١.تفكك المجتمع وانتشار الفوضى الفكرية حيث يؤدي التجهيل الفكري إلى خلق انقسامات داخل المجتمع الواحد، فتنتشر الطائفية، والعنصرية، والتعصب للرأي الواحد، مما تنتج فوضى فكرية تجعل المجتمع غير قادر على تحديد أولوياته، مما يؤدي إلى الصراعات والنزاعات الداخلية.

٢.انتشار الفكر المتطرف والإرهاب، فالتجهيل الفكري يفتح المجال لظهور جماعات حركات متطرفة تستغل جهل الأفراد لتجنيدهم في أعمال العنف والتطرف والإرهاب، فعدم الفهم الصحيح للنصوص الشرعية واكتساب العلوم الشرعية الصحيحة يجعل البعض يتبنى أفكارًا تؤدي إلى تكفير المجتمع، ورفض التعامل مع مؤسسات الدولة والاستفادة منها، والعنف المسلح.

٣.إضعاف التنمية والتقدم الحضاري فعندما يسود الجهل والخرافة والبدعة، يتراجع العلم والبحث العلمي، مما يؤدي إلى ضعف الإنتاج الاقتصادي والتكنولوجي، كما يقل الاهتمام بالتعليم والعلم والتطوير، مما يجعل المجتمع تابعًا لدول أخرى بدلًا من أن يكون منتجًا ومبتكرًا.

٤.التأثير السلبي على المؤسسات التعليمية والدينية وتهميش دور العلماء والمفكرين الراسخين في العلم، مما يؤدي إلى ضعف التأثير الإيجابي للمؤسسات الشرعية والعلمية، مما يؤدي إلى استبدال التعليم القائم على البحث والاستدلال بالتلقين والخرافات فيضعف من جودة المخرجات التعليمية والعلمية.

٥.استغلال الإعلام ووسائل التواصل في نشر التضليل والجهل والخرافة، حيث تصبح وسائل الإعلام أداة لنشر الجهل بدلًا من أن تكون مصدرًا للوعي وتلقي المعرف والعلوم الصحيحة والثابتة، فتنتشر حينها المعلومات المضللة والمتطرفة، مما يؤدي إلى خلق وعي زائف يتسبب

في انتشار الأكاذيب ونظريات المؤامرة والإشاعات المكذوبة.

٦.إضعاف الهوية الثقافية والدينية حيث يساهم التجهيل الفكري في طمس الهوية الإسلامية والعربية عبر نشر ثقافات بديلة تؤدي إلى فقدان الانتماء الديني والوطني، أيضا التشكيك في التاريخ الإسلامي وقيمه الحضارية، مما يؤدي إلى ضياع المرجعية الفكرية الصحيحة للمجتمع.

المبحث الثاني: العلاقة بين العلوم الشرعية والوعي الفكري.

المطلب الأول: ماهية العلوم الشرعية وأهميتها.

تُعد العلوم الشرعية من أهم الأدوات التي تسهم في تحقيق الوعي الفكري وتعزيز الأمن المعرفي، حيث تقوم على أسس علمية راسخة مأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتوفر منهجية متكاملة تساعد في فهم الدين فهمًا صحيحًا بعيدًا عن التطرف والجهل لذا تعتبر العلوم الشرعية من أهم العلوم التي يبغي على المسلم تعلمها والإفادة منها لما تحقق له الحصانة الفكرية والعقدية يقول الشاطبي رحمة الله في هذا المعرض : " وَاتَّفَقَ أَهْلُ الشَّرَائِعِ عَلَى أَنَّ عُلُومَ الشَّرِيعَةِ أَفْضَلُ الْعُلُومِ وَأَعْظَمُهَا أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[١٣]

أما تعريف العلوم الشرعية هي العلوم التي تعنى بدراسة الأحكام والمفاهيم الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي تهدف إلى فهم الدين فهمًا صحيحًا، وتطبيق الشريعة في حياة المسلمين وفق منهجية علمية دقيقة ومنضبطة ,وتشمل هذه العلوم إلى ما يلي : علوم التفسير، والحديث وعلومه ، وعلم الفقه ،وعلم العقيدة، والسيرة النبوية، وأصول الفقه، إضافة إلى مقاصد الشريعة , وقد عرف كثير من العلماء المعتبرين العلوم الشرعية ومنهم ابن تيمية رحمة الله إذ يقول : " الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ قَدْ يُرَادُ بِهِ مَا أَمَرَ بِهِ الشَّارِعُ وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الشَّارِعُ وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا شَرَّعَ أَنْ يُعْلَمَ وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا عَلَّمَهُ الشَّارِعُ .فَالْأَوَّلُ :هُوَ الْعِلْمُ الْمَشْرُوعُ - كَمَا يُقَالُ :الْعَمَلُ الْمَشْرُوعُ - وَهُوَ الْوَاجِبُ أَوْ الْمُسْتَحَبُّ وَرُبَّمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُبَاحُ بِالشَّرْعِ .وَالثَّانِي :هُوَ الْعِلْمُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ الشَّارِعِ وَهُوَ مَا عَلَّمَهُ الرَّسُولُ لِأُمَّتِهِ بِمَا بُعِثَ بِهِ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ أَوْ الْإِجْمَاعُ أَوْ تَوَابِعُ ذَلِكَ"[١٤] , وهذا يدلنا على أهمية العلوم الشرعية وقد بينها العلماء رحمهم الله يقول الحسن البصري رحمه الله تعالى: "العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا"[١٥]

وتتمثل أهمية العلوم الشرعية فيما يلي:

١.حفظ الدين ونشر الوعي الصحيح، فالعلوم الشرعية تحمي المسلمين من الجهل والبدعة والأفكار المتطرفة والتضليل الفكري، وتساعدهم على فهم دينهم فهمًا صحيحًا، بعيدًا عن الغلو والتطرف والتشدد.

٢.ضبط حياة المسلمين وفق منهج الشريعة، حيث تعمل العلوم الشرعية على تنظيم حياة الأفراد والمجتمعات وفق الأحكام الإسلامية، مما يحقق العدل والاستقرار الاجتماعي.

٣.مواجهة الانحرافات الفكرية والتطرف حيث تساعد في تصحيح المفاهيم المغلوطة وإعادة مسارها الى المعنى الصحيح لها، والرد على الشبهات الفكرية والعقدية المضللة، سواء من الجماعات والحركات المتطرفة أو من أصحاب الفكر الانحلال والفاسد.

٤.تحقيق الأمن الفكري والاستقرار الاجتماعي حيث تساهم العلوم الشرعية في تحقيق مبدأ الوسطية والاعتدال الديني، مما يعزز الأمن الفكري ويحمي المجتمع من الانحرافات العقائدية والسلوكية.

٥.بناء جيل واعٍ قادر على التمييز بين الحق والباطل من خلال التعليم الشرعي الصحيح، يتم إعداد أجيال قادرة على التمييز بين الأفكار الصحيحة والمغلوطة، والتفاعل مع التحديات الفكرية المعاصرة وتحليلها ونقدها وتمحيصها بحكمة وعلى أصول علمية رصينة.

المطلب الثاني: مفهوم الوعي الفكري في ضوء العلوم الشرعية.

يعرف الوعي الفكري على انه إدراك الفرد لمفاهيم الدين والمجتمع بطريقة صحيحة ومتزنة، مما يمكنه من التمييز بين الحق والباطل، والتعامل مع الأفكار المطروحة وفق أسس شرعية ومنهجية علمية. ويُعد الوعي الفكري من أهم الوسائل التي تحصن الأفراد والمجتمعات من الانحرافات الفكرية، والتطرف، والجهل الديني[١٦].

وقد أشار العلماء الراسخين في العلم الى مظاهر وعناصر الوعي الفكري مما أدى الى تعريفنا لمفهوم الوعي الفكري في ضوء العلوم الشرعية، وقد ذكر ابن تيمية رحمة

---

[١٣] الاعتصام، إبراهيم الشاطبي، تحقيق: هشام الصيني، دار ابن الجوزي للنشر، الرياض، ط١, ج٣ , ٢٠٠٨م، (ص: ٣١١).

[١٤] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار ابن حزم، مصر، ج١٩ , (ص: ٢٢٨).

[١٥] جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض، ج١ , ط١, ١٩٩٤م، (ص: ١٣٦).

[١٦] ينظر: اتجاهات بناء الوعي الفكري في مواجهة التطرف والإرهاب، فهد الشهراني، بحث علمي منشور، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للدعوة والاحتساب , ١٤٤٣هـ، بتصرف.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الله أن الفهم الصحيح للنصوص الشرعية وفق مقاصدها يؤدي الى عدم الانقياد خلف الشبهات والأفكار البدعية المنحرفة[١٧]، وهذا من تمام الوعي ومحققاً للعلم النافع، كما أشار ابن القيم رحمة الله الى هذا المعنى حيث يرى ان الوعي الصحيح يقوم على القدرة على إدراك الأمور وفق ميزان الشرع، فلا ينخدع المسلم بالباطل ولا يرفض الحق بسبب الهوى أو الجهل[١٨].

ويمكن تعريف الوعي الفكري في ضوء العلوم الشرعية بأنه:

الإدراك العميق للنصوص الشرعية وفهم مقاصدها، والقدرة على التمييز بين المفاهيم الصحيحة والمغلوطة، وفق منهجية علمية قائمة على القرآن الكريم والسنة النبوية، مع مراعاة مقاصد الشريعة في تحقيق العدل والاستقرار الفكري والأمن المعرفي من خلال العلوم الشرعية الأصيلة.

المطلب الثالث: دور العلوم الشرعية في تحقيق الوعي الفكري وتعزيز الأمن المعرفي..

في زمن تتسارع فيه التحديات الفكرية والمعرفية، تبرز العلوم الشرعية كحائط صد متين في وجه التيارات المنحرفة والغزو الثقافي، فهي ليست مجرد علوم تعبدية، بل منظومة متكاملة تسهم في بناء الإنسان الواعي والمحمي معرفيًا.

أولًا: العلوم الشرعية وتحقيق الوعي الفكري.

تلعب العلوم الشرعية دورًا أساسيًا في ترسيخ العقيدة الصحيحة، ما يجعل الفرد متزنًا في أفكاره، غير قابل للانجراف وراء الشبهات الفكرية أو الأيديولوجيات المنحرفة، كما تُكسب الإنسان أدوات منهجية عبر دراسة أصول الفقه وقواعد الاستنباط، ما يعزز التفكير النقدي بضوابط شرعية، ويُنمّي القدرة على تحليل القضايا وفق ميزان الشريعة، بعيدًا عن الغلو أو التفريط.

ثانيًا: العلوم الشرعية وتعزيز الأمن المعرفي.

يمثل الأمن المعرفي اليوم أحد أهم ركائز استقرار المجتمعات، وهنا تتجلى أهمية العلوم الشرعية حيث تسهم في حماية العقل المسلم من الأفكار المستوردة والمشبوهة التي تستهدف الهوية والعقيدة، كما تُمكن الإنسان من التمييز بين المعرفة الصحيحة والمغلوطة، وتُرسّخ فيه الولاء لله ولرسوله ولدينه والانتماء للهوية والوطن، مما يجعله مُحصّنًا ضد التشكيك، والانحراف، والتطرف، والإرهاب.

وأما عناصر الوعي الفكري في ضوء العلوم الشرعية تكمن فيما يأتي:

١_ الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، حيث يعتمد الوعي الفكري على فهم النصوص وفق أصول الفقه والتفسير والحديث، مما يمنع الوقوع في الغلو، أو التشدد، أو التفريط، أو الانحلال، يقول الشاطبي رحمه الله: "لا يكون الفقيه فقيهًا حتى يدرك مقاصد الشريعة ويزن الأمور بميزانها الصحيح"[١٩].

٢. التفكير النقدي وفق الضوابط الشرعية، حيث يعزز الإسلام البحث والتحليل العلمي بدلًا من التقليد الأعمى وينبذ التعصب للرأي والتبعية، قال تعالى: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) (البقرة: ١١١)، وهذا يدل على أن الشرع الحكيم يطالب المسلمين بالتثبت وعدم الانقياد وراء الشائعات والأفكار الهدامة والتأكد من صحتها ومعقوليتها.

٣.التمييز بين الفكر المعتدل والمتطرف، حيث يساعد الوعي الفكري في تحديد الأفكار المنحرفة وحليلها ونقدها والتحذير من الوقوع فيها، سواء كانت مغالية في التشدد أو مفرطة في التسيب والانحلال، وقد بين النبي ﷺ خطورة التشدد في الدين وحذر المسلمين منه بقوله: "إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"[٢٠]

٤.الرجوع إلى العلماء الثقات والمصادر الموثوقة، حيث يضمن الوعي الفكري عدم التأثر بالفتاوى المضللة التي تسعى الى تجهيل المسلمين في كثير من قضايا الدين والعقيدة والفقه وتوجيههم نحو الفتاوى التي تتسم بالتشدد والغلو والتطرف، وذلك من خلال الرجوع إلى العلماء المعتبرين والمعروفين بالاعتدال والعلم الشرعي الصحيح المعتمد على اتباع الدليل الثابت من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، يقول ابن سيرين رحمه الله: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم"[٢١].

وأما عن دور العلوم الشرعية في تحقيق الوعي الفكري وتعزيز الأمن المعرفي تكمن فيما يلي:

١.تصحيح المفاهيم المغلوطة حيث تساعد العلوم الشرعية في تصحيح الفهم الخاطئ للنصوص الدينية، ومنع تأويلها بما يخدم أجندات فكرية متطرفة أو منحرفة، وذلك من خلال توضيح المعاني الصحيحة للأحكام الشرعية وفق أصول الفقه ومقاصد الشريعة، مما يمنع التفسيرات العشوائية والعبثية للدين الإسلامي الحنيف.

٢.تعزيز التفكير النقدي والتمييز بين الحق والباطل من خلال دراسة أصول الفقه، وعلم الحديث، والتفسير، يكتسب المسلم مهارات تحليل النصوص وفهم مقاصدها الصحيحة كما توفر العلوم الشرعية منهجية واضحة لفهم النصوص بعيدًا عن التقليد الأعمى والتعصب للرأي، مما يعزز القدرة

---

[١٧] _ راجع: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج٣ , (ص: ٢٨).

[١٨] _ ينظر: إعلام الموقعين، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت , ١٩٩١م، ط١, ج١ , (ص ٨٧).

[١٩] _ الموافقات، الشاطبي، ج٢ ,دار ابن عفان، ط١ , ١٩٩٧م، (ص ٣١٢).

[٢٠] _ رواه النسائي في سننه بسند صحيح.

[٢١] _ رواه شعيب الأرناؤوط، في مقدمة صحيح مسلم

على التمييز بين الفكر الصحيح المعتدل والفكر المتطرف والمنحرف.

٣.محاربة التجهيل الفكري ونشر الوعي الديني الصحيح، حيث تسهم العلوم الشرعية في مكافحة الخرافات والانحرافات الفكرية، من خلال نشر المعرفة الدينية الموثوقة والصحيحة، مما تساعد على بناء جيل واعٍ قادر على التعامل مع الشبهات الفكرية بوعي وعلم، بدلاً من التأثر بالدعايات الفكرية الهدامة.

٤.تعزيز ثقافة الوسطية والاعتدال من خلال دراسة مقاصد الشريعة الإسلامية، حيث يتضح أن الإسلام دين الوسطية والتوازن والاعتدال، مما يحصن الأفراد معرفياً وفكرياً من الوقوع في الغلو والتشدد أو التفريط والانحراف، كما تؤكد العلوم الشرعية على أهمية الحوار الفكري والتعايش السلمي، مما يسهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي ويعزز الأمن الفكري.

٥.حماية المجتمع من الأفكار الهدامة والمتطرفة حيث توفر العلوم الشرعية منهجًا معرفياً وفكرياً واضحًا في مواجهة الجماعات المتطرفة والحركية الإرهابية، من خلال بيان الأدلة الشرعية التي ترفض العنف والتطرف والإرهاب بجميع أساليبه ووسائله، كما تساعد العلوم الشرعية في كشف الأساليب التي تستخدمها الجماعات المنحرفة لتضليل الشباب وتجهيلهم تجاه واجبهم الديني والوطني والاجتماعي، مما يسهم في تحصين الأفراد فكريًا ومعرفياً.

٦.ترسيخ المرجعية الشرعية الصحيحة حيث تدعو العلوم الشرعية إلى الرجوع إلى العلماء الثقات الراسخين في العلم الشرعي الصحيح، والمصادر الموثوقة عند البحث عن الفتاوى والأحكام، حتى تمنع انتشار الفوضى الفكرية الناتجة عن الاعتماد على مصادر غير موثوقة، مثل الإعلام المغرض أو أساليب الاستمالة الفكرية لدى التيارات الحركية الهدامة.

٧.تحقيق التماسك الاجتماعي والاستقرار الفكري حيث تسهم العلوم الشرعية في تعزيز الانتماء الديني والوطني، مما يجعل الأفراد أكثر وعيًا بأدوارهم في بناء مجتمع متماسك فكريًا وأكثر ثباتاً أمام الأفكار المتطرفة مما تمنع الانقسامات داخل المجتمع الواحد، من خلال نشر ثقافة التسامح واحترام الاختلاف الفكري المشروع.

٨.تعزيز دور المؤسسات الشرعية والتعليمية في نشر الوعي حيث تدعم المؤسسات الشرعية والجامعات الإسلامية في نشر الفكر السليم والمعتدل، مما يسهم في توفير بيئة علمية تحمي من التضليل المعرفي وتحصن من التجهيل الفكري.

المبحث الثالث: آليات العلوم الشرعية في مواجهة التجهيل الفكري وتعزيز الوعي الفكري.

ونعني بآليات العلوم الشرعية وهي الوسائل المنهجية والعملية التي توفرها العلوم الشرعية لحماية العقل المسلم من الجهل والخرافات والانحراف والتطرف، وتزوده بالأدوات الفكرية اللازمة لفهم الدين بمنهجية صحيحة وسليمة، والتعامل مع القضايا الفكرية المستجدة بحكمة ووعي ورشد، وأبرز هذه الأليات الاعتماد على نصوص القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، ايضاً إتباع المنهجية العلمية الرصينة في دراسة النصوص الشرعية فهماً واستدلالا، كذلك التفسير المنهجي لدراسة نصوص القران الكريم والسنة النبوية.

المطلب الأول: الاعتماد على نصوص القران الكريم والسنة النبوية.

تعتمد العلوم الشرعية على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارهما المصدرين الأساسيين للمعرفة الدينية الصحيحة، وذلك من خلال ضبط الفهم والاستنباط منهما، حيث تُسهم العلوم الشرعية في تحصين العقل المسلم من التجهيل الفكري والتضليل المعرفي، وتُنشئ لديه وعيًا فكريًا ناضجًا قائمًا على التفكير الناقد مما يحقق الوعي الفكري والحصانة المعرفية.

أولاً: الاعتماد على القرآن الكريم في بناء الوعي ونقض التجهيل ونقده.

القرآن الكريم ليس فقط كتاب عبادة وتلاوة، بل هو كتاب هداية وتنوير وبناء حضاري وفكري، كما قال الله تعالى:{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}, [إبراهيم: ١] , من الظلمات وتعني : ظلمات الجهل، والهوى، والتقليد الأعمى، والغلو , إلى النور ويعني : نور العلم، والحكمة، والتوازن، والفهم السليم , والاعتدال[٢٢] , فالعلوم الشرعية تُدرَّس وتُفهم من خلال تفسير الآيات القرآنية، وتأصيل المفاهيم المستقاة منها، كآيات الفكر والتدبر، والوحدة، والعدل، والحرية، ورفض الظلم، مما يساعد على بناء فكر إسلامي متزن ومعتدل يرفض التطرف والتشدد والغلو.

ثانيًا: الاعتماد على السنة النبوية في ترسيخ الوعي وضبط الفهم.

تعتبر السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي, وهي الشارحة والمبينة للقرآن الكريم ، وهي التطبيق العملي للوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى , والعلوم الشرعية -كالحديث والفقه وأصوله- تقوم على تحليل نصوص السنة وتوجيهها توجيهًا صحيحًا وسليماً، وقد بين أهميتها النبي ﷺ إذ يقول : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به

[٢٢] -راجع: فتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، دمشق , ١٤١٤هـ، ط١ ج٣ , (ص١١١)

لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي"[٢٣] , فالتمسك بنصوص (القرآن والسنة) هو الضمان ضد التجهيل الفكري والتضليل المعرفي ، وبالتالي فإن العلوم الشرعية التي تعتمد على هذين الأصلين تكون وسيلة لحماية العقل والفكر من الانحراف والتطرف والأفكار الهدام المضللة .

المطلب الثاني: المنهجية العلمية في دراسة النصوص الشرعية.

تمثل المنهجية العلمية في دراسة النصوص الشرعية الإطار الأصيل والصحيح لفهم الدين , وهي تقوم على مجموعة من الضوابط والقواعد التي تهدف إلى الوصول إلى الفهم السليم للنصوص القران والسنة بعيداً عن التأويل المذموم، والجهل، والغلو، والتعصب.

وتقوم المنهجية العلمية أولاً: في تحديد مصادر الاستدلال الشرعي المعتبرة باتفاق أغلب العلماء الثقات من أهل العلم الشرعي وهي على النحو التالي:

١. القرآن الكريم: أصل الأصول، ولا يُقدَّم عليه شيء.
٢. السنة النبوية الصحيحة: شارحة للقرآن ومبينة له.
٣. الإجماع: اتفاق علماء الأمة في مسألة شرعية.
٤. القياس الصحيح: بناء حكم على حكم شرعي لعلة جامعة بينهما.
٥. المصادر التكميلية: وهي الاستحسان، والعرف، المصالح المرسلة، الاستصحاب[٢٤] .

ثانيا: تقوم المنهجية العلمية على ضوابط فهم النصوص الشرعية على النحو الاتي:

١. الرجوع إلى فهم السلف الصالح، فإن فهم الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم هو الميزان في تفسير النصوص، ويؤكد ذلك ابن تيمية رحمة الله إذ يقول: "فمن خالف ما اتفقت عليه الصحابة فليس على طريق الهدى"[٢٥]

٢. الجمع بين النصوص والتوفيق بينهم وعدم إعمال بعضها وإهمال الآخر، فالمنهج الصحيح يقوم على الجمع بين الآيات والأحاديث ذات العلاقة، ولا يأخذ بواحدة ويترك الأخرى، كالجمع بين آيات الجهاد وآيات السلم، أو بين أحاديث الوعيد وأحاديث الرجاء.

٣. التفريق بين المحكم والمتشابه، يقول تعالى: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات} [آل عمران: ٧] , والمطلوب رد المتشابه إلى المحكم، لا العكس، بعكس أهل الأهواء الذين يستغلون المتشابه لنشر الشبهات والأفكار الهدامة المضللة.

٤. الاعتماد على اللغة العربية لفهم النص، لأن النصوص نزلت بها، وفهم معانيها شرط في الاستنباط السليم، يقول الإمام الشافعي رحمة الله:" لا يُفهم كتاب الله إلا من جهة لسان العرب"[٢٦]

٥. مراعاة السياق والسبب الذي وردت فيه الآية أو الحديث، لأن بعض النصوص لها أسباب نزول أو ورود، ولا تُفهم بمعزل عنها.

المطلب الثالث: التفسير المنهجي لدراسة نصوص القران الكريم والسنه النبوية.

يعتبر التفسير المنهجي لدراسة نصوص القرآن والسنة من أبرز معالم المنهج الشرعي الأصيل الذي تعتمده العلوم الشرعية، والذي حافظ على نقاء العقيدة وصحة الفهم واستقامة الفكر عبر العصور، حيث يقوم على أسس علمية دقيقة ومنهجية متكاملة، تُعنى بفهم النصوص في ضوء قواعد اللغة، ومقاصد الشريعة، وفهم السلف الصالح، والسياقات الشرعية المعتبرة والضوابط الأساسية التي اعتمدها اهل التفسير في تفسير نصوص القران والسنة.

ويقوم التفسير المنهجي على ما يلي:

١. عدم الخروج عن ظاهر النص إلا بدليل، فالأصل أن تُفهم النصوص على ظاهرها ما لم يوجد صارف شرعي أو لغوي، وقد بين الإمام أحمد رحمة الله أهمية هذه المنهجية وأكد على أخذ الحديث على ظاهره كما جاء بلا تأويل ولا تحريف[٢٧].

٢. مراعاة مقاصد الشريعة، فالتفسير لا يُبنى على الظاهر فقط، بل يُنظر إلى ما يحقق مقاصد الشرع الكبرى وهي: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ المال، حفظ النسل.

٣. التمييز بين المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، فمن أدوات الفهم الدقيقة: معرفة تاريخ النزول، وتدرج التشريع، ومعرفة ما بقي وما نُسخ حكمه، مما يحقق الوعي الفكري وينقض التجهيل الفكري والتضليل المعرفي في نصوص القران الكريم والسنة النبوية.

المبحث الرابع: نماذج تطبيقية من الجهود العلمية الشرعية في تعزيز الوعي الفكري.

أدركت المملكة العربية السعودية مبكرًا خطورة الانحرافات الفكرية والشبهات العقدية والمعرفية المضللة التي تستهدف عقول الشباب الجامعي، فتبنت الجامعات السعودية -بصفتها مراكز علمية وفكرية وثقافية- مشروعًا وطنيًا واسع النطاق لتعزيز الوعي الفكري , وتحقيق الأمن المعرفي , من خلال ومواجهة التجهيل والتضليل و الغلو والتشدد ، والتصدي للتطرف والانحراف الفكري والإرهاب ، وذلك عبر برامج علمية ومؤسسية تجمع بين العلوم

[٢٣] _ اخرجه البيهقي، شعب الإيمان، برقم ٣٣١٥.
[٢٤] _ الموافقات، للشاطبي، ج٤ , (ص١٤٣).
[٢٥] _ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٤ , (ص١٥٥) مرجع سابق.
[٢٦] _ الرسالة، الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١ ,١٩٣٨م، (ص ٤٢).
[٢٧] _ ينظر: أصول السنة وللإمام احمد، دار المنار، الخرج والرياض، ط١, ١٤١١هـ، (ص٢٤).

الشرعية والاجتماعية، وتعتمد على رؤية شرعية معتدلة ومتزنة مستمدة من منهج أهل السنة والجماعة وعلى منهج السلف الصالح , فتبنت الجامعات السعودية هذا المشروع انطلاقا من رؤية المملكة ٢٠٣٠ التي تركز على نشر ثقافة الاعتدال , والانفتاح المعرفي , وتحصين النشء فكريا وثقافيا للحفاظ على الهوية الإسلامية والوطنية.

المطلب الأول: تجربة الجامعات السعودية في تعزيز الوعي الفكري.

شهدت الجامعات السعودية في السنوات الأخيرة تحولًا استراتيجيًا واضحًا في دعم الأمن الفكري وتعزيز الوعي الشرعي والمعرفي لدى طلابها، وذلك تماشيًا مع التحديات الفكرية المعاصرة، وتطبيقًا لرؤية المملكة ٢٠٣٠ التي تُعلي من قيمة الاعتدال , والوسطية ، والوعي، والانتماء الوطني والديني و وقد أولت وزارة التعليم أهمية كبرى لهذا الملف، من خلال إنشاء وحدات متخصصة تهتم بهذا الشأن بمنهجية واضحة , من خلال إدخال برامج أكاديمية وتوعوية تهدف إلى تحصين الطالب الجامعي من الفكر المتطرف والانحرافات الفكرية المضللة والهدامة , وفيما يلي أبرز التجارب التي اعتمدها الجامعات السعودية في تعزيز الوعي الفكري وتحقيق الامن المعرفي في سبيل مواجهة التجهيل الفكري .

أولًا: المبادرات المؤسسية والهيكلية: أطلقت وزارة التعليم مبادرة إنشاء "وحدات التوعية الفكرية" في جميع الجامعات السعودية وهي وحدات تُعنى بالتخطيط والتنفيذ للبرامج الفكرية التي تهدف إلى:

١. نشر ثقافة الوسطية والاعتدال.

٢. تعزيز قيم الانتماء للوطن والدين.

٣. تحصين المجتمع الجامعي من الشبهات الفكرية والتيارات المنحرفة.

٤. دعم التفكير النقدي ومهارات التحليل العلمي.

كما تم ربط هذه الوحدات إداريًا مباشرة بقيادة الجامعة لضمان فاعلية التنفيذ والمتابعة.

ثانيًا: البرامج الأكاديمية والتدريبية، حيث أدرجت بعض الجامعات مقررات أكاديمية ضمن الخطط الدراسية، مثل: "مقرر الوعي الفكري": يدرس فيه الطالب مفاهيم الأمن الفكري، ومخاطر الانحرافات الفكرية، وأسس المنهج الشرعي الوسطي، أيضاً مقرر "الأمن الفكري في الإسلام": مقرر يُبرز جهود الإسلام في تحصين العقل، ويكشف الأساليب التي يتبعها الفكر المتطرف في تضليل العقول، كما أقامت الجامعات دورات تدريبية وورش عمل بالتعاون مع مفكرين وعلماء متخصصين في قضايا الوعي الفكري والتطرف والإرهاب.

ثالثًا: الأنشطة التوعوية والمبادرات الطلابية، حيث قامت الجامعات بتنظيم أنشطة متنوعة لتعزيز الوعي الفكري، مثل: الملتقيات الحوارية والندوات الفكرية التي تستضيف العلماء والمتخصصين، والمعارض التوعوية لعرض مخاطر الفكر المتطرف والإرهاب، والمسابقات البحثية التي تعزز التفكير الناقد، وإقامة اللقاءات الطلابية المفتوحة مع المسؤولين لمناقشة التحديات الفكرية المعاصرة.

رابعًا: دور الجامعات في البحث العلمي والفكري حيث شجعت الجامعات على دعم الأبحاث العلمية والدراسات العليا في مجالات الأمن الفكري والتطرف والغلو وكما ساهمت في نشر دراسات علمية في المجلات المحكمة تتناول الشبهات المعاصرة وأساليب الرد عليها، أيضا عمدت إلى إنشاء وتأسيس كراسي بحثية متخصصة في موضوعات الفكر الإسلامي والحوار بين الثقافات.

خامسًا: أمثلة ونماذج واقعية لتجربة الجامعات السعودية في تحقيق الوعي الفكري وتعزيز الامن المعرفي

١_جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رائدة في هذا المجال، أنشأت مركزًا متخصصًا في الأمن الفكري، وتقدم برامج دبلوم في هذا المجال.

٢_جامعة الملك سعود: أطلقت مبادرة "سراج " لتعزيز التفكير الواعي ومواجهة الشائعات الفكرية.

٣_جامعة الملك خالد، قدمت مقررًا إلزاميًا لجميع الطلاب بعنوان "الوعي الفكري"، وأنشأت مركزًا خاصًا بالتوعية الفكرية.

٤_جامعة أم القرى، اهتمت بالبعد الشرعي في تعزيز الوعي الفكري، وعقدت عدة ندوات علمية لمناقشة الفكر التكفيري، وفهم النصوص الشرعية على منهج أهل السنة والجماعة والسلف الصالح.

المطلب الثاني: جهود المؤسسات الفكرية في المملكة العربية السعودية في تعزيز الوعي الفكري وتحقيق الأمن المعرفي.

لقد أولت المملكة العربية السعودية اهتمامًا بالغًا بتحقيق الأمن الفكري والمعرفي وتعزيز الوعي الفكري، وذلك انطلاقًا من إدراكها بأن الفكر المتطرف والانحرافات المعرفية تُشكل تهديدًا حقيقيًا على استقرار المجتمع، ووحدة النسيج الوطني، وسلامة المنهج الإسلامي الوسطي والمعتدل , وقد برزت في هذا السياق مؤسسات فكرية متخصصة تم تأسيسها أو تطويرها لتقوم بدور محوري في نشر الوعي الفكري، ومواجهة التطرف والارهاب، والتصدي لأساليب التجهيل والتضليل , وتعزيز ثقافة الوسطية والاعتدال، بأساليب علمية ومنهجية عميقة , ومن هذه المؤسسات ما يلي :

١. مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، يعد من أهم المنصات الفكرية في المملكة، حيث يهدف إلى تعزيز ثقافة الحوار والاختلاف البناء، والتقريب بين وجهات النظر،

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

ينظم برامج ومؤتمرات لتعزيز القيم الفكرية والوسطية في المجتمع، لا سيما بين فئة الشباب.

٢. مركز الأمير محمد بن نايف للمناصحة والرعاية، يعتبر مركزاً متخصصاً في معالجة أصحاب الفكر المتطرف، وإعادة تأهيلهم فكريًا ونفسيًا، حيث يقوم على برامج شرعية ونفسية وتربوية متكاملة، وقد حقق نجاحًا عالميًا في خفض نسب العائدين للفكر المتطرف، ويعد نموذجًا سعوديًا فريدًا في الوقاية والمعالجة الفكرية.

٣. رئاسة أمن الدولة – الإدارة العامة للأمن الفكري، تقوم بدور رقابي وتوعوي، عبر حملات فكرية موجهة، وبرامج تستهدف تحصين المجتمع من التطرف، كما تركز على معالجة خطاب الكراهية، ومحاربة الفكر المؤدلج الذي يسعى لتشويه تعاليم الإسلام.

٤. هيئة كبار العلماء وهيئة الإفتاء تمثل مرجعية شرعية فكرية موثوقة، تقدم الفتاوى والتوجيهات التي تُرسخ منهج أهل السنة والجماعة في الفهم، كما أصدرت بيانات مهمة في مواجهة الفكر التكفيري، والغلو، والخروج على الجماعة.

٥. وحدات التوعية الفكرية في الجامعات السعودية، تتبنى مشاريع أكاديمية وثقافية لتعزيز الأمن المعرفي وتحقيق الوعي الفكري.

٦. مركز اعتدال (المركز العالمي لمكافحة الفكر المتطرف)، أُسس بمبادرة سعودية عالمية، يعمل على رصد وتحليل الخطاب المتطرف عبر المنصات الإلكترونية، ويفند الشبهات ويواجه الدعايات الإرهابية بلغة علمية وتقنية.

آليات عمل هذه المؤسسات في تعزيز الوعي الفكري

١.إعداد برامج تأصيلية في الفكر الإسلامي الوسطي، والرد على الانحرافات الفكرية.

٢.تنظيم مؤتمرات ومنتديات تضم علماء ومفكرين من داخل المملكة وخارجها.

٣.إصدار كتب وأبحاث ودراسات متخصصة في تحليل الفكر المتطرف وآثاره.

٤.توظيف وسائل الإعلام والتقنية الحديثة لبث الرسائل التوعوية، خاصة عبر وسائل التواصل.

٥.الشراكة مع الجامعات والمدارس لتكامل الجهود في بناء الوعي لدى الأجيال الجديدة.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبعد دراسة معمّقة لموضوع دور العلوم الشرعية في مواجهة التجهيل الفكري وتحقيق الوعي الفكري، تبيّن أن للعلوم الشرعية دورًا أصيلًا ومفصليًا في بناء العقل المسلم الواعي، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، ومجابهة التيارات الفكرية المنحرفة، عبر مرجعية ثابتة تقوم على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ومنهج أهل السنة والجماعة في الفهم والتأصيل، وقد خلص البحث الى عدة نتائج **وتوصيات أوضحها على النحو الاتي:**

أولًا: نتائج البحث

١.العلوم الشرعية تمثل الحصن الحصين للأمن الفكري وتحقق الوعي الفكري، وتتصدى لممارسات التجهيل الفكري والتضليل المعرفي، لما فيها من مضامين ترسخ التوازن والوسطية في الفهم والسلوك.

٢.التجهيل الفكري يُعد أخطر أبواب الانحراف المعرفي والفكري، ويتجلى في تحريف المفاهيم، وبث الشبهات، وتأويل النصوص على غير مرادها.

٣.الوعي الفكري لا يتحقق إلا من خلال منهج علمي راسخ، يعتمد على دراسة النصوص الشرعية وفق قواعد التفسير والفقه والمقاصد الشرعية.

٤.للجامعات السعودية والمؤسسات التعليمية والدعوية دور محوري في نشر الوعي وتصحيح الفكر، من خلال المناهج، والمحاضرات، والأنشطة العلمية، والفكرية.

٥.العلوم الشرعية لا تقتصر على الفقه والعبادات، بل تشمل بناء العقل المسلم وتحقيق الأمن المعرفي وتعزيز الوعي الفكري من خلال التربية الفكرية والنقدية.

ثانيًا: توصيات البحث

١.تعزيز تدريس العلوم الشرعية وفق منهجية علمية وسطية تراعي المقاصد وتفسر النصوص بفهم سلف الأمة.

٢.إدراج مقررات تعليمية متخصصة في الوعي الفكري ومواجهة الفكر المنحرف ضمن مناهج التعليم العام والجامعي.

٣.دعم البحوث الشرعية والفكرية التي تتناول الانحرافات الفكرية الحديثة وأساليب التصدي لها.

٤.بناء شراكات بين المؤسسات التعليمية والفكرية والإعلامية لنشر ثقافة الوسطية، ومواجهة الغلو، والتطرف، والتجهيل.

٥.تحصين الشباب من الفكر المنحرف عبر برامج توعوية حوارية تعتمد على المنطق والعلم الشرعي الصحيح، وتقدم خطابًا جذّابًا معاصرًا.

فهرس المصادر والمراجع:

[1] _ مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥ , ١٤٢٠هـ.

[1] _ المعجم الإشتقاقي، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١ , ٢٠١٠م.

[1] _الإحكام في أصول الأحكام، على بم حزم الظاهري، دار الحديث، القاهرة، ط٢ , ج١ , ١٤٠٣هـ.

[1] _الانتصار لأهل الأثر والرد على المنطقيين، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن قائد، دار عطاءات العلم، الرياض، ط٣ , ٢٠١٩ م،

[1]_النظرية الاجتماعية والبنية الاجتماعية، مرتون، نيويورك , ١٩٦٨م، بدون مترجم.
[1]_العلاج الطبيعي المعرفي: اضطرابات الشخصية، باندورا، ورقة علمية مقدمة بالمؤتمر الوطني العراقي , ٢٠٠٥ م.
[1]_الحركات الإسلامية المعاصرة في المجتمعات الإسلامية دراسة وصفية، فايز الحربي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، قسم الدراسات الإسلامية , ٢٠١٩م.
[1]_معاني القران، أبو زكريا الفراء، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١ , ج٢ , ٢٠١٦م.
[1]_المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
[1]_ أساليب مواجهة الشائعات، منشورات مجلة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
[1]_ دور الإعلام في مواجهة استخدام الجماعات المتطرفة للقوة الناعمة، سلطان الحارثي، رسالة ماجستير، جامعة نايف للعلوم العربية والأمنية , ٢٠١٩م.
[1]_ الاعتصام، إبراهيم الشاطبي، تحقيق: هشام الصيني، دار ابن الجوزي للنشر، الرياض، ط١, ٢٠٠٨م.
[1]_ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار ابن حزم، مصر.
[1]_جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١, ١٩٩٤مز
[1]_ اتجاهات بناء الوعي الفكري في مواجهة التطرف والإرهاب، فهد الشهراني، بحث علمي منشور، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للدعوة والاحتساب , ١٤٤٣هـ
[1]_ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية.
[1]_ إعلام الموقعين، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت , ١٩٩١م، ط١.
[1]_الموافقات، الشاطبي، ج٢ ,دار ابن عفان، ط١ , ١٩٩٧م.
[1]_مسند النسائي.
[1]_ صحيح مسلم.
[1]- فتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، دمشق , ١٤١٤هـ، ط١.
[1]_ شعب الإيمان، للبيهقي.
[1]_الرسالة، الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١ ,١٩٣٨م.
[1]_أصول السنة وللإمام احمد، دار المنار، الخرج والرياض، ط١, ١٤١١هـ.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

الأثر المترتب من التشريع الجنائي الإسلامي في حفظ مقاصد الشريعة.

أ. عبد الله بن عوض بن ظافر القرني

مستشار قانوني – عضو الهيئة السعودية للمحامين – قاض المحكمة الدولية لتسوية المنازعات بلندن.

The Effect of Islamic Criminal Legislation on Safeguarding the Objectives of Sharia.

Abdullah awadh h alqarni

Legal Advisor - Member of the Saudi Bar Association in the Kingdom of Saudi Arabia - Judge at the International Court for Dispute Resolution in London

E-mail: abdullah.757583@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

أثر – تشريع – جنائي – حفظ – مقاصد – شريعة.

KEY WORDS:

Effect – Legislation – Criminal – Preservation – Objectives – Sharia

مستخلص البحث:

يهدف هذ البحث إلى ايضاح المفهوم الشامل والوصف الكامل لماهيّة الأثر المترتب من التشريع الجنائي الإسلامي في حفظ مقاصد الشريعة؛ حيث يعد التشريع الجنائي الإسلامي أحد أبرز أدوات حماية النظام العام وتحقيق العدالة بوجه عام، وللإنسان بوجه خاص، إذ يستند إلى قواعد شرعية تستهدف حفظ الضرورات الخمس، كحفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وعليه يتميز هذا التشريع بقدرته على التوازن بين الردع والإصلاح، مما يسهم معه في بناء المجتمعات وتحقيق الأمن والاستقرار.

وتضمنت الدراسة بيان مفهوم التشريع الإسلامي, وتبيان اقسامه, فضلاً عن الغاية والمقاصد من إقامة وتطبيق العقوبات الجنائية والتي هي: القصاص, والحدود, والتعزيرات, دون الإسهاب في معنى كل منها, ومشروعيتها من الكتاب والسنة والإجماع, ليسهل على القارئ النهم الوصول للأثر السامي في توضيح التطبيق العملي للمحافظة على كليات الشريعة ومقاصدها التي جاءت بها, وهي جلب المصالح, ودفع المفاسد, ولأن في إعمال ذلك كله سلامة المجتمع, وقبل ذلك كله بقاؤه "أي الإنسان" في هذه الحياة حتى يؤدي الدور المنوط عليه والذي من اجله خلق, قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (الذاريات : ٥٦).

ABSTRACT:

This study aims to elucidate the comprehensive concept and detailed nature of the impact of Islamic criminal legislation on the preservation of the higher objectives (Maqasid) of Sharia. Islamic criminal law represents one of the most significant instruments for safeguarding public order and achieving justice both at the societal level and for the individual. It is grounded in Sharia principles designed to protect the five essential necessities: religion, life, intellect, progeny, and property. Accordingly, this legal framework is distinguished by its capacity to strike a balance between deterrence and reform, thereby contributing to societal development, security, and stability.

Throughout the course of this research, I examine the concept of Islamic legislation, its classifications, and the ultimate aims behind the implementation of criminal penalties, namely: retributive (Qisas), fixed (Hudud), and discretionary (Ta'zir) punishments. Rather than delving into the detailed definitions or justifications of each, the study highlights their legitimacy as derived from the Qur'an, Sunnah, and scholarly consensus. This approach is intended to facilitate a clearer understanding of the elevated impact these rulings have in achieving the practical application of the core objectives of Sharia, which are centered around the promotion of benefit and the prevention of harm. The realization of these objectives ensures not only the safety and stability of society but also the preservation of human life—enabling individuals to fulfill the divine purpose for which they were created, as stated in the Qur'an: "And I did not create the jinn and mankind except to worship Me" (Adh-Dhariyat: 56).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنه لما كان لموضوع مقاصد الشريعة عموما، والتشريع الجنائي الإسلامي على وجه الخصوص، من الأهمية بمكان، وذلك لضرورتهما التي تتمثل في أن كل مسلم ينبغي له أن يعلم أن في تطبيق شرع الله تعالى على الوجه الذي أراده خيري الدنيا والآخرة، وأيضاً حصول السعادة في الدارين واستتباب الأمن والاستقرار في المجتمع، وحصول جميع المصالح والتي جاءت بها عموم الشريعة لجلبها والمحافظة عليها، والعمل على دفع المفسدة والتي قد تفضي بترك العمل لمقتضاها إلى تفشي مفاسد عظمى.

لكل ما سبق قصدت كتابة هذا البحث؛ لبيان الأثر الذي يترتب من التشريع الجنائي الإسلامي في حفظ مقاصد الشريعة، والتي تتمثل في الكليات الخمس، والتي جاءت كل الشرائع بمراعاتها والمحافظة عليها.

مشكلة البحث:

لم تكن هناك ثمة مشكلة بحثية من منظور شرعي؛ وذلك كون التشريعات الإسلامية التي جاء بها نبي الأمة ورسولها محمد صلى الله عليه وسلم كانت قد اشتملت في بيانها وتوضيحها للناس جمعاء عن ضرورة حفظ المقاصد الكبرى والذي بدورها والعمل على حفظها وصيانتها وحمايتها نكون بذلك قد حققنا الرسالة السامية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثم عصمت الدماء والأنفس والأموال والأعراض وقبل ذلك الدين، ممن تسول أنفسهم بالقيام لفعل احدى الجنايات او الجرائم مع تعدد صورها واشكالها.

ولكننا قد نواجه مشكلة أكاديمية وهي تنحصر في مسألة جمع كل ما من شأنه في ماهيّة التشريع الجنائي الإسلامي؛ والتفصيل في كل منهما, مع مراعاة اختلاف الآراء الفقهية على اقوال المذاهب الاربعة, إذ يتعين على الباحث التوسع في القراءة لكتب الفقهاء السلف والخلف, واستنباط ما اجمع عليه الجمهور من العلماء, والبحث ايضاً في كتب شراح القانون الجنائي, وما استقرت عليه الأحكام القضائية, والعمل به في المحاكم الشرعية, ليكون بعد ذلك قد توصل لوعاءٍ شامل بمفهومه الكامل وبصورة مستقلة تتحدث فيه عن مسائل الجنايات والقصاص والحدود والتعزيرات.

أهداف البحث:

إن الناظر في طيّات هذا البحث يجد ان مدار الحديث يهدف إلى الكشف عن الأثر المترتب من التشريع الجنائي الإسلامي في حفظ مقاصد الشريعة، فضلاً عن الغاية الأسمى والأهداف الرئيسة التي تكمن في "حفظ الدين وحفظ الأنفس وحفظ الأعراض وحفظ الأموال وحفظ العقول وتحقيق العدالة وتوجيه السلوك البشري وتعزيز السلم المجتمعي"؛ وتحديد القيم المترتبة على تطبيقه، وكذلك التعرف على التحديات التي تواجه هذا التشريع في السياقات المعاصرة، وسنجمل هذه الأهداف الكبرى لما يلي:

-توضيح مفهوم التشريع الجنائي الإسلامي.

-إبراز علاقة هذا التشريع بمقاصد الشريعة.

-تحليل أثره في حماية الضرورات الخمس.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في تسليط الضوء على الأسس التي يقوم عليها التشريع الجنائي الإسلامي، وبيان كيفية العمل على تطبيق ما جات به تلكم التشريعات، والإسهام في صيانة الحقوق الفردية والجماعية ضمن إطار حفظ مقاصد الشريعة.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وكان عملي فيه منصب نحو البحث في بيان معنى التشريع الجنائي الإسلامي، وتبيان اقسامه، وهي: القصاص والحدود والتعزير، ومن ثم قمت بتحليل الأثر الذي يترتب تجاه كل مقصد إبان المحافظة عليه، والعمل بمقتضاه.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: يتلخص حدود الموضوع المتعلق بالدراسة في بيان الأثر المترتب من التشريع الجنائي الإسلامي في حفظ مقاصد الشريعة.

الحدود المكانية: تم إعداد وجمع هذه الدراسة على اقليم المملكة العربية السعودية.

الحدود الزمانية: شهر شوال لعام ١٤٤٦هـ.

الدراسات السابقة:

ومن الدراسات السابقة في هذا الموضوع بحث بعنوان: "التشريع الجنائي الإسلامي وأثره في حفظ مقاصد الشريعة" للدكتور خالد أحمد البشير أحمد – بحث منشور في مجلة جامعة الأزهر - كلية الشريعة والقانون بأسيوط عام ٢٠٢٤م.

بحث بعنوان: "فلسفة التشريع الجنائي وأثرها في مقاصد الشريعة" للأستاذ الدكتور يونس عبدلي - بحث منشور بمجلة جامعة عبد الرحمن السميط - العدد الأول ٢٠١٦م.

بحث بعنوان: "أثر التشريع الجنائي في حفظ المجتمع وحفظ مقاصد الشريعة" للدكتور حسن إبراهيم الهنداوي - بحث منشور في مجلة جمعية المسلم المعاصر عام ٢٠١٤م.

بحث بعنوان: "مقاصد التشريع الجنائي في الإسلام " بحث مقدم من الدكتور طه فارس - لمؤتمر عُقد في جامعة الشارقة عام ٢٠٠٨م.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

خطة الدراسة:

مقدمة، وبيان مشكلة البحث، والهدف من الشروع في إعداد البحث، ثم يلي ذلك الغاية او الأهمية في كتابة البحث، وتحديد المسار المتبع في منهج البحث، وبيان حدوده، والتطرق إلى الدراسات السابقة في موضوع هذا البحث، ثم يأتي بعد ذلك تباعاً تقسيم ووضع عناوين لكل مبحثٍ ومطلب كما يلي:

المبحث الأول: مفهوم التشريع الجنائي الإسلامي وأثره في حفظ مقاصد الشريعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التشريع الجنائي الإسلامي وأقسامه.

المطلب الثاني: أثر التشريع الجنائي الإسلامي في حفظ مقاصد الشريعة.

المبحث الثاني: المقاصد الشرعية من إقامة وتطبيق العقوبات الجنائية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مقاصد عقوبة القصاص.

المطلب الثاني: مقاصد إقامة الحدود.

المطلب الثالث: مقاصد عقوبة التعزير.

وبعد ذلك الخاتمة؛ ويليها اهم النتائج والتوصيات، مع ذكر المصادر العلمية والمراجع في نهاية هذا البحث.

المبحث الأول: مفهوم التشريع الجنائي الإسلامي وأثره في حفظ مقاصد الشريعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: " التشريع الجنائي الإسلامي " وأقسامه

أولا: معنى التشريع

التشريع لغة: مصدر شَرَّعَ بالتشديد، وشرع أي نهج وأوضح وبيَّنَ المسالك، وشَرَّعَ لهم يُشَرِّعُ شَرْعاً أي سنَّ، قال الله تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا} (الشورى (١٣) وقال عز وجل: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ} (الشورى: ٢١) (١).

التشريع في الاصطلاح الشرعي، هو: الأحكام التي شرعها الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة، سواء أكان تشريع هذه الأحكام بالقرآن أم بسنّة النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير (٢).

معنى الجنائي: الجنائي: اسم منسوب بياء النسبة المشددة، وأصله جناء والجاني: هو الكاسب، وجمعها جناة، وجناء، وأجناء، وجنى الذنب عليه جناية، أي: جره إليه، فالجناية: هو الذنب والجرم، وما يفعله الإنسان مما يوجب العقاب، أو القصاص في دنياه وأخراه (٣).

وبعبارة أوضح: اسم لما يجنيه المرء من شر، وما اكتسبه، تسمية بالمصدر من جنى عليه شراً، وهو عام، إلا أنه خص بما يحرم دون غيره (٤).

أما في الاصطلاح الفقهي فالجناية: اسم لفعل محرم شرعاً، سواء وقع الفعل على نفس، أو مال، أو غير ذلك؛ لكن الفقهاء تعارفوا على إطلاق لفظ الجناية في الأفعال الواقعة على نفس الإنسان أو أطرافه، وهي: القتل والجرح، والضرب، والإجهاض، بينما يطلق بعضهم لفظ الجناية على جرائم الحدود والقصاص. (٥).

وعليه فهذا التعريف الشرعي: يشمل كل جريمة، فكلمة الجناية تشمل جرائم الحدود، وجرائم القصاص، وتشمل - أيضا - جرائم التعزير، كما سأذكره في المبحث الثاني عند أقسام الجنايات.

ولكن أغلب الفقهاء قصروا اسم الجناية على التعدي الواقع على نفس الإنسان وأطرافه، فتكون الجناية بهذا المعنى مرادفة للقصاص ودياته، فلا تشمل الجرائم المتعلقة بالحدود والتعزيرات، وعليه نجد أن الإمام ابن رشد - رحمه الله - مثلا قد استخدم اسم الجنايات لكل أنواع الجرائم، إذ يقول في كتاب الجنايات: والجنايات التي لها حدود مشروعة أربع : جنايات على الأبدان، والنفوس، والأعضاء، وهو المسمى: قتلاً وجرحاً، وجنايات على الفروج وهو المسمى : زناً وسفاحاً، وجنايات على الأموال : وهذه ما كان منها مأخوذاً بحرب سمي: حرابة إذا كان بغير تأويل، أو بتأويل سمي: بغياً، وإن كان مأخوذاً على وجه المغافصة (٢) من حرز يسمى : سرقة، وما كان منها بعلو مرتبة وقوة سلطان سمي: غصباً، وجنايات على الأعراض وهو المسمى قذفاً، وجنايات بالتعدي على استباحة ما حرمة الشرع من المأكول والمشروب، وهذه إنما يوجد فيها حد في هذه الشريعة في الخمر فقط، وهو حد متفق عليه بعد صاحب الشرع صلوات الله عليه (٣).

---

(١) ينظر لسان العرب، ابن منظور، ٢/٣١٥، تهذيب اللغة - الأزهري الهروي، ١/٢٧١، المعجم الوسيط - إبراهيم منصور وآخرون، ١/٤٧٩.

(٢) تاريخ التشريع، مناع القطان ١/١٤.

(٣) ينظر: "لسان العرب" لابن منظور مادة: [جني]: ١٤ / ١٥٤ ١٥٦، تاج العروس" للزبيدي: [جني]: ٣٧/٣٧٤.

(٤) التشريع الجنائي الإسلامي مقارنة بالقانون الوضعي د. عبد القادر عودة، (٢) دار الرسالة العلمية، دمشق، ١/١٨٢.

(٥) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري ت ٩٧٠ ه، وفي آخره تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري ت بعد ١١٣٨ه، وبالحاشية منحة الخالق لابن عابدين ط٢، ٨/٣٢٦. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق مع حاشية الشلبي" لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي: ت (٧٤٣ه لحاشية لشهاب الدين أحمد بن حمد ابن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشلبي (ت: ٥١٠٢١)، (ط١) المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق القاهرة، ١٣١٣ ه، ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي ط٢ ٩٧٦ وتبصرة الحكام لابن فرحون المالكي: ٢/ ٢١٣.

وبغض النظر عما تعارف عليه الفقهاء من إطلاق لفظ الجناية على بعض الجرائم دون البعض الآخر، فبالإمكان القول: إن لفظ الجناية في الاصطلاح الفقهى مرادف لفظ الجريمة (١).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

وأما الجريمة عند الفقهاء فقد عرفها الإمام أبو الحسن الماوردي - رحمه الله بقوله: "الجرائم محظورات شرعية، زجر الله تعالى عنها بحد، أو تعزير، ولها عند التهمة حال استبراء تقتضيه السياسة الدينية، ولها عند ثبوتها وصحتها حال استيفاء توجبه الأحكام الشرعية (٤).

فتبين من هذا التعريف: أن الجريمة في الشريعة الإسلامية، تشمل ما حرمه الشارع الحكيم، وحظره على الناس أجمعين، ولكن ليس كل شيء حرمه الشارع يُعد جريمة بالمعنى الفقهي المشار إليه آنفا، وإن كان يدخل في معنى الجريمة من الناحية اللغوية، والمعنى الشرعي العام للجريمة: بمعنى اكتساب ما فيه إثم، فالمعاصي كلها تعد جرائم بالمعنى الشرعي العام، إذ إن كل معصية تعد جريمة؛ لأن فيها اكتساب شر وإثم، فضلاً عن اشتمالها على ضرر يلحق بالفرد أو المجتمع.

والحاصل أن الجريمة التي تعد جناية في عرف الفقهاء: ما ترتب عليها عقوبة دنيوية دلت عليها الشريعة الإسلامية، ولذا فإن الجرائم المنصوص عليها تكون على نوعين:

أحدهما: جرائم يترتب عليها عقوبات حدية، **والأخرى:** يترتب عليها عقوبات تعزيرية، وبعبارة أخرى، فإن العقوبة قد تكون مقدرة من قبل الشارع الحكيم والمعبر عنها بالحد، وقد تكون غير مقدرة وهي تعزيراً.

عليه فالشؤون الجنائية والجزائية: متعلقة بتنظيم إجراءات تنفيذ ما يثبت من أحكام مقدرة شرعًا، أو تقدير جزاءات شرعية ملائمة لما يرتكب من جرائم تقتضي التعزير تأديبا ومن مصطلحاتها العصرية النظام الجنائي في الإسلام)، وهو يشمل مواضيع ما يعرف في القانون المعاصر ب (القانون الجنائي) (٥).

وكلمة إسلامي معروفة: وهي النسبة إلى الإسلام الذي معناه الانقياد والاستسلام الله عز وجل، ثم خُصّ استعماله بالدين الذي أرسل الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم -، وبهذا المعنى وردت كلمة الإسلام في قوله عز وجل: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا} (المائدة ٣) وقوله تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (آل عمران ٨٥ (١).

هذا، وقد اهتمت الشريعة الإسلامية بمصالح العباد ومنافعهم، وذلك بوضع هذا النظام الجنائي كي يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، ونسلهم، وعقولهم، ومالهم، والحفظ لها يستلزم دفع من يتجاوز على حقوق غيره، والعقوبة لمن يتعدى حده؛ فلذا شرع الله العقوبات لإقامة العدل بين الخلق، ونصرة الحق، وإشاعة الأمن، والقضاء على الفتن، وتثبيتا لشرعه المعظم وزجراً لمرتكب الجرم المحرم، ولولا العقاب وإقامة الحد على الجناة؛ لكانت الأوامر والنواهي لا تمنع كثيراً من الناس ولا تنهاهم؛ لضعف إيمانهم، ورقة دينهم.

فنظام العقوبات الجنائية في الشريعة الإسلامية وضع؛ لتحقيق مجموعة من المقاصد التي تهدف إلى حماية المصالح السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والأخلاقية، في داخل الدولة المسلمة.

ثانيا: أقسام التشريع الجنائي

العقوبات الجنائية تنقسم إلى:

١ـ عقوبات أصلية وهي: العقوبات المقدرة شرعًا، وتتمثل في القصاص، والحدود.

٢ـ عقوبات بدلية: وهي العقوبات التي تحل محل عقوبة أصلية، إذا امتنع تطبيق العقوبة الأصلية لسبب شرعي، ومثالها: الدية إذا درئ القصاص، والتعزير إذا درئ الحد والقصاص.

والعقوبات البدلية هي في ذاتها عقوبات أصلية قبل أن تكون بدلية، وإنما تعتبر بدلاً لما هو أشد منها إذا امتنع تطبيق العقوبة الأشد، فالدية عقوبة أصلية في القتل شبه العمد، ولكنها تعتبر عقوبة بديلة بالنسبة للقصاص، والتعزير عقوبة أصلية في جرائم التعازير، ويحكم به بدلاً من القصاص أو الحد، إذا امتنع الحد أو القصاص لسبب شرعي، كما أن هناك تقسيمات متعددة للعقوبات باعتبارات مختلفة (٢).

المطلب الثاني: أثر التشريع الجنائي الإسلامي في حفظ مقاصد الشريعة

أولاً: معنى الأثر

الأثر لغة: الأثر بفتحتين ما بقي من رسم الشيء، والتأثير إبقاء الأثر في الشيء (٣). وورد في المعجم الوسيط: " أثَّر فيه ترك فيه أثراً، وتأثر الشيء ظهر فيه الأثر، وبالشيء تطبع به (٤)".

فيتضح مما سبق أن الأثر لغة: هو ترك علامة في المؤثر فيه سواء كانت تلك العلامة حسية كضربة السيف، أو معنوية كالتطبع.

(1) ينظر التشريع الجنائي الإسلامي مقارنة بالقانون الوضعي د. عبد القادر عودة: ١/ ١٨٢.

(2) المغافصة بالغين المعجمة وهي الأخذ على غرة. ينظر: لسان العرب لابن منظور (٧/٦١)، حيث قال: "غفص: غافص الرجل مغافصة وغفاصا أخذه على غرة". قال الفيومي: "غافصت فلانا إذا فاجأته وأخذته على غرة منه، وأخذت الشيء مغافصة، أي: مغالبة". "المصباح المنير (٢/٤٤٩).

(3) بداية المجتهد ونهاية المقتصد" لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ) ط دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م): ٤/ ١٧٧.

"(4) الأحكام السلطانية" للماوردي: ص: ٣٢٢.

(٥) هي: الأحكام التي حددت الجرائم والعقوبات قد أطلق عليها فقهاؤنا: اسم الحدود والجنايات والتعزيرات، وسماها المحدثون باسم القانون الجزائي أو الجنائي. (الموسوعة الفقهية الكويتية: ١/ ٤٩).

تعريف الأثر شرعاً: لم أجد فيما اطلعت عليه من كتب الفقهاء تعريفا للأثر. إلا ما ذكر في معجم لغة الفقهاء أنه: ما بقي من رسم الشيء يجمع على آثار، ويطلق على العلامة، والحديث والسنة، وما بقي من رسم الشيء، ومنه علم الآثار، والعقوبة لمن يتعدى حدة، والأجل، ويقال: جاء على أثره أي: بعده (٥).

والخلاصة: فإن الأثر يطلق على أربعة معان:

أولاً: يأتي بمعنى النتيجة، ثانيًا: بمعنى العلامة، ثالثًا: بمعنى الخبر، رابعاً: ما يترتب عليه الشيء، وهو المسمى بالحكم عند الفقهاء، مثل أحكام النكاح: أي: الأشياء المترتبة عليه من طلاق وخلع ولعان وما إلى ذلك (١).

وأقرب المعاني من كل ما سبق إلى ما نحن بصدده، هو تأثر الشـيء وظهور الأثر فيه والنتيجة الحاصلة، أي ظهور أثر تطبيق التشريع الجنائي ونتيجته في حفظ مقاصد الشريعة الإسلامية.

ثانياً: معنى مقاصد الشريعة

مقاصد الشريعة مركب إضافي مكون من كلمتين، هما: مقاصد وشريعة.

ولتعريفها لا بد من تعريف الكلمتين، **فمقاصد في اللغة** جمع مقصد، والمقصد: مصدر ميمي مشتق من الفعل قصد؛ فيقال: قصد يقصد قصدًا، وعليه فإن المقصد له معان لغوية كثيرة منها (٢).

١ ـ الاعتماد والتوجه، واستقامة الطريق قال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ} (النحل: ٩).

٢ـ التوسط وعدم الإفراط والتفريط، قال تعالى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} (لقمان: ١٩).

وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "... القصد تبلغوا" (٣).

والشريعة لغةً: مورد الماء الذي يُقصد للشرب، تقول العرب: شرعت الإبل، أي وردت مورد الماء، ثم استعملها العرب في المذهب والطريقة المستقيمة، قال الله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمرِ فَاتَّبِعْهَا} (الجاثية (١٨).

والشريعة اصطلاحاً: ما شرع الله لعباده، وهي الائتمار بالتزام العبودية، والطريق في الدين، وهي الأحكام التي سنّها الله لعباده؛ ليكونوا مؤمنين عاملين، على ما يسعدهم في الدنيا والآخرة وسميت هذه الأحكام شريعة؛ لأنها مستقيمة محكمة الوضع، لا ينحرف نظامها كالجادة المستقيمة (٤).

ويراد بمقاصد الشريعة الحِكَم التي من أجل تحقيقها ولإبرازها في الوجود خَلَقَ الله تعالى الخَلْق، وبعث الرسل، وأنزل الشرائع وكلّف العقلاء بالعمل أو الترك، كما يُراد بها المعاني والحكم ونحوها، التي راعاها الشارع في التشريع عموما وخصوصا من أجل تحقيق مصالح العباد (٥).

وباستقراء موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع عموما يتبين من كليات دلائلها، ومن جزئياتها بالاستقراء - أن المقصد العام من التشريع فيها: هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان، وتشمل صلاحه وصلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه (٦).

فاقتضت حكمة الله تعالى: أن ينزل للناس شرائع عادلة، وقوانين حكيمة هادفة يكون في الالتزام بها حفظ للمصالح، ودفع لأي ضرر طالح، فالتشريعات الإسلامية المتعلقة بالعقوبات تندرج ضمن دفع الضرر، ورفع الشرر حفظاً لمقاصد الشريعة وأصولها المنيعة، من أن تنتقص من أطرافها، أو أن يتطرق الضـرر إليها.

وعليه فنظام العقوبات الجنائية يعد جزءاً مهماً في الشريعة الإسلامية؛ وذلك لما له من أثر كبير في حفظ مقاصدها الشرعية وحمايتها مما يضرها، وصيانتها عما يضادها، ومن محاسن الإسلام، بيان أثر التشريع الجنائي في ذلك، وحمايتها فيما هنالك؛ لتحفظ نظام مجتمعها، وينتظم سيرها،

وبيان ذلك في أثرين اثنين:

الأثر الأول: أثر العقوبة في دفع الضرر عن مقاصد الشريعة:

اتفق علماء الاجتماع ومفكروهم على أن المجتمع يقوم على خمسة أنظمة أساسية لا بد منها، ولا غنى لهم عنها لقوام المجتمعات الإنسانية، وانتظام أمورهم الحياتية، بل إن صلاحها متوقف على توفر هذه الأنظمة وصلاح حالها. وهذه الأنظمة هي: النظام الديني، والنظام التربوي، والنظام الأسري، والنظام السياسي، والنظام الاقتصادي (١).

والحاصل أن استقراء أدلة كثيرة من القرآن والسنة الصحيحة يوجـب لنـا اليقين بأن أحكام الشريعة الإسلامية منوطة بحِكَم، وعليه راجعة للصلاح العام للمجتمع والافراد (٢).

ثم إن المصلحة تتكون من جزأين يكمل أحدهما الآخر، ولا يستغني جزء منها عن آخر، وأعني بذلك، جلب المنفعة، ودفع المضرة، وعليه فإن ارتكاب جريمة من الجرائم التي

(١) ينظر مختصر معارج القبول، هشام آل عقدة، ص ٦٥.
(٢) ينظر التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة / ١/ ٧٨ / ٦٣٢.
(٣) مختار الصحاح ص ٥-٦.
(٤) ينظر المعجم الوسيط ١/٥.
(٥) معجم لغة الفقهاء ١/٤٢.
(٦) ينظر التعريفات للجرجاني ١/٩.
(٧) ينظر مادة " ق ص د " تهذيب اللغة، الأزهري ٨ ٢٧٤، معجم مقاييس اللغة، ١/٢١، تاج العروس ١/٤١.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب القصد والمداومة على العمل ح رقم ٦٢٣٣.
(٢) ينظر التعريفات الجرجاني ١/١٢٧، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا الأنصاري /١/٧، التوقيف على مهمات التعاريف عبد الرؤوف المناوي، ١/٢٠٣.
(٣) مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، اليوبي، ص ٣٧
(٤) "مقاصد الشريعة الإسلامية" لابن عاشور: ص: ٢٣٤.

حرمها الشارع تعد مضرة، ودفعها ضروري لتوفر مصلحة الفرد والمجتمع على حد سواء. وسبب ذلك: " أن من المعاصي ما شرع الله فيه الحد، وذلك كل معصية جمعت وجوها من المفسدة، بأن كان فساداً في الأرض، أو اعتداء على طمأنينة المسلمين، وكانت لها داعية في نفوس بني آدم لا تزال تهيج فيها، ولها ضراوة لا يستطيعون الإقلاع منها ؛ بعد أن أشرب قلوبهم بها، وكان فيه ضرر لا يستطيع المظلوم دفعه عن نفسه في كثير من الأحيان، وكانت كثيرة الوقوع بين الناس، فمثل هذه المعاصي لا يكفي فيها الترهيب بعذاب الآخرة، بل لا بد من إقامة ملامة شديدة عليها وإيلام، ليكون بين أعينهم ذلك، فيردعهم عليه عما يريدونه (٣) " من تصرفات تعود بالضرر على الفرد والمجتمع، وخالية من أي نفع.

الأثر الثاني: العقوبات التعزيرية تعزز حفظ مقاصد الشريعة

من المعلوم أن الشريعة لم تضع عقوبات مقدرة لجميع الجنايات، وما يرتكب من جرائم مفسدات، إلا لعدد قليل من الجرائم، لعظم ما فيها من المآثم، مراعية في ذلك جسامة الجريمة من حيث ما تحدثه من فساد، وتخلفه من ضرر وإفساد، لا سيما ما يمس الضروريات الخمس التي جاء تشريعات الإسلام لحمايتها، وحفظها، وأما بقية الجرائم وما فيها من الجرائم العظام، فقد فوضت أمر تحديد عقوباتها وتطبيقها للإمام، أو من ينوب عنه مثل القاضي، وهذا النوع من العقوبات يسمى تعزيراً.

والتعزير هو: تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود، ويختلف حكمه باختلاف حاله، وحال فاعله، فيوافق الحدود من وجه أنه تأديب استصلاح وزجر، يختلف بحسب اختلاف الذنب (٤).

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي: ص: ٣٤٤.

ولذا فالتعزير عقوبة غير مقدرة شرعاً، قابلة للتغيير من حال إلى أخرى، ومن عصر إلى آخر، فضلاً عن أنها قابلة للزيادة والنقصان، والتغليظ والتخفيف بحكمة واتزان على وفق ما تقتضيه المصالح الشرعية في البلاد، وما يكون لائقا للعباد.

ومن هنا يتبين: أن التشريع الجنائي الإسلامي فيه سعة ومرونة، حيث إن العقوبات المقدرة من قبل الشارع الحكيم قليلة العدد الذي يجعل للعقوبة التعزيرية مجالاً واسعاً لإيقاعها، فضلاً عن مرونة في تغيير عقوبتها من حين إلى آخر؛ لأنها لا تكتسب صفة الثبات والديمومة، كما هو الحال بالنسبة للقصاص والحدود المعلومة.

(١) ينظر: بناء المجتمع الإسلامي، نبيل السمالوطي، (ط/٣، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، السعودية - جدة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م): ص: ٨.

(٢) ينظر مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور: ص: ١٠٥.

(٣) حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف به «الشاه ولي الله الدهلوي» ت: (١١٧٦)

وعليه فالتعزير: شرع للزجر المحض ليس فيه معنى تكفير الذنب، بخلاف الحدود، فإن معنى الزجر فيها يشوبه معنى التكفير للذنب (١).

وعليه: يكون للعقوبات التعزيرية مكانة مهمة في التشريع الجنائي في النظام الإسلامي، لا يمكن إغفالها أو الغض من مكانتها، ويتبين بعد التأمل في كل العقوبات المقدرة من قبل الشارع الحكيم، وغير المقدرة وفق النهج السليم، أن للعقوبات التعزيرية ثلاث وظائف رئيسة، يمكن أن تلحق بأثر العقوبة المقدرة سواء أكانت حدًا أم قصاصا في دفع الضرر عن مقاصد الشريعة، وحكمها البديعة، فيكون النظام الجنائي حينها نظاماً كاملاً يدرأ الضرر ، ويمنع الفساد والشرر، منعا محكماً، واقياً رادعاً، **والوظائف الرئيسية للعقوبات التعزيرية هي كالآتي:**

الوظيفة الأولى: من عقوبات للجرائم، والمعاصي العظام التي لم يرد فيما عقوبة مقدرة شرعاً؛ فإنه من صلاحية ولي أمر المسلمين في كل عصر وحين، أن يقدر عقوبات تعزيرية لمن يرتكب المعاصي ويقترف جرائم غير منصوص على عقوبتها في كتاب ربنا، وسنة نبينا - صلى الله عليه وسلم-؛ لأن التعزيرات جاءت في النظام الجنائي الإسلامي" دفعا لمفاسد المعاصي والمخالفات، وهي: إما حفظ لحقوق الله، أو لحقوق عباده، أو للحقين جميعا" (٢).

الوظيفة الثانية: تغليظ العقوبة: فالتعزير يدخل في باب السياسة الشرعية بمقاصدها المرعية، التي يقصد بها إصلاح الخلق، وتهذيبهم، وضبط صفاتهم بما يلائم مقصد الشارع خالقهم، وأحكام سنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم- لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " وأما المعاصي التي ليس فيها حد مقدر ولا كفارة ... فهؤلاء يعاقبون تعزيراً وتنكيلاً وتأديباً، بقدر ما يراه الوالي على حسب كثرة ذلك الذنب في الناس وقلته، فإذا كان كثيراً زاد في العقوبة؛ بخلاف ما إذا كان قليلاً. وعلى حسب حال المذنب؛ فإذا كان من المدمنين على الفجور زيد في عقوبته؛ بخلاف المقل من ذلك (٣).

الوظيفة الثالثة: الوقاية تعد العقوبة التعزيرية بمثابة الحماية لمقاصد الشريعة من ضرر يتوقع حدوثه، ويتيقن نزوله، فالعقوبة التعزيرية قد تكون مع العقوبة المقدرة من قبل الشارع، بقصد تغليظها وتشديدها؛ لمنع انتشار الجرائم وشيوعها (٤).

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي: ٧/ ٦٤.

(٢) قواعد الأحكام، العز ابن عبد السلام: ١/ ١٥٧.

(٣) مجموع الفتاوى: ٢٨/ ٣٤٣.

(٤) ينظر: مقاصد التشريع الجنائي الإسلامي، موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين - قطر، اجتماع الجمعية العمومية في دورتها الخامسة مؤتمر الإصلاح والمصالحة، تركيا إسطنبول، ١١-٣/٨/ ٢٠١٨م.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المبحث الثاني: المقاصد الشرعية من إقامة وتطبيق العقوبات الجنائية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مقاصد عقوبة القصاص

لعقوبة القصاص مقاصد وحِكم وأسرار كثيرة، نجملها فيما يلي:

١- التعبد لله تعالى بطاعته وحفظ شريعته بتطبيق القصاص.
٢- حفظ الأنفس البريئة بردع من يريد إزهاقها.
٣- تحقيق أمن واستقرار المجتمع.
٤- تحقيق العدل بتمكين ولي الدم أو صاحب الحق من القصاص أو الدية أو العفو.
٥- شفاء نفوس أولياء الدم وأصحاب الحق في القصاص.
٦- الارتقاء بالنفوس بالعفو والمسامحة والصفح عن القاتل اختياراً دون إجبار.

والتفصيل فيها على النحو الآتي:

المقصد الأول: التعبد لله تعالى بطاعته وحفظ شريعته وهذا مقصد كلي أراده الشارع بتطبيق القصاص: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (البقرة : ١٧٨) " وصورة فرض القصاص، هو: أن القاتل فرض عليه - إذا أراد الولي القتل - الاستسلام لأمر الله، والانقياد لقصاصه المشروع، وأن الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه، وترك التعدي على غيره كما كانت العرب تتعدى، وتقتل بقتيلها الرجال من قوم قاتله، وأن الحكام وأولي الأمر فرض عليهم النهوض بالقصاص، وإقامة الحدود. وليس القصاص بلزام، إنما اللزام ألا يتجاوز القصاص إلى اعتداء، فأما إذا وقع الرضى بدون القصاص من دية أو عفو فذاك مباح، فالآية معلمة أن القصاص هو الغاية عند التشاح"(١).

وهذا المقصد يندرج تحت المقصد الأعظم للشريعة الإسلامية، والذي هو: تحقيق العبودية لله تعالى بامتثال أمره وتحكيم شرعه.

المقصد الثاني: حفظ الأنفس البريئة برد من يريد إزهاقها وهو مقصد كلي: ويظهر ذلك بالتأمل في قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: ١٧٩) كيف أناط الله تعالى حكم القصاص بالمصلحة؛ كي يطمئن به النفوس الموجعة، وهم أولياء الدم، وكذلك يعلم أولياء القاتل في قبول أحكام القصاص الذي فيه العدل والألم، فيبين – جل وعلا- أن في القصاص حياة لنفوسكم؛ فيرتدع الناس عن قتل بعضهم، فلو أهمل حكم القصاص؛ لما ارتدع الناس عن القتل؛ لأن أشد ما تتوقاه نفوس البشر من الحوادث هو الموت ونهاية الأجل، فلو علم القاتل أنه يسلم من الموت المزهق لروحه، لأقدم على القتل مستخفا بعقوبته، ويكون كما قال سعد بن ناشب لما أصاب دما وهرب فعاقبة أمير البصرة بهدم داره بها: سأغسل عني العار بالسيف جالبًا.. على قضاء الله ما كان جالبا وأذهل عن داري وأجعل هدمها.. لعرضي من باقي المذمة حاجبًا ويصغر في عيني بلادي إذا انثنت.. يميني بإدراك الذي كنت طالباً (٢).

ولو ترك الأمر للأخذ بالثأر، لأشعلوا النار، كما كان عليه في الجاهلية في العصبية، ولأفرطوا في سفك الدم، وتسلسل الأمر بحمية وظلم، فكان في مشروعية القصاص حياة عظيمة من الجانبين، وليس الترغيب في أخذ مال الصلح والعفو بناقض لحكمة القصاص المبين؛ لأن الازدجار يحصل بتخيير الولي في قبول الدية، فلا يطمئن مُضمر القتل إلى عفو الولي إلا نادراً، وكفى بهذا في الازدجار والاعتبار (١).

هذا وقد قال قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي – رحمه الله - في قوله تعالى: { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (البقرة : ١٧٩) جعل الله هذا القصاص حياة ونكالا، وعظة لأهل السفه والجهل، فكم من رجل قد هم بداهية؛ لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكن الله تبارك وتعالى حجز بالقصاص بعضهم عن بعض، وما أمر الله بأمر قط إلا وفي هذا الأمر صلاح الدنيا والآخرة، ولا نهى الله -عز وجل- عن أمر قط، إلا وفي هذا الأمر فساد في الدنيا والدين، والله تعالى أعلم بالذي يصلح خلقه (٢).

ولأجل ذلك قال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ } (المائدة: ٣٢) أي: بسبب جناية القتل هذه، شرعنا لبني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد، الموجب للقتل كالشرك، والمحاربة، فكأنما قتل الناس جميعا، فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله، وأنه من امتنع عن قتل نفس حرمها الله، فكأنما أحيا الناس جميعا؛ فالحفاظ على حرمة إنسان واحد ،حفاظ على حرمات الناس كلهم (٣).

المقصد الثالث: تحقيق أمن واستقرار المجتمع، وهو مقصد

(١) المحرر الوجيز - تفسير ابن عطية: ١/ ٢٤٤.
(٢) الأبيات: ذكرها أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) في كتابه: الشعر والشعراء، ط دار الحديث القاهرة، ١٤٢٣هـ):

كلي: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى} (البقرة : ١٧٨) أعيد الخطاب ب (يا أيها الذين آمنوا)؛ لأن هذا صنف من التشريع الرباني لأحكام ذات بال وأهمية في صلاح المجتمع الإسلامي، واستتباب نظامه، واستقرار أمنه، حين صار المسلمون بعد الهجرة جماعة ذات استقلال بنفسها، ومدينتها، فإن هذه الآيات كانت من أول ما أنزل بالمدينة عام الهجرة، وتلك الأحكام المتتابعة من إصلاح أحوال الأفراد، وأحوال المجتمع في البلاد، "وابتدئ بأحكام القصاص؛ لأن أعظم شيء من اختلال الأحوال، اختلال حفظ نفوس الأمة، وقد أفرط العرب في إضاعة هذا الأصل، يعلم ذلك من له إلمام بتاريخهم وآدابهم وأحوالهم، فقد بلغ بهم تطرفهم في ذلك إلـى وشك الفناء، لو طال ذلك، ولم يتداركهم الله فيه بنعمة الإسلام، فكان يغير بعضهم على بعض لغنيمة أنعامه وعبيده ونسائه، فيدافع المغار عليه، وتتلف نفوس بين الفريقين، ثم ينشأ عن ذلك طلب الثارات، فيسعى كل من قتل له قتيل في قتل قاتل وليه، وإن أعوزه ذلك، قتل به غيره من واحد كفء له، أو عدداً يراهم لا يوازونه" (٤).

فلم يستقر أمر المجتمع العربي، ويكفوا عن قتل أنفسهم، إلا بمجـيء الإسلام، الذي فيه المقاصد العظام، فلما علموا بالعقوبات، كفوا عن الثارات.

المقصد الرابع: تحقيق العدل، والذي قامت به السماوات والأرض، وهو مقصد كلي: ويكون ذلك بتمكين ولي الدم أو صاحب الحق من القصاص أو الديـة أو العفو.

ومما لاشك فيه أن تحقيق العدل من المقاصد الشرعية المهمة، فقد أمر الله تعالى به الأمة، فقال: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ } (النحل: ٩٠) فلا يجوز لأولياء المقتول أن يتعدوا في استيفاء حقهم تطاولاً وتجاوزاً، كما قال تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا } (الإسراء : ٣٣)، وحين كان المسلمون وقت نزول هذه الآية مختلطين في مكة بالمشركين، ولم يكن المشركون أهلاً للثقة بهم في الطاعة للشرائع العادلة التي أنزلت على نبيهم –صلى الله عليه وسلم-, وكان قد يعرض بهم أن يعتدي أحد المشركين على أحد المسلمين بالقتل ظلماً وعدواناً، أمر الله المسلمين بأن المظلوم لا يظلم، بنص القول المحكم فقال تعالى: {وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا } (الإسراء :٣٣) أي: قد جعل لولي المقتول تصرفاً في القاتل بالقود أو الدية، فامتثلوا للآية، والسلطان: مصدر من السلطة، كالغفران، والمراد به ما استقر في عوائدهم من حكم القود.

وكون القصاص حقاً لولي القتيل، يأخذ به أو يعفو أو يأخذ الديه، شـيء ألهمهم الله إليه؛ لئلا ينزوا أولياء القتيل على القاتل أو ذويه؛ ليقتلوا منهم من لم تجن يداه قتلا، وهكذا تستمر الترات بين أخذ ورد، فقد كان ذلك من عوائدهم - أيضا - فالمراد بالجعل ما أرشد الله إليه أهل الجاهلية من عادة القود (١).

المقصد الخامس: شفاء نفوس أولياء الدم وأصحاب الحق في القصاص: ومما لا شك فيه أن أولياء المقتول تغلي قلوبهم بالغيظ انتقاماً، حتى يؤثروا أن يقتلوا القاتل وأولياءه ظلماً وتعدياً، وربما لم يرضوا بقتل القاتل عدلاً وقصاصاً، بل يقتلون كثيرا من أصحاب القاتل كسيد القبيلة ومقدم الطائفة حقداً وغلّا فيكون القاتل قد اعتدى في الابتداء، وتعدى هؤلاء في الاستيفاء، كما كان يفعله أهل الجاهلية الخارجون عن الشريعة في هذه الأوقات، من الأعراب والحاضرة وغيرهم (٢)، من أصحاب الحمية والجهالات.

وقد يستعظمون قتل القاتل لكونه عظيماً أشرف من المقتول، فيفضي ذلك إلى أن أولياء المقتول يقتلون من قدروا عليه من أولياء القاتل، وربما حالف هؤلاء قوماً واستعانوا بهم وهؤلاء قوماً، فيفضي إلى الفتن والعداوات العظيمة، وسبب ذلك: خروجهم عن سنن العدل الذي هو القصاص في القتلى، فكتب الله علينا القصاص وهو المساواة والمعادلة في القتلى، وأخبر أن فيه حيـاة؛ فإنـه يحقن دم غير القاتل من أولياء الرجلين، وأيضاً فإذا علم من يريد القتل أنه يقتل كُف عن القتل (٣).

المقصد السادس: الارتقاء بالنفوس إلى العفو والمسامحة والصفح عن القاتل اختياراً دون إجبار: يظهر ذلك في قوله تعالى: {ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ} (البقرة: ١٧٨) إشارة إلى الحكم المذكور، وهو قبول العفو وإحسان الأداء، والعدول عن القصاص باختيار وارتقاء، تخفيف من الله على الخلق، فهو رحمة من الله " أي: أثر رحمته؛ إذ التخفيف في الحكم أثر الرحمة، فالأخذ بالقصاص عدل، والأخذ بالعفو رحمة.

ولما كانت مشروعية القصاص كافية في تحقيق مقصد الشريعة، في شرع القصاص من ازدجار الناس عن قتل النفوس، وتحقيق حفظ حق المقتول بكون الخيرة للولي، كان

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ابن عاشور: ٢/ ١٤٤ - ١٤٥.
(٢) الأثر: رواه أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت: ٢٩٤ه) في كتابه: تعظيم قدر الصلاة، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، (ط ١) مكتبة الدار - المدينة المنورة، (١٤٠٦هـ): ٢ ٥٤٩، ٥٠٠، رقم الأثر: (٦٠٥- ٥).
(٣) ينظر "التفسير الميسر": ص: ١١٣.
(٤) التحرير والتنوير تفسير ابن عاشور: ٢ /١٣٤، وما قبله منه بتصرف يسير.

(١) التحرير والتنوير، تفسير ابن عاشور: ١٥/ ٩٣، وما قبله منه بتصرف يسير.
(٢) مجموع الفتاوى"لابن تيمية": ٢٨/ ٣٧٥، وما قبله منه بتصرف يسير.
(٣) ينظر المصدر السابق: ٢٨ /٣٧٥.
(٤) التحرير والتنوير، تفسير ابن عاشور: ٢/ ١٤٣، وما قبله منه بتصرف يسير.

الإذن في العفو إن تراضيا عليه رحمة من الله بالجانبين، فالعدل مقدم، والرحمة تأتي بعده " (٤).

المطلب الثاني: مقاصد إقامة الحدود

لإقامة الحدود مقاصد كلية عامة، نجملها فيما يلي:

١- الامتثال التعبدي لأمر الله تعالى والحفاظ على هيبة الشريعة.

٢- حفظ الضروريات الخمس، وهي: الدين والنفس والنسل والعقل والمال.

٣- زجر الجناة عن تلك الجرائم كي لا يعودوا إلى مثلها.

٤- تحقيق أمن المجتمع وسلامته وحفظ نظامه.

٥- تأديب الجناة واستصلاحهم وتقويمهم.

والتفصيل فيها على النحو الآتي:

المقصد الأول: الامتثال التعبدي لأمر الله تعالى، والحفاظ على هيبة الشريعة، وهو مقصد كلي: قال تعالى: { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (النور : ٢) يقول تعالى ذكره: لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رأفة، وهي رقة الرحمة في دين الله، يعني: في طاعة الله فيما أمركم به من إقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به (١).

فالذي يتأمل في قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}، يجد هذا المقصد جلياً فيه، وهو تحقيق عبادة الله بإظهار شعائره، وإقامة حدوده، ولهذا ذكرهم بإيمانهم؛ للحفاظ على هيبة دين الله الوهاب، فقوله تعالى: {إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ من باب التهييج والإلهاب، فإن الإيمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى، والاجتهاد في إجراء أحكامه، وذكر اليوم الآخر؛ لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل (٢).

المقصد الثاني: حفظ الضروريات الخمس، وهي الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وهو مقصد كلي: فالحفاظ على الدين من أهم الضروريات، وأعظم الواجبات، التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها، والدفاع عنها، وهو المقصد من إقامة الحد على المرتد؛ لأنه تعدى على أساس الضرورات، وانتهك أعظم الحرمات، فلذلك شرع الله تعالى قتل المرتد لفساد نفسه، وحفظ دين الله وشرعه؛ لأن بقاءه بين الناس بلا حساب وعقاب، يفسد عليهم دينهم، ويجعلهم منه في ارتياب.

وبالنسبة لحد الحرابة والبغي: ففاعله منتهك لحرمات الله ودينه القويم فاستحق عقوبة الله العزيز الحكيم.

وأما حد الخمر: فشرع للحفاظ على الدين، فإن شاربه يزال عنه وصف بالإيمان، عندما يكون بالخمر سكران، فضلاً على أنه إذا ذهب عقله تعدى على المحرمات، واشاع المنكرات، فإن الخمر من عمل الشيطان، ويُصد عن ذكر الله والصلاة وطاعة الرحمن، هذا كله من الدين الذي أمر الله بدفع أي فساد عنه بحزم متين.

وكذا حد الزنا: شرع لما فيه من جناية على دين الإسلام، وفاعله يزال عنه وصف الإيمان في حال ارتكابه للفاحشة، واختلاطه بتلك القذارة، فتركه بلا عقاب مفسد له ولغيره فيما يتعلق بدينهم وشرعهم.

وكذلك القاذف: يتعدى على ضرورة حفظ العرض؛ لأنه مفتر كاذب فاسق مهين، لكونه أطلق لسانه بما حرمه الله، فاستحق العقوبة من الإله.

والحفاظ على النفس تأتي في المرتبة الثانية من الضروريات؛ فالمحارب يقتل الأبرياء، ويقطع الأعضاء، فلذلك شرع حد الحرابة؛ لحفظ النفوس من الازهاق والإعاقة، بسبب قطاع الطرق المحاربين.

وبعد الحفاظ على النفس تأتي المرتبة الثالثة، وهي: الحفاظ على النسل فحفظ الأنساب والأعراض أمر شرعي فطري ضروري، والمحارب قد يعتدي على أعراض الناس، ويرتكب فاحشة الزنا، وشارب الخمر السكران قد يقذف، ويقع في الفاحشة - أيضاً - لذهاب عقله، والزاني يتسبب في إدخال الشك في أنسابهم الطاهرة، فيترتب بسببه مفسدة عظيمة، وفتنة مشينة، فشرعت إقامة الحدود لحفظ تلك الضروريات، وصيانة المحرمات من الوقوع فيها، والتلوث بها. والحفاظ على العقل: وهو مقصد كلي يأتي في المرتبة الرابعة، فالذي يشرب الخمر ويسكر يختل عقله، ويذهب وعيه ويطيش توازنه، فيتصرف كالمجنون بلا وعي فيعتدي على المحرمات، ويرتكب المنكرات؛ فلذا شرع حد حفاظاً على نعمة العقل التي وهبها الله الإنسان فيرقى به في مدارج الإيمان.

فالشريعة حرمت الخمر دفعًا لما يقع من مفاسدة بشربها، سواء كان ذلك في المعاملات أو في العبادات، ومرد ذلك كله إلى اضطراب العقل، فاضطراب العقل في حال السكر يؤدي إلى عدم التفريق بين جيد التصرفات ورديئها؛ لفقدان آلة التمييز، وهي: العقل، وفي تحريم الخمر يتجلى لنا بكل وضوح حكمة الشريعة، ولطف مقاصدها البديعة في حسم مادة الفساد، وما ينتج عنها من إفساد، حيث إن اجتناب الخمر يجعل المكلف عارفًا بما يقوم به من تصرفات، مدركًا لما قد ينتج عنه من محاسن الأخلاق أو مساوي السيئات.

والحفاظ على المال: يأتي في المرتبة الخامسة، فالمحارب

(١) جامع البيان، تفسير الطبري: ١٧/ ١٣٩.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود: ٦ / ١٥٦.

يعتدي على أموال الناس ويسلبها، ويؤذي أصحابها، فضلاً عن إخافتهم، والاعتداء عليهم، وضرره أشد من السارق.
قال العلامة ابن القيم – رحمه الله -: "ولما كان ضرر المحارب أشد من ضرر السارق، وعدوانه أعظم؛ ضم إلى قطع يده قطع رجله؛ ليكف عدوانه وشر يده التي بطش بها، ورجله التي سعى بها، وشرع أن يكون ذلك من خلاف؛ لئلا يفوت عليه منفعة الشق بكماله، فكف ضرره وعدوانه ورحمة بأن أبقى له يد من شق ورجلاً من شق" (١)، وكذا الزاني، وشارب الخمر ينفقون أموالهم فيما حرم الله تعالى، وهذا يضاد المقصد الشرعي من حفظ المال (٢).
المقصد الثالث: زجرهم عن تلك الجرائم لئلا يعودوا الى مثلها: إذا علم العصاة المجرمون، والفسقة المفسدون بأنهم إذا ظهر أمرهم، وكشفت كبائرهم سيقام الحد عليهم، ويقتص منهم، زجروا وردعوا وكفوا، وكذا من تحدثه نفسه بتبديل دينه ويرتد عن إسلامه، فإنه ينزجر خوفًا على نفسه؛ فلا يظهر ما في نفسه علناً أمام الناس؛ كي لا يعاقب فنأمن من فتنته وكفره.
وكذا قطاع الطرق المحاربون إذا سولت أنفسهم الاعتداء، وتذكروا ما فعل بأشباههم من إقامة الحدود عليهم، فيرتدعوا وينزجروا عما يفكرون به، وكذا شارب الخمر إذا علم بالعقوبة التي تلحقه، والإهانة التي تتبعه، فسيفكر بنفسه، فيكف عن شربها، ولكنه إن أمن العقوبة أطلق لنفسه العنان فيزداد شربا لها، ومن هم بالزنا أو كان متلبسا به، ولم يكشف أمره، وستره ربه، فإذا رأى حد الزنا أمامه، ردع وزجر فكف عن فعلته، وخاف إن استمر وفضح أمره أن يقام الحد عليه.
وكذا القاذف، فإقامة الحد عليه فيه ردع لغيره؛ كي لا يتجرؤوا على أعراض الناس، ويطلقوا ألسنتهم فيما لا يرضاه الله ولا يرضاه الناس، قال العز ابن عبد السلام:" وأما حد القذف فزاجر عن هتك الأعراض بالتعيير بالزنا واللواط " (٣).
المقصد الرابع: تحقيق أمن المجتمع، وسلامته وحفظ نظامه وهو مقصد كلي: مما لا شك فيه أن إقامة الحدود فيه تحقيق كبير لأمن المجتمع وسلامته من هذه المفاسد التي إن بقيت نخرت بجسده فيختل، نظامها، ويذهب أمنها، ويتجرأ فساقها وسفهاؤها، فلو ترك المرتد بلا عقاب؛ لأحدث الفساد والاضطراب في المجتمع الإسلامي، فكانت إقامة الحد عليه صيانة لمعتقدهم الإيماني من فتنة ارتداده، وضلال شبهاته، وحفاظاً لسلامة المجتمع وأمنه ونظامه.
وكذا قطاع الطرق المحاربون: فلو تركوا هذه الجريمة دون عقاب؛ لعمت الفوضى والفتن وازداد على المجتمع البلاء والمحن، فكان حد الحرابة مناسباً لهم، لسوء فعالهم، وعظم جرمهم بغيه تحقيق الأمن والسلامة للمجتمع. وكذا شارب الخمر فالخمر أم الخبائث، ورأس كل خطيئة، فإذا شاع في المجتمع شرب المسكرات، وتبعتها المخدرات التي هي أخبث وأعظم – انتشرت في تلك البيئة الفواحش والمنكرات، فالحد لشارب الخمر يقلل من تلك المفسدات، ممن يتعاطوها، فيقصروا عن الشر، فيأمن المجتمع من فسادهم وضررهم.
وإقامة حد الزنا: فيه إنصاف للمزني بها، لا سيما إذا كان بالإكراه والاغتصاب، وكذلك فيه ضمان لطهارة المجتمع وأمنه من انتشار هذه الفاحشة وفشوها، وكذا عقوبة القاذف فيه إنصاف لمن قذف وأتهم بالباطل والبهتان وفيه منع من التعادي والتقاتل بين أفراد المجتمع، فيحقق الأمن الأخلاقي في المجتمع الإسلامي (١).
المقصد الخامس: تأديب الجناة، واستصلاحهم وتقويمهم: فمن المؤكد أن إقامة الحدود دون الحد الذي فيه قتل، فيه تأديب للجناة واستصلاحهم وتقويمهم نحو الأفضل والأحسن، كتأديب شارب الخمر وزجره عن معاودة شربها، وكتأديب الزاني غير المحصن وزجره عن اقتراف تلك الفاحشة المقيتة، ففي إقامة الحد صلاح واستقامة على الطريق المستقيم؛ لئلا يعاود الوقوع في ذلك مرة أخري، والسارق إذا قطعت يده يصلح حاله، ويستقيم أمره، ويندم على ما بدر منه قال العلامة ابن القيم - رحمه الله -: " فعقوبة السارق بقطع اليد قصاً لجناحه، وتسهيلاً لأخذه إن عاود السرقة، فإذا فعل به هذا في أول مرة بقي مقصوص أحد الجناحين ضعيفاً في العدو، ثم يقطع في الثانية رجله فيزداد ضعفاً في عدوه، فلا يكاد يفوت الطالب، ثم تقطع يده الأخرى في الثالثة ورجله الأخرى في الرابعة، فيبقى لحماً على وضم، فيستريح ويريح " (٢).

المطلب الثالث: مقاصد عقوبة التعزير

" تمهيد "
الشريعة الإسلامية لم تضع عقوبات مقدرة كما هو الحال في القصاص والحدود المقررة إلا لعدد قليل من الجرائم العظام، مراعية عظم أثرها بين الأنام، لما تسببه تلك الجرائم من شر وفساد، وما ينتج عنها من ضرر وإفساد، لا سيما ما يتعلق بالضروريات الخمس، التي اتفقت عليها الشرائع السماويات، ثم جاء الإسلام بحمايتها، والتأكيد في حفظها، كما بينت سابقا.
وأما بقية الجرائم التي لم يرد بشأنها حد ولا كفارة، مع ثبوت النهي عنها في الشريعة الإسلامية؛ لكونها مفاسد دينية، ومنكرات أخلاقية، ومعاص اجتماعية، فواسع، بابها، ولا يمكن إحصاؤها؛ لأنها تتولد مع الأيام والعصور، وتختلف

(١) إعلام الموقعين: ٣/٣٣٩
(٢) ينظر: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام للعز بن عبد السلام: ١/ ٢٩٠ ـ ٢٩٤.
(٣) قواعد الأحكام في إصلاح الأنام للعز بن عبد السلام: ١/ ٢٩٢.

(١) ينظر: حجة الله البالغة للشاه ولي الله الدهلوي: ٢/ ٢٤٤ – ٢٥٦.
(٢) إعلام الموقعين: ٣/ ٣٥٥.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

باختلاف البيئات والأجناس بمر الدهور، فأهواء الناس تتجدد، والتطـور ما زال يتوسع ويتمدد؛ ولهذا كان من حكمة الشارع أن يترك بابها مفتوحاً، يجتهد فيه ولي الأمر أو من ينوب عنه بما يراه مناسبًا صالحاً.

وهذه الجرائم التعزيرية كلها رذائل منكرات ومعاص مفسدات، منهي عنها دينياً، وأخلاقياً، واجتماعياً، وتختلف باختلاف الجاني، والجناية، والمجني عليه، وباختلاف الزمان والمكان الذي توجد فيه؛ ولذلك عقوباتها ليست توقيفية، بل هي استنباطية اجتهادية، فللقاضي الأخذ بالوسائل الملائمة، للتعزير من قديم أو جديد مما لا يخالف الشريعة القائمة، وتحقق الأهداف العاليات والمقاصد الساميات (١).

للتعزير مقاصد شرعية، نجملها فيما يلي:

١-حفظ المقاصد الضرورية والحاجية والتحسينية للشريعة الإسلامية.

٢- تأديب الجاني وزجره؛ لئلا يعود إلى جرمه ومعصيته.

٣- حفظ أمن المجتمع وقيمه ونظامه.

٤- ردع من تسول له نفسه ارتكاب شيء ليس فيه حد.

والتفصيل فيها على النحو الآتي:

المقصد الأول: حفظ المقاصد الضرورية والحاجية والتحسينية للشريعة الإسلامية: ارتكاب المعاصي بأنواعها، وإتيان المنكرات بتباين درجاتها، كلها فيها تفويت لإحدى المصالح التي شرعها الله لعباده، وجلب لأحد المفاسد على خلقه؛ لذلك أذن الله لولي الأمر، أو من ينوب عنه بأن يجتهد في العقوبة التعزيرية للجاني بما يراه مناسباً للجريمة، موافقا لحاله، حفاظا لهذه المصالح ورعاية لها، ودفعا للمفاسد التي تضادها، قال العز بن عبد السلام - رحمه الله: " التعزيرات دفعاً لفاسد المعاصي والمخالفات وهي إما حفظاً لحقوق الله تعالى، أو لحفظ حقوق عباده أو للحقين جميعا " (٢).

المقصد الثاني: تأديب الجاني وزجره لئلا يعود إلى جرمه ومعصيته: العقوبة التعزيرية التي يوقعها ولي الأمر، أو من ينوب عنه على الجاني، هي تأديب له وإصلاح وزاجرة له؛ لعله يعاود طريق الخير والفلاح، فربما إذا ذاق ألم العقوبة، واستشعر بعاقبة المعصية، أن يقلع عن المعاصي والمنكرات، فتكون العقوبة مانعة عن ارتكاب الجنايات، فتصلحه وتهذبه، وتنفعه وتؤدبه فليس القصد من التعزير هو التعذيب والعقوبة، والإهانة وإهدار الأدمية، وإضاعة الحقوق الإنسانية، بل هي تأديبية زجرية، قال العز بن عبد السلام: " وأمـا التعزيرات فزواجر عن ذنوب لم تشرع فيها حدود ولا كفارات، وهي: متفاوتة بتفاوت الذنوب في القبح والأذى (٣).

المقصد الثالث: حفظ أمن المجتمع وقيمه ونظامه: الذنوب والمعاصي والمنكرات لها أثر كبير في ذهاب الخيرات والبركات، فإذا شاعت في بلد وانتشرت أضرت بأهله وساكنيه وأخلت بأمنه، وأذهبت مبادئه وقيمه، وزلزلت نظامه، لكنه إذا علم الجناة أن هناك عقوبة التعزير تنتظرهم، وتأخذ على أيديهم، فيحاسبون على جنايتهم، فإنهم يمتنعون عن أفعالهم الفاسدة، وأخلاقهم الكاسدة، فيأمن المجتمع من شرهم، وتسلم البلاد من فسادهم.

المقصد الرابع: ردع من تسول له نفسه ارتكاب شيء ليس فيه حد: العقوبات التعزيرية فيها ردع لكل من يفكر بارتكاب شيء به فوات لحق الله تعالى أو للناس، مما ليس فيه حد أو عقوبة منصوص عليها، فإذا رأى ذلك ضعيف النفس والإيمان بأن غيره عزر وعوقب على ذنبه وجنايته، وحوسب على خطئه وفعلته، فإنه يفكر بالعقوبة التي تصله قبل أن يقدم على عمله الفاسد، وفعله الكاسد.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتنزل البركات، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الرحمة المهداة، وعلى آله وصحبه اجمعين؛ وبعد:

فأحمد لله تعالى على إتمام هذا البحث، والذي توصلت فيه إلى نتائج عامة، وتوصيات هامة، وهي على النحو التالي:

أولاً: النتائج

١. الشريعة الإسلامية عمومًا، بكل فروعها من عبادات ومعاملات وغير ذلك، يكمّل بعضها بعضا في تحقيق المقصد العام للشارع، والذي هو تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى على أحسن الوجوه وأتمها، وعمارة هذا الكون.

٢. التشريع الجنائي الإسلامي على وجه الخصوص، بجميع أقسامه من قصاص وحدود وتعزيرات محققٌ للمقصد العام للشريعة الإسلامية، وذلك بجلب المصالح بكل أنواعها، ودرء المفاسد بكل أشكالها.

٣. الشارع حرص على تحقيق مقاصده التي هي جلب المصالح ودرء المفاسد، بكل الطرق والوجوه، وذلك من جهة الوجود بشرع العبادات والمعاملات وجميع أوجه الطاعات، وحفظها من جهة العدم بشرع القصاص والحدود والتعزيرات، وكل ما يؤدي إلى انعدامها.

٤. تطبيق أحكام الله وشريعته كلٌّ كامل لا يتجزأ فروعًا وأصولاً ومقاصداً، كل ذلك حتى يتحقق المقصد العام من الشريعة الذي أراده الله تعالى، مـن حصول مصالح الدنيا والآخرة للخلق، والسعادة في الدارين.

ثانياً: التوصيات

١. تشجيع الدارسين وطلبة العلم على إجراء مزيد من الدراسات، في الربط بين فروع الشريعة وأصولها ومقاصدها حتى تفهم الشريعة فهماً صحيحاً، لتحقق المقصد الذي من أجله شرعت.

---

(١) ينظر: "المقاصد الشرعية في التعزير نصرة إبراهيم ط دار عباد الرحمن - مصر، دار البشير - الإمارات، ١٤٤١هـ – ٢٠١٩م): ص: ٨.

(٢) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام: ١/ ١٥٧.

(٣) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام: ١/ ٢٩٣.

٢. أذكر نفسي والأساتذة والدعاة والمصلحين؛ وذلك اثناء عملهم سواءً في المجال التربوي ومن خلال دعوتهم وإصلاحهم للمجتمعات الربط بين فروع الشريعة ومقاصدها وحكمها وأسرارها وقواعدها العامة، حتى ينتفع الناس وتصلح المجتمعات، ويتحقق المقصد العام للشريعة الإسلامية المتمثل في العبودية الحقة لله تعالى، وعمارة الكون، وصلاح الدين والدنيا.

المصادر والمراجع:

١. الأحكام السلطانية للماوردي: الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد ابن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) الناشر: دار الحديث – القاهرة.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود، لأبي السعد العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ت ٩٨٢هـ ط دار إحياء التراث العربي.
٣. البحر الرائق شرح كنز الدقائق زين الدين بن إبراهيم بن محمد - المعروف بابن نجيم المصري ت ٩٧٠ هـ، وفي آخره تكملة البحر الرائق، لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادر ت بعد ١١٣٨ هـ وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين ط ٢.
٤. بداية المجتهد ونهاية المقتصد" لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥ هـ)، (ط دار أحمد الحديث، القاهرة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).
٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ت ٥٨٧ هـ بيروت دار الكتاب العربي ط٢ ١٤٠٢هـ.
٦. بغية المقتصد شرح بداية المجتهد لمحمد بن حمود الوائلي -رحمه الله-، ط دار ابن حزم، بيروت، (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م).
٧. بناء المجتمع الإسلامي د. نبيل السمالوطي، (ط٣ دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، السعودية - جدة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
٨. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ) الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٩. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق مع حاشية الشلبي" لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي" (ت: ٧٤٣هـ)، لحاشية: لشهاب الدين أحمد بن حمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشلبي (ت: ١٠٢١ هـ)، (ط١) المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، ١٣١٣ هـ، ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي ط٢ع.
١٠. التحرير والتنوير، تفسير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت ١٣٩٣هـ ط الدار التونسية للنشر.
١١. التشريع الجنائي الإسلامي مقارنة بالقانون الوضعي د. عبد القادر عودة ط٢ دار الرسالة العلمية، دمشق ١٤٣٣هـ.
١٢. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجندي البركتي، ط دار الكتب العلمية، بيروت - لإعادة صف الطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
١٣. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦ هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٤. تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ت: ٢٩٤هـ: حقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، (ط١) مكتبة الدار- المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.
١٥. تفسير القرآن العظيم - تفسير ابن كثير، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت ٧٧٤هـ تحقيق سامي محمد سلامة ط ٢ دار طيبة للنشر الرياض السعودية ١٤٣٠ هـ.
١٦. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير ط ٢ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية ١٤٣٠ هـ.
١٧. تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، لأبي منصور (ت: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ا دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م رد المحتار على الدر المختار" لابن عابدين عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
١٨. جامع البيان، تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٩ حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف به «الشاه ولي الله الدهلوي» (ت: ١١٧٦ هـ) تحقيق: السيد سابق، (ط١) دار الجيل، بيروت .
٢٠ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، (ط مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).
٢١. الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٥٢٧٦) ط دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
٢٢. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت ٣٩٣ هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط ٤، دار العلم للملايين.
٢٣. طلبة الطلبة لعمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (ت: ٥٣٧هـ)، ط المطبعة العامرة، مكتبة المثنى بغداد العراق, ١٣١١هـ.
٢٤. إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، (ت ٧٥١ هـ) ط دار ابن الجوزي الدمام السعودية ١٤٢٣ هـ.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

٢٥. العناية شرح الهداية لمحمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبي عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (ت: ٧٨٦هـ)، ط دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.
٢٦. فتح القدير، المؤلف: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ).
٢٧. القاموس المحيط للفيروز آبادي القاموس المحيط مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٨. قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، عز الدين ابن عبد السلام، تحقيق الدكتور كمال حماد والدكتور عثمان جمعة ط ٢ دار القلم دمشق ١٤٣٦ هـ.
٢٩. كشاف القناع المطبعة الشرقية بالقاهرة، كشاف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.
٣٠ لسان العرب لابن منظور، دار صادر - دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت ١٩٥٥م.
٣١. المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة: بدون تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٣٢. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
٣٣ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – تفسير ابن عطية، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي ت ٥٤٢ هـ، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ.
٣٤ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى بعد سنة ٦٦٦ هـ، الطبعة الثانية بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
٣٥ مختصر معارج القبول، أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة الناشر: مكتبة الكوثر - الرياض الطبعة الخامسة، ١٤١٨ هـ.
٣٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ).
٣٧. المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٣٨. معجم لغة الفقهاء - وضع محمد رواسي قلعجي، وحامد صادق قنيبي، الناشر دار النفائس، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
٣٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الدار الإسلامية بيروت، ١٩٩٠م.
٤٠. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، ت ٩٧٧ هـ، ط ١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥ هـ.
٤١. مقاصد التشريع الجنائي الإسلامي موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين - قطر، اجتماع الجمعية العمومية في دورتها الخامسة، مؤتمر الإصلاح والمصالحة، تركيا - إسطنبول، ٣ - ١١/٨/ ٢٠١٨م.
٤٢. المقاصد الشرعية في التعزير، نصرة إبراهيم، (ط دار عباد الرحمن - مصر، دار البشير - الإمارات، ١٤٤١هـ – ٢٠١٩م).
٤٣. مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، اليوبي، محمد سعيد، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
٤٤. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة - الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٤٥. مقدمة ابن خلدون ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون المغربي ت ٨٠٨ هـ)، بعناية خليل شحادة، ط - دار الفكر، بيروت ١٩٨٨ م.
٤٦. موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي من إعداد: د. أسامة بن سعيد القحطاني، د. علي بن عبد العزيز بن ظافر بن حسن العمري، د. فيصل بن محمد الوعلان، د. فهد بن صالح بن محمد اللحيدان د. صالح بن عبيد الحربي، د. صالح بن ناعم العمري، د. عزيز بن فرحان بن محمد الحبلاني العنزي، د. محمد بن أحمد الخضير، د. معيض آل دواس الشهراني، د. عبد الله بن سعد بن عبد العزيز المحارب، د. عادل بن محمد العبيسي، (ط دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت. الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
٤٧. الموسوعة الفقهية الكويتية صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ).
٤٨. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ الناشر: دار الفكر بيروت الطبعة: ط أخيرة - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٤٩. الملخص الفقهي، المؤلف: العلامة صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية الاصدار الثاني ط٤ – ١٤٣٣ هـ.
٥٠. الخلاصة في مقاصد الشريعة، مؤلفه: أ. د. خالد بن علي المشيقح – الناشر: دار ركائز للنشر والتوزيع – السعودية ط١ ٢٠٢٤م.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

التوجيهات النبوية في مواجهة التنمر.

د. مريم بنت أحمد زنان الزهراني

الأستاذ المشارك في تخصص الحديث وعلومه بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بالكلية الجامعية بالقنفذة - جامعة أم القرى.

"Prophetic Guidance in Confronting Bullying"

Dr. MARYAM BINT AHMED ZANAN ALZAHRANI

Associate Professor of Hadith and its Sciences - Department of Sharia and Islamic Studies - University College in Qunfudhah - Umm Al-Qura University.

E-mail: mazzahrani@uqu.edu.sa

الكلمات المفتاحيّة:

التوجيهات - النبوية - ظاهرة - التنمر.

KEY WORDS:

Directives - Prophetic - Phenomenon - Bullying

مستخلص البحث:

يهدف البحث إلى بيان ظاهرة سلبية انتشرت في المجتمعات الإنسانية وهي ظاهرة التنمر، والتي كانت نتيجة طبيعية للبعد عن التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة.

والبحث يجيب عن بعض التساؤلات منها: ما المراد بمصطلح التنمر؟ وما أسبابه، وما أنواعه، وكيف وجهنا النبي صلى الله عليه وسلم لمعالجة هذه الظاهرة.

واتبعت في البحث المنهج الاستقرائي الوصفي، في التعريف بمصطلح التنمر، وبيان أسبابه، وأنواعه، وفي الحديث عن المنهج النبوي في مواجهة التنمر.

ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهارس؛ تناولت في المبحث الأول التعريف بالتنمر، وفي الثاني بيان التوجيهات النبوية في علاج التنمر.

وخلص البحث إلى بعض النتائج:

- التنمر سلوك مشين يضر بالمجتمع ضررًا بالغًا، وقد وضعت السنة النبوية قواعد لمواجهة هذه الظاهرة.
- للتنمر أشكال متنوعة، ومنها: التنمر الجسدي، واللفظي، والاجتماعي، والإلكتروني، والنفسي، والديني.

ABSTRACT:

The current research aims to discuss a negative phenomenon that has spread in human societies, which is the phenomenon of bullying, which was a natural finding of the distance from adopting virtuous Islamic morals.

It answers several questions, including: What is meant by the term "Bullying"? What are its causes, what are its types and how did the Prophet direct us to address this phenomenon?

The researcher has adopted the descriptive-inductive approach in the research to define the term bullying, clarify its causes and types and discuss the prophetic approach to confronting bullying.

The research consists of an introduction, a preface, two chapters, a conclusion and indexes; In Topic One, I introduced bullying and in Topic Two, I explained the prophetic directives for treating bullying.

The most Prominent Findings of the Research:

• Bullying is a shameful behavior that greatly harms society, and the Sunnah has set provisions to confront this phenomenon.

• Bullying has various forms, including physical, verbal, social, electronic, psychological and religious bullying.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن من وجوه العظمة في الإسلام أنه دين شريعة وأخلاق، يجمع بين القيم والمثل الإنسانية الرائعة، وتتجلى عظمة هذا الدين في شموليته لجميع جوانب الحياة، فلم يترك فضيلة من الفضائل إلا دعا إليها، ولم يدع أي رذيلة من الرذائل إلا حذر منها وأمر بالابتعاد عنها، ومن الفضائل التي دعا إليها الإسلام وحث على التخلق بها مراعاة مشاعر الآخرين، وعدم الاستطالة عليهم بالقول أو بالفعل، ومن الظواهر التي انتشرت في المجتمعات الإنسانية انتشار النار في الهشيم ظاهرة التنمر، تلك الظاهرة التي كانت نتيجة طبيعية للبعد عن التحلي بالأخلاق الفاضلة، والإهمال في تربية الأولاد، والانشغال عنهم، وقد قلبت النظر في السنة النبوية فوجدت أحاديث كثيرة فيها توجيهات نبوية لو طبقناها لكانت ذا أثر كبير في مواجهة ظاهرة التنمر، ولذا كان هذا البحث بعنوان: **«التوجيهات النبوية في مواجهة التنمر».**

إشكالية وتساؤلات البحث: يحاول هذا البحث الإجابة على التساؤلات الآتية:

١- ما المراد بمصطلح التنمر؟

٢- ما أسباب التنمر؟

٣- ما أنواع التنمر؟

٤- ما التوجيهات النبوية في مواجهة التنمر؟

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

١- تعلق البحث بالسنة النبوية المصدر الثاني للتشريع.

٢- تعلق البحث بظاهرة اجتماعية تعاني منها مجتمعات كثيرة.

٣- بيان شمول السنة النبوية لجميع مجالات الحياة.

أهداف البحث:

١- التعريف بمصطلح التنمر.

٢- بيان أسباب التنمر.

٣- بيان أنواع التنمر.

٤- التعرف على المنهج النبوي في مواجهة التنمر.

الدراسات السابقة: من خلال البحث والاستقراء وجدت كثيرًا من البحوث التي حاولت علاج ظاهرة التنمر من خلال علم النفس، أو علم الاجتماع، أو علوم التربية، كما وجدت بعض البحوث القليلة التي حاولت مناقشة الظاهرة، وحاولت علاجها من خلال الهدي الإسلامي، ومن هذه البحوث:

أولًا- التنمر حقيقته وأضراره وأسبابه وعلاجه في ضوء السنة النبوية، للدكتور محمد أحمد محمود عبد الله [(١)].

تحدث الباحث في هذا البحث عن تعريف التنمر لغة واصطلاحًا، وسبب تسمية هذه الظاهرة بهذا المصطلح، ثم انتقل إلى الحديث عن أساس ظاهرة التنمر، ثم ذكر أسباب انتشار ظاهرة التنمر، وهي ضعف الجانب الديني والتربوي لدى المتنمر، وتباين الخلقة بين الناس من اختلاف البشرة والطول والبدانة وغيرها، والتباين في العرق والنسب، والتباين بين الغنى والفقر، وغياب القدوة الصالحة إلى آخر هذه الأسباب، ثم تحدث عن أنواع التنمر، ثم نتائج وآثار التنمر التي تلحق بالمتنمَّر عليه وبالمتنمِّر، وختم بحثه بالحديث عن طرق علاج التنمر، وخلص البحث إلى أن الإسلام وضع العلاج الأمثل لما قد يحدث من مشكلات واستخدم طرقًا مثالية للقضاء عليها.

ويشترك هذا البحث مع بحثي في الحديث عن أسباب وأنواع التنمر، ويفترق بحثي في الحديث عن التوجيهات النبوية في علاج التنمر، سواء كانت توجيهات نظرية أم تطبيقية.

ثانيًا- ظاهرة التنمر الدوافع والمظاهر والعلاج، للدكتور عادل الصاوي أبو زيد [(٢)].

تحدث الباحث في هذا البحث عن أسباب التنمر والدوافع المؤدية إليه، وكيفية العلاج من هذه الظاهرة، وخلص إلى أن أسباب التنمر تتلخص في أنواع ثلاثة، وهي الأسباب النفسية، والأسباب الأسرية، والأسباب المدرسية، ثم انتقل إلى الحديث عن أشكال التنمر ومظاهره، وكيفية العلاج من هذه الظاهرة، وخلص الباحث إلى أن أشكال التنمر تتلخص في خمسة أشكال، وهي التنمر النفسي، والتنمر الجسمي، والتنمر الاجتماعي، والتنمر اللفظي، والتنمر الإلكتروني.

ويشترك هذا البحث مع بحثي في الحديث عن أسباب وأنواع التنمر، ويفترق بحثي في الحديث عن التوجيهات النبوية في علاج التنمر، سواء كانت توجيهات نظرية أم تطبيقية.

ثالثًا - التنمر من منظور الفكر الإسلامي، للباحث أحمد عبد الستار عزيز مامك[(٣)].

تحدث الباحث في هذا البحث عن مفهوم التنمر في القرآن والسنة، فبدأ بتعريف التنمر لغة واصطلاحًا، ثم انتقل إلى الحديث عن نهي القرآن والسنة عن التنمر، ثم ذكر أسباب التنمر من المنظور الإسلامي، ثم تحدث عن المنهج الإسلامي في مواجهة التنمر والعنف، وبين أن التنشئة التربوية السليمة من أهم طرق معالجة ومواجهة التنمر؛ لذا

(١) بحث منشور في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد ٤١.

(٢) بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد ٣٩، سنة ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.

(٣) بحث منشور بالمجلة العراقية للبحوث الإنسانية والاجتماعية والعلمية، عدد خاص لأبحاث المؤتمر الدولي الأول للعلوم الاجتماعية والإنسانية، سنة ٢٠٢٢ م.

اعتنى الإسلام بالتنشئة التربوية الصحيحة، ثم ذكر أهداف التربية الإسلامية مع بيان دورها في مواجهة التنمر، ثم ختم بحثه بالحديث عن كيفية مواجهة ظاهرة التنمر وعلاجها.

ويشترك هذا البحث مع بحثي في تعريف التنمر، ويفترق في حديثه عن المنهج التربوي الإسلامي في مواجهة التنمر والعنف، كذلك يفترق بحثي عنه في الحديث عن أسباب التنمر وأنواعه والحديث عن التوجيهات النبوية في علاج التنمر.

إجراءات البحث:

سأتبع في هذه الدراسة الإجراءات الآتية:

١- تخريج الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث من مصادرها، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذلك، وإن لم يكن الحديث فيهما أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه من السنن الأربعة، فإن لم يكن فيها توسعت في تخريجه مع ذكر الحكم على الحديث من خلال أقوال أهل العلم.

٣- إذا كان الحديث في الكتب الستة ذكرت اسم الكتاب واسم الباب ورقم الجزء ورقم الصفحة ورقم الحديث، وإذا كان الحديث في غير هذه الكتب أكتفي بذكر رقم الجزء ورقم الصفحة ورقم الحديث إن وجد.

٤- عزو الأقوال إلى قائليها وتوثيق الاقتباسات بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة.

وختامًا: فهذا عملي المتواضع لا أدعي فيه الكمال، فإن الكمال لله وحده، فإن وفقت فلله الحمد والفضل، وإن قصرت فحسبي أني بشر، والبشر يخطئ ويصيب، والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

التمهيد

نظرة الإسلام إلى الإنسان:

خلق الله الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلًا، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠].

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، يمشي قائمًا منتصبًا على رجليه، ويأكل بيديه، بينما غيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه، وجعل الله له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية، ومكنهم الله تعالى من تسخير الدواب من الأنعام والخيل والبغال لتحملهم في البر، ومن تسخير البحار بالسير فيها على السفن الكبار والصغار، ورزقهم الله من مختلف الطيبات من زروع وثمار، ولحوم وألبان، وغيرها من سائر أنواع الطعام، وفي كل هذا دليل على تفضيل الله تعالى للإنسان على كثير ممن خلق من الحيوانات وأصناف المخلوقات، وفي هذه الآية دليل أفضلية الجنس البشري على جنس الملائكة وغيرها من الأجناس الأخرى[(٤)].

ومن صور تكريم الله تعالى للإنسان تحريم دمه وماله وعرضه، وتغليظ العقوبة على من يفعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» [(٥)]، فكان من محاسن الشريعة الإسلامية ومكارمها أنها حرمت كل اعتداء على المسلم بكل صوره وأشكاله، سواء كان الاعتداء على دمه أو ماله أو عرضه، وفرضت العقوبات على كل من تجاوز ذلك حتى لا يؤدي هذا الانتهاك إلى اختلال المجتمع واضطرابه

فمن اعتدى على الدماء كان القصاص العين بالعين، والسن بالسن، والنفس بالنفس، والجروح قصاص.

ومن اعتدى على الأموال يعاقب بحد الحرابة إن كان قاطعا للطريق، ومن اعتدى عليها بالسرقة كانت عقوبته قطع اليد.

ومن اعتدى على الأعراض عوقب بعقوبات متنوعة منها بحد القذف، وجاء التشديد في ذلك من أجل صيانة الأعراض وحفظها، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٤]، وقال أيضًا: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ٢٣]

هاتان الآيتان فيهما بيان حكم القاذف، حيث أوجبت على القاذف خمس عقوبات:

أحدها: أن يجلد ثمانين جلدة.

الثاني: أنه ترد شهادته دائمًا.

الثالث: أن يكون فاسقًا ليس بعدل، لا عند الله ولا عند الناس.

الرابع: استحقاق اللعنة في الدنيا والآخرة.

الخامس: استحقاق العذاب في الآخرة.

وكما حرم الإسلام الاعتداء على دم الإنسان أو ماله أو عرضه حرم الإسلام الإساءة إليه، والسخرية منه، والاستهزاء به، وهو ما يسمى في هذا العصر بالتنمر، وهو ما جمعه الله تعالى في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ

---

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير الدمشقي (٥/ ٩٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا، إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا} [النساء: ١٠] (٤/ ١٠)، برقم (٢٧٦٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (١/ ٩١)، برقم (٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١]

نهى الله تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، وجعل من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض أن لا يسخر قوم من قوم بالقول أو الفعل الدال على تحقير الآخر؛ لأن ذلك حرام، ثم قال: {ولا تلمزوا أنفسكم} أي: لا يعب بعضكم على بعض، واللمز: بالقول، والهمز: بالفعل، وكلاهما منهي عنه حرام، متوعد عليه بالنار، {ولا تنابزوا بالألقاب} أي: لا يعير أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه وهذا هو التنابز، {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان} أي: بئسما تبدلتم عن الإيمان والعمل بشرائعه، وما تقتضيه، بالإعراض عن أوامره ونواهيه، باسم الفسوق والعصيان، الذي هو التنابز بالألقاب، ثم ختمت الآية بالتحذير من ذلك في قوله: {ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون}، فالناس قسمان لا ثالث لهما إما ظالم لنفسه غير تائب، وإما تائب مفلح[٦].

المبحث الأول: التعريف بالتنمر

المطلب الأول: تعريف التنمر

التنمر لغة:

يظن البعض أن مصطلح التنمر مصطلح جديد، ولكن بالنظر في المعاجم العربية القديمة تجد أن للتنمر في اللغة معانٍ كثيرة متوافقة مع المعنى الحديث لهذا المصطلح، ومن ذلك:

يُقَال للرَّجُل السَّيِّئ الخُلُق: قد نَمِر وتَنَمَّر. ونَمَّر وَجْهَه، أَي غَبَّره وعَبَّسه.

ويقال: تَنَمَّرَ له، أي تنكَّرَ له وتغيَّر وأوعده؛ لأن النمر لا يلقى أبدًا إلا متنكرًا غضبان.

ويقال: تَنَمَّرَ لي فلان، أيْ: تهددني.

ويقال: تنمر: غضب، وساء خلقه، وهو على التشبيه بأخلاق النمر وشراسته.

وتنمر: تمدد في الصوت عند الوعيد[٧].

فالتنمر: التشبه بالنمر في لونه أو طبعه، ويقال: تنمر لفلان تنكر له، وعبس له، وأوعده وهدده، ومدد في صوته عند الوعيد.

وسبب تسمية إيذاء الآخر بالتنمر أن الشخص المعتدي على غيره قد خرج من إنسانيته وتجرد من فطرته، وأصبح سلوكه وأسلوبه وطريقته في تعامله مع غيره أقرب إلى الحيوان المفترس، فناسب أن يطلق عليه هذا اللفظ المشتق من اسم النمر[٨].

التنمر اصطلاحًا:

اختلف الباحثون في تعريف التنمر، وتعددت أقوالهم في ذلك، ومن هذه التعاريف:

التنمر: أفعال سالبة متعمدة من جانب تلميذ أو أكثر بإلحاق الأذى بتلميذ آخر، تتم بصورة متكررة وطوال الوقت، إما قولا أو فعلا، وقد تكون غير ذلك كالتكشير في الوجه، أو العبوس به، أو الإشارة غير اللائقة، وتعمد عزله عن المجموعة أو رفض الاستجابة لرغبته[٩].

وقيل: التنمر هو شكل من أشكال الإساءة، والإيذاء، والسخرية يوجه إلى فرد أو مجموعة أضعف من قِبل فرد أو مجموعة أقوى بشكل متكرر بحيث يلجأ الأشخاص الذين يمارسون التنمر ضد غيرهم إلى استخدام القوة البدنية للوصول إلى مبتغاهم على حساب غيرهم[١٠].

وقيل: التنمر هو عدوان عام ومتعمد، قد يكون ماديًا أو لفظيًا أو جسديًا أو من خلال استخدام التكنولوجيا[١١].

وقيل: التنمر شكل من أشكال العنف والعدوان والإيذاء الجسدي، أو اللفظي، من خلال فرد أو مجموعة من الأفراد لفرد أو مجموعة أخرى بقصد السخرية والاستهزاء، مع استمرار التهديد من الطرف المتنمر، إلى الطرف المتَنَمَّر عليه، مع ملاحظة قوة الأول، وضعف الأخير، وهو سلوك متكرر يحدث بانتظام ويستمر فترة من الوقت وهكذا، فإن العامل الأساس في التنمر، هو قصد الإيذاء، سواء كان التنمر صغيرًا أو كبيرًا[١٢].

وقيل: التنمر سيطرة فرد أو مجموعة من الأفراد، على فرد أو مجموعة أخرى بهدف ممارسة السلطة والسيطرة عليه، وقد يتضمن ذلك إيذاءً لفظيًا أو جنسيًا أو تمييزًا عرقيًا أو دينيًا بهدف العزل عن المجتمع، وأن سلوك التنمر هو نشاط إرادي ومتعمد، يقصد به الإيذاء، أو التسبب بالخوف والرعب من خلال التهديد والاعتداء[١٣].

وترى الباحثة أن هذه التعاريف لا تشفي الغليل في بيان معنى التنمر، ومن هنا ترى الباحثة أن التعريف الصحيح للتنمر هو: سلوك عدواني يصدر من شخص أو أشخاص ضد شخص آخر بقصد إلحاق الأذى النفسي أو الجسدي به.

---

(٦) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي (ص: ٨٠١).

(٧) العين، للفراهيدي (٨/ ٢٧٠)، تهذيب اللغة، للأزهري (١٥/ ١٥٧)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٢/ ٨٣٨)، مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٨٠)، لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٢٣٥)، تاج العروس، للزبيدي (١٤/ ٢٩٥ - ٢٩٩).

(٨) التنمر حقيقته وأضراره، للدكتور محمد أحمد محمود (ص: ٢٥٩).

(٩) المرجع في علم النفس، للدكتور سعد جلال (ص: ٣٦٤).

(١٠) التنمر حقيقته وأضراره (ص: ٢٥٩).

(١١) دراسة العوامل المؤدية للتنمر ودور الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية في التعامل معها، منى سيد محمد (ص: ٤٤٦).

(١٢) سيكولوجية التنمر، للدكتور مسعد أبو الديار (ص: ١٧).

(١٣) سلوك التنمر عند الأطفال، للدكتور علي موسى الصبحيين (ص: ٧).

المطلب الثاني: أسباب التنمر

يعد التنمر من الموضوعات الشائكة التي أثارت اهتمام الباحثين في علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم، وقد ظهرت بعض النظريات العلمية التي تسعى لفهم الدوافع الكامنة وراء هذا ظهور سلوك التنمر، ومن أهم النظريات العلمية التي حاولت تفسير الأسباب المؤدية لتنامي ظاهرة التنمر:

نظرية التعلم الاجتماعي:

تفترض هذه النظرية أن الأفراد يتعلمون السلوكيات العدوانية والتنمر من خلال ملاحظتهم للآخرين، وخاصة نماذج القدوة، مثل: الأهل والأصدقاء ووسائل الإعلام، فعندما يشاهد الطفل سلوكيات عنيفة أو تنمرًا من قبل الآخرين، فإنه يميل إلى تقليد هذا السلوك.

نظرية الإحباط والعدوان:

تفسر هذه النظرية أن الإحباط الذي يعانيه الفرد قد يؤدي إلى سلوك عدواني، بما في ذلك التنمر، فعندما يشعر الطفل بالإحباط بسبب مشكلة ما، فإنه قد يلجأ إلى التنمر على الآخرين كوسيلة للتنفيس عن غضبه.

نظرية السيطرة:

يعتقد أصحاب هذه النظرية أن بعض المتنمرين يشعرون بالحاجة إلى السيطرة على الآخرين وإظهار القوة، فيكون التنمر هو الوسيلة التي تحقق هذا الهدف؛ لذا فقد يلجأ الأطفال الذين يعانون من مشاكل في الثقة بالنفس إلى التنمر لتعزيز شعورهم بالسيطرة.

نظرية الاختلافات الفردية:

تشير هذه النظرية إلى أن هناك اختلافات فردية في الشخصية والمزاج تؤثر على الميل إلى ممارسة التنمر، فقد يكون لدى بعض الأفراد استعداد وراثي أو بيولوجي للعدوانية، مما يجعلهم أكثر عرضة للتنمر.

نظرية الديناميات الاجتماعية:

تركز هذه النظرية على دور الديناميات الاجتماعية داخل المجموعات، مثل الصف الدراسي، في تشجيع أو تثبيط سلوك التنمر، فقد ينضم بعض الأفراد إلى مجموعات تمارس التنمر رغبة في الشعور بالانتماء أو القبول الاجتماعي(١٤).

من خلال هذه النظريات وغيرها نستطيع أن نستخلص أسباب التنمر فيما يلي:

١- الرغبة في السيطرة، حيث يشعر بعض المتنمرين بالحاجة إلى السيطرة على الآخرين وإظهار القوة، فيلجؤون إلى التنمر كوسيلة لتحقيق ذلك.

٢- الشعور بعدم الأمان، قد يعاني المتنمر من الشعور بعدم الأمان وعدم الثقة بالنفس، فيحاول تعويض ذلك عن طريق التنمر على الآخرين.

٣- الغيرة والحسد: قد يتنمّر بعض الأفراد على الآخرين بسبب الغيرة من نجاحهم أو مميزاتهم.

٤- التأثير الاجتماعي، قد ينضم بعض الأشخاص إلى مجموعات تمارس التنمر رغبة في الشعور بالانتماء أو القبول الاجتماعي.

٥- التعلم من خلال الملاحظة: قد يتعلم الأطفال سلوكيات التنمر من خلال ملاحظتهم للبالغين أو الأقران الآخرين، وهم يتنمرون على الآخرين.

٦- المشكلات النفسية، يعاني بعض المتنمرين من مشكلات نفسية كاضطرابات الشخصية أو الاكتئاب، مما يدفعهم إلى سلوكيات عدوانية تظهر في التنمر على الآخرين.

٧- الأسرة، قد تؤثر بيئة الأسرة التي ينشأ فيها الطفل على سلوكه، فالعنف الأسري، والإهمال، وسوء المعاملة يمكن أن تزيد من خطر ممارسة الطفل للتنمر أو التعرض له.

٨- الضغوط الاجتماعية، تعرض بعض الأشخاص للضغوط الاجتماعية يؤدي إلى زيادة التوتر والإحباط، مما يدفعهم إلى سلوكيات عدوانية مثل التنمر.

٩- وسائل الإعلام، تساهم بعض وسائل الإعلام في نشر ثقافة العنف والعدوان، مما يؤثر على سلوك الأطفال والشباب، فالعنف الموجود في وسائل الإعلام يمكن أن يؤثر على سلوك الأطفال ويجعلهم يعتقدون أن العنف هو وسيلة مقبولة لحل المشكلات(١٥).

المطلب الثالث: أنواع التنمر

يأخذ التنمر أشكالاً عديدة ومتنوعة، ويمكن تصنيفه بشكل عام إلى الأنواع الآتية:

أولًا- التنمر الجسدي:

يتضمن التنمر الجسدي أي شكل من أشكال الإيذاء الجسدي، مثل الضرب، الركل، الدفع، سرقة الأغراض، أو تدميرها، كما يشمل هذا العنف الجنسي كل ما يمس كرامة الإنسان أو يخدش حياءه، أو يتعدى على خصوصية جسده بهدف هتك العرض والاغتصاب أو التحرش الجنسي به.

---

(١٤) آثار تنمر المراهقين على الأسرة السعودية، أحمد عمر باجحزر (ص ٦٤٢، ٦٤٣)، التنمر في البيئة المدرسية، للدكتورة هبة توفيق أبو عيادة (ص ١٢٦ - ١٢٩)، العنف الأسري وعلاقته بالتنمر المدرسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة، ثامر حسن ريحان (ص ٦٨، ٧٠)، سلوك التنمر عند الأطفال (ص ٤٨ - ٥٦)، ظاهرة التنمر في ضوء المقاربات النظرية المفسرة لها، للدكتور عبيب غنية (ص ٦٣٢ - ٦٤٠).

(١٥) ظاهرة التنمر الدوافع والمظاهر والعلاج، للدكتور عادل الصاوي (ص ٢٠٥٢ – ٢٠٧٨)، التنمر حقيقته وأضراره وأسبابه (٢٦٨ – ٢٩٢)، التنمر في البيئة المدرسية (ص ١٢٩، ١٣٠)، السبل القرآنية والنبوية للحد من ظاهرة التنمر في المجتمع، سعدون جاسر، وحامد مطر (ص: ٤٨٤، ٤٨٥)، علاقة المناخ الأسري بالتنمر، للدكتورة نداء الشربيني (ص ٢٥٧ - ٢٥٩).

ثانيًا- التنمر اللفظي:

يتمثل التنمر اللفظي في استخدام المتنمر عبارات التهديد للضحية أمام مجموعة من الأقران بقصد الأذى والسخرية، والتقليل من شأنه، ونقده نقدا قاسيا، والتشهير به، كما يتضمن التنمر اللفظي استخدام الكلمات لإذلال الضحية، أو إيذاء مشاعره من خلال المضايقة، أو التنابز بالألقاب، أو السب، أو التهديد.

ثالثًا- التنمر الاجتماعي:

يستهدف عزل الضحية عن مجموعة الأصدقاء، ومضايقته، ورفض صداقته أو مشاركته في ممارسة الأنشطة المختلفة، والتجاهل المتعمد له، وكل هذه الصور السابقة من شأنها تغذية الجوانب السلبية داخل شخصية الفرد مما يولد بداخله سلوكيات تنمرية.

رابعًا- التنمر الإلكتروني:

التنمر الإلكتروني أحد أهم أشكال ظاهرة التنمر المسمى، وهو يعتمد على الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث تكون المضايقات عن بعد باستخدام وسائل الاتصال الإلكتروني من جانب متنمر يقصد به إيجاد جو نفسي لدى الضحية يتسم بالتهديد والقلق، حيث إن المتنمر يقوم بإرسال رسائل من شأنها التهديد أو إلحاق الأذى بالضحية أو ابتزازه ماليًّا، ويتضمن أيضًا نشر الشائعات، والتهديد بالصور المسيئة وغيرها، وهذه النماذج السيئة للسلوك التنمري هي مصدر قلق في البناء المجتمعي لكل الشعوب والبيئات، وهو من أخطر الحروب المعنوية والنفسية على الضحية، بل أشدها فتكًا به، وأعظمها وقعًا وتأثيرًا عليه.

خامسًا- التنمر النفسي:

يسعى فيه المتنمر لإلحاق الأذى النفسي بالضحية، مثل التلاعب بالعواطف، إشعار الشخص بالذنب، أو إقناعه بأن ما يتعرض له هو خطأه، والتحديق في وجه الضحية تحديقًا عدوانيًّا، والضحك بصوت منخفض، واستخدام الإشارات الجسدية العدوانية، ويعد هذا النوع من أكثر أنواع التنمر تأثيرًا ويحدث آثارًا خطيرة على الصحة النفسية للضحية.

سادسًا- التنمر الديني:

وذلك بقيام المتنمر بترديد عبارات مسيئة للطلبة المنتمين إلى أديان أخرى، وأحيانًا تصل إلى الإيذاء الجسدي بسبب اختلاف الأديان (١٦).

المبحث الثاني: التوجيهات النبوية في علاج التنمر

المطلب الأول: التوجيهات النظرية

التنمر سلوك مشين يضر بالمجتمع ضررًا بالغًا، وقد جاءت السنة النبوية بتعاليم سامية تدعو إلى الأخوة والتآخي والرحمة بين الناس، ويمكننا أن نستلهم من سنة النبي صلى الله عليه وسلم توجيهات قيمة لمواجهة ظاهرة التنمر، ومن هذه التوجيهات:

أولًا- لا يجوز للمسلم أن يخذل أخاه أو يحتقره:

ودليله ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه» (١٧).

فقول النبي صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»، فيه تأصيل للأخوة بين المسلمين، وأنه ينبغي على المسلم ألا يخذل أخاه المسلم، فإذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي، ولا يحقره أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»، يعني: يكفيه من الشر احتقار أخيه المسلم (١٨).

ويدل عليه أيضًا ما روي عن جابر بن عبد الله، وأبي طلحة بن سهل الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من امرئ يخذل امرأ مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب نصرته» (١٩).

ومعنى الحديث: ليس أحد يترك نصرة مسلم مع وجود القدرة عليه بالقول أو الفعل إلا ترك الله نصرته في موضع يحب أن ينصره الله فيه، وأن من ينصر أخاه المسلم عند تعرضه للإهانة والانتقاص منه إلا نصره الله في موضع يحب أن ينصره الله فيه (٢٠).

---

(١٦) التنمر حقيقته وأضراره وأسبابه (٢٩٣ – ٣٠١)، ظاهرة التنمر الدوافع والمظاهر والعلاج (ص ٢٠٨٢ – ٢١٣١)، آثار تنمر المراهقين على الأسرة السعودية (ص ٦٤٠، ٦٤١)، التنمر في البيئة المدرسية (ص ١٣٠، ١٣١)، سلوك التنمر عند الأطفال (ص ١٠، ١١).

(١٧) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (١٩٨٦/٤)، برقم (٢٥٦٤).

(١٨) المنهاج بشرح صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي (١٦/ ١٢٠، ١٢١)، جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/ ٢٧٨).

(١٩) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة (٤/ ٢٧١)، برقم (٤٨٨٤).

قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٢٠): رواه أبو داود، واختلف في إسناده.

(٢٠) عون المعبود وحاشية ابن القيم، للمباركفوري (١٣/ ١٥٦)، شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٨/ ٦١٥).

ثانيًا- لا يكتمل الإيمان إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه:

لما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٢١).

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن إيمان المؤمن لا يكون إيمانًا كاملًا إلا إذا أحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه من الخير، ومن الإيمان أيضًا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر (٢٢)، فإذا أحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه لم يتنمر عليه؛ لأنه لا يحب أن يتنمر عليه أحد.

ثالثًا- التنمر من أسباب الإفلاس في الآخرة:

لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» (٢٣).

المتنمر في الدنيا هو المفلس في الآخرة، وحقيقة المفلس في الحديث هو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، الذي تؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه، ثم ألقي في النار (٢٤).

فهذا المتنمر الذي تنمر على الآخرين بالسب والشتم والضرب وخلافه يعاقب بفعله ووزره وظلمه، فحقيقة العقوبة إنما هي بسبب ظلمه وتنمره على الآخرين، فهذا تحذير لكل مسلم أن يحفظ لسانه من أذى الناس، ويكف يده عنهم فلا يمدها إلا بخير، فإن أذى المسلمين محبط للأعمال، وعن أبي هريرة، قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي في النار»، قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها، وصدقتها، وصلاتها، وإنها تصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي في الجنة»(٢٥).

رابعًا- المظاهر الخادعة:

لما روي عن سهل بن سعد الساعدي، أنه قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيك في هذا» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يسمع لقوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا» (٢٦).

يحذر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من الأخذ بالمظاهر، فالخيرية عند الله إنما هي بالتقوى، وليست بالمناظر ولا المظاهر، فلا يستقل المسلم بأي إنسان، ولا يحتقره، بل يقدر المسلم الإنسان أي إنسان، وضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا في هذا الحديث برجلين أحدهما من أشراف قومه والآخر من فقراء المسلمين، وبيّن صلى الله عليه وسلم أن هذا الفقير خير وأحب عند الله تعالى من هذا الذي تعدونه شريفًا بينكم.

المطلب الثاني: التوجيهات التطبيقية

كما وضعت السنة النبوية توجيهات نظرية في مواجهة التنمر، ضربت نماذج تطبيقية في مواجهة التنمر ومحاربته، ومن هذه التوجيهات:

أولًا- تحذير النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة من التنمر بغيرها:

لما روي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا، تعني أنها قصيرة، فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» قالت: وحكيت له إنسانًا، فقال: «ما أحب أني حكيت إنسانًا وأن لي كذا وكذا» (٢٧).

أرادت أم المؤمنين عائشة التقليل من صفية بخلقتها، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن نبهها إلى خطورة كلمتها هذه، فأخبرها أن هذه الكلمة الواحدة التي تكلمتِ بها لو مزجت بماء البحر لمزجته، قيل: يحتمل أن المراد أن ريق فمك حين قلت هذه الكلمة المنتنة لو مزج هذا الريق اليسير النتن من الكلمة بماء البحر العظيم المتين المحيط بالدنيا وخالطه؛ لفاق ريحها على ريحه في النتن، وهذا كله مبالغة عظيمة وزجر شديد (٢٨).

فهذا تحذير أكيد في ترك التنمر على الناس والانتقاص منهم.

(٢١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١/ ١٢) برقم (١٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (١/ ٦٧) برقم (٤٥).

(٢٢) فتح الباري، لابن حجر (١/ ٥٦، ٥٧).

(٢٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٧) برقم (٢٥٨١).

(٢٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٦).

(٢٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢١/١٥)، برقم (٩٦٧٥).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٩): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

(٢٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الرقاق، باب فضل الفقر (٨/ ٩٥)، برقم (٦٤٤٧).

(٢٧) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب في الغيبة (٤/ ٢٦٩)، برقم (٤٨٧٥)، والترمذي في سننه، في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب (٤/ ٦٦٠)، برقم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢٨) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٨/ ٦٠٣).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

ثانيًا- تحذير النبي صلى الله عليه وسلم لزينب بنت جحش من التنمر بغيرها:

لما روي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: اعتل بعير لصفية بنت حيي، وعند زينب فضل ظهر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لزينب: «أعطيها بعيرًا» فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية؟ «فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر» (٢٩).

غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على زوجه زينب بنت جحش لقولها في صفية بنت حيي: تلك اليهودية. وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله تعالى، فعاقبها النبي صلى الله عليه وسلم بالهجر، وهو الإعراض عن فراشها، وهذا يشق أمره على الزوجة التي تحت زوجها، فيكون ذلك سببًا لعودها إلى الصلاح (٣٠).

هذا الغضب من النبي صلى الله عليه وسلم وعقابه لأم المؤمنين زينب بنت جحش بسبب تنمرها على أم المؤمنين صفية بنت حيي.

ثالثًا- تحذير النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة بنت عمر من التنمر بغيرها:

لما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بلغ صفية أن حفصة، قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك»؟ فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وإنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟!» ثم قال: «اتقي الله يا حفصة» (٣١).

في هذا الحديث تحذير من النبي صلى الله عليه وسلم للمتنمِّر، وجبر لخاطر المتنمَّر عليه، فالمتنمِّر هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها، حيث تنمرت على أم المؤمنين صفيه بنت حيي، حيث وصفتها بأنها بنت يهودي، فبكت أم المؤمنين صفية، فسألها النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب بكائها، فأخبرته، فجبر النبي صلى الله عليه وسلم بخاطرها بأنها بنت نبي؛ لأنها من نسل هارون، وإن عمها لنبي وهو موسى، وإنك زوجة نبي، فبم تفخر حفصة عليك، ثم حذر حفصة من هذا التنمر وقال لها: اتقي الله، أي: مخالفته أو عقابه بترك مثل هذا الكلام الذي هو من عادات الجاهلية(٣٢).

رابعًا- تحذير النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر من التنمر على غيره:

لما روي عن المعرور بن سويد قال: مررنا بأبي ذر بالربذة وعليه برد وعلى غلامه مثله، فقلنا: يا أبا ذر، لو جمعت بينهما كانت حلة. فقال: إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية، فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية». قلت: يا رسول الله، من سب الرجال سبوا أباه وأمه. قال: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (٣٣).

من صور التنمر أن يعاير الرجل أخاه، وهذا ما حدث من أبي ذر حيث عير رجلا بأمه وكانت أعجمية، فحذره النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله إنك امرؤ فيك جاهلية، أي هذا التعيير من أخلاق الجاهلية، ففيك خلق من أخلاقهم، وينبغي للمسلم ألا يكون فيه شيء من أخلاقهم ففيه النهي عن التعيير وتنقيص الآباء والأمهات، وأنه من أخلاق الجاهلية (٣٤).

رابعًا- التحذير من التنمر على الغير:

لما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ممّ تضحكون؟!» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد» (٣٥).

من صور التنمر أن يتنمر الرجل على هيئة الآخر وشكله، وهذا ما حدث من الصحابة الذين حضروا عبد الله بن مسعود وهو يأخذ سواكًا من شجرة الأراك، فلما هبت الريح كشفت عن ساقيه، وكان رضي الله عنه دقيق الساقين فضحك الصحابة من دقة ساقيه، فعاتبهم النبي صلى الله عليه وسلم

---

(٢٩) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب السنة، باب ترك السلام على أهل الأهواء (٤/ ١٩٩)، برقم (٤٦٠٢).
قال المناوي في كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح (٤/ ٣٣٠): رواه أبو داود في السنة من حديث عائشة ترفعه، ورجاله رجال مسلم إلا سمية البصرية الراوية عن عائشة، فإنه لم يخرج لها مسلم شيئا ولم أقف لها على نسب في شيء من كتب الحديث.
(٣٠) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٨/ ٩١).
(٣١) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (٥/ ٧٠٩)، برقم (٣٨٩٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.
(٣٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للهروي (٩/ ٣٩٩٤).
(٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (١/ ١٥) برقم (٣٠)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه (٣/ ١٢٨٢) برقم (١٦٦١).
(٣٤) شرح النووي على مسلم (١١/ ١٣٢).
(٣٥) أخرجه أحمد في مسنده (٧/ ٩٨)، برقم (٣٩٩١)، والبزار في مسنده (٥/ ٢٢١)، برقم (١٨٢٧)، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٢٠٩)، برقم (٥٣١٠)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٤٦)، برقم (٧٠٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٧٨)، برقم ٨٤٥٢).
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٢٨٩): رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني من طرق، وفيه: عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث على ضعفه، وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح.

على ذلك، وأخبرهم أن هاتين الساقين الدقيقتين أثقل عند الله في الميزان من جبل أحد، فلا يليق بكم أن تسخروا منه لدقة ساقية.

الخاتمة:

أولًا- النتائج:

- إن من صور تكريم الله تعالى للإنسان تحريم دمه وماله وعرضه، وتغليظ العقوبة على من يعتدي عليه.
- إن الإسلام كما حرم الاعتداء على دم الإنسان وماله وعرضه، حرم الإساءة إلى الإنسان، والسخرية منه، والاستهزاء به، وهو ما يسمى في هذا العصر بالتنمر.
- إن سبب تسمية إيذاء الآخر بالتنمر أن الشخص المعتدي على غيره قد خرج من إنسانيته في تعامله مع غيره وصار أقرب إلى الحيوان المفترس، فناسب أن يطلق عليه هذا اللفظ المشتق من اسم النمر.
- يعرف التنمر بإنه: سلوك عدواني يصدر من شخص أو أشخاص ضد شخص آخر بقصد إلحاق الأذى النفسي أو الجسدي به.
- إن من أهم النظريات العلمية التي حاولت تفسير الأسباب المؤدية لتنامي ظاهرة التنمر: نظرية التعلم الاجتماعي، نظرية الإحباط والعدوان، نظرية السيطرة، نظرية الاختلافات الفردية، نظرية الديناميات الاجتماعية.
- إن من أهم أسباب التنمر: الرغبة في السيطرة، الشعور بعدم الأمان، الغيرة والحسد، التأثير الاجتماعي، المشكلات النفسية، غياب دور الأسرة، الضغوط الاجتماعية، وسائل الإعلام.
- إن التنمر يأخذ أشكالًا عديدة ومتنوعة، ومنها: التنمر الجسدي، التنمر اللفظي، التنمر الاجتماعي، التنمر الإلكتروني، التنمر النفسي، التنمر الديني.
- إن التنمر سلوك مشين يضر بالمجتمع ضررًا بالغًا، وقد وضعت السنة النبوية قواعد لمواجهة ظاهرة التنمر، ومن هذه التوجيهات: لا يجوز للمسلم أن يخذل أخاه أو يحتقره، لا يكتمل الإيمان إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه، التنمر من أسباب الإفلاس في الآخرة، المظاهر الخادعة.
- ضربت السنة النبوية نماذج تطبيقية في مواجهة التنمر ومحاربته، ومن هذه التوجيهات: تحذير النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة وزينب بنت جحش وحفصة بنت عمر من التنمر، وتحذير النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه من التنمر على غيرهم.

ثانيًا- التوصيات:

- ضرورة توعية أفراد المجتمع بخطورة التنمر، ووضع قواعد واضحة وصارمة للحد من هذه الظاهرة.
- أن تتحلى الأسرة بثقافة تعديل السلوك العنيف لدى الأبناء، والذي قد يكون أهم أسباب هذه الظاهرة.
- توعية العاملين في المجال التربوي بضرورة تعزيز قيم التسامح وتنمية الفضائل الأخلاقية بين الطلاب من سن مبكرة.
- تفعيل دور الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين داخل مؤسسات التعليم والجامعات.
- مراقبة المحتويات الإعلامية التي تقدم في وسائل التواصل والتأكد من خلوها من أي مظاهر تحث على التنمر.
- تقديم الدعم المعنوي لضحايا التنمر لخلق بيئة آمنة في مجتمعاتنا، وخلق جيل أكثر سعادةً ونجاحًا.

المصادر:

- القرآن الكريم
- آثار تنمر المراهقين على الأسرة السعودية وسبل الحد من مظاهره، للباحث أحمد بن عمر بن أحمد باجحزر، بحث منشور في المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، العدد ٢٨، تاريخ الإصدار ٢٠ فبراير ٢٠٢٢م.
- تاج العروس تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لعبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبي محمد، زكي الدين المنذري، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر، (تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت)، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- التنمر حقيقته وأضراره وأسبابه وعلاجه في ضوء السنة النبوية، للدكتور محمد أحمد محمود عبد الله، بحث منشور في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد ٤١.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

- التنمر في البيئة المدرسية مفهومه وآثاره، للدكتورة هبة توفيق أبو عيادة، بحث منشور في مجلة جامعة الزيتونة الدولية، العدد العاشر، سنة ٢٠٢٣م.
- التنمر من منظور الفكر الإسلامي، للباحث أحمد عبد الستار عزيز مامك، بحث منشور بالمجلة العراقية للبحوث الإنسانية والاجتماعية والعلمية، عدد خاص لأبحاث المؤتمر الدولي الأول للعلوم الاجتماعية والإنسانية، سنة ٢٠٢٢م.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ٢٠٠١م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.
- دراسة العوامل المؤدية للتنمر ودور الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية في التعامل معها، للباحثة منى سيد محمد أحمد، بحث منشور في مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، العدد٥١، المجلد٢، سنة ٢٠٢٠م.
- السبل القرآنية والنبوية للحد من ظاهرة التنمر في المجتمع، سعدون جاسر، وحامد مطر، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر الدولي الثالث لعلوم الإنسان، سنة ٢٠٢٣م.
- سلوك التنمر عند الأطفال والمراهقين مفهومه - أسبابه - علاجه، للدكتور علي موسى الصبحيين، والدكتور محمد فرحان القضاة، منشورات جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- سيكولوجية التنمر بين النظرية والعلاج، للدكتور مسعد أبو الديار، مكتبة الكويت الوطنية، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.
- شرح سنن أبي داود، لأبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان شهاب الدين المقدسي الرملي الشافعي، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي، الفيوم، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ظاهرة التنمر الدوافع والمظاهر والعلاج، للدكتور عادل الصاوي أبو زيد، بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد ٣٩، سنة ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.
- ظاهرة التنمر في ضوء المقاربات النظرية المفسرة لها، للدكتور عبيب غنية، بحث منشور بمجلة البحوث التربوية والتعليمية، المجلد ١١، العدد ٢، سنة ٢٠٢٢م.
- علاقة المناخ الأسري بالتنمر لدى طلاب المرحلة الإعدادية، للدكتورة نداء الشربيني الشربيني بسيوني، بحث منشور بمجلة كلية التربية بجامعة الأزهر، العدد ١٨١، سنة ٢٠١٩م.
- العنف الأسري وعلاقته بالتنمر المدرسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة، للباحث ثامر حسن ريحان، بحث منشور بمجلة العلوم التربوية والإنسانية، العدد ١١، سنة ٢٠٢٢م.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي

(ت: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، سنة ١٤١٥هـ.

- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، (ت: ١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح، لمحمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المناوي ثم القاهري، الشافعي، صدر الدين، أبو المعالي (ت: ٨٠٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، تقديم: الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، الناشر: الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة ١٤١٤هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ)، بتحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي - القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- المرجع في علم النفس، للدكتور سعد جلال، الناشر دار الفكر العربي للطباعة والنشر، سنة ١٩٨٥م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، الطبعة الأولى، الناشر دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- مسند أبي يعلى الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها، المعروف بصحيح ابن حبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (ت ٣٥٤ هـ)، المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.
- مقاييس اللغة للعلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الجيل ببيروت، ١٤٢٠هـ.

 ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

مسألة الحرف والصوت في كلام الله عند أهل السنة والمخالفين دراسة عقدية.

د. منيرة بنت صياف فالح العمري

دكتوراة في العقيدة والمذاهب المعاصرة، إدارة تعليم المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

The Issue of Character and Sound in the Word of Allah According to Ahlus Sunnah and the Antagonists: A Doctrinal Study.

Dr.Munirah Sayaf AL amri

Phd in Creed and Contemporary doctrines of Thought, Education Administration, Madinah, KSA.

E-mail: misktaiba@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

العقيدة - الأسماء والصفات - مسألة الحرف والصوت -

KEY WORDS:

Creed - Names and Attributes+ Issue of character and sound

مستخلص البحث:

إن من الأصول العظيمة التي تقوى بها عقيدة المسلم وترسخ قدمه في العلم: صحة معتقده في القرآن العظيم الذي أنزله الله عز وجل على نبيه ﷺ باعتقاد أنه منزل من الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله خاطب به جبريل فسمعه من الرب بصوت الرب، ثم بلغه جبريل نبينا ﷺ بصوته، ثم بلغه النبي ﷺ أمته.

وإن من الانحرافات في هذا الباب: ما أحدثه من أحدث في إنكار أن يكون الله عز وجل تكلم بحرف وصوت للوازم باطلة توهموها؛ كدعواهم أن الحرف والصوت من صفات الحوادث الواجب أن يُنزه الله تعالى عنها.

وما زالت هذه المسألة محل شبهة وفتنة للكثير من الناس الذين لم ينتبهوا لأصل شبهة القائلين بها، وما أحدثوه من هذه المقالة الباطلة التي هي مخالفة؛ لما دلت عليه النصوص وأجمعت عليه الأمة من الصحابة والتابعين أن القرآن كلام الله بألفاظه ومعانيه تكلم بحرف وصوت على ما يليق بجلاله.

وقد أحببت في هذا البحث دراسة هذه المسألة؛ من جوانبها المتعددة وايضاحها مما وقع فيه المتوهمون من مقالات عظيمة لها أثر ها العظيم في سلامة معتقدهم في كتاب الله عز وجل، وقد سميت هذا البحث:(مسألة الحرف والصوت في كلام الله عند أهل السنة والمخالفين - دراسة عقدية) ويتكون البحث من: مقدمة، تمهيد، وأربعة فصول، خاتمة.

ABSTRACT:

The great fundamentals that reinforce the creed of a Muslim and strengthen his footing in knowledge: soundness of his creed on the Noble Qur'an revealed by Almighty Allah to his Prophet, believing that it was revealed by Allah and not created, started from him and to him it shall return, and that Allah communicated it to Gabriel who heard it from the sound of the Creator, then Gabriel revealed it to our Prophet with his sound, then the Prophet transmitted it to his Ummah.

The deviations on this matter include: what was innovated by those who dispute that Almighty Allah talked with characters and sound due to some unfounded connotations that were insinuated by them which is in violation of the injunctions in the religious texts and the consensus of the Ummah from the companions and those after them that the Qur'an is the Statement of Allah in its wordings and meanings, espoused with characters and sound as it fits the Almighty.

This issue was studied herein from several angles, and highlighted the errors committed by the opponents for its great influence on the purity of faith regarding the Book of Allah. It includes introduction, preface, four topics, and conclusion.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣] {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء: ١]

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب: ٧٠ - ٧٢]

وبعد:

فإن أعظم أبواب العلوم وأشرفها: باب العلم بالله عز وجل وما يجب على المسلم أن يعتقده في ذات الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فإن هذا العلم يشرف لتعلقه بالعلم بالله عز وجل، فإن العلم يشرف بشرف المعلوم، كما أن ضبط هذا الباب وفهمه على الوجه الصحيح هو الأصل الذي عليه مدار العقيدة الصحيحة، وهو الأساس المتين الذي عليه مبنى العبادة الصحيحة المثمرة لخشية الله وتعظيمه والمفضية للسعادة الأبدية ودخول الجنة والفوز برضوان الله والنظر إلى وجهه الكريم في جنة عدن.

وإن من الأصول العظيمة التي تقوى بها عقيدة المسلم وترسخ قدمه في العلم: صحة معتقده في القرآن العظيم الذي أنزله الله عز وجل على نبيه ﷺ باعتقاد أنه منزل من الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله خاطب به جبريل فسمعه من الرب بصوت الرب، ثم بلغه جبريل نبينا ﷺ بصوته، ثم بلغه النبي ﷺ أمته.

وإن من الانحرافات في هذا الباب: ما أحدثه الكُلّابية والأشاعرة من أن هذا القرآن إنما هو حكاية عن كلام الله، كما زعم ابن كُلّاب، أو أنه عبارة عن كلام الله كما توهم الأشعري، وهذا مبناه على عقيدتهم الباطلة في إنكار أن يكون الله عز وجل تكلم بحرف وصوت للوازم باطلة توهموها، كدعواهم أن الحرف والصوت من صفات الحوادث الواجب أن يُنزه الله تعالى عنها.

وما زالت هذه المسألة محل شبهة وفتنة للكثير من الناس الذين لم ينتبهوا لأصل شبهة القائلين بها، وما أحدثوه من هذه المقالة الباطلة التي هي مخالفة لما دلت عليه النصوص وأجمعت عليه الأمة من الصحابة والتابعين أن القرآن كلام الله بألفاظه ومعانيه سوره وآياته محكمه ومتشابهة، ليس لأحد منه شيء لا في ألفاظه ولا في معانيه، بل هو كلام الله على الحقيقة لا حكاية ولا عبارة، وأنه عز وجل تكلم بحرف وصوت على ما يليق بجلاله.

وقد أحببت في هذا البحث المختصر دراسة هذه المسألة – أي: مسألة الحرف والصوت – من جوانبها المتعددة لإحقاق الحق وإبطال الباطل وتحذير المسلمين مما وقع فيه المتوهمون في هذه المسألة من مقالات عظيمة لها أثر ها العظيم في سلامة معتقدهم في كتاب الله عز وجل، وقد سميت هذا البحث: (**مسألة الحرف والصوت في كلام الله عند أهل السنة والمخالفين ـ دراسة تحليلية عقدية**).

أسباب اختيار الموضوع:

*** إن من أهم الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع:**

١ـ خطورة هذه المسألة على عقيدة المسلم في كتاب الله عز وجل حيث أنها تفضي إلى اعتقاد أن هذا الكلام الموجود أبين دفتي المصحف ليس هو من كلام الله، وإنما هو حكاية أو عبارة عن كلام الله مما يضعف اعتقاد المسلم في القرآن إذا ما توهم أنه ليس لله فيه إلا المعاني وأن الألفاظ ليست من كلامه.

٢ـ انتشار عقيدة الأشاعرة الباطلة في أكثر من قُطْر مما يقتضي التنبيه على المسائل المتعلقة بها للحد من انتشارها بين المسلمين.

٣ـ خطورة الانزلاق في هذه المسألة وما يترتب عليها من آثار خطيرة على عقيدة المسلم.

٤ـ دقة هذه المسألة حتى إنها أشكلت على بعض أهل العلم، وذلك أن من فروعها مسألة اللفظ بالقرآن، والتي حصلت فتنة عظيمة لبعض أهل العلم كما هو مشهور من قصة الإمام البخاري في ذلك.

الدراسات السابقة:

لا أعلم دراسات معاصرة لهذه المسألة على وجه الإفراد، وإن كانت قد تذكر ضمن بعض البحوث الموسعة في صفات الله عز وجل عموماً، أو في صفة الكلام لله عز وجل خصوصاً، ومن هذه البحوث: العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية، تأليف/ عبد الله بن ناصر الجديع، حيث تعرض لهذه المسألة باختصار في جزئية من مبحث بعنوان: (إبطال كون كلام الله تعالى معنىً مجرد).

منهجي في البحث:

١ـ جمعت هذه المادة العلمية من مصادرها الأصيلة، ووثقت النقول من مصادرها بذكر الجزء إن وُجد ورقم الصفحة.

٢ـ أفردت مسألة الحرف بالدراسة عن مسألة الصوت للافتراق بينهما في بعض المسائل الدقيقة كما سيظهر هذا أثناء البحث.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

٣- عدت إلى مصادر اللغة في بيان بعض المفردات الغريبة.

٤- خرجت الأحاديث التي تضمنها البحث.

٥- عزوت الآيات القرآنية إلى أماكنها، مشيرة إلى سورتها ورقم الآية.

٦- ذيلت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

٧- وضعت في نهاية البحث فهرساً للآيات القرآنية حسب ورودها في البحث بذكر الآية واسم السورة ورقم الآية، وموضع ورودها في البحث، وفهرس للأحاديث النبوية، بذكر أول الحديث وموضع وروده في البحث.

تمهيد

فإن الله تعالى قد أكمل لرسوله ﷺ ولأمته أمر دينهم، ومن أعظم المسائل التي بينها الله عز وجل في كتابه بياناً واضحاً شافياً: باب الإيمان وما يجب على الأمة أن تعتقده في ربها وخالقها، فبين لهم أسماءه التي رغبهم في دعائه بها، ووضح لهم صفاته الدالة على عظمته وأرشدهم إلى التوسل إلى الله تعالى بها، كما بيَّن النبي ﷺ هذا الأمر ووضحه حتى ترك الأمة على بصيرة من دينها في هذا الأمر، ومضى الصحابة والتابعون على هذا الاعتقاد الصحيح في الله عز وجل يُثبتون الأسماء والصفات لله كما دلت على ذلك النصوص من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ثم إنه قد نبتت في الأمة نابتة جهلت هذا الأصل العظيم، ولم تتفقه فيه على الصحابة والتابعين، بل تأثرت بمقالات بعيدة عن الإسلام من أفكار ترجع إلى ما أحدثه أهل الكتاب من مقالات باطلة في ذات الرب وأسمائه وصفاته، أو ما قعده فلاسفة اليونان من محدثات وضلالات في هذا الباب، فأنتج هذا مناهج ضالة في هذا الباب من تحريف وتأويل لأسماء الله وصفاته بدعوى أن إثباتها لله يستلزم تشبيهاً وتجسيماً فوجب أن يُنزه الله عنها، وإما بتمثيل صفات الله عز وجل بصفات المخلوقين ودعوى أنه لا يعقل من معاني الصفات المضافة للرب إلا ما يُعقل من صفات المخلوقين.

وإن من أعظم الصفات التي أحدث فيها المحدثون: ما أحدثوا من مقالات باطلة في صفة الكلام لله عز وجل، فزعم قوم أن الكلام المضاف إلى الله مخلوق خلقه في غيره، وليس هو صفة من صفاته، وإضافته إلى الله من باب إضافة المخلوق لخالقه، كما يقال: عبد الله وناقة الله، وهذه عقيدة الجهمية والمعتزلة.

وزعم آخرون أن كلام الله هو عين كلام المخلوقين، حتى قال قائلهم:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظمه

وهذه عقيدة أصحاب وحدة الوجود ومرجعها إلى عقيدتهم الفاسدة أن عين وجود الله هو عين وجود المخلوقين.

وذهب آخرون إلى أن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال فانتقش في نفوس الأنبياء، وهذه عقيدة الفلاسفة.

وقال آخرون: إن كلام الله هو معنى قائم بنفس الله عز وجل وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عُبِّر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عُبِّر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عُبِّر عنه بالسريانية كان إنجيلاً.

وزعموا أن الله لا يتكلم بحرف ولا صوت، وأن هذا القرآن هو حكاية عن كلام الله، وهذه مقالة ابن كُلاب، أو عبارة عن كلام الله، وهذا قول الأشعري، وهذه صفات لأصل شبهة الكلابية والأشاعرة في هذا الباب مرجعها إلى ما لبس به عليهم المعتزلة في مناظراتهم لهم حيث ألزم المعتزلةُ الكلابيةَ والأشاعرةَ بأن الرب قديم منزه عن الحوادث والحرف والصوت تقبل التجزئة والتعاقب، وهذه صفات الحادث، فوجب أن يُنزه الله عنها، فالتزم الكلابية والأشاعرة هذا اللازم، وزعموا أن كلام الله ليس بحرف ولا صوت، وإنما كلامه معنى يقوم بذاته لا يشمل الألفاظ والحروف.

وفي هذا البحث تتبع لمقالة الكلابية والأشاعرة في مسألة الحرف والصوت ودراسة لها من عدة جوانب مع عرض أدلتهم والإجابة عليها، أردت بها التنبيه مما وقع فيه المخالف في هذه المسألة العظيمة وتقرير الحق الذي دلت عليه النصوص، وبالله التوفيق[1].

الفصل الأول تعريف الكلام والحرف والصوت

* **وفيه خمسة مباحث:**

المبحث الأول: تعريف الكلام.

المبحث الثاني: تعريف الحرف.

المبحث الثالث: تعريف الصوت.

المبحث الرابع: اختلاف الناس في حقيقة الكلام.

المبحث الخامس: الحرف والصوت في كلام الله تعالى وكلام المخلوق.

الفصل الأول

تعريف الكلام والحرف والصوت

مدار اختلاف الناس في هذه المسألة عقدياً يرجع إلى اختلافهم في حد هذه المصطلحات، ولذا فإن دراسة تعريف هذه المصطلحات لغويًّا واصطلاحيًّا عند كل طائفة مهم جدًّا قبل دراسة اختلافهم العقدي في مسألة الحرف، ولذا أفردت هذا الفصل بدراسة التعريفات اللغوية والاصطلاحية لهذه المسألة، وذلك على النحو الآتي:

(١) انظر: "الرد على من أنكر الحرف والصوت" السجزي (١١٥)، و"مجموع الفتاوى" (١٢/١٣٠)، "الصواعق المرسلة" ابن القيم (٢٢٥)، "مقالات الإسلاميين" (٢/٢٣٣).

المبحث الأول

تعريف الكلام:

أولاً: تعريفه في اللغة:

الكلام في لغة العرب يُطلق على ما يشمل اللفظ والمعنى جميعاً، قال ابن فارس: "الكاف واللام والميم أصلان، أحدهما يدل على نطق مفهم، والآخر على جراح، فالأول الكلام ... والأصل الآخر الكَلْم وهو الجرح"[٢].

فقوله: (نطق) يدل على أنه لفظ.

وقوله: (مُفهم) يدل على أن له معنىً، فتبين أنه مركب من لفظ ومعنى، قال ابن مالك: "كلامنا لفظ مفيد كاستقم".

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

ومعناه في الاصطلاح: اختلف الناس في حد الكلام وتعريفه إلى خمسة أقوال:

القول الأول: أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن، وهذا قول السلف.

القول الثاني: أنه اسم للفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل مدلول مسماه، وهذا قول جماعة من المعتزلة وغيرهم، وهو قول النحاة؛ لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ.

القول الثالث: أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز؛ لأنه دال عليه، وهذا قول ابن كُلَّاب ومن اتبعه.

القول الرابع: أنه مشترك بين اللفظ والمعنى، وهذا قول بعض متأخري الكُلَّابية.

القول الخامس: أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في كلام الآدميين، لأن حروف الآدميين تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائماً بغير المتكلم، بخلاف كلام الله؛ فإنه لا يقوم – عند أصحاب هذا القول – بالله، فيمتنع أن يكون كلامه. وهذا يُروى عن أبي الحسن الأشعري، وهو قول ثالث للكلابية[٣].

والقول الحق هو قول السلف: وهو أن الكلام يشمل اللفظ والمعنى جميعاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وعامة ما يوجد في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة، بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظ الكلام والقول، وهذا كلام فلان، أو كلام فلان؛ فإنه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً لشمولها لهما، ليس حقيقته في اللفظ كما يقوم قوم، ولا في المعنى فقط كما يقول قوم، ولا مشترك بينهما كما يقوله قوم، ولا مشترك في كلام الآدميين وحقيقته في المعنى في كلام الله كما يقوله قوم"[٤].

المبحث الثاني

تعريف الحرف:

أولاً: تعريفه في اللغة:

الحرف في اللغة: أصل الحرف في اللغة هو الطرف والجانب[٥]، قال الأزهري: حرف كل شيء ناحيته، كحرف الجبل والنهر والسيف وغيره[٦].

قال الجوهري: حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدد[٧].

وقال اليزيدي: والحرف حرف البئر وحرف الرغيف، وحرف كل شيء جانبه، والحرف الشك، كما في قوله: على حرف، أي: على شك[٨].

ثانياً: تعريفه في الاصطلاح:

*** يُطلق الحرف في الاصطلاح على ثلاثة معانٍ:**

المعنى الأول: يُطلق الحرف في اصطلاح أهل اللغة على ما يتناول الأسماء والحروف والأفعال، ومنه ما يوجد في كلام المتقدمين يقولون: "هذا حرف من الغريب"، يعبرون بذلك عن الاسم التام.

المعنى الثاني: ويُطلق الحرف في اصطلاح النحاة على حروف المعاني التي هي قسيمة الأسماء والأفعال مثل حروف الجر والجزم وغيرها، قال سيبويه: "الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل".

المعنى الثالث: يُطلق الحرف على أحد حروف الهجاء، ويُطلق لفظ (الحرف) على اسم الحرف والحرف نفسه، ولهذا لما سأل الخليل أصحابه: كيف تنطقون بالزاي من (زيد)؟ فقالوا: زاي. فقال: نطقتم بالاسم، وإنما الحرف (ز)، فبين الخليل أن هذه التي تسمى حروف الهجاء هي أسماء، كما يطلق الحرف في اصطلاحات النحاة على أحد حروف الهجاء[٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلفظ الحرف يُراد به هذا وهذا، ثم إذا كتب الكلام في المصحف سموا ذلك حروفاً، فيراد بالحرف الشكل المخصوص، ولكل أمة شكل مخصوص هي خطوطهم التي يكتبون بها كلامهم، ويُراد به المادة، ويُراد به مجموعهما، وهذه الحروف المكتوبة تطابق الحروف المنطوقة وتبينها وتدل عليها فسميت بأسمائها"[١٠].

*** العلاقة بين المعنى اللغوي ومعاني الاصطلاح للحرف:**

---

(٢) "مقاييس اللغة" (١٣١/٥).

(٣) ذكر هذه الأقوال شارح الطحاوية نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية، والعقيدة السلفية (ص ٣٩)، والرد على من أنكر الحرف والصوت (١١٧-١١٨).

(٤) "مجموع الفتاوى" (٤٥٧/١٢، ٤٥٦).

(٥) "لسان العرب" (٤١/٩)، وانظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ٧٨٨).

(٦) "تهذيب اللغة" (٧٨٨/١).

(٧) "لسان العرب" (٤٢/٩).

(٨) انظر: "الرد على من أنكر الحرف والصوت" للسجزي (٢٢٧).

(٩) انظر: "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٧/١٢-١١٠)، و"العقيدة السلفية" (ص ١٤٥).

(١٠) "مجموع الفتاوى" (٢١١/١٢).

بتأمل المعنى اللغوي للحرف والمعاني الاصطلاحية نجد أن ثمة علاقة بين المعنى اللغوي والمعاني الاصطلاحية، فلما كان الحرف في اللغة هو طرف الشيء، وكانت هذه الحروف سواء قلنا إنها هي الأسماء على ما هو في الاصطلاح الأول، أو قلنا إنها هي حروف المعاني كما هو في الاصطلاح الثاني، أو أنها هي حروف الهجاء كما هو في الاصطلاح الثالث، فإنها تقع في أطراف الكلام[11].

قال شيخ الإسلام: "فسميت حروف الكلام حروفاً لأنها طرف الكلام وحده ومنتهاه، إذ كان مبدأ الكلام من نفس المتكلم ومنتهى حده وحرفه القائم بشفتيه ولسانه[12].

المبحث الثالث

تعريف الصوت

أولاً: تعريفه في اللغة:

قال ابن فارس: الصاد والواو والتاء أصل صحيح وهو الصوت، وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع، يقال: هذا صوت زيد، ورجل صيّت إذا كان شديد الصوت[13].

تعريفه الاصطلاحي:

والصوت إذا أُطلق في كلام السلف في قولهم: إن الله يتكلم بصوت إنما يعنون به صوت الله عز وجل الذي هو صفة له، وأما إذا أُطلق الصوت مضافاً للمخلوق سواء عند قراءته القرآن أو عند كلامه الذي هو من نظمه فالصوت هنا مخلوق، ولذا قال بعض السلف: الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري.

المبحث الرابع

الحرف والصوت في كلام الله وكلام المخلوقين

أولاً: حقيقة الحروف وهل هي مخلوقة أم لا؟

*** وهذا فيه تفصيل على النحو الآتي:**

أ- حقيقة حروف المعجم وهل هي مخلوقة أم لا؟

أما حروف المعجم المجردة من حيث هي فإن الناس قد تنازعوا فيها: هل هي مخلوقة أو غير مخلوقة؟ وليس في تحقيق ذلك كبير فائدة، وليس فيه نص عن معصوم يُصار إليه، وإنما يجب الكف عن إطلاق ذلك القول بالخلق لئلا يتوهم متوهم أن الحروف التي تكلم الله بها مخلوقة، وقد ذكر شيخ الإسلام في غير موضع: أن الإمام أحمد أنكر الإطلاق لأنه مسلكٌ إلى البدعة وإلى القول بأن القرآن مخلوق[14] كما يمنع من إطلاق القول بأن الحروف المخلوقة يمنع أيضاً إطلاق القول بأن الحروف غير مخلوقة؛ لئلا يتوهم متوهم أن الحروف التي هي مباني كلام الناس غير مخلوقة، والذي يجر إلى القول بأن ما يتكلم به العباد من كلام أنفسهم هو نفسه كلام الله.

ب- الحروف في كلام الله أو في كلام الناس:

فإن الحروف في كلام الله ليست مخلوقة، وفي كلام المخلوقين مخلوقة، وحروف القرآن غير مخلوقة.

فإن قيل: كيف الحرف الواحد مخلوق وغير مخلوق؟

قيل: ليس بواحد بالعين وإن كان واحداً بالنوع، كما أن الكلام ينقسم إلى مخلوق وغير مخلوق فهو واحد بالنوع لا بالعين.

وتحقيق ذلك: أن الشيء له أربع مراتب: مرتبة في الأعيان، ومرتبة في الأذهان، ومرتبة في اللسان، ومرتبة في الخط.

فالمرتبة الأولى: وجوده العيني، والثانية: وجوده الذهني، والثالثة: وجوده اللفظي، والرابعة: وجوده الرسمي[15].

ثانياً: في حقيقة الصوت:

الصوت هو بحسب من يُضاف إليه: فإذا تكلم الله عز وجل بكلامه الذي يسمعه عباده فالصوت هنا صوت الله عز وجل، كما قال تعالى: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣)} [طه: ١٣] وموسى إنما استمع لصوت الله عز وجل لا غيره، وأما الصوت الذي يُضاف إلى المخلوقين عندما يتكلمون بكلامهم ويسمعونه غيرهم فالكلام كلامهم والأصوات أصواتهم.

وأما عندما يقرا القراء القرآن بأصواتهم فالكلام لله تعالى، كما قال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦]، فدلت الآية على أن قراءة القارئ للقرآن لا تخرجه عن كونه من كلام الله، وأما صوت القارئ عند قراءة القرآن فهذا صوت العبد، وهو مخلوق لله عز وجل كسائر أعمال المخلوقين.

الفصل الثاني

الأدلة على أن الله تعالى يتكلم بحرف

*** وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: الأدلة من القرآن.

المبحث الثاني: الأدلة من السنة.

المبحث الثالث: الأدلة من الإجماع.

المبحث الأول الأدلة من القرآن

١- قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم: ٤]

قال ابن كثير في تفسير الآية: "يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون، كما روى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يبعث الله

(١١) انظر: "الرد على من أنكر الحرف والصوت" (٢٢٧).
(١٢) "مجموع الفتاوى" (١٢،٢١١).
(١٣) "معجم مقاييس اللغة" (٣١٨-٣١٩)، و"العقيدة السلفية" (١٤٥).
(١٤) "مجموع الفتاوى" (١٢، ٤١، ٨٤، ٨٥، ٤٢٤).
(١٥) "الصواعق المرسلة" (٥٢٥)، و"مجموع الرسائل الكبرى" (٤٩٩، ٤٠٥، ٤٤٦)، و"العقيدة السلفية" (ص ١٤٣).

عز وجل نبيًّا إلا بلغة قومه» [١٦]. "تفسير ابن كثير" (٧٨١).".

واللغة تتألف من الحروف فدل على أن الله تعالى يتكلم بحرف.

٢. قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)} [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٦]

قال ابن كثير في تفسير الآية: "أي: أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بيناً واضحاً"[١٧]

ولا يمكن أن يكون بيناً واضحاً فصيحاً إلا أن يكون بالحروف المعلومة لديهم من لغتهم.

المبحث الثاني

الأدلة من السنة:

١- حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: «**هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يُفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملَكٌ فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته**» [١٨].

٢- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**تعلموا القرآن، فإنه يكتب بكل حرف منه عشر حسنات، ويُكفر به عشر سيئات، أما إني لا أقول (ألم) ولكن أقول: ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر**» [١٩].

المبحث الثالث

الأدلة من الإجماع:

لا يزال الناس متفقون على أن كلام كل متكلم لا يكون إلا بحرف، إذ لا يتصور خلو الكلام عن ألفاظ تعبر عن المعاني للكلام، وقد نقل الإمام السجزي إجماع الخلائق على ذلك فقال رحمه الله: "اعلموا – أرشدنا الله وإياكم – أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كُلاب [٢٠]، والقلانسي [٢١]، والصالحي، والأشعري [٢٢]، وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة [٢٣] وهم معهم، بل أخس حالاً منهم في الباطن في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق وإن اختلف به اللغات.

وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذين تكلموا في العقليات [٢٤] وقالوا: الكلام حروف متسقة، وأصوات مقطعة.

وقالت العرب [٢٥] الكلام: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فالاسم مثل: زيد، وحامد، والفعل مثل: جاء، وذهب، وقام، وقعد، والحرف الذي يجيء لمعنى مثل: هل، وبل، وما شاكل ذلك.

فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً، فلما نبغ ابن كُلاب وأضرابه وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل، وهم لا يخبرون أصول السنة، ولا ما كان السلف عليه، ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك زعماً منهم أنها أخبار آحاد، وهي لا توجب علماً، وألزمتهم المعتزلة أن الاتفاق حاصل على أن الكلام حرف وصوت، ويدخله التعاقب والتأليف، وذلك لا يوجد في الشاهد إلا بحركة وسكون، ولابد له من أن يكون ذا أجزاء وأبعاض، وما كان بهذه المثابة لا يجوز أن يكون من صفات ذات الله؛ أن ذات الله سبحانه لا توصف بالاجتماع والافتراق، والكل والبعض، والحركة والسكون، وحكم الصفة الذاتية حكم الذات [٢٦].

الفصل الثالث

الأدلة على أن الله تعالى يتكلم بصوت

*** وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: الأدلة من القرآن.

المبحث الثاني: الأدلة من السنة.

المبحث الثالث: الأدلة من الإجماع.

---

(١٦) "سنن ابن ماجه" (١٣٥٩/٢).

(١٧) "تفسير ابن كثير" (٧٨١).

(١٨) رواه مسلم (٨٠٦).

(١٩) أخرجه ابن أبي شيبة موقوفاً على ابن مسعود، وسنده صحيح، وروي من غير هذا الوجه مرفوعاً وموقوفاً، والصواب وقفه مع أن له حكم كما لا يخفى.

(٢٠) اسمه: عبد الله بن سعيد، ويقال: ابن محمد، أبو محمد بن كلاب القطان، وكلاب مثل خطاف وزناً ومعنى، لقب به لأنه كان لقوته في المناظرة يجتذب من يناظره. توفي بعد الأربعين ومائتين، وإليه تُنسب الطائفة الكُلابية. انظر: ترجمته لابن النديم، الفهرست (٢٥٥).

(٢١) هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي، من معاصري أبي الحسن الأشعري، توفي سنة (٣٥٥).

(٢٢) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠-٣٢٤) كان معتزليًّا ثم رجع عن ذلك وتاب، وألف في الرد على المعتزلة كتاب الإبانة، وغيره. انظر: "السبكي في طبقات الشافعية" (٢٤٥/٢).

(٢٣) المعتزلة بضم الميم وسكون العين وفتح التاء: نسبة إلى الاعتزال وهو الاجتناب، وسبب تسميتهم بذلك: أن شيخهم ومقدمهم واصل بن عطاء الغزال (٨٠-١٣١) كان هو وعمرو بن عبيد (١٤٢هـ) من تلامذة الحسن البصري، فلما أحدثا مذهباً وهو أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر، وأنه في منزلة بين المنزلتين؛ اعتزلا حلقة الحسن البصري، فسموا معتزلة لذلك، ومن مقالاتهم: نفي صفات الله، والقول بأن كلام الله مخلوق، وغير ذلك.

(٢٤) كالمعتزلة والفلاسفة. انظر مثلاً: "شرح الأصول الخمسة" (٥٢٨)، و"نهاية الإقدام" (ص ٣١٨).

(٢٥) أي: علماء العربية، إذ هم الذين قسموا الكلام هذا التقسيم، أما العرب الأوائل فلم يتكلموا في حد الكلام ما هو، ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله عند نقله لعبارة السجزي المذكورة: "قالت – أي: علماء العربية –". انظر: "درء تعارض العقل والنقل" (٨٤/٢).

(٢٦) الرد على من أنكر الحرف والصوت (١١٥-١١٦).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المبحث الأول

الأدلة من القرآن:

١. قال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣)} [طه: ١٣، ١٤]

قال السجزي: "وكان يكلمه من وراء حجاب لا ترجمان بينهما، واستماع البشر في الحقيقة لا يقع إلا بصوت"[٢٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وربنا خاطبنا باللسان العربي الذي نفهمه وليس فيه سماع يحصل من غير صوت"[٢٨].

{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢)} [مريم: ٥٢] وقوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)} [النازعات: ١٥، ١٦] وقال تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥)} [القصص: ٦٥]

وقد ذكر ابن القيم: أن الله ذكر النداء في تسعة مواضع في القرآن أخبر فيها عن ندائه بنفسه"[٢٩].

قال السجزي: "والنداء عند العرب صوت لا غير، ولم يرد عن الله تعالى ولا عن رسوله عليه السلام أنه من الله غير صوت[٣٠].

وقال الجوهري: "النداء: الصوت.. وناداه مناداةً أي: صاح به".

وفي اللسان: "النداء مدود: الدعاء بأرفع الصوت".

وقال شيخ الإسلام: "النداء في لغة العرب: هو صوت رفيع لا يطلق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقة ولا مجاز"[٣١].

فإذا علم هذا ثبت أن الله تعالى نادى موسى بصوت، وينادي عباده يوم القيامة بصوت.

المبحث الثاني

الأدلة من السنة:

١. حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك ربنا وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. قال: يا رب، وما بَعْثُ النار؟ قال: من كل ألف – أراه قال – تسعمائة وتسعة وتسعين**»[٣٢].

٢. حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الله العباد – أو الناس – عُراة غُرْلاً بُهْماً، قلنا: ما بُهْمًا؟ قال: ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد – أحسبه قال: كما يسمعه من قَرُب -: أنا الملك، أنا الديَّان**»[٣٣].

قال البخاري في "خلق أفعال العباد": "وإن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب، فليس هذا لغير الله جل ذكره، وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله جل ذكره يُسمع من بُعْد كما يسمع من قُرب".

٣. حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير**»[٣٤].

وفي لفظ أخرجه الطبري: «إن الله إذا قضى أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها جميعاً ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفا الصفوان، فذلك قوله: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣)} [سبأ:٢٣]»[٣٥].

المبحث الثالث

الأدلة من الإجماع:

لا يتصور في الكلام عند العقلاء أن يخلو من صوت، وقد نص العلماء على ذلك، فقال الإمام السجزي معلقاً على قوله: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥)} [القصص: ٦٥]: "والنداء عند العرب صوت لا غير، ولم يرد عن الله تعالى ولا عن رسوله عليه السلام أنه من الله غير صوت"[٣٦].

وقال شيخ الإسلام: "النداء في لغة العرب: هو صوت رفيع لا يطلق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقة ولا مجاز"[٣٧].

فبيَّنا رحمهما الله أن النداء لا يكون إلا بصوت، والنداء نوع من الكلام، فدل على أن الكلام لا يكون إلا بصوت، وقد سبق في مبحث الاستدلال على أن الكلام يتألف من حرف نقل الإمام السجزي إجماع الخلق على أن الكلام يتألف من حرف وصوت، ولم يخالف في ذلك أحد حتى نبغ ابن كُلَّاب والأشعري وأضرابهما وخالفوا الإجماع بدعوى أن الكلام معنى قائم في النفس، وأن الحرف والصوت لا يدخلان في حقيقته.

(٢٧) "الرد على من أنكر الحرف والصوت" (ص ١٦١)، و"العقيدة السلفية" (ص ١٤٣).
(٢٨) "درء تعارض العقل والنقل" (٩٣/٢).
(٢٩) مختصر الصواعق" (ص ٢٠٥).
(٣٠) "الرد على من أنكر الحرف والصوت" (ص ١٦٦).
(٣١) "مجموع الفتاوى" (٥٣١/٦).
(٣٢) البخاري مع الفتح (٤٤١/٨).
(٣٣) حديث حسن أخرجه أحمد، والبخاري في "الأدب المفرد" (٩٧٠)، وحسنه الألباني في "صحيح الأدب" (ص ٣٧١).
(٣٤) أخرجه البخاري (٣٨٠/٨).
(٣٥) "الرد على من أنكر الحرف والصوت" السجزي (٨٠، ٨٢، ١٦١، ١٦٦)، "مختصر الصواعق" (ص ٥٠٢، ٥٠٩، ٥٢٥، ٥٤٢).
(٣٦) "الرد على من أنكر الحرف والصوت" (ص ١٦٦).
(٣٧) "مجموع الفتاوى" (٥٣١/٦).

الفصل الرابع

منكرو الحرف والصوت والرد عليهم

*** وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: الخلاف في مسألة الحرف والصوت

*** وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: المخالفون في ذلك.

المطلب الثاني: أصل الشبهة.

المبحث الثاني: أدلة المخالفين في مسألة الحرف والصوت.

*** وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: أدلتهم من الكتاب.

المطلب الثاني: أدلتهم من السنة.

المطلب الثالث: أدلتهم من كلام العرب.

المبحث الثالث: الرد على أدلتهم

*** وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: من القرآن.

المطلب الثاني: من السنة.

المطلب الثالث: من كلام العرب.

المبحث الأول: الخلاف في مسألة الحرف والصوت

*** وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: المخالفون في ذلك:

لم يخالف في هذه المسألة أحد من الناس حتى نشأ ابن كُلَّاب والقلانسي والصالحي فأظهروا القول بأن الكلام هو معنى قائم بالنفس، وأن الحرف والصوت لا يدخلان في معنى الكلام على ما نقل ذلك الإمام السجزي في كتابه الرد على من أنكر الحرف والصوت.

فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً، فلما نبغ ابن كُلَّاب وأضرابه وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل، وهم لا يخبرون أصول السنة، ولا ما كان السلف عليه، ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك زعماً منهم أنها أخبار آحاد، وهي لا توجب علماً، وألزمتهم المعتزلة أن الاتفاق حاصل على أن الكلام حرف وصوت، ويدخله التعاقب والتأليف، وذلك لا يوجد في الشاهد إلا بحركة وسكون، ولابد له من أن يكون ذا أجزاء وأبعاض، وما كان بهذه المثابة لا يجوز أن يكون من صفات ذات الله؛ أن ذات الله سبحانه لا توصف بالاجتماع والافتراق، والكل والبعض، والحركة والسكون، وحكم الصفة الذاتية حكم الذات[٣٨].

قالوا: فعلم بهذه الجملة أن الكلام المضاف إلى الله سبحانه خلق له أحدثه وأضافه إلى نفسه كما تقول: عبد الله وخلق الله وفعل الله، فضاق بابن كُلَّاب وأضرابه النفس عند هذا الإلزام لقلة معرفتهم بالسنة وتركهم قبولها وتسليمهم العنان إلى مجرد العقل، فالتزموا ما قالته المعتزلة، وركبوا مكابرة العيان، وخرقوا الإجماع المنعقد بين الكافة المسلم والكافر، وقالوا للمعتزلة: الذي ذكرتموه ليس بحقيقة الكلام، وإنما يسمى ذلك كلاماً على المجاز لكونه حكاية وعبارة عنه، وحقيقة الكلام معنى قائم بذات المتكلم، وكان ابن كُلَّاب ومن وافقه كالقلانسي الصالحي والأشعري هم أول من أحدث القول بأن الكلام معنى نفسي، ولا يدخل في معناه الحرف والصوت[٣٩].

المطلب الثاني: أصل الشبهة:

إن أصل هذه الشبهة التي بنى عليها هؤلاء المخالفون شبهتهم تتأصل في تلبيسهم على العوام وتمويههم على المبتدئين هو أن الحرف والصوت لا يجوز أن يوجدا إلا عن آلة وانخراق، مثل: الشفتين والحنك، وأن لكل حرف مخرجاً معلوماً، وأن الله سبحانه ليس بذي أدوات بالاتفاق، فمن أثبت الحرف والصوت في كلامه فقد جعله جسماً ذا أدوات، وهو كفر، قال الله سبحانه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)} [الشورى: ١١]، فيجب أن لا يكون ككلامه كلام. ونفوس ذوي النقص مسرعة إلى قبول هذا التمويه، يظنون أن في ذلك تنزيهاً لله سبحانه، والأمر بخلاف ذلك.

وزاد علي بن إسماعيل الأشعري في التمويه فقال: "قد أجمعنا على أن لله سبحانه سمعاً وبصراً وكلاماً ووجهاً، واتفقنا على أن سمعه بلا انخراق، وبصره بلا انفتاح، ووجهه بلا تنضيد، فوجب أن يكون كلامه بلا حرف ولا صوت"[٤٠].

وقالوا جميعاً: إن أحداً من السلف لم يقل إن كلام الله حرف وصوت، فالقائل بذلك محدث، والإحداث في الدين مردود، والأشعري خاصة أضرب قوله في هذا الفصل فقال في بعض كتبه: "كلام الله ليس بحرف ولا صوت، كما أن وجهه ليس بتنضيد، وكلام كل متكلم سواه حرف وصوت".

وقال في غير ذلك من كتبه: "الكلام معنى قائم بنفس المتكلم كائناً من كان ليس بحرف ولا صوت"[٤١].

المبحث الثاني أدلة المخالفين في مسألة الحرف والصوت وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أدلتهم من الكتاب:

١. استدلالهم بقوله تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)} [المنافقون: ١، ٢]

---

(٣٨) الرد على من أنكر الحرف والصوت (١١٥-١١٦)، و"مجموع الرسائل الكبرى" (ص ٤٩٨).

(٣٩) انظر: "الرد على من أنكر الحرف والصوت" (١١٥-١١٦).

(٤٠) هذا الكلام ليس في كتب الأشعري التي وصلت إلينا، ولعله في بعض كتبه التي ألفها قبل رجوعه إلى مذهب السلف، والله أعلم.

(٤١) "الرد على من أنكر الحرف والصوت" السجزي (١٢٢)، و"مجموع الرسائل الكبرى" (ص ٤٩٩).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

قالوا: فالله لم يكذب المنافقين في ألفاظهم، وإنما كذبهم بما في ضمائرهم، فدل على أنه حقيقة الكلام.

٢. استدلالهم بقوله تعالى: {وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨)} [المجادلة: ٨، ٩]

قالوا: القول بالنفس قائم وإن لم ينطق به اللسان، والقول هو الكلام.

٣. استدلالهم بقوله: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)} [النحل: ١٠٦، ١٠٧]

قالوا: أسقط حكم الكفر عن المكره على كلمة الكفر، وجعل الحكم لصدق الكلام القائم بالقلب، فهذه الآية وما في معناها دالة على أن حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس.

٤. استدلالهم بقوله تعالى: {قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١)} [آل عمران: ٤١]

قالوا: أطلق اسم الكلام على غير الألفاظ[٤٢].

المطلب الثاني: أدلتهم من السنة

١. استدلالهم بقوله ﷺ من حديث أبي برزة الأسلمي: «**يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه؛ لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عورتهم**»[٤٣].

فأخبر أن الكلام الحقيقي هو الذي في القلب دون نطق اللسان، وأن الحكم للكلام الذي في القلب على الحقيقة، وأن قول اللسان مجاز قد يوافق القلب وقد يخالفه.

٢. استدلالهم بقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**»[٤٤].

قالوا: فأثبت الذكر للنفس، فالذكر والقول كلام واحد، فعلم أن حقيقة الكلام: المعنى القائم في النفس[٤٥].

المطلب الثالث: أدلتهم من كلام العرب

*** زعموا أن اللغة دلت على صحة معتقدهم، وذكروا في ذلك:**

١. قول العربي: (كان في نفسي كلام) و(كان في نفسي قول) و(كان في نفسي حديث).

٢. قال عمر رضي الله عنه: «زوَّرت في نفسي كلاماً فأتى أبو بكر فزاد عليه»، فسمى عمر ما في نفسه كلاماً.

٣. قال الأخطل:

لا يعجبنك من أثير خطبة ... حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جُعل اللسان على الفؤاد دليلا[٤٦]

المبحث الثالث

الرد على أدلتهم

*** وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: من القرآن:

١. الرد على دليلهم الأول الذي استدلوا به من القرآن فيما جاء في سورة المنافقون وهو: أن الله لم يكذب المنافقين في ألفاظهم، وإنما كذبهم بما في ضمائرهم.

نقول لهم: أقررتم بأنه تعالى لم يكذبهم في ألفاظهم وقد سماه قولاً فقال: {قالوا نشهد} والذي كذبهم الله تعالى فيه هي الدعوى المجردة التي لم يصاحبها إيمان القلب واستقرار معنى ما قالوه في قلوبهم، وذلك لأن الألفاظ المجردة غير كافية في ثبوت الإيمان، وليس الخلاف بيننا في كون ما نطقوا به صدقاً أو كذباً، وإنما في ماهية الكلام وحقيقته، ونظير هذه الآية قوله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه».

٢. الرد عليهم في استدلالهم الثاني بآية المجادلة وقولهم: إن القول بالنفس قائم وإن لم ينطق به اللسان، والقول هو الكلام.

*** الجواب عليهم من وجهين:**

الأول: يحتمل أنهم قالوه بألسنتهم سِرًّا يحدث بعضهم بعضاً بذلك، وهو قول بعض المفسرين.

الثاني: أن لفظ القول ورد في الآية مرتين: مرة مقيداً بالنفس، والثانية مطلقاً، ولا ريب أن المطلق هو تناجيهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتحيتهم له بغير ما حياه الله به، كما قال تعالى مخبراً عنهم أول هذه الآية: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) } [المجادلة: ٨، ٩]

وكل ذلك أقوال هي ألفاظ ومعاني فأطلقه للعلم به، وقيد الأول بالنفس ليكون خاصًّا بالمعنى دون اللفظ، هذا على تسليم كونه حديث نفس[٤٧].

١. الرد على استدلالهم بالآية من سورة النحل وقولهم أسقط حكم الكفر عن المكره على كلمة الكفر، وجعل الحكم لصدق الكلام القائم بالقلب، وأنها تدل على أن حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس.

يقال لهم: إن الله تعالى لم يسمِّ ما في القلب من كلام، وإنما قال: {ﯢ ﯣ ﯤ} [النحل:١٠٦] لأنه موضوعه ومحله في الأصل، وتسمية ما في القلب من الإيمان كلاماً راجع إلى

(٤٢) "العقيدة السلفية" الجديع (ص ٣١٣-٣٢٥)، و"شرح الطحاوية".
(٤٣) أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد حسن.
(٤٤) متفق عليه.
(٤٥) "العقيدة السلفية" الجديع (ص ٣١٣-٣٢٥)، و"شرح الطحاوية".
(٤٦) "العقيدة السلفية" الجديع (ص ٣١٣-٣٢٥)، و"شرح الطحاوية".
(٤٧) "العقيدة السلفية" الجديع (٣٣١)، "شرح الطحاوية".

أصلهم في الإيمان بأنه التصديق القلبي، إذ هم مرجئة جهمية.

والإيمان عند أهل السنة تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، حقيقة في هذا جميعاً، فرفع الله الحرج عن المكره رفعاً مؤقتاً تيسيراً عليه وتخفيفاً لا على أن الإيمان على الحقيقة هو تصديق القلب فقط، فإنه لو كان كذلك لما كان فرق بين حال الإكراه وعدمه ففيم الرخصة؟! وعلى تسليم كون إيمان المكره كلاماً فإنه مقيد بذكر القلب.

٢. الرد على استدلالهم بالآية من سورة مريم، وقولهم إن إطلاق اسم الكلام هنا أتى على غير الألفاظ.

*** فجوابنا عليهم من وجهين:**

الأول: بأن الله تعالى قال في سورة مريم: {قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠)} [مريم: ١٠]

والقصة واحدة، فاستثنى في الموضع الأول ولم يستثنِ في الثاني، فدل على أنه استثناء منقطع لا متصل، فيكون المعنى: آيتك ألا تكلم الناس، لكن ترمز لهم رمزاً وهو قوله: (فأوحى إليهم) هو الإيحاء بالرمز.

الثاني: إن لم يصح كونه استثناءً منقطعاً كان كلامه مقيداً بالرمز فلا إشكال[٤٨].

المطلب الثاني: من السنة:

١. الرد على استدلالهم بحديث أبي برزة الأسلمي الذي تقدم، فاستدلوا منه بأن النبي ﷺ أخبر أن الكلام الحقيقي هو الذي في القلب دون نطق اللسان، وأن الحكم للكلام الذي في القلب على الحقيقة، وان قول اللسان مجاز قد يوافق القلب وقد يخالفه.

والجواب عليهم: أنه لم يرد في الحديث ذكر للكلام، وإنما ورد بيان حقيقة الإيمان الذي يمدح به ويعصم الرجل من الذنوب، فبين ﷺ أن من لم يترك الغيبة أنه لم يدخل الإيمان الكامل قلبه، ومن كان كذلك كان مؤمناً بلسانه غير كامل الإيمان.

٢. الرد على استدلالهم بالحديث القدسي وقولهم أن الله تعالى أثبت الذكر للنفس، فالذكر والقول كلام واحد، فعُلم أن حقيقة الكلام: المعنى القائم في النفس.

*** والجواب عليهم من وجهين:**

الأول: أن الذكر في النفس هنا هو ذكر اللسان سِرًّا، ألا تراه قال في تتمة الحديث: «وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»، فهما منزلتان.

الثاني: لو سلمنا أن الذكر هنا هو حديث النفس فلا نزاع؛ لأنه يصح إطلاق الكلام على المعنى النفسي عند التقييد[٤٩].

المطلب الثالث: من كلام العرب:

*** الرد على استدلالهم من اللغة:**

أولاً: الرد على شبههم اللغوية:

ينبغي قبل الرد تحرير موطن النزاع بين أهل السنة والأشاعرة والكُلَّابية، وهو الاختلاف في الكلام عند الإطلاق ما حقيقته؟

أما الكلام المقيد فلا نزاع أنه قد يسمى حديث النفس كلاماً وقولاً، لكن بقرينة تبين ذلك، فأهل السنة لا يخالفون في ذلك، وإنما الخلاف هل يسمى الكلام عند الإطلاق بحديث النفس أو أنه معنى قائم بالنفس بدون قرينة؟ هذا ما يمنعه أهل السنة ويدَّعيه كُلٌّ من الكلابية والأشاعرة.

فاستدلالهم بقول العربي: (كان في نفسي كلام) ونحو ذلك فإننا لا نخالف في صحته، لكن ليس على مرادكم، وإنما على مرادنا من كون لفظ (الكلام) إذا جاء مقيداً كان التقييد قرينة دالة على إخراجه من إطلاقه، فلما قيده العربي هنا بالنفس أخرجه من مطلق الكلام.

*** وأما قول عمر رضي الله عنه فجوابنا على فهمكم له من وجهين:**

الأول: إن (التزوير) كما يقول الأصمعي: (إصلاح الكلام وتهيئته) فمعناه إذا أنه قدر في نفسه كلاماً وهيأه لم يتكلم به بعد فليس كلاماً حتى يتكلم به.

ومثاله: من قدر في نفسه أن يعمل عملاً كأن يصلي مثلاً ثم لم يفعل فهل يقال: إنه صلى في نفسه؟ مع أن للقلب عملاً كما أن للجوارح عملاً.

والثاني: لو صح ما قالوه لكان موافقاً لمذهبنا لا لمذهبهم، فإنهم يعدون مطلق الكلام كلام النفس، ونحن عندنا مطلق الكلام هو اللفظ والمعنى جميعاً، وقد يراد أحدهما بقرينة وهي موجودة في قول عمر إلا وهي التقييد بالنفس، فكيف حملتم الكلام المقيد على الكلام المطلق.

*** وأما شعر الأخطل فالجواب عنه من وجوه:**

١- أنكر بعض العلماء كونه من شعره وذلك أنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه فيها.

قال أبو محمد الخشاب – نحوي العراق -: فتشت شعر الأخطل المدوَّن كثيراً، فما وجدت هذا البيت.

٢- أنه لم يثبت نقله عن قائله بإسناد لا صحيح ولا ضعيف.

٣- لم يتلقه أهل العربية بالقبول.

٤- أورده بعضهم بلفظ: إن البيان لفي الفؤاد ...

وهذا يفسد المعنى الذي أرادوا كما لا يخفى.

٥- الأخطل شاعر مولد لا يحتج بشعره في اللغة، وهذا معلوم عند أهل التحقيق.

٦- أنه نصراني مثلِّث كافر، وقد ضلت النصارى في معنى

(٤٨) ذكر نحو هذا شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٤٩) "مجموع الفتاوى" (٦/٢٩٥، ٢٩٦)، و"شرح الطحاوية" (ص ١٩٩-٢٠١)، و"العقيدة السلفية في كلام رب البرية" للجديع (ص ٣٢٥-٣٤٢).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

كلام الله تعالى ومسماه فجعلوا المسيح نفس الكلمة.

٧- أكثر من يحتج من أهل البدع بهذا الشعر يخفي البيت الأول، لأنه عند التحقيق حجة عليهم، فالشاعر عندما ذكر الكلام في البيت الأول ذكره مطلقاً ليشمل اللفظ.

والمعنى: إذ الذي يسمع من الخطيب ألفاظه فأبان الشاعر عن حقيقة الكلام المؤثر بأنه ما اشتمل على المعاني التي موضوعها القلب لا مجرد الألفاظ التي تسمع من المتكلم، ولم يرد تعريف الكلام ووضع حد له بكونه المعاني المجردة.

٨- مسمى الكلام والقول مما لا يحتاج تفسيره إلى قول شاعر، بل ولا ألف شاعر، فإنه مما علم ضرورة من لغة العرب وهو مما تكلم به الألوان والآخرون من أهل اللسان[٥٠]

٩- يلزمهم من قولهم هذا أن الأخرس متكلماً لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به.

١٠- من لطيف ما يرد به عليهم أن الخطل في اللغة هو الخطأ في الكلام، وقد أنشد فيهم المنشد:

قبحاً لمن نبذ القرآن وراءه   وإذا استدل يقول قال الأخطل

النتائج والتوصيات:

بعد أن منَّ الله عز وجل عليَّ بإنهاء هذا البحث تبين لي من خلال الدراسة عدة نتائج أجملها في هذه النقاط:

١. أن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت على ما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

٢. أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي إثبات الحرف والصوت من كلام الله عز وجل على ما يليق بجلاله.

٣. أن عقيدة الأشاعرة والكُلابية: إنكار أن الله يتكلم بحرف وصوت.

٤. الاختلاف بين الكُلابية والأشاعرة في عقيدتهم في القرآن فزعم الكلابية أن القرآن حكاية عن كلام الله، وزعم الأشاعرة أن القرآن عبارة عن كلام الله.

٥. أن أصل مقالة الكلابية والأشاعرة بالحرف والصوت بسبب مناظرتهم للمعتزلة الذين لبسوا عليهم فيها.

٦. أن الأشعري وأضرابه هم أول من خرق الإجماع في أن الكلام من حيث الإطلاق يتألف من لفظ ومعنى، فزعموا أن الكلام حقيقة في المعنى وليس اللفظ من الكلام.

٧. أن الكلابية والأشاعرة ما استطاعوا أن يستدلوا لعقيدتهم في الكلام وإنكار الحرف والصوت بدليل صحيح لا من جهة اللغة ولا من جهة الشرع حيث تبين بطلان استدلالهم لما اعتقدوه بما حرره الأئمة المحققون في الرد عليهم على ما تقدم نقله.

٨. دقة الكلام في مسألة الحرف والصوت مما يتطلب على الباحثين وطلاب العلم دراستها على يد أهل العلم أو الرجوع إلى كتبهم المحررة في هذه المسألة.

٩. أن تناول هذا المباحث ودراستها وفهمها مما يزيد الإيمان بالله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وإثباتها له تعالى.

١٠. استشعار عظمة الله تعالى وجلال قدرته.

١١. أهمية دراسة هذا الباب وما يتعلق به من الأسماء والصفات.

قائمة بأهم المصادر والمراجع:

١. أصول الدين.

٢. التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣. تفسير ابن كثير.

٤. تفسير البغوي.

٥. تفسير الطبري.

٦. تهذيب اللغة للأزهري.

٧. التوحيد لابن خزيمة.

٨. خلق أفعال العباد للإمام البخاري.

٩. درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٠. الرد على من أنكر الحرف والصوت للإمام أبي نصر السجزي.

١١. الرد على من يقول (الم) حرف لينفي الألف واللام والميم عن كلام الله عز وجل للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن مندة.

١٢. السنة لعبد الله بن الإمام أحمد.

١٣. العقيدة السلفية في كلام رب البرية/ عبد الله بن يوسف الجديع.

١٤. الفرق بين الفرق.

١٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل.

١٦. كتاب السنة للخلال.

١٧. لسان العرب لابن منظور.

١٨. مجموع الفتاوى (ج٦/ج١٢).

١٩. مختصر الصواعق المرسلة ابن القيم.

٢٠. مقالات الإسلاميين.

٢١. موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود.

٢٢. مقاييس اللغة/ ابن فارس.

٢٣. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

(٥٠) "العقيدة السلفية" للجديع (ص ٣٣١-٣٣٦) و"شرح الطحاوية".

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

الأحاديث الواردة في أحب الأشربة إلى النبي ﷺ (دراسة تحليلية موضوعية).

أ. نجاة بنت عبد الله بن إبراهيم الحربي

ماجستير في الحديث وعلومه – جامعة تبوك - المملكة العربية السعودية.

The Hadiths mentioned in the Most Favorite Drinks to the Prophet (PBUH) - An Objective Analytical Study –

Najat Abdallah Bin Ibrahim Alharbi

Master in Hadith and Sciences - University of Tabuk - Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: Najatalharbi20@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

الحديث - النبي ﷺ - الأشربة.

KEY WORDS:

Hadith - The Prophet (PBUH) - Drinks.

مستخلص البحث:

هذا بحث بعنوان: الأحاديث الواردة في أحب الأشربة إلى النبي ﷺ - دارسة تحليلية موضوعية -، وهدفه بيان أحب الأشربة إلى النبي ﷺ، وبيان صحة هذه الأحاديث من عدمها. وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، واقتضت طبيعته تقسيمه إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. جاءت المقدمة مشتملة على أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه والدراسات السابقة. وتناول المبحث الأول الأحاديث الواردة في حبه ﷺ الحلو البارد من الشراب، حيث اشتمل المبحث على حديث واحد، مع تحديد المدار، وتخريج الحديث، وترجمة رواته، والحكم عليه. أما المبحث الثاني فتناول الأحاديث الواردة في حبه ﷺ للحلواء والعسل، حيث اشتمل المبحث على حديثين، مع تحديد المدار لكل حديث، وتخريجهما، والحكم عليهما، وبيان غريبهما، وما يستفاد منهما. أما المبحث الثالث فتناول دراسة موضوعية لأحب الأشربة إلى النبي ﷺ، وهي الحلو البارد من الشراب، والحلواء، والعسل، وبيان ما فيه من إعجاز علمي. وقد ختم البحث بخاتمة فيها أهم النتائج، ومنها: تنوع مشاربه ﷺ، وعدم اقتصاره على نوع واحد من الأشربة، وأن الأصل في الأشربة الإباحة، إلا ماجاء دليل شرعي على تحريمه.

ABSTRACT:

This is research entitled: The Hadiths mentioned in the Most Favorite Drinks to the Prophet (PBUH) - An Objective Analytical Study, and its goal is to explain the Most Favorite Drinks to the Prophet (PBUH), and to indicate the validity or not of these Hadiths. In this research, the inductive approach was adopted, and its nature required dividing it into an introduction, three sections, and a conclusion. The introduction included the importance of the topic, the problem of research, its objectives, limitations, approach and the previous studies. The first topic dealt with the Hadiths mentioned in His love (PBUH) of sweet and cold drink, as the topic included one Hadith, with determining the topic, the documentation of the Hadith, the biography of narrators, and the judgment on it. As for the second topic, it dealt with the Hadiths mentioned in His love (PBUH) for Halawa and honey, as the topic included two hadiths, with determining the topic of each Hadith, their documentation, their judgment, and defining the strange of them and what is benefited from them. As for the third topic, it dealt with an objective study of the Most Favorite Drinks to the Prophet (PBUH), which is the cold sweet of drink, Halawa, and honey, and an explanation of its scientific miracle. The research sealed with a conclusion in which the most important results, including: the diversity of His drinks (PBUH), not to be limited to one type of drinks, and that the origin in drinks is being permissible, unless there is legitimate evidence to prohibit it.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحابته الغر الميامين ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن السنة النبوية مصدر أساسي من مصادر التشريع الإسلامي، حيث تعتبر المصدر الثاني لها بعد القرآن الكريم، وتأتي شارحةً، وموضحةً، ومبينةً لنا ما في القرآن الكريم، من الأحكام، والعبادات، والحلال، والحرام، وغير ذلك، قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ). (١)

وقد منّ الله ﷺ علينا بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن هذه النعم: نعمتا الطعام والشراب، وبين لنا سبحانه وتعالى الحلال والحرام فيهما، كما أرشدنا رسولنا الكريم ﷺ إلى ما فيه نفع لنا من هذه الأطعمة والأشربة.

أهمية الموضوع:

١. الأحاديث الواردة في أحب الأشربة إلى النبي ﷺ تحتاج إلى عناية وإبراز.

٢. خفاء بعض هذه الأشربة على كثير من الناس.

٣. المساهمة في نشر هديه ﷺ فيما يتعلق بهذا الجانب.

مشكلة البحث:

١. ماهي أحب الأشربة إلى النبي ﷺ؟

٢. هل المرويات الواردة في أحب الأشربة إلى النبي ﷺ صحيحة أم ضعيفة؟

أهداف البحث:

١. بيان أحب الأشربة إلى النبي ﷺ.

٢. بيان صحة هذه الأحاديث من عدمها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في الفهارس العلمية وكشافات الرسائل الجامعية، ومواقع المراكز البحثية، لم أقف على دراسة لها صلة بالبحث سِوى دراسة وحيدة وهي: الأحاديث الواردة في الأشربة جمعاً ودراسة، وهي رسالة ماجستير تقدم بها الباحث سمير بن عبد الرحمن المغامسي لقسم الحديث وعلومه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

وهي رسالة جامعة لما روي عن النبي ﷺ في الأشربة المنهي عنها والأشربة المباحة بشكل عام، وفي أواني الشرب وآدابه، دون تخصيص لما روي أنه ﷺ كان يحبها وهو محل بحثي هذا.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي وفق الآتي:

أولاً: جمعت الأحاديث الواردة في الموضوع من الكتب الستة، ورتبتها في المبحث بحسب ترتيب أصحاب الكتب الستة.

ثانياً: خرَّجت الأحاديث من مصادر السنة التي وقفت عليها ثم حكمت عليها، وفق المنهج الآتي:

أ. رتبت مصادر التخريج حسب المتابعات، التامة فالقاصرة، سواء كان من أصحاب الكتب الستة أو من غيرهم.

ب. إذا كان حديث الباب في الصحيحين، اكتفيت بذلك عن الحكم عليه؛ اكتفاءً بقبول الأمة لأحاديثهما.

تـ. وإذا كان في غير الصحيحين، حكمت عليه بعد دراسة إسناده بما يظهر لي، مع ذكر أقوال العلماء فيه.

ثـ. عند العزو إلى الكتب الستة بدأت بذكر اسم المصدر ثم الكتاب فالباب، فرقم الحديث، ثم رقم الجزء والصفحة.

ثالثاً: ترجمت لرواة الإسناد المثبت الذي اعتمدته أصلاً، إن كان الحديث في غير الصحيحين، مراعيةً ما يأتي:

أ. ذكرت اسم الراوي المترجم له ثلاثياً وكنيته ولقبه – إن وجد – فإن دعت الحاجة إلى الزيادة زدتُ دفعاً لما يقع من اشتباه في الأسماء، مع ضبط الشكل للأسماء المشتبهة.

ب. ذكرت اثنين من شيوخ الراوي، وكذلك من تلاميذه.

ت. ذكرت ثلاثة من أقوال أئمة الجرح والتعديل إذا كان الراوي متفق على توثيقه، وإذا كان مختلف في توثيقه، توسعت في ذكر أقوال أئمة الجرح والتعديل.

رابعاً: ترجمت لرواة المتابعات، إن كان في إسناد الحديث راوٍ ضعيف، أو مجهول.

خامساً: إذا كان الحديث ضعيفاً ويحتاج إلى شواهد فإني عضدته بالشواهد.

سادساً: ضبطت الكلمات التي تحتاج إلى ضبط، وشرحت الكلمات الغريبة من كتب غريب الحديث ومعاجم اللغة، فإن لم أجد فمن كتب شروح الأحاديث.

سابعاً: عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف الشريف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

ثامناً: عزوت أقوال العلماء قدر المستطاع إلى مصادرها الأصلية، فإن لم أجد فالفرعية.

والله أسأل التوفيق والسداد، وأن يجعله حجةً لي لا عليّ، وأن ينفعني به، وينفع به.

المبحث الأول:

حبه ﷺ الحلو البارد من الشراب

نص الحديث:

قال الإمام الترمذي ρ: حدثنا ابن أبي عمر، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن

(١) سورة النحل، آية (٤٤).

عروة بن الزبير، عن عائشة t قالت: كان أحب الشراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد.[1]

أولاً: تحديد المدار:

هذا الحديث مداره على الزهري، وقد اختلف عليه فرواه عنه:

سفيان بن عيينة، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة t موصولاً.

وعبد الله بن المبارك، عن معمر بن راشد، عن الزهري مرسلاً.

ويونس بن عبيد، عن الزهري، عن النبي ﷺ مرسلاً.

وعبد الرزاق بن همام، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن النبي ﷺ مرسلاً.

ثانياً: تخريج الحديث:

أولاً: تخريج الوجه الموصول:

- أخرجه أحمد في «المسند»، (٤٠/١٢٠)، ح (٢٤١٠٠). و(٤٠/١٥٦)، ح (٢٤١٢٩)، كلا الموضعين من طريق سفيان بن عيينة، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، به.
- والحميدي في «مسنده»، (١/٢٨٧)، ح (٢٥٩)، من طريق سفيان بن عيينة قال: ثنا معمر بن راشد، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، به.
- وأبو يعلى في «مسنده»، (٨/١٤)، ح (٤٥١٦)، من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، به.
- والحاكم في «مستدركه»، كتاب الأشربة، (٤/١٣٧)، من طريق أبو العباس محمد بن يعقوب إملاء وقراءة، ثنا أحمد بن شيبان الرملي، ثنا سفيان بن عيينة، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، به. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فإنه ليس عند اليمانيين عن معمر». وأقره الذهبي وقال: «لم يروه معمر باليمن».

ثانياً: تخريج الوجه المرسل:

أ. طريق عبد الله بن المبارك:

- أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب الأشربة، باب ما جاء أي الشراب أحب إلى رسول الله ﷺ، (٣/٣٧٢)، ح (١٨٩٦)، من طريق مَرْدَوَيْهِ أحمد بن محمد قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا معمر بن راشد، ويونس بن عبيد، عن الزهري، بنحوه. وقال: «وهكذا روى عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن النبي ﷺ مرسلاً، وهذا أصح من حديث ابن عيينة».

ب. طريق يونس بن عبيد:

- أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»، كتاب الأشربة، باب ما يستحب من الأشربة، (٥/١٠٩)، ح (٢٤١٩٧)، من طريق وكيع بن الجراح، عن يونس بن عبيد، به.
- والترمذي في «سننه»، كتاب الأشربة، باب ما جاء أي الشراب أحب إلى رسول الله ﷺ، (٣/٣٧٢)، ح (١٨٩٦)، من طريق مَرْدَوَيْهِ أحمد بن محمد قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا معمر بن راشد، ويونس ابن عبيد، عن الزهري، بنحوه. وقال: «وهكذا روى عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن النبي ﷺ مرسلاً، وهذا أصح من حديث ابن عيينة».

ت. طريق عبد الرزاق بن همام:

- أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه»، كتاب الجامع، باب أي الشراب أطيب؟، (١٠/٤٢٦)، ح (١٩٨٥٣)، من طريق معمر بن راشد عن الزهري، بنحوه.

ثالثاً: بيان تراجم رجال الإسناد:

١. محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، أبو عبد الله المكي، وقد ينسب إلى جده، روى عن: سفيان بن عيينة، وعبد العزيز الدَّرَاوَرْدِيُّ، وسواهم، وعنه: مسلم، والترمذي، وغيرهما.[1]

سئل أحمد بن حنبل عمن نكتب؟ فقال: «أما بمكة فابن أبي عمر»،[2] وقال أبو حاتم: «كان رجلاً صالحاً، وكان به غفلة، ورأيت عنده حديثاً موضوعاً حدث به عن ابن عيينة، وهو صدوق»،[3] وقال الذهبي: «الإمام، المحدث، الحافظ، شيخ الحرم»،[4] وقال ابن حجر: صدوق، من العاشرة، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين.[5]

٢. سفيان بن عيينة الهلالي، أبو محمد الكوفي، روى عن: معمر بن راشد، والزهري، وخلق كثير، وعنه: ابن أبي عمر، وعبد الله بن وهب، وسواهم.[6]

قال يحيى بن معين: «ليس به بأس»،[7] وقال في موضع آخر: «ثقة»،[8] وقال الذهبي: «ثقة، ثبت، حافظ، إمام»،[9] وقال ابن حجر: ثقة، حافظ، فقيه، إمام، حجة، إلا

---

(١) أخرجه في «سننه»، كتاب الأشربة، باب ما جاء أي الشراب أحب إلى رسول الله ﷺ، (٣/٣٧١)، ح (١٨٩٥)، وقال: «هكذا روى غير واحد عن ابن عيينة مثل هذا، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة t، والصحيح ما روي عن الزهري، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً».

(١) انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، (٩/٥١٨-٥١٩).

(٢) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (٨/١٢٥).

(٣) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (٨/١٢٤-١٢٥).

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٢/٩٦).

(٥) انظر: تقريب التقريب، لابن حجر، صـ (٥١٣).

(٦) انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، (٤/١١٧-١١٩).

(٧) سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيى بن معين، لابن معين، صـ (٣٠٨).

(٨) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (٤/٢٢٧).

(٩) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، (١/٤٤٩).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

أنه تغير بآخره، وكان ربما دلس لكن عن الثقات، من رؤوس الطبقة الثامنة، توفي سنة: ثمان وتسعين ومائة.(١٠)

٣. معمر بن راشد الأزدي، أبو عمرو البصري، روى عن: الزهري، وزيد بن أسلم، وآخرون، وعنه: سفيان ابن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وجماعة.(١١)

قال يحيى بن معين: «أثبت الناس في الزهري: مالك بن أنس، ومعمر...»،(١٢) وقال أحمد ابن حنبل: «لا تضم أحداً إلى معمر إلا وجدت معمراً أطلب للعلم منه»،(١٣) وقال أبو حاتم: «ما حدث به بالبصرة ففيه أغاليط، وهو صالح الحديث»،(١٤) وقال النسائي: «ثقة مأمون»،(١٥) وقال الذهبي: «أحد الأعلام الثقات، له أوهام معروفة»،(١٦) وقال ابن حجر: ثقة، ثبت، فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت، والأعمش، وعاصم بن أبي النجود، وهشام بن عروة، شيئاً، وكذا ما حدث به بالبصرة، من كبار السابعة، توفي سنة: أربع وخمسين ومائة.(١)

٤. محمد بن مسلم المعروف بابن شهاب الزهري، أبو بكر المدني، روى عن: أنس بن مالك η، وعروة بن الزبير، وغيرهما، وعنه: معمر بن راشد، وعطاء بن أبي رباح، وسواهم.(٢)

قال علي بن المديني: «لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب، ويحيى بن سعيد ...»،(٣) وقال الذهبي: «أحد الأعلام، وحديثه عن أبي هريرة في الترمذي، عن رافع بن خديج في النسائي، وذلك مرسل»،(٤) وقال ابن حجر: الفقيه، الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه وثبته، من رؤوس الطبقة الرابعة، توفي سنة: ثلاث وعشرين ومائة، وقيل: أربع وقيل: خمس.(٥)

٥. عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عبد الله المدني، روى عن: أبيه، وخالته عائشة ι، وخلق كثير، وعنه: أولاده: عبد الله، وعثمان، وهشام، ومحمد، ويحيى، وآخرون.(٦)

قال ابن سعد: «ثقةٌ كثير الحديث فقيهاً عالماً مأموناً ثبتاً»،(٧) وقال الذهبي: «الإمام، عالم المدينة»،(٨) وقال ابن حجر: ثقة فقيه، من الثالثة، توفي قبل المائة سنة: أربع وتسعين.(٩)

٦. عائشة بنت أبي بكر الصديق κ، أم المؤمنين، أفقه النساء وأعلمهم.(١٠)

رابعاً: النظر في الخلاف:

بعد التخريج والنظر في الأسانيد، ظهر أن ابن المبارك وعبد الرزاق قد خالفا ابن عيينة فرووا الحديث مرسلاً، وقرينة ترجيح روايتهما على رواية ابن عيينة: الكثرة، وكذلك رواية يونس بن عبيد، لذا تترجح رواية ابن المبارك وعبد الرزاق ومعهما رواية يونس، وعليه فإن المرسل أرجح، والموصول مرجوح، قال الترمذي: «والصحيح ما رواه الزهري عن النبي ﷺ».

خامساً: الحكم على الحديث:

هذا الحديث الموصول ضعيف، لمخالفة النقاد: ابن المبارك وعبد الرزاق ويونس لابن عيينة، والأصح أن الحديث مرسل، والمرسل ضعيف عند جمهور المحدثين.

المبحث الثاني:

حبه ﷺ للحَلْوَاءِ(١) والعسل

الحديث الأول:

قال الإمام البخاري ρ: حدثنا فَرْوَةُ بن أبي الْمَغْرَاءِ: حدثنا علي بن مُسْهِرٍ، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ι قالت: كان رسول الله ﷺ يحب العسل **وَالْحَلْوَاءَ**، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر κ فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فَغِرْتُ فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّةً من عسل فسقت النبي ﷺ منه شربةً، فقلت: أما والله لَنَحْتَالَنَّ له، فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولي: أكلت مَغَافِيرَ؟ فإنه سيقول لك: لا، فقولي له: ما هذه الريح التي أجد منك؟ فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ، وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذاك ، قالت: تقول سودة: فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أُبَادِيَهُ بما أمرتني به فَرَقًا منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله، أكلت مَغَافِيرَ؟ قال: لا، قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل، فقالت: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ، فلما دار إلي قلت له نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه. قالت: تقول سودة: والله لقد حَرَمْنَاهُ، قلت لها: اسكتي.(٢)

(١٠) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، صـ (٢٤٥).
(١١) انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، (٢٤٣/١٠-٢٤٤).
(١٢) تاريخ ابن معين، (رواية عباس الدوري)، لابن معين، (١١٦/٣).
(١٣) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (٢٥٧/٨).
(١٤) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (٢٥٧/٨).
(١٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (٣١٠/٢٨).
(١٦) ميزان الاعتدال، للذهبي، (١٥٤/٤).
(١) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، صـ (٥٤١).
(٢) انظر: المصدر السابق، (٤٤٥/٩-٤٤٧).
(٣) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (٧٤/٨).
(٤) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، (٢١٩/٢).
(٥) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، صـ (٥٠٦).
(٦) انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، (١٨٠/٧)، وما بعدها.
(٧) الطبقات الكبرى، لابن سعد، (١٣٧/٥).
(٨) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٤٢١/٤).
(٩) تقريب التهذيب، لابن حجر، صـ (٣٨٩).
(١٠) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (٢٣١/٨)، وما بعدها
(١) الْحَلْوَاءَ: كل شيء حلو. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (٧٧/١٠).
(٢) أخرجه في «صحيحه»، كتاب الطلاق، باب لم تحرم ما أحل الله لك، (٤٤/٧)، ح (٥٢٦٨).

أولاً: تحديد المدار:

هذا الحديث مداره على عائشة ι، وقد رواه عنها اثنان: عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق η.

ثانياً: تخريج الحديث:

أ. تخريج الحديث من طريق عروة بن الزبير:

- أخرجه أحمد في «المسند»، (٤٠/٣٦٦-٣٦٧)، ح (٢٤٣١٦)، من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة قال: أخبرنا هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه.
- وابن أبي شيبة في «مصنفه»، كتاب الأشربة، باب ما يستحب من الأشربة، (٥/١٠٩)، ح (٢٤١٩٦)، من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه مختصراً.
- وعبد بن حميد في «المنتخب من مسنده»، صـ (٤٣٢)، ح (١٤٨٩)، من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه مختصراً.
- والبخاري في «صحيحه»، كتاب النكاح، باب دخول الرجل على نسائه في اليوم، (٧/٣٤)، ح (٥٢١٦)، من طريق فَرْوَةُ بن أبي الْمَغْرَاءِ قال: حدثنا علي بن مُسْهِرٍ، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه مختصراً.

وكتاب الأطعمة، باب الْحَلْوَاءَ والعسل، (٧/٧٧)، ح (٥٤٣١)، من طريق إسحاق بن رَاهَوَيْهِ، عن أبي أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة، قال: أخبرني أبي، بنحوه مختصراً.

وكتاب الأشربة، باب البَاذَقِ ومن نهى عن كل مسكر من الأشربة، (٧/١٠٧)، ح (٥٥٩٩)، من طريق عبد الله ابن محمد بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه مختصراً.

وباب شراب الْحَلْوَاءَ والعسل، (٧/١١٠)، ح (٥٦١٤). وكتاب الطب، باب الدواء بالعسل، (٧/١٢٣)، ح (٥٦٨٢)، كلا الموضعين من طريق علي بن المديني قال: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة قال: أخبرني هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه مختصراً.

وكتاب الحيل، باب ما يكره من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر، وما نزل على النبي ﷺ في ذلك، (٩/٢٦)، ح (٦٩٧٢)، من طريق عبيد بن إسماعيل قال: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه.

- ومسلم في «صحيحه»، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته، ولم ينوِ الطلاق، (٢/١١٠١)، ح (١٤٧٤)، من طريق أبي كُرَيْبٍ محمد بن العلاء، وهارون الْحَمَّالُ قالا: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه.

و(٢/١١٠٢)، ح (١٤٧٤)، من طريق سُوَيْدُ بن سعيد قال: حدثنا علي بن مُسْهِرٍ، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه.

- وأبو داود في «سننه»، كتاب الأشربة، باب في شراب العسل، (٣/٣٣٥)، ح (٣٧١٥)، من طريق الحسن ابن علي قال: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه مختصراً.
- والترمذي في «سننه»، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في حب النبي ﷺ الْحَلْوَاءَ والعسل، (٣/٣٣٧)، ح (١٨٣١)، من طريق سلمة بن شَبِيبٍ، ومحمود بن غَيْلَانَ، وأحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقِيُّ، قالوا: حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه مختصراً. وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب، وقد رواه علي بن مُسْهِرٍ، عن هشام بن عروة، وفي الحديث كلام أكثر من هذا».
- وابن ماجه في «سننه»، كتاب الأطعمة، باب الْحَلْوَاءَ، (٢/١١٠٤)، ح (٣٣٢٣)، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، وعلي بن محمد الطَّنَافِسِيُّ، ودُحَيْم عبد الرحمن بن إبراهيم قالوا: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه مختصراً.
- والدارمي في «سننه»، كتاب الأطعمة، باب في الْحَلْوَاءِ، (٢/١٣١٧-١٣١٨)، ح (٢١١٩)، من طريق فَرْوَةُ ابن أبي الْمَغْرَاءِ قال: حدثنا علي بن مُسْهِرٍ، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه مختصراً.
- وأبو يعلى في «مسنده»، (٨/١٨٦)، ح (٤٧٤١)، من طريق أبي سعيد عبد الله عبن سعيد الأَشَجُّ قال: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة، حدثنا هشام بن عروة، أخبرني أبي، بنحوه مختصراً.

و(٨/٢٩٨)، ح (٤٨٩٢)، من طريق عبد الرحمن بن صالح قال: حدثنا علي بن مُسْهِرٍ، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه مختصراً.

و(٨/٣٠٠)، ح (٤٨٩٦)، من طريق عبد الله بن محمد الرومي قال: حدثنا أبو أسامة حماد ابن أسامة، عن هشام ابن عروة، عن أبيه، بنحوه.

و(٨/٣٦٦)، ح (٤٩٥٦). وح (٤٩٥٧)، كلا الموضعين من طريق أبي موسى هارون الْحَمَّالُ قال: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه مختصراً.

و(٨/٣٦٧)، ح (٤٩٦٠)، من طريق هارون الْحَمَّالُ قال: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بمعناه مختصراً.

- وابن حبان كما في «الإحسان»، كتاب الأطعمة، باب ما يجوز أكله وما لا يجوز -ذكر الخبر الْمُدْحِضِ قول من كره من المتصوفة أكل العسل والحلوى مخافة أن لا يقوم بشكره-، (١٢/٥٩)، ح (٥٢٥٤)، من طريق محمد بن زهير قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، بنحوه محتصراً.

• والبيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب الخلع والطلاق، باب من قال: مالي على حرام لا يريد جواريه، (٥٨٠/٧)، ح (١٥٠٨١)، من طريق أبي عبد الله الحافظ، وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا: نا أبو العباس محمد بن يعقوب، نا محمد بن إسحاق الصَّغَانِيُّ، نا إسماعيل بن خليل، نا علي بن مُسْهِرٍ، عن هشام، عن أبيه، به.

ب. تخريج الحديث من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق η:

• أخرجه الحاكم في «مستدركه»، كتاب الأطعمة، باب ذكر معيشة النبي ﷺ، (١٠٥/٤)، من طريق محمد ابن صالح بن هانئ قال: ثنا السَّرِيُّ بن خزيمة، ثنا عمر بن حفص بن غياث، ثنا الأعمش، حدثني ثابت بن عبيد، حدثني القاسم بن محمد، بمعناه مختصراً.

ثالثاً: الحكم على الحديث:

الحديث متفق عليه رواه الشيخان وغيرهما كما ظهر في التخريج.

رابعاً: غريب الحديث:

فَغِرْتُ: «بكسر الغين المعجمة، وسكون الراء، وضم التاء: من الغيرة، وهي التي تعرض للنساء من الضرائر».[١]

عُكَّةً من عسل: العُكَّة: وعاء من جلد مستدير، يختص بالعسل والسمن.[٢]

مَغَافِيرَ: واحدها مُغْفُور، بالضم، وهو شيء ينضحه شجر الْعُرْفُطِ، وله ريح كريهة منكرة.[٣]

جَرَسَتْ نحله: «أي أكلت: يقال للنحل: الجوارس، والجرس في الأصل: الصوت الخفي».[٤]

الْعُرْفُطَ: «بالضم: شجر الطلح، وله صمغ كريه الرائحة، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه».[٥]

فَرَقًا: «الفرق بالتحريك: الخوف والفزع».[٦]

خامساً: ما يستفاد من الحديث:

١. في الحديث ما جبلت عليه النساء من الغيرة، وأن الغَيراء تعذر فيما يقع منها من الاحتيال في وقع ضرر الضُّرَّة.

٢. وفيه ما يشهد بعلو مرتبة عائشة ι عند النبي ﷺ حتى كانت ضرتها تهابها وتطيعها في كل شيء تأمرها به حتى في مثل هذا الأمر مع الزوج الذي هو أرفع الناس قدراً.

٣. وفيه الإشارة إلى ورع سودة ι لما ظهر منها من التندم على ما فعلت.

٤. وفيه أن عماد القسم الليل، وأن النهار يجوز الاجتماع فيه للجميع بشرط: عدم المجامعة إلا مع صاحبة النوبة.[٧]

٥. وفيه حب النبي ﷺ للحلو من الطعام والشراب، وللعسل خاصة.

٦. وفيه حرصه ﷺ على ألا توجد منه ريح كريهة.

الحديث الثاني:

قال الإمام البخاري ρ: حدثني الحسن بن محمد بن صَبَّاحٍ، حدثنا حجاج الأعور، عن ابن جريج قال: زعم عطاء بن أبي رباح، أنه سمع عبيد بن عمير يقول: سمعت عائشة ι أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ι ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة ι أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ، فلتقل إني أجد منك ريح مَغَافِيرَ، أكلت مَغَافِيرَ؟، فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له». فنزلت (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ) إلى) إن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ) لعائشة وحفصة λ (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ)[١] لقوله: بل شربت عسلاً.[٢]

أولاً: تحديد المدار:

هذا الحديث مداره على عائشة ι، وقد رواه عنها اثنان: عبيد بن عمير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

ثانياً: تخريج الحديث:

أ. تخريج الحديث من طريق عبيد بن عمير:

• أخرجه أحمد في «المسند»، (٤١/٤٣)، ح (٢٥٨٥٢)، من طريق حجاج الأعور قال: قال ابن جريج: زعم عطاء بن أبي رباح، أنه سمع عبيد بن عمير، به.

• والبخاري في «صحيحه»، كتاب تفسير القرآن، باب (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)، (١٥٦/٦)، ح (٤٩١٢)، من طريق إبراهيم بن موسى قال: أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبيد بن عمير، بنحوه.

وكتاب الأيمان والنذور، باب إذا حَرَّمَ طعامه، (١٤١/٨)، ح (٦٦٩١)، من طريق الحسن بن محمد بن صباح قال: حدثنا حجاج الأعور، عن ابن جريج قال: زعم عطاء ابن أبي رباح، أنه سمع عبيد بن عمير، به.

• ومسلم في «صحيحه»، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته، ولم ينوِ الطلاق، (١١٠٠/٢) ح (١٤٧٤)، من طريق حدثني محمد بن حاتم قال: حدثنا حجاج ابن محمد الأعور، أخبرنا ابن جريج، أخبرني عطاء بن أبي رباح، أنه سمع عبيد ابن عمير، به.

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، (٢٤٤/٢٠).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، (٢٨٤/٣)، بتصرف يسير.
(٣) انظر: المصدر السابق، (٣٧٤/٣)، بتصرف.
(٤) انظر: نفس المصدر، (٢٦٠/١).
(٥) انظر: نفس المصدر، (٢١٨/٣).
(٦) انظر: نفس المصدر، (٤٣٨/٣).
(٧) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (٣٨٠/٩).
(١) سورة التحريم، آية (١-٤).
(٢) أخرجه في «صحيحه»، كتاب الطلاق، باب (لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ)، (٤٤/٧)، ح (٥٢٦٧).

- وأبو داود في «سننه»، كتاب الأشربة، باب في شراب العسل، (٣/٣٣٥)، ح (٣٧١٤)، من طريق أحمد بن محمد بن حنبل قال: حدثنا حجاج بن محمد الأعور قال: قال ابن جريج: عن عطاء بن أبي رباح، أنه سمع عبيد بن عمير، به.
- والنسائي في «سننه»، كتاب الطلاق، باب تأويل هذه الآية على جه آخر، (٦/١٥١)، ح (٣٤٢١)، من طريق قتيبة بن سعيد، عن حجاج الأعور، عن ابن جريج، عن عطاء ابن أبي رباح، أنه سمع عبيد بن عمير، به.

وكتاب الأيمان والنذور، باب تحريم ما أحل الله β، (٧/١٣)، ح (٣٧٥٩). وكتاب عشرة النساء، باب الغيرة، (٧/٧١)، ح (٣٩٥٨)، كلا الموضعين من طريق الحسن بن محمد صَبَّاحٍ قال: حدثنا حجاج الأعور، عن ابن جريج قال: زعم عطاء بن أبي رباح، أنه سمع عبيد بن عمير، به.

- والبزار في «مسنده»، (١٨/٢٠٣)، ح (١٩٣)، من طريق الحسن بن محمد بن، وإبراهيم بن سعيد، قالا: حدثنا حجاج بن محمد الأعور قال: حدثنا ابن جريج قال: زعم عطاء بن أبي رباح، أنه سمع عبيد بن عمير، به.
- وابن حبان كمال في «الإحسان»، كتاب النكاح، باب معاشرة الزوجين -ذكر ما يستحب للمرء أن لا يُحَرِّمَ عليه امرأته من غير سبب يوجب ذلك، أو شيئا من أسبابها-، (٩/٤٨٩)، ح (٤١٨٣)، من طريق لحسن بن سفيان قال: حدثنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا حجاج الأعور، عن ابن جريج قال: زعم عطاء بن أبي رباح، أنه سمع عبيد بن عمير، به.
- والبيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب الخلع والطلاق، باب من قال مالي على حرام لا يريد جواريه، (٧/٥٧٩)، ح (١٥٠٨٠)، من طريق أبي عمرو محمد بن عبد الله الأديب، أنا أبو بكر الإسماعيلي، نا الْمَنِيعِيُّ عبد الله الوراق، نا أحمد بن حنبل، نا حجاج ابن محمد الأعور قال: قال ابن جريج: زعم عطاء بن أبي رباح، أنه سمع عبيد بن عمير، به.

ب. تخريج الحديث من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق η:

- أخرجه البزار في «مسنده»، (١٨/٢٠٣)، ح (١٩٤)، من طريق إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا عمر بن حفص ابن غياث، عن أبيه، عن الأعمش، عن ثابت بن عبيد، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، بنحوه.

ثالثاً: الحكم على الحديث:

الحديث متفق عليه رواه الشيخان وغيرهما كما ظهر في التخريج.

رابعاً: غريب الحديث:

فَتَوَاصَيْتُ، وفي رواية فَتَوَاطَيْتُ: «أي: اتفقت».[١]

خامساً: ما يستفاد من الحديث:

إضافةً لما تقدم في الحديث الأول:

١. أن سبب نزول الآيات الأولى من سورة التحريم، حلفه ﷺ أن لا يشرب العسل وتحريمه على نفسه.

٢. مشروعية الكفارة لكل من حرم حلالاً عليه، من طعام أو شراب، أو حلف يمينًا بالله، على فعل أو ترك، ثم حنث أو أراد الحنث، وهي مذكورة في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾.[٢]

فائدة:

اختلف أهل العلم في سبب نزول الآيات الأولى من سورة التحريم فقيل: نزلت في سبب ترك النبي ﷺ العسل، وقيل: في سبب مارية جارية النبي ﷺ وحلفه أن لا يطأها، والظاهر الأول.

المبحث الثالث:

الدراسة الموضوعية لأحب الأشربة إلى النبي ﷺ

إن مما جُبِلَ عليه الإنسان حب الدنيا وملذاتها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾،[١] وكذلك الطعام والشراب، وتفضيل بعضه على بعض.

وقد أنعم الله ﷻ علينا بنعم جليلة، منها: الحلو البارد من الشراب، فقد كان من أحب الأشربة إلى النبي ﷺ، لأنه أنفع للبدن، وأطفأ لحرارة الظمأ، وهذا يشمل الماء العذب كمياه العيون والآبار الحلوة، والماء الممزوج بالعسل، ونقيع التمر أو الزبيب، واللبن، واللبن المخلوط بالماء، لاسيما إذا جمع الماء الحلاوة والبرد، كان أحفظ للصحة، أنفع للبدن وأكثر تغذية، وتنفيذ الطعام إلى الأعضاء، والماء الفاتر بفعل ضد ذلك.[٢]

وكذلك عسل النحل، حيث كان النبي ﷺ يحب العسل، وقد جمع الله ﷻ في العسل الشراب والغذاء والدواء قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾،[٣] قال ابن القيم: «وهو غذاء مع الأغذية، ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحُلْوٌ مع الحلوى».[٤]

---

(١) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (١٠/٧٤).
(٢) سورة المائدة، آية (٨٩). وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، صـ (٨٧٢).
(١) سورة آل عمران، آية (١٤).
(٢) زاد المعاد في خير هدي العباد، لابن القيم، (٤/٢٠٦-٢٠٩)، بتصرف.
(٣) سورة النحل، آية (٦٩).
(٤) زاد المعاد في خير هدي العباد، لابن القيم، (٤/٣٢).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

كما كان ﷺ يحب الحَلْوَاءِ وهي كل ما كان حلواً من الطعام والشراب، وذكر الثعالبي:[٥] أن حلوى النبي ﷺ التي كان يحبها هي المَجِيعُ وهو التمر يعجن باللبن.[٦]

الخاتمة:

الحمد لله الذي إذا قدَّر أتم ويسر، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أحمده سبحانه وأشكره على ما منَّ به علي من تيسير وإعانة لإتمام هذا البحث وإنجازه، وقد تضمن هذا البحث على الأحاديث المتعلقة بأحب الأشربة إلى النبي ﷺ، كما أنني توصلت فيه إلى بعض النتائج والتوصيات وهي على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

١. بلغت الأحاديث في هذا البحث ثلاثة أحاديث.

٢. بلغت الأحاديث الصحيحة فيه حديثان.

٣. بلغت الأحاديث الضعيفة حديثاً واحداً.

٤. تنوع مشاربه ﷺ، وعدم اقتصاره على نوع واحد من الأشربة.

٥. أن الأصل في الأشربة الإباحة، إلا ماجاء دليل شرعي على تحريمه.

ثانياً: التوصيات:

١. الحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ والاستنان بسنته في جميع أمور الحياة.

٢. أوصي المختصين بمزيد من العناية بالأحاديث المتعلقة بالأشربة من جمع، وتخريج، وتحقيق، ودراسة.

٣. وكذلك أوصي بالعناية بسنة النبي ﷺ.

هذا أبرز ما توصلت إليه في هذا البحث، أسأل المولى β أن ينفع به، وينفعني به، وأن يكتب له القبول، ويجعله خالصاً لوجه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٤. تاريخ ابن معين (رواية عباس الدوري)، ليحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام ابن عبد الرحمن المري بالولاء، أبو زكريا البغدادي، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥. تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ه – ١٩٨٦م.

٦. تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة.

٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ه – ١٩٨٠م.

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

٩. الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي أبو محمد ابن أبي حاتم الرازي، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

١٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١١. سؤالات ابن الجُنَيْدِ لأبي زكريا يحيى بن معين، ليحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، أبو زكريا البغدادي، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٢. سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

١٣. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٤. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

---

[٥] هو: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، من أئمة اللغة والأدب، من مؤلفاته: فقه اللغة وسر العربية، وسحر البلاغة، توفي سنة: ٤٢٩هـ انظر: الأعلام، للزركلي، (١٦٣/٤-١٦٤).

[٦] فقه اللغة وسر العربية، لعبد الملك الثعالبي، صـ(١٨٣).

١٥. سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد أبو محمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٦. سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.
١٧. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٨. سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ١٩٨٥م.
١٩. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٠. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢١. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، أبو عبد الله البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لمحمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ابن حسين الحنفي أبو محمد بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٤. فقه اللغة وسر العربية، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢٥. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢٦. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لعبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان أبو بكر ابن أبي شيبة العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢٧. مسند أبي يعلى الموصلي، لأحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي أبو يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م.
٢٨. مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٩. مسند البزار، لأحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله أبو بكر العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
٣٠. مسند الحميدي، لعبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي أبو بكر الحميدي المكي، تحقيق: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دار السقا، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.
٣١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
٣٢. المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم النيسابوري أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت- لبنان.
٣٣. المصنف، لعبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني أبو بكر الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
٣٤. المنتخب من مسند عبد بن حميد، لعبد الحميد بن حميد بن نصر أبو محمد الكَسّي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٣٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحيي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.
٣٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، للمبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

دور التربية الإسْلاميَّة ُبالقُدوةِ في تربيةِ النّاشِئَةِ لإصْلاحِ المُجْتَمَع.

The Role of Islamic Education through Exemplary Models in Raising Youth for Community Reform

د. صلاح جبر يوسف

أستاذ مساعد بكلية العلوم الإسلامية- جامعة المدينة العالمية – ماليزيا.

Dr.Salah Gabr Youssef Gabr

Assistant Professor at the Faculty of Islamic Sciences - International City University – Malaysia.

E-mail: drsalahyousf@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

التربية – القدوة- التربية الإسلامية – إصلاح المجتمع.

KEY WORDS:

education – exemplary model – Islamic education – community reform

مستخلص البحث:

مما لا شك فيه أن للتربية دوراً عظيماً في التنشئة الصحيحة للأجيال المسابقة والحالية واللاحقة، ومن ثمَّ يؤدي ذلك بصورة تلقائية إلى استقامة وصلاح المجمع الإسلامي بصورة عامة. هذا في شأن التربية عموماً، ولكن التربية بالقدوة على وجه الخصوص تلعب دوراً أكثر وأبلغ في إصلاح المجتمع وتقويمه ونظراً لهذه الأهمية البالغة كان هذا البحث "دور التربيةُ الإسْلاميَّة ُبالقُدوةِ في تربيةِ النَّاشِئَةِ لإصْلاحِ المُجْتَمَع"

والذي تناولت من خلاله التربية بالقدوة، والحاجة الملحة إليها من خلال استقراء واقع المسلمين اليوم وما آل إليه واقه التربية ووضعها في المؤسسات التربوية، وغياب الوعي الديني والتربوي الأمر الذي تتطلب أن تكون هناك حاجة مُلَحَّة وضرورية للتربية بالقدوة ونؤكد على أنها فريضة شرعية، وضرورة بشرية؛ نظراً لتدهور حالة المجتمع أخلاقياً وسلوكياً فضلاً انحراف بعض أبنائه عقدياً ودينياً. وبينت أثر التربية بالقدوة على الناشئة في إصلاح المجتمع. كل ذلك لن يكون إلا بالتربية السليمة الصحيحة والقدوة الطيبة. فما أيسر التنظير، ولكن ما أصعب وأشد التطبيق والتنفيذ وكما قيل " عمل رجل في ألف خير من قول ألف في رجل واحد" ولهذا الأثر العظيم قد أوضحت وأبرزت هذا الجانب من خلال نماذج عملية مضيئة للتربية بالقدوة. متمثلة في شخصية عظيمة هي " النبي صلى الله عليه وسلم على مستوى الصعيد الاجتماعي والسياسي والتشريعي من تطبيق للشريعة حتى نفسه وأقرب الناس إليه. وكذلك ضرب المثل العميق للتربية بالقدوة الطيبة. وبينت أسباب غياب القدوة في حياة الناشئة.

وتناولت الآمال المنشودة للتربية بالقدوة في حياة الناشئة

بما يؤدي إلى إصلاح المجتمع من خلال النتائج المثمرة للتربية بالقدوة

ABSTRACT:

There is no doubt that education plays a significant role in the proper upbringing of past, present, and future generations, which consequently leads to the integrity and righteousness of the Islamic community in general. This pertains to education broadly, but education through exemplary models specifically plays an even greater and more profound role in reforming and correcting society. Given this immense importance, this research titled "The Role of Islamic Education through Exemplary Models in Raising Youth for Community Reform" focuses on the need for exemplary education by examining the current realities of Muslims today, the state of education and its condition in educational institutions, and the absence of religious and educational awareness. This situation necessitates a pressing and essential need for education through exemplary models, which we affirm is a religious obligation and a human necessity, given the moral and behavioral decline in society, as well as the doctrinal and religious deviations of some of its youth.

The impact of education through exemplary models on the youth in reforming society is highlighted, as all of this will only be achieved through sound and correct education and good examples. It is easy to theorize, but the application and implementation are much more challenging. As it is said, "The work of one man is better than the words of a thousand about one man." To emphasize this profound effect, I elaborated on this aspect through illuminating practical examples of education through exemplary models, represented by the great personality of "the Prophet Muhammad (peace of Allah be upon him)" on social, political, and legislative levels, from the application of Sharia to his very self and his closest companions. The profound example of good role models in education was illustrated, along with the reasons for the absence of such exemplary figures in the lives of the youth.

Furthermore, I addressed the desired hopes for education through exemplary models in the lives of the youth that would lead to community reform through the fruitful outcomes of education by exemplary models.

المقدمة:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا مُحَمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين. وبعد..

فإنَّ الدين الإسلامي منذ بزغ نوره في شبه الجزيرة العربية، وقد أولى الأخلاق عناية فائقة؛ لما لذلك من أثر إيجابي قوي، وسحر سريع، وجمال أخاذ، وتسلل إلى قلوب الآخرين بسرعة فائقة

وظل الإسلامُ يهتم بها وينميها ويدعو إليها بصورة واقعية لم يهتم بها دينٌ سواهُ؛ فالأخلاق في الإسلامِ من الأهمية بمكان. لذلك أثنى الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بكريم الأخلاق وأنه قد بلغ تمامها وكمالها، وبلغ ذروتها قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[١]

وقال تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}[2]

وقال رسول الله (إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ وفي روايةٍ (صالحَ الأخلاقِ)[٣]

فمنح الإسلامُ الأخلاقَ المكانةَ العاليةَ فهي لا تنفك عن العقيدة أو العبادة أو الشريعة

ونلحظُ ذلك جلياً في كثرة النصوص القرآنية الداعية إلى التحلي بالأخلاق وضرب المثل في التربية بالقدوة.

ونظرًا لهذه الأهمية؛ فقد عمدتُ على اختيار هذا الموضوع، وهو **دور التربيةُ الإسْلاميَّةُ بالقُدوةِ في تربيةِ النَّاشِئَةِ لِإصْلاحِ المُجْتَمَعِ**

أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١. الحاجة المُلِحَّةُ إلى التربية اليوم.

٢. التربية بالقدوة فريضة شرعية، وضرورة بشرية.

٣. أثر التربية بالقدوة على الناشئة في إصلاح المجتمع.

٤. إبراز نماذج عملية مضيئة للتربية بالقدوة.

إشكالية البحث:

تكمن المشكلة في دراسة النتائج المترتبة مشكلة عدم التربية وعدم وجود أثرها في حياة الناشئة بما ينعكس على إصلاح المجتمع، وأحاول الإجابة عن التساؤلات الفرعية التالية:

١. ما المراد بالتربية بالقدوة؟

٢. ما أسباب غياب القدوة في حياة الناشئة؟

٣. ما أثر التربية بالقدوة في تربية الناشئة في إصلاح المجتمع؟

٤. ما التلازم بين التربية بالقدوة وإصلاح المجتمع؟

أهداف البحث:

تكمن أهداف الموضوع في النقاط التالية:

١. استقراء أحوال واقع المسلمين اليوم، وبيان أسباب ذلك.

٢. إبراز دور التربية بالقدوة في تربية الناشئة.

٣. بيان النتائج المثمرة للتربية بالقدوة في إصلاح المجتمع.

٤. إبراز نماذج عملية مضيئة للتربية بالقدوة.

الدراسات السابقة:

بعد الاستفسار والتقصي من خلال المراكز البحثية لم أقف على بحث متكامل خُصص في بيان هذا الموضوع بهذا العنوان

منهجي في البحث:

وجاءتْ الدراسةَ بمنهجٍ وصفيٍ تحليليٍ نقديٍ؛ لتبين أهمية التربية بالقدوة ومؤكدةً على أهميتها في إصلاح المجتمعِ.

خطة البحث:

اشتملت الدراسةُ على مُقَدِّمَةٍ وأربعة مباحث، وخاتمةٍ.

المُقَدِمَةُ لتوضِحَ أهميَّةَ الموضُوعِ وإشكالية البحث وأهداف البحث، والدراسات السابقة، و**منهجية** في البحث

المبحثُ الأولُ: التربية بالقدوة، والحاجة الملحة إليها

المطلب الأول: التعريف بالمصطلحاتِ (التربية -الإسلامية - القدوة- القيم - الناشئة).

المطلب الثاني: الحاجة الضرورية للتربية بالقدوة

المبحثُ الثَّاني: التربية بالقدوة وأثرها في إصلاح المجتمع

المطلب الأول: التربية بالقدوة فريضة شرعية، وضرورة بشرية.

المطلب الثاني: أثر التربية بالقدوة على الناشئة في إصلاح المجتمع.

المبحثُ الثَّالثُ: التربية بالقدوة بين الواقع والمأمول.

المطلب الأول: عرض واقع المسلمين اليوم من التربية بالقدوة.

المطلب الثاني: أسباب غياب القدوة في حياة الناشئة.

المبحثُ الرابعُ الآمال المنشودة للتربية بالقدوة في حياة الناشئة.

المطلب الأول: نماذج عملية مضيئة للتربية بالقدوة.

المطلب الثاني: النتائج المثمرة للتربية بالقدوة في إصلاح المجتمع.

الخاتمةُ تؤكدُ أهمَّ النتائجِ والتوصياتِ التي خَرجَت بها الدراسَةُ.

أهم المصادر والمراجع

نسأل الله تعالى القبولَ في الأقوالِ والأعمالِ، وأن يوفق الجميع إلى ما يحبُّ ويرضى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المبحثُ الأولُ: التربية بالقدوة، والحاجة الملحة إليها

المطلب الأول: التعريفُ بالمصطلحاتِ (التربية -الإسلامية - القدوة- الناشئة).

تعريف التربية في اللغة مأخوذة من

---

[١]- سورة القلم (٤)

[2]- سورة الأحزاب (٢١)

[٣]- حديث صحيح: أخرجه البيهقي (٢١٣٠١) واللفظ له، وأخرجه أحمد (٨٩٥٢)، الحاكم(4221)

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

رَبَّى سَهِرَ عَلَى تَرْبِيَةِ ابْنِهِ تَرْبِيَةً سَلِيمَةً: أَيْ تَهْذِيبُهُ وَتَعْلِيمُهُ وَتَنْشِئَتُهُ

التَّربية: علم وظيفته البحث في أسس التنمية البشرية وعواملها وأهدافها الكبرى،

كلّيّة التربية: الكلّيّة الجامعيّة الخاصّة بتخريج المدرسين والباحثين التربويين،

وزارة التربية: الوزارة المسئولة عن التربية والتعليم (تسمى كذلك: وزارة التربية والتعليم أو وزارة المعارف)[4]

والتربية الإسلامية هي: "علم إعداد الإنسان المسلم لحياتي الدنيا والآخرة إعدادًا كاملا من الناحية الصحية والعقلية والعلمية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والإرادية والإبداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم الإسلامية وفي ضوء أساليب ووسائل وطرق التربية التي بينها الإسلام"[5]

تعريف القدوة:

في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط [6] (القدوة: يقال فلان قدوة إذا كان يقتدى به، ولي بك قدوة. ومنها قوله (اقتدى به، أي فعل مثل فعله تشبهاً به).

وفي لسان العرب [7] (القدوة من التقدم، يقال فلان لا يقاديه أحد ولا يباريه أحد ولا يجاريه أحد وذلك إذا تميز في الخلال كلها).

أما في الاصطلاح:

(فالاقتداء هو طلب موافقة الغير في فعله)[8] .

والقدوة هو الأسوة والعكس، فالأسوة كما يقول القرطبي رحمه الله (هو ما يتأسى به أي يعتزي به فيقتدي به في جميع أحواله) [9].

والقدوة على نوعين:

إما قدوة حسنة، او قدوة سيئة والفرق بينهما كبير. فالقدوة الحسنة مرتبطة بالاستقامة على منهج الدين الإسلامي الحنيف. والقدوة السيئة ما كانت مخالفة لتعاليم منهج الإسلام. فالأولى حَثَّ عليها الإسلام ورَغَّب فيها وله أجر من يقتدي به إلى يوم القيامة، ومن يكون قدوة سيئة فعليه الوزر ووزر من يقتدي فيه إلى يوم القيامة.

لحديث" مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا"[10].

تعريف الناشئة:

النَّاشِئَةُ: الجاريةُ جاوزت حدَّ الصِّغَر وشبَّت. والجمع: نَواشِئ.

وناشئةُ الليل: الاستيقاظ من النَّوم والقيامُ للصَّلاة[11].

وفي التنزيل العزيز: إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً)[12] .

المطلب الثاني: الحاجة الضرورية للتربية بالقدوة

بداية لابد من التفرقة بين القدوة والأسوة وإن كان البعض لم يفرق بينهما، ولكن هناك ثمت فرق بينهما وهو أن "التأسي أشد في بابه من الاقتداء.

التأسي يجعل معنى الالتزام من الغير بشكل أقوى ولذلك فإنها جاءت مع النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره أفضل الأنبياء والمرسلين (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)[13].

أما القدوة فقد جاءت مع غيره من الأنبياء والصالحين من الصحابة وغيرهم {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ }[14]يعني بالأنبياء والرسل السابقين لمحمد صلى الله عليه وسلم جميعاً، وكذلك ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) [15][16]

ونظراً للواقع الذي تعيشه الامة والضعف الذي آل إليه حالها فإن الحاجة ملحة وضرورية إلى التربية بصفة عامة، وإلى التربية بالقدوة بصفة خاصة

اعتاد الناس على تقليد الآخرين

ومن هنا نلاحظ "أن القدوة أساس في التأثير، والإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها بالقدوة، فقد كان المسلمون من الصحابة ومن غيرهم في تعاملهم مع الآخرين في شتى أمور الحياة كان الواحد منهم قدوة، وكم من إنسان دخل في هذا الدين بسبب تأثره بخلق واحد من أخلاق المؤمنين، ولذلك تجد أن الإنسان قد يتأثر بموقف عملي أكثر بكثير مما لو ألقيت عليه عدة خطب أو قرأ عدة كتب، فالقدوة

---

[4] - المعاني الجامع في تراجم المعاصرين
محمد أبو الفضل إبراهيم بن إسماعيل الزمخشري (1075-1144)

[5] - يالجن، د. مقداد. منابع مشكلات الأمة الإسلامية والعالم المعاصر ودور التربية الإسلامية وقيمها في معالجتها. الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، ص ٧١.

[6] - كتاب المعجم الوسيط مجموعة من المؤلفين ٣٢١/٢، الطبعة الثالثة

[7] - ابن منظور ١٧١/١٥، طبعة دار صادر، بيروت

[8] - فتح القدير للإمام محمد بن علي الشوكاني ١٣٧/٢، طبعة دار الفكر

[9] - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣٧/٨، طبعة دار الثقافة.

[10]- حديث صحيح رواه مسلم ٢٦٧٤

[11] - كتاب المعجم الوسيط
[مجموعة من المؤلفين]

[12] - المزمل آية ٦

[13] - الأحزاب الآية (٢١)

[14] - الأنعام الآية (٩٠)

[15] - حديث حسن أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، وأحمد (٢٣٢٩٣)

[16]- حياة القائد بين القدوة والاقتداء
د. علي بن حسن علي القرني
كلية القيادة والأركان للقوات المسلحة
كتاب مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية
العدد (٢٢) ج ٨ ص٤٨٢[مجموعة من المؤلفين]

لها أساس، والإنسان الذي يقتدي بغيره إنما يقتدي به لأنه رأى الخلق متمثلاً به عملياً، وهذا التمثل العملي هو أن يوافق قوله فعله، أي: أن يكون قدوة[١٧].

ولابد للمسلم من قدوة يقتدي بها ، سيما إذا كانت القدوة من نموذج يحتذى به "لقد فطر الناس على افتقاد القدوة والبحث عن الأسوة، ليكون لهم نبراسا يضيء سبيل الحق، ومثالا حيا يبين لهم كيف يطبقون شريعة الله، لذلك لم يكن لرسالات الله من وسيلة لتحقيقها على الأرض إلا إرسال الرسل، يبينون للناس ما أنزل الله من شريعة"[١٨] قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ، بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [١٩]

ومن هنا كانت الحاجة ملحة وضرورية للتربية بالقدوة بما تسهم إسهاماً كبيراً في تربية الناشئة وإصلاح المجتمع.

المبحثُ الثّاني: التربية بالقدوة وأثرها في إصلاح المجتمع

المطلب الأول: التربية بالقدوة فريضة شرعية، وضرورة بشرية.

ما نشاهده في واقع حياة الناس من انحرافات فكرية، ومخالفات سلوكية بما يتطلب وجود القدوة في حياة الجميع رجالاً، وإناثاً، كباراً وصغاراً

فالطفل لا بد له من قدوة في أسرته، ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية، وينهج على نهجها الرفيع.

والتلميذ في المدرسة لا بد له من قدوة يراها في كل معلم من معلميه، أو مدرس من مدرسيه، ليقتنع حقا بما يتعلمه، وليرى فعلا أن ما يطلب منه من السلوك المثالي أمر واقعي ممكن التطبيق، وأن السعادة الحقيقية الواقعية لا تكون إلا في تطبيقه.

فلا بد للأب والمعلم -وكلاهما مرب- من التحلي بأفضل الأخلاق يستلهمانها من القرآن، ومن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويصبران على تطبيقها والتحلي بها"[٢٠]

وهذه طبيعة بشرية تلبي حاجة الناس إلى" القدوة نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر أجمع هي التقليد، وهي رغبة ملحة تدفع الطفل والضعيف، والمرؤوس إلى محاكاة سلوك الرجل والقوي والرئيس، كما تدفع غريزة الانقياد في القطيع جميع أفراده إلى اتباع قائده، واقتفاء أثره"[٢١].

وكما أن الحاجة إلى التربية بالقدوة مطلب بشري، فهو فريضة شرعية كذلك

لذلك نبه القرآن الآباء إلى أن الاستمتاع بالأطفال، والحنان والعطف عليهم، يجب ألا يشغلهم عن أن يكونوا قدوة صالحة لهم، فقال في وصف عباد الرحمن: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[٢٢]، فوصف عباد الرحمن بأنهم يرغبون في أن تقر أعينهم بالزواج، والولد كما يرغبون في أن يكونوا قدوة وإماما.

كما نبه رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم البشرية عموما إلى ما يتحمله كل من يؤثر في سلوك الآخرين، من النتائج حين يقلدونه بخير أو شر، قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو عمر، وجرير بن عبد الله: "من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"[٢٣]

المطلب الثاني: أثر التربية بالقدوة على الناشئة في إصلاح المجتمع.

مما لا شك فيه أن الإنسان إذا اتخذ القدوة الصالحة متمثلاً ذلك في ذوي القدوة الطيبة في العقيدة الإسلامية الصحيحة بعيداً عن الشرك والإلحاد، والغلو وإفراط وتفريط. والقدوة في العبادة الصحيحة، والالتزام بتعليمات الشريعة الإسلامية المخلص في أدائها، والالتزام بأوامرها، والانتهاء عن نواهيها. والاقتداء بمن يتحلون بالقيم والأخلاق الطيبة

يؤثر كل ذلك على استقامة الناشئة ومن ثم يرتقي ويعمل على إصلاح المجتمع. "وإليكم ما قاله الصحابي الجليل "عبد الله بن مسعود" رضي الله عنه في تعداد محامدهم وفضائلهم، ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة، وأخلاقهم الكريمة: "من كان متأسيا فليتاس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا.. اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، وابتعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

وما زالت الأجيال المسلمة في كل زمان ومكان يرون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الصالحة في العبادة والأخلاق، الشجاعة الثبات، والعزم والمضاء والتعاطف والإيثار، والجهاد ونيل الشهادة.. وما زال شباب الإسلام في كل عصر يستقون من معين فضائلهم، ويستضيئون بنور مكارمهم، وينهجون في التربية نهجهم، ويسيرون في بناء المجد سيرهم؛ لكونهم خير القرون هديا، وأفضل العصور قدوة.

---

[١٧] -كتاب دروس للشيخ [عبد الرحمن بن صالح المحمود] ج ٢ ص ١٩

[١٨] - النحلاوي عبد الرحمن أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع الناشر: دار الفكر الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

[١٩] -النحل: الآية ١٦.

[٢٠] - المرجع السابق ص٢٠٧

[٢١] - المرجع السابق ص٢٠٧

[٢٢] - الفرقان: الآية٧٤

[٢٣] - سبق تخريجه

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فيما رواه البيهقي والديلمي: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم[٢٤]."

من هذه القدوة الصالحة التي تجسدت في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من تابعيهم بإحسان.. انتشر الإسلام في كثير من الممالك النائية، والبلاد الواسعة البعيدة في شرق الدنيا وغربها.

والتاريخ يسطر بملء الافتخار والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان، وجزر لكديف ومالاديف في المحيط الهندي"[٢٥]

المبحثُ الثَّالثُ: التربية بالقدوة بين الواقع والمأمول.

المطلب الأول: عرض واقع المسلمين اليوم من التربية بالقدوة.

إن المتأمل لحال الأمة اليوم يدرك يقيناً بما لا يدع مجالاً للشك من غياب دور التربية بالقدوة، وإن وجد فهو ضعيف لا يفي بما هو مأمول ومرجو والأثر واضح لذي عيان من تنكب للطريق، وابتعاد عن المنهج

من فساد عقدي، وابتعاد عن الشريعة الإسلامية، وانتشار لانحراف في السلوك والأخلاق، وتفكك اجتماعي، وفساد سياسي، وتدهور اقتصادي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القدوة إذا كانت غير طيبة كانت وبالاً على صاحبها أولاً، ونذير خطر كبير على المجتمع كله.

وتكبر الخطورة إذا غابت القدوة الطيبة فلم يجد الأبناء القدوة الطيبة ولا الطلبة من المعلمين والمربية

إن "غياب التربية الإسلامية الواعية، التربية أساساً تكون في البيت والمدرسة، وغياب معنى مراقبة الله عز وجل هو سبب رئيس وراء انهيار مستوى الشباب، من افتقاد قيمة الآخرة، وافتقاد الولاء لهذه العقيدة، إذا لم يكن البيت والمدرسة حريصين على ربط كل سلوكيات الأطفال والشباب بالعقيدة، فهناك خطورة كبيرة جداً على هوية شباب أمة الإسلام، والطامة الجديدة الكبرى هي إلغاء مادة الدين، رأينا هذا الكلام يحدث في هذا الوقت، استبدلت مادة الدين بمادة القيم والأخلاق، وبذلك توجه كل الأخلاق إلى عموميات لا ترتبط بالله عز وجل ولا بالآخرة، كن صادقاً؛ لأن الصدق شيء جميل، نعم هذا معنى، ولكن أعظم منه: كن صادقاً؛ لأن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، اكفل يتيماً؛ لأن المجتمع يجب أن يتعاون، نعم هذا جميل، ولكن أجمل منه[٢٦]: اكفل يتيماً لأن الرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى)[٢٧]،

المطلب الثاني: أسباب غياب القدوة في حياة الناشئة.

المتأمل لحياة الناس يجد أن أسباب غياب القدوة في حياة الناشئة كثيرة ومتعددة منها:

١-عدم وجود هدف واضح للشاب في الحياة فهو يعيش عيشة تقليدية.

٢- البحث عن نجوم معينة في مجالات دنيوية بحتة من لاعبي كرة القدم والفنانين والمشاهير ..... إلخ

٣- فقدان الهوية الإسلامية لدى بعض الشباب.

٤- عدم غرس حب القدوات الطيبة في نفوس الأبناء من قِبل الوالدين

٥- وجود حالة كبيرة من الفراغ في حياة الأبناء مما يضرهم إلى ملئها بالقدوات الفاسدة ومن ثم يكمن الخطر في ذلك.

٦- الانفتاح الإعلامي والاختلاط بثقافة الآخر وتصدر السفهاء مقاليد الثقافة.

وهذا مما عمَّت به البلوى من انتشار وسائل التواصل الاجتماعي دون حسيب أو رقيب.

المبحثُ الرابعُ الآمال المنشودة للتربية بالقدوة في حياة الناشئة.

المطلب الأول: نماذج عملية مضيئة للتربية بالقدوة.

إن من أفضل النماذج العملية للتربية بالقدوة نموذج الأنبياء عليهم السلام وفي القلب من تلك النماذج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد كان أنموذجاً يحتذى به في كل مناحي الحياة. ونلحظ ذلك في التربية بالقدوة مع الصغار، والكبار، والرجال والنساء. ففي أي شأن أردت النجاح في الحياة أن تُقَوِّمَ سُلوكَكَ وتتخذ القدوة الطيبة منه صلى الله عليه وسلم قال تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[٢٨]

"وقد اقتدى به السلف الصالح في احتماله لما كان يلاقيه في سبيل الدعوة إلى الحق من العناء والمكابدة، وفي صلته بالأفراد والجماعات، ومعاملته لهم، ودعوته إلى الحق، وإرشادهم إلى وجوه الخير، وسبل السعادة!

وتدعو إلى التأسّي بالرسول - صلى الله عليه وسلم - في صدق جهاده وقوة صبره على أدواء الحياة وشظفها وشدة أزماتها، وتحمل أشد البلاء في سبيل نشر رسالته؛ لإعلاء

---

[٢٤] - أخرجه الدارقطني في ((المؤتلف والمختلف)) (١٧٧٨/٤)، وابن عبد البر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (١٧٦٠) بسند ضعيف.

[٢٥] - المرسي كمال الدين عبد الغني
كتاب من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي ص ١٢٤ الناشر: دار المعرفة الجامعية
الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

[٢٦] - دروس الدكتور راغب السرجاني
المؤلف: راغب السرجاني
مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
http://www.islamweb.net
الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ١٠ دروس

[٢٧] - أخرجه مسلم (٢٩٨٣)

[٢٨] - الأحزاب (٢١)

كلمة الله، ومجاهدة شراذم الكفر، وأهل النفاق، ليعلموا أن خَلَف هذه الأمة كسلفها لهم في رسول الله أسوة حسنة، ولن يتحقق هذا إذا اقتصر التأسي على المظاهر التي لا تكلف قليلاً أو كثيراً، ولا تؤثر في رفع راية العقيدة من قريب أو بعيد، وإنما يكون التأسي على هذا المستوى، ولن يتحقق ذلك التأسي إلا لمن صفا قلبه، واستنار بنور الهداية فؤاده، واستوى في الإخلاص للإسلام باطنه وظاهره"[٢٩]، ويتجلى ذلك واضحاً في موقفه صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية والموقف العملي للتربية بالقدوة لأصحابه رضي الله عنهم ومن ذلك موقفه في صلح الحديبية

قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا، قالَ: فَوَاللَّهِ ما قَامَ منهمْ رَجُلٌ حتَّى قالَ ذلكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ منهمْ أحَدٌ دَخَلَ علَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا ما لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، أتُحِبُّ ذلكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أحَدًا منهمْ كَلِمَةً، حتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أحَدًا منهمْ حتَّى فَعَلَ ذلكَ؛ نَحَرَ بُدْنَهُ، ودَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذلكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا، وجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا"[٣٠]

وضرب صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى للمسلمين في كل زمان ومكان "فقد سَأَلْتُ عَائِشَةَ ما كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَصْنَعُ في بَيْتِهِ؟ قالَتْ: كانَ يَكونُ في مِهْنَةِ أهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إلى الصَّلَاةِ"[٣١].

كما ضَرَبَ أروعَ الأمثلة في التَّعاملِ سياسياً في تعامله مع الملوك والحكام كما يظهر ذلك في تعامله مع هرقل ملك الروم والمقوقس ملك مصر وكسرى ملك فارس، كما ضرب أفضل النماذج اقتصادياً واجتماعياً وخلقياً مع الصحابة رضي الله عنهم، ومع غير المسلمين بالمعاملة بالحسنى. ليكون قدوة طيبة لجميع المسلمين.

المطلب الثاني: النتائج المثمرة للتربية بالقدوة في إصلاح المجتمع.

مما لا شك فيه أن النتائج الناتجة عن التربية بالقدوة في إصلاح المجتمع كثيرة ومتعددة منها:

١. تسهم إسهاماً بالغاً في التربية والتعليم " القدوة الصّالحة، والأسوة الحسنة، التي كانوا يجدونها في رسول الله صلّى الله عليه وسلم ماثلة كاملة، جذابّة أخّاذة، ولا شكّ أن القدوة الصّالحة خير عامل من عوامل التّعليم والتربية والتّأديب والتّهذيب. ولم يعرف التّاريخ ولن يعرف قدوة أسمى ولا أسوة أعلى ولا إمامة أسنى من محمد صلّى الله عليه وسلم في كافة معناه الكمال البشري، خصوصا خلقه الرّضي، وأدبه السّني، ولا سيما صدقه وأمانته وتحريه ودقته[٣٢].

٢. أدعى لسرعة التطبيق والتنفيذ للتعليمات باتباع الأمر واجتناب النهي.

ويتضح ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "خُذوا عني مناسِكَكم"[٣٣]

وقوله صلى الله عليه وسلم "صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"[٣٤]

٣. أدعى إلى استقامة الناشئة، ومن ثم إصلاح المجتمع فإن الشخص إذا رأى المُقْتَدَى فيه يقوم بما يجب القيام به، كان ذلك الأمر معيناً على الاقتداء وبه يقوم صلاح الفرد والمجتمع.

الخاتمةُ:

تناولت في هذا البحث بعد توفيق الله تعالى وتوفيقه **دور التربيةُ الإسْلاميَّةُ بالقُدوةِ في تربيةِ النَّاشِئَةِ لإصْلاحِ المُجْتَمَعِ**

أهم النتائج:

وتحصَّلتُ في نهاية البحث على النتائج التالية:

١. ضرورة وأهمية التربية بالقدوة أكثر من غيرها في إصلاح الفرد والمجتمع.

٢. ضرورة المبادرة من التربويين والمسؤولين وأولياء الأمور إلى اختيار وتطبيق هذا النمط من التربية.

٣. تحصيل ثمرة التربية بالقدوة في إصلاح الفرد والمجتمع أكثر من غيرها.

التوصيات:

١. توجيه المؤسسات التربوية ومحاضن التربية إلى الاهتمام بالتربية بالقدوة.

٢. توجيه أولياء الأمور أن يكونوا قدوة طيبة للأبناء، لكون الاقتداء بهم تلقائياً من الأبناء.

٣. تسليط الضوء على هذا النمط من أنواع التربية لنجاعته وقوته أكثر من غيره، بوضع مقرر دراسي جامعي، أوما قبل الجامعي.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[٢٩] - الجامع الصحيح للسيرة النبوية ١/٦ ص ٢١٨المرصفي سعد ت ١٤٣٩ هـ
دار ابن كثير، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

[٣٠] - **جزء من حديث طويل** صحيح البخاري٢٧٣١

[٣١] - صحيح البخاري ٦٧٦ أخرجه الترمذي (٢٤٨٩)، وأحمد (٢٤٢٢٦)، والطيالسي (١٤٨٠) باختلاف يسير.

[٣٢] - الإصابة في تمييز الصحابة ٥١/١
ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)
تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ

[٣٣] - إسناده صحيح ١٨٣/٦ أخرجه النسائي (٣٠٦٢)

[٣٤] - أخرجه البخاري (٦٠٠٨)، ومسلم (٦٧٤)

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المراجع:

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري
دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠
المستدرك على الصحيحين.
- أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي الجامع لأحكام القرآن
تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش
الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة
الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م
- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني) ٢٧٧١ مسند الإمام أحمد بن حنبل. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني.) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض الإصابة في تمييز الصحابة الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ مطبعة الصباح، الطبعة الثالثة
- المرصفي سعد ت ١٤٣٩ هـ الجامع الصحيح للسيرة النبوية 6/1ص
دار ابن كثير، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
- المرسي كمال الدين عبد الغني
- كتاب من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي ص ١٢٤ الناشر: دار المعرفة الجامعية
الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م
- راغب السرجاني دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
http://www.islamweb.net
الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ١٠ دروس
- النحلاوي عبد الرحمن أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع الناشر: دار الفكر
الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م
- داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو
- الأزدي السِّجِسْتاني. سنن أبي داود. المكتبة العصرية.
- محمد أبو الفضل إبراهيم بن إسماعيل الزمخشري (١٠٧٥-١١٤٤)
المعاني الجامع – المكتبة الشاملة
- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري.) ١٤٢٢. صحيح البخاري. دار طوق النجاة، الطبعة الأولى.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري.) ١٤١٧ التمييز. مكتبة الكوثر، الطبعة: الثالثة.
صحيح مسلم مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود الدارقطني. ٢٧٧٤ (. سنن الدارقطني. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- د. علي بن حسن علي القرني حياة القائد بين القدوة والاقتداء
كلية القيادة والأركان للقوات المسلحة كتاب مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية العدد (٢٢)]مجموعة من المؤلفين[
- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) لسان العرب المؤلف: الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ
- محمد بن علي الشوكاني فتح القدير طبعة دار الفكر
- نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة المعجم الوسيط
الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الطبعة: الثانية دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، وغيرهما كثير
عبد الرحمن بن صالح المحمود كتاب دروس
- يالجن، د. مقداد. منابع مشكلات الأمة الإسلامية والعالم المعاصر ودور التربية الإسلامية وقيمها في معالجتها. الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، ص ٧١.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

التسامح في الفكر التربوي الإسلامي (العصر العباسي الأول أنموذجاً).

د. أبرار بنت مهدي أحمد منشي

كلية التربية - جامعة أم القرى – مكة المكرمة.

Tolerance in Islamic educational thought (The first Abbasid era as a model).

dr. ABRAR Mahdi Munshi

College of Education - Umm Al-Qura University - Makkah Al-Mukarramah.

E-mail: ammunshi@uqu.edu.sa

الكلمات المفتاحيّة:

التسامح الديني _ الانفتاح الثقافي_ التفاعل الثقافي _ المراكز الثقافية.

KEY WORDS:

religious tolerance _ cultural openness _ cultural interaction _ cultural centers.

مستخلص البحث:

كان للخلافة العباسية في العصر الأول، علاقات دبلوماسية متميزة في عدد من الميادين الثقافية والاجتماعية وصلت إلى درجة كبيرة من الرقي والنماء وقمة الحضارة، جعلها عامل جذب لبقية الأقوام من الأمم الأخرى والديانات المختلفة، مما دعاهم إلى أن يستعربوا، لما وجدوا في الثقافة الإسلامية من خصال تعبر عن روح التعايش والتسامح الديني الذي ساد في ذلك العصر فالتسامح الديني بين الأمم والشعوب أكسب الحضارة الإسلامية القدرة على إفادة الإنسانية، التي دفعت بعجلة التقدم الثقافي في شتى مجالاته العلمية والأدبية والفكرية؛ والتسامح دليل على امتلاك أبناء الثقافة الإسلامية حضارة وثقافة مكنتهم من تحقيق المزيد من التقدم الحضاري. ويمكن القول بأن الحضارة الإسلامية بلغت أوجها، وازدهرت ازدهاراً عظيماً في العصر العباسي الأول، يدلل على ذلك الآثار التي خلفتها الحضارة العباسية في المجالات المختلفة.

ولذا جاء هذا البحث والذي يهدف إلى إيضاح التسامح في الفكر التربوي الإسلامي في العصر العباسي الأول في الجانب الثقافي، واستعراض العلوم التي ساعدت على تعزيز قيم التسامح الديني بين المسلمين والآخر في ذلك العصر، ومن أجل الإجابة على أسئلة البحث وتحقيق أهدافه سيتم استخدام كلاً من المنهج الوصفي والمنهج التاريخي.

ABSTRACT:

The Abbasid caliphate, in the first era, had distinguished diplomatic relations in a number of cultural and social fields, which reached a great degree of sophistication, development, and the pinnacle of civilization, which made it an attractive factor for the rest of the peoples of other nations and different religions, which prompted them to Arabize, for the characteristics they found in Arab culture. On the spirit of coexistence and religious tolerance that prevailed in that era. Religious tolerance between nations and peoples gave Islamic civilization the ability to benefit humanity, which drove cultural progress in its various scientific, literary and intellectual fields. It can be said that the Arab-Islamic civilization reached its peak and flourished greatly in the first Abbasid era, as evidenced by the effects left by the Abbasid civilization in various fields.

Therefore, this research, which aims to clarify tolerance in Islamic educational thought in the first Abbasid era in the cultural aspect, and to review the sciences that helped to promote the values of religious tolerance between Muslims and the other, and in order to answer the research questions and achieve its goals, both the descriptive approach and the historical approach will be used.

المقدمة:

تعد الحضارة الثقافية في العصر العباسي الأول (١٣٢- ٢٣٢هـ/ ٧٥٠ – ٨٤٧م) بمثابة البنية التحتية التي يمكن أن ينشأ عليها تنظيراً، لتكتمل بذلك الرؤية الحضارية التي من خلالها يمكن إبراز دور العرب المسلمين في إنماء الحضارة الإسلامية بشكل خاص، والحضارة الإنسانية بشكل عام.

فقد كان للخلافة العباسية في العصر الأول، علاقات دبلوماسية متميزة في عدد من الميادين الثقافية والاجتماعية وصلت إلى درجة كبيرة من الرقي والنماء وقمة الحضارة، مما جعلهاعامل جذب لبقية الأقوام من الأمم الأخرى، والديانات المختلفة، مما دعاهم إلى أن يستعربوا، لما وجدوا في الثقافة الإسلامية من خصال تعبر عن روح التعايش والتسامح الديني الذي ساد في ذلك العصر.

فالتسامح الديني بين الأمم والشعوب يكسب الحضارة الإسلامية القدرة على إفادة الإنسانية، التي تدفع بعجلة التقدم الثقافي في شتى مجالاته العلمية والأدبية والفكرية، فالتسامح دليل على امتلاك أبناء الثقافة الإسلامية، حضارة وثقافة تمكنه من تحقيق المزيد من التقدم الحضاري.

فيمكن القول بأن الحضارة الإسلامية بلغت أوجها، وازدهرت ازدهاراً عظيماً في العصر العباسي الأول؛ وقد دلل على ذلك الآثار التي خلفتها الحضارة العباسية في المجالات المختلفة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها: ساهمت المنطلقات الثقافية في ترسيخ التسامح الديني بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى، فكيف كان الانفتاح على ثقافة الآخر؟ وماذا خلف هذا الانفتاح؟ فيمكن إيضاح مشكلة الدراسة من خلال أسئلة البحث التالية:

س١/ ما العلوم التي ساعدت على الانفتاح على ثقافة الآخر لترسيخ التسامح الديني في العصر العباسي الأول؟

س٢/ ما أثر التفاعل الثقافي بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى في ترسيخ التسامح الديني في العصر العباسي الأول؟

س٣/ ما المراكز الثقافية الممثلة للتسامح الديني في العصر العباسي الأول؟

وهدفت الدراسة إلى:

- إيضاح المنطلقات الثقافية في العصر العباسي الأول لترسيخ التسامح الديني.
- استعراض العلوم التي ساعدت على ترسيخ التسامح الديني في العصر العباسي الأول.
- بيان أثر التفاعل بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى في ترسيخ التسامح الديني في العصر العباسي الأول.
- ذكر المراكز الثقافية الممثلة للتسامح الديني في العصر العباسي الأول.

منهج الدراسة: من أجل الإجابة على أسئلة البحث وتحقيق أهدافه استخدمت الباحثة كلاً من المنهج الوصفي والمنهج التاريخي.

حدود الدراسة: اقتصرت الدراسة على دراسة العصر العباسي الأول – المنطلقات الثقافية التي ساهمت في ترسيخ التسامح الديني.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: محمد، نور ضياء الدين. (٢٠٢٠). المراكز العلمية في بغداد العصر العباسي الأول، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم التاريخ، هدفت الدراسة للتعرف على المراكز العلمية في العصر العباسي الأول، وآداب المتعلم أتجاه شيخه، وأبرز النتائج التي توصلت لها الدراسة: أن المراكز العلمية كانت مرحلة من مراحل التطور العلمي أدت فيما بعد الى قيام المدارس وخاصة في بغداد، كالمدرسة النظامية ولقد ضمت هذه المراكز خير علماء الأمة الإسلامية.

الدراسة الثانية: النقيرة، محمد عبد الله. (١٩٩٢). العلاقات الثقافية بين العراق وخرسان في العصر العباسي الأول، مجلة ندوة التاريخ، جامعة القاهرة، كلية الآداب والعلوم، قسم التاريخ، ع٩، هدفت الدراسة للتعرف على العلاقات الثقافية بين العراق وخرسان في العصر العباسي الأول، وأبرز النتائج التي توصلت لها الدراسة: أثر الثقافة العراقية على أهل خرسان فاق أثر الثقافة الخرسانية على أهل العراق.

وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة من حيث أن الدراسة الحالية تتناول دراسة المنطلقات الثقافية لترسيخ التسامح الديني في العصر العباسي الأول، لتدرس علاقتها بجميع الثقافات السائدة في تلك الحقبة الزمنية.

أولاً: الانفتاح على الثقافات الأجنبية في العصر العباسي الأول.

أ/ **الترجمة: هي** ترجمة مفرد: ترجمة آنيَّة - ترجمة فوريَّة- مصاحبة للنص الأصليّ أثناء إلقائه- ترجمة حَرْفيَّة: النقل من لغة إلى أخرى نقلاً حرفيًّا- ترجمة حُرَّة/ ترجمة بتصرُّف: لا تتقيَّد بحرفيّة النقل.

• ترجمة الأديب: سيرته وحياته "تراجم الصحابة". التَّرجمة الذَّاتيَّة: سيرة ذاتيّة يكتبها الإنسان لنفسه. (عمر،٢٠٠٨، ص٢٨٩) ج١.

إن من أهم العوامل وراء حركة الترجمة انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد التي تحولت إلى بوتقة التقت بها سائر الحضارات وتمازجت لتسهم في تطور الحياة العقلية، وضاف إلى ذلك الطابع العام للدولة العباسية التي بلغت الترجمة فيها عصرها الذهبي، فحفل العصر العباسي بحياة عقلية نشطة، وبجو فكري ملئ بالحيوية والحركة، فكانت بغداد في العراق بيئة صالحة نبت فيها الفكر وازدهرت فيها

الحياة الثقافية. وقد قسم حران (٢٠٠٤) حركة الترجمة في العصر العباسي إلى مرحلتين: (ص٤٤)

المرحلة الأولى: تبدأ من خلافة الخليفة المنصور عام ١٣٤هـ/٧٠٣م إلى آخر خلافة الخليفة هارون الرشيد: فقد كان الخليفة المنصور مولعاً بالطب، والنجوم، والفلك، والهندسة، وهو أول خليفة ترجم له ابن المقفع الفارسي، الذي يعد أول من ترجم من الفارسية إلى العربية فترجم من اللغة الفارسية القديمة "الفهلوية" كتاب "كليلة ودمنة"، وله العديد من الكتب المترجمة كتاباه "الأدب الصغير" و"الأدب الكبير" وكتابه "اليتيمة" وهو في طاعة السلطان، وترجم محمد بن إبراهيم الفزاري للخليفة المنصور كتاب "السند هند"، ويعد من أهم ما عُرّب من كتب الهند لمؤلفه (براهما جوبتا) في حركات النجوم (ابن النديم، ١٩٩٧، ص٨٦).

المرحلة الثانية تبدأ من عهد المأمون (١٩٨هـ/ ٨١٣م) إلى نهاية القرن الثالث الهجري: في هذا المرحلة تجاوزت الترجمة العلوم العلمية إلى العلوم الطبيعية والفلسفية وبلغت حركة الترجمة ذروتها في عصر المأمون وهو العصر الذهبي للعلوم العربية، وكان المأمون واسع المعرفة، سخي اليد، مشجعاً لرجال الفكر، محب للفلسفة بسبب ميله لمذهب المعتزلة، كما عرف بإنفاقه الأموال الطائلة في سبيل الترجمة، حتى ليروى أنه كان يعطي المترجم وزن الكتاب الذي يترجمه ذهباً، وبعث الوفود إلى الهند، و فارس وبلاد الروم بحثاً عن الكتب العلمية النفيسة وشرائها، وجعل الحصول على كتب الفلسفة والعلوم شرط من شروط الصلح في حروبه مع الروم وغيرهم (الشواورة،٢٠١١، ص٣٣٣).

تعد الترجمة في العصر العباسي الأول سياسية من سياسات الدولة العباسية، فقد شجع كلا من الخليفة المنصور، والرشيد والمأمون حركة الترجمة، التي استمرت في نشاط بالغ من منتصف القرن الثامن الميلادي حتى نهاية القرن التاسع الميلادي، وفي هذه الفترة عكف المترجمون على نقل وترجمة أمهات الكتب من السريانية واليونانية وغيرها إلى العربية.

فكانت سياسة الدولة العباسية في الترجمة هي البدء من حيث أنتهى الآخرون، فاهتم خلفاء العصر العباسي الأول، بما وصلت إليه الأمم الأخرى من منجزات علمية، يمكن توظيفها في خدمة الدولة العباسية على مختلف تخصصاتها، فعني الخلفاء العباسيون منذ فاتحة عصرهم بالنقل عناية شديدة، فأنفقوا عليه من المال العام مبالغ كثيرة، يتقدمهم في ذلك الخليفة أبو جعفر المنصور الذي وصفه المسعودي، بقوله: "كان أول خليفة قرّب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات الأعجمية إلى العربية" (المسعودي، ١٩٧٣، ص٢٤١)ج٤.

ونهج الخليفة هارون الرشيد نهج والده الخليفة المهدي فترجم الكتب ونقلها إلى اللغة العربية، بهدف إغناء الفكر العربي من علوم الأمم الأخرى والانفتاح على ثقافات لم تصل إلى العرب بحكم طبيعة حياتهم، ومعاشهم، وان ما وجدوه من علوم ومعارف، شكّل نهضة علمية وفكرية أسهمت في الازدهار الحضاري. وقد أخبر (القفطي) أن حركة الترجمة قد نشطت في عصر الرشيد ووزرائه البرامكة نشاطاً واسعاً، وأوكل الرشيد هذه المهمة إلى يوحنا بن ماسويه. (ص٣٨)، وكان طبيباً من مدرسة جنديسابور، فقد ترجم الكتب الطبية القديمة، وعيّنه أميناً على الترجمة، ووضع كتّاباً حذّاقاً يكتبون بين يديه، (ابن القفطي، ص٢٤٩). " كما شجع البرامكة تعريب صحف الأعاجم حتى قيل: إن البرامكة كانت تعطي المعرِّب زنة الكتاب المعرب ذهباً (ابن الطقطقا، ٢٠١٢، ص٢٣٥).

كما ترجم المأمون كتب العلوم النافعة إلى العربية، وأمر بوضعها موضع التطبيق العملي، فُبنيت المراصد، والمدارس التي أمر فيها بتعلم الكتب المترجمة، ونبغ في عصره، وما تلاه كبار المترجمين، وبفضل ذلك أصبحت بغداد في عصر المأمون أعظم مركز للترجمة والنقل في العالم (ابن النديم،١٩٩٧، ص٢٠٥)

مما يؤكد أن الترجمة أمانة ومسؤولية كبرى، لابدّ فيها من تبادل الثقة مع من يتولاها، وهو تعبير عن روح التعايش والتسامح الذي كان سائداً بين الخليفة وغير المسلمين في العصر العباسي الأول.

من الناحية السياسية فقد ظهرت الحاجة للترجمة نتيجة الحاجة الجديدة للدولة الإسلامية للاضطلاع بوظيفتها حسب مقتضيات المرحلة، وسط تلاقح حضاري مقابل جهاز حكومي متطور عند فارس أو عند الروم، فتوسعت الترجمة فيما يتعلق بالإدارة ومتطلباتها، مما حقق التسامح الديني في الدول المفتوحة.

وترجمت إلى العربية كتب أرسطاليس، في الفلسفة والمنطق، وكتب أقليدس في الرياضيات، وكتب بطليوس في الكواكب والنجوم والفلك، وكتب جالينوس وإيبقراط في الطب، كما ترجم من اللغات الفارسية والهندية عدد من الكتب في عصر الرشيد، وترجم من كتب التاريخ الفارسية عدد آخر في عصر المأمون (العش،١٩٩٦)

ب- التعريب: مدلولاتها اللغوية: تعرَّبَ/ تعرَّبَ لـ يتعرَّب، تعرُّبًا، فهو مُتعرِّب، والمفعول مُتعرَّب له.

تعرَّب الشَّخصُ :صار عربيًّا، تشبَّه بالعرب، أقام بالبادية "تعرَّب الشَّابُّ - سائح متعرِّب."

عرَّب الكلمةَ الأجنبيَّةَ: نقلها بلفظها الأجنبي مصبوغةً بصِبغةٍ عربيّة، عرَّبَ الكتابَ الأجنبيّ :نقله، أو ترجمه إلى العربيَّة "انتشر تعريبُ القصص في أيَّامنا، بحثٌ مُعرَّب (عمر، ٢٠٠٨).

والاستعمالات الأخرى لكلمة تعريب؛ ترجع في جملتها إلى معنى الإيضاح والإبانة والإفصاح، وهي تشمل إدخال اللفظ الأعجمي في الفصحى بعد صقله على منهاجها وإنزاله في أوزانها وأقيستها قد يضيع من خلاله الأصل، وقد تبقى منه آثار صوتية تدلُّ عليه (هبو،١٩٨٩، ص٩٥-١١٠).

إذاً فمفهوم التعريب: هو جعل الفصحى لغة الكتابة والخطابة والتعليم والإعلام، وجميع أنواع الاتصال الذي يستخدم الكلمة وسيلة للاتصال (عبد الهادي،١٩٨٨، ص٣٧-٤٣).

إذًا فالتعريب أشمل من النقل والترجمة، والنقل والترجمة بُعدٌ من أبعاد التعريب، أو هي "وجهٌ من أوجه فعل أشمل، هو الذي يكوِّن التراثات (المقدسي، ١٩٧٥، ص١٤-١٦-٤٩-٥٥)

هذا من حيث النقل والترجمة إلى اللغة العربية، وإلا فالنقل والترجمة أشملُ، من حيث المفهوم الذي جاء به محمد ديداوي: "من أن النقل والترجمة مفهوم ذو وجهين: نقل من اللغة وإليها" (١٩٨٥، ص٥٥-٧٥)

بدأت حركة تعريب واسعة النطاق في النواحي العلمية والثقافية في العصر العباسي الأول منذ خلافة أبي جعفر المنصور، الذي كان شغوفاً بالطب والهندسة، ويعتقد بالنجوم، وهو أول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة، فبعث إليه كتاب أقليدس (حاجي، ٢٠٠٨، ص٣٧٩).

أمر الرشيد نقل كتب حكماء الفرس التي جمعت من خراسان وفارس إلى اللغة العربية. (ابن النديم، ١٩٩٧، ص٤٢٤)؛ حيث يعد وجود الفرس في المناصب الإدارية والقيادية في العصر العباسي أدى إلى تسرب بعض الألفاظ الفارسية إلى اللغة العربية، وذلك بعد الفتح الإسلامي لبلاد فارس وجدت بعض المصطلحات التي لا يوجد مقابل لها في العربية، مما اضطرهم إلى تعريبها أو أخذها كما هي (أمين، ص١٧٤) ج١.

ولما تولى الخليفة العباسي المأمون الخلافة، اهتم بتعريب علوم الأوائل واقتدى بسياسة والده الرشيد في اهتمامه بالعلوم فبلغ التمازج الثقافي بين الثقافة الإسلامية الجديدة، وعلوم الأولين درجة كبيرة من التقدم، وبهذا التمازج الثقافي تولدت معايشة حقيقية بين المسلمين وغير المسلمين (ابن النديم، ١٩٩٧، ص٣٣٩). فأخذ يُضمِّن شروط الصلح مع ملوك الروم إرسال كتب الحكمة، فكان أحد شروط الصلح بينه وبين ميخائيل الثالث، أن ينزل للمأمون عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية، وكان من بين ذخائرها الثمينة، كتاب بطليموس في الفلك، فأمر المأمون بتعريبه وسماه المجسطي (ابن النديم، ١٩٩٧، ص٣٣٩).

إن هذا الاتفاق بين المأمون وملك الروم، يدل دلالة واضحة على اهتمامه برقي الدولة العباسية في المجالات العلمية والفلسفية بما يجعل منها أمة مواكبة لحضارات بقية الأمم الأخرى. وبلغت حركة التعريب أشدها في عصر المأمون، إذ حرص على نقل ما يتفق مع العقلية العربية الجديدة، فبلغ التمازج الثقافي بين الثقافة الإسلامية الجديدة، وعلوم الأولين درجة كبيرة من التقدم، وبهذا التمازج الثقافي تولدت معايشة حقيقية بين المسلمين وغير المسلمين (ابن النديم، ١٩٩٧، ص٣٣٩).

ثانياً: أثر التفاعل الثقافي بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى في تعزيز قيم التسامح الديني في العصر العباسي الأول.

ذكر نيكلسون "أن المسلمين في العصر العباسي انطلقوا يجوبون بلاد القارات الثلاث، بحثاً عن ينابيع الثقافة، محلقين فوق بساتينها كالنحل، ليعودوا بعد ذلك بالشهد إلى طلابهم المتعطشين له، مصنفين أعمالهم بما بذلوه من جهد متواصل، حتى أصبح أشبه ما يكون بدوائر المعارف التي كان لها أكبر الأثر في نقل هذه العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل" (١٩٣٠، ص٢٨١).

١. اللغة العربية وأثرها في غرس قيم التسامح الديني في العصر العباسي الأول:

أن انتشار اللغة العربية أدى إلى الشعور بالانسجام والتجانس بين أبناء الأمم المحررة والمفتوحة رغم اختلاف ديانتهم وحضارتهم، فوحدت اللغة العربية انتماءهم وشعورهم وأهدافهم، وكان لها أثر في إقبال الكثير من غير المسلمين للدخول في الإسلام (ابن عماد الحنبلي، ١٩٨٦، ص٩٢) ج٢.

فأقبل سكان البلاد المفتوحة، على تعلم اللغة العربية، والقراءة والكتابة، ليستفيدوا منها في دينهم ودنياهم، حتى أنهم تعلموا النحو لإصلاح لغتهم (الأصفهاني،١٩٩١، ص١٧٦) ج٥. وأكد ماجد أن سكان البلاد المفتوحة أقبلوا على تعلّم اللغة العربية فعلاً، ونقلوا إليها علومهم وحتى كتبهم المقدسة كالتوراة والإنجيل والزبور، لإظهار تراثهم الحضاري والثقافي للفاتحين (١٩٩٦).

كما أقبل غير العرب على تعلم العربية ليس بسبب الإكراه والإجبار، فيذكر بارتولد" إن غلبة العربية كان بالاختيار لا بسلطان الحكومة، وأن تسامح العرب أدى إلى انتشار العربية" فقد أصبح حنين بن اسحق – عالم ومترجم وطبيب عربي مسيحي- حجة في اللغة العربية (ص٣٠).

_ أثر اللغة العربية في الثقافة الإسلامية يعد من أبرز منطلقات التسامح الديني في العصر العباسي، وذلك لأن الجهود المبذولة في العصر العباسي في جانب اللغة العربية لا يمكن تجاهله، فقد وجدت الدولة العباسية نفسها أمام تحديات عظيمة من خلال الانفتاح على الأمم الأخرى. فالذخيرة العلمية والثقافية والحضارية التي اتسعت أمام الحضارة الإسلامية لم تكن بالأمر الهين فكان لابد من الالتفات للغة العربية وفنونها التي ساهمت في إحداث

التسامح الفكري والحضاري في ذلك الوقت، فعلى إثر الفتوحات المتعددة تضخم معجم اللغة العربية في العصر العباسي من طريقين:

الأول: التوسع في مدلول الكلمات العربية، فالنحوي يعرف الفاعل والمفعول، والمنطقي يعرف القضية والموضوع والمحمول وهكذا (أمين،٢٠١٧، ص٢٨٩).

الثاني: نقل الكلمات الأجنبية نفسها إلى اللغة العربية وأكثر ما كان ذلك في أسماء البلدان، النباتات، الحيوانات، الآلات، والأمراض التي لم يكن يعرفونها من قبل (أمين،٢٠١٧، ص٢٩٠)

علوم اللغة: لقد ترتب على توسع الثقافة في العصر العباسي الأول أن اللغة العربية قد كانت لغة الوحي، ثم لغة الشعر، ثم أصبحت في ذلك العصر لغة العلوم أيضاً؛ فكانت اللغة العربية، أداة الثقافة العربية طالما أن الحكام يتكلمون بالعربية، مما يدل على طابع الخلافة العباسية العربي.

في الواقع أن لغات الشعوب المفتوحة كانت قد بدأت تنتكس أمام اللغة العربية، منذ أن انتشر الإسلام فيها، فقد اعتبر الفرس لغتهم ملعونة لاتصالها بالمجوسية دين الفرس قبل إسلامهم، وأصبح من الزندقة أن لا تعرف العربية (ابراهيم، ١٩٦٤، ص٦١)ج٢.

علم النحو: نشأ علم النحو في البصرة والكوفة واللتان كانتا من أهم مراكز الثقافة في ذلك العصر، وفيهما كانت تقيم جاليات عربية تنسب إلى قبائل عربية مختلفة ذات لهجات متعددة، وآلاف من الصناع والموالي الذين كانوا يتكلمون الفارسية، وقد برز في هذا العلم في العصر العباسي الأول، أبو عمر بن العلاء والخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض، وصاحب كتاب العين الذي يعتبر أول معجم وضع في اللغة العربية، وسيبويه الفارسي صاحب كتاب سيبويه، والمبرد صاحب كتاب الكامل، ومن أشهر علماء الكوفة الكسائي مهذّب الأمين والمأمون (البهجي، ٢٠١٧، ص١٦٦)

الشعر: شهد العصر العباسي ثورة ضخمة في الشعر، وظهر كثير من الشعراء الذين نهجوا بالشعر مناهج جديدة في الموضوعات والمعاني والأساليب والألفاظ، حتى فاقوا كل من سبقهم من الشعراء الإسلاميين والمخضرمين والجاهليين، وقوي شعر المدح والرثاء، وازداد الشعر الحكمي، وظهر الشعر الزهدي والصوفي والفلسفي والتعليمي والقصصي، واهتموا بتزويق اللفظ واستعمال ضروب البديع من جناس وطباق (البهجي،٢٠١٧، ص١٦٧).

علم الكلام: إن من أبرز ما خلفته الحضارة العباسية حلقة المتكلمين التي يجري فيها مناظرات ومحاورات بين المسلمين أنفسهم، وبينهم وبين أصحاب الملل والنحل، ذكر أمين "أن علم الكلام وإن أُخذ من الثقافات الأجنبية، فقد كان في صلبه وروحه إسلامياً عربياً؛ ففي أوائل العصر العباسي امتزجت بالثقافات الواسعة، وبالرغم من ذلك ظلت ذات لون إسلامي عربي واضح، فكانت أساسا لفلسفة إسلامية مبتكرة" (٢٠١٥).

ومن الجدير بالذكر أن العصر العباسي الأول قد تميز باختلاط كبير بين سكان الأمم المفتوحة، وامتزاجهم؛ حيث استطاع الخلفاء العباسيون بسياستهم المتسامحة إحداث هذا الامتزاج القوي بين العناصر والأقوام والشعوب والجماعات المختلفة. (ابن النديم، ١٣٤٨، ص٥١-٥٢) وذكر ابن القفطي: أن هذا الامتزاج لم يبلغوه بامتلاك الأرض المفتوحة، بل بلغوه باحترام الاختلاف والتنوع والتعدد الديني والفكري والثقافي والاجتماعي الذي تميزت به تلك المجتمعات" (ص٢٢١-٢٢٣).

وفي ظل التسامح الثقافي، ظلت كثير من اللغات الأصلية متداولة حتى في أكثر البيئات عروبة مثل: (العراق، وبلاد الشام)، كالآرامية أو السريانية، فضلاً عن الفارسية والتركية واليونانية وغيرها (ابن القفطي، ص١٧٥).

ومما عرف عن العصر العباسي أن اللغة العربية واللغة السريانية كانتا اللغتين السائدتان في ذلك العصر، فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المطهرة ولا يمكن قراءة القرآن إلا بها، قول الله تعالى: **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾**،(سورة الزخرف: آية٣) وقال تعالى: **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾**(سورة الشعراء: آية ١٩٣-١٩٥).

كما اقبل سكان البلاد المفتوحة على تعلم اللغة العربية، ودراسة آدابها، وأخذوا يصوغون أفكارهم وعلومهم وآدابهم بما ينسجم والدين الإسلامي والتقاليد العربية، فأصبحت العربية اللغة السياسية والثقافية السائدة (ابن النديم، ص٢٤٤).

أدى انتشار اللغة العربية إلى الشعور بالانسجام والتجانس بين أبناء الأمم المحررة والمفتوحة رغم اختلاف ديانتهم وحضارتهم، فوّحدت اللغة العربية انتماءهم وشعورهم وأهدافهم، وكان لها أثر في إقبال الكثير من غير المسلمين للدخول في الإسلام. (ابن العماد الحنبلي، ١٩٨٦، ص٩٢) ج٢، وأقبل غير العرب على تعلم العربية ليس بسبب الإكراه والإجبار، فيذكر بارتولد" إن غلبة العربية كان بالاختيار لا بسلطان الحكومة، وأن تسامح العرب أدى إلى انتشار العربية" فقد أصبح حنين بن اسحق حجة في اللغة العربية (ص٣٠).

٢. أثر التفاعل الحضاري بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى:

ظهر ذلك من خلال الترجمة والتعريب من اللغة العربية للغات الأخرى، أو من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية:

أ/ التفاعل الحضاري بين الثقافة الإسلامية والثقافة الهندية

لقد نقل عن الهندية كتب الطب، والنجوم والرياضيات، والحساب، وبعض كتب السحر (ابن القفطي، ب. ت، ص١٧٠)

وترجم كتاب (السند هند) في عهد المنصور إلى العربية، وأمر أن يؤلف كتاب على نهجه وعهد بهذا العمل إلى محمد بن إبراهيم الفزار، الذي ألف على نهجه كتاب يعرفه الفلكيون باسم: (السند هند الكبير)، وقاد هذا الكتاب إلى أبحاث كثيرة في الفلك، ومنه أيضاً عرف العرب نظام الأرقام والأعداد الهندية. (هونكة، ٢٠٠٠، ص٧٣-٧٤).

كما نقلت أسماء العقاقير من الثقافة الهندية إلى الثقافة العربية، فكان حنين بن اسحق، يضع في بعض الأحيان المصطلح اليوناني لاسم عقار ما يقابله بالعربية والسريانية والفارسية، وبهذا الخصوص قال ابن النديم" كان حنين بن اسحق فاضلاً في صناعة الطب، فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية "(ابن النديم، ص٣٥٦)؛ لهذا أُختير حنين للترجمة وأؤتمن عليها، وعين لها كتاباً عالمين بالترجمة، كانوا يترجمون ويراجع حنين ما ترجموا (ابن جلجل، ١٩٨٥، ص٦٨-٦٩).

وقد استفاد الخلفاء العباسيون من ثقافة الهند وجند نيسابور وبيزنطه، في الطب والرياضيات، في عهد كل من المنصور والرشيد، وزيادة في الفائدة لم تكن هذه الجهود وقفاً على الخلفاء فحسب، بل تعدتها الى الوزراء، فيذكر صاحب الفهرست أن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد أوفد الى بلاد الهند رجلا " ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم، وأن يكتب له أديانهم" (ابن النديم، ١٩٩٧، ص٤٢١)

يذكر (أمين، ٢٠١٧) أن تأثير الثقافة الهندية على الثقافة الإسلامية يظهر من ناحيتين:

مباشرة: وذلك باتصال المسلمين أنفسهم بالهند من طريق التجارة، ومن طريق الفتح العربي، وينتقل المسلمون إليها وينتقل الهنود إلى أنحاء العالم الإسلامي المختلفة، وكل من هؤلاء وهؤلاء يحملون ثقافتهم، ويتبادلونها بعضهم مع بعض تبادل السلع.

غير مباشرة: وذلك من خلال نقل ثقافتهم بواسطة الفرس، فإن الفرس اتصلوا بالهنود اتصالًا وثيقا قبل الفتح الإسلامي، وأثروا فيهم وتأثروا بهم. وأخذوا كثيرا من الثقافة الهندية وأدمجوها في ثقافتهم، فلما نُقلت الثقافة الفارسية إلى العربية كان معنى هذا نقل جزء من الثقافة الهندية الذي كان بين ثناياها (ص٢٣٩).

وقد عد المسلمون الهنود إحدى الأمم الأربع ذات الصفات الممتازة، وهي: الفرس والهند والروم والصين. وقال الجاحظ فيهم: "اشتهر الهند بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب، والتصاوير، والصناعات الكثيرة العجيبة" (الجاحظ، ص٧٣)

وقال المسعودي:" ذكر جماعة من أهل العلم والنظر، أن الهند كانت قديم الزمان الغرة التي فيها الصلاح والحكمة" ثم ألم بطرف من ألهاتهم ورياضتهم وألعابهم إلى أن قال: "والهند في عقولهم وسياستهم وحكمهم، وألوانهم وصفاتهم، وصحة أمزجتهم، وصفاء أذهانهم، ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان" (المسعودي، ص٣٥) ج١.

ب/ التفاعل الحضاري بين الثقافة والثقافة اليونانية

كانت الدولة الإسلامية، لاسيما في العصر العباسي الأول، عامل جذب لبقية الأقوام من أمم أخرى وديانات مختلفة، فاستعربوا، لما وجدوا من خصال تعبر عن روح التعايش والتسامح الديني الذي ساد في هذا العصر؛ فاستدعى المنصور سنة ١٤٨ه، جورجيوس بن جبريل بن بختيشوع (كبير الأطباء في بيمارستان جنديسابور ورئيس مدرسته؛ ليكون بجانبه، وقد نقل كتباً كثيرة من اليونانية إلى العربية، وممن لمع اسمهم في عصر المنصور في الترجمة أبو يحيى البطريق إذ عُني بنقل مجموعة من كتب الطب اليوناني (ابن أبي اصيبعة، ص٣٧).

كما ازدادت عناية الرشيد واهتمامه بترجمة الكتب، فأمر بترجمة جميع الكتب اليونانية، كما وسّع ديوان الترجمة الذي أنشأه المنصور لنقل العلوم إلى العربية، وزاد عدد موظفيها كما تم نقل كتب حكماء الفرس التي جمعت من خراسان وفارس إلى اللغة العربية. (ابن النديم، ١٩٩٧، ص٤٢٤). كما أقبل كثير من الفرس على تعلم اللغة العربية والتثقف بآدابها، ومنهم موسى بن سيار الاسواري، أحد القصاص الذي أعجب به (الجاحظ) قائلاً: "ومن أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان في مجلسه المشهور يجلس العرب عن يمينه والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله، ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يُحوّل وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يدري بأي لسان هو أبين". (ص١٣٩)

فقد شملت حركت النقل الكتب اليونانية في الطب، والفلسفة، والفلك، والرياضيات، والطبيعة وغيرها، كما شملت ترجمة علوم من لغات أخرى غير اليونانية مثل الهندية والقبطية (حران، ٢٠٠٤، ص٤٦)

يعد نبوغ الفرس في اللغة العربية وآدابها نتيجة للاختلاط بين العرب والفرس، فضلاً عن رغبتهم في معرفة أدبيات الدين الإسلامي ليس بواسطة اللغة الفارسية، إنما بلغة العرب التي نزل عليها القرآن الكريم.

أن الحضارة اليونانية والإغريقية، كانت موضع اهتمام العرب المسلمين، ليس لتطبيقها بل للأخذ منها بما يتوافق وتعاليم الإسلام، لاسيما: تلك النظريات العلمية أو الفلسفية، لفلاسفة برعوا في هذا المجال.

ج/ التفاعل الحضاري بين الثقافة الإسلامية والثقافة البزنطية:

حاول الخليفة العباسي الرشيد الاستفادة من التراث الذي ورثته بيزنطة، فأثناء فتح أنقرة وعمورية من أراضي الدولة البزنطية عثر هناك على كمية كبيرة من الكتب فأمر بحملها الى بغداد؛ وأمر طبيبه (يحيى بن ماسويه) بترجمتها، فأنجز يحيي تلك المهمة، وكانت هذه الكتب في جملتها كتبا للطب، وقد ترجم أيام الرشيد كتاب(اقليدس) في الهندسة على يد (الحجاج بن يوسف بن مطر) وأعيدت ترجمته مرة أخرى في زمن الخليفة المأمون.

د/ التفاعل الحضاري بين الثقافة الإسلامية والثقافة السريـانية:

خدم السريان العلم والفلسفة في العصر العباسي الأول؛ وذلك بما ترجموا من كتب الفلسفة اليونانية التي أصبحت الأساس الذي اعتمد عليه العرب والمسلمون (صاعد الأندلسي، ص١٣٦)، إن اللغة العربية واللغة السريانية أدت إلى احداث تفاعل حضاري بين الحضارة الإسلامية، والحضارة السريانية، فأدت الفتوحات الإسلامية إلى التفاعل بين حضارة البلاد المفتوحة والحضارة الإسلامية، ومن ثم بين اللغتين؛ ومما ساعد على حدوث التفاعل وبروزه بشكل فعال، معاملة المسلمين لهم بالحسنى، فضلاً عن الحرية الدينية التي أتاحها لهم الدين الإسلامي وتعاليمه السمحاء. (الخطيب،٢٠٠٣، ص١٣٨) ج٢. مما جعلهم يتغلغلون في مفاصل الدولة وقطاعاتها الحيوية، مثل: بناء الأسطول وجباية الضرائب، ونالوا امتيازات عديدة أخرى (ابن القفطي، ب. ت، ص١٧٣).

اسند خلفاء العصر العباسي الأول، كأبو جعفر المنصور وهارون الرشيد وابنه المأمون عملية الترجمة إلى السريان، فكانت الترجمات تتم على مرحلتين، من اليونانية إلى السريانية ومن السريانية إلى العربية (ابن القفطي، ب. ت، ص١٠٩)، فازدهرت الترجمة على أيدي السريان، فقد عكفوا على ترجمة أمهات الكتب السريانية واليونانية إلى العربية، وكان على رأس أولئك المترجمين في بيت الحكمة: حنين بن اسحق الطبيب، وقيل إنه كان يكتب بخط عريض وبحروف كبيرة من أجل الحصول على أكبر كمية من الذهب. (ابن أبي اصيبعة، ٢٥٧-٢٥٩).

وقد أقام المأمون يوحنا بن البطريق، الترجمان أميناً على ترجمة الكتب الفلسفية من اليونانية والسريانية إلى العربية، وتولى كتب أرسطو وابقراط، وساعدت هذه الترجمة على الاحتكاك بالسريان (النصارى) فساد التعايش بينهم الذي تولد نتيجة نشاط الباحثين من المسلمين والنصارى، وأدى هذا الانفتاح إلى التعاطي فيما بينهم فأثمرَ عن تعلم السريان للغة العربية، وشجعهم في ذلك اليونانية التي أصبحت الأساس الذي اعتمد عليه العرب والمسلمون، وكان لهم الفضل الكثير في نقل الفلسفة والعلوم إلى العربية في العصر العباسي (ابن النديم، ص٤١١). يذكر ابن النديم أن يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب سريانياً، قد عينه الرشيد أميناً على الترجمة وعهد إليه ترجمة الكتب مما عثر عليها في بلاد الروم حين دخلها المسلمين، ويذكر أن يوحنا هو الذي نصح الرشيد بإنشاء دار كبيرة ومتسعة للكتب وهي التي أنشئت فيما بعد وأصبحت تدعى دار الحكمة (ابن النديم، ١٩٩٧).

هـ/ أثر أهل الذمة في نقل الثقافات الأجنبية إلى العربية:

ازدهرت حركة الترجمة والتعريب على أيدي أهل الذمة الذين عكفوا على ترجمة وتعريب أمهات كتب السريانية واليونانية والفهلوية والسنسكريتية، وكان ذلك بتأثير الخلفاء العباسيين، إلا أنهم لم يكونوا وحدهم الذين اهتموا بالترجمة والنقل إلى العربية، بل نافسهم الوزراء والأمراء والأغنياء وأهل العلم وأخذوا ينفقون الأموال الطائلة عليها (ابن النديم،١٩٩٧، ص٣٣٠).

ذكر بنيامين أحد الرحالة اليهود الذين رحلوا سنة ١١٦٥م، أي نحو سنة ٥٦٠ هجرية: " أن عدد اليهود في المملكة الإسلامية غير العرب كانوا نحو ثلاثمائة ألف»»، وكانوا منتشرين على نهر دجلة والفرات، وفي جزيرة ابن عمر، والموصل، وعكبرة، وواسط، وفي بغداد، والحلة، والكوفة والبصرة، وفي كثير من بلاد فارس، في همذان وأصفهان وشيراز، وكانوا في غزنة وسمرقند، وكان في فارس بلدتان تسمى كل منهما "اليهودية"، إحداهما بجرجان، والأخرى بأصبهان.

وكان ببغداد إذ ذاك نحو ألف يهودي، وكان فيها درب يسمى درب اليهود، نسب إليه قوم من المحدثين، منهم أبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن يحيى اليهودي (معجم البلدان، مادة يهودية) أوائل القرن الرابع كان يجبى منهم ستة عشر ألف دينار. والعددان يدلان على أن من كان ببغداد إذ ذاك من غير المسلمين ممن يدفع الجزية نحو خمسة عشر ألفا وقد استفاد اليهود من العلوم العربية التي كانت سائدة في الدولة الإسلامية، فترجموا بعضاً من المؤلفات العربية إلى العبرية، واتقن بعضهم اللغة العربية وآدابها، واهتموا بقواعد النحو (رزق الله،١٩٩٧، ص١٦٧)

ويعد اليهود الأقل تأثيراً في الحضارة وتأثراً بها، كما قال المستشرق ديورانت: "ولم يكن لليهود القابلية الفكرية والعلمية على الإبداع الفكري فحتى التصوف اليهودي، وتأثروا بالكتب المسيحية والمتصوفة الهنود والمصريين" (٢٠٠٨، ص١٣٦) ج١٤.

إن دراسة اليهود للحضارة الإسلامية أدت إلى بروزهم في بعض الميادين، وذلك لم يكن إلا عن طريق تعايش المسلمين معهم، فكان لإشاعة التسامح الديني الذي استمده العرب المسلمين من القرآن الكريم والسنة النبوية أثره في معاملة أهل الذمة وأهل الملل الأخرى (الشافعي،١٩٨٥، ص٥١٠)

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

أما النصارى في العراق فقد نَعِموا بعد الفتح الإسلامي بالحرية الدينية، فقد كان أغلبهم عرباً، فقد التفوا حول المسلمين، وأقبلوا على العناية باللغة العربية وآدابها، وأخذوا ينقلون من السريانية إلى العربية (ابن النديم، ص٢٤).

إن إقبال أهل الذمة بأعداد كبيرة على الدخول في الإسلام، ساعد كثيراً على انتشار اللغة العربية بينهم، بهدف إتقان القرآن الكريم وفرائض الإسلام، واقتضت الحاجة بالنسبة لهم إلى تنقيط الحروف العربية، وإلى معرفة قواعد اللغة العربية، وهو ما اصطلح على تسميته فيما بعد بعلم النحو(ابن خلدون،١٩٧٨، ص٤٥٤-٤٥٥).كما اقتضت الحاجة لترجمة مؤلفات ومصنفات تعبر عن أصول أديانهم، وقاموا بتعليم أبنائهم في كنائسهم وأديرتهم، كما أن هناك من تتلمذ على أيدي معلمين مسلمين من أبنائهم، كما كان لأبناء المسلمين معلمين منهم تتلمذوا على أيديهم.

كان على سكان البلاد المفتوحة، أن يتعلموا العربية وأن يقرأوا ويكتبوا بها ليستفيدوا منها في دينهم ودنياهم، حتى أنهم تعلموا النحو لإصلاح لغتهم (الأصفهاني،١٩٩١، ص١٧٦) ج٥، وأكد ماجد أن سكان البلاد المفتوحة أقبلوا على تعلّم اللغة العربية فعلاً، ونقلوا إليها علومهم وحتى كتبهم المقدسة كالتوراة والإنجيل والزبور، لإظهار تراثهم الحضاري والثقافي للفاتحين (١٩٩٦).

إن التلاقح الفكري والثقافي كان له أبلغ الأثر في شيوع وسيادة التسامح الديني، خلال العصر العباسي الأول؛ فتم نقل علوم الأمم الأخرى من خلال ترجمة الفكر العربي، من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى، ونقل علوم الأمم الأخرى من خلال ترجمتها للغة العربية، مما يساعد على تبادل ثقافي متزن بين العرب والأمم الأخرى، فساهمت الترجمة على إيجاد أواصر متينة وروابط صحيحة بين العرب المسلمين من جهة، وبين أهل الذمة من المترجمين من جهة أخرى، مما ساعد على تعزيز وتقوية التسامح الديني في الحضارات والأمم.

و/ أثر الثقافات الأجنبية على نشر ثقافة التسامح في العصر العباسي

أنشأ الخلفاء في جميع المدن المهمة مراكز جمعوا فيها كل عالم قادر على ترجمة علوم اليونان وكتبهم، ولاسيما كتب أرسطو وجالنيوس وغيرهم ونقلها من السريانية إلى العربية (ابن النديم، ص٣٧٩)

كما استهل أبو يوسف يعقوب الكندي (ت: ٢٥٦هـ/٨٧٣م)، فيلسوف العرب وأحد العقول الكبرى في تاريخ العالم آنذاك، نشاطه الفكري الذي لم يقتصر على تعريف أبناء جلدته بالفلسفة الأرسطوطاليسية، والأفلاطونية عن طريق الترجمة فحسب، بل تجاوز إلى توسيع آفاقهم العقلية، بما أنتج من دراسات في التاريخ الطبيعي، وعلم الظواهر الجوية مكتوبة بروح تلك الفلسفة (ابن النديم، ص٢٠٤)

وفي ظل التسامح الديني بين الثقافات المختلفة، ظلت كثير من اللغات الأصلية متداولة حتى في أكثر البيئات عروبة مثل: (العراق، وبلاد الشام)، كالآرامية أو السريانية، فضلاً عن الفارسية والتركية واليونانية وغيرها (ابن القفطي ب.ت، ص١٧٥).

من خلال ما تم ذكره يتضح أن الترجمة كان لها آثارها في الفكر العربي التي انعكست على كافة جوانب اللغة والدين والفلسفة:

- تعد الترجمة في العصر العباسي الأول هي النافذة التي أطل من خلالها العلماء المسلمون على علوم الأمم الأخرى ومعارفها.
- ساعدت الترجمة على اتساع الثقافة الإسلامية، وحفظ تراث الأمم من الضياع.
- كان للعلماء المسلمون دور في تطور العلوم، فقد ترجموا وشرحوا وعلقواوأضافوا، وابتكروا.
- أصبحت اللغة العربية هي لغة العلم لما تميزت به اللغة العربية من المرونة، بإدخال ألفاظ ومصطلحات جديدة عليها.(الشواورة، ٢٠١١،ص٣٣٤-٣٣٥).
- الشمول والاتساع الذي تميزت به الترجمة في العصر العباسي الأول، بعد أن كانت ذات طابع فردي على أيام الدولة الأموية.
- أصبحت الترجمة سياسة من سياسات الدولة العباسية، وتقليد ينتهجه الناس - خلفاء وأسرة وأفرادا.
- برز خلفاء العصر العباسي الأول في مجال تشجيع حركة الترجمة والاهتمام بها، والنهوض بالحركة الفكرية عامة.

أثر حركة التعريب والترجمة على نشر ثقافة التسامح في العصر العباسي

لقد أدت الفتوحات الإسلامية إلى تنشيط حركة التعريب، وذلك رغبة من سكان البلاد المفتوحة لتعلم اللغة العربية وإتقانها، كما أقبل العرب على التزوج بنساء هذه البلاد، رغبة في التداخل بين الأمم والشعوب (الشهرستاني، ص٤٢) ج١.

إن أول كتاب طبي ترجم إلى العربية كان من خلافة مروان بن الحكم الأموي (٦٤هـ/٦٨٣م) وهو كناش(ابن النديم، ص٤١١).

كما خدم السريان العلم والفلسفة في العصر العباسي الأول؛ وذلك بما ترجموا من كتب الفلسفة اليونانية التي أصبحت الأساس الذي اعتمد عليه العرب والمسلمون، وكان لهم الفضل الكبير في نقل الفلسفة والعلوم إلى العربية (صاعد الأندلسي، ص١٣٦)

من خلال ذلك يتضح كيف كرم الخلفاء العباسيين الحفاوة للسريان؛ فيذكر ابن القفطي كيف خدم السريان العلم

والفلسفة بما ترجموا من كتب الفلسفة الان اللغة السريانية، التي كان لها الدور الكبير كوسيط لنقل العلوم والمعارف من اليونانية إلى العربية (ابن القفطي، ب.ت، ص١٦٩)

كما أقبل كثير من الفرس على تعلم اللغة العربية والتثقف بآدابها، ومنهم موسى بن سيار الاسواري، أحد القصاص الذي أعجب به (الجاحظ) قائلاً: "ومن أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان في مجلسه المشهور يجلس العرب عن يمينه والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله، ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يُحوّل وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يدري بأي لسان هو أبين"(ص١٣٩)

لقد بدأت حركة تعريب واسعة النطاق في النواحي العلمية والثقافية في العصر العباسي الأول منذ خلافة أبي جعفر المنصور، الذي كان شغوفاً بالطب والهندسة، ويعتقد بالنجوم، وهو أول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة، فبعث إليه كتاب أقليدس (حاجي،٢٠٠٨، ص٣٧٩)

كما استهل أبو يوسف الكندي، فيلسوف العرب وأحد العقول الكبرى في تاريخ العالم آنذاك، نشاطه الفكري الذي لم يقتصر على تعريف أبناء جلدته بالفلسفة الأرسطوطاليسية، والأفلاطونية عن طريق الترجمة فحسب، بل تجاوز إلى توسيع آفاقهم العقلية، بما أنتج من دراسات في التاريخ الطبيعي، وعلم الظواهر الجوية مكتوبة بروح تلك الفلسفة (ابن القفطي، ب.ت، ص٩٨).

وقد عني الخلفاء العباسيون منذ فاتحة عصرهم بالنقل، فأنفقوا عليه من المال العام مبالغ كثيرة، وقد وصف المسعودي جهود الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بقوله: "كان أول خليفة قرّب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات الأعجمية إلى العربية" (١٩٧٣، ص٢٤١) ج٤.

إن العصر العباسي اهتم بما وصلت إليه الأمم الأخرى من منجزات علمية، يمكن توظيفها في خدمة الدولة العباسية على مختلف تخصصاتها؛ فاستدعى المنصور سنة ١٤٨ه، جورجيوس بن جبريل بن بختيشوع، كبير الأطباء في بيمارستان جنديسابور، ورئيس مدرسته؛ ليكون بجانبه، وقد نقل كتباً كثيرة من اليونانية إلى العربية، ولمع في عصر المنصور في الترجمة أبو يحيى البطريق إذ عُني بنقل مجموعة من كتب الطب اليوناني (ابن أبي اصيبعة، ص٣٧).

ويذكر أن "حنين بن اسحق كان فاضلاً في صناعة الطب، فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية " فأُختير للترجمة وأؤتمن عليها، وعين لها كتاباً عالمين بالترجمة، كانوا يترجمون ويراجع حنين ما ترجموا" (ابن جلجل، ١٩٨٥، ص٦٨-٦٩).

رسخت الترجمة التسامح والتفاهم والتقارب بين شتى الحضارات والثقافات، ووفرت بيئة خصبة صالحة للتعايش نتيجة الاحتكاك المباشر بين العلماء على اختلاف أديانهم.

كانت الترجمة أولى وسائط الاتصال والنقل المعرفي بين الدولة الإسلامية وغيرها من الأمم، ولولا الترجمة لما عرفت الثقافة العربية: أفلاطون وأرسطو وجالينوس وارخميدس وغيرهم (ابن النديم،١٩٩٧، ص٤١١)

ولم يكتف المأمون بترجمة كتب العلوم النافعة إلى العربية، بل أمر بوضعها موضع التطبيق العملي، فُبنيت المراصد، والمدارس التي أمر فيها بتعلم الكتب المترجمة، ونبغ في عصره، وما تلاه كبار المترجمين، وبفضل ذلك أصبحت بغداد في عصر المأمون أعظم مركز للترجمة والنقل في العالم (ابن النديم،١٩٩٧، ص٢٠٥)

ازدهرت حركة التعريب والترجمة على أيدي أهل الذمة الذين عكفوا على ترجمة وتعريب أمهات كتب السريانية واليونانية والفهلوية، وكان ذلك بتأثير الخلفاء العباسيين، إلا أنهم لم يكونوا وحدهم الذين اهتموا بالترجمة والنقل إلى العربية، بل نافسهم الوزراء والأمراء والأغنياء وأهل العلم وأخذوا ينفقون الأموال الطائلة عليها (ابن النديم،١٩٩٧، ص٣٣٠).

إن وجود الفرس في المناصب الإدارية والقيادية في العصر العباسي أدى إلى تسرب بعض الألفاظ الفارسية إلى اللغة العربية، وذلك بعد الفتح الإسلامي لبلاد فارس وجدت بعض المصطلحات التي لا يوجد مقابل لها في العربية، مما اضطرهم إلى تعريبها أو أخذها كما هي (أمين، ص١٧٤) ج١.

إن التعريب الحقيقي قاده المتعلمين والمترجمين، والإسلام كان له الأثر الكبير في إنجاح عملية تعريب العلوم التي انتشر الإسلام بين أممها، وقد ترك الازدهار الثقافي والفكري والحضاري ورغبة خلفاء المسلمين أثراً بارزاً ومهماً، في توسع حركة الترجمة والتعريب، وتجسد الحوار والتعايش والتسامح بين العرب وبقية الأديان، مما أفضى إلى تسامح ديني انصهرت فيه كل الاختلافات والتناقضات وأصبحت لغة العقل هي اللغة السائدة بين مختلف الجماعات في العراق (أوليري،١٩٨١، ص١٠٠).

ازدهرت الترجمة في العهد العباسي ازدهارا عظيما؛ فقد سعى الخلفاء العباسيين وراء العلم لبناء ونشر الحضارة والإسلامية، لقد تميز الفلاسفة والعلماء العرب، بسرعة الاستيعاب التي لفتت أنظار المؤرخين والخبراء، فتمكنوا من تصحيح الأخطاء في المعارف المترجمة، عن طريق العقل السليم والمدارك الواسعة والتجربة العملية، كما يعد اتصال المسلمين بالتراث اليوناني ناتج عن احتكاك الفرق والمذاهب، مما جعلهم على علم بالفكر اليوناني.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

رسخت الترجمة التسامح والتفاهم والتقارب بين شتى الحضارات والثقافات، ووفرت بيئة صالحة للتعايش نتيجة الاحتكاك المباشر بين العلماء على اختلاف أديانهم؛ فكانت الترجمة أولى وسائط الاتصال والنقل المعرفي بين الثقافات (ابن النديم،١٩٩٧، ص٤١١)

وكان للإسلام الأثر الكبير في إنجاح عملية تعريب العلوم، وقد ترك الازدهار الثقافي والفكري والحضاري ورغبة خلفاء المسلمين، أثراً بارزاً ومهماً، في توسع حركة الترجمة والتعريب، وتجسد بذلك الحوار والتعايش والتسامح بين العرب وبقية الأديان، مما أفضى إلى تسامح ديني انصهرت فيه كل الاختلافات والتناقضات (أوليري،١٩٨١، ص١٠٠).

أدت عملية النقل والترجمة إلى توسع ثقافة العرب ونضج الفكر الإسلامي؛ بسبب ما جدّ عليها من الثقافات الأجنبية، فشمل نواحي المعرفة المختلفة وعلوما كثيرا كانت مهجورة إذ أن معظم العلوم قبل ذلك، كانت مستمدة من الدين أو منقولة عن العرب، فالعصر العباسي الأول يعتبر عصر تعريب التراث الإنساني (ابراهيم،١٩٦٤، ص٦١)ج٢.

ثالثاً: المراكز الثقافية والحضارية الممثلة للتسامح الديني في العصر العباسي الأول.

انتقلت مراكز الثقافة من مكة والمدينة ودمشق في العصر العباسي إلى الكوفة والبصرة وبغداد، وأصبحت هذه المدن في العصر العباسي عواصم كبرى ومراكز ثقل فكري ومعقلا للإبداع الأدبي والترجمات عن شتى العلوم والفنون، لقد كان لكل منها طابعها المميز:

- المركز الثقافي بالكوفة: فقد ظلت الكوفة تميل إلى الحفاظ على القديم بدلاً من التأثر بالوافد الجديد، ساعد على ذلك بعدها عن البحر وقربها من الجزيرة العربية واحتضانها للثقافة العراقية القديمة والآثار المسيحية في الأديرة والبيع المنتشرة في الحيرة.

- المركز الثقافي بالبصرة/ أما البصرة كانت نشأتها عربية، ولكنها كانت قريبة من البحر، ما أهلها لإستقبال الكثير من الوافدين من جنسيات مختلفة، من النيط والزنج والروم والفرس وقد ترك هذا التنوع الجنسي أثرة الكبير على المدينة، فانتشرت فيها حضارة الفرس، وعرفت دياناتهم وازدهرت الثقافة اليونانية، وكثرت الترجمات عنها ونشط علماء الكلام، ولا سيما المعتزلة (كفتارو،٢٠٠٩،ص٢٤٣)

أقام العديد من المترجمين في مكتبة دار الحكمة وأجرى عليهم الأرزاق من بيت مال المسلمين، كما أرسل الخلفاء العباسيين العلماء إلى مختلف الأنحاء بما في ذلك الدولة البيزنطية، للبحث عن المخطوطات وجلبها، فيذكر ابن النديم أن الخليفة العباسي المأمون وامبراطور بيزنطة من مراسلات طلب فيها السماح لوفده وعلمائه في الحصول على مصنفات الإغريق في الفلسفة والهندسة والطب وغيرها ، فأجابه الامبراطور لذلك، الحجاج بن يوسف بن مطر وابن البطريق ، وسلما ، وصاحب بيت الحكمة ، وقد اختار هؤلاء مجموعه من الكتب عادوا بها الى بغداد ليبدأ العلماء في ترجمتها تحت اشراف الفيلسوف المسيحي قسطا ابن لوقا البعلبكي ذا الأصل الرومي (ابن النديم، ١٩٩٧، ص٣٣٩).

من خلال ما سبق تبين أن النشاط الثقافي والعلمي قد بلغ ذروته بفضل رعاية الخلفاء للعلماء، فقد كان الخلفاء يعدون أنفسهم حماة للعلم، وأن قصورهم ينبغي أن تكون مراكزاً للثقافة والعلم، وكان يلتقي لديهم العلماء والأدباء.

وقد امتزجت الثقافة الإسلامية بالعديد من الثقافات، من خلال بيت الحكمة وما زخرت به من الكتب المترجمة؛ حيث أقبل الناس على قراءتها، مما ولد حركة فكرية جديدة في الثقافة الإسلامية في العصر العباسي، وهي ثقافة النشر والتأليف مما ساعد على انتاج ثقافة واسعة مبنية على القديم والحديث.

ومن الجدير بالذكر أن اطلاع المسلمين على الثقافات القديمة أدى لهذا التمازج، وأنتجِ الحركة الثقافية الإسلامية، وهذا لا يعني أن الإقبال عليها كان بدرجة واحدة، فقد كان هناك تفاوت في الإقبال على التفكير، إن أثر هذه الثقافات الفارسية واليونانية والهندية واليهودية والنصرانية التي امتزجت بالثقافة الإسلامية لم يتجاوز إلا حداً معيناً، مهما كانت سعة تلك الحدود.

الخاتمة:

أبرز النتائج:

- أن موجة التعريب والترجمة أدت إلى تمازج الثقافات وتفاعلها وبالتالي إلى تلاقحها.
- أن الترجمة تعد من أقدم الوسائل التي أشاعت روح التعايش والتسامح بين المسلمين والثقافات الأخرى.
- أن ثقافات الأمم المفتوحة قد أسهمت في تطور العلوم والمعارف العربية وأفادتها في المنطق والفلسفة والعلوم.
- أن بيت الحكمة ذات تأثير حضاري وثقافي كبير في العصر العباسي الأول.
- أن اتصال العرب بالثقافات الوافدة أوضح أن الثقافة الفارسية هي أكثر الثقافات تأثيراً على الأدب العربي تلتها اليونانية والهندية والنصرانية واليهودية.

أهم التوصيات:

- ضرورة دراسة الثقافة الإسلامية التي تساهم في ترسيخ التسامح الديني في سياقها التاريخي.
- أهمية دراسة العوامل الاجتماعية المعززة لقيم التسامح الديني وتطبيقاتها المعاصرة.

المراجع:

- ابراهيم، حسن.(١٩٦٤). تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ج٢.
- ابن أبي اصيبعة، أبو العباس. (د.ت). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة.
- ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطا. (٢٠١٢). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت: دار صادر
- ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين بن الفلاح. (١٩٨٦). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمد الأرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير، ج٢.
- ابن القفطي، جمال الدين أبو الحسن يوسف. (د.ت). تاريخ الحكماء، مختصر الزوزني من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، بغداد: مكتبة المثنى.
- ابن القفطي، جمال الدين أبو الحسن يوسف. (٢٠٠٥). إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق. (١٩٩٧). الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت: دار المعرفة بلبنان، ط٢.
- ابن جلجل، الأندلسي. (١٩٨٥). طبقات الأطباء والحكماء، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢.
- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد بن أحمد. (٢٠٠٧). الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (١٩٧٨). المقدمة، بيروت: دار القلم.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن بن محمد بن أحمد. (١٩٩١). الأغاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢.
- أمين، أحمد. (٢٠١٥). ضحى الإسلام، تقديم: صلاح فضل، تحقيق: محمد فتحي، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط٢.
- أوليري، دي لاسي. (١٩٨١). الفكر العربي ومركزه في التاريخ، بيروت: دار الكتب العلمية.
- بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش. (د.ت). الحضارة الإسلامية، ترجمة: حمزة طاهر، القاهرة: دار المعارف، ط٣.
- البغدادي، الخطيب أبو بكر. (٢٠٠٢). تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشر بن عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ج١٣.
- البهجي، إيناس حسني. (٢٠١٧). تاريخ الدولة العباسية، عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، ط١.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. (١٩٩٨). البيان والتبيان، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي.
- حاجي خليفة، مصطفى عبد الله. (د.ت). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين، رفعت بليكة، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
- حران، تاج السر. (٢٠٠٤). حران، العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، الرياض: مكتبة الرشد، ط١.
- ديورانت، ول وايريل. (٢٠٠٨). موسوعة قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، بيروت: دار نوبليس،١٤ج.
- رديداوي، محمد. (١٩٩٢). الترجمة إلى العربية، مجلة: اللسان العربي، ع٢٥.
- رزق الله، غنيمة يوسف. (١٩٩٧). نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، دار الوراق، ط٢.
- الشافعي، محمد بن ادريس. (١٩٨٥). اختلاف الحديث، تحقيق: عامر أحمد، دار الكتب العلمية: بيروت
- الشواورة، فتحي يوسف.(٢٠١١). تاريخ الدولة العباسية السياسي والحضاري، الرياض: دار النشر الدولي، ط١.
- الشهرستاني، أبو الفتوح محمد. (د.ت). الملل والنحل، مؤسسة الحلبي.
- صاعد الأندلسي، للقاضي أبي القاسم. (١٩١٢). طبقات الأمم، بيروت: مجلة الشرق المطبعة الكاثولوكية.
- عبد الناصر، جمال. (١٩٩٦). الترجمة والتعريب، الفيصل، ع٢٣٩.
- عبد الهادي، هاشم. (١٩٨٨). مفهوم التعريب، دمشق: مجلة اللغة العربية، ج٦، ع٢.
- العش، يوسف.(١٩٩٦). تاريخ عصر الخلافة العباسية، بيروت: دار الفكر، ط١.
- عمر، أحمد مختار. (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، ط١
- كفتارو، صلاح الدين. (٢٠٠٩) منهج الحوار في الرواية الإسلامية، دمشق: دار قتيبة للنشر والتوزيع، ط١.
- ماجد، عبد المنعم. (١٩٩٦). تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة: مكتبة الأنجلو.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (١٩٧٣). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، ط٥.
- المقدسي، أنطوان. (١٩٧٥). التعريب في دلالته التاريخية: من الترجمة إلى التعريب، الآداب، ج٢٣، ع١.
- نيكلسون، رينالدو. (١٩٣٠). تاريخ عرب رينولد الأدبي، كامبريدج.
- هبو، أحمد. (١٩٨٩). تأثير لغات الشعوب القديمة في لغة كتب السيرة في الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، الرياض: جامعة الملك سعود.
- هونكة، زيغريد. (٢٠٠٠). شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وآخران، بيروت: دار صاعد للطباعة والنشر، ط٨.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة

International Journal of Sharia and Islamic Studies

مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

نفحات من مقاصد الشريعة العامة من الصيام.

د. إيمان أحمد محمد خليل الهاشمي

أستاذ مشارك- جامعة زايد-الإمارات العربية المتحدة.

Insights from the general objectives of Islamic law regarding fasting

Dr.Eiman Ahmed Mohamed Khaleel Al Hashimi

associate Professor-Zayed University-United Arab Emirates.

E-mail: Emankhaleel2@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة:

مقاصد الشريعة – الصيام.

KEY WORDS:

Objectives of Sharia – Fasting.

مستخلص البحث:

يتناول البحث "نفحات من مقاصد الشريعة العامة في الصيام" بيان الأهداف العليا والمقاصد الشرعية التي شرع الله الصيام من أجلها. يؤكد البحث أن علم المقاصد هو علم أصيل ومتجدد في أصول الفقه، وأن الصيام عبادة عظيمة لها مقاصد دنيوية وأخروية تعود بالنفع على الفرد والمجتمع والأمة.

أهم النقاط:

الصيام لا يتحقق إلا بتحقيق مقاصده الشرعية، وأهمها إخلاص التوحيد وصدق التوجه لله تعالى

من مقاصد الصيام: الطهارة المادية والمعنوية، تزكية النفس، تقوية الروابط الاجتماعية، التيسير ودفع الحرج، تحقيق الوحدة والرحمة الخاصة والعامة

يركز البحث على أن فهم أحكام الصيام لا يكتمل إلا بفهم مقاصده، وأن الصوم الذي يؤدي إلى الشقاق والفرقة أو القطيعة يخالف مقصد الشارع

من أهداف البحث: بيان المقاصد العامة للصيام، وكيفية تحقيق هذه المقاصد في الواقع

اعتمد الباحث على عدة مناهج: النقلي، الاستقرائي، الاستنباطي، التحليلي والنقدي، مع الاستدلال بالآيات والأحاديث وأقوال العلماء

المقصد الأعظم للصيام هو تحقيق التوحيد بإخلاص العبودية لله، ويظهر ذلك في اشتراط النية في الصيام وترك الرياء

الصيام مدرسة تربوية لتزكية النفس وتعويدها على الصبر والإخلاص، ويحقق مقاصد اجتماعية مثل التراحم والوحدة وتقوية المجتمع

ABSTRACT:

The research "Insights into the General Objectives of Islamic Law in Fasting" discusses the higher aims and purposes for which fasting was legislated in Islam. It emphasizes that the science of Maqasid (objectives) is a fundamental and evolving field in Islamic jurisprudence, and that fasting is a significant act of worship with both worldly and spiritual benefits for individuals and society.

- Fasting is only truly achieved by fulfilling its Sharia objectives, foremost among them being sincere monotheism and true devotion to God.
- The objectives of fasting include: physical and spiritual purification, self-discipline, strengthening social bonds, facilitation and removal of hardship, achieving unity, and both specific and general mercy.
- The research stresses that understanding the rulings of fasting is incomplete without understanding its objectives, and that fasting which leads to discord, division, or breaking family ties contradicts the purpose of the lawgiver.
- The research aims to clarify the general objectives of fasting and how to realize them in practice.
- The methodology combines traditional, inductive, deductive, analytical, and critical approaches, with evidence from the Qur'an, Sunnah, and scholars' opinions.
- The greatest objective of fasting is to achieve monotheism through sincere servitude to God, which is manifested in the requirement of intention and avoidance of showing off.
- Fasting is a spiritual school for self-purification, training in patience and sincerity, and achieves social objectives such as compassion, unity, and strengthening the community.

المقدمة:

علم المقاصد علم قديم متجدد ، اعتنى به جمهرة من علماء أصول الفقه ، يقول ابن القيم:" فَإِن الشَّرِيعَة مبناها وأساسها على الحكم، ومصالح الْعباد، فِي المعاش والمعاد، وَهِي عدل كلهَا، وَرَحْمَة كلهَا، ومصالح كلهَا، وَحِكْمَة كلهَا، فَكل مَسْأَلَة خرجت عَن الْعدْل إِلَى الْجور، وَعَن الرَّحْمَة إِلَى ضدها، وَعَن الْمصلحَة إِلَى الْمفْسدَة، وَعَن الْحِكْمَة إِلَى الْعَبَث فليستْ من الشَّرِيعَة، وإِنْ أُدخلتْ فِيهَا بالتأويل، فالشريعة عدل الله بَين عباده، وَرَحمته بَين خلقه، وظله فِي أرضه وحكمته الدَّالَّة عَلَيْهِ وعَلى صدق رَسُوله ﷺ: أتم دلَالَة وَأَصْدقهَا... "[١] ، " مقاصد الشارع في بث المصالح في التشريع أن تكون مطلقةً عامة، لا تختص ببابٍ دون باب، ولا بمحلٍّ دون محل [٢] . قال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة:٣]، وقال (مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) [الأنعام:٣٨] .ويرى ابن عاشورأن المقاصد وردت في مواضع عديدة في ايات القرآن الكريم منها:

١. شمولية الخطاب الإلهي كما يدل على هذا قوله عز وجل: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل:٨٩]

٢. دفع الحرج عن المكلفين لقوله تعالى: (ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [المائدة: ٦]

٣. تحقيق العبادة والإخلاص فيها للحق عز وجل: (مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة: ٥] وقوله: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [النحل: ٣٦]

٤. والقيام بالعدل في كل شيء، والاستقامة لله في القول والعمل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة: ٨]

٥. الانكفاف عن الفساد والإفساد كما في قوله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف:٥٦]، وقوله: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [المائدة: ٣٣]

٦. التمسك بالوحدة ومحاربة التفرق والانقسام. ومما يدل على هذا المقصد الجليل قوله تعالى: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال:٤٦] وقوله: (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [الأنفال:١].

والعبادات التي شرعها الله عزوجل ومنها صيام شهر رمضان ، إنما شرع لتحقيق مقاصد كبيزة ومصالح عظيمه ومنافع دنيوية واخروية علجلة وآجلة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والأمة ؛ فاخلاص النية لله في الصيام أساس لايتحقق الصيام إلا به ، والله لايقبل من الصيام إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم ، والتيسير والطهارة والتنمية والتزكية والتوحيد والقوة والعدل والرحمة من المقاصد العامة التي قصد الشرع تحقيقها بتشريعه الصيام والتي لايتحقق الصيام بدونها فالصام الذي لايطهر نفسه من آفاتها والذي يبيت يأكل لحوم الناس ويعتدي على أعراضعهم، وأموالهم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش وهو على خطر عظيم ومن هنا كان لابد من توضيح مقاصد هذا التشريع الذي لم يشرعه المولى جل شأنه علي المسلمين وحدهم وإنما البشرية كلها من لدن آدم عليه السلام إلى محمد رسول الله ﷺ.

فرضية البحث:

- للصيام مقاصد شرعية لا تتحقق حقيقة الصوم بدونها.
- اخلاص التوحيد وصدق التوجه لله هو محور مقاصد الصيام
- الطهارة المادية والمعنوية العاجلة والآجلة من مقاصد الصيام.
- الصيام يزكي الفرد وينمي المجتمع مادياً ومعنوياً.
- التيسير ودفع الحرج عن الصائم من مقاصد الصوم
- الصيام قوة بدنية وروحية على مستوى الفرد والمجتمع.
- الصيام وحدة في العقيدة والشعور والسلوك والشعائر.
- الصيام رحمة للصائم خاصة وللمسلمين عامة.

أهمية البحث:

معرفة أحكام الشريعة تابع لمعرفة المقاصد الشرعية وفقه الصيام لا يكتمل بدون فهم مقاصده، ومراميه التي يتغياها الشارع الحكيم؛ فالصوم لا يتحقق إلا بإخلاص النية لله، والصوم الذي يترتب عيه شقاق وفرقة وقطيعة رحم خرج عن مقصود الشارع في **قوله تعالى: (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) الانبياء٩٢**. والصائم الموسر الذي يبات وجيرانه يضورون جوعاً وهو يعلم فقد برئة منه ذمة الله. ومن يعسر على الناس في حياتهم ومعاشهم

---

١) ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي- (١٩٧٣) - إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت: دار الجيل (١٤/٣-١٥)

٢) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة،٥٤/٢

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

فهو أبعد ما يكون عن مقصد التيسير، ومن لم يطهر قلبه من أمراض القلوب المعنوية كالرياء وقول الزور فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، والصوم جوهره الصبر فمن لم يعود نفسه على الصبر كيف يستقيم له الصوم؟ والصوم يزيد في الأخلاق الحميدة وينميها، والقوة في الصيام تتحقق بتماسك الأسر والمجتمعات والمنعة الاجتماعية، والرحمة لا تتحقق برحمة الأهل والعيال فقط ولكن برحمة المسلمين عامة.

أهداف البحث:

١- معرفة المقاصد الشرعية العامة في الصيام.

٢-التوحيد وإخلاص النية لله هو مقصد المقاصد.

٣- فقه الصيام لا يتحقق إلا بفهم مقاصد الشريعة من الصيام

٤- بيان كيفية تحقيق الصيام برؤية مقاصدية.

منهجي في كتابة الكتاب:

أولا - اعتمدت في هذه الدراسة على طائفة من المناهج البحثية فاستخدمت المنهج النقلي للإحاطة بأقوال السابقين والمعاصرين لجميع جوانب المسألة والإحاطة بها، كما استخدمت المنهج الاستقرائي، حيث قمت بدراسة كل الجزئيات والوصول منها الى حكم عام ينطبق عليها وعلى غيرها، وعرجت على المنهج الاستنباطي الذي يقوم على إحكام العلاقة الاستدلالية بين الأصل وما يتفرع عنه فلا تصبح النتائج مجافية للمقدمات، وكذلك اعتمدت المنهج التحليلي ثم النقدي.

ثانيا-الاستدلال بالآيات الكريمة من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ، وأقوال الصحابة والتابعين، واستعنت بكتب التفسير وأقوال المفسرين.

ثالثاً- حرصت عند استدلالي بالحديث الشريف على أخذه من مصادره المعتمدة كالكتب الستة، والموطأ، والمسانيد، أو بالرجوع إلى كتب التجميع مثل: مجمع الزوائد، مع بيان درجة الحديث من حيث الصحة أو الحسن أو الضعف ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

المقاصد الشرعية العامة في الصوم:

تعريف المقاصد لغة: المقاصد جمع مقصد، والمقصد: موضع القصد، يقال إليه مقصدي: وجهتي[٣]، والقصد: استقامة الطريق. قصد يقصد قصدا، فهو قاصد. ومنه قوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ} [النحل:٩] أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة[٤]، والقصد: العدل، التوسط بين الإفراط والتفريط، ومنه قوله تعالى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} [لقمان:١٩] القصد: إتيان الشيء، قصدت قصده: نحوت نحوه ...قال ابن جني: أصل قصد ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهود والنهوض نحو الشيء[٥].والقصد: الرشد والقصد: السهل[٦].

تعريف المقاصد العامة للشريعة الإسلامية:

يعرفها الطاهر بن عاشور بأنها: " المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظاتها بالكون في نوع خاص من احكام الشريعة، فيدخل في هذا اوصاف الشريعة، وغايتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"[٧]

الصفة الضابطة للمقاصد الشرعية:

يقول ابن عاشور:" المقاصد الشرعية نوعان: معان حقيقية، ومعان عرفية عامة ويشترط فيها جميعا أن يكون ثابتاً ظاهراً منضبطاً مطرداً... فأما المعاني الحقيقية فهي التي تحقق في نفسها بحيث تدرك العقول السليمة ملاءمتها للمصلحة، أو منافرتها

لها، أي تكون جالبة نفعاً، أو ضرا عاماً، إدراكاً مستقلاً عن التوقف على معرفة عادة أو قانون كإدراك كون العدل نافعاً، وكون الاعتداء على النفوس ضاراً وكون الأخذ على يد الظالم نافعاً لصلاح المجتمع"[٨]

وقد اشترط لهذين النوعين: الثبوت، والظهور، والانضباط، والاطراد.

- فالمراد بالثبوت: أن تكون تلك المعاني مجزوماً بتحققها أو مظنونا ظناً قريباً من الجزم.

- والمراد بالانضباط: أن يكون للمعنى حد معتبر لا يتجاوزه، ولا يقصر عنه بحيث يكون القدر الصالح منه

-والمراد بالاطراد: ألا يكون المعنى مختلفاً باختلاف أحوال الأقطار والقبائل والأعصار، مثل وصف الإسلام

نخلص مما سبق أن مقاصد الشريعة العامة : الغايات الشرعية الشاملة والأهداف العامة، والتي تجمع تحتها كل القضايا الجزئية والمسائل الفرعية أو معظمها، تدخل تحتها جميع تكاليف الشريعة، فلا تختص بباب دون باب ولا بمحل دون محل، ومطردة في كليات الشريعة وجزئياتها ولا يختل نظامها، بل هي مقاصد ظاهرة، لأنها ملاحظة في جميع أو أغلب أبواب الشريعة ومجالاتها، بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة، وبها يتحقق مراد الشارع في التشريع؛ و يترتب علي تحقيقها مصالح الدين، والدنيا العاجلة، والآجلة وأن المقاصد العامة تدور كلها حول مقصد تحقيق العبودية لله ؛ ذلك أنه مقصد المقاصد وغاية الغايات.

٣) الزيات وآخرون، المعجم الوسيط تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ص٧٣٨.

٤) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري - لسان العرب، بيروت: دار صادر، الطبعة: الأولى، ٣ /٣٦٣.

٥) المرجع السابق ٣/٣٥٥

٦) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، بيروت: المكتبة العلمية، ٥٠٥/٢

٧) ابن عاشور، محمد الطاهر عاشور- (٢٠٠١) - مقاصد الشريعة الإسلامية ص٢٥١

٨) المرجع السابق ١٦٥/٣.

أهمية علم المقاصد الشرعية:

١. العلم بمقاصد الشريعة أهم شرائط الاجتهاد، بل هو أحد شطري الاجتهاد في النوازل التي لم يرد فيها نص عند كثير من العلماء المعاصرين، ويرى الشاطبي: أن درجة الاجتهاد تحصل لمن اتصف بوصفين: أحدهما؛ فهم مقاصد الشريعة وكمالها، والثاني: التمكين من الاستنباط بناء على فهمه فيها... [٩] " وَأَنَّ من أحاط له علما - معرفة - بِمَقَاصِدِهَا وَوَضْعِهَا موضعها وَحَسُنَ فَهْمُهُ فيها لم يَحْتَجْ مَعَهَا إِلَى سِيَاسَةِ غَيْرِهَا البتة [١٠].

٢. العلم بالمقاصد الشرعية يعين على فهم النصوص الشرعية، ومعرفة أسرارها، وإدراك مصالحها المعتبرة شرعاً، واستنباط الأحكام المترتبة على فقهها، والاستدلال بكلام الشارع يتوقف على ان يعرف ثبوت اللفظ عنه وعلى أن يعرف مراده باللفظ [١١] . يقول العز بن عبد السلام: ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح، ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك.[١٢]

٣. الإفادة منها عند التعارض بين الأدلة بدفع التعارض بالجمع بين الأدلة أو الترجيح بينها، أو التوفيق بين الدليلين، بناء على فقه المقاصد الشرعية واستلهام روح التشريع، ونقل السيوطي عن الغزالي -رحمهما الله: مقاصد الشريعة قبلة المجتهدين؛ من توجه إلى جهة منها أصاب الحق [١٣]

٤. الإفادة منها في ضبط الفتوى، وحفظ الدين من البدع، ومرجع ذلك كله الجهل بمقاصد الشريعة؛ يقول الشاطبي: "المبتدع من هذه الأمة إنما ضل في أدلتها حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة لا مأخذ الانقياد تحت احكام الله ...... فإذا انضم إلى ذلك الجهل بأصول الشريعة وعدم الاضطلاع بمقاصدها كان الأمر أشد وأقرب إلى التحريف والخروج عن مقاصد الشرع."[١٤]

تعريف الصوم لغة: الإمساك، يقال :صام النهار إذ وقف سير الشمس[١٥]، قال الله تعالى إخباراً عن مريم: (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا) [مريم:٢٦]

تعريف الصيام اصطلاحاً هو: " والصيام في الشرع :الإمساك عن الطعام والشراب والجماع يعني عن المفطرات، بنية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. واشتراط النية في النية في الصيام وإدخالها في الحد هو معنى التعبد لله -سبحانه وتعالى-، يعني نية التقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- بهذه العبادة.[16]

حكم الصيام: الصيام ركن من أركان الإسلام إجماعاً، دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة:١٨٣]وأما السنة فقوله -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما : (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان[١٧] وأجمع العلماء على وجوب الصيام، وأنه ركن من أركان الإسلام، وعلى كفر من جحد وجوبه، واختلفوا في تكفير من تركه مع اعترافه بوجوبه[18].

المقصد الأول (مقصد المقاصد) : تحقيق التوحيد بإخلاص العبودية لله

التوحيد هو مقصد المقاصد وهو المقصد الذي تدور في فلكه كل المقاصد؛ والمقاصد الشرعية كلها تتغيا إخلاص التوجه لله وحده بلا ند ولا شريك. والتوحيد هو أن يُجْمِعَ هِمَّتَه وقَلْبَ وعَزْمَه وإرادتَه وحَرَكاتِه على أداءِ حَقِّه، والقيامِ بِعُبُودِيَّتِه[١٩] والتوجه له وحده سبحانه بالعبادة ابتغاء مرضاة الله وحده لا شريك له. ومستند هذا المقصد قوله تعالى:(وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥] وقال تعالى :(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) [الزمر:٣]، قال تعالى :(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) [النساء:١٢٥]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلَّا ما كان خالصًا وابتُغيَ به وجهُه)[٢٠] .

الصيام ركن من أركان الدين وهو عبادة خاصة تؤصل في النفس معاني العبودية الخالصة لله رب العالمين، متمثلة في التسليم الكامل لله -عز وجل، وهو امتثال أمره في ذلك، قال

٩) المرجع السابق ٤/ ٧٦-٧٧

١٠) ابن القيم، أبوعبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي- طرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق : د. محمد جميل غازي، القاهرة: مطبعة المدني ٥/١

١١) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم الحراني أبو العباس- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، ٢٨٦/١٩

١٢) السلمي، أبي محمد عز الدين بن عبد السلام- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ١٦٠/٢

١٣)) الرد على من أخلد إلى الأرض، للسيوطي، (ص ١٨٢).

١٤) الشاطبي، أبو إسحاق- الاعتصام، مصر: المكتبة التجارية الكبرى-١٣٤/١

١٥) ابن منظور في لسان العرب ١٢/ ٣٥٠.

16) شرح الشيخ عبد الكريم الخضير على" شرح زاد المستقنع لأبي النجا موسى بن أحمد، شرف الدين الحجاوي ت ٩٦٨هـ، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير على الشبكة العنكبوتية الكتاب رقم الدرس - ٢٢

١٧) متفق عليه.

18) شرح الشيخ عبد الكريم الخضير على" شرح زاد المستقنع راجع المكتبة الشاملة وصفحة الشيخ عبد الكريم على الشبكة العنكبوتية

١٩) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني- تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية ،٢٧٦/٩.

٢٠) أخرجه النسائي عن أبو أمامه الباهلي قال الألباني في صحيح النسائي حسن صحيح ص 3140،

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣].قال أبو محمد (سهل) التستري -رحمه الله تعالى:" الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول إبراهيم بن أدهم الإخلاص صدق النية مع الله تعالى"[٢١] أي: لا يلتفت في سائر أحواله إلا إلى الله تعالى عبادة أو عادة.[٢٢] الإخلاصُ هُوَ تَنقيَةُ العَمَل بِصِدقِ النيّة مِن كلّ أنواع الشّرك، إنّه مِسكُ القُلُوب وَروح العِبادات وَجَوهرها.

وفي الصوم يتجلى مقصد الإخلاص بعقد نية الصيام ؛ فقد أجمع الفقهاء على اشتراط النية في صيام شهر رمضان ، وأن الصوم لا يتحقق بدون النية ؛ لما روي حفصة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: قال النبي ﷺ" :من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له"[23]

الصوم مدرسة ربانية فهو يعوّد المؤمن على امتثال أوامر الله -عز وجل-، وإخلاص العمل له، ورجاء ثوابه، لقوله ﷺ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" (متفق عليه) يعني: مصدِّقًا بفرض صيامه، ومحتسبًا مريدًا بذلك وجه الله، بريئًا من الرِّياء والسُّمعة.

والصوم يصوغ الإخلاص في نفس المومن صياغة ربانية خاصة؛ فالمؤمن يتوجه إلى الله بكليته لا يبتغي الأوجه الله، ويدع كل محبوب لديه وكل شهوة وكل العلائق الأرضية ابتغاء رضوان الله عز وجل قال الإمام أحمد: لا رياء في الصوم، فلا يدخله الرياء في فعله، من صفى له، ومن كدر عليه، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، وإنما يكال للعبد كما كال. والجنة لا تطلب إلا قلبا خالصا لله [٢٤]. قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: " قال اللهُ عزَّ وجلَّ كلُّ عمَلِ ابنِ آدمَ له إلا الصيامَ فهو لي وأنا أجزي بِهِ إنَّمَا يتْرُكُ طعامَهَ وشَرَابَهُ مِن أجْلِي فصيامُهُ لَه وأنا أجزي بِه كلُّ حسنةٍ بِعشرِ أمثالِهَا إلى سبعمائةِ ضعفٍ إلا الصيامَ فهو لِي وأنا أجزي بِهِ"[٢٥] .قال القرطبي: "لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يطَّلع عليه بمجرد فعله إلا الله؛ فأضافه الله إلى نفسه ولهذا قال في هذا الحديث“ :يدع شهوته من أجلي[٢٦]؛ ذلك أن الصائم أفرد ربه -عز وجل- بقصده وإرادته فلا يلتفت إلى شيء مع الله -تبارك وتعالى ، بل يترك كل شيء لله عزوجل ، وهذا سر أنه يفوق جميع الأعمال المضاعفة أجرا فالحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لله يجزى به بما يليق بكرمه ،وجوده وفضله وبمقتضى عدله أيضا فالناس في إخلاصهم درجات ، وفي إقبالهم على الله طاقات متفاوتة وتفاوت أجورهم تبعا لدرجات إخلاصهم ومن ههنا صنف العلماء مراتب الصيام ثلاث مراتب تتبع درجاتهم من الصدق مع الله ، فمنهم من يصوم : صوم العموم، ومنهم من يصوم صوم الخصوص، ومنهم من يصوم صوم خصوص الخصوص.

أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

• وأما صوم الخصوص: فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل، وسائر الجوارح عن الآثام. • وأما صوم خصوص الخصوص، فصوم القلب عن الصفات الدنية، والأفكار الدنيوية، وكفّه عما سوى الله عز وجل بالكلية.

والصوم كذلك يرتقي بالنفس إلى مراتب الكمال البشري لأنه ينمي خلق المراقبة لله و يساعد المؤمن على معالجة صدع نفسه وأخلاقه الذميمة ؛ فعن أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه قال: " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْل لَهُ [٢٧] [٢٨]" **عن أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه" قلتُ يا رسولَ اللَّهِ مرني بعملٍ قالَ عليكَ بالصَّومِ فإنَّهُ لا عدلَ لَه قلتُ يا رسولَ اللَّهِ مرني بعملٍ قالَ عليكَ بالصَّومِ فإنَّهُ لا عدلَ لَه"**[٢٩] [٣٠] ، و في رواية لأبي هريرة عَنِ النبيِّ صَ ﷺ يَرْوِيهِ عن رَبِّكُمْ، قالَ:" لِكُلِّ عَمَلٍ كَفَّارَةٌ، والصَّوْمُ لي وأَنَا أَجْزِي به، ولَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ..[٣١]" قال ابن رجب: " فالاستثناء يعود إلى التكفير بالأعمال، ومن أحسن ما قيل في معنى ذلك ما قاله سفيان بن عينه رحمه الله، قال: هذا من أجود الأحاديث وأحكمها، إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده، ويؤدِّي ما عليه من المظالم من سائر عمله، حتى لا يبقى إلا الصوم، فيتحمل الله عز وجل ما بقي عليه من المظالم، ويدخله بالصوم الجنة. خرجه البيهقي في "شعب

---

[٢١]) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت 505هـ): إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت، ج4 ص381.

[٢٢]) مرتضى الزبيدي محمد بن محمد الحسيني: تحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مؤسسة التاريخ العربي1414 , هـ - ١٩٩٤م، ج ١٠ ص٥٤.

https://www.islamweb.net/ar/library/content/411/8236

[23]) أخرجه أبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠) واللفظ لهما، والنسائي (٢٣٣٣) باختلاف يسير، قال الألباني: صحيح راجع: صحيح أبي داود ٢٤٥٤.

[٢٤]) أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني: نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان قدم له: أبو بكر الجزائري - محمد صفوت نور الدين - محمد عبد المقصود، دار ماجد عسيري – جدة، ج١ص١٣

[٢٥]) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، والترمذي (٧٦٤)، والنسائي (٢٢١٥)، وابن ماجه (١٦٣٨)، وأحمد (٧٤٩٤) واللفظ له.

[٢٦]) هاني فقيه: شرح مختصر الشمائل المحمدية ط١، ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م.

[٢٧]) فإنه لا مثل له: قال السندي – رحمه الله -: أي في كسر الشهوة، ودفع النفس الامّارة والشيطان، أو لا مثل له في كثرة الثواب والأجر

[٢٨]) أخرجه النسائي رقم (٢٢٢٠)، قال الألباني: صحيح، راجع: صحيح النسائي / ص ٢٢١٩

[٢٩]) لاعِدْل له: والعدل بكسر فسكون: المثل والنظير، أي لا وزن لثوابه، والله يضاعف لمن يشاء.

٣٠) أخرجه النسائي (٢٢٢٣) واللفظ له، وأحمد (٢٢١٤٩)، قال الألباني: صحيح، راجع: صحيح النسائي / ص ٢٢٢٢.

[٣١]) أخرجه البخاري ومسلم (متفق عليه).

الإيمان"... فيحتمل أن يقال في الصوم: إنه لا يسقط ثوابه بمقاصة (أي قصاص) ولا غيرها، بل يوفر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة، فيوفى أجره فيها." .[٣٢] قال أيضا: (وأما قوله: " فإنه لي" أحسن ما ذكر في [معنى ذلك] وجهان: أحدهما: أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها لله عز وجل، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام. الوجه الثاني: أن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره، لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله، وترك لتناول الشهوات التي يستخفى بتناولها في العادة [٣٣]. قال المناوي -رحمه الله- في قوله تعالى" وانا أجزي به" أي أجزي صاحبه جزاءً كثيرًا، وأتولى الجزاء عليه بنفسي فلا أكله إلى مَلك مقرب ولا غيره، لأنه سر بيني وبين عبدي، لأنه لما كف نفسه عن شهواتها جُوزي بتولي الله سبحانه إحسانه ". [٣٤]

كيفية تحقيق هذا المقصد

١- إخلاص النية لله تعالى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عَنِ النبيِّ ﷺ قال: الأعْمَالُ بالنِّيَّةِ، ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إلَيْهِ)[٣٥]. الصيام باعتباره ركن من أركان الدين يتأكد وجوب النية قبل بدء اليوم، ومن لم يعزم عليه وينوي الصيام قبل أن يدخل عليه أذان الفجر، "فلا صيام له"، أي: لا يجزئ صومه الذي صامه بدون نية وعزم يسبقه قبل الفجر لحديث النبي ﷺ: "من لم يجمع الصيام قبل الفجر"[٣٦]. ومن المسائل المهمة والعملية هو أن نتعود تجديد النية لله في جميع أعمالنا ولو كانت نافلة أو تطوع، وأن تصبح سجية في جميع أعمالنا.

٢- المواظبة على تلاوة القرآن

لأغرو أن يخص الله شهر رمضان بنزول القرآن قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} [القدر:١]. وقال: {إنا أنزلناه في ليلة مباركة} [الدخان:٣] وشهر رمضان موسم عظيم لتصويب وتفعيل العلاقة مع القرآن وزيادة الإخلاص والارتقاء فيه. والقرآن الكريم هو المنهج الذي يستقيم به ضمير المؤمن ونيته ويحقق التوازن بين الروح والعقل والجسد.

المقصد الثاني:

مقصد الطهارة : بتطهير النفس من الأدران والأوساخ، قال تعالى:" (ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ) [البقرة :٢٣٢] ،ولا يقتصر مفهوم الطهارة في الشرع على المعنى المادي المجرد، حيث لا يمكن اختزاله في الوضوء والغسل؛ فالطهارة المعنوية القلبية الباطنية هي أساس العبادات وروح الشرائع،، وطهارة السلوك الظاهر هي قوام المجتمعات القوية المتماسكة. قال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].وقوله عز وجل: "أولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ " [المائدة: ٤١]، أي أن يهديهم، وقال النبي ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ» ، وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ [المائدة: ٦]، يقول الإمام أبو حامد الغزالي: «فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوله: «الطُّهُورُ نِصْفُ الْإِيمَانِ» عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء، وإلقائه، وتخريب الباطن، وإبقائه مشحونًا بالأخباث، والأقذار، هيهات هيهات!!)[٣٧]

والصوم عبادة من العبادات التي لم يرد الله بها الحرج والمشقة وإنما تغي بها تطهير المؤمنين وتنقيتهم ظاهراً وباطناً من:

أولاً: المدنسات والآفات المادية - الطهارة من الحدث فلا يصح صوم الحائض والنفساء لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت: "هل تقضي الحائض الصوم والصلاة؟ فقالت: كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة[٣٨]". وكذلك الجنب عليه أن يغتسل من الجنابة ليكمل صوم؛ عَنْ عَائِشَةَ أم المؤمنين رضي الله عنها أنَّ رَجُلًا جَاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ يَسْتَفْتِيهِ، وَهي تَسْمَعُ مِن وَرَاءِ البَابِ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ، أَفَأَصُومُ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ فأصُومُ، فَقالَ: لَسْتَ مِثْلَنَا يا رَسولَ اللهِ؛ قدْ غَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ، فَقالَ: وَاللَّهِ، إنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بما أَتَّقِي.

ثانياً: تطهير المؤمنين من الآفات المعنوية (الطهارة المعنوية) بتطهير قلوبهم من الشرك الخفي ومن سائر أمراض القلوب المعنوية بتطهر النفس من سوء الخلق ،وتطهير اللسان ومن الصخب وفحش القول و والغيبة والنميمة وتطهير القلب من والشح والبخل،و الحسد والحقد ، والبغضاء، وحب الدنيا وتطهير الجوارح من والانقياد إلى الشهوات ، وكل المنكرات، عن أبي هريرة عَنِ النبيِّ رضي الله عنه ﷺ لَّمَ :"ربَّ صائمٍ ليسَ لَه من صيامِه إلَّا

---

[٣٢] "الطائف المعارف" (٢٨٦).

[٣٣] لطائف المعارف" (٢٨٩_٢٩٠)

[٣٤] فيض القدير:٢٥٠/٤:

[٣٥] أخرجه البخاري

[٣٦] سبق تخريجه

[٣٧] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) : إحياء علوم الدين، ١٢٥/١ دار المعرفة – بيروت.

[٣٨] رواه مسلم في (الحيض) باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة برقم ٥٠٨.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الجوعُ وربَّ قائمٍ ليسَ لَه من قيامِه إلَّا السَّهرُ"[٣٩] وهذا محمول على من لم يطهر قلبه من الرياء والحقد والحسد والبغضاء ولم يطهر لسانه من الغيبة والنميمة والفحش في القول والسباب ولم يطهر عينه من النظر إالى ما حرم الله عليه ، ومن لم يطهر سمعه عن الاستماع إلى ما حرم الله عليه الاستماع إليه ، وكذا كل جوارحه التي لم يحفظها من الآثام فليس له إلا الجوع والعطش لأنه لم يحقق مقصد الصيام في تطهير الباطن والظاهر عن أبو هريرة قال رسول الله ﷺ:: "ليس الصيامُ من الأكلِ والشربِ، إنما الصيامُ من اللَّغو[٤٠] ،والرفثِ[٤١]، فإن سابَّك أحدٌ أو جهِل عليك فقل: إني صائمٌ، إني صائمٌ لا تُسابِّ وأنت صائمٌ، وفي رواية: فإن سابَّك أحدٌ فقل: إني صائمٌ، وإن كنتَ قائمًا فاجْلِسْ[٤٢].والحديث يؤكد على أن الصيام الذي يريده الله لا يقتصر على الإمساك عن شهوة الأكل والشرب وإنما تطهير جميع الجوارح خاصة اللسان عن فضول الكلام ، وعن الفحش من القول وإن سابه أحد أو تجرأ عليه بكلام فاحش وبذيء فلا يجاريه أر يرد عليه بل يقل إن صائم عن اللغوي والفحش وكل ما يبغض الله عزوجل. وقال ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[٤٣] فليس من حكم الصوم ومقاصده الكبر الامتناع عن الطعام والشراب فقط وإنما تطهير النفس وتطويع الجوارح، فمن لم يترك الكذب، والميل عن الحق، والعمل بالباطل وشهادة الزور ؛ فالله ليس بحاجة لأن يترك الطعام والشراب، وليس معنى ذلك أن يؤمر الصائم الذي تلبس بمعصية أن يترك صيامه ويفطر، وإنما معناه التحذير من قول الزور أو العمل به، وتعظيم التلبس بهذه المعاصي حال الصوم، حيث إنه يكون سببا في نقصان أجر عبادة ، أو إحباطه ،روي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: قَالَ: الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.. يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَ.[٤٤] هذا الحديث دليل على أن الصائم مطالب بحفظ صومه، وذلك بتطهير الجوارح وتحسين الأخلاق والبعد عن سيئها، ليؤدي الصوم ثمرته المطلوبة، وتترتب عليه المغفرة الموعود بها.

الصوم يطهِّر النَّفس من الشُّحِّ والبُخل، وقسوة القلب، قال رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا**» [٤٥]. روي عن أبي هريرة أن رجلًا شكا إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال: «**امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمْ الْمِسْكِينَ**» [٤٦]،

شهر رمضان نفحة ربانية لتطهير المؤمنين من الذنوب والمعاصي والآثام بالمغفرة والتعرض لرحة الله لنيل العفو التامة والعتق من نار جهنم في الدار الآخرة.؛ روي عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا - قلتُ: يا رسولَ اللهِ أرأيت إن علمتُ أيَّ ليلةِ القدرِ ما أقولُ فيها؟ قال: قولي: اللهمَّ إنك عفوٌّ تُحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي"[٤٧] ،

وزيادة في الفضل والكرم الإلهي فَرَضَ رسولُ اللهِ صدقةَ الفطرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفثِ، طُعْمَةً لِلْمَساكِينِ، عن عبد الله بن عباس قال ﷺ: "فَرَضَ رسولُ اللهِ صدقةَ الفطرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفثِ، طُعْمَةً لِلْمَساكِينِ، فمَنْ أدَّاها قبلَ الصَّلاةِ؛ فهيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، ومَنْ أدَّاها بعدَ الصَّلاةِ؛ فهيَ صدقةٌ مِنَ الصدقةِ."[٤٨]

كما أن الصيام يساعد على التخلص من العادات الضارة، مثل: الإكثار من تناول المنبهات، أو حتى التدخين، والتخلص من الإدمان وشرب المسكرات، والمفترات.

كيفية تحقيق هذا المقصد إنما تكون:

أولاً- بالتوبة النصوح قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ رمضان شهر التوبة وشهر المغفرة، واستقباله إنما يكون بالتوبة الى الله من جميع لذنوب، والتوبة والمقصود بالتوبة أن نطلب من الله أن يطهرنا من كل ما يحبط صيامنا أو يدنسه. الصيام فرصة عظيمة لتحقيق حقائق الإيمان والتقوى في النفس، وهذا لأيمكن أن يتأتى لمن يصر على الذنوب والمعاصي خاصة الكبائر؛ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: قَالَ:" رغِمَ أنفُ رجلٍ ذُكِرتُ عندَهُ فلم يصلِّ عليَّ، ورَغِمَ أنفُ رجلٍ دخل

---

[٣٩] قال الألباني: حسن صحيح راجع صحيح ابن ماجه: ١٣٨٠أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (٣٢٤٩)، وابن ماجه (١٦٩٠) واللفظ لهما، وأحمد (٩٦٨٣) باختلاف يسير.

[٤٠]) اللغو: الكلام الذي لا فائدة فيه

[٤١]) - الرفث: الفحش من القول

[٤٢]) أخرجه ابن خزيمة (١٩٩٦)، وابن حبان (٣٤٧٩)، والحاكم (١٥٧٠) قال الألباني: صحيح راجع: صحيح الترغيب ١٠٨٢

[٤٣]) قال الألباني: صحيح. راجع: صحيح الترمذي: ٧٠٧. أخرجه البخاري (١٩٠٣)، وأبو داود (٢٣٦٢)، والترمذي (٧٠٧) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٣٢٤٦)، وابن ماجه (١٦٨٩)، وأحمد (١٠٥٦٢)

[٤٤]) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)

[٤٥]) أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب في الشح، برقم (١٦٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٤/١)، برقم (١٥١٦)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو ب، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[٤٦])أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥٥٨/١٤)، برقم (٩٠١٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٩٣/٨): رجاله رجال الصحيح.

[٤٧]) قال ابن دقيق العيد في المقدمة: صحيح على طريقة بعض أهل الحديث، راجع الإلمام بأحاديث الأحكام٣٦٤/١، أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٧٧١٢)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد (٢٥٣٨٤) باختلاف يسير.

[٤٨]) قال الألباني: حسن، راجع: صحيح الترغيب ١٠٨٥، أخرجه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧) باختلاف يسير.

عليهِ رمضانُ ثمَّ انسلخَ قبلَ أن يُغفَرَ لَهُ، ورغمَ أنفُ رجلٍ أدرَكَ عندَهُ أبواهُ الكبرَ فلم يُدْخِلاهُ الجنَّةَ." [٤٩]

ثانياً -التدريب على مراقبة الله عز وجل في جميع أعمالنا، ومحاسبة النفس على ما وقعت فيه من المعاصي والذنوب كعقوق الوالدين، وقطعية الرحم، وأكل الربا، والكذب، والغيبة والنميمة، والنظر إلى الحرام، وارتكاب الفواحش، وشرب المحرمات كالدخان والمسكرات والمخدرات، وغير ذلك من الكبائر والصغائر التي نهى عنها المولى جلا وعلا، وقال تعالى {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة: ٦]

ثالثاً -مقصد التزكية والتنمية:

فالتزكية من الزكاة وهي النماء الزيادة، والتزكية: التنمية "[٥٠]، والتنمية مشتقة من نمَّى، بمعني: زوَّد، أو كثَّر، " «ونميت النار رفعتها، وأشعلت وقودها، والنماء: الربح» [٥١]، والتنمية: فعل ما به يزيد الشيء ويكثر.[٥٢] التزكية: إكساب الزكاة وهي نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم. وأصل التزكية نفي ما يستقبح قولا أو فعلا[٥٣].

وفي المقاصد الشريعة الإسلامية لا تقتصر التزكية والتنمية على تزكية وتنمية الفرد المادية، والمعنوية العاجلة، والآجلة في الدنيا، والأخرة فحسب، إنما تتعداها إلى تنمية المجتمع في جميع جوانبه الثقافية، والأخلاقية، والقيمية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية ...الخ.

ومن رحمة الله عز وجل بعباده أن أرسل لهم رسول يزكي نفوسهم ويهذبها، قال الله عز وجل: {كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ما لم تكونوا تعلمون} [البقرة:١٥١] قال العلامة السعدي رحمه الله: {يزكيكم} أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيها عن الأخلاق الرذيلة.

الصوم عبادة تزكي النفس وتنمي الأخلاق الحميدة والقيم الفاضلة على مستوى الفرد والمجتمع مادياً ومعنوياً في العاجل والآجل

الصوم مدرسة تزكي النفوس وترتقي بها في مدارج الكمال وتزويدها بما يعينها طوال العام في رحلتها إلى الدار الآخرة.

الصوم ينمي ضمير المؤمن، ويزيد من مراقبة الصائم الله عز وجل حيث يستشعر الصائم أن الله عز وجل يراقبه في كل تصرفاته وسكناته، يصوم بدنه وتصوم جوارحه ويصوم قلبه، يقيه ويحميه الصوم عن عمل أي شيء يضيع عليه ثواب الصائمين مؤمناً بقول الله عز وجل: " وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير "[الحديد: ٤] وقول الرسول اللهِ ﷺ: " أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " [٥٤] .

الصيام ينمي في النَّفس الحلم والأناة، والصوم وسيلة عظيمة لجهاد النَّفس الذي هو أعظم من جهاد الكفَّار والمنافقين، وذلك لحملها على فعل ما أمرت به وترك ما نهيت عنه، ومنعها من حظوظها وشهواتها محبَّةً لله وطاعةً له، وإيثارًا لمرضاته، وهذا معنى قوله: «يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي»، كي يتعوَّد الصَّائم على قهر نفسه وغلبته عليها حتَّى تنقاد لأمر مولاها ومخالفة هواه.

الصوم يزيد من الشعور بالمسؤولية تجاه الأخرين عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "مَن فطَّرَ صائمًا كان مغفرةً لذُنوبِه وعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِن النَّارِ، وكان له مِثْلُ أجْرِه مِن غيرِ أنْ ينقُصَ مِن أجْرِه شَيءٌ. قالوا: يا رسولَ اللهِ، ليس كلُّنا يجِدُ ما يُفَطِّرُ به الصَّائمَ؟ فقال رسولُ ﷺ: يُعطِي اللهُ هذا الثَّوابَ مَن فطَّرَ صائمًا على مَذْقَةِ لبنٍ، أو تمْرٍ، أو شَربةِ ماءٍ، ومَن أشبَعَ صائمًا سقاهُ اللهُ مِن حَوْضي شربةً لا يظمأُ حتَّى يدخُلَ الجنَّةَ."[٥٥]

الصوم مدرسة تربوية تزيد من خلق التسامح، وتحث على مكارم الأخلاق وفضائل الأقوال والأعمال، فالصائم لا يصخب، ولا يغلو ولا يغضب، ولا ينطق كذباً ولا يقول زوراً، لا يُخلف وعداً ولا يؤخر عملاً، بل قوله ذِكر، وصمته فِكر، وإنَّ وقت الصائم لَأنفس وأغلى من أن يُنفق في هذه المهلكات، التي تؤثر على ثواب الصيام أو تذهب حقيقته. والله أعلم. عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: (إذا أصبَحَ أحدُكم يومًا صائمًا، فلا يرفُثْ ولا يَجهَلْ، فإنِ امرؤٌ شاتَمَه أو قاتَلَه، فلْيَقُل: إنِّي صائِمٌ، إنِّي صائِمٌ)[٥٦] قال الصنعاني: (فلا تَشتِمْ مبتدئًا ولا مُجاوِبًا)[٥٧]

الصوم يربِّي النَّفس على الصَّبر، ويعوِّدها على تحمُّل المشاقِّ في سبيل الله عز وجل، قال تعالى: "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ" [الزمر: 10] عن رجل من بني سليم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ والصومُ نِصفُ الصَّبرِ ".[٥٨] "والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله وصبر عن

[٤٩] قال الألباني: حسن صحيح، صحيح الترمذي: ٣٥٤٥، أخرجه الترمذي (٣٥٤٥) واللفظ له، وإدراك الأبوين أصله في صحيح مسلم (٢٥٥١)

[٥٠] سعدي أبو جيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر. دمشق – سورية، ط2، 1408 هـ = 1988 م ص159.

[٥١] ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري . لسان العرب (٣٤٢/١٥)، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس (١٣٣/٤٠).

[٥٢] ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري . لسان العرب (343/١٥)

[٥٣] المناوي زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين: التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب -القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص٩٦.

[٥٤] متفق عليه

[٥٥] قال: السخاوي: المقاصد الحسنة رقم ٤٩٥، والعجلوني في كشف الخفاء: حديث ضعيف،

[٥٦] رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١) واللفظ له.

[٥٧] الصنعاني: سبل السلام (١٥٧/٢).

٥٨): أخرجه الترمذي (٣٥١٩) قال الترمذي حديث حسن، وأحمد (٢٣١٣٩)، والدارمي (٦٨٠)

محارم الله وصبر على أقدار الله المؤلمة. وتجتمع الثلاثة في الصوم فإن فيه صبرا على طاعة الله وصبرا عما حرم الله على الصائم من الشهوات وصبرا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه."[٥٩]

الصيام ينمي في النفس خلق العفة والاستعفاف عن كل المحرمات والشهوات ، ويضييق مسالك الشّياطين من وساوسها، ولهذا حثَّ النَّبيُّ ﷺ الشَّباب افقال: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ" [٦٠]

- الصوم بزكي النفس ويزيد من صفة الجود والكرم، كما قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ● أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"[٦١] وإنَّما كان يعظم جوده في رمضان؛ لأنَّه موسم الخيرات، وفيه تتضاعف الحسنات، وليعين الصَّائمين على صومهم، وَليُفطِّرَهم، فيحصل له مثل أجورهم.

- الصيام يحمل النَّفس على التَّسابق في الخيرات، والتَّنافس في الأعمال الصَّالحات، لقوله ﷺ: "إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَللهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلكَ كُلَّ لَيْلَةٍ" [٦٢] رَسُولُ اللهِ ﷺ أجود بني آدم على الإطلاق كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم.

من مظاهر التنمية في رمضان تنمية ومضاعفة الأجور في رمضان شهر مضان مهرجان كوني تتضاعف فيه الأجور والأعمال عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: "كلُّ عملِ ابنِ آدمَ يُضاعفُ؛ الحسنةُ بعشرِ أمثالِها، إلى سَبْعِمائةِ ضِعفٍ، قال اللهُ تعالى: إلَّا الصَّوْمَ؛ فإنَّه لِي، وأنا أجزي به ..."[٦٣]

من مظاهر التنمية في رمضان ليلة القدر عن أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:" لمَّا حضرَ رمضانُ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: "قد جاءَكم رمضانُ، شهرٌ مُبارَكٌ، افترَضَ اللهُ عليكم صِيامَه، تُفتَحُ فيه أبوابُ الجنَّةِ، وتُغلَقُ فيه أبوابُ الجَحيمِ، وتُغَلُّ فيه الشَّياطينُ، فيه لَيلةٌ خَيرٌ مِن ألْفِ شَهرٍ، مَن حُرِمَ خَيرَها فقد حُرِمَ."[64]

من مظاهر التنمية في رمضان فيه دعوة لا ترد فالصائم، النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "الدُّعاءُ هو العبادةُ ثمَّ قرأ {وَقال رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ)"[٦٥] ، عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:" ثلاثة لا تردُّ دعوتُهم . . . والصَّائمُ حتَّى يفطرَ ودعوة المظلومِ. . . "[٦٦]

كيفية نحقق هذا المقصد

١- المداومة على ذكر الله ،فذكر الله يزيد من الإيمان ويزيد من أجر الصائم وينمي الأخلاق الحسنة عن أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: " ألَا أُنَبِّئُكم بِخَيْرِ أعمالِكُم ، وأَزْكاها عِندَ مَليكِكُم ، وأرفعِها في دَرَجاتِكُم ، وخيرٌ لكم من إنْفاقِ الذَّهبِ والوَرِقِ ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم ، فتَضرِبوا أعناقَهُم ، ويَضرِبوا أعْناقَكُم ؟ ! ، قالوا : بَلَى ، قال : ذِكْرُ اللهِ:"[٦٧] ، ومن الأذكار التي كان يواظب عليها رسول الله ﷺ التسبح والتحميد والتهليل والتكبير قال النَّبيَّ ﷺ:" خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النارِ؛ قولوا: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولَا إلهَ إلَّا اللهِ، واللهُ أكبرُ، فإنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقَدِّمَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ ومُجَنِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ"[68].

٢- المبادرة بالطاعات والانشغال بها عن الآثام والمنكرات:

أفضل تعامل مع شهر رمضان اعتباره ظرفا للتسابق إلى الطاعات والتنافس في القربات، قال الله تعالى: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} الآية [البقرة،١٤٨ ، قال الرسول ﷺ: " - بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ

---

[٥٩]) ابن رجب الحنبلي زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، (ت ٧٩٥ هـ) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

[٦٠]) متفق عليه

[٦١]) متفق عليه

[٦٢]) رواه الترمذي وابن ماجه. وخرج ابن عدي بإسناد فيه ضعف من حديث أنس مرفوعا:

٦٣) وأخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) باختلاف يسير

64) قال شعيب الأرناؤوط: صحيح راجع: تخريج المسند لشعيب ص ٩٤٩، أخرجه النسائي (٢١٠٦)، وأحمد (٩٤٩٧) واللفظ له

٦٥) قال المنذري: إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما، راجع: الترغيب والترهيب، أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجة (٣٨٢٨)

٦٦) قال: الألباني: صحيح، راجع: صحيح ابن ماجه، ١٤٣٢: أخرجه الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وأحمد (٨٠٣٠) مطولاً.

٦٧ } قال: الألباني، إسناده صحيح، راجع هداية الرواة، ٢٢٠٩، أخرجه الترمذي (٣٣٧٧) واللفظ له، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (٦/ ٤٤٧).

68) قال: الألباني صحيح، راجع صحيح الجامع ٣٢١٤: أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٦٨٤)، والعقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (١٧/٣)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٤٠٢٧) باختلاف يسير.

بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا."[٦٩] والمبادرة بالأعمال إنما تكون بكثرة ذكر الله ، و تلاوة القرآن الكريم ، وتقديم العون المعنوي والمادي للآخرين ؛ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»[٧٠]. قال المناوي(في «فيض القدير»: خير الناس أنفعهم للناس بالإحسان إليهم بماله وجاهه، فإنهم عباد الله وأحبهم إليه، وأنفعهم للناس بنعمة يسديها أو نقمة يزويها عنهم دينًا أو دنيا ومنافع الدين أشرف قدرا وأبقى نفعًا[٧١]".

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»[٧٢]. "ومن عدل هذه الملة الشريفة وإنصافها، وكرمها: إذا حرمت صدقة المال على مسكين الذلة أباحت له صدقة القدرة، فانتقلت الصدقة عليه من مال ذي الغنى إلى نصرة ذي الجاه، فالدين يفرض للمسكين الفقير مالًا على ذوي الغنى وهو زكاة المال، والمروءة تفرض للمسكين الذليل على ذوي القدرة نصْرة ليتساوى من جمعته أخوة الإيمان فيما جعله الله تعالى للأغنياء من تمكين وإمكان"[٧٣].

رابعا: مقصد التيسير ورفع الحرج

تكاليف الشريعة كلها مبنية على اليسر ورفع الحرج، فإن الله لم يكلف العباد إلا بما يطيقون، وما فيه مصلحتهم في العاجل والآجل، وهذا ظاهر في نصوص الوحي سواء في ذلك القرآن أو السنة النبوية، ويتجلى هذا المبدأ في جوانب متعددة، فورود الرخص الشرعية عند وجود أسبابها أحد تجليات مبدأ اليسر ورفع الحرج، ومراعاة الطبائع البشرية والأعراف الاجتماعية في التشريع كذلك، واعتبار العوارض في الأحكام من مظاهر مبدأ التيسير ورفع الحرج.

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على أن التيسير مقصد من مقاصد الشريعة, وأن الحرج مرفوع عنها, فقد قال تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" [البقرة: 185] وقال تعالى: "مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ"[المائدة: 6] ، وقال تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا "[النساء: 28] ،عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا، ولا تُنَفِّرُوا."[٧٤] وفي رواية: يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وسَكِّنُوا ولا تُنَفِّرُو"[٧٥] وقال رسول الله ﷺ: إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقارِبُوا، وأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ. [٧٦]- عن محجن بن الأدرع قال: قال رسول الله ﷺ:"... إنَّ خيرَ دِينِكُمْ أيسَرُه، إنَّ خيرَ دِينِكُمْ أيسَرُه، ثلاثًا".[٧٧]

، ومن مظاهر التيسير في تشريع الصيام كذلك: أن الله سبحانه أمَر عباده بصيام أيام معدودات ولم يأمرهم بصيام الدهر كلّه أو يأمرهم بصيام نصف الدهر، فقال تعالى: {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} [البقرة: ١٨٤]، وذلك لعلمه سبحانه بضعفهم عن تحمّل صيام الدهر أو نصف الدهر، فرفع عنهم المشقة وكلَّفهم بما يطيقون برحمته وفضله، قال تعالى:" يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"[البقرة: ١٨٥]. يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: «ثم بيَّن مقدار الصوم، وأنه ليس في كلّ. يوم، لئّلا يشقّ على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه.

من مظاهر التيسير في تشريع الصيام أن الله سبحانه رفع الحرج عن المريض والمسافر بأن أباح لهما ترك الصيام خلال مدة المرض أو السفر رفعًا للمشقة عنهما، وأمَرهما بقضاء هذه الأيام في أيام أُخر لتتم عدّة الصيام ويحصِّل العبد مقاصده، فقال تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} [البقرة: ١٨٤]، وقال في الآية التي تليها: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} [البقرة: ١٨٥].

ومن مظاهر التيسير في رمضان: رخصة الفطر للحامل والمرضع: لقوله ﷺ، «إنَّ الله وضع عن المسافر نصف الصّلاة والصَّوم، ورخص للحبلى والمرضع «[٧٨]. عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ سُئِلَ عَنِ الْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، إِذَا خَافَتْ عَلَى وَلَدِهَا وَاشْتَدَّ عَلَيْهَا الصِّيَامُ؟ قَالَ: «تُفْطِرُ، وَتُطْعِمُ، مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا. مُدًّا مِنْ حِنْطَةٍ بِمُدِّ النَّبِيِّ ﷺ » قَالَ مَالِكٌ: " وَأَهْلُ الْعِلْمِ يَرَوْنَ عَلَيْهَا الْقَضَاءَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}

٦٩) مسلم: صحيح مسلم رقم الحديث 118

أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٦٧٧/٢)، برقم (١١٤٩) ط (٢) ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م تحقيق حمدي عبد المجيد، وقال ابن طاهر المقدسي في «معرفة التذكرة» (١٤٦/١): فيه عمرو بن بكر السكسكي هو منكر الحديث كما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط والصغير وابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف والحديث معناه صحيح وفي أحاديث صحيحة كثيرة ما يشهد لذلك منها ما رواه مسلم في صحيحه قوله ﷺ: «... من اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ».

٧١) «فيض القدير» (٤٨١/٣).

٧٢أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٥٥/٢)، برقم (١٣٠٦)، من حديث أنس بن مالك ت، وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٥٢٢/٥): مَدَارُ إِسْنَادِ حَدِيثِ أَنَسٍ هَذَا عَلَى يُوسُفَ بْنِ عَطِيَّةَ الصَّفَّارِ وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَى ضَعْفِهِ، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في المعجم الأوسط والصغير ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسند.

٧٣) «لسان العرب» لابن منظور (٦١/٥).

٧٤) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).

٧٥) أخرجه البخاري (٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٤)

٧٦) أخرجه البخاري (٣٩)، أخرجه مسلم (٢٨١٦) بنحوه

٧٧) أخرجه أحمد (٢٠٣٤٩)، وابن أبي شيبة (٥٩٦) باختلاف يسير، والبخاري في الأدب المفرد (٣٤١)، قال الألباني: حسن، راجع صحيح الأدب المفرد ،٢٦٠

٧٨) أخرجه النسائي في سننه (ص: ٣٥٨) كتاب: الصيام، باب: ذكر اختلاف معاوية بن سلام وعلي بن المبارك في هذا الحديث برقم: (٢٢٧٧) وقال الألباني: حسن.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

[البقرة: ١٨٤] وَيَرَوْنَ ذَلِكَ مَرَضًا مِنَ الْأَمْرَاضِ مَعَ الْخَوْفِ عَلَى وَلَدِهَا "[٧٩]

ومن مظاهر التيسير في تشريع الصيام أيضًا: أنه سبحانه أحلّ لعباده ليلة الصيام ما كان محرّمًا عليهم وقت الصيام من الطعام والشراب والجماع، وذلك من غروب الشمس إلى طلوع الفجر بخلاف ما كان عليه الأمر في أول تشريع الصيام، فقال سبحانه: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}[البقرة: ١٨٧].

ومن التيسير أن رخص لكبار السنّ وأصحاب الأمراض المزمنة التي يصعب معها الصيام، فدية عن صيامهم أن يطعموا عن كلّ يوم مسكينًا، فقال تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة :١٨٤] وذلك جبرًا لخواطرهم ورفعًا للحرج والمشقّة عنهم برحمته وفضله سبحانه.

ومن مظاهر التيسير استحباب تعجيل الفطر وتأخير السحور عن سهل بن سعد أن رسول الله -ﷺ- قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[٨٠]. وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً".[٨١]

من مظاهر التيسير في الصيام عدم مؤاخذة الناسي إذا أكل وشرب ناسيا وهو صائم؛ وهو ما يؤكده حديث رسول الله-ﷺ: قال "من نسي وهو صائم فأكل أو شرب، فليتم صومه؛ فإنما أطعمه الله وسقاه [82] "

التيسير على الجُنُب في رمضان، وعدم فساد الصوم لمن أدركه الفجر وهو جنب، فعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ -كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم[٨٣]

ومن مظاهر التيسير أن رسول الله ﷺ -كان يترك بعض العمل خشية المشقة على أمته، ولنا شاهد في قصة صلاة التراويح؛ عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ -في المسجدِ فصلَّى بصلاتِهِ ناسٌ، ثمَّ صلَّى من القابلةِ، فكَثُرَ النَّاسُ، ثمَّ اجتَمَعوا من الليلةِ الثَّالثةِ، فلم يخرُجْ إليهم رسولُ اللهِ ﷺ، فلمَّا أصبح قال: قد رأيتُ الذي صنعْتُم فلم يمنَعْني من الخروجِ إليكم إلَّا أنِّي خَشِيتُ أن تُفرَضَ عليكم، وذلك في رَمَضانَ"[٨٤]. كما كان يدخل الصلاة وهو ينوي إطالتها فيتجوز فيها عن أبي قتادة "إنِّي لأقومُ إلى الصَّلاةِ وأنا أريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأسمعُ بُكاءَ الصَّبيِّ فأتجوَّزُ كراهيةَ أن أشقَّ على أمِّهِ ".[٨٥]

ومن مظاهر التيسير في رمضان قضاء الصوم عن الميت الذي مات وعليه دين الصيام مصداقا للحديث الذي روته عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»[٨٦].وعن ابن عباس رضي الله عنهما- قال: «جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال يا رسول الله: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ قال: "نعم"، قال: "فدين الله أحق أن يقضى».[٨٧]**وقاعدة (الْمَشَقَّةُ تَجْلُبُ التَّيْسِيرَ) مِنْ أُمَّهَاتِ قَوَاعِدِ الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ، يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُجْتَهِدُ وَالْمُفْتِي كَثِيرًا. قَالَ السُّيُوطِيّ: يَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ غَالِبُ أَبْوَابِ الْفِقْهِ**

ومن التطبيقات المعاصر على هده القاعدة ما قرره مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي [٨٨] من بعض المستجدات التي لا تعتبر من المفطرات كقطرة العين، أو قطرة الأذن، أو غسول الأذن، أو قطرة الأنف، أو بخاخ الأنف، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق. وكالأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية وغيرها إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق. وما يدخل المهبل من تحاميل (لبوس)، أو غسول، أو منظار مهبلي، أو إصبع للفحص الطبي، وإدخال المنظار أو اللولب ونحوهما إلى الرحم. و -ما يدخل الإحليل أي مجرى البول الظاهر للذكر والأنثى، من قسطرة (أنبوب دقيق) أو منظار، أو مادة ظليلة على الأشعة، أو دواء، أو محلول لغسل المثانة، وحفر السن، أو قلع الضرس، أو تنظيف الأسنان، أو السواك وفرشاة الأسنان، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق. -المضمضة، والغرغرة، وبخاخ العلاج الموضعي للفم إذ اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق. و -الحقن العلاجية الجلدية أو العضلية أو

---

[٧٩]) مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) موطأ الإمام تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م،٢٠٨/١، بَابُ جَامِعِ قَضَاءِ الصِّيَامِ.

[٨٠]) أخرجه البخاري في صحيحه (٢ /٤٧) كتاب: الصوم، باب: تعجيل الإفطار برقم: (١٩٥٧).

[٨١]) رواه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).

[82]) أخرجه البخاري في صحيحه (٢ /٣٩) كتاب: الصوم، باب: الصائم إذا أكل أو شرب ناسيا برقم: (١٩٣٣)، ومسلم في صحيحه (١ /٥١٢) كتاب: الصوم، باب: أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر، برقم: (١١٥٥).

[٨٣]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر ليس من البر الصوم في السفر برقم: (١٩٤٦).

[٨٤]) أخرجه البخاري (١١٢٩)، ومسلم (٧٦١)، والنسائي (١٦٠٤) باختلاف يسير.

[٨٥]) أخرجه أبو داود (٧٨٩) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٧٠٧) باختلاف يسير، قال الألباني صحيح، راجع صحيح أبي داود: ٧٨٩.

[٨٦]) التخريج: أخرجه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧)

٨٧) صحيح البخاري كتاب الصوم باب من مات وعليه صوم

[٨٨]) المنعقد في دورة مؤتمره العاشر بجدة بالمملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٣-٢٨ صفر ١٤١٨هـ الموافق ٢٨ حزيران (يونيو) -٣ تموز (يوليو) ١٩٩٧م راجع
https://iifa-aifi.org/ar/2009.html

الوريدية، باستثناء السوائل والحقن المغذية، وغاز الأكسجين. وغازات التخدير (البنج) ما لم يعط المريض سوائل (محاليل) مغذية.و ما يدخل الجسم امتصاصًا من الجلد كالدهونات والمراهم واللصقات العلاجية الجلدية المحملة بالمواد الدوائية أو الكيميائية و إدخال قسطرة (أنبوب دقيق) في الشرايين لتصوير أو علاج أوعية القلب أو غيره من الأعضاء، و إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء أو إجراء عملية جراحية عليه و أخذ عينات (خزعات) من الكبد أو غيره من الأعضاء ما لم تكن مصحوبة بإعطاء محاليل ،ومنظار المعدة إذا لم يصاحبه إدخال سوائل (محاليل) أو مواد أخرى.،و دخول أي أداة أو مواد علاجية إلى الدماغ أو النخاع الشوكي.القيء غير المتعمد بخلاف المتعمد (الاستفاءة) [89]

جميع هذه التطبيقات الفقهية مبنية على سماحة الشريعة وسهولتها، ومرونتها، وعلة جواز هذه التطبيقات أنها علاجات ليست للتغذية وليست من الطريق المعهود للتغذية، أوهي من اليسير المعهود الذي لا يفطر كالسواك وما في معناه.

وكذلك قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي بشأن المفطرات في مجال التداوي، الدورة الثالثة والعشرين والذي نص فيه على مفطرات الصيام ، وما لا يصح الصيام به من الدواء، وكلها تطبيقات عملية على مقصد التيسير فمثلا بخاخ الربو لا يفطر الصوم لأنه لا يصل إلى المعدة منه إلا جزء يسير مغتفر غير مقصود، أقل مما يصل المعدةَ من بقايا المضمضة والسواك وهذا نوع من التيسير ، أما جهاز التبخير الرئوي (النبيوليزر) المستخدم في علاج الربو فهو مفطر، لأن الكمية الداخلة منه إلى المعدة أكبر بكثير من القدر المعفو عنه.وفي هذا تيسير ؛ لأنه سبب يرخص به للمريض إن كان قادرا على القضاء فإنه يقضي يوم مكانه ، وإن كان غير قادر فإنه يخرج الفدية عن كل يوم ، وتنطبق على هذه القاعدة على سائر أحكام قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي بشأن المفطرات في مجال التداوي، الدورة الثالثة والعشرين حيث. قرر ما يأتي:١-المفطرات هي تعمدُ الأكل والشرب والجماع-وما في معناه- ٢-الجوف الذي يفسد الصوم بما يصل إليه هو ما تجاوز الحلق إلى الجهاز الهضمي، ووصل إلى المعدة مغذيًا كان أم غير مغذٍ، من طريقٍ معتاد أو غير معتاد.

أ- ما لا يفسد معه الصيام: فبخاخ الربو لا يؤثر على صحة الصوم، فهو يستهدفُ الجهازَ التنفسي، وما يصل إلى المعدة منه جزء يسير مغتفر غير مقصود، أقل مما يصل المعدةَ من بقايا المضمضة والسواك. وفي هذا تيسير وبعد عن التشدد، وسحب الدم للتحاليل المخبرية أو التبرع به. وكل ما يدخل عن طريق الشرج من حقن وتحاميل ومنظار ومراهم، ما عدا الحقن المغذية. ولصقة إزالة الشعور بالجوع. وعملية شفط الدهون مالم تترافق باستخدام السوائل المغذية. والمنظار الشرجي وإصبع الفحص الطبي. والحجامة والفصد. وفقد الوعي (الإغماء) بسبب التخدير العام لجزء من النهار، ولو استمر فقدان الوعي بقية يومه؛ إن كان قد وقع التخدير أثناء الصوم، مالم يصاحب ذلك إعطاء السوائل.

ب- ما يفسد الصوم: كل ما يدخل إلى الجهاز الهضمي متجاوزًا الفم والبلعوم، ومما هو محيل- هاضم- للطعام، وهو المريء والأمعاء الدقيقة. كل ما يتغذى به جسم الصائم، ومن أي منفذ طبيعي، لأنه في معنى الأكل، ولمنافاته لمقصد الصوم كالحقنة المغذية. جهاز التبخير الرئوي (البنيوليزر) المستخدم في علاج الربو مفطر، لأن الكمية الداخلة منه إلى المعدة أكبر بكثير من القدر المعفو عنه.

- نقل الدم لاحتوائه على كمية كبيرة من الماء.
- الغسيل الكلوي البريتوني والدموي، لما فيه من إدخال كمية كبيرة من الماء والأملاح والسكر.
- الكبسولات المستخدمة في بخاخ الربو المحتوية على البودرة الجافة، لخروج جزء منها وهو جرم يصل إلى المعدة.
- العمل على توعية المرضى بكل ما يتعلق بأداء عبادتهم على الوجه الصحيح المجزئ شرعًا، والدعوة إلى الرجوع إلى أهل العلم الثقات فيما قد يشكل عليهم من مسائل الصوم.
- إعلام المريض بالفشل الكلوي الذي لا يرجى برؤه؛ بعدم الصوم حفاظًا على حياته، فهو معذور، وعليه فدية طعام مسكين عن كل يوم.. [٩٠]

كيفية تحقيق هذا المقصد:

١. التدرج في الطاعة، والعبادات المسنونة وعدم تحميل النفس مالا تطيقه ، وتنويع العبادات والطاعات وعدم قصرها في نوع واحد من العبادة ، التدرج سنة من سنن الله الكونية والتشريعية ولابد للمسلم من مراعاة هذه السنة وأن لا يحمل نفسه فوق استعدادها، و أن ينوع لها في العبادات حتى لا تمل " إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني

---

[89]) راجع https://iifa-aifi.org/ar/2009.html

[٩٠]) قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، المنعقد في دورته الثالثة والعشرين بالمدينة المنورة، خلال الفترة من: ١٩-٢٣ صفر ١٤٤٠هـ، الموافق: ٢٨أكتوبر-١ نوفمبر ٢٠١٨م، واستكمالًا لقرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم ٩٣(١/١٠) بشأن المفطرات في مجال التداوي https://iifa-aifi.org/ar/4876.html

لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت، وأنا أكره مساءته."[٩١]

٢. التفقه في دين الله ودراسة أحكام الصيام خاصة المستجدات أحكام أو ما يسمى بفقه النوازل المعاصرة. قال تعالى ك "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ "[التوبة: ١٢٢]

خامساً مقصد الوحدة:

شهر رمضان له خصوصية كونية؛ فالكون ينتظم في عقد فريد ، تفتح أبواب الجنان ،و تغلق أبواب النار ، وتسلسل مردة الجن والشياطين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ[٩٢] وكأنما مفردات الكون تتوحد على معنى واحد هو إعانة المؤمنين على تجديد عهدهم مع الله وتوحيدهم على قيم الإيمان به وحده وتحقيق مراده من الخلق قال تعالى " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ "[الذاريات: ٥٦]

ومن مظاهر الوحدة الأزلية ؛ اتحاد الشرائع السماوية على فرضية الصيام في شهر رمضان ونزول الرسالات السماوية فيه؛ لتوكد وحدة الرسالات ووحدة العقيدة ووحدة أصول الشرائع ووحدة الدين، قال الله تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} (الشورى: ١٣)، وروي عن واثلة بن الأسقع، أنّ رسول الله ﷺ قال: «أُنزِلَت صحفُ إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأُنزلَت التوراةُ لِسِتٍّ مَضَيْن من رمضان، وأُنزل الإنجيلُ لثلاث عشرة خَلَتْ من رمضان، وأُنزل الزبورُ لثمان عشرة من رمضان، وأنزل اللهُ القرآنَ ، وأُنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان)[٩٣] .

الصوم مدرسة تحقق وحدة الشعور ووحدة الضمير ووحدة الفكر ووحدة السلوك ووحدة الصف ، ووحدة الشعائر ووحدة المصير ووحدة الهدف والغاية؛ ذلك أن الهدف من الصيام هو الامتثال لأمر الله تعالى وتحقيق العبودية له، فالله تعالى أمر المؤمنين بالصيام في قوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣]، ففي الآية نداء للمؤمنين أن يحققوا عبوديتهم لله بالصيام، ويحققوا عبوديتهم بوحدة صفهم، وتآلف قلوبهم، اجتماعهم على الطاعة وفي هذا من المساواة بينهم ما لا يخفى، فلا فرق بين غني وفقير، ولا أبيض وأسود، لذا يبادر كل مؤمن بالامتثال والاستجابة لهذا النداء الرباني، متمثلين . قول الله تعز وجل: (وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) [المؤمنون :٥٢] **فتوحيد الأمة** مقصد مترتب على مقصد اخلاص العبادة لله تعالى وصدق التوجه لله عز وجل، قال تعالى: (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء:٩٢]، لا غرو أن يعود أثر هذه الوحدة على المجتمع في شئونه الاقتصادية والاجتماعية، والعسكرية والميدانية في ساحة القتال ...الخ.

ومن مظاهر الوحدة في الصيام وحدة الشعور بالمسئولية: "فالإحساس بالمسئولية التضامنية أداة من أدوات البناء الإيماني في شهر الصيام ، فإطعام الطعام وإسعاف الملهوف ومعاونة الضعيف وصلة الأرحام والمشاركة الوجدانية والمادية في تفريج كرب المسلمين ونصرتهم ؛ومثاله فتوي المجامع الفقيه بضرورة مناصرة القدس كقضية محورية للمسلمين كقرار رقم: ١١٨ (١٢/١٢) بشأن القدس الشريف)، وفتوى دار الإفتاء المصرية بجواز إخراج زكاة الفطر لأسر شهداء الشعب الفلسطيني في غزة هذه الأيام، وذلك بسبب الظروف القاسية التي يمرون بها من جراء الاعتداء الغاشم عليهم من العدو الإسرائيلي.[٩٤] وفتوى مركز الأزهر العالمي للبوابة الإلكترونية بجواز إخراج الزكاة للمستضعفين في غزة وفلسطين، ومدهم بكل ما يحتاجونه و توفير جميع مستلزمات الحياة الكريمة ،و إعادة إعمار غزة ... ، كما أكدت رابطة العالم الإسلامي على ما قررته القمة العربية الإسلامية الطارئة بقرار القمة لكسر الحصار عن غزة وفرض إدخال قوافل المساعدات إليها، واستنكار ازدواجية المعايير في تطبيق القانون الدولي...الخ.[٩٥]

وحدة الصف: قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام..) [البقرة: ١٨٣]، فنداء الله للمؤمنين باعتبارهم أمة واحدة تجمعها قيم الإيمان بالله، وهي دعوة لهم إلى وحدة صفهم وتآلف قلوبهم وجمعهم على مائدة الصيام الربانية، لا فرق بينهم بين ذكر وأنثى، ولا ابيض ولا أسود، ولأغني ولا فقير. ولا غرو أن يكون رمضان دعوة لكل المسلمين لينبذوا الفرقة والصراع ويصلحوا ما بينهم من مشاحنات وأن يوحدوا كلمتهم وصفوفهم لإيقاف مجازر الوحشية التي ترتكبها قوات الاحتلال الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني الأعزل في قطاع غزة، وأن يبذلوا غايتهم وجهدهم لفض عن النزاعات والحروب المشتعلة في كثير من دول العالم الإسلامي.

٩١). صحيح البخاري٦٥٠٢، من أفراد البخاري على مسلم

٩٢ } أخرجه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩)

٩٣) أخرجه أحمد ٢٨/ ١٩١ (١٦٩٨٤)، وابن جرير ٣/ ١٨٩، وابن أبي حاتم ١/ ١٠٨ (٥١٩)، ومواضع عدة، قال الهيثمي في المجمع ١/ ١٩٧ (٩٥٩): «رواه أحمد وفيه عمران بن داوَر القطان، ضعّفه يحيى، ووثّقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. وبقيّة رجاله ثقات». وقال الألباني في الصحيحة ٤/ ١٠٤ (١٥٧٥): «وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات».

٩٤) موقع دار الإفتاء المصرية
https://www.dar-alifta.org/ar/fatwa/details/

٩٥) موقع رابطة العالم الإسلامي
https://themwl.org/ar/node/39887

وتتجلى وحدة العبادة في قوله عز وجل :(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) (البقرة: ١٨٥ ، ما أن ينتهي شهر شعبان حتى يجتمع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها لتحري الهلال، امتثالاً لأمر الله ورسوله ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « - صوموا لرؤيتِه وأفطروا لرؤيتِه ، فإن غُمَّ عليكم فعُدُّوا ثلاثين يومًا ، يعني : عُدُّوا شعبانَ ثلاثين »[٩٦] ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لا نَكْتُبُ ولَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وهَكَذَا. يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وعِشْرِينَ، ومَرَّةً ثَلَاثِينَ. "[٩٧]

وحدة المسلمين في تعظيمهم شعائر[٩٨] شهر رمضان، فريضة الصيام في شهر رمضان من الشعائر الزمانية التي تعبدنا الله بها فالواجب على المسلم أن يُعظِّم حُرمة شهر رمضان بأن يصوم إيمانا واحتسابا حتى يحقق ثمار الصوم المادية والمعنوية العاجلة والآجلة.

وتتجلي الوحدة في تعظيم الشعائر بعقدهم نية الصيام، حيث يَتّحِدون في وقت الإفطار والإمساك، ومناجاة الله عند فطرهم وإمساكهم. كذلك مظهر المسلمين في وحدة صفهم يبرز واضحًا في نهاية رمضان وبداية أول ليلة من شوال؛ فالمسلمون يتحدون في التكبير والتهليل، وفي اجتماعهم لصلاة عيد الفطر في الخلاء، أو في مساجدهم على قلب رجلٍ واحدٍ، وفي ذلك من وحدة الصف ما لا يخفى."[٩٩]

ومن مظاهر الوحدة الشعائرية اجتماعهم على تحري ليلة القدر، عن أبو هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، قالَ: مَن صامَ رمضانَ وقامَهُ، إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ، ومَن قامَ ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتِسابًا غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ[١٠٠].

واجتماعهم في إقامة صلواتهم الخمس في المساجد، واجتماعهم في الاعتكاف في العشر الأواخر إحياء لسنة النبي ﷺ، عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأوَاخِرَ مِن رَمَضَانَ، حتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِن بَعْدِهِ[101].

وكذلك توحدهم على تحقيق موجبات العتق من النار في شهر العتق، عن أبي أمامه الباهلي أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: للهِ عندَ كلِّ فِطرٍ عُتقاءُ منَ النارِ[١٠٢] .

توحدهم بالاجتهاد في الدعاء؛ حيث يدعو الصائم عند الإفطار بما أحب لدينه ودنياه وآخرته، لنفسه ولذويه وللمسلمين فهو وقت تُرجى فيه الإجابة روى أبو هريرة أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم"[١٠٣] ، ولعل اجتماع المسلمين من جاكرتا إلى الرباط وهم يدعون للمستضعفين في غزة، ويتألمون لآنينهم ويمدون أيديهم بلسان واحد وصوت واد وكلمات واحدة يعكس أن هذه أمة واحدة في ضميرها وفي شعورها وفي إرادتها وفي دعائها وفي هدفها.

وحدة القيم والسلوك فالصائم كالشامة بين الخلق لما يبديه من ضبط اللسان والجوارح وكفها عن المحرمات عن أبو هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ:" الصيامُ جُنَّةٌ، فإذا كان أحدُكم صائمًا فلا يَرفُثْ ولا يَجهلْ، فإنِ امْرُؤٌ شاتَمَه أو قاتَلَه فلْيَقُلْ إنِّي صائمٌ"[١٠٤]

ومن مظاهر الوحدة المسلمون إخراج صدقة الفطر عبد الله بن عمر أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَرَضَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِن تَمْرٍ، أوْ صَاعًا مِن شَعِيرٍ علَى العَبْدِ والحُرِّ، والذَّكَرِ والأُنْثَى، والصَّغِيرِ والكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وأَمَرَ بهَا أنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إلى الصَّلَاةِ[105].

سادساً مقصد القوة:

قال تعالى: " خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ " [مريم :١٢]، أي: بجِدّ وعَوْن من الله جل وعزَّ "[١٠٦]. ". القوة بمفهومها الشامل تتشعب مجالاتها، وتتنوع صورها، ومن صورها القوة النفسية بكتم الغيظ، والسيطرة على النفس في والحديث:" فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم." والقوة الاجتماعية تكون بسد خلة الفقر وإطعام المحتاجين ومدهم بما يحتاجون. والقوة الاقتصادية بأن ينعم المجتمع بالكفاية في توفير ما يلبي احتياجات الإنسان المادية، والمعنوية، بما يحقق للإنسان الكرامة وهذا ظاهر في أجلى صوره في شهر رمضان، والقوة العسكرية تكون بالإعداد الرصين للجهاد. وقال تعالى: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" [الصف: ٩]، وشهر رمضان شهر الانتصارات العسكرية الفاصلة في تاريخ الأمة

٩٦) أخرجه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١) باختلاف يسير.

٩٧) صحيح البخاري١٩١٣ وصحيح مسلم (١٠٨٠) باختلاف يسير

٩٨) قال الشيخ السعدي رَحِمهُ اللهُ: «أي أعلام دينه الظاهرة، التي تعبّد الله بها عباده، وشعائر جمع شعيرة بمعنى علامة، وتعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، والتقوى واجبة على كل مكلف».

٩٩) https://demo.islamstory.com

١٠٠) قال الألباني صحيح راجع: صحيح الترمذي: ٦٨٣ أخرجه الترمذي (٦٨٣) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٣٨) مختصراً، ومسلم (٧٦٠) باختلاف يسير.

101) صحيح مسلم: ١١٧٢، صحيح البخاري (٢٠٢٦)

١٠٢) أبو أمامة الباهلي | المحدث: البوصيري | المصدر: إتحاف الخيرة المهرة | الصفحة أو الرقم: ١٠٣/٣ | خلاصة حكم المحدث: سنده رواته ثقات، وله شاهد | التخريج: أخرجه الطبراني (٣٤٠/٨) (٨٠٨٩)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (٣٦٠٥)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٣٦٠٥)

١٠٣) رواه الترمذي وحسنه (٣٥٩٥)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وصححه ابن حبان (٢٤٠٨)

١٠٤) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١) باختلاف يسير..

105) صحيح البخاري ١٥٠٣ أخرجه مسلم (٩٨٤، ٩٨٦) مفرقاً باختلاف يسير

١٠٦) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد- (٢٠٠١) - تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى- ٩م ٣٧٤.

قال رسول ﷺ:" الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلي اللَّهِ من الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وفي كُلٍّ خَيْرٌ " [١٠٧] قال النووي: المراد بالقوة هنا عزيمة النفس، والقريحة في أمور الآخرة كالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وفي الصلاة، والصوم، وسائر العبادات [١٠٨]

الصيام يورث النفس قوة معنوية فهو مستشفى معنوي تعالج فيه النفوس من النقائص التي تراكمت عليها في جميع الشهور من السنة، كما يعالج البدن من السموم التي تراكمت عليها في جميع الشهور من السنة.

الصوم يوقد الذهن ويلبي حاجة العقل بتنقيته وتصفيته عن الشواغل فينشط التفكير الإبداعي، وتسمو فيه روحانية المؤمن بمراقبته لله وإمساكه لهوى نفسه عن الحاق الأذى بالآخرين، وبالصوم أعضاء الحس والشعور تتحسن بالصوم وتقوى الذاكرة، ويزيد الانتباه والترابط وتتحسن قوى العاطفة والمحبة والحدس وقوة البديهة. ولقد أجريت تجارب عديدة على طلاب الجامعات أثبتت أن الصوم يزيد في قدرة الطلاب الذكائية والفكرية، كما تزداد قوة الإبصار وحاسة الشم والذوق والسمع، وتزداد حساسية الجملة العصبية وتكون أكثر حيوية وقوة، كما يقوي الصوم

الصوم يقوي القدرة على التحمل والجلد وقوة الإرادة وضبط النوازع والرغبات، ويضفي على النفس السكينة والطمأنينة فيتوقى الإنسان بالصوم كثيراً من الأمراض النفسية، كالقلق والكآبة والأعصاب وغير ذلك.

والصوم يمنح المؤمن قوة يضبطُ بها نفسه ويكبحُ جماحها وخاصةً عند انفعالها، يدل على ذلك قول رسول الله - ﷺ -: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ [١٠٩]

الصيام ويدرب على الصبر عند المصاعب والشدائد، فالصائم يجوع وأمامه لذيذ الطعام ومع ذلك يمتنع ولا رقيب عليه إلا ربه سبحانه، وبذلك تقوى إرادته ويتحرر من سلطان شهواته، قال رسولُ الله ﷺ." لا تسابَّ وأنتَ صائمٌ، فإنْ سبَّكَ أحَدٌ، فقلْ: إنِّي صائمٌ، وإنْ كنتَ قائمًا فاقعُدْ... " [١١٠]

والقوة الاجتماعية بما يحققه الصيام من تماسك مجتمعي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصائِمِ شَيْئًا" [١١١] ،وتتحقق باجتماع الأسرة على مائدة السحور والإفطار وهذا لا يتأتى إلا في رمضان. مما يزيد من توطيد أواصر الأسرة الواحدة فضلا عن اجتماع الأقارب وذوي الرحم في هذا الشهر الفضيل. وبتماسك الأسرة، يتماسك المجتمع؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣]. فالصائم يحافظ على صومه بأن لا يؤذي أحد، بل يحرص على حسن التعامل وحسن الجوار. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ قالوا وما ذاكَ يا رسولَ اللهِ قال جارٌ لا يؤمنُ جارُهُ بوائقَهُ قالوا يا رسولَ اللهِ وما بوائقُهُ قال شرُّهُ ". ولا يبخل على أحد وهو قادر [١١٢] ،و**قال** رسول الله ﷺ "الصِّيَامُ جُنَّةٌ." [١١٣]أي وقاية وحماية من سؤ الخلق ومن البخل، فلا يضن الصائم بما يملك على محتاج: قال رسول الله ﷺ " مَنِ احتَكَرَ طَعامًا أربَعينَ لَيلَةً، فقد بَرِئَ من اللهِ تَعالى، وبَرِئَ اللهُ تَعالى منه، وأيُّما أهْلِ عَرصَةٍ أصبَحَ فيهم امْرُؤٌ جائعٌ، فقد بَرِئَتْ منهم ذِمَّةُ اللهِ تَعالى." [١١٤]

والصيام يقوي وينشط البدن بالرياضة البدنية بممارسة الصلاة المفروضة وصلاة التراويح والقيام والاعتكاف عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أن النبيُّ ﷺ إذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وأَحْيَا لَيْلَهُ، وأَيْقَظَ أهْلَهُ." [١١٥]. وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأوَاخِرَ مِن رَمَضَانَ، حتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِن بَعْدِهِ " [١١٦].وعَنْ مَالِكٍ، أَنَّهُ «رَأَى بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ إِذَا اعْتَكَفُوا الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ. لَا يَرْجِعُونَ إِلَى أَهَالِيهِمْ حَتَّى يَشْهَدُوا الْفِطْرَ مَعَ النَّاسِ» قَالَ زِيَادٌ: قَالَ مَالِكٌ: «وَبَلَغَنِي ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ الْفَضْلِ الَّذِينَ مَضَوْا وَهَذَا أَحَبُّ مَا سَمِعْتُ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ [١١٧].

والصيام يقوي البدن ويحميه من الكثير من الأمراض والعلل؛ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ:" الصيامُ جُنَّةٌ، وهوحِصْنٌ مِنْ حصونِ المؤمِنِ، وكُلُّ عملٍ لصاحِبِهِ إلَّا الصيامُ، يقولُ اللهُ: الصيامُ لِي، وأنا أجزي به ".

(١٠٧) النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري. (١٩٥٥) صحيح مسلم، كتاب القدر، بَاب فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ.

(١٠٨) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل. (١٩٩٦) . الديباج على مسلم، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري، الخبر: دار ابن عفان ٣١/٦.

(١٠٩) متفق عليه

(١١٠) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، والترمذي (٧٦٤)، والنسائي (٢٢١٦) بنحوه مطولاً، وابن ماجه (١٦٣٨) آخره في أثناء حديث، وأحمد (١٠٥٦٤) واللفظ

(١١١) قال الألباني: صحيح، راجع صحيح الترمذي: ٨٠٧.

(١١٢) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم بعد حديث (٦٠١٦) باختلاف يسير، وأخرجه موصولاً مسلم (٤٦) مختصراً بنحوه قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح راجع، مجمع الزوائد ١٧١/٨،

(١١٣) أخرجه البخاري (١٨٩٤) مطولاً، ومسلم (١١٥١).

(١١٤) أخرجه أحمد (٤٨٨٠)، وأبو يعلى (٥٧٤٦)، والحاكم (٢١٦٥) باختلاف يسير. قال الهيثمي إسناده ضعيف، راجع مجمع الزوائد ١٠٣/٤

(١١٥) أخرجه البخاري (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤)، وأبو داود (١٣٧٦)، والنسائي (١٦٣٩)، باختلاف يسير.

(١١٦) أخرجه مسلم: ١١٧٢، والبخاري (٢٠٢٦)

١١٧) مالك بن أنس الأصبحي: موطأ مالك، كتاب الاعتكاف، باب خروج المعتكف للعيد دار إحياء العلوم العربية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

[١١٨] و قال رسول الله ﷺ: " صوموا تصحوا " [١١٩], وقد ثبت من خلال الأبحاث الطبية بعض الفوائد الوقائية للصيام ضد كثير من الأمراض والعلل الجسمية والنفسية ، ودلت الدراسات الطبية علي أن الأكل الكثير يسبب الأمراض وأن قلة الطعام يساعد على إطالة العمر ، وأن الجوع هو لازم لشفاء الأمراض ، وما من حيوان في العالم يأكل في أيام المرض إلا الإنسان ، وأن الصيام يساعد على شفاء الأمراض المزمنة والمعدية120. من فوائد صوم شهر رمضان أنه "تنظيم وظائف الأعضاء : فإن الصوم الذي ينتظم به أكل الإنسان وشربه يعيد تنظيم عمل الغدد (glands) فى الجسم, وبيما أن الغدد تنظمٌ عمل بقية الأعضاء فإن الصوم بالمحصلة النهائية يعيد تنظيم وظائف البدن العضوية والنفسية .

وقد أثبت البحث العلمي أن الصيام يعالج عدداً من الأمراض الناتجة عن السمنة: كمرض تصلب الشرايين، وضغط الدم، وبعض أمراض القلب. كما يساعد في علاج بعض أمراض الدورة الدموية الطرفية، فهناك أمراض عديدة تصيب الأوعية الدموية الطرفية ، والتي تبدو أن لها علاقة بنشاط الجهاز العصبي الودي (السمبثاوي) الزائد في نهايات الشرايين الدموية , كما يعدل من ارتفاع حموضية المعدة، وبالتالي يساعد في التئام قرحة المعدة مع العلاج المناسب "[١٢١] ويعالج التهاب المفاصل المزمن و يجدد الخلايا أثناء مرحلة البناء[١٢٢] ،الصيام يقي الجسم من تكون حصيات الكلى، إذ يرفع معدل الصوديوم في الدم فيمنع تبلور أملاح الكالسيوم، كما أن زيادة مادة البولينا في البول، تساعد في عدم ترسب أملاح البول، التي تكون حصيات المسالك البولية. "[١٢٣]

وقد أنشئت في العصر الحديث مصحات متخصصة بالعلاج بطريقة الصوم ويدلّ انتشار هذه المصحات دلالة عملية على ما للصوم من فوائد صحية عظيمة لم يدركها أهل الطب إلا في عصورهم المتأخرة."[١٢٤] أكد البروفيسور نيكولايف بيلوي من موسكو في كتابه" الجوع من أجل الصحة ١٩٧٦" (أن على كل إنسان أن يمارس الصوم بالامتناع عن الطعام لمدة أربعة أسابيع كل سنة كي يتمتع بالصحة الكاملة طيلة حياته)[١٢٥] قال تعلى:(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) [البقرة:١٨٥].

الصيام يقوي جهاز المناعة، فيقي الجسم من أمراض كثيرة، حيث يتحسن المؤشر الوظيفي للخلايا اللمفاوية عشرة أضعاف، كما تزداد نسبة الخلايا المسئولة عن المناعة النوعية زيادة كبيرة، كما ترتفع بعض أنواع الأجسام المضادة في الجسم، وتنشط الردود المناعية نتيجة لزيادة البروتين الدهني منخفض الكثاف.[١٢٦]"

أظهرت دراسة أعدها باحثون بجامعة غرونوبل الفرنسية دور الصيام المتقطع في خفض معدل حدوث بعض الأورام الليمفاوية إلى الصفر تقريباً، بحسب تجارب أجريت على الثدييات. كما أظهرت دراسات أخرى أن الصوم المتقطع يرفع من معدل النجاة بين الأفراد، ممن يعانون من إصابات في نسيج الكبد، والتي تمتلك قابلية للتحول إلى أورام في المستقبل ... قام العلماء بدراسة الأثر الشفائي للصوم وخرجوا بنتائج يقينية وهي أن الصوم هو أفضل وسيلة لمعالجة السموم المتراكمة في الخلايا! فالصوم له تأثيرات مدهشة، فهو يعمل على صيانة خلايا الجسم، ويعتبر الصيام أنجع وسيلة للقضاء على مختلف الأمراض والفيروسات والبكتريا، وربما نعجب إذا علمنا أن في دول الغرب مراكز متخصصة تعالج بالصيام فقط!! وتجد في هذه المراكز كثير من الحالات التي استعصت على الطب الحديث، ولكن بمجرد أن مارست الصيام تم الشفاء خلال زمن قياسي! ولذلك أمرنا الله بالصيام فقال: (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: ١٨٤]"[١٢٧] .

إن الصيام يخفف ويهدئ ثورة الغريزة النفسية، وخصوصاً عند الشباب، وبذلك يقي الجسم من الاضطرابات النفسية والجسمية والانحرافات السلوكية، كما ثبت التأثير الوقائي

---

١١٨) أخرجه الطبراني (١٥٨/٨) (٧٦٠٨)، والشجري في ((أماليه)) (١٥١٦) باختلاف يسير قال الألباني: حسن راجع: صحيح الجامع، ٣٨٨١.

١١٩) رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، راجع المغني عن حمل الأسفار اسم المؤلف: أبو الفضل العراقي، دار النشر: مكتبة طبرية - الرياض - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أشرف عبد المقصود

120) من أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الإمارات-دبي ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، د. عبد الشكور عبد اللطيف
رابطة العالم الإسلامي
https://www.eajaz.org/index.php/Encyclopeda

١٢١) د. الصاوي عبد الجواد الصيام.. والشفاء، رابطة العالم الإسلامي،
http://www.eajaz.org

١٢٢) أحمد يوسف الحاج، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة ابن حجر، ط٢ , ١٤٢٤هـ , ٢٠٠٣م، ص٩٥٤.

١٢٣) . فاهم عبد الرحيم وآخرون. تأثير الصيام الإسلامي على مرضى الكلى والمسالك البولية، نشرة الطب الإسلامي، العدد الرابع -أعمال وأبحاث المؤتمر العالمي الرابع عن الطب الإسلامي- منظمة الطب الإسلامي، الكويت، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، (ص٧٠٧-٧١٤)].

١٢٤) كنعان: الموسوعة الفقهية ص٦٢٠ -٦٢١

١٢٥) عبد القوي صالح، معجزة الصيام وفوائده الصحية.
https://quran-m.com/ -

126(Riyad Albiby and Ahmed Elkadi ،A Priliminary Report on efects of Islamic fasting on lipoproteins and immunity.the joumal of JMA vol 17. 188 ،page 84 :.[
http://iswy.co/e12ncj

١٢٧) أسرار الإعجاز العلمي للقرآن الكريم،
http://www.kaheel7.com/ar/index.php

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

والعلاجي على بعض الأمراض النفسية، كمرض انفصام الشخصية"[١٢٨].

القوة الاقتصادية في شهر رمضان تتمثل في إدالة المال و إعادة توزيع الثروة بالإنفاق الطوعي والمبادرات الإنسانية ،و بإخراج زكاة الفطر، وهي فرض عين على كل مسلم ومسلمة، حرا أو عبدا، ذكرا أو أنثى، صغيرا أو كبيرا، الذي عنده ما يفيض عن قوت يومه وليلته، ، فضلاً عما تقوم به شريحة عريضة من المسلمين بإخراج زكاتهم في رمضان ، وبهذا التملك لأموال الزكاة تزداد دخول ومكاسب الفئات التي استحقتها، وهذه الزيادة في دخولهم ومكاسبهم بالطبع ستنعكس على النشاط الاقتصادي، وذلك من خلال تنشيط الحركة الاقتصادية؛ لأنه من الطبيعي حينما يتملك الفقراء وغيرهم من المحتاجين لدخول جديدة، وفي السنوات الأخيرة أصبح هناك توجه من قبل كثير من الهيئات الخيرة التي تتلقى أموال الزكاة بتقديمها في صورة أداة حرفة ؛ فالقسم الأكبر من الصدقات يقدم في صورة نفقة استهلاكية (رأس مال استهلاكي) لتوفير احتياجات الفئات المستحقة العاجلة ، وقسم يقدم في صورة نفقة إنتاجية (رأس مال انتاجي) وقسم ثالثة في صورة أوقاف كحفر الآبار وبناء المساجد ومؤسسات التعليم والمساهمة في المستشفيات ...الخ، رؤوس أموال اجتماعية.

ولكن ما يؤخذ على المسلمين البذخ في النفقات الاستهلاكية في رمضان، وزيادة الاستهلاك الذي لا يتناسب مع مقاصد وروحانية الشهر الكريم، فالغالبية منهم أبعد ما تكون عن تحقيق هذه المقاصد كما أرادها الله؛ قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) [الفرقان:٦٧].

القوة العسكرية

أهم الغزوات والمعارك الفاصلة في تاريخ الأمة كانت في رمضان ، وهذا وإن دل على شيء فهو يدل على أن هذا الشهر مصد للقوة المعنوية والعسكرية التي يتحقق بها النصر للمؤمنين، ومن هذه الانتصارات غزوة بدر، وكانت في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة ،وفتح مكة، كانت في العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ،ومعركة القادسية، كانت في رمضان سنة خمسة عشر للهجرة بقيادة سعد بن أبي وقاص ،وفتح بلاد الأندلس، كان في رمضان سنة ٩٢ هـ بقيادة طارق بن زياد، ومعركة الزلاقة، وهي في جنوب دولة إسبانيا حالياً كانت في سنة ٤٧٩ هـ، ومعركة عين جالوت كانت في رمضان سنة ٦٨٥ بقيادة السلطان قطز، والقائد العسكري بيبرس، وموقعة حطين، كانت في رمضان سنة ٥٨٤ هـ بقيادة صلاح الدين.، ثم حرب رمضان ١٩٧٣ -أو حرب أكتوبر- كان في رمضان سنة ١٣٩٣هـ، وفيها تمكنت القوات العربية المسلمة من الانتصار على القوات الصهيونية الغاصبة، فعبرت الجيوش العربية قناة السويس وحطمت أسطورة "الجيش الإسرائيلي" الذي لا يقهر، وهدموا بحمد الله خط بارليف

كيفية تحقيق هذا المقصد:

١-الالتزام بهدي رسول الله ﷺ وسنته في الصيام؛ فإن في اتباع سنته وهديه الخير والصلاح والفلاح في الدنيا والأخرة - قال رسول الله ﷺ:" ... فإنه من يعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ المهديّين الراشدين تمسّكوا بها، وعَضوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ:"[١٢٩]

٢-طلب العلم: صحيح أن السلف الصالح كانوا ينقطعون في شهر رمضان لتلاوة لقرآن الكريم وللقيام، ولكن لكل زمان ظرفه فالسلف كانوا يفقهون القرآن ومقاصد أما الآن فقد عمت الأمية الدينية؛ لذا فإن مدارسة القرآن وفهم معانيه وتعلم علم التوحيد وتعلم ضروريات الدين من أفرض الفرائض في زماننا. عن أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " يا أبا ذرٍّ لأنْ تغدو فتعلَّمَ آيةً من كتابِ اللهِ خيرٌ لك من أنْ تصليَ مائةَ ركعةٍ ولأنْ تغدو فتعلَّمَ بابًا من العلمِ عُمل به أو لم يُعملْ به خيرٌ لك من أنْ تصليَ ألفَ ركعةٍ."[١٣٠] وهذا يظهر فضل العلم الذي يبتغى به وجه الله عزوجل. ويشهد لهذا المعنى كذلك ما روي عن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرَ اللهِ وما والاه، وعالِمًا أو متعلِّمًا"[١٣١]ور عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من خرجَ في طلبِ العلمِ فهوَ في سبيلِ اللَّهِ حتَّى يرجعَ"[١٣٢]

سابعاً: مقصد الرحمة:

الرحمة: الرقة والتعطف، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا، والرحمة: المغفرة، وقول تعالى: " وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ "[التوبة:٦١]، رحمة لأنه كان سبب إيمانهم، وقال الله عز وجل: " ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ " [البلد :١٧] أي أوصى بعضهم بعضا برحمة الضعيف والتعطف عليه"،

[١٢٨] عبد الجواد الصاوي، إعجاز القران الكريم والسنة النبوية في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة رابطة العالم الإسلامي، دار جياد للنشر والتوزيع , ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م، ط١,ص ١١١.

[١٢٩] أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) واللفظ له، وأحمد (١٧١٨٥)قال: الألباني: صحيح، راجع صحيح أبي داود، ٤٦٠٧

[١٣٠]) أخرجه ابن ماجه (٢١٩)، وابن شاهين في ((شرح مذاهب أهل السنة)) (٥٤)، والديلمي في ((الفردوس)) (٨٣٦٢) باختلاف يسير قال الدمياطي: إسناده حسن، راجع المتجر الرابح١٩١.

[١٣١]) قال الألباني: حسن، راجع: صحيح الجامع ٣٤١٤.

[١٣٢]) أخرجه الترمذي (٢٦٤٧) باختلاف يسير، والبزار (٦٥٢٠)، والعقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (١٧/٢) واللفظ لهما قال ابن حجر العسقلاني: في المقدمة، حسن، راجع: هداية الرواة ١٥٥/١،.

ا الرحمة في الاصطلاح، فهي -بالنسبة للمخلوقين-: عبارة عن حالة وجدانية تعرض غالبا لمن به رقّة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الباعث على الإحسان إلى الغير، بجلب الخير له، ودفع الضرر عنه. وقد تستعمل تارة في الرّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّة[١٣٣] وإذا وصف بها الباري سبحانه، فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد عن الرقة، فتكون منه جل وعلا إنعاما وإفضالا وعفوا ومغفرة ...، قال تعالى: وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ"[المؤمنون :١١٨]،وقال تعالى: " وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ "[الأعراف: ١٥٦]، ومحمد ﷺ رحمة للعالمين، قال تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "[الأنبياء:١٠٧].

شرع الله شهر رمضان إحسانا إلى عباده ورحمة بهم ولطفا بهم لا بخلا عليهم برزقه ولا مجرد تكليف وتعذيب خال من الحكمة والمصلحة، بل هو غاية الحكمة والرحمة والمصلحة وإن شرع هذه العبادات لهم من تمام نعمته عليهم ورحمته بهم ."[134]

من مظاهر الرحمة أن فتح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين والعتق من النيران، قال رسول الله ﷺ": دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين"[١٣٥].

ومن مظاهر الرحمة استحباب تعجيل الفطر وتأخير السحور وفيه رحمة بحفظ قوة البدن، ورفع المشقة، وموافقة السنة، وبعد عن الغلو والبدعة "قال ﷺ: تسحروا فإن في السحور بركة "[١٣٦]،" أقول: فيه بركتان: إحداهما راجعة إلى إصلاح البدن ألا ينفعه ولا يضعف إذ الإمساك يوما كاملا نصاب، فلا يضاعف. والثانية راجعة إلى تدبير الملة ألا يتعمق فيها، ولا يدخلها تحريف أو تغيير"[١٣٧]. وقوله ﷺ:" لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر[138]." وقوله عليه السلام ﷺ: " فَصْلُ ما بيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ[١٣٩].

ومن مظاهر الرحمة أنها ترفع الصائمين إلى أعلى درجات القرب من الله؛ يقول ابن القيم "وأما الصومُ فناهيك به من عبادةٍ تكفُّ النفسَ عن شهواتها، وتخرجها عن شبه البهائم إلى شبه الملائكة المقربين، فإن النفس إذا خليت ودواعي شهواتها التحقت بعالم البهائم، فإذا كفت شهواتها لله ضيقت مجاري الشيطان، وصارت قريبة من الله بترك عادتها وشهواتها محبة له، وإيثارًا لمرضاته، وتقربا إليه". [١٤٠]

وصيام شهر رمضان رحمة خاصة وعامة وقد بين رسول الله ﷺ أن الرحمة لا تقتصر على رحمة النفس والعيال وإنما رحمة المسلمين عامة . قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَضَعُ اللَّهُ الرَّحْمَةَ إلا عَلَى رَحِيمٍ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلُّنَا رَحِيمٌ، قَالَ: لَيْسَ الَّذِي يَرْحَمُ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ خَاصَّةً، وَلَكِنِ الَّذِي يَرْحَمُ الْمُسْلِمِينَ» [١٤١] وفي رمضان تتجلى كل هذه الرحمات وتتجلى الرحمة الخاصة في الصيام باجتماع الصائم مع أولاده و أهله على مائدة القران وصلاة القيام ينهلون من فيض رحمات الشهر الكريم ، وعلى موائد السحور والإفطار ، أما الرحمة العامة بأن يشعر الأغنياء بحاجة الفقراء، فترق قلوبهم في الإنفاق عليهم، ويسارعون إلى مساعدته، .يقول الشيخ السعدي :"أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين".[١٤٢] قال رسولَ اللهِ ﷺ:" خيارُكم مَن أطعمَ الطَّعامَ "[143]، وقال رسول الله ﷺ " أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلِمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا ..."[144] ، وفي رواية : " ..أو تطعمَه خبزًا" [١٤٥] :قال رسول الله ﷺ:" مَن فطَّرَ صائمًا كانَ لَهُ مثلُ أجرِهِ ، غيرَ أنَّهُ لا ينقُصُ من أجرِ الصَّائمِ شيئًا ." [١٤٦]

---

١٣٣) انظر المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٣٤٧. /1

134) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ): مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ٢/٤، دار الكتب العلمية – بيروت
عدد الأجزاء: ٢ × ١

١٣٥) أخرجه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩)

١٣٦) رواه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).

١٣٧) ولي الله الدهلوي: حجة الله البالغة، ج٢ص٨١.

138) صحيح البخاري: ١٩٥٧، أخرجه مسلم (١٠٩٨)

١٣٩) أخرجه مسلم: ١٠٩٦، أخرجه أبو داود (٢٣٤٣) واللفظ له، والنسائي (٢١٦٦)، وابن حبان (٣٤٧٧) باختلاف يسير.

١٤٠) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ج٢ ص٣

١٤١) أخرجه الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي- مكارم الأخلاق للطبراني، دار النشر (١٩/١)، برقم (٤٠). الحديث رجاله ثقات ما عدا محمد بن إسحاق صدوق يدلس، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي- (١٩٨٦) . تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، سوريا: دار الرشيد، الطبعة: الأولى (٤٦٧/١)

١٤٢) السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت ١٣٧٦هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المحقق: عبد الرحمن بن معلا: مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

143) أخرجه أحمد (٢٣٩٧١)، وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٣٦١٤)، والطحاوي في ((شرح معاني الآثار)) (٧٢٤٨) مطولا، قال.ابن حجر العسقلاني: حسن، راجع: الإمتاع .١٩٠/١

144) أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٦٠٢٦)، وأبو الشيخ في ((التوبيخ والتنبيه)) (٩٧) باختلاف يسير. قال الألباني: صحيح، راجع: الألباني، محمد ناصر الدين- السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى- (٩٠٦)

١٤٥) قال الألباني: صحيح راجع: صحيح الجامع (١٠٩٦)

١٤٦) قال: الألباني: صحيح، راجع، صحيح الترمذي: ٨٠٧.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

ومن مظاهر الرحمات في شهر قبول دعاء الصائم عند فطره وقال ﷺ: " ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ لا شَكَّ فيهنَّ؛ دَعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافرِ، ودعوةُ الوالدِ على ولدِه"[١٤٧]

من مظاهر الرحمة غفران ما تقدم من الذنوب قال ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه»[١٤٨]

ومن مظاهر الرحمة في شهر رمضان أن جعله سبب في الأجور العظيمة قال رسول الله ﷺ: «كلُّ عَمَل ابن آدم يُضَاعَف، الحَسَنة بِعَشر أمْثَالها إلى سَبْعِمِئَة ضِعْف، قال الله تعالى: إلا الصَّوم فإنه لي وأنا أجْزِي به..."[١٤٩]،وعن أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ :مَن صامَ يَوْمًا في سَبيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا[١٥٠] والمقصود بقوله في سبيل الله. قال المناوي" أي لله ولوجهه أو في الغزو أو الحج "[١٥١]. وقال السندي:" ي سَبِيل الله يحْتَمل أَن المُرَاد بِهِ مُجَرّد إصْلَاح النِّيَّة وَيحْتَمل أَن المُرَاد بِهِ أَنه صَامَ حَال كَونه غازيا وَالثَّانِي هُوَ الْمُتَبَادر " [١٥٢] وقال السيوطي : " من صام يوما في سبيل الله قال في النهاية سبيل الله عام يقع على كل عمل خالص لله سلك به طريق التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات وإذا أطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه "[١٥٣]. قال الملا علي القاري الهروي:"من صام يوما في سبيل الله: أي في الجهاد أو في طريق الحج، أو العمرة، أو طلب العلم، أو ابتغاء مرضاة الله"[١٥٤] عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:"من صامَ يومًا في سبيلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ باعدَ اللَّهُ منهُ جَهَنَّمَ مَسيرةَ مائةِ عامٍ"[١٥٥] وأخرج الترمذي من حديث أبو أمامه الباهلي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:" من صامَ يومًا في سبيلِ اللَّهِ جعلَ اللَّهُ بينَهُ وبينَ النَّارِ خَندقًا كما بينَ السَّماءِ والأرضِ"[١٥٦]فإذا كان هذا بصيام يوم واحد نفلًا يباعد الله بينه وبين النار "سبعين خريفا"، وفي رواية" مئة عام"، وفي رواية "خندقًا": أي مسافة خمسمائة عام، فما ظنّك بصيام شهر رمضان وهو الفريضة؟

ومن مظاهر الرحمة في شهر رمضان أن جعله سبب ومضاعفة الأعمال والحسنات؛ فالعمرة في رمضان تعدل حجة مع الرسول عن ابْنِ عَبَّاسٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّي مَعَنَا؟ قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ لَنَا إِلَّا نَاضِحَانِ]، فَحَجَّ أَبُو وَلَدِهَا وَابْنُهَا عَلَى نَاضِحٍ، وَتَرَكَ لَنَا نَاضِحًا نَنْضِحُ عَلَيْهِ نسقي عليه الأرض، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً وفي رواية لمسلم: حجة معي.[١٥٧]

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "في شهرِ رمضانَ، من تقرَّب فيه بخَصلةٍ من خِصالِ الخيرِ، كان كمن أدَّى فريضةً فيما سواه، ومن أدَّى فريضةً فيه، كان كمن أدَّى سبعين فريضةً في غيره"[١٥٨]

ومن مظاهر الرحمة أن لله عتقاء من النار في كل ليلة من رمضان عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ) [١٥٩] وفي رواية:" ... وللهِ عتقاءُ منَ النَّارِ وذلِك في كلِّ ليلةٍ"[١٦٠]

ومن مظاهر الرحمات إضافته لله تعالى تشريفا لقدره وتعريفا بعظيم فخره قال الله تعالى: إلا الصَّوم فإنه لي وأنا أجْزِي به[١٦١]

وتشريف الله والملائكة له بالصلاة عليه؛ قال ﷺ: "إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصلُّون على المتسحِّرين "[١٦٢] ، عن أم عمارة بنت كعب الأنصارية رضي الله عنها أن ﷺ دخل عليها فقدمت إليه طعاما فقال كلي فقالت إني صائمة فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الصائمَ تُصَلِّي عليه الملائكةُ إذا أُكِلَ عندَه حتى يَفْرُغوا ورُبَّما قال حتى يَشْبَعوا."[١٦٣]

---

١٤٧) أخرجه أبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (١٩٠٥) واللفظ له، وابن ماجه (٣٨٦٢)، وأحمد (٧٥٠١). قال: الألباني: حسن، راجع صحيح الترمذي١٩٠٥

١٤٨) سبق تخريجه

١٤٩) سبق تخريجه

١٥٠) صحيح البخاري: ٢٨٤٠، صحيح مسلم (١١٥٣) باختلاف يسير

١٥١) المناوي زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (ت ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير المكتبة التجارية الكبرى ـ مصرط١، ١٣٥٦، ج٦ص١٦١.

١٥٢) السندي محمد بن عبد الهادي التتوي، (ت ١١٣٨هـ): حاشية السندي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ط٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، ج ٤ص١٧٢.

١٥٣) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع السنن)، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦، ج٤ص١٧٢.

١٥٤) القاري علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (ت ١٠١٤هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت – لبنان، ج٤ ص١٤٢٥
الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م

١٥٥) أخرجه النسائي (٢٢٥٤)، وأبو يعلى (١٧٦٧)، والطبراني في ((الشاميين)) (٨٩٦) واللفظ لهم. قال: الألباني: حسن، راجع: صحيح النسائي ٢٢٥٣

١٥٦) أخرجه الترمذي (١٦٢٤)، والروياني في ((المسند)) (١١٩٨)، والطبراني (٢٨١/٨) (٧٩٢١) قال الألباني: حسن صحيح، راجع: صحيح الترمذي١٦٢٤

١٥٧) صحيح البخاري: ١٨٦٣ وصحيح مسلم (١٢٥٦) باختلاف يسير

١٥٨) قال ابن حجر العسقلاني: ضعيف، راجع التلخيص الحبير ١١٢١/٣ |.

١٥٩) . رواه أحمد (٢١٦٩٨) وابن ماجه (١٦٤٣). وصححه الشيخ الألباني في " صحيح ابن ماجه ".

١٦٠) أخرجه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢) واللفظ له قال: الألباني: صحيح، راجع: صحيح ابن ماجه: ١٣٣٩

١٦١) سبق تخريجه.

١٦٢) أخرجه الروياني في ((المسند)) (١٤٣٢)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٦٤٣٤)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٣٢٠/٨)
قال: شعيب الأرناؤوط: صحيح، راجع صحيح ابن حبان ٣٤٦٧

١٦٣) أخرجه الترمذي (٧٨٥) واللفظ له، وأحمد (٢٧٤٧٢) باختلاف يسير، قال الترمذي: حسن صحيح، راجع سنن الترمذي، ٧٨٥.

من مظاهر رحمة الله أن الصيام بصيغته التي شرعها الله سبحانه وتعالى بتخليص الجسم من السموم ، فيقوم الكبد وهو الجهاز الرئيسي في تنظيف الجسم من السموم، بإبطال مفعول كثير من هذه المواد السامة، بل قد يحولها إلى مواد نافعة، مثل: اليوريا، والكرياتين، وأملاح الأمونيا، غير أن للكبد جهدا وطاقة محدودة، وقد يعتري خلاياه بعض الخلل لأسباب مرضية، أو لأسباب طبيعية كتقدم السن فيترسب جزء من هذه المواد السامة في أنسجة الجسم، وخصوصا في المخازن الدهنية.وتذكر المراجع الطبية، أن الكبد يقوم بتحويل مجموعة واسعة من الجزئيات السمية، والتي غالبا ما تقبل الذوبان في الشحوم، إلى جزئيات تذوب في الماء غير سامة، يمكن أن يفرزها الكبد عن طريق الجهاز الهضمي، أو تخرج عن طريق الكلى.وفي الصيام تتحول كميات هائلة من الشحوم المختزنة في الجسم إلى الكبد حتى تؤكسد، وينتفع بها، وتستخرج منها السموم الذائبة فيها، وتزال سميتها ويتخلص منها مع نفايات الجسد[١٦٤].

كيف نحقق هذا المقصد:

١. الدعاء والتضرع إلى الله، لقد علمنا رسول الله أن الدعاء سبب من أهم أسباب النصر والقوة خاصة عندما يكون من الضعفاء والفقراء فإخلاصهم ودعوتهم يتحقق النصر والرزق عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " هل تنصرون إلا بضعفائكم؟ بدعوتهم وإخلاصهم وفي رواية رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلا على من دونه، فقال النبي ﷺ: هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟! أضف إلى هذا أن دعوة الصائم لا ترد قال رسول الله ﷺ" **ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم"**[١٦٥] **،فرمضان دورة تدريبية للأمة كي تعود إلى فطرتها، فتمارس الوحدة شعوراً وسلوكاً فبدعاء المستضعفين تكون نجاة الأمة ولن يخلص المستضعفين دعائهم إلا بتلبية احتياجاتهم من طعام ودواء وعلاج ...الخ ، واجب الوقت نصرة المستضعفين في غزة والسودان.**

٢. بالحرص على الصدقة المادية والمعنوية فلا يمر يوم في هذا الشهر إلا وللمسلم فيه صدقات مادية ومعنوية في السر والعلن.لقوله رسول الله ﷺ: «**على كل مسلم صدقة**» فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق**»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**يعين ذا الحاجة الملهوف**»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر؛ فإنها له صدقة**»[١٦٦].هذا الحديث أوجب الصدقة على كل مسلم، وجعلها خمس مراتب على البدل؛ الأولى الصدقة بماله فإن لم يجد اكتسب المال فنفع وتصدق، وفيه دليل على وجوب الكسب، فإن لم يستطع فيعين المحتاج ببدنه، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يفعل فيكف عن الشر، فالأوليان تقع بمال إما بموجود أو بمكسوب، والأخريان تقع بالبدن إما بيد وإما بلسان[١٦٧].وروي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمنًا وأنفعها عند أهلها»، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعًا أو تصنع لأخرق» قال: فإن لم أفعل؟ قال: «تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك»[١٦٨].وقوله ﷺ: وفي لفظ للبخاري: «**يُعِينُ ضَائِعًا**»[(١٦٩)]، وفي لفظ آخر للبخاري أيضًا: «**تُعِينُ ضَايِعًا**»[(١٧٠)].و«**تعين صانعًا**» من الصنعة؛ أي ما به معاش الرجل، ويدخل فيه الحرفة والتجارة، أو صانعًا لم يتم كسبه لعياله، أو ضعيفًا عاجزًا في صنعه[(١٧١)]. وفيه إشارة إلى أن إعانة الصانع أفضل من إعانة غير الصانع؛ لأن غير الصانع مظنة الإعانة، فكل أحد يعينه غالبًا بخلاف الصانع؛ فإنه لشهرته بصنعته يغفل عن إعانته، فهو من جنس الصدقة [(١٧٢)]. وفي رواية البخاري: «**تعين ضايعًا**» ضياع من فقر أو عيال أو حال قصر عنه القيام بها. «**أو تصنع لأخرق**» أي ليس له كسب، والأخرق الجاهل بما يعمله، أو ليس في يده صنعة يكتسب بها [(١٧٣)].

الخاتمة وأهم النتائج:

١. التوحيد هو مقصد المقاصد، وغاية الغايات، وهو المقصد الذي تدور في فلكه كل المقاصد؛ والمقاصد الشرعية كلها تتغيا إخلاص التوجه لله وحده بلا ند ولا شريك.

٢. والصوم عبادة من العبادات التي لم يرد الله بها الحرج والمشقة وإنما أراد بها تطهير المؤمنين وتنقيتهم ظاهراً وباطناً من المدنسات المادية، والآفات المعنوية.

الصوم لا تقتصر تزكيته وتنميته على الأفراد ماديا، ومعنويا، عاجلاً وأجلاً في الدنيا، والأخرة فحسب، إنما تتعداها إلى تنمية المجتمع في جميع جوانبه الثقافية، والأخلاقية، والقيمية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية ...الخ.

١٦٤) أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني: نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان قدم له: أبو بكر الجزائري - محمد صفوت نور الدين - محمد عبد المقصود، دار ماجد عسيري – جدة، ج٢ص٢٦٤،

١٦٥) رواه الترمذي وحسنه (٣٥٩٥)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وصححه ابن حبان (٣٤٠٨)

(١٦٦) سبق تخريجه ص٣٩١.

١٦٧) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٧٢/١٨).

١٦٨) أخرجه البخاري: ٢٥١٨، أخرجه مسلم (٨٤) باختلاف يسير.

(١٦٩) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٨/١)، برقم (٢٦٦) ضائعا أي ذا ضَياع من فقر أوعيال أو مال- لسان العرب٢٣١/٨.

(١٧٠) أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل؟ برقم (٢٥١٨)، من حديث أبي ذر ت.

(١٧١) «مرقاة المفاتيح» (٥٠٠/٦)، «لسان العرب» (٧٥/١٠).

(١٧٢) «عمدة القاري» (٨٠/١٣).

(١٧٣) «لسان العرب» (٢٣١/٨)، «مرقاة المفاتيح» (٥٠٠/٦).

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

١. من مظاهر التيسير في تشريع الصيام أن الله سبحانه رفع الحرج عن المريض والمسافر والمرضع والحبلى بأن أباح لهم ترك الصيام خلال مدة المرض أو السفر رفعًا للمشقة عنهم، وأمَرهم بقضاء هذه الأيام في أيام أُخر لتتم عدّة الصيام ويحصِّل العبد مقاصده.

٢. الصوم مدرسة تحقق وحدة الشعور ووحدة الضمير ووحدة الفكر ووحدة السلوك ووحدة الصف، ووحدة الشعائر ووحدة المصير ووحدة الهدف والغاية؛ ذلك أن الهدف من الصيام هو الامتثال لأمر الله تعالى وتحقيق العبودية له وحده لا شريك له قال الله تعالى: (وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) [المؤمنون :٥٢].

٣. الصوم يورث القوة بمفهومها الشامل تتشعب مجالاتها، وتتنوع صورها، ومن صورها القوة النفسية كتم الغيظ، والسيطرة على النفس في والحديث:" فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم." والقوة الاجتماعية تكون بسد خلة الفقر وإطعام المحتاجين ومدهم بما يحتاجون. والقوة الاقتصادية بأن ينعم المجتمع بالكفاية في توفير ما يلبي احتياجات الإنسان المادية، والمعنوية، بما يحقق للإنسان الكرامة وهذا ظاهر في أجلى صوره في شهر رمضان...الخ.

٤. صيام شهر رمضان رحمة خاصة وعامة وقد بين رسول الله ﷺ أن الرحمة لا تقتصر على رحمة النفس والعيال وإنما رحمة المسلمين عامة.

التوصيات:

- ضرورة تربية المسلمين على فهم مقاصد الصيام وعدم الاقتصار على مظاهره وأحكامه الظاهرة فقط.
- التأكيد على أهمية الإخلاص في النية عند الصيام، وتجنب الرياء أو جعل الصيام عادة بلا معنى.
- تعزيز الروابط الاجتماعية والتراحم بين المسلمين خلال شهر رمضان، وعدم الاكتفاء بالعبادة الفردية.
- الاستفادة من الصيام في تزكية النفس والابتعاد عن السلوكيات السلبية كالغضب والقطيعة.
- دعوة العلماء والدعاة إلى التركيز على شرح مقاصد الصيام في خطبهم ودروسهم، وربطها بواقع الناس ومشاكلهم.

المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ISSN Print: 1658-9564 / ISSN Online: 2961-4031

الملصقات العلمية

فهرس الملصقات

م	الاسم	عنوان الملصق العلمي	رقم الصفحات
١.	م. انس ياسر الحساني	عفة لتعزيز الفضيلة.	٣٩٧
٢.	أ. د عفاف عطية الله المعبدي	آيات وصايا لقمان (المعاني والهدايات).	٣٩٨
٣.	أ.د. تهاني سالم أحمد باحويرث	القيم الخلقية في آيات النشوز والطلاق في القران الكريم دراسة موضوعية تحليلية.	٣٩٩
٤.	د. الآء سيف الدين جعفر زواوي	إضاءات" على قول الرسول صلى الله عليه وسلم (: المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاء) متفق عليه.	٤٠٠
٥.	د. عفاف عبده ابراهيم حداد	المغالطات المنطقية غير الصورية في الخطاب الدعوي وأثرها في التفاعل الدعوي من وجهة نظر المدعوين " دراسة قيد التنفيذ".	٤٠١
٦.	د. شيخه عياد المطيري	أثر أفلام الكرتون على عقيدة الطفل ومن يشاهده من البالغين – فلم الطفل الزعيم The Boss Baby (2018) أنموذجاً -	٤٠٢
٧.	د. سامية عطية الله ضيف الله المعبدي	حسن التخلص في سورة الحجر.. دراسة تحليلية.	٤٠٣
٨.	أ. عبير عثمان مسعود الغامدي	لتمكين الاجتماعي للمرأة في العهد النبوي وتطبيقاته المعاصرة.	٤٠٤

عفّة لتعزيز الفضيلة

جمعية عفّة لتعزيز الفضيلة

أنس ياسر الحساني - anasalhsany@gmail.com - ممثل جمعية عفة - بكالوريس هندسة البرمجيات - **المملكة العربية السعودية**

عن الجمعية

جمعية غير ربحية، تأسست عام 1444هـ، رقم التسجيل (2306)، تسعى إلى تمكين الأسرة لتحقيق جودة حياة أفضل لأفرادها، وإلى مجتمع آمن من العادات الإدمانية.

الرؤية

أن تصل منتجات الجمعية إلى كل بيت في المملكة العربية السعودية بحلول عام 2030م.

الرسالة

تصميم وتقديم منتجات وبرامج توعوية وتدريبية لتعزيز القيم والحماية من أضرار السلوكيات الإدمانية، مع توفير نماذج تعافٍ علمية واحترافية.

الأهداف

- وقاية المجتمع من العادات الإدمانية
- تقديم برامج تعافٍ علمية وسرية
- دعم المبادرات المجتمعية
- إعداد دراسات علمية
- تأهيل المتعافين ليكونوا قدوة

إحصائيات مقلقة

- **30%** من محتوى الإنترنت إباحي
- **266** موقعًا إباحيًا جديدًا يوميًا
- **42** مليار زيارة لموقع إباحي واحد في عام
- **88%** من المشاهدات تتضمن عنف ضد المرأة
- **80%** من الشباب الخليجي يرون تأثير الإباحية على سلوكهم

لماذا عفة ؟

برامج علاجية متخصصة بآلية المساعدة الذاتية ومجموعات الدعم عبر تطبيق عفة

- خصوصية عالية
- أمان
- سهولة الوصول

المستفيدون الحاليون

+90.000 مستخدم ومسجل في برامج التعافي عبر المنصة والتطبيق

بعض الأضرار العلمية لإدمان الإباحية

صحية ونفسية

- تغير بنية الدماغ وتأثره بشكل مماثل لإدمان الكوكائين والكحول.
- ضعف التحكم بالسلوك وضعف القدرات الذهنية لمستهلكها
- الإدمان والتصعيد . • الضعف الجنسي .
- ضعف الثقة بالنفس وازدرائها.
- زيادة احتمالية حصول الاكتئاب والقلق المرضي .
- الصدمات النفسية بسبب اعتداء شخص مدمن على آخر .

اجتماعية

- رؤية المدمن نفسه أو الآخر على أنهم أشياء وأدوات للاستخدام .
- الاعتداء على المحارم.
- ارتفاع نسب الطلاق .
- ارتفاع نسب الخيانة الزوجية.
- العزلة الاجتماعية وإهمال الواجبات الأسرية.

مجتمعية

- ارتفاع العنف تجاه الآخرين والاعتداء الجنسي عليهم.
- ارتفاع نسبة السلوكيات الشاذة
- زيادة نسب الاستدراج والاستغلال الجنسي للأطفال.
- ارتفاع نسب الاتجار بالبشر.

حمل التطبيق وابدأ رحلة التعافي

Download on the App Store
GET IT ON Google Play

رقم الحساب لدعم الجمعية - بنك الإنماء
SA41 0500 0068 2044 0707 7000

Effah2030

مؤتمر مكة الدولي الرابع للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية
المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة - جدة - فندق راديسون بلو السلام
خلال الفترة 27-29 شوال 1446 هـ الموافق 25-27 ابريل 2025م

آيات وصايا لقمان (المعاني والهدايات)

أ/د عفاف عطية الله المعبدي

جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

المملكة العربية السعودية
تاريخ انعقاد المؤتمر ٢٧-٢٩ابريل ٢٠٢٥م

المقدمة

القضية المحورية في البحث:
تمثل وصايا لقمان الحكيم منارة إيمانية وتربوية وتعليمية خالدة، تحمل في طياتها عمق الحكمة وبلاغة التعبير، ما يجعلها مرجعًا قيمًا في بناء الفرد والمجتمع في كل مكان وزمان؛ ولذا فإن أصالة هذا البحث تكمن في تسليطه الضوء على المعاني والهدايات القرآنية التي تضمنتها وصايا لقمان الحكيم لابنه مسترشدة بأقوال المفسرين واستنباطاتهم في ذلك.

أهداف البحث:

- تعميق الفهم القرآني بوصايا لقمان الحكيم لابنه
- تقديم نموذج متكامل للتربية الصالحة المتوازنة للفرد والمجتمع.
- إثراء المناهج التربوية الحديثة بأمثلة عملية مستمدة من القرآن الكريم

منهج البحث:

المنهج التحليلي الاستنباطي.

مضمون البحث

المبحث الأول : بين يدي سورة لقمان، وفيه:
أولا: التعريف بالسورة
(تسميتها /نزولها/ عدد آياتها/ مناسبتها لسورة الروم/ فضلها/ مقاصدها وموضوعاتها)
ثانيا: التعريف بلقمان الحكيم.
(اسمه وابنه/ صفته / اختلاف المفسرين حول نبوته وحريته وصناعته).

المبحث الثاني : معاني آيات وصايا لقمان، وفيه:

- صحة الاعتقاد وسلامته (إقامة التوحيد ونبذ الشرك)
- مراعاة حق الوالدين ولو كانا كافرين مع شكرهما بعد شكر الله
- التذكير بقدرة الله العظيمة
- القيام بأعظم الطاعات (الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك)
- التخلق بخلق التواضع (بسط الوجه والقصد في المشي وغض الصوت)

المبحث الثالث: الهدايات المستنبطة من وصايا لقمان

- أول أصول التربية للنفس تربيتها على التوحيد ونبذ الشرك
  - أصول العبادات التي يعزم عليها الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك.
    - الاعتدال سمة واجبة في الاعتقاد والعبادة والخلق
  - أعظم الأعمال بعد التوحيد بر الوالدين وطاعتهما المقيدة بطاعة الله مع تقدم حق الأم على الأب.
    - من أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا
    - الجهل والتكبر مانعان من الوصول للحق واتباعه.

نتائج البحث وتوصياته

من أهم النتائج ما يلي :

١- ضمت وصايا لقمان أصول الشريعة: الاعتقادات، والعبادات، والأدب مع النفس والغير.

٢- التوجيه والإرشاد يستلزم حكمة، والحكمة حقها الثناء على صاحبها.

٣- قصص القرآن ملأ بالعبر والعظات التي تستدعي تأملا وتدبرا للاهتداء بها.

وأما التوصيات:

- العناية بتفسير ما جاء في القرآن من وصايا وعظات واستنباط ما فيهما من كنوز وهدايات لاسيما وأنها تلامس حاجة الناس في كل زمان ومكان.
- دراسة الوصايا القرآنية دراسة بيانية تظهر وجوه إعجاز الكتاب.

أهم مراجع البحث

- كتب التفاسير على تنوعها من أهمها: تفسير الطبري وتفسير السمعاني وتفسير القرطبي وتفسير ابن كثير وتفسير السعدي وتفسير ابن عاشور وغيرها.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي .
- من بلاغة القرآن للبدوي .
- توفيق الرحمن في دروس القرآن لفيصل المبارك .
- المقالات في المجلات العلمية مثل: مقال بعنوان: وصايا لقمان العقدية والدعوية لابنه في سورة لقمان دارسة بلاغية تحليلية"، غالب الشاويش ، المجلة الأردنية في اللغة العربية، مج١٣، ع ٣. وغيرها.

مؤتمر مكة الدولي الرابع للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية
المملكة العربية السعودية – مكة المكرمة – جدة – فندق راديسون بلو السلام
خلال الفترة 27-29 شوال 1446 هـ الموافق 25-27 ابريل 2025م

القيم الخلقية في آيات النشوز والطلاق في القرآن الكريم دراسة موضوعية تحليلية

أ.د. تهاني بنت سالم أحمد باحويرث
الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

المقدمة

أهمية البحث: لما كان الزوجان عماد الأسرة التي هي لبنة المجتمع، ولما كانت المعاشرة والخلطة سبباً لتنازع الحقوق وحصول الخلاف بينهما، مما قد يكون سبباً لحصول الغضب والرغبة في الانتقام، وبالتالي سبباً لهدم الأسر وضياع المجتمعات، ولما كان التنبيه بواقع التعايش الأسري من الأهمية بمكان، رأيت ضرورة الكتابة في هذا الموضوع، وتسليط الضوء على القيم الخلقية التي جاءت في نصوص القرآن الكريم والتي نظمت العلاقة بين الزوجين حال نشوزهما أو أحدهما، أو حال وقوع الطلاق بينهما.

أهداف البحث:

- بيان أهمية القرآن الكريم في كونه مصدراً أساسياً للأخلاق.
- إبراز اهتمام القرآن الكريم بالأسرة التي هي نواة المجتمع.
- التعريف بالقيم الخلقية والمراد من آيات النشوز في القرآن الكريم.
- استنباط القيم الخلقية من آيات النشوز والطلاق في القرآن الكريم.
- الوقوف على أهمية التدبر للقرآن الكريم والتفكر في آياته في تعزيز القيم الخلقية وغيرها.

منهج البحث:

١- المنهج الاستقرائي ٢- المنهج التحليلي الاستنباطي.

حدود البحث: استنباط القيم الخلقية من آيات النشوز والطلاق في القرآن الكريم.

مضمون البحث

المبحث الأول: مفهوم القيم الخلقية وأهميتها والمراد من آيات النشوز في القرآن الكريم.
المبحث الثاني : القيم الخلقية المستنبطة من آيات النشوز في القرآن الكريم.
المبحث الثالث: القيم الخلقية المستنبطة من آيات الطلاق في القرآن الكريم.

أهم القيم المستنبطة من الآيات موضع الدراسة:

- قيمة التقوى
- قيمة التثبت والتبين
- قيمة الستر
- قيمة العفو والرحمة
- قيمة إصلاح ذات البين
- قيمة الإحسان
- قيمة التشاور
- قيمة العدل
- قيمة التيسير
- قيمة الأمانة
- قيمة الرفق
- قيمة الصبر
- قيمة الوفاء

نتائج البحث

١-اعتنت النصوص القرآنية بركني الأسرة الزوج والزوجة، فجاء التوجيه بجملة من القيم الخلقية لتقوية الروابط بين الزوجين، وأكدت على أن الإيمان أساس لتنظيم العلاقة بين الزوجين، ومنبع القيم الخلقية وأساسها.

٢- شددت النصوص على قدسية رباط الزوجية، لذا جاء الأمر كثيراً بقيمة التقوى في الآيات.

٣-بينت النصوص أهمية تطبيق القيم الخلقية بين الزوجين لصلاح الأسرة، وضمان استمراريتها، وإشاعة الطمأنينة فيها، وتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي لأفرادها.

٤- حثت الآيات على قيم خلقية رفيعة، منها: العدل، والإحسان، والرحمة، والأمانة، والرفق، والسماحة، والتيسير، والعفو والصفح، والتشاور، والاعتدال والتوسط، والوفاء، والاعتراف بالفضل.

٥- جاءت القيم الواردة في النصوص مراعية لحقوق الزوجين دون إفراط أو تفريط، وتكرر الأمر بالعدل في الآيات كثيراً، فبالعدل تستقيم أمور الأسرة، وينتظم حاله.

٦- تكرر الحث على الإحسان وجميل المعاملة بين الزوجين في الآيات، حال الإمساك أو الفراق، ويتضمن ذلك كل حسن من قولٍ أو فعل، كالعفو والصفح والتفضل والعطاء، لما فيه من إشاعة المحبة والمودة بين الزوجين، ووقاية الأسر من التفكك والانهيار.

٧- جاء الحث على الستر والتثبت في الآيات، لما فيه من حماية الأعراض والأرواح، والبعد عن الشكوك والظنون.

٨-تكرر التنبيه على الحياء وحفظ اللسان في الآيات، ودلالتهما على طهارة نفس صاحبها، وحسن خلقه، فهما يؤديان إلى فعل المحاسن وترك القبائح.

٩-أمرت الآيات بالصبر وأشارت إليه؛ لدوره في حماية الأسرة والعلاقة بين الزوجين، فالصبر معينٌ على ضبط النفس، والبعد عن الغضب والتسرع في القول والفعل، كما أنه معينٌ على تحمّل المشقة وما يخالف هوى النفس.

١٠- أمرت الآيات بالتناصح بين الزوجين والسعي إلى الإصلاح بينهما، فهما يؤديان إلى استدامة الود بينهما، واستقرار العلاقة بين أفراد الأسرة.

١١- جاءت القيم الخلقية لتهذيب الأخلاق وتقويم السلوك، وتوجيه الإنسان إلى الأفعال الحسنة، للوصول إلى علاقة صحيحة سليمة بين ركني الأسرة، لما لذلك من أثر كبير على بنائها، ورفعة المجتمع ونمائه.

توصيات البحث

١-الاعتناء باستنباط القيم الخلقية من آيات القرآن الكريم، ودراستها، وتطبيقها.
٢-استحضار الأزواج للقيم الخلقية المستنبطة من النصوص الواردة في تنظيم العلاقة بين الزوجين في أحوال النزاع والخلاف، كونها معينة على دوام الأسرة واستقرارها.

أهم مراجع البحث

مؤتمر مكة الدولي الرابع للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية
المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة - جدة - فندق راديسون بلو السلام
خلال الفترة 27-29 شوال 1446هـ الموافق 25-27 ابريل 2025م

إضاءاتٌ على قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ) متفق عليه

د/الآء سيف الدين زواوي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية- قسم الدراسات الإسلامية- جامعة طيبة- المدينة المنورة
azawawy@taibahu.edu.sa

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:
فإن للكفر والإيمان تأثيرٌ على سلوك الإنسان، وينعكس ذلك على جميع سلوكياته في الحياة، وأخص بالذكر تعاملَه مع شهوتي الطعام والشراب.
ومن الملاحظ اهتمام العالم بالمحافظة على البيئة، ودعوة الناس إلى حمايتِها، ومن خلال هذا الحديث الشريف ظهر جانبٌ من الجوانب السلوكية للإنسان، بناء على إيمانه أو كفره، وهذا الجانب تحدث عن السلوكيات البيئية والاقتصادية، ودورِها في حماية البيئة.
ومن المعروف أن الإيمان يُهذِّب النفس، والكفرَ يزيدها جحودًا، ومن هذا المنطلق تم تخصيص الكلام على شهوتي الطعام والشراب، وعلاقتِهما بالسلوكيات البيئية والاقتصادية.

خطوات الدراسة

بدأت فكرة الموضوع بالبحث عن جانب جديد من جوانب هذا الحديث الشريف يتوافق مع الموضوعات التي يهتم بها العالم اليوم، ومن خلال القراءة والتصفح وقفتُ على عدة جوانب، والذي لفت نظري كان الجانب البيئي والاقتصادي، فبحثتُ عن كيفية الربط بين هذا الجانب وبين كيفية المحافظة عليه من خلال هذا الحديث الشريف، ومن ثم توصلتُ إلى هذا الموضوع.

إيمان = محافظة واعتدال عند استهلاك الطعام والشراب = عدم إسراف وحفاظ على البيئة
كفر= استهلاك مفرط للطعام والشراب وعدم الشبع = هدر للغذاء وعدم حفاظ على البيئة

أهداف الدراسة

١- إظهار علاقة الكفر والإيمان بشهوتي الطعام والشراب، وتأثيرِهما على سلوك الفرد.
٢- القاء الضوء على بعض الجوانب السلوكية في هذا الحديث الشريف، وخاصة فيما يتعلق بالسلوكيات البيئية والاقتصادية، وبيان ما ينتج عنها من محافظة على البيئة.

النتائج

١- إن المؤمن كلما زاد إيمانه كلما قلّت شهوته للطعام والشراب، فلا يأكل أو يشرب الا ما يسدّ حاجتَه، ولا يسرف، اما الكافر فيأكل ولا يشبع، ولذلك نجد استهلاك الكافر للطعام أكثر من المؤمن أو المسلم، بدليل ما نراه من الأحجام الكبيرة (العائلية) في الأطعمة والمشروبات، يستعملها فرد واحد عند الكفار، بينما هذه الأحجام تستعملها عائلة عند المسلمين.
٢- إن تقليل الاستهلاك المفرط للطعام والشراب يقلل من الهدر الغذائي، مما يُسهم في الاستدامة البيئية.
٣- صلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان، وحرصُه على كل ما فيه تقدم وازدهار للعالم.

التوصيات

١- نشر الوعي بين الناس بأهمية المحافظة على البيئة وان عدم الإسراف في الطعام والشراب من الحفاظ عليها، وان هذا من الدين، ومن صفات المؤمنين.
٢- العمل على إيجاد شراكة تعاونية بين الأقسام الدينية والمؤسسات المسؤولة عن البيئة، كاستعانة المؤسسات مثلا بالمعلومات الدينية والاستفادة منها في توعية الناس، لما في ذلك من إظهار للدين، وانه صالح لكل زمان ومكان.

المراجع

من أبرزها: ١- صحيح البخاري-دار طوق النجاة- ط الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢- صحيح مسلم- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٣- التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي- مكتبة الرشد- الرياض ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.

المغالطات المنطقية غير الصوريّة في الخطاب الدعويّ وأثرها في التفاعل الدعويّ من وجهة نظر المدعوين."دراسة قيد التنفيذ"

الباحثة: عفاف عبده حداد _اليمن _ دكتوراه العلوم الإسلامية _ قسم الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة العالمية ماليزيا.
ايميل: dr.afaf.haddad2024@gmail.com

١_ المقدمة:

إنّ الدعوة إلى الله تعالى من أجلّ الأعمال،ومن طرق نجاحها مواجهةُ العقبات التي تحول دون حدوث التفاعل الدعوي المثمر، ومن تلك العقبات المغالطات المنطقية غير الصوريّة في الخطاب الدعويّ المسموع والمقروء.

٢_ مشكلة الدراسة:

تعتبر المغالطات المنطقية غير الصوريّة خللا في التفكير والاستدلال مما يصيب الخطاب الدعويّ بالهشاشة والضعف،لأنها تتعلق بصحة الحجة والاستدلال؛ لهذا تسعى هذه الدراسة إلى تحليل بعض المغالطات الشائعة في الخطاب الدعويّ وبيان أثرها على التفاعل الدعويّ من وجهة نظر المدعوين.

٣_ منهجية الدراسة:

تستخدم الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفيّ في تتبع المغالطات المنطقية غير الصوريّة الشائعة في الخطاب الدعويّ،والمنهج التحليلي في تحليل المغالطات، والمنهج التطبيقي؛ لبيان أثرها على جودة الخطاب والتفاعل الدعويّ من وجهة نظر المدعوين من خلال تصميم استبانة لهذا الغرض.

النتائج: يتوقع أن تكشف الدراسة عن أثر المغالطات المنطقية غير الصورية على الخطاب الدعوي ومصداقيته، ومدى تأثيره على التفاعل الدعوي بين الداعية والمدعوين.

التوصيات : يتوقع أن تساهم مناقشة تلك المغالطات في تطوير وتعزيز وعي الدعاة _ لاسيما المبتدئين_ بضرورة تجنبها مما ينعكس إيجابيا على جودة الخطاب الدعوي والتفاعل الدعوي بين الداعية والمدعوين.

المغالطات المنطقية غير الصورية التي ستتم دراستها

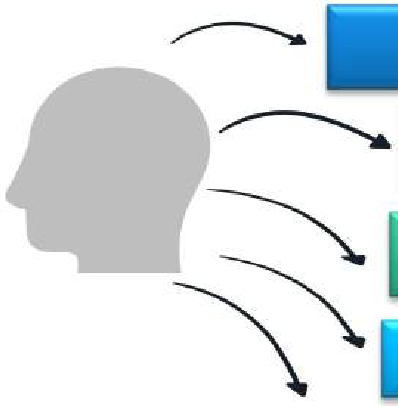

- ١_ مغالطة الشخصنة
- ٢_ مغالطة رجل القش
- ٣_مغالطة تأثير الهالة
- ٤_مغالطة المنحدر الزلق
- ٥_ مغالطة الاحتكام للعاطفة

المراجع

مؤتمر مكة الدولي الرابع للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية
المملكة العربية السعودية - جدة - فندق راديسون بلو جدة السلام - خلال الفترة 27-29 شوال 1446 هـ الموافق 25-27 ابريل 2025م

أثر أفلام الكرتون على عقيدة الطفل ومن يشاهده من البالغين - فلم الطفل الزعيم (The Boss Baby 2018) أنموذجاً-

د. شيخه عياد المطيري - alsameah@gmail.com - المملكة العربية السعودية
دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة من جامعة أم القرى

مقدمة:

يقضي بعض المسلمين في عصرنا الحاضر وقت فراغه في أمور أبعد ما تكون عن الفائدة، بل إن البعض قد يقضيها في أمور قد تختلط ببعض المخالفات العقدية، ومنها بعض أفلام الكرتون للأطفال، حيث أن بعضها فيه من المخالفات العقدية الشيء الكثير، كالفلم محل الدراسة، وهو فلم باختصار يقص قصة عائلة مكونة من أم وأب وطفل، حيث يرغب كلاً من الأب والأم بوجود طفل جديد، فيرزقون بهذا الطفل عن طريق توصيله بسيارة أجرة إلى منزلهم، حيث تم تصنيعه مسبقاً في شركة في السماء، مع ما فيه من عقائد نصرانية وماسونية..

سبب اختيار الموضوع:

أهداف الدراسة:

1-معرفة بعض المخالفات العقدية الموجودة في بعض أفلام الكرتون للأطفال.

2- معرفة أثر المخالفات العقدية المبثوثة في أفلام الكرتون على عقيدة المشاهد لها.

3-توضيح أثر نشر المخالفات العقدية في أفلام الكرتون على المجتمع الإسلامي.

منهجية الدراسة

سأتبع في هذا البحث بإذن الله المناهج التالية:
المنهج النقدي والوصفي والاستقرائي.

أدوات الدراسة:

1- استقراء المخالفات العقدية في فلم الكرتون محل الدراسة.

2- عمل استبانة للشريحة العمرية من سن 6 سنون حتى سن 35 فما فوق.

خطوات الدراسة:

1- استخراج المخالفات العقدية من فلم الكرتون محل الدراسة من خلال مشاهدته وتدوين تلك المخالفات.

2- عمل استبانة حول أهم المخالفات الموجودة في فلم الكرتون محل الدراسة.

3- نشر الاستبانة على الفئة العمرية المستهدفة ثم تحليلنتائج الاستبانة.

4- البحث في المراجع حول آثار نشر تلك المخالفات العقدية على عقيدة المسلم.

نتائج الدراسة:

1-كل عقيدة نهى عنها الدين الإسلامي، أو أمر بعكسها فهي من المخالفات العقدية

2- نشر عقيدة أن مع الله خالق أخر بطريقة غير مباشرة من خلال إظهار الأطفال كمنتجات تصنع في شركة وكأن من يخلقهم تلك الآلات لا الله سبحانه وتعالى

3- إظهار أن الأطفال أول ما يوجدون في السماء بشكل كامل ثم ينزلون إلى الأرض لا كما أخبرنا الله سبحانه ورسوله عليه الصلاة والسلام من مراحل خلق الجنين في بطن الأم.

4-إظهار الأطفال بعقل كامل رغم صغرهم يجعل اشتراط البلوغ لمحاسبة الشخص على عمله لا فائدة منه

5- نشر عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام من خلال إظهار الطفل البطل هو الطفل يسوع

6- المخالفات العقدية تضعف عقيدة الفرد

التوصيات:

1- عمل دراسة حول دور الأديان الوضعية، والمذاهب، والتيارات الفكرية في نشر المخالفات العقدية إعلامياً لا سيما في أفلام الكرتون للأطفال

2- عمل أفلام كرتون تدعوا لما يدعوا له الدين الإسلامي، وقيم المجتمعات الإسلامية الجيدة

المراجع العلمية:

منها:

1- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية

2- لطائف الإشارات، القشيري

3- بحث الصور الدعائية الماسونية في الرسومات المتحركة على الفكر التربوي، للدكتور اسعيداني سلامي

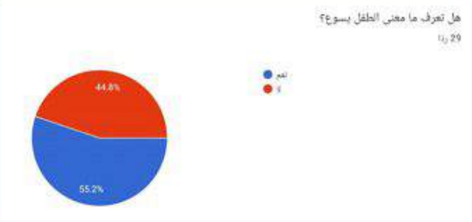

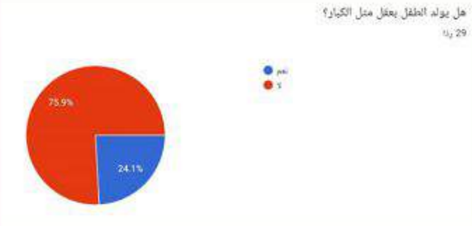

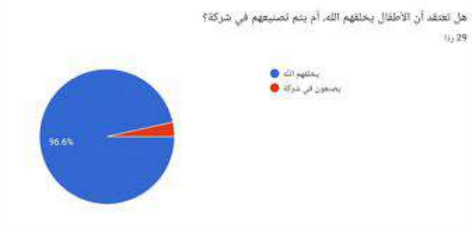

مؤتمر مكة الدولي الرابع للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية
المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة - جدة - فندق راديسون بلو السلام
خلال الفترة 27-29 شوال 1446 هـ الموافق 25-27 ابريل 2025م

حُسن التخلص في سورة الحجر، دراسة تحليلية

د. سامية عطية الله المعبدي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
المملكة العربية السعودية

المقدمة

القضية المحورية في البحث:
على الرغم من نزول القرآن الكريم منجما في أحوال وأغراض ومعان مختلفة إلا أن قارئه يلمس الارتباط الوثيق بين آياته وسورة، فيجدها آخذا بعضها برقاب بعض، ملتحمة أجزائها، متسقة معانيها، منتظمة مبانيها. وإن إحدى أسرار ارتباط سور القرآن العظيم وآياته ما امتاز به في خصائص نظمه وطرائق أساليبه، ومنها سلاسة الانتقال من معنى لآخر، ومن غرض إلى غيره دون أن يشعر القارئ بهذا، وهو ما يعرف بحسن التخلص، الذي هو أحد مظاهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. من هنا وقع اختياري على سورة الحجر للوقوف على جماليات التخلص في مشاهد السورة، وحسن التنقل بين آياتها؛ فجاء هذا البحث الموسوم ب(حسن التخلص في سورة الحجر)

أهداف البحث:

- - التعريف بسورة الحجر، وذكر مناسبتها لما قبلها وما بعدها من السور.
- - الكشف عن أغراض حسن التخلص في سورة الحجر.
- - الربط بين مشاهد السورة وفقراتها مما يعين على فهم آياتها وتدبر معانيها والعلم بمقاصدها.
- - إبراز إحدى جوانب الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

منهج البحث:

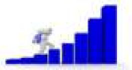

١- المنهج الوصفي ٢- المنهج التحليلي الاستنباطي.

مضمون البحث

المبحث الأول: تعريف حسن التخلص، وبيان علاقته بعلم المناسبات، وإظهار الفرق بينه وبين الفنون المقاربة (الاستطراد، الاقتضاب، حُسن المطلب)، وذكر أهميته.

المبحث الثاني : بين يدي سورة الحجر، وفيه القول في نزول السورة، وذكر أسمائها، ومحورها، وهدفها، وبيان مناسبتها لما قبلها وما بعدها من السور

المبحث الثالث: أغراض حسن التخلص في سورة الحجر.

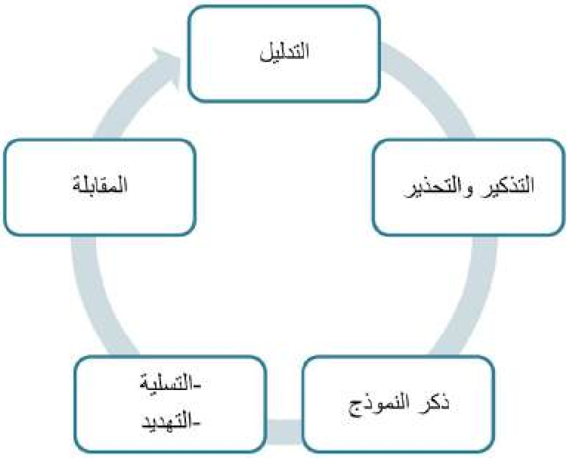

نتائج البحث

- يعدّ حسن التخلص من فنون الكلام البلاغية، وهو موجود في القرآن الكريم.
- يرتبط حسن التخلص ارتباطا وثيقا بعلم المناسبات، وهو منه بمنزلة الفرع من الأصل.
- حسن التخلص أحد أهم الأساليب في الربط بين مقاصد القرآن الكريم.
- الانتقال بين آيات السورة وموضوعاتها لا يكون من باب حسن التخلص إلا بشرطين، أن يقع الاتصال ويؤمن الانفصال أولا، وتلازم الطرفين ثانيا
- ظهر الترابط بين سياقات آيات سورة الحجر وفقراته فكشف بذلك عن الإعجاز القرآني في ترتيب السورة، وعلاقة الفقرة فيها بما قبلها وما بعدها، وما تحققه من أغراض حين الانتقال من موضوع لآخر ومن معنى إلى غيره.
- يظهر حسن التخلص في سورة الحجر في الانتقال بين مشاهد السورة لإثبات الحقائق بالدلائل والبراهين.
- من أغراض حسن التخلص في سورة الحجر إقامة الحجة على الكافرين.

توصيات البحث

- أوصي بالعناية بدراسة السور القرآنية والوقوف على أغراض حسن التخلص بين مشاهدها.
- أوصي بالمقارنة بين أغراض الانتقال في السور المكية والسور المدنية.
- أوصي بمزيد من الدراسات حول الفنون البلاغية التي تبين إعجاز القرآن، وتكشف عن علل ترتيب أجزاءه.

أهم مراجع البحث

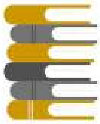

- بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)
- التحرير والتنوير لابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية، تونس، ط(بدون)، ١٩٨٤م.
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دراز محمد بن عبد الله، بيروت: دار القلم للنشر والتوزيع، (د.ط)، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٢م- ١٤٢٤هـ
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م

مؤتمر مكة الدولي الرابع للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية
المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة - جدة - فندق راديسون بلو السلام
خلال الفترة 27-29 شوال 1446 هـ الموافق 25-27 ابريل 2025م

التمكين الاجتماعي للمرأة في العهد النبوي وتطبيقاته المعاصرة

إعداد: عبير عثمان مسعود الغامدي - باحثة دكتوراه في جامعة أم القرى

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في التصور العام لمفهوم التمكين الاجتماعي للمرأة، حيث يغلب عليه التفسير الغربي، المبني على المساواة التامة بين الرجل والمرأة دون اعتبار الفوارق الطبيعية بينهما. وقد حصر اليسير (2004) مظاهر الظلم الاجتماعي الذي يقع على النساء في التصنيف الذي يميّز فيه بين الأدوار المناطة بالجنسين، وما ينشأ عنه من تقييد لحريات النساء، والحد من فاعليتهن الاجتماعية. مما يستدعي الرجوع إلى العهد النبوي والاحتكام إلى منهجه، واستخراج ما يتعلق بالوظائف الاجتماعية التي قامت بها المرأة، ومدى تمكينها. ومن الجدير بالذكر أن تمكين المرأة يساهم في تحقيق التنمية المستدامة، وتحقيق أهداف رؤية المملكة (2030).

أسئلة الدراسة:

ما مبادئ التمكين الاجتماعي للمرأة في العهد النبوي؟
ما مجالات التمكين الاجتماعي للمرأة في العهد النبوي؟
ما التطبيقات المعاصرة لتمكين المرأة السعودية والمستمدة من التمكين الاجتماعي للمرأة في العهد النبوي؟

اهمية الدراسة:

- حاجة المرأة المسلمة المعاصرة إلى نموذج يقتدى به في قضية التمكين الاجتماعي المنضبط .
- المساهمة في معرفة الدور الاجتماعي للمرأة في العهد النبوي في ضوء كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.
- سعي كثير من المنظمات الدولية إلى فرض النموذج الغربي لقضية تمكين المرأة، مع عدم وضوح الرؤية الإسلامية لهذه القضية.
- مواكبة الرؤية السعودية 2030 ورفع مشاركة المرأة في سوق العمل والاسهام في التنمية.
- تفيد المرأة و صانعي القرار في المؤسسات التربوية والمجتمعية لتمكين المرأة وتحقيق التنمية المستدامة.

أبرز النتائج:

- أن تمكين المرأة الاجتماعي يعني تطوير مشاركتها في المجتمع وتنمية قدراتها، وتمكينها من ممارسة حقوقها، وعدم تقييد اختياراتها الاجتماعية، وزيادة ثقتها بنفسها واعتمادها على ذاتها.
- من مبادئ التمكين الاجتماعي للمرأة في العهد النبوي: مبدأ (العدل والمساواة، والحرية، والمشاركة، والكرامة والإحسان، والاستقلالية).
- من أبرز مجالات تمكين المرأة في العهد النبوي تمكين المرأة من: (التعليم ونشره ، والعمل، والمسؤولية المجتمعية ،وتربية الأولاد، وإبداء الرأي والمشورة ، والاعتماد على الذات ، وإدارة الأزمات) .
- تعزيز دور المرأة القيادي ، وتعزيز المسؤولية الاجتماعية، وتنظيم شؤون الأسرة، ودعم المشاركة في سوق العمل والتنمية، هي من أبرز تطبيقات تمكين المرأة السعودية في الوقت المعاصر.

منهج الدراسة:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بالكشف عن مبادئ ومجالات التمكين الاجتماعي للمرأة في العهد النبوي من نصوص الكتاب والسنة، وكتب السير التي حفظت لنا أحداث ذلك التمكين.

توصيات الدراسة:

- التوعية عبر وسائل التواصل الاجتماعي بضرورة الإقتداء بالنماذج المشرفة للمرأة المسلمة.
- عقد الندوات وورش العمل المعنية بقضايا المرأة وتمكينها في ضوء التربية النبوية.
- توجيه الباحثين والباحثات إلى الكتابة عن أدوار المرأة في العهد النبوي وترجمتها إلى لغات متعددة.
- على وزارة العمل والتنمية الاجتماعية توفير فرص العمل التي تعزز من المكانة الاجتماعية للمرأة السعودية .

المراجع:

• اليسير، العربي صالح.(2004). واقع المرأة في المجتمع المعاصر "الواقع الاجتماعي" : المعوقات الثقافية وتأثراتها على فاعليات المرأة وتطورها ، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، مج 2 ،ع (4)، 603-614.

المؤتمرات العلمية المحكمة للعام 2024 - 2025م

مؤتمر المدينة المنورة الدولي للشريعة والدراسات الإسلامية ودورها في مواجهة القضايا المعاصرة

فندق كراون بلازا - المدينة المنورة

خلال الفترة من 24 – 26 شوال 1445 هـ
الموافق 3-5 مايو 2024م

المؤتمر الدولي الثاني لتأهيل وتمكين القيادات التربوية والأكاديمية لتحقيق التميز الشخصي والمؤسسي في القطاعات التعليمية

فندق راديسون بلو السلام - جدة

خلال الفترة 24 – 26 ربيع الأول 1446 هـ
الموافق 27 – 29 سبتمبر 2024م

مؤتمر مكة الدولي الثاني للدراسات القانونية : الأنظمة والاتجاهات الحديثة

فندق راديسون بلو السلام - جدة

خلال الفترة 29 ربيع الثاني - 1 جمادى الأولى 1446هـ
الموافق 1 – 3 نوفمبر 2024م

مؤتمر جدة الدولي الثاني للفنون والتصاميم

فندق راديسون بلو السلام - جدة

خلال الفترة 13 – 15 جمادى الأولى 1446هـ
الموافق 15 – 17 نوفمبر 2024م

المؤتمر الدولي للتربية البدنية والرياضة: الرياضة مستقبل وطن

فندق راديسون بلو السلام - جدة

خلال الفترة 5 – 7 جمادى الآخرة 1446 هـ
الموافق 6 – 8 ديسمبر 2024م

مؤتمر مكة الدولي السادس للغة العربية وآدابها: اللغة العربية والتحول الرقمي والاستدامة

فندق راديسون بلو السلام - جدة

خلال الفترة 3 – 5 رجب 1446 هـ
الموافق 3 – 5 يناير 2025م

المؤتمر الدولي الخامس للتعليم في الوطن العربي: مشكلات وحلول

فندق راديسون بلو السلام - جدة

خلال الفترة 8 – 10 شعبان 1446 هـ
الموافق 7 – 9 فبراير 2025م

مؤتمر مكة الدولي الرابع للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية

فندق راديسون بلو السلام - جدة

خلال الفترة 27 – 29 شوال 1446 هـ
الموافق 25 – 27 ابريل 2025م

المؤتمر الدولي الخامس لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في تطوير التعليم الرقمي بالعالم العربي

فندق راديسون بلو السلام - جدة

خلال الفترة 11 – 13 ذو القعدة 1446 هـ
الموافق 9 – 11 مايو 2025م

المؤتمرات

المجلات العلمية الصادرة عن مركز إثراء المعرفة

المجلة الدولية للبحث والتطوير التربوي

رئيس التحرير

أ.د. مرضي غرم الله الزهراني

الترخيص
111489

الرقم المعياري الدولي

ISSN 1658-9580 (Print)
ISSN 2961-404X(Online)

المجلة الدولية للغة العربية وآدابها

رئيس التحرير

أ.د. ظافربن غرمان العمري

الترخيص
111486

الرقم المعياري الدولي

ISSN 1658-9572 (Print)
ISSN 2961-4066(Online)

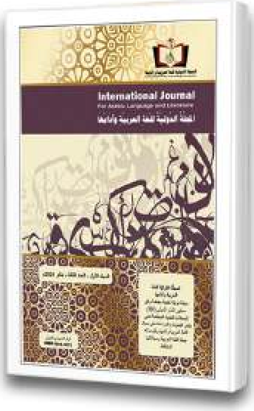

المجلة الدولية للشريعة والدراسات الاسلامية

رئيس التحرير

أ.د. عبد الله بن محمد آل الشيخ

الترخيص
111487

الرقم المعياري الدولي

ISSN 1658-9564 (Print)
ISSN 2961-4031(Online)

المجلة الدولية لتكنولوجيا التعليم والمعلومات

رئيس التحرير

أ.د. عائشة بليهش العمري

الترخيص
111488

الرقم المعياري الدولي

ISSN 1658-9556 (Print)
ISSN 2961-4023 (Online)

www.journal.kefeac.com